مجلة كيرالا

(كتاب المؤتمر – المجلد الثاني)

(لغة الحديث الشريف وفلسفته ودراسته)

مجلة فصلية عربية

المجلد: ١، العدد ٣، ٢٠١٢

رئيس التحرير

البروفيسور نزار الدين

مساعد رئيس التحرير

الدكتور تاج الدين المناني

قسم اللغة العربية

جامعـة كيرالا

كارياواتام، ترفاندرم، كيرالا

ISSN 2277 – 2839

MAJALLA KAIRALA

(Seminar Special)

(THE LANGUAGE, PHILOSOPHY AND TEACHINGS OF HADITH - Volume II)

Chief Editor

Dr. A. Nizarudeen

(Professor & Head, Department of Arabic, University of Kerala)

Assistant Editor

Dr. Thajudeen A.S

Dept. of Arabic, University of Kerala

Kariavattom P.O, Thiruvananthapuram

Kerala, India - 695581

Phone: 0471 - 2308846

Email: deptofarabickvtm@gmail.com

ISSN 2277 – 2839

MAJALLA KAIRALA

(Seminar Special)

(THE LANGUAGE, PHILOSOPHY AND TEACHINGS OF HADITH - Volume II)

Chief Editor
Dr. A. Nizarudeen
(Professor & Head, Department of Arabic, University of Kerala)

Assistant Editor
Dr. Thajudeen A.S

Dept. of Arabic, University of Kerala
Kariavattom P.O, Thiruvananthapuram
Kerala, India - 695581
Phone: 0471 - 2308846
Email: deptofarabickvtm@gmail.com

مجلة كيرالا

(كتاب المؤتمر – المجلد الثاني)

(لغة الحديث الشريف وفلسفته ودراسته)

مجلة فصلية عربية

المجلد: ١، العدد ٣، ٢٠١٢

رئيس التحرير

البروفيسور نزار الدين

مساعد رئيس التحرير

الدكتور تاج الدين المناني

قسم اللغة العربية

جامعـة كيرالا

كارياواتام، ترفاندرم، كيرالا

Majalla Kairala (Arabic & English)
(Seminar Special)

(THE LANGUAGE, PHILOSOPHY AND TEACHINGS OF HADITH - Volume II)

Chief Editor
Dr. A. Nizarudeen
(Professor & Head, Department of Arabic, University of Kerala)

Assistant Editor
Dr. Thajudeen A.S

Editorial Board
- Prof. Ubaid A
- Dr. Shanil A
- Dr. Suhail E
- Dr. Izudeen
- Noushad Hudawi

Layout & Cover Design
Nujumudeen Vengode

Correspondence to:

Chief Editor
Majalla Kairala
Dept. of Arabic, University of Kerala
Kariavattom P.O, Thiruvananthapuram
Kerala, India - 695581
Phone: 0471 - 2308846
Email: deptofarabickvtm@gmail.com

الآراء التي تحويها المقالات المنشورة في هذه المجلة هي آراء شخصية للمساهمين والكتاب ولا تعكس سياسة هذا القسم العربي بالضرورة.

ثمن هذه النسخة الخاصة: ١٠٠٠ روبية هندية / ٥٠ دولار أمريكي

ثمن النسخة	الإشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبيا	١٠٠ روبيا	٢٥٠ روبيا
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيها	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

الفهرس

رقم	صاحب المقالة وعنوان الورقة	صفحة
١.	د.سعيد بن صالح الرقيب الغامدي - جامعة الباحة- المملكة العربية السعودية (معايير تصميم مقررات الحديث الشريف لبيئة التعلم الإلكتروني)	٥
٢.	د. مشاعل بنت راشد بن محمد الدباس - مديرة مدرسة أم أيمن لتحفيظ القرآن، المملكة العربية السعودية (منهج الامام أبي داود في كتابه السنن	٢١
٣.	أ.د. عبد الحليم بوزيد - كلية الشريعة - جامعة باتنة – الجزائر (الحديث النبوي وعلاقته بتفسير القرآن الكريم)	٤٥
٤.	د. رزاق عبد الأمير مهدي الطيَّار - معاون عميد كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، العراق (الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في المعاجم العربية دراسة في معجم لسان العرب لابن منظور)	٥٣
٥.	أ. د. علي خذري - كلية الآداب، جامعة باتنة – الجزائر (الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف)	٧٣
٦.	د. محمد بن ردة العمري - جامعة أم القرى، مكة المكرمة (الاستشهاد بالحديث النبوي بين القداسة الشرعية ونزاهة التقعيد النحوي)	٨٨
٧.	د. زينب السلطاني - قسم علوم القرآن، جامعة بغداد (مفهوم التأويل وأنواعه وأدلّته في كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة)	١٠٢
٨.	د. يوسف حسين أحمد - أستاذ العربية والدراسات الإسلامية (أحاديث رؤية الهلال في ضوء أساليب لغة القرآن)	١١٦
٩.	د. كبرى روشان - جامعة تربية المدرس، إيران (الحديث النبوي في الكتب الدراسية الجامعية)	١٣٦
١٠.	د. فراس محمد ابراهيم - الجامعة الاسلامية في بغداد (الدراسة الموضوعية للحديث وتوظيفها في تفاعل المجتمع مع السنة النبوية)	١٤٧
١١.	د. حمزة أحمد المليباري - قسم اللغة العربية والإسلامية، بدبي (المنهج التعليلي لفهم الحديث الشريف)	١٥٤
١٢.	د. عبد الله بن محمد السماعيل - جامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية (أهمية تدريس السنة النبوية وضرورة تطويرها)	١٦٣
١٣.	د. محمد إحسان الله مياه - الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ - فرع دكا – بنغلاديش (جهود العلماء في ترجمة الحديث النبوي إلى اللغات - واقع بنغلاديش)	١٧٠

١٤.	د. وفاء بنت عبد العزيز بن حمد الزامل - جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن، المملكة العربية السعودية / الرياض (الأساليب التعليمية في السنة النبوية أسلوب القصة نموذجاً)	١٨٨
١٥.	د. مرضي بن ناصر الدوسري & د. سعود بن فرحان العنزي - جامعة طيبة، المدينة المنورة (جهود المملكة العربية في العناية بالسنة النبوية: جائزة نايف نموذجاً)	٢١٠
١٦.	د. أحمد بن بالقاسم جعفري - رئيس قسم اللغة العربية، الجامعة الإفريقية أدرار - الجزائر (مصطلح العنف مفهومه، مرادفاته وأضداده في الخطاب النبوي - دراسة في المعنى والأبعاد)	٢٢١
١٧.	د. علي بن صالح الشايع - كلية التربية - جامعة القصيم، الممكلة العربية السعودية (معالم من الهدي النبوي في التربية)	٢٢٦
١٨.	د. سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي - أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود بالرياض (مكانة الحديث النبوي في العقيدة الإسلامية)	٢٣٧
١٩.	د. محمد عبد الحليم بيشي - كلية العلوم الإسلامية- جامعة الجزائر (تفاسير الحديث النبوي الشريف في المغرب الإسلامي: قراءة في المنهج والموضوع)	٢٥٢
٢٠.	د. أحمد محمود قعدان - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، أكاديمية القاسمي - فلسطين (تحليل الحديث النبوي الشريف - نحو ضوابط منهجية معاصرة)	٢٧٣
٢١.	د. سلطان فهد الطبيشي - وكيل قسم الثقافة الاسلامية، جامعة الملك سعود بالرياض، المملكة العربية السعودية (مناهج شراح الحديث النبوي)	٢٩١
٢٢.	أ.د. إبراهيم بن حماد السلطان الريس - أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الملك سعود بالرياض (انتشار الإسلام في العالم، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر: حقائق وأرقام)	٢٩٦
٢٣.	د. عاشور مزيلخ - جامعة الجزائر، الجزائر العاصمة- الجمهورية الجزائرية (تقنيات الحجاج البلاغي للخطاب النبوي الشريف)	٣١٦
٢٤.	د. سعد بن فلاح العريفي - جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية (أحاديث الإيمان: دراسة تحليلية)	٣٣١
٢٥.	د. عادل الفتحي - قسم اللغة العربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة (الاحتجاج بالحديث النبوي في التقعيد النحوي)	٣٤٣
٢٦.	أ. عبد الرزّاق بن عمر، المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بتونس (الحديث النبويّ في لسان العرب لابن منظور)	٣٥٥
٢٧.	أ.د. أحمد عبد القادر الشاذلي - كلية الآداب، جامعة المنوفية - مصر	٢٦٤

	(منظومة الكون بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف)	
٢٨.	أ.د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي - جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن - عمان (الحديث النبوي في رواية المحدثين واحتجاج اللغويين والنحويين: دراسة وصفية نقدية)	٣٧٠
٢٩.	د. نورة الشهري - جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن – كلية الآداب، المملكة العربية السعودية (علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة)	٤٠٠
٣٠.	د. حسن خميس الملخ - كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة آل البيت، الأردن (لغة الحديث النبويّ بين التخريج الإعرابيّ والتقنين النحويّ الدماميني في كتابه مصابيح الجامع أنموذجا)	٤١٨
٣١.	د. جميل بني عطا - رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزرقاء – الأردن (إنمّا الأعمال بالنيات)	٤٣٨
٣٢.	د. كمال أحمد مقابلة - جامعة آل البيت - الأردن (الألفاظ الدّالة على الرحمة في الحديث النبوي: دراسة دلالية سياقية)	٤٧٢
٣٣.	د. عبد العزيز بن حميد الحميد- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، السعودية (جهود المستشرقين في الفهرسة اللغوية للقرآن والحديث: عرض وتقويم)	٤٩٣
٣٤.	د. علي بن فايز أبو هاشم الشهري - عميد كلية العلوم والآداب ببلقرن، جامعة الملك خالد، أبها - المملكة العربية السعودية (أسلوب النهي في الحديث النبوي – دراسة نحوية دلالية)	٥٠٧
٣٥.	د. محمد بن عبد العزيز الجمعان - أستاذ الحديث المساعد، جامعة طيبة في المدينة المنورة (جهود المحدثين في تأويل مختلف الحديث)	٥٢١
٣٦.	د. ثناء الله الندوي، جامعة عليكراه، الهند (أدب الحديث النبوي الأردي: دراسة وتقويم)	٥٤٩
٣٧.	د. ابتسام ثابت العاني - جامعة بغداد، العراق توكيد الجملة الاسمية في الحديث الصحيح أنموذجا (صحيح مسلم)	٥٦٤
٣٨.	د. رقية محمد المحارب - جامعة الأميرة نورة بالرياض، المملكة العربية السعودية (أثر قراءة السنة النبوية في تهذيب السلوك)	٥٧٧
٣٩.	د. تهاني بنت محمد الصفدي - جامعة الأمير سلطان، الرياض - المملكة العربية السعودية (أثر الحديث النبوي في إغناء العربية)	٥٨٢
٤٠.	أ. د. نواري سعودي أبو زيد - كلية الاداب واللغات - جامعة سطيف الجزائر (الطاقة الحجاجية في الخطاب النبوي الشريف)	٦٠٤

٤١.	د. عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ابراهيم الزيد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية - الرياض (أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في التأثير من خلال السنة المطهرة)	٦٣٠
٤٢.	د. بسيوني نحيلة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر (الحديث النبوي والدعوة الإسلامية المعاصرة)	٦٤٣
٤٣.	د. تاج الدين المناني، نائب الأمين العام للندوة، جامعة كيرالا، الهند (تقرير ندوة : لغة الحديث وفلسفته ودراساته)	٦٤٤
٤٤.	أسماء المشاركين وورقاتهم في هذه الندوة الدولية	٦٤٩
٤٥.	د. عبد القادر تومي - مدير مجلة الحكمة بالجزائر (الأبعاد العالمية للديانة الإسلامية من خلال الأحاديث النبوية)	٦٥٥
	من جهة اليسار - From Leftside	
٤٦.	السيد عمر (الباحث للدكتوراة، جامعة جوهر لال نهرو، نيو دلهي) (A Semiotic Analysis of Hadiz within a post structuralist framework)	
٤٧.	د. رفيدة كمال عبد المجيد - جامعة بغداد، العراق (Speech Acting In Moral Teaching In Prophetic Traditions And In The English Version Of The New Testament: A Contrastive Study)	
٤٨.	السيد منصور عيسى يلوى - الجامعة الدولية الإسلامية، ماليزيا (The Applicability of the Solitary Hadith al Sharif in the 4 sunni schools)	
٤٩.	د. أبو بكر إمام علي آغان - جامعة إيراين، نيجيريا (As-Sahabah and The Preservation of Hadith)	

التقديم

بسم الله الرحمن الرحيمO الحمد لله رب العالمينO الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعينO

قرائي الأعزاء،

إن من أعظم دواعي سرورنا أن استطعنا بإصدار **مجلة فصلية عربية خاصة لكتاب المؤتمر** التي كانت حلما من أحلامنا منذ عقد الندوة الدولية حول "لغة الحديث الشريف وفلسفته ودراسته" تحت القسم العربي بجامعة كيرلا في ١٤ - ١٨ فبراير عام ٢٠١٢م. وبفضل الله وكرمه اقتدرنا الآن أن نقدم أمام القراء الأعزاء مجلة فصلية عربية باسم 'مجلة كيرالا' ونرجو من الله – عزوجل - له الشكر والمنة - التوفيق على متابعة إصدارها بدون توقف في وقتها المعين في المستقبل أيضا.

الغاية التي نهدف وراء إصدار هذه المجلة تنمية مقدرات الطلاب المختبئة فيهم والتمرين على معالجة الموضوعات المختلفة غير المقررات الدراسية المعينة والنشاطات الزاهرة في الأدب والثقافة والأمور الاجتماعية وتقديم الشؤون المعاصرة بمساهماتهم الكتابية بكل مواد ومتطلبات يحتاج إليها.

هذه المجلة تهدف إلى رفع مستوى تعليم اللغة العربية في كيرلا وإلى رفع مستوى طلبتنا في المهارات اللغوية حيث إن للمهارات اللغوية منزلة عظيمة في العالم المعاصر الملقب بـ'عصر الإعلام التكنولوجية' كي يقتدروا أن يتعايشوا في عالم متحضر حاملين التقاليد القيمة التي حصل عليها الأمة من تراث ماجد مثل القرأن الكريم والأحاديث الشريفة وما إليها من العلوم والثقافة التي يحتاج إليها العالم الحديث ماديا وروحيا.

وبكل غبطة وسرور أنا في أداء الشكر للمتساهمين عليها والمشاركين في الندوة المباركة بمقالاتهم القيمة. والمرجو من القراء الكرام أن يرشدونا بإرشاداتهم القيمة وأن يساهموا بمساهماتهم الأدبية الخالصة. نقدم أمام القراء الكرام عددا خاصا لكتاب المؤتمر للمجلة سائلين المولى عزوجل أن يوفقنا لإحياء لغة القرأن ولنشر لسان رسول رب العالمين.

والله ولي التوفيق

الدكتور نزارالدين عبدالكريم
أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية
جامعة كيرلا، كارياواتام
كيرلا - الهند

قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا في سطور

تأسيس : عام ٢٠٠١م

الرئيس المؤسس : الأستاذ الدكتور عبيد

الرئيس الحالي : الأستاذ الدكتور نزار الدين

<u>هيئة التدريس الحالية:</u>

١. د. نزار الدين	الأستاذ والرئيس
٢. د. عبيد	الأستاذ
٣. د. شنل	محاضر ضيف
٤. د. سهيل	محاضر ضيف
٥. د. تاج الدين	محاضر ضيف
٦. د. عز الدين	محاضر ضيف

<u>الدورات</u>

دكتوراه (Ph.D)

ماجستير في الفلسفة (M.Phil)

ماجستير (M.A)

دبلوم PG في اللغة العربية الوظيفية

MAJALLA KAIRALA	:	Statement of ownership and other particulars.

FORM IV

(See Rule 8)

1. Place of Publication	:	Department of Arabic, University of Kerala Kariavattom P.O, Thiruvananthapuram Kerala, India - 695581
2. Periodicity of its Publication	:	Quarterly
3. Printer's Name	:	Dr. A. Nizarudeen
Whether citizen of India?	:	Yes
Address	:	Department of Arabic, University of Kerala Kariavattom P.O, Thiruvananthapuram Kerala, India - 695581
4. Publisher's Name	:	Dr. A. Nizarudeen
Whether citizen of India?	:	Yes
Address	:	Department of Arabic, University of Kerala Kariavattom P.O, Thiruvananthapuram Kerala, India - 695581
5. Editor's Name	:	Dr. A. Nizarudeen
Whether citizen of India?	:	Yes
Address	:	Department of Arabic, University of Kerala Kariavattom P.O, Thiruvananthapuram Kerala, India – 695581
6. Name and address of individuals who own the newspaper	:	Head of Dept. of Arabic, University of Kerala Kariavattom P.O, Thiruvananthapuram Kerala, India – 695581

I, Dr. A. Nizarudeen, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- Dr. A. Nizarudeen
Signature of Publisher

١. معايير ومواصفات تصميم مقررات الحديث الشريف لبيئة التعلم الإلكتروني

(د.سعيد بن صالح الرقيب الغامدي، الأستاذ المشارك في الحديث وعلومه، جامعة الباحة، المملكة العربية السعودية)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على البشير النذير أما بعد:

ففي عصر التقدم التقني الذي طغت أدواته وأجهزته على كثير من جوانب حياة الناس في هذا العصر، فقد تنادى المصلحون إلى أهمية تطويع هذه التقنيات لخدمة الدين الإسلامي، ومن أهم الأبواب التي ينبغي طرقها في هذا المقام هو تعليم العلوم الشرعية باستخدام الوسائل الحديثة، حيث يمكن إيصال رسالة الإسلام وتعاليمه إلى الناس بما يتوافق مع ما يعاصرونه من تقدم تقني.

وبجانب تخصصي في الحديث الشريف وعلومه فقد هملت قرابة خمس سنوات في مجال التعلم الإلكتروني، رأيت ضرورة الاضطلاع بمسؤولية خدمة الحديث الشريف فذ هذا الجانب المهم ألا وهو تصميم مقررات الحديث الشريف، فأحببت كتابة هذا البحث تحت عنوان: "معايير ومواصفات تصميم مقررات الحديث الشريف لبيئة التعلم الإلكتروني".

ودفعني لكتابة هذا البحث أمور منها:

١. عدم وجود الدرسات من قبل المتخصصين في العلوم الشرعية قاطبة والحديث الشريف خصوصاً في هذا المجال.
٢. ضرورة وجود تصور علمي مكتامل لتصميم المقررات الإلكترونية تنبع من رؤية المتخصصين في الحديث الشريف.
٣. تسهيل الأمر وتقريبه على المتخصصين في الحديث الشريف وعلومه، الذين لهم رغبة في الدخول في هذا المجال.
٤. فتح الباب لمزيد من الدراسات في هذا الموضوع، لتكون المقررات الحديثة مواكبة للتطوير الذي تشهده بقية العلوم والمعارف.

ومنهج الدراسة والكتابة كما يلي:

١. البحث عبارة عن دراسة تحليلية لأبرز الأدبيات في مجال التعلم الإلكتروني، وتصميم المقررات.
٢. بعض الموضوعات فيها شيء من التفصيل في علوم معارف لا تمت للحديث الشريف بصلة، ولكن وجود هذه الوسائل تجبرنا على الخوض في بعض التفاصيل التي أهدف من وراءها إلى تكوين تصور متكامل عن الموضوع لمن لم يسبق له العمل في هذا المجال.
٣. النصوص المنقولة حرفياً أضعها بين علامتي تنصيص "".
٤. جعلت الحواشي في آخر البحث.

وجاءت خطة البحث كما يلي:

المقدمة:

الفصل الأول: مقدمات تمهيدية.

المبحث الأول: أهمية العناية بتطوير مقررات الحديث الشريف.

المبحث الثاني تعريف التعلم الإلكتروني، وأهميته، وفائدته، وتحدياته.

المبحث الثالث: المعايير وأهميتها.

الفصل الثاني: المعايير العامة لتطوير مقررات الحديث الشريف.

المبحث الأول: المعايير التربوية.

المبحث الثاني: المعايير الفنية، و التقنية.

المبحث الثالث: معايير ضبط الجودة.

الفصل الثالث: المواصفات العلمية الخاصة بالحديث الشريف.

المبحث الأول: المواصفات المتعلقة بالإسناد.

المبحث الثاني: المواصفات المتعلقة بالمتن.

المبحث الثالث: مهام المتخصص في الحديث أثناء عملية التصميم.

الخاتمة:

الفهارس:

المراجع:

وأسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث مفتاح خير لخدمة الحديث الشريف وعلومه، وأن ينفع به من كتبه وقرأه.

الفصل الأول: مقدمات تمهيدية.

المبحث الأول: أهمية العناية بتطوير مقررات الحديث الشريف.

تطورت وسائل التعلم عبر الأجيال، فما كان من الوسائل متطوراً قبل عشرين سنة يعد اليوم وسيلة قديمة تكلف كثيراً من الجهد، وذات مردود ضئيل، والعلوم الشرعية وبخاصة الحديث الشريف أولى تلك العلوم بتطوير وسائله التعليمية، فالعيش في الواقع الحياتي للمعلم والمتعلم يفرض تطوير وسائل التعلم بينهما وإلا لعاش الأستاذ أو الطالب غربة عن واقعه، يقول الطاهر بن عاشور: " وقد كان صلاح التعلم من مميزات الأمم.... فإنه إن صلح التعلم عمّ به الصلاح وإن كان فاسداً شقيت به الأمة كلها وتذبذبت في معرفة مركزها وساءت اعتقاداً في حالة جهلها "[١].

وفي ورقة عمل في أحد المؤتمرات العلمية عن التعلم الإلكترةني تحدثت إحدى المتخصصات في العلوم الشرعية فقالت: " الحديث عن واقع العلوم الإسلامية وإصلاحها حديث متواصل متجدد نابع من مراجعة الذات وتقويم العملية التعلمية الذي لا ينبغي التوقف عن البحث فيه، ولا تزال دعوات المصلحين والمفكرين متواصلة في تأكيد أهمية ذلك "[٢].

ومن الأسباب الدافعة للاهتمام بتطوير وسائل تعليم الحديث الشريف ما يلي:

---

١. أليس الصبح بقريب ص ١٦-١٨.

٢. د.رقية العلواني، كتاب مؤتمر التعلم الإلكتروني جامعة البحرين .

١- قلة المؤسسات والهيئات التعلمية التي تقدم برامج دراسيةفي الحديث الشريف باستخدام التقنيات الحديثة.

٢- التطور الهائل في الوسائل التي يمكن من خلالها الوصول إلى فضاءات متباعدة زمانياً ومكانياً، ينبغي تسخيرها والتعامل معها بما يحقق مقاصد تعليم الحديث الشريف.

٣- كثرة الراغبين في دراسة العلوم الشرعية وبخاصة علوم الحديث عبر العالم والذين لا يتمكنهم إمكانياتهم المادية من الرحلة إلى البلاد التي توجد فيها تلك العلوم والمعارف، ومن خلال هذه الوسائل يمكن إيصال الحديث وعلومه إلى كل راغب.

٤- الجمود في وسائل تدريس الحديث الشريف، ولا يعني هذا تفضيل الوسائل الحديثة على القديمة، ولكن لكل جيل طريقته في التعلم، فحتى لا تكون الوسائل عائقاً أمام راغبي تعلم الحديث الشريف فإنه ينبغي على المتخصصين في الحديث الشريف العناية بالوسائل الحديثة.

٥- دخول كثير من الجهات ذات المقصد الربحي في تطوير برمجيات تخدم الحديث الشريف، وفي الغالب انها لا تعتني بالمعايير الفنية و العلمية في عملية التطوير.

٦- عدم وجود مرجعيات وهيئات علمية لديها معايير وضوابط معتمدة يمكن استخدامها في تطوير المقررات الشرعية بصفة عامة والحديث الشريف بصفة خاصة، فالباب موصد ينبغي ألا يفتحه إلا أهل الاختصاص.

٧- سد الفجوة الكبيرة بين ثقافة الناشئة والحديث الشريف وعلومه، فلا يكاد يوجد على الشبكة العنكبوتية أي مقررات موجهة لتعليم الحديث الشريف وعلومه.

٨- أن تطوير وسائل التعلم مسؤولية وأمانة ملقاة على عاتق المتخصصين في كل مجال على حسبه، فحتى لا يصبح مجال تدريس الحديث الشريف عن طريق الشبكة العنكبوتية لكل من أراد فإنه من الضروري أن يتصدى المتخصصون في الحديث الشريف إلى المبادرة في استخدام تلك الوسائل وتطويعها، وقبل ذلك وضع المعايير والضوابط التي يرونها أجدى وأنفع في تعليم الحديث الشريف.

"تبين لي بعد ممارسة طويلة لهذه الموسوعة أن التقنية يمكن أن تسهم بدور بارز في التوصل إلى فوائد عديدة في مجالات الصناعة الحديثية" [١].

المبحث الثاني: تعريف التعلم الإلكتروني، وأهميته، وفائدته، وتحدياته.

أولاً: تعريف التعلم الإلكتروني:

يعد التعلم الإلكتروني وسيلة من الوسائل الحديث المستخدمة على نطاق واسع، ولكونه جاء من الترجمة الإنجليزية للمصطلح (Electronic Learning) ويرمز له اختصاراً (elearning) وهو مركب في اللغة العربية من كلمتين: التعلم وإلكتروني:

---

٣. عبد الله دمفو، كتاب مؤتمر السنة النبوية الدولي، ص ٢٠٦.

التعلم: هو تنبه النفس لتصور المعاني [١]، والتعلم هو: "العملية التي نستدل عليها من التغييرات التي تطرأ على سلوك الفرد، والناجمة عن التفاعل مع البيئة أو التدريب أو الخبرة"[٢].

إلكتروني: مرتبط بالإلكترونيات، وكل ما نفذ باستخدام الحاسب الآلي، والأجهزة الإلكترونية الأخرى خصوصاً عبر الشبكة.قاموس أكسفورد: ولكثرة استخدام هذا التركيب فقد اختلفت عبارات معرفيه باللغة العربية، ومن أحسنها: "مجموعة العمليات المرتبطة بالتعلم والتي تتم عبر الأنترنت"[٣]، وبهذا يخرج ما عداه من أساليب التعلم الأخرى التي تتم عبر وسائل أخرى.

ثانياً: أهميتة التعلم الإلكتروني:

يعتبر التعلم الإلكتروني من أهم الوسائل المعاصرة في العملية التعلمية، وحيث تطورت الوسائل الإلكتورنية في الاتصالات وغيرها فقد واكبها ثورة في استخدام تلك الوسائل في التعلم، وأمكن تسخير كثير من التكنولوجيا الرقمية في لتطوير المعارف والعلوم، بأسلوب يضيف التشويق والمرونة والسرعة والاستمرارية في تلقي المعرفة، كما يحقق كثيراً مما تتطلبه العملية التعلمية من متابعة وتقييم، وتطوير للمهارات، وتواصل مستمر بين أطراف العملية التعلمية.

"إن التدريس عبر الشبكة العنكبوتية إن أحسن تصميمه وأتيحيت له الموارد الكافية لاستثمار تفاعل الإنسان مع الآلة في التعلم عبر الأنترنت، لاسيما وأن تكثيف هذا التفاعل يزيد من الوقت الذي ينفقه الطالب في التعلم ويقلل الوقت الذي يبذله المعلم في التعليم"[٤].

ثالثاً: فائدة التعلم الإلكتروني.

تحدث كثير من الباحثين في الفوائد المبتغاة من استخدام التعلم الإلكتروني، وابرز تلك الفوائد ما يلي:

١. زيادة وسائل الاتصال بين اطراف العملية التعلمية، وهذا مما يحفز الطلاب المشاركة والتفاعل مع مواضيع المقرر الدراسي.
٢. الاستمرارية في تلقي العلم فلا يقتصر على زمن المحاضرة في القاعة الدراسية، بل يمكن المتعلم من الحصول على المعرفة في الزمان والمكان المناسبين للنتلقي.
٣. تعدد طرق التعلم، فللمعلم نمط معين في التعلم قد لا يتوافق مع نمط المتلقي، لكن التعلم الإلكتروني يتح للمصمم أن يكون أكثر من طريقة لإيصال المعلومة للطالب.
٤. الممارسة العلملية لما يتلقاه الطالب مطلب ملح لتثبيت المعلومات ويتيح التعلم الإلكتروني تطبيق كثير من المهارات التعلمية أثناء دراسة المقرر.
٥. المساواة بين الطلاب فكثير من الطلاب يمنعه الخجل والخوف من المشاركة وإلقاء الأسئلة في القاعة الدراسية لكن وسائل التواصل المتعددة في التعلم الإلكتروني تمكن كل واحد من أخذ فرصته في السؤال والمناقشة إذا تطلب الأمر ذلك.

---

٤. تاج العروس ١٣٠/٣٣.
٥. علم النفس التربوي، د.المجيد نشواتي ص ٢٧٤، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ ،دار الفرقان، عمان.
٦. د.هيفاء المبارك، ندوة مدرسة المستقبل ص ٣٣٨.
٧. التكونولوجيا والتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، ص٢٩١.

٦. التوفير الكبير الذي يحققه التعلم الإلكتروني في الناحية المادية للمؤسسات التعلمية، والزمن والجهد للمعلم والمتعلم.
٧. توفر الموسوعات العلمية الكبرى بين يدي المعلم والمتعلم للبحث والنظر أثناء المدارسة العلمية، وربط المادة العلمية بمصادرها الأصلية مباشرة.
٨. "يحقق التعلم الإلكتروني فرصة كبيرة لمن لم تتوفر له الإمكانيات للذهاب إلى المؤسسات التعلمية لوجود عجز ما، فيمكنه التعلم وهو في بيته كأصحاب الاحتياجات الخاصة مثلاً" [١].

رابعاً: التحديات التي تواجه استخدامه:

كأي وسيلة تستخدم لابد أن يكون لها تحديات تقلل من الاستفادة القصوى من تلك الوسيلة، ومن التحديات التي تواجه التعلم الإلكتروني:

١. ارتباطه بشكل مستمر بخدمة الأنترنت.
٢. الجهل بأهميته وفائدته.
٣. نقص الخبرات المدربة للاستفادة منه.
٤. صعوبة التأقلم مع الوسائل الجديدة لدى بعض المستخدمين له.
٥. غياب عنصر التفاعل المشاعري بين المستخدمين له حيث تتطلب بعض المقررات مواجهة بين المعلم والمتعلم.

أنواع التعلم الإلكتروني من حيث الزمن:

متزامن: وهو أن يكون المعلم والمتعلم في آن واحد على نظام إدارة التعلم الإلكتروني، ويستخدم فيها بكثرة الفصول الافتراضية.

غير متزامن: بخلاف سابقه، بحيث لا يشترط وجود الانثين في وقت واحد.

ويخضع استخدام أي منهما لعامل الإمكانات التقنية والفنية.

أنواعه من حيث استخدامه مع التعليم التقليدي:

داعم: أي يدعم التعليم التقليدي، وتبقى المحاضرات في القاعات كما هي، لكن تستخدم بعض الوسائل المساعدة في التعلم الإلكتروني لدعم العملية التعليمية للمقرر.

مزيج: بأن يكون هناك جزء من المقرر يدرس من خلال المحاضرات التقليدية، وجزء منه باستخدام التعلم الإلكتروني، فيكون جزء المقرر ملزم للطالب بدراسته في القاعة، وآخر عبر أنظمة التعلم الإلكتروني.

كامل: بحيث يتم تطوير كامل المقرر الدراسي، ويستغنى به عن المحاضرات في قاعات الدراسة، ويمكن من خلاله أيضاً وضع الاختبارات لتقييم تحصيل الطلاب.

والذي أرى أنه مناسب لمقررات الحديث الشريف هو النوع الثاني، فكثير من مسائل الحديث تحتاج إلى تواصل بين المعلم والمتعلم، وكذلك حتى لا يفقد التواصل العلمي بين المعلم والمتعلم بالكلية.

---

٨. د.عبد الله الموسى – كتاب ندوة مدرسة المستقبل ص ٤٩٧-٥٠٠.

المبحث الثالث: المعايير وأهميتها.

تعريف المعايير لغة:

قال الفيومي: عيرت الدنانير تعييرا امتحنتها لمعرفة أوزانها، وعايرت المكيال والميزان معايرة وعيارا امتحنته بغيره لمعرفة صحته وعيار الشيء ما جعل نظاماً له "، المعيار هو: " ما اتخذ أساساً للمقارنة والتقدير، ومعيار النقود: مقدار ما فيها من المعدن الخالص المعدود لها أساساً بالنسبة لوزنها " [١].

أهمية المعايير:

فلأن التعلم الإلكتروني قد دخل حديثاً واصبح ضرورة عصرية ملحة، وحتى لا تصبح الأمور فوضى تهدم ولا تبني في العملية التعليمية فقد سعى المتخصصون إلى الكلام في أهمية وجود معايير تحكم عملية تطوير المقررات، وحينئذ لابد لكل أهل فن أن يضعوا ما يناسب تخصصهم من معايير.

ولأن المعيارية تحفز لتطوير مقررات تعليمية متميزة، فقد وضعت لكثير من كليات وجزئيات التعلم الإلكتروني معاييراً تحكم تلك الأنشطة المتعددة في التطوير والاستخدام.

وللمعايرية أهمية كبرى في توفير الجهد والوقت على المطورين، بحيث إذا التزم الجميع بها تصبح هناك بيئة متكاملة، ومترابطة تمكن الجميع من العمل والمشاركة في التطوير والاستخدام، اما إذا فقدت المعايير فإن مغبته عدم التوافق وكثرة الاختلافات بين بيئات التعلم الإلكتروني، وبالتالي يفقد كثيراً من مميزاته.

وبالمعايير يمكن قياس مدى توفر المكونات الأساسية في التعلم الإلكتروني وتحقق أهدافه، وإلا لكانت التقنية وما تبهر به المتلقي من صور وصوت هي المحصلة التي يخرج بها المتلقي.

فالمعايير كالموازين التي توزن بها الأشياء، والمقصود هنا وضع موازين يمكن من خلالها الحكم بصلاحية أي مقرر دراسي من مقررات الحديث الشريف يتم تطويره للعمل في بيئة تعلم إلكترونية، أو حتى قبل البدء باستخدام التعلم الإلكتروني حتى يحقق المطورون لمقررات الحديث الشريف غايتهم من استخدام هذه الوسيلة.

"فالتعليم سيكون بلا جدوى إذا اقتصر على مجرد نشر المعلومات دون تقييم جدي وفعال وإنشاء بنى قيمة للمعرفة ترمي إلى تحقيق الأهداف المستقبيلة لعملية التعلم، فالتعلم الإلكتروني ليس عبارة عم برنامج ثقافي ترفيهي وحسب" [٢].

الفصل الثاني: معايير تطوير الحديث الشريف.

المبحث الأول: المعايير التربوية.

"إن السبب التربوي لاعتماد التعلم الإلكتروني يكمن في كونه يمكن الطلبة من التعلم بطريقة تختلف عن التعلم التقليدي داخل غرفة الصف، ففي مجتمع قائم على المعرفة هناك حاجة أكيدة لمهارات معينة مثل البحث عن المعلومة والسعي لها وتحليلها وتطبيقها، وحاجة للتعلم مدى الحياة، وبصورة مستقلة، وتمكين الطلاب من التحكم إلى حد ما في سرعة تعليمهم وتوقيته تسمح بالتأمل، ومن هذا

---

٩. المصباح المنير ص ٤٣٩، المعجم الوسيط ص ٤١١.

١٠. التعلم الإلكتروني في القرن الواحد والعشرين ص ٣٤.

المنطلق أصبح التعلم الإلكتروني أداة ذات قيمة عليا لتعزيز المنهجيات الاستدلالية في التعليم والتعلم "[١].

فلأن الغرض من تطوير المقررات هو تعليم المتلقين كان لزاماً أن توجد المعايير التربوية التي يجب أن تتوفر في أي مقرر يتم تطويره، وذلك حتى يتحقق الهدف الأسمى من التعلم، ومن المعايير التربوية التي أرى لزوم الأخذ بها ما يلي:

١- تحديد الأهداف المبتغاة من عملية تطوير المقرر، فلا يغلب على الذهن الرغبة في التطوير من أجل التطوير ولكن لابد من وجود أهداف تصب في مصلحة العملية التعلمية تشمل كل من يدخل ضمن بيئة التعلم المعلم والمتعلم والمقرر، والإشكالية هنا إذا لم تكن أهداف المقرر واضحة ومبنية بناءً سليماً فإن ذلك سيؤدي إلى وجود خلل في تطوير المقرر.

٢- ينبغي أن تتنوع أهداف الدرس بين الأهداف الوجدانية، و المعرفية، والسلوكية.

٣- ينبغي التركيز على المحتوى العلمي لا على الوسيلة التقنية، وعند المتخصصين جملة يرددونها (المحتوى هو الملك) لأن كثرة المحسنات التقنية (صورية أوصوتية) قد تكون على حساب المحتوى العلمي، وطاردة للتركيز الذهني، وصارفة عن التعلم.

٤- ينبغي أن يتحقق في المقرر المصمم ميزة التفاعلية: وهي معيار للتفريق بين التلقي السلبي للمعلومات وبين التفاعل الإيجابي المؤدي للتعلم الفعال.

٥- وكذلك ميزة: التتابعية: ويقصد بهذا المعيار أن محتويات المقرر الإلكتروني يجب أن تكون مبنية تسلسلياً ومترابطة علمياً، فلا يكون المتعلم أمام تدفق معلوماتي لا يؤدي إلى تعلم مفيد.

٦- كما ينبغي تخطيط الدرس، ووضع خطة متكاملة لمقرر الحديث يشمل الخطة الأسبوعية، والشهرية، والفصلية.

٧- أن يتكون سمة التوازن جلية بين أجزاء الدرس الواحد، والمقرر الواحد، فلا يطغى عنصر من عناصر المقرر على بقية العناصر، فلا تكون الصناعة الحديثية في الأسانيد على حساب الدراسة الفقهية لمتن الحديث مثلاً.

٨- ينبغي أن يحتوي المقرر الإلكتروني على تعليمات واضحة ومحددة للمعلم والمتعلم، وما ينبغي على كل منهما القيام به في كل مرحلة من مراحل تدريس المقرر.

٩- ينبغي أن يقوم المقرر بتنمية مبدأ الراقبة الذاتية، والسلوكيات الحضارية في التعامل بين الأطراف المستخدمة للمقرر الإلكتروني، حتى لا تصبح البيئة مجالاً للاعتداء على الأخلاق والأعراض، وألا يسأ استخدام هذه الوسيلة في كل ما يضر بتربية الإنسان وتنشئته تنشة سليمة دينياً، وفكرياً، وسلوكياً.

١٠- في ختام الدرس ينبغي وضع تمارين وواجبات عملية سلوكية في نهاية كل درس لإرشاد الطالب للتطبيق الصحيح لما دل عليه الحديث.

---

١١. التكونولوجيا والتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، ص ٢٧٥-٢٧٦.

١١- ينبغي أن تحوي كل مرحلة من المقرر تقييماً يحدد مدى تقدم الطالب في المقرر، ويكون ذلك عن طريق الاختبارات القصيرة، أو الاختيار من متعدد، وغيرها من الوسائل المتاحة في أنظمة إدارة التعلم الإلكتروني.

١٢- ينبغي أن تكون الأسئلة منطقية تركز على الحقائق والمفاهيم التي تحقق أهداف الدرس، ومناسة لمستوى المتلقي.

١٣- ينبغي أن يتضمن المقرر عدة فرص مجدولة في المخطط الدراسي للمقرر للتواصل الشفهي بين المعلم والمتلقي، حيث يتمكن المتلقي مثلاً من قراءة الحديث، ويقوم المعلم بالستماع مباشرة ويصوب للطالب قراءته.

ينبغي توفر عدة سمات في الأنشطة الطلابية المصاحبة للمقرر ومنها:

١- أن تكون الأنشطة التعليمية تابعة ومتوافقة مع أهداف الوحدة الدراسية.

٢- تنويع الأنشطة والتدريبات من وحدة لأخرى.

٣- أن تكون الأنشطة والتدريبات ذات عمق معرفي زتربوي.

٤- أن تكون متوافقة مع قدرات المتعلمين ومستويات تحصيلهم.

المبحث الثاني: المعايير الفنية، و التقنية.

المطلب الأول: المعايير الفنية:

ينبغي أن أن يكون التصميم وفقاً للمعايرر الدولية للمقررات الإلكترونية، ومن أشهر تلك المعايير معيار (SCORM) وهو اختصار للاسم الأجنبي، وترجمته النموذج المرجعي لمكونات المحتوى التشاركي، وتعتمد معايير اسكورم على تجزئة المحتوى الرقمي إلى مكوناته الأصلية وجعلها قابلة للتشارك من خلال التجميع والتكوين وفق متطلبات العملية التعليمية، ويحقق معيار اسكورم المميزات التالية:

١- إمكانية نشر المحتوى الرقمي تحت أي نظام لإدارة المقررات الغلكتروني.

٢- إمكانية إعادة استخدام المحتوى الرقمي مرات متعددة وبأشكال متعددة.

٣- إمكانية متابعة أداء المتعلم وتطوره الأكاديمي.

٤- إمكانية ضم جزئيات المحتوى المختلفة للحصول على محتوى رقمي تعليمي ذي تتابع وتشعب ملائم للمتطلبات التعليمية [١].

وأما من حيث التفصيل فيمكن إجمالاً التنبيه على جملة من المعايير والمواصفات التي ينبغي توفرها في المقرر المصمم إلكترونياً كما يلي:

أولاً: في شاشة عرض المادة العلمية:

١. استخدام نفس طريقة العرض في المقرر من أوله إلى آخره.

٢. أن يكون العرض ملاءماً للاستخدام مع كافة أنظمة الأجهزة المستخدمة.

---

١٢. مدونة الدكتور أحمد صادق، موقع جامعة الملك خالد.

٣. ينبغي أن تكون الروابط للمواقع الأخرى واضحة، وآمنة.
٤. أن يكون العرض سهلاً ومرناً للاستخدام خالياً من كثرة المداخل إلى المقرر.
٥. توحيد أساليب عرض المقرر بطريقة تتابعية منظمة.
٦. ربط كل صفحة بسابقتها ولاحقتها، وبداية المقرر، والوحدات الدراسية في المقرر.
٧. وضع فهرس عام للمقرر في بدايته تمكن الطالب من التنقل بين وحداته.
٨. إيجاد خاصية تمكن الطالب التحكم في تسلسل عرض المحتوى التعليمي.
٩. التنوع في عرض المادة العلمية بما يتوافق مع أنماط، واحتياجات المتعلمين المختلفة.

ثانياً: في النصوص:

١. أن تظهر النصوص على الشاشة بشكل واضح.
٢. إيجاد خاصية التحكم في حجم الخط، مراعات لأصحاب الاحتياجات الخاصة.
٣. استخدام الخطوط سهلة القراءة والمريحة للعين.
٤. تجنب استخدام الفقرات الطويلة.
٥. وضع العناوين بخط أكبر ولون مختلف.
٦. تباين لون النص مع الخلفية بألوان مريحة للعين.
٧. فصل المتن عن بقية الفقرات المتعلقة به.

ثالثاً: في الصور:

١. أن تكون الصور معبرة عن مضمون المادة العلمية.
٢. أن تكون الصور واضحة وبسيطة وخالية من العقيد.
٣. وضع الصور في إطار ضمن الصفحة حتى لا تتسبب في تشتيت القارئ.
٤. استخدام الصور الثابتة أو المتحركة حسب حاجة كل فقرة من المقرر.

رابعاً: في الصوت:

١. أن يكون الصوت واضحاً.
٢. أن يخلو من المؤثرات التي تسبب أذى للسامع.
٣. أيجاد خاصية التحكم في حجم الصوت.
٤. تزامن الصوت مع النص المكتوب.

خامساً: في المساعدة والمتابعة:

١. ينبغي أيجاد إرشادات وتعليمات تساعد المتعلم في التعامل مع المقرر.
٢. تقديم تنبيهات للمتعلم عن وجود خطأ في التعامل مع المقرر.
٣. توفير المساعدة عن بعد لحل المشكلات التي تواجه المتعلم.
٤. وجود خاصية تمكن المعلم من متابعة تحصيل الطلاب وتفاعلهم مع مفردات المقرر.

المطلب الثاني: المعايير التقنية:

فلأن هذه المقررات تعتمد إعتماداً كلياً على التقنية والتي تمثل البيئة الحاضنة للمقررات المصممة إلكترونياً كان لزاماً أن أذكر شيئاً من المواصفات والمعايير التي ينبغي أن تكون في التقنيات المستخدمة في بيئة التعلم الإلكتروني " تمثل التقنية بمكوناتها المختلفة (عتاد وبرامج وشبكات) ركناً جوهرياً في برامج التعلم الإلكتروني لا يمكن العمل في غيابها" [١]، ولذا كان لابد من التعريج على أهم المكونات التقنية اللازمة لتقديم المقررات الدراسية في بيئة التعلم الإلكتروني، وهي كما يلي:

أولاً: نظام إدارة التعلم:

كأي منظومة تعليمية تقليدية تحتاج إلى وجود نظام إداري ومن المتطلبات الأساسية لاستخدام المقررات الإلكترونية هو وجود نظام إدارة التعلم: " إن توفر أنظمة إدارة المقررات في المؤسسة التعليمية يعتبر عنصراً محفزاً الكل من المدرس والمتعلم لاستخدام المقررات الإلكترونية في العملية التعليمية "[٢].

ويقوم هذا النظام بتوفير بيئة تعليمية تقوم بجميع المهام الإدارية والتنظيمية لدراسة المقررات بدأً من تسجيل الطلاب، وجدولة المقرر، ورصد أنشطة الطلاب، وتفاعلهم مع أستاذ المقرر، إلى التقييم النهائي للمستفيدين من المقرر، ويجب أن يكون النظام متوافقاً مع بقية الربمجيات المستخدمة في التعلم الإلكتروني.

ثانياً: وسائل الاتصال:

هي جزء لا يتجزأ من نظام إدارة التعلم، ومن أبرز الوسائل المتاحة في هذا:

البريد الإلكتروني: وهي الرسائل التي يمكن إرسالها من داخل النظام إلى أي مزود للبريد الإلكتروني خارج نظام إدارة التعلم الإلكتروني

الرسائل الخاصة: وهي رسائل بين المستخدمين، لا تخرج خارج نظام إدارة التعلم الإلكتروني.

المحادثة الفورية: وتتم بتحديد موعد بين أستاذ المقرر والطلاب، أو على شكل مجموعات منسقة من قبل، ويلزم ان يكون جميع الأطراف على نظام إدارة التعلم الإلكتروني في وقت واحد.

منتديات النقاش: حيث يقو أستاذ المقرر بطرح موضوع ليختبر به فهم الطلاب للمادة العلمية، او لمناقشة بعض الموضوعات ذات الصلة بالمقرر، وهو مفتوح في جميع الأوقات لإضافة أراء المستخدمين للنظام.

إرسال الواجبات والتقارير: حيث يمكن للطلاب من إرسال ما يكلفون به عبر نظام إدارة التعلم الإلكتروني.

ثالثاً: متابعة العملية التعليمية:

ويمكن من خلالها رصد جميع الأنشطة والمشاركات والرسائل، والواجبات، ودرجات الاختبار ات القصيرة، بحيث توفر كثير من الجهد على المعلم في متابعة طلابه، وتعطي الطالب مؤشراً دقيقاً لتقدمه في دراسة المقرر.

---

١٣. بدر الصالح، مجلة المعرفة عدد ١٥٣.

١٤. د.سعيد بن محمد العمودي، مجموع : التعليم عن بعد بين النظرية والتطبيق، ص: ٢٠.

رابعاً: الفصول الافتراضية:

وهذه الوسيلة تستخدم للتواصل المتزامن حيث ينبغي وجود المعلم والمتعلم في آن واحد، ولها عدة عناصر تشكل ما يشبه الفصل في التعليم التقليدي، ومن أهمها:

الصوت والصورة: حيث يتيح هذا للمعلم والمتعلم من التحدث بالصوت والصورة، بحيث يرى كل منهم الآخر.

السبورة الذكية: تمكن الاستاذ من عرض مادته العلمية إذا كانت مكتوبة لديه، وتمكنه من الكتابة والتعليق عليها، ويمكن أن يعطي هذه الخاصية لأحد الطلاب لحل مسألة أو كتابة تعليق.

الرسائل: بحيث يمكن من خلالها إرسال رسالة خاصة لأحد الطلاب، أو لجميعهم.

التصويت: ويمكن لأستاذ المقرر أن يجري تصويتاً على موضوع من الموضوعات التي يمكن أن يطون للطلاب دور في تحديد القرار فيها.

التنبيه: بحيث إذا لم يتفاعل الطالب مع الأستاذ لفترة، يقوم النظام بإرسال رسالة اختبار وجود.

خامساً: أدوات التقييم:

وهي من الأدوات المتميزة في نظام إدارة التعلم الإلكتروني، ولكن ينبغي أن يكون استخدامها محدوداً، لإمكانية الغش أثناء استخدامها، ومن وسائل التقييم:

الاختبارات القصيرة: يتيح النظام تصميم اختبارات قصيرة للطلاب لمعرفة مدى متابعتهم للمقرر، ويمكن للنظام ربط تقدم الطالب في المقرر بناء على اجتيازه التسلسلي للمادة العلمية.

الاختيار المتعدد: وهذا يمكن من توفير الجهد والوقت للتصحيح، ولمعرفة دقة الطلاب في تحديد المعلومة الصحيحة، ويتم التصحيح بطريقة آلية يتمكن الطالب من معرفة نتيجته عقب الانتهاء من الاختبار.

ملء الفراغات: ويتم فيها وضع نصوص فيها فراغات في أماكن محددة من النص، وتفيد في معرفة قدرة الطالب على حفظ النصوص.

بنك الأسئلة: بحيث يمكن لمجموعة من أساتذة مقرر واحد من وضع أسئلة متنوعة للمقر بدرجات مختلفة من حيث الصعوبة والسهولة، ويقوم النظام بعملية الخلط لها، ثم توزيعها بالعدل بين الطلاب في الاختبارات.

سادساً: التحرير المنظم:

وهناك وسيلة من وسائل التفاعل بين المستخدمين تسمى خاصية (WIKI) التي يمكن للمستخدمين من تحريرها وإعادة صياغتها، حيث يمكنهم الإضافة والتعديل على النصوص، وإعادة التحرير والتصويب في المناقشات مع أستاذ المقرر، والتي تفتح باباً بين لطلاب والأستاذ من التعاون مناقشة بعض فقرات المقرر، وفائدتها أن تعطي للمعلم مؤشراً عن مدى استيعاب المتعلمين لمادة المقرر، وينبغي ألا تدخل هذه الإضافات ضمن المادة العلمية الأصلية للمقرر إلا بعد فحصها ومراجعتها واعتمادها من قبل المختصين في المقرر.

المبحث الثالث: معايير ضبط الجودة.

اعتنت مؤسسات التعليم كافة بما يسمى جودة التعليم، ووضع المختصون معايير تضمن جودة كل ما له علاقة بالعملية التعليمية، وكان من بين ما أفرد بالاهتمام معايير ضبط الجودة في المقررات الدراسية المصممة لبيئة التعلم الإلكتروني، " تكتسب معايير ضمان الجودة أهمية خاصة في مجال التعلم الإلكتروني، وتمثل نقطة انطلاق مهمة لفريق التصميم ولخذا ينبغي تحديدها مبكراً وإخضاع عملية التصميم والتطوير لمقررات التعلم الإلكتروني، لهذه المعايير" [١].

"تتمثل رسالة المؤسسات التعليمية في تقديم التعليم والمعرفة لأي شخص يرغب فيها، وأن لدى تلك المؤسسات مسؤولية تجاه طلابها لتقديم الخدمة على أفضل ما يكون قدر الإمكان، وهذه هي اقوة الدافعة لاهتمام بمعايير الجودة في التعلم الإلكتروني..... وينبغي أن يكون ضمان ضبط الجودة ومتابعتها معنياً بالبرنامج التعليمي الشامل، وسوف يتم من خلال ضمان الجودة تحول التعليم عن بعد إلى أداة فاعلة في كل من التعليم المستمر ونظام المدارس التقليدي" [٢].

وتكمن أهميتها في أنها تساعد في التحقق من الوصول إلى أهداف المقرر الإلكتروني، وتحقيق الرضا لدى المتعلم بحيث تكون الحصيلة التعليمية أكبر أو مساوية للمجهود الذي يبذله الطالب، وعملية تطوير المقررات عملية معقدة ينبغي عدم التعجل فيها، ويلزم الأخذ بما قد استقر عليه اهل الاختصاص، والالتزام بأمور تحقق الجودة العالية للمقرر المراد تطويره، ومن تلك الأمور:

١- استخدام النماذج العلمية في تطوير المقررات، التي تضبط جودة المقرر، ومنها النموذج (ADDIE) أو التاءات الخمس، وهو من أنجح النماذج الموصلة إلى ضبط الجودة في المقررات، ويتكون من خمس خطوات مرتبة ومتداخلة في بعضها:

a. **التحليل**: وفي هذه الخطوة يتم تعريف المقرر، وأهدافه، والفئة المستهدفة بالمقرر، والبيئة التقنية التي سيقدم فيها المقرر، والبرمجيات والنظم التي تساعد في إيجاد المقرر الإلكتورني.
b. **التصميم**: ويتم في هذه الخطوة، التفاعل بين فريق التطوير، وتحديد أسلوب التعلم، ودور المعلم والمتعلم، وطريقة التفاعل والتواصل بينهما.
c. **التطوير**: يتم فيها تحويل مواصفات التصميم إلى مقرر إلكتروني، ويتم فيها التنقيح والتعديل والمراجعة بين اعضاء فريق التطوير.
d. **التنفيذ**: وهي مرحلة إدخال المقرر للعمل، وتجريبه في صيغته النهائية، وتعميمه للاستخدام الكامل.
e. **التقويم**: ويتم هنا التحقق من جودة البرنامج، ومدى تحقيقه للأهداف التي وضع من أجلها.

٢- **الحماية**: من العناصر المهمة لمعرفة جودة المقرر الإلكترني هو تميزه بالحماية الكافية والتي تمنع عنه أي ضرر في محتواه العلمي أو برمجياته التقنية، وكذلك حماية بيانات المستخدمين من الاختراق،

---

١٥. بدر بن عبد الله الصالح، مجموع : التعليم عن بعد بين النظرية والتطبيق ص ٩٧.
١٦. ضمان الجودة في التعليم عن بعد ص ٧٠-٧٤ بتصرف.

والمحافظة على الخصوصية التي يحتاج إليها الطالب في مثل هذه البيئة. ومن المهمات الأساسية للحماية توفر البرمجيات الداعمة لمكافحة الفيروسات التي قد تنقل إلى أنظمة التعلم الإلكتروني من خلال الروابط الخارجية للمقرر، أو مما يوجد في الملفات التي يقوم المستخدمون برفعها إلى النظام.

٣- **موثوقية المصادر:** فمن أجل أن تكون المقررات في الحديث الشريف ذات أصالة علمية يجب العناية التامة بالمصادر التي يستقى منها المحتوى العلمي للمقرر، وهذا واجب المتخصص في الحديث الشريف سواء كان في هذا المجال أو غيره. ويمكن ربط المقرر بعدد من المصادر الإلكتروني المعتمدة، والموثوق بالجهات التي قامت ببنائها، حتى يعطي قوة علمية للمقررات الحديث الشريف.

٤- **حماية الحقوق الفكرية:** والمقصدو منها توثيق النصوص التي توضع في محتوى مقررات الحديث الشريف، وإعادة الفضل لأهله في كل ما ينقل من علوم ومعارف في ثنايا المقرر، وعدم التساهل في نقل النصوص، وأن تكون المصادر العلمية المستخدمة مرخصة للاستخدام من قبل المالكين لحقوق التأليف والنشر. ولذا ينبغي ذكر المراجع والمصادر التي أخذت منها المادة العلمية، واسماء المؤلفين للمحتوى التعليمي، واسم المؤسسة التعليمة التي قامت بتصميم المقرر.

٥- **اعتماد المقرر:** ينبغي بعد الانتهاء من المقرر عرضه على لجنة علمية من قبل المتخصصين في الحديث الشريف لإجازته، وعلى فريق من المتخصصين في التصميم التعليمي، كما ينبغي عرض المقرر على جهات أخرى مستقلة لمراجعته والتأكد من توفر الشروط المعايرية في الجودة.

٦- **الموضوعية والدقة:** ينبغي أن يتسم المقرر المصمم بالموضوعية، وأن يكون يكون ترتيب مفرداته موضوعياً، وأن يتحرى المؤلفون للمقرر فيه الدقة في بناءه وتصميمه حتى يحقق الغرض من التصميم، وحتى لا توجد الأخطأ التي تنفر المتعلم من متابعة التحصيل العلمي.

الفصل الثالث: المواصفات الخاصة بالحديث الشريف.

المبحث الأول: المواصفات المتعلقة بالإسناد.

فعند تصميم مقرر في الحديث الشريف فإنه ينبغي العناية بإسناد الحديث عناية تامة، ومما ينبغي العانية به في ذلك عدد من العناصر أهمها:

١- إظهار رجال الإسناد كاملاً لحديث الباب.

٢- التنبيه على ما يوجد من تحويلات في إسناد الحديث (ح).

٣- رسم شجرة الإسناد ليعرف الطالب الشيخ من التلميذ.

٤- تحديد مدار الحديث الذي تنتهي إليه طرق الحديث ليتمكن المتعلم من تمييز طرق الحديث بعضها عن بعض.

٥- عند وضع المؤشر على أحد الرواة تنبثق شاشة جديدة للتعريف بالراوي، متضمنة للعناصر الأساسية في ترجمة كل راوٍ كما يلي: اسمه، ونسبه، طائفة من شيوخه من بينهم شيخه في حديث الباب، طائفة من تلامذته من بينهم الراوي عنه في حديث الباب، شيئ من فضائله ومناقبه و أقوال أهل العلم فيه بالجرح والتعديل، القول الراجح فيه عند الاختلاف في حاله، سنة وفاته.

٦- الربط بين ترجمة الراوي، وروايته لهذا الحديث، من حيث الاتصال والانقطاع، وغيرها.
٧- بيان حكم كل حديث يرد في أثناء المقرر من حيث القبول والرد.
٨- بيان لطائف الإسناد.
٩- تخريج الحديث تخريجاً متوسطاً، ببيان: اسم الكتاب، والمؤلف، والجزء والصفحة ورقم الحديث.
١٠- عند وجود مصطلح جديد أو عبارة موهمة عند الكلام عن الإسناد أو الرجال ينبغي توضيحها في نافذة مستقلة.

المبحث الثاني: المواصفات المتعلقة بالمتن.

ومما ينبغي العناية به مما يتعلق بمتن الحديث عند تصميم مقررات الحديث الشريف ما يلي:

١- العناية التامة بالنص القرآني الوارد في المتن، باستخدام الرسم العثماني.
٢- أن يكون متن الحديث منقولاً من أحد المراجع الأصلية للحديث.
٣- أن يوضح المرجع الذي أخذ منه لفظ الحديث.
٤- أن يكون النقل سليماً من التصحيف والتحريف.
٥- ينبغي أن يكون النص مشكولاً بطريقة سليمة.
٦- أن توجد خاصية سماع الحديث حتى يتدرب الطالب على نطق أفاظ الحديث بصورة صحيحة.
٧- أن يكون القارئ للحديث من المتخصصين في الحديث الشريف المجيدين للغة العربية وأساليبها.
٨- تمييز كلمات غريب الحديث بلون مختلف عن بقية المتن.
٩- تمكين خاصية عند وضع المؤشر على أي كلمة من الغريب أن يعرض شرحها في صفحة مستقلة موثقاً من أحد كتب غريب الحديث المعتبرة.
١٠- تمكين خاصية مقارنة متن الحديث المختار مع بقية متون الحديث، وبيان الفروقات بين تلك المتون.
١١- بيان حكم تلك الفروق هل هي من زيادة الثقات أم من المختلف فيه بين الرواة فيبين حينئذ حكم تلك الزيادة.
١٢- إيجاد خاصية حفظ متن الحديث وذلك بتمكين الطالب من إكمال الفراغات في صفحة أخرى وتصحيحها آلياً.
١٣- ينبغي أن يتضمن الدرس شرحاً وافياً للحديث يتكون من العناصر التالية:
   أ- بيان مناسبة الحديث لموضوع الدرس.
   ب- شرح فقرات الحديث فقرة فقرة.
   ت- معنى الحديث الإجمالي بالربط بين فقراته.
   ث- ربط الحديث بغيره من النصوص الشرعية في موضوع الدرس.
   ج- بيان للمسائل الحديثية المتعالقة بالمتن، مثل مشكل الحديث، ومختلف الحديث.

ح- بيان المسائل الفقهية المستنبطة من متن الحديث بترتيب أقوال العلماء حسب المذاهب الفقهية، وبيان الراجح بالدليل أوالتعليل.

خ- بيان الفوائد العامة المستنبطة من الحديث.

د- ربط الحديث بواقع الحياة التي يعيشها الطالب.

المبحث الثالث: مهام المتخصص في الحديث أثناء عملية التصميم.

فلأن عملية تصميم المقرر مركبة ومتداخلة من عناصر ثلاثة – علمية – تربوية- تقنية، فيجب أن يتكون فريق التطوير من ثلاثة متخصصين:

أ- متخصص في الحديث الشريف وعلومه.

ب- متخصص في التصميم التعلمي.

ت- متخصص في تطوير البرمجيات.

ولكل واحد منهم وظائفه التي يجب عليه القيام بها، وأوكد هنا على أهمية وجود المتخصص في الحديث الشريف، والذي ينبغي عليه القيام بما يلي:

١- تحديد القدر الممكن من المقرر الذي يمكن تطويره فبعض المعارف لا يمكن تطويرها إلكترونياً لأن التطوير التقني لبعض المفردات قد يكون قاصراً عن توصيل الهدف من تدريس تلك الفقرة من المقرر.

٢- التركيز على الأهداف التربوية للمقرر، وأن تكون الوسيلة المستخدمة مناسبة لتحقيق الهدف.

٣- استخدام الوسائل المتاحة في الأنظمة التقنية التي تنمي لدى متلقي مقرر الحديث الشريف مهارات وملكات التعلم كحفظ متن الحديث، وفهم معناه، وكيفية تطبيقه في واقع الحياة، والقدرة تحليل محتوى الحديث الشريف، والاستنباط منه.

٤- تحديد القدر اللازم الذي يجب على المتخصص في الحديث وعلومه أن يقوم به أثناء تدريس المقرر، وألا يتحول المقرر إلى مادة إلكترونية جامدة تغفل دور المعلم في عملية الشرح والتواصل العلمي مع الطلاب.

٥- ربط المعارف المستخرجة من الحديث الشريف بالواقع المعاصر، وذلك باستخدام الأمثلة الحية من واقع المتعلم، حيث يتوفر في الشبكة العنكبوتية الكثير من المصادر الصوتية والصورية التي تساهم في توصيل وتوضيح وتثبيت المعلومة بأسرع وأسهل طريقة.

٦- التنبه إلى ضرورة حماية النص الشرعي من أن يتدخل فيه أي طرف آخر، بالزيادة أو النقصان، وألا يتاح للمستخدمين إمكانية إعادة تحرير نص الحديث الشريف، أو النصوص العلمية الأخرى وأقوال أهل العلم المرتبطة به.

٧- التأكد من أن الصور و الأصوات ومقاطع الفيديو المستخدمة في مقررات الحديث الشريف خالية مما يخالف تعاليم الشريعة الإسلامية.

٨- وضع تمهيد للدرس يربط الدرس بما سبقه من الدروس.

٩- توضيح المفاهيم الجديدة التي يتناولها متن الحديث الشريف.
١٠- وضع كلمات تكون كمداخل أولية لموضوعات المقرر.
١١- استخدام أدوات البحث المتنوع في المادة العلمية، لتسهيل الوصول إلى المعلومة على المتعلم.
١٢- عند الإحالة إلى مراجع إضافية ينبغي أن تكون متوفرة في مكتبة مراجع المقرر، وأن تكون على هيئة كتب مصورة (PDF).

الخاتمة:

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد. فقد خرجت من هذا البحث بعدة نتائج وتوصيات، فأهم النتائج:

١- أن التقنية في هذا العصر قد طغت على كثير من جوانب حياة الناس.
٢- أن على المهتمين توجيه تلك التقنيات التوجيه الإيجابي والافادة منها في الخير.
٣- من أهم ابواب الخير هو خدمة العلوم الشرعية، التي بها حياة الروح، وصلاح الحال في الدارين.
٤- أن على المتخصصين في كل فن وضع المواصفات التي يرونها مناسبة لتخصصهم.
٥- أن معايير الجودة في تصميم المقررات المعتمدة تهدف إلى أن يؤدي المقرر الهدف من تصميمه.
٦- أن للحديث الشريف مواصفات ينبغي الاهتمام بها عند تصميم مقررات الحديث الشريف وعلومه.

وأهم التوصيات:

١- حث أعضاء هيئة التدريس في الحديث وعلومه للمبادرة بالأخذ بهذا الأسلوب الحديث في التعليم.
٢- أن تقوم الأقسام العلمية المتخصصة في الحديث الشريف وعلومه تطوير نماذج علمية عملية لتصميم المقررات لبيئة التعلم الإلكتروني.
٣- إقامة دورات تدريبة، وورش عمل لتطوير مهارات أعضاء هيئة التدريس لتمكينهم من التفاعل الإيجابي مع هذه الوسائل الحديثة.
٤- العمل على إيجاد علامة جودة تمنحها مؤسسة متخصصة تمنح للمقررات التي توفرت فيها المعايير العلمية في التصميم.

والحمد لله الذي يسر وهدى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

المراجع:

١. أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للطباعة والنشر، تونس، ١٤٢٨هـ.
٢. ندوة مدرسة المستقبل، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ.
٣. السجل العلمي لندوة تقنية المعلومات والعلوم الشرعية والعربية، كلية علوم الحاسب والمعلومات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٨هـ.

٤. السنة النبوية وقضاياها المعاصرة، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، ماليزيا، ١٤٣٢هـ.
٥. ضمان الجودة في التعليم عن بعد، تحرير: آلن تيت، ترجمة د.محمد الخطيب، مدارس الملك فيصل، الرياض، ١٤٢٦هـ.
٦. التعليم الإلكتروني، ماهر حسن رباح، دار المنهاج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .
٧. التعلم الإلكتروني في القرن الواحد والعشرين، د.ر.غاريسون، تيري أندرسون، ترجمة: محمد رضوان، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٧هـ.
٨. التعلم الإلكتروني: حقبة جديدة في التعلم والثقافة، جامعة البحرين، ٢٠٠٦م.
٩. التعليم الإلكتروني، الأسس والتطبيقات، د.عبد الله الموسى، وأحمد المبارك، مؤسسة شبكة البيانات، ١٤٢٥هـ.
١٠. استراتيجيات التعلم الإلكتروني، د.بدر الخان، ترجمة د.علي الموسوي وآخرون، دار شعاع، حلب، ٢٠٠٥م.
١١. التعليم عن بعد بين النظرية والتطبيق، أمانة لجنة التعليم عن بعد بجامعات دول مجلس التعاون، الكويت، ٢٠٠٥م.
١٢. التعليم الإلكتروني عبر شبكة الأنترنت، د.محمد الهادي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٧م.
١٣. استعراض نماذج التطوير التعليمي، كنت جاستفسون، وروبرت برانش، ترجنة .د.بدر الصالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٣هـ.
١٤. التكنولوجيا والتعلم الإلكتروني، والتعليم عن بعد، أ.و.بييتس، ترجمة: وليد شحاته، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٨هـ.
١٥. علم النفس التربوي، د.المجيد نشواتي ص ٢٧٤، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ، دار الفرقان، عمان.
16. e-learning strategy, Bill Brandon,the elearning Guild, SA,2007.
17. The Power of elearning, Shilley waterhouse, PEARSON,USA, 2005.

٢. منهج الإمام أبي داود في كتابه السنن

د/ مشاعل بنت راشد بن محمد الدباس

(عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية، في كلية الأداب جامعة الأميرة نورة بالرياض، وعضو في الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها)

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فإن أفضل ما يشتغل به طالب العلم، بعد كتاب الله تعالى؛ هو علم الحديث الشريف، ولذا عني المسلمون منذ فجر الإسلام بضبط السنة النبوية، وتحقيق أسانيدها ومتونها، فقام الصحابة -رضي الله عنهم- بهذه المهمة على أكمل وجهٍ، وكذا من جاء بعدهم من أئمة الحديث.

أسباب اختيار هذا الموضوع.

لقد اخترت دراسة منهج الإمام أبي داود في سننه هذا الكتاب لعدة أسباب أهمها ما يلي:

١. كون هذا الكتاب يشتمل على حديث رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم. ومما لا شك فيه أن دراسة حديث رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم، والاشتغال به، ومعرفة صحيحه من سقيمة؛ من العلم النافع.

٢. كون هذا الكتاب أحد الكتب الستة المشهورة، بل لأهمها وأصحها بعد الصحيحين وهو (سنن أبي داود). وهو كتاب لم يُصنف مثله، لما حصل لمؤلفه أبي داود -رحمه الله- من التميّز في الجمع والاستقصاء لأحاديث الأحكام، وأصول المسائل، مع حسن العرض والترتيب والتبويب، كما أوضح ذلك مؤلفه -رحمه الله- في رسالته لأهل مكة، حيث قال: (هو كتاب لا ترد عليك سنة رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم بإسناد صالح إلا وهي فيه)[١].

٣. ولمكانة الأمام أبي داود. رحمه الله تعالى . العلمية وإمامة في الحديث ’قال الحافظ الذهبي: (كان – رحمه الله - رأساً في الحديث، رأساً في الفقه، ذا جلالة وحرمة، وصلاح وورع، حتى إنه كان يُشبَّه بشيخه الإمام أحمد بن حنبل)[٢].

** خطة البحث.

قسمت البحث إلى:

مقدمة. تمهيد.*فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام أبي داود.

وفيه أحد عشر مبحثاً:

---

(١) رسالة أبي داود لأهل مكة، ص(٢٤).

(٢) العبر (٦١/٢).

المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ونسبته.

المبحث الثاني: ولادته، ومكانها.

المبحث الثالث: نشأته العلمية، ورحلاته.

المبحث الرابع: ثناء الأئمة عليه.

المبحث الخامس: عقيدته.

المبحث السادس: فقهه، ومذهبه الفقهي.

المبحث السابع: بعض أقواله، ومواقفه النبيلة.

المبحث الثامن: شيوخه.

المبحث التاسع: تلاميذه.

المبحث العاشر: كتبه، ومصنفاته.

المبحث الحادي عشر: وفاته.

الفصل الثاني: التعريف بكتابه السنن.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: معنى السنن عموماً.

المبحث الثاني: تسميته وموضوعه، وتاريخ تأليفه.

المبحث الثالث: ثناء الأئمة عليه، ومكانته بين الأصول.

المبحث الرابع: عدد أحاديثه.

المبحث الخامس: درجة أحاديثه، ونهجه وشرط مؤلفه فيه.

المبحث السادس: روايات السنن.

المبحث السابع: شروحه المطبوعة والمخطوطة.

* وخاتمة.* وفهارس.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

معنى المنهج في اللغة: هو الطريق الواضح وفي قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجًا ﴾[1] [2]

وفي اصطلاح المحدثين: هو الطريق الذي سلكه علماء الحديث في مصنفاتهم من حيث الترتيب والتبويب وعرض الأحاديث .

أهمية معرفة مناهج المحدثين: لمناهج العلماء أهمية كبيرة للدارس في كتب السنة وعلومها منها:

١. معرفة مضامين الكتاب ومحتوياته.

٢. معرفة اصطلاحات المحدثين العلمية في كتبهم.

---

[1] سورة المائدة (٤٨)

[2] مختار الصحاح(٦٨٨/١).

٣. الوقوف على درجة صحة الحديث ومعرفة نوعه والنظر في سنده ومتنه.
٤. التسهيل على طالب علم السنة تخريج الحديث من مصادره.
٥. الوقوف على ألوان متعددة ومختلفة من مناهج العلماء لعقد المقارنة بينها وذلك توسيعا لمدارك طالب العلم واستخداما لها في أبحاثه .
٦. تنمية مدارك الدارس عند وقوفه على المناهج المتبعة عند المحدثين ليستفيد في حياته العلمية ويبدع في استخدام الطرق والمناهج الأكثر نفعا والتي تتلاءم من حيث الأسلوب مع واقع الطالب ليستخدم أيسرها وأسهله

الفصل الأول: ترجمة الإمام أبي داود

المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ونسبته.

المبحث الثاني: ولادته، ومكانها.

المبحث الثالث: نشأته العلمية، ورحلاته.

المبحث الرابع: ثناء الأئمة عليه.

المبحث الخامس: عقيدته.

المبحث السادس: فقهه، ومذهبه الفقهي.

المبحث السابع: بعض أقواله، ومواقفه النبيلة.

المبحث الثامن: شيوخه.

المبحث التاسع: تلاميذه.

المبحث العاشر: كتبه، ومصنفاته.

المبحث الحادي عشر: وفاته.

المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ونسبته

١) **اسمه:** هو سليمان بن الأشعث، اتفق العلماء على اسمه واسم أبيه واختلفوا في أسماء أجداده. فقال تلميذاه أبو بكر بن داسة، وأبو عبيد الآجري: (هو سليمان ابن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد)[١]. وزاد ابن حبان[٢]، والخطيب[٣]، وابن ماكولا[٤]، وابن عساكر[٥]، وأبو طاهر السلفي: (ابن عمرو بن عمران). وقال أبو طاهر السلفي بعد إيراده نسبه: (وهذا القول في نسبه أمثل، والقلب إليه أميل)[٦]. وقال ابن أبي حاتم: (هو سليمان بن الأشعث بن شداد ابن عمرو بن عامر)[٧]. والصواب: ما

---

(١) تهذيب الكمال (٣٥٥/١١)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٣).
(٢) انظر: الثقات (٢٨٢/٨).
(٣) انظر: تاريخ بغداد (٥٥/٩).
(٤) انظر: الإكمال (٢٩٥/١).
(٥) انظر: المعجم المشتمل (١٣٢).
(٦) في مقدمته على سنن أبي داود، مطبوعة في آخر مختصر المنذري (١٤٣/٨).
(٧) الجرح والتعديل (١٠١/٤).

قاله الأكثرية ولا سيما وأن منهم تلميذاه أبو بكر بن داسة، راوي السنن عنه، وأبو عبيد الآجري، والله أعلم.

٢) كنيته: اشتهر بكنيته (أبو داود). واتفق العلماء على ذلك، كابن أبي حاتم[١]، وابن حبان[٢]، والخطيب[٣]، وابن عساكر[٤]، والمزي[٥] والذهبي[٦]، وابن حجر[٧]، وغيرهم.

٣) نسبته: لأبي داود نسبتان:

١- نسبة إلى القبيلة: وهي (الأزدي)، وهي قبيلة عربية. والأَزْد، بفتح الألف، وسكون الزاء، نسبة إلى ابن الغوث ابن نَبْت ابن مالك بن أزد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب ابن قحطان[٨]. فأبو داود من قبيلة عربية عريقة.

٢- نسبة إلى البلد: وهو إقليم سِجِسْتَان، بكسر أوله، وثانيه، ثم سين مهملة ساكنة، وتاء مثناة من فوق وآخره نون[٩].

فيقال له: السِّجستاني. وإقليم سجستان إقليم واسع يحيط به مما يلي الشمال خراسان، ومن الغرب إقليم كِرْمان، والسند في شرقه، ويقع إقليم مُكران في جنوبه[١٠]. قال السمعاني: (السجستاني نسبة إلى سجستان، وهي إحدى البلاد المعروفة بكابل)[١١]. وقد فتح سجستان الربيع بن زياد الحارثي سنة ٣٠ هـ صلحاً لبعضها، وعنوة لبعضها[١٢]. وذكر الذهبي: أنها كانت من البلدان التي لها رواية وأثر[١٣]. وذكر الحاكم: أن لأبي داود ولسلفه إلى عصره عُقَداً وأملاكاً، وأوقافاً بها[١٤].

المبحث الثاني: ولادته، ومكانها

ولد أبو داود بسجستان، سنة (٢٠٢هـ). قال أبو عبيد الآجري سمعت سليمان بن الأشعث يقول: (ولدت سنة اثنين ومائتين)[١٥]. وقال أبو عبد الله الحاكم: (سليمان بن الأشعث، مولده بسجستان، له ولسلفه إلى عصره عقد وأملاك، وأوقاف، خرج منها في طلب الحديث إلى البصرة فسكنها)[١٦].

---

(١) انظر: الجرح والتعديل (١٠١/٤).

(٢) انظر: الثقات (٢٨٢/٨).

(٣) انظر: تاريخ بغداد (٥٥/٩).

(٤) انظر: المعجم المشتمل (٣٨٧/١٣٢).

(٥) انظر: تهذيب الكمال (٣٥٦/١١).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٣).

(٧) انظر: التقريب (٢٥٠).

(٨) انظر: الأنساب (١٢٠٨).

(٩) انظر: معجم البلدان (١٠/٣).

(١٠) انظر: معجم البلدان (٩٠١/٣)، وتقويم البلدان (٣٤٠)، وأطلس العالم (٦٩).

(١١) الأنساب (١٢٠٨).

(١٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (١٠٧/٩٥).

(١٣) انظر: الأمصار ذوات الآثار (٢٢٤).

(١٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٧/١٣).

(١٥) تهذيب الكمال (٣٦٣/١١)، تذكرة الحفاظ (٥٩١/٢).

(١٦) سير أعلام النبلاء (٢١٧/١٣).

المبحث الثالث: نشأته العلمية، ورحلاته

* **نشأته:** لم تذكر مصادر ترجمته عن تفاصيل نشأته، وأحوال أسرته، وأثرهما في حياته العلمية إلا بعض المقتطفات اليسيرة. فذكر أن لأبي داود أخاً يقال له: محمد بن الأشعث، أسن منه بقليل كان رفيقاً له في الرحلة، يروي عن أصحاب شعبة، وروى عنه ابن أخيه أبو بكر بن أبي داود، ومات كهلاً قبل أبي داود بمدة[١]. كما أن لأبي داود ابناً وهو عبد الله بن سليمان وهو من تلاميذه[٢]. كما ذكر أن لأبي داود جداً وهو عمران، كما قال الحافظ ابن حجر: (يقال أن جده عمران قتل مع علي رضي الله عنه بصفين)[٣].

* **رحلاته:** لقد طاف البلدان لطلب العلم وسماع الحديث وجمعه، حيث بدأ رحلاته في وقت مبكر من عمره، فرحل إلى بغداد سنة (٢٢٠هـ)[٤]. ورحل إلى البصرة. قال أبو داود: (دخلت البصرة وهم يقولون: أمس مات عثمان بن الهيثم المؤذن، فسمعت من أبي عمر الضرير مجلساً واحداً)[٥]. قال الذهبي: (قلت: مات أبو عمر الضرير في شعبان سنة عشرين، ومات عثمان قبله بشهر)[٦]. وقال أبو داود: (وتبعت عمر بن حفص بن غياث إلى منزله ولم أسمع منه شيئاً، ورأيت خالد بن خداش ولم أسمع منه شيئاً، وسمعت سعيد بن سليمان مجلساً واحداً، ومن عاصم بن علي مجلساً واحداً)[٧].

ورحل إلى الكوفة وسمع من الحسن بن الربيع، وأحمد بن يونس وغيرهما[٨]. ورحل إلى مكة فسمع من القعنبي، وسليمان بن حرب[٩]. ورحل إلى الشام وسمع من: الربيع بن نافع الحلبي، وحيوة ابن شريح الحمصي، وأبي جعفر النفيلي، وأحمد بن أبي شعيب، وهشام بن عمار، وصفوان بن صالح، وغيرهم[١٠]. ورحل إلى مصر وسمع من أحمد بن صالح وغيره[١١].

ورحل إلى نيسابور وسمع من إسحاق بن منصور[١٢].

وكان أكثر رحلاته إلى بغداد حيث توافر العلماء بها، وفي مقدمتهم إمام أهل السنة: أحمد بن حنبل الذي لازمه وأخذ عنه الحديث والفقه، وابن المديني، وابن معين، وغيرهم. قال أبو داود: (أدركت من أهل الحديث من أدركت، لم يكن فيهم أحفظ للحديث، ولا أكثر جمعاً له من ابن معين، ولا أورع ولا أعرفَ في فقه الحديث من أحمد، وأعلمهم بعلله من علي ابن المديني، ورأيت إسحاق على حفظه ومعرفته

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٣)، والثقات (١٤٩/٩).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٤٦٤/٩).

(٣) تهذيب التهذيب (١٦٩/٤).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٣)، تذكرة الحفاظ (٥٩١/٢)، تاريخ بغداد (٥٦/٥).

(٥) تاريخ بغداد (٥٦/٩)، سير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣)

(٦) سير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣).

(٧) تاريخ بغداد (٥٦/٩)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣).

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣).

(٩) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣).

(١٠) انظر: المرجع السابق(٢٠٤/١٣).

(١١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٥/١٣، ٢٢٦)، وتذكرة الحفاظ (٧٧٠/٢).

(١٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٨/١٣).

يقدم أحمد بن حنبل ويعترف له)[1]. واستقر أبو داود في بغداد مدة صنف فيها كتابه السنن عرضه على الإمام أحمد فاستحسنه وأجازه[2]. ثم خرج من بغداد إلى البصرة سنة (٢٧١) بطلب من الأمير أبي أحمد الموفق، فنزلها واستوطنها إلى أن مات بها سنة (٢٧٥) رحمه الله تعالى[3].

المبحث الرابع: ثناء الأئمة عليه

اتفق العلماء على توثيقه، ووصفه بالحفظ والإتقان، والدين والورع. قال ابن حبان: (أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً، ممن جمع وصنف، وذب عن السنن وقمع من خالفها وانتحل ضدها)[4].

وقال الحاكم أبو عبد الله: (كان أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة)[5].وقال أبو بكر الخلال: (أبو داود الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه رجل إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعها أحد في زمانه، رجل ورع مقدم، سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً[6]، وكان أبو داود يذكره)[7].وقال أحمد بن ياسين الهروي: (أبو داود السجستاني كان أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم وعلله وسنده، في أعلى درجات النسك، والعفاف، والصلاح، والورع، من فرسان الحديث)[8].

وقال مسلمة بن قاسم: (كان ثقة زاهداً عارفاً للحديث إمام عصره في ذلك)[9] . وقال الحافظ الذهبي: (كان – رحمه الله - رأساً في الحديث، رأساً في الفقه، ذا جلالة وحرمة، وصلاح وورع، حتى إنه كان يُشبَّه بشيخه الإمام أحمد بن حنبل)[10].

وقال إبراهيم الحربي: (ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد)[11].وقال الحافظ ابن حجر: (ثقة حافظ، مصنف السنن وغيرها، من كبار العلماء)[12] .

المبحث الخامس: عقيدته

كان أبو داود – رحمه الله – على العقيدة السلفية، والدعوة إلى الكتاب والسنة، متبعاً لأهل السنة

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١٨/١٣).

(٢) انظر: طبقات الحنابلة (١٦٠/١).

(٣) انظر: تاريخ بغداد (٥٩/٩)، وسير أعلام النبلاء (٢١٦/١٣، ٢٢١).

(٤) الثقات (٢٨٢/٨).

(٥) تهذيب الكمال (٣٦٦/١١).

(٦) سيأتي الكلام على الحديث في المبحث التاسع: تلاميذه.

(٧) تاريخ بغداد (٥٧/٩)، وتهذيب الكمال (٣٦٤/١١).

(٨) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٩٥/٢).

(٩) التهذيب لابن حجر (١٧٣/٤).

(١٠) العبر (٦١/٢).

(١١) البداية والنهاية (٥٩/١١).

(١٢) التقريب (٢٥٠) .

والجماعة، ذاباً عن السنن، راداً على من خالفها. قال ابن حبان: (أبو داود أحد أئمة الدنيا، ممن جمع وصنف، وذب عن السنن وقمع من خالفها وانتحل ضدها)[١].

ولعل ملازمته للإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، والأخذ عنه، كان له أعظم الأثر في ذلك.

قال الذهبي: (وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة وسأله عن دقائق المسائل في الفروع والأصول، وكان على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها وترك الخوض في مضائق الكلام)[٢].

كما أن مؤلفاته تدل على عقيدته مثل: كتاب (الرد على أهل القدر)، وكتاب (البعث والنشور)، وكتاب (أخبار الخوارج)، وكتاب السنة الموجود في كتابه (السنن) المشتمل على أبواب من أبرزها: باب لزوم السنة، وباب فضل أصحاب رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم. وباب النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم. وباب رد الإرجاء، وباب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وباب في القدر، وباب في الرد على الجهمية، وغير ذلك.

المبحث السادس: فقهه، ومذهبه الفقهي

كان الإمام أبو داود بجانب كونه محدثاً، متقناً، فقيهاً. قال الذهبي: (كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقائق المسائل في الفروع والأصول)[٣].

مذهبه الفقهي:

ذكره ابن أبي يعلى الفراء في طبقات الحنابلة، في الطبقة الأولى من أصحاب أحمد[٤]. وكذلك الشيرازي جعله من فقهاء الحنابلة، ومن تلاميذ الإمام أحمد في كتابه (طبقات الفقهاء)[٥]. وجعله أبو عاصم العبادي، وابن باطيش، والسبكي من طبقات الشافعية وتعقبهم الداوودي في ذلك، حيث قال: (أخذ علم الحديث عن الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وبأولهما تفقه ولازمه مدة، وكان من نجباء أصحابه، ومن جلة فقهاء زمانه، ومع ذلك فقد ذكره في طبقات الشافعية، أبو عاصم العبادي، وابن باطيش، وتبعهما التاج السبكي، ولم يذكر لذلك دليلاً، ولذا تعقب بأنه حنبلي، ودليل ذلك مسائله عن الإمام أحمد، وقد ذكره القاضي أبو الحسين بن الفراء في الطبقة الأولى من طبقات الحنابلة [٦]، وهو من كبار الطبقة الحادية عشر)[٧].

يتبين مما سبق أن الإمام أبي داود لم يكن له مذهب فقهي محدد، بل كان رحمه الله من مجتهدي

---

(١) الثقات (٢٨٢/٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١٦/١٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢١٥/١٣).

(٤) انظر: طبقات الحنابلة (١٥٩/١).

(٥) انظر: طبقات الفقهاء (١٧١).

(٦) انظر: طبقات الحنابلة (١٦٢/١).

(٧) طبقات المفسرين (١٢٠٧/١).

المحدثين، إلا أنه تأثر كثيرا بالإمام أحمد بن حنبل، فقال الذهبي: "وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقاق المسائل في الفروع والأصول"[1]. و مع ذلك لم يكن أبو داود من المقلدين، بل له اجتهادات قد يخالف فيها الإمام أحمد . ومن أجل ذلك تردد فيه أهل العلم هل هو حنبلي المذهب أم شافعي. ولعل ذلك راجع لاجتهاد أبي داود وعدم تعصبه لمذهب، أو قول معين.

المبحث السابع: بعض أقواله، ومواقفه النبيلة

كان أبو داود بجانب كونه إماماً محدثاً فقيهاً، يتصف بالنسك والزهد والورع، وأقواله ومواقفه تدل على ذلك.

** **فمن أقواله:** (من اقتصر على لباس دون، ومطعم دون أراح جسده)[2]. (الشهوة الخفية حب الرئاسة)[3].

** **ومن مواقفه:** ما رواه خادمه أبو بكر بن جابر قال: (كنت معه ببغداد، فصلينا المغرب إذ قُرع الباب، ففتحته، فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد يستأذن، فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه، فأذن له فدخل، وقعد ثم أقبل عليه أبو داود وقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟!. فقال: خلال ثلاث، فقال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة، فتتخذها وطناً، ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض، فتعمر بك، فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس، لما جرى عليها من محنة الزنج، فقال: هذه واحدة، هات الثانية. قال: وتروي لأولادي كتاب " السنن "، فقال: نعم. هات الثالثة، وتفرد لهم مجلساً للرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة، قال: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء. قال جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك، ويضرب بينهم وبين الناس ستر، فيسمعون مع العامة)[4]. وقال أبو بكر بن داسة: (كان لأبي داود كم واسع، وكم ضيق، فقيل له: يرحمك الله، ما هذا؟ قال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه)[5].

المبحث الثامن: شيوخه

لقي أبو داود – رحمه الله تعالى – كثيراً من علماء عصره، وتلقى منهم العلم والحديث. حتى شارك الإمامين البخاري ومسلماً في كثير من شيوخهما، كالإمام أحمد، وإسحاق بن راهوية، وابن أبي شيبة، وغيرهم[6].

وأخذ الحديث وفقهه وعلله من كبار الأئمة؛ فقد قال أبو داود: (أدركت من أهل الحديث من أدركت، لم يكن فيهم أحفظ للحديث ولا أكثر جمعاً له من ابن معين، ولا أورع ولا أعرف في فقه الحديث من

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١٥/١٣).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠٠/٢٢).

(٣) تاريخ بغداد (٥٨/٩).

(٤) طبقات الحنابلة (١٦٢/١).

(٥) تاريخ بغداد (٥٨/٩)، وسير أعلام النبلاء (٢١٧/١٣).

(٦) انظر: الإمام أبو داود السجستاني، وكتابه السنن للشيخ عبد الله البراك (١٤).

أحمد، وأعلمهم بعلله من علي ابن المديني، ورأيت إسحاق على حفظه ومعرفة يقدم أحمد بن حنبل ويعترف له)[١].

وقد ذكر العلماء شيوخ أبي داود – رحمه الله تعالى – كالإمام المزي في تهذيب الكمال[٢] فقد ذكر أكثر من مائة وسبعين شيخاً، ومع ذلك لم يستوعبهم جميعاً، فقد استدرك عليه الحافظ ابن حجر فقال: (شيوخه في السنن، وغيرها نحو من ثلاث مائة شيخ، لم يستوعبهم المؤلف، ولأجل ذا اختصرهم)[٣].

وقد ألف الجياني كتاباً مفرداً في شيوخ أبي داود واسمه (تسمية شيوخ أبي داود) . واستخرج فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح البراك من كتاب (المعجم المشتمل بأسماء شيوخ الأئمة النبل) لابن عساكر، شيوخ أبي داود الذين أخرج لهم في السنن مرتبين على الحروف، فبلغ عددهم واحداً وعشرين وأربع مائة شيخ[٤].

** **ومن أبرز شيوخه:** الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، ومسدد بن مسرهد، وعبد الله بن مسلمة القعنبي[٥].

المبحث التاسع: تلاميذه

اشتهر أبو داود في عصره بالعلم، وجمع الحديث، وعلو الإسناد، حتى أخذ عنه الأئمة، فقد أخذ عنه شيخه الإمام أحمد بن حنبل وروى عنه حديثاً فرداً[٦]. قال أبو بكر الخلال: (سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً، وكان أبو داود يذكره)[٧]. وكثر تلاميذه، فذكر المزي بعضهم في تهذيب الكمال[٨] فبلغ خمسة وأربعين تلميذاً. وذكر بعضهم الخطيب البغدادي[٩].والذهبي[١٠]، وابن حجر[١١]وغيرهم.

** **ومن أبرز تلاميذه:** الإمام الترمذي، والنسائي - على الصحيح – وابن الأعرابي، وابن العبد، واللؤلؤي، وأبو بكر بن داسة، وهؤلاء الأربعة هم أبرز رواة سننه، وروى عنه ابنه أبو بكر عبد الله، والآجري، وأبو عوانة الاسفراييني، وأبو بكر الخلال، وأبو بشر الدولابي، وأبو بكر أحمد بن سليمان النجاد وغيرهم. قال ابن كثير: (وأحمد بن سليمان النجاد،، هو آخر من روى عنه في الدنيا)[١٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١٨/١٣). وانظر: المبحث الثالث.

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٣٥٦/١١).

(٣) تهذيب التهذيب (١٧٢/٤).

(٤) انظر: كتاب الإمام أبو داود وكتابه السنن، للشيخ عبد الله البراك (١٧).

(٥) انظر: تهذيب الكمال (٣٥٦/١١).

(٦) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥٩/١١): (الحديث الذي كتبه عنه وسمعه منه الإمام أحمد بن حنبل، هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة، عن أبي معشر الدارمي، عن أبيه (أن رسول الله سئل عن العتيرة فحسنها)، قال الذهبي: (هذا حديث منكر، تكلم في ابن قيس من أجله). انظر: السير (٢١١/١٣).

(٧) تاريخ بغداد (٥٧/٩)، وتهذيب الكمال (٣٦٤/١١).

(٨) انظر: تهذيب الكمال (٣٦٠/١١).

(٩) انظر: تاريخ بغداد (٥٥/٩).

(١٠) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٠٥/١٣).

(١١) انظر: تهذيب الكمال (١٧٣/٤).

(١٢) البداية والنهاية (٥٩/١١).

المبحث العاشر: كتبه ومصنفاته

وصف العلماء الإمام أبا داود بأنه ممن جمع وصنف الكتب وذبَّ عن السنة. قال ابن حبان: (أبو داود أحد أئمة الدنيا ... ممن جمع وصنف، وذبَّ عن السنن، وقمع من خالفها وانتحل ضدها)[1]. وقال الحافظ ابن حجر: (مصنف السنن وغيرها)[2].

**** ومن كتبه رحمه الله تعالى:**

١- كتاب السنن، وسيأتي الكلام عنه -إن شاء الله- مفصلاً في الفصل الثاني: التعريف بكتابه السنن.

٢- المراسيل، وطبع بمصر سنة ١٣١٠هـ محذوف الأسانيد. وطبع سنة ١٤٠٨هـ، دار الرسالة بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

٣- مسائل أبي داود للإمام أحمد، طبع سنة (١٣٥٣هـ) بتحقيق الشيخ محمد رشيد رضا.

٤- رسالة أبي داود لأهل مكة في وصف سننه، طبع ببيروت، سنة (١٣٩٤هـ) بتحقيق محمد بن لطفي الصباغ.

٥- الرواة من الأخوة والأخوات لأبي داود، طبع سنة ١٤٠٨هـ، بتحقيق الدكتور باسم الجوابرة.

٦- سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود في الجرح والتعديل، وقد وجد من الكتاب (الجزء الثالث، والرابع، والخامس). وطبع الجزء الثالث في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية سنة (١٣٩٩هـ) بتحقيق: محمد بن علي العمري. وطبع مرة أخرى، وفيه الجزء الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، بتحقيق: عبد العليم البستوي.

٧- الزهد، طبع سنة (١٤١٤هـ) بمصر، دار المشكاة بتحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس.

٨- (الناسخ) أو (الناسخ والمنسوخ). ذكره المزي[3]، والذهبي[4]، وابن حجر[5]، والسيوطي[6]، والكتاني[7]، وقال: (أنه في الناسخ والمنسوخ من الحديث). وقال ابن خير الإشبيلي (ناسخ القرآن ومنسوخه)[8].

٩- (القدر) أو (الرد على أهل القدر)، ذكره المزي[9]، وابن حجر[10]، والسيوطي[11]، وسزكين[12].

١٠- (مسند حديث مالك) أو (مسند مالك) أو (حديث مالك) ذكره المزي[1]، وابن حجر[2].

---

(١) انظر: الثقات (٢٨٢/٨).

(٢) انظر: التقريب (٢٥٠)

(٣) انظر: تهذيب الكمال (١٤٩/١).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٩/١٣).

(٥) انظر: التهذيب (٦/١).

(٦) انظر: طبقات الحفاظ (٢٦١).

(٧) انظر: الرسالة المستطرفة (٨٠).

(٨) فهرست ما رواه عن شيوخه (٤٧).

(٩) انظر: تهذيب الكمال (١٤٩/١).

(١٠) انظر: التهذيب (٦/١).

(١١) انظر: طبقات الحفاظ (٢٦١).

(١٢) انظر: تاريخ التراث العربي (٢٩٦/١).

١١- (فضائل الأنصار) ذكره المزي[٣]

١٢- (دلائل النبوة) ذكره ابن حجر في التهذيب[٤]، وفي الفتح[٥] وسماه (أعلام النبوة).

١٣- (الدعاء) أو (الدعوات) ذكره ابن حجر[٦]، وحاجي خليفة[٧].

١٤- (ابتداء الوحي).

١٥- (أخبار الخوارج). ذكرهما ابن حجر[٨].

١٦- (الملاحم). ذكره الكتاني[٩]، وحاجي خليفة[١٠].

١٧- (كتاب في الرجال). ذكره سزكين[١١].

١٨- (السنن التي تفرد بها أهل بلدة) أو (التفرد) أو (التفرد في السنن). ذكره المزي[١٢]، وابن حجر[١٣]، والكتاني[١٤]، وحاجي خليفة[١٥].

١٩- (معرفة الأوقات) ذكره السيوطي[١٦]، وحاجي خليفة[١٧].

٢٠- (أسئلة للإمام أحمد بن حنبل في الرواة الثقات) مخطوط بالظاهرية[١٨].

المبحث الحادي عشر: وفاته: توفي الإمام أبو داود –رحمه الله – بعد عمر مليء بالعلم، والتعليم، والتصنيف، ونشر السنة، وقمع البدع، سنة ٢٧٥هـ، في يوم الجمعة السادس من شهر شوال بالبصرة، وله (٧٣) سنة. وهذا التاريخ نص عليه تلميذه أبو عبيد الآجري[١٩]، وتبعه الأئمة، كالخطيب البغدادي[٢٠]، وابن عساكر[١]، والمزي[٢]، والذهبي[٣]، وابن حجر[٤]، وغيرهم. وخالف في ذلك الحافظ

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (١٥٠/١).

(٢) انظر: التهذيب (٦/١).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (١٥٠/١).

(٤) انظر: التهذيب (٦/١).

(٥) انظر: فتح الباري (٩/٣).

(٦) انظر: التهذيب (٦/١).

(٧) انظر: كشف الظنون (١٤١٧/٢).

(٨) انظر: التهذيب (٦/١).

(٩) انظر: الرسالة المستطرفة (٤٩).

(١٠) انظر: كشف الظنون (١٤١٧/٢).

(١١) انظر: تاريخ التراث العربي (٢٩٦/١).

(١٢) انظر: تهذيب الكمال (١٥٠/١).

(١٣) انظر: التهذيب (٦/١).

(١٤) انظر: الرسالة المستطرفة (١١٤).

(١٥) انظر: كشف الظنون (١٤٠٥/٢).

(١٦) انظر: تدريب الراوي (٣٦٣/٢).

(١٧) انظر:كشف الظنون (١٧٣٩/٢).

(١٨) انظر: فهرست مخطوطات الظاهرية، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١٦١).

(١٩) انظر: تاريخ بغداد (٥٩/٩).

(٢٠) انظر: تاريخ بغداد (٥٩/٩).

زبر، فقال: إنه توفي في سنة ثلاث وسبعين وتبعه ابن الأثير[٥]، وقد رد ابن عساكر على ابن زبر في تاريخ دمشق ووهمه، وقال: (الصواب أن وفاته سنة: ٢٧٥هـ)[٦]. والصواب: ما قاله الأكثرية، ولا سيما أن منهم تلميذه أبو عبيد الآجري. وأوصى – رحمه الله – أن يغسله الحسن بن المثنى فإن اتفق، وإلا انظروا في كتاب سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد في الغسل، فعملوا به[٧].

الفصل الثاني: التعريف بكتابه السنن

المبحث الأول: معنى السنن عموماً.

المبحث الثاني: تسميته وموضوعه، وتاريخ تأليفه.

المبحث الثالث: ثناء الأئمة عليه، ومكانته بين الأصول.

المبحث الرابع: عدد أحاديثه.

المبحث الخامس: درجة أحاديثه، وشرط مؤلفه فيه.

المبحث السادس: روايات السنن.

المبحث السابع: شروحه المطبوعة والمخطوطة.

المبحث الأول: معنى السنن عموماً

كتاب السنن عند أهل الحديث: هو الكتاب الذي يجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، مرتبة على الأبواب الفقهية، كالطهارة، والصلاة، والزكاة، ونحوها[٨]. مثل سنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجه. وأما ما شمل جميع أقسام الحديث: أي أحاديث العقائد، والفقه، والرقاق، وأحاديث المناقب، وغيرها، فيسمى الجوامع مثل: صحيح البخاري، ومسلم، وقد ألحق بعض أهل العلم بهما (جامع الترمذي) على خلافٍ في ذلك.

قال الخطابي: (كان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داود: الجوامع والمسانيد ونحوهما، فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وآداباً، فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفائها، ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من تلك الأحاديث الطويلة، ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود)[٩]. وأما كتب السنة في جانب الاعتقاد،

---

(١) انظر: المعجم المشتمل لابن عساكر (١٣٢).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (١٦٧/١١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٣).

(٤) انظر: التهذيب (١٧٣/٤).

(٥) انظر: الكامل لابن الأثير (٣٥٠/٦).

(٦) تاريخ دمشق (٥٤٦/٧)

(٧) انظر: التهذيب (١٧٣/٤).

(٨) انظر: الرسالة المستطرفة (٣٢، ٤٢).

(٩) معالم السنن (١١/١).

فالمراد بها ما يقابل البدعة مثل كتاب السنة للإمام عبد الله بن الإمام أحمد، وكتاب السنة لابن أبي عاصم، وغيرهما[١].

المبحث الثاني: تسميته، وموضوعه، وتاريخ تأليفه

** **تسميته:** أجمع العلماء على تسميته (السنن) لأن أبا داود سماه (السنن) في رسالته إلى أهل مكة حيث قال: (فإنكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب السنن)[٢]. وقال في موضع آخر: (والأحاديث التي وضعتها في كتاب (السنن) أكثرها مشاهير)[٣].

** **موضوعه:** ذكر أبو داود في رسالته إلى أهل مكة أن كتابه السنن يشتمل على سنة رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم، وقال في وصفه: (وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم بإسناد صالح إلا وهي فيه)[٤]. ثم بين أنه اقتصر على الأحكام فقط حيث قال: (لم أصنف في كتاب السنن إلا الأحكام، ولم أضف إليه كتاب الزهد، وفضائل الأعمال، وغيرها)[٥]. وقال الإمام الخطابي: (قد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم، وأمهات السنن، وأحكام الفقه، ما لا نعلم متقدماً سبقه إليه، ولا متأخراً لحقه فيه)[٦].

** **تاريخ تأليفه:** لم أقف على نص قاطع يكشف عن تاريخ تأليفه للسنن، وإنما جاء عن الخطيب أنه قال: (ويقال: إنه صنفه قديماً، وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه)[٧]. والإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – توفي سنة (٢٤١هـ)، ففي قول الخطيب دليل على أن أبا داود صنف كتابه السنن قبل سنة (٢٤١هـ). ولاشك أن الإمام أبا داود ظل يجمع كتابه السنن في أثناء رحلاته التي قام بها إلى الشام، ومصر، والحجاز، وخراسان، وغيرها. فقد روى محمد بن صالح الهاشمي عن أبي داود أنه قال: (أقمت بطرسوس عشرين سنة، كتبت المسند، فكتبت أربعة آلاف حديثاً)[٨]. ولعله أراد بالمسند كتابه السنن، والله أعلم.

وبعد أن انتهى أبو داود من تأليف كتابه قام بتدريسه إلى أن توفي رحمه الله تعالى. قال تلميذه أبو الحسن ابن العبد: (سمعت كتاب السنن من أبي داود ست مرار، بقيت من المرة السادسة بقية، لم يتمه بالبصرة سنة إحدى، واثنتين، وثلاث، وأربع، وخمس وسبعين ومئتين، وفيها مات)[٩].

---

(١) انظر: كتاب الإمام أبو داود، وكتابه السنن (٤٥).

(٢) رسالة أبي داود لأهل مكة (٢٤).

(٣) المرجع السابق (٢٩).

(٤) المرجع السابق (٢٨).

(٥) المرجع السابق (٣٣).

(٦) معالم السنن (١٣/١).

(٧) تاريخ بغداد (٩/ ٥٦).

(٨) مقدمة رسالة أبي داود إلى أهل مكة (١٧).

(٩) مقدمة رسالة أبي داود إلى أهل مكة (١٧).

المبحث الثالث: ثناء الأئمة عليه، ومكانته بين الأصول، ثناء الأئمة عليه.

بلغ سنن أبي داود منزلة عالية بين أهل العلم من عصره إلى يومنا هذا فقد أثنى عليه الأئمة، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله تعالى– فقد عرضه أبو داود عليه فاستجاده واستحسنه[١].

وقال أبو زكريا الساجي: (كتاب الله أصل الإسلام، وكتاب السنن لأبي داود عهد الإسلام)[٢]. وقال الإمام النووي: (ينبغي للمشتغل بالفقه وبغيره الاعتناء بسنن أبي داود، لمعرفته التامة، فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه، مع سهولة تناوله، وتلخيص أحاديثه، وبراعة مصنفة، واعتنائه بتهذيبه)[٣].

وقال ابن الأعرابي، تلميذ أبي داود: (لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتة)[٤].

وقال الإمام الخطابي: (اعلموا رحمكم الله، أن كتاب السنن لأبي داود، كتاب شريف، لم يصنف في علم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من الناس كافة، فصار حكماً بين فرق العلماء، وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم)[٥].

مكانته بين الأصول:

جعل كثير من العلماء "سنن أبي داود" في المرتبة الثالثة بين كتب الأصول، أي بعد الصحيحين.

قال الحافظ ابن منده: (الذين خرجوا وميزوا الثابت من المعلول، والخطأ من الصواب: البخاري، ومسلم، ثم أبو داود، والنسائي)[٦]. وقال الحافظ الذهبي: (انحطت رتبة "جامع الترمذي" عن "سنن أبي داود" "والنسائي"، لإخراجه حديث المصلوب، والكلبي، وغيرهما)[٧].

وقال صاحب كتاب مفتاح السعادة: (واعلم أن رئيس هؤلاء الطائفة وقدوتهم بعد الإمام مالك، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ويليه في الرتبة "كتاب مسلم" ويليهما أبو داود)[٨].

وقال الكاندهلوي: (إن "صحيح البخاري" أعلى رتبة في الصحة وغيرها عند الجمهور، ثم "الصحيح للإمام مسلم"، ثم السنن للإمام أبي داود)[٩]. بل إن هناك من أهل العلم من جعل سنن أبي داود موازٍ للصحيحين[١٠]. وهذا قول مردود لتباين المناهج والشروط التي اشترطها كل واحد منهم. ومن أهل العلم من قدم "سنن الترمذي" على "سنن أبي داود" كالحازمي حيث قال: (وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ من

---

(١) تاريخ بغداد (٥٦/٩).

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ(١٦٩/٢). ومقدمة أبي طاهر السلفي (١٤٨/٨).

(٣) مقدمة بذل المجهود (١/ ٥٤).

(٤) معالم السنن (١٢/١).

(٥) المصدر السابق (١٠/١).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٢/١٣).

(٧) انظر: تدريب الراوي (١٧١/١).

(٨) انظر: مفتاح السعادة (٢/ ١٣٠، ١٣٥).

(٩) لامع الدراري على جامع البخاري (١٣٧/١).

(١٠) انظر: فهرست ابن خير (١٠٧)، وتدريب الراوي (١٦٨/١).

شرط أبي داود)[1].

والذي استقر عليه العمل هو وضع سنن أبي داود في المرتبة الثالثة بين كتب الأصول أي في مرتبة بعد الصحيحين، ومقدم على كتب السنن، وجرى على ذلك من رتب رجال الكتب الستة مثل تهذيب الكمال، وغيره.

المبحث الرابع: عدد أحاديثه: قدّر أبو داود عدد الأحاديث التي في كتابه السنن في رسالته إلى أهل مكة فقال: (ولعل في كتابي من الأحاديث قدر أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ونحو ستمائة من المراسيل)[2].

وقال تلميذه ابن داسة، سمعت أبا داود يقول: (كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب – يعني كتاب السنن – جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث)[3].

وخالف في هذا العدد تلميذه أبو الحسن ابن العبد فقال: (كتاب أبي داود ستة آلاف حديث، منها أربعة آلاف، وألفان مكرر)[4]. وأما عددها في بعض ما طبع من سنن أبي داود فهو كما يلي:

١) في مختصر سنن أبي داود للمنذري (٥١١٣) حديثاً.

٢) في الطبعة التي مع عون المعبود بعناية محمد عبد الرحمن عثمان (٥٢٥٢) حديثاً.

٣) في طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد، وطبعة عبيد الدعاس، وعادل السيد (٥٢٧٤) حديثاً.

ولعل هذا الاختلاف يرجع إلى أسباب منها:

١- أن أبا داود لم يخرج الكتاب مرة واحدة على وجه واحد، بل مكث يزيد فيه وينقص بحسب ما يظهر له.

٢- اختلاف المحققين في منهج العد، فبعضهم يعد المتابعات ويجعل رقماً لكل طريق، وبعضهم يعد المكرر، وبعضهم يعد أقوال الصحابة رضي الله عنهم، وكبار التابعين، ونحو ذلك.

المبحث الخامس: درجة أحاديثه، وشرط مؤلفه فيه

ذكر العلماء أن كتاب سنن أبي داود هو مظنة الحديث الحسن[5].

وقد بين أبو داود في رسالته إلى أهل مكة درجة أحاديث كتابه وشرطه في إخراجها ومن ذلك:

قوله: (أنه ليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل متروك الحديث شيء)[6].

وقال أيضاً: (وإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر)[7].

وقال أيضاً: (وما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد بينته)[1].

---

(١) شروط الأئمة (٥٧).

(٢) رسالة أبي داود إلى أهل مكة (٣٢)

(٣) تاريخ بغداد (٥٧/٩).

(٤) مقدمة رسالة أبي داود لأهل مكة (١٧).

(٥) انظر: علوم الحديث لابن صلاح (٣٣)، والتقريب للنووي (٢٥)، واختصار علوم الحديث لابن كثير (٣٠).

(٦) رسالة أبي داود إلى أهل مكة (٢٦).

(٧) المصدر السابق (٢٦).

وقال أيضاً: (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض)[٢].
وذكر أيضاً: أنه يذكر أصح ما في الباب[٣].
وروى تلميذه ابن داسة عن أبي داود أنه قال: (كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة ألف، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب – يعني السنن – جمعت فيه أربعة آلاف وثمان مائة حديث، ذكر الصحيح وما يشبهه ويقاربه)[٤].
* واختلف العلماء، في المراد بقول أبي داود: (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح). أي في الأحاديث التي سكت عنها أبو داود على قولين:

القول الأول:
وهو أن المراد بقول أبي داود: (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح) أي صالح للاحتجاج.
وإليه ذهب العراقي[٥]، والحافظ الذهبي[٦]، وابن حجر[٧].
وقال الحافظ ابن حجر: (في قول أبي داود: " وما كان فيه وهن شديد بينته، ما يفهم أن الذي يكون فيه وهن غير شديد أنه لا يبينه، ... ومن هنا يتبين أن جميع ما سكت عليه أبو داود لا يكون من قبيل الحسن الاصطلاحي، بل هو على أقسام:
١- منه ما هو في الصحيحين، أو على شرط الصحة.
٢- ومنه ما هو من قبيل الحسن لذاته.
٣- ومنه ما هو من قبيل الحسن إذا اعتضد، وهذان القسمان كثير في كتابه جداً.
٤- ومنه ما هو ضعيف، لكنه من رواية من لم يجمع على تركه غالباً، وكل هذه الأقسام عنده تصلح للاحتجاج بها. كما نقل ابن منده عنه أنه يخرج الحديث الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره، وأنه أقوى عنده من رأي الرجال)[٨].

القول الثاني: ما ذهب إليه ابن الصلاح في أن ما سكت عنه أبو داود، وليس في أحد الصحيحين، ولا نص على صحته أحد ممن يميز بين الصحيح والحسن، فإنه من الحسن عند أبي داود[٩].
والصواب: القول الأول – والله أعلم – وقد أجاب على القول الثاني الشيخ أحمد شاكر حيث قال: (إن

---

(١) المصدر السابق (٢٧).
(٢) انظر: المصدر السابق (٢٨).
(٣) المصدر السابق (٢٤).
(٤) تاريخ بغداد (٥٧/٩).
(٥) انظر: شرح ألفيه العراقي (٩٧/١).
(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٤/١٣).
(٧) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٤٣٥/١).

(٨) المرجع السابق (٤٣٥/١).
(٩) علوم الحديث لابن الصلاح (٣٣).

ابن الصلاح يحكم بحسن الأحاديث التي سكت عنها أبو داود، ولعله سكت عن أحاديث في السنن وضعفها في شيء من أقواله الأخرى، كإجاباته للآجري، فلا يصح إذاً أن يكون ما سكت عنه في السنن، وضعفه في موضع آخر من كلامه حسناً، بل يكون عنده ضعيفاً، وإنما لجأ إلى هذا، اتباعاً لقاعدته التي سار عليها: من أنه لا يجوز للمتأخرين التجاسر على الحكم بصحة حديث لم يوجد في أحد الصحيحين، أو ينص أحد من أئمة الحديث على صحته)[١].

المبحث السادس: روايات السنن

قال ابن كثير: (الروايات عن أبي داود بكتابه السنن كثيرة جداً، ويوجد في بعضها من الكلام، بل الأحاديث ما ليس في الأخرى)[٢].

ومن أشهر الروايات ما يلي:

١- **رواية اللؤلؤي**: وهو الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي البصري، أبو علي، المتوفى سنة (٣٣٣هـ)[٣]. روى ابن نقطة، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي رواية اللؤلؤي قال: كان أبو علي اللؤلؤي قد قرأ هذا الكتاب على أبي داود عشرين مرة، وكان يسمى وراقه، والوراق عندهم القارئ، وكان هو القارئ[٤]. وروى عن اللؤلؤي القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، واشتهرت روايات اللؤلؤي من طريقه. ورواية اللؤلؤي من أصح الروايات، لأنها من آخر ما أملى أبو داود وعليها مات[٥].

وقد اعتمد شمس الحق العظيم آبادي هذه النسخة في شرحه للسنن المسمى (عون المعبود) حيث قال: (فنسخة السنن من رواية اللؤلؤي هي الرائجة في ديارنا الهندية وبلاد الحجاز، وبلاد المشرق من العرب بل أكثر البلاد، وهي المفهومة من السنن لأبي داود عند الإطلاق، وهذه النسخة هي التي لخصها المنذري، وخرج أحاديثها، وعلى هذه النسخة شرح لابن رسلان، وللحافظ العراقي، وحاشية لابن القيم والسندي، والسيوطي، وغيرهم، وهذه الرواية هي المرادة في قول صاحب (المنتقى) وصاحب (جامع الأصول) وصاحب (نصب الراية) وصاحب (المشكاة) وصاحب (بلوغ المرام) وغيرهم من المحدثين حيث يقولون: أخرجه أبو داود، وأخذ هذه النسخة ابن عساكر في كتابه:الإشراف على معرفة الأطراف)[٦]. وقال أيضاً: (وكذلك المزي في " تحفة الأشراف "، فقد جعلها الأصل في كتابه، فإن كان الحديث فيها سكت عنه، وإن كان في غيرها من الروايات نبه على ذلك)[٧].

٢- **رواية ابن داسة**: وهو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة

---

(١) الباعث الحثيث (٣١).

(٢) اختصار علوم الحديث (٣٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٠٧/١٥).

(٤) التقييد (٣٣/١).

(٥) انظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة (٢١٦)، وعون المعبود (٢٠١/١٤).

(٦) عون المعبود (٢٠٢/١٤).

(٧) عون المعبود (٢٠٥/١٤).

التمار البصري، المتوفى سنة (٣٤٦هـ)[١]. روى السنن عن أبي داود. ورواها عنه -أيضاً- أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن شيخ ابن عبد البر، وأبو سليمان الخطابي، وغيرهم[٢]. ولهذه الرواية مزية: وهي أنها أكمل الروايات، وفيها زيادات على رواية اللؤلؤي. قال القاسم بن جعفر الهاشمي الراوي عن اللؤلؤي: (إن الزيادة التي في رواية ابن داسة حذفها أبو داود آخراً لشيء كان يريبه في إسناده فلذلك تفاوتا)[٣].

وذكر صاحب (عون المعبود) أنها المشهورة في بلاد المغرب، وأنه ظفر بنسخة واحدة منها، وقابلها بعشر نسخ من رواية اللؤلؤي، ونبه على زيادتها من الروايات على نسخة اللؤلؤي، في مواضعها من شرحه، وقال: (شرح الخطابي المسمى "معالم السنن " على رواية ابن داسة، لأنه تلميذه)[٤].

٣- **رواية ابن الأعرابي**: وهو الإمام الحافظ أحمد بن محمد بن زياد البصري، المعروف بابن الأعرابي. روى السنن عن أبي داود، وروى عنه أبو بكر ابن المقرئ، وأبو عبد الله بن منده، ومحمد بن أحمد بن جميع الصيداوي، توفي سنة (٣٤١هـ)[٥]. وقد سقط من روايته للسنن عن أبي داود كتاب الفتن، والملاحم، والحروف، والخاتم، ونحو النصف من كتاب اللباس، وفاته من كتاب الوضوء، والصلاة، والنكاح، أوراق كثيرة[٦]. ومع هذا النقص فإن لابن الأعرابي زيادات في المتن والسند. قال شمس الحق العظيم آبادي: (مع نقصها ففي هذه النسخة –أيضاً- بعض الأحاديث الذي ليس في رواية اللؤلؤي، ويذكر الحافظ المزي روايته في الأطراف)[٧].

٤- **رواية ابن العبد**: وهو أبو الحسن على بن الحسن بن العبد، أبو الحسن الوراق، المتوفى سنة (٣٢٨هـ). سمع السنن من أبي داود ست مرار[٨]. وروى عنه الدارقطني، والحسين بن محمد بن سليمان الكاتب[٩]. ولهذه الرواية مزية وهي أن فيها كلاماً لأبي داود في الجرح والتعديل. قال ابن حجر: (فإنه في رواية أبي الحسن ابن العبد عنه كلام على جماعة من الرواة والأسانيد، ما ليس في رواية اللؤلؤي، وإن كانت روايته أشهر)[١٠]. ولرواية ابن العبد ذكر في تحفة الأشراف للمزي، وفتح الباري[١١].

٥- **رواية الرملي**: هو الإمام أبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرَّمْلي، ورَّاق أبي داود. روى عن: أبي داود، وعباس بن الوليد البيروتي. وروى عنه: أبو حفص بن شاهين، وأبو العباس عبد الله بن موسى

---

(١) تذكرة الحفاظ (٨٦٣/٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٣٨/١٥).

(٣) التقيد (٣٣/١).

(٤) عون المعبود (٢٠٢/١٤، ٢٠٣).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠٧/١٥).

(٦) انظر: فهرسن ابن خير (١٠٥، ١٠٦)، والحطة (٢١٦).

(٧) عون المعبود (٢٠٣/١٤).

(٨) انظر: مقدمة رسالة أبي داود إلى أهل مكة (١٧).

(٩) انظر: تاريخ بغداد (٣٨٢/١١).

(١٠) النكت على كتاب ابن الصلاح (٤٤١/١).

(١١) انظر: عون المعبود(٢٠٣/١٤).

الهاشمي، توفي سنة(٣٢٠)[١]. وروايته تقارب رواية ابن داسة، إلا أن المزي لم يذكرها في تحفة الأشراف[٢].

٦- **رواية أبي سالم**: محمد بن سعيد الجلودي. وقد أثبت الذهبي روايته للسنن[٣].

٧- **رواية أبي عمرو** أحمد بن علي الحسن البصري.

٨- **رواية أبي أسامة** محمد بن عبد الملك بن زيد الرواس.

٩- **رواية أبي الطيب** أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغدادي.

وهؤلاء الثلاثة أثبت روايتهم للسنن الذهبي[٤]، وابن حجر[٥].

المبحث السابع: شروحه المطبوعة، والمخطوطة: اعتنى العلماء بكتاب السنن لأبي داود فمنهم من شرحه، ومنهم من اختصره، ومنهم من علّق عليه. ومن أهم الشروح، والمختصرات، والتعليقات ما يلي:

١. **شرح الإمام الخطابي:** واسمه: (معالم السنن) وهو من أقدم الشروح وأنفعها، وقد طبع -فيما أعلم- ثلاث طبعات فيما وقفت عليه: الأولى: مفرداً سنة (١٣٥٢هـ) بحلب بعناية الشيخ محمد راغب الطباخ، والثانية: مع " مختصر المنذري " و "تهذيب ابن القيم " بتحقيق الشيخين أحمد شاكر، وحامد الفقي عام (١٣٦٧هـ) في ثمانية أجزاء، وقد طبع في آخر كلا الطبعتين " مقدمة الحافظ أبي طاهر السلفي على معالم السنن ". والثالثة: طبعة عزت عبيد دعاس بحلب عام ١٣٨٨هـ.

٢. **شرح الإمام الحافظ محمد بن محمد بن عبد الملك القرطبي (ت٣٣٠هـ):** ذكره محمد الدمشقي في نموذج الأعمال الخيرية ص(٦٢٤).

٣. **شرح العلامة الشيخ شمس الحق العظيم أبي الطيب آبادي المتوفى (١٣٢٩هـ):** وسماه "غاية المقصود في حلّ سنن أبي داود " لكنه لم يتمه، وقد طبع جزء منه في ثلاث مجلدات، تحتوي على شرح كتاب الطهارة، وبعض أبواب الصلاة، بتحقيق الشيخين: محمد عزيز شمس، وأبي القاسم الأعظمي.

٤. **شرح سنن أبي داود للإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٥هـ**: وقد شرح جزءً منه ولم يكمله، وقد طبع الكتاب في ستة مجلدات بتحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري سنة (١٤٢٠هـ).

٥. **شرح الشيخ أبي عبد الرحمن شرف الحق:** المشهور بمحمد أشرف ابن أمير العظيم آبادي

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (٣٩٥/٦).

(٢) انظر: عون المعبود (٢٠٣/١٤)، والحطة (٢١٦).

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ (٥٩٢/٢).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٥/١٣).

(٥) انظر: التهذيب (١٧٠/٤).

المسمى (عون المعبود على سنن أبي داود) ألفه بطلب من شيخه العلامة شمس الحق العظيم آبادي صاحب " غاية المقصود"؛ وقد طبع طبعتين: الأولى في دلهي سنة (١٣٢٢هـ) في أربع مجلدات كبار، أثبت في أعلى الصفحات " سنن أبي داود ". والثانية: طبع في القاهرة سنة (١٣٨٨هـ)، وجُعل في الأعلى " سنن أبي داود " وفي الأسفل " عون المعبود " في أربعة عشر جزءاً، نشره محمد عبد المحسن السلفي بالمدينة، بتحقيق الأستاذ عبد الرحمن محمد عثمان.

٦. **شرح المحدث خليل أحمد السهارنفوري**: واسمه: " بذل المجهود في حل أبي داود " وقد طبع في مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ بالهند سنة (١٣٩٢هـ)، مع تعليق الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وتقديم فضيلة الأستاذ أبي الحسن الندوي، في عشرين مجلداً.

٧. **شرح الشيخ محمود بن محمد خطاب السبكي:** واسمه (المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود) وصل فيه إلى كتاب الحج، وقد طبع بمطبعة الاستقامة بمصر سنة (١٣٥٢هـ). في عشر مجلدات، وبعد أن توفي مؤلفه سنة (١٣٥٢هـ) أكمله ابنه الشيخ أمين السبكي فوصل في شرحه إلى باب في تعظيم الزنى، وسماه: (فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المودود) وقد طبع في أربعة مجلدات وقد طبع عام (١٣٨٤) ثم توقف الكتاب.

٨. **شرح الحافظ السيوطي:** واسمه (مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود)[١]. وقد اختصره على بن سليمان الدمنتي، واسمه (درجات مرقاة الصعود) وقد طبع المختصر بالقاهرة سنة (١٢٩٨هـ).

٩. **شرح ابن رسلان الرملي:** وهو الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي الكلام عليه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

١٠. **شرح الشيخ أبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المدني سماه (فتح الودود على سنن أبي داود)**[٢].

١١. **شرح الإمام المنذري:** سماه: (العدّ المورود في حواشي سنن أبي داود)[٣].

١٢. **شرح الإمام النووي:** سماه (الإيجاز) لم يكمله وصل فيه إلى أثناء الوضوء[٤].

١٣. **شرح الحافظ مغلطاي**: ولم يكمله[٥].

١٤. **شرح ابن الملقن**: وهو شرح لزوائد أبي داود، وهو في مجلدين[٦].

١٥. **شرح الحافظ أبي زرعة العراقي**: إلا أنه لم يكمله[٧].

١٦. **شرح الحافظ أبي محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي:** سماه: " انتحاء السنن، واقتفاء

---

(١) انظر: غاية المقصود (٤٦/١).

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي (٢٩٤/١) وغاية المقصود (٤٧/١).

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي (٢٩٣/١).

(٤) انظر: المنهل العذب الروي في ترجمة النووي للسخاوي (٥٥).

(٥) انظر: كشف الظنون (١٠٠٥/٢).

(٦) انظر: الضوء اللامع للسخاوي (١٠٢/٦)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٥٦/٤).

(٧) انظر: غاية المقصود (٤٥/١).

السنن "[1].

١٧. **شرح الإمام عمرو بن رسلان بن نصر البلقيني**[2].

١٨. **حاشية أبي الحسنات محمد بن عبد الله الفنجابي**: واسمها: عون الودود شرح سنن أبي داود، وهي مطبوعة في مجلدين بالهامش على "سنن أبي داود " في لكنهؤ الهند سنة (١٣١٨هـ).

١٩. **وعلق عليه الشيخ فخر الحسن الكنجوهي:** وسماه " التعليق المحمود" وقد طبع بالهند[3].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن نبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اختم البحث بخاتمة أبين فيها خلاصة البحث، كالتالي:

١. إن الإمام أبو داود هو سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ولد بسجستان سنة (٢٠٢)، وتوفي سنة (٢٧٥). اتفق العلماء على توثيقه، ووصفه بالحفظ والإتقان، والدين، والورع، وكان محدثاً وفقيهاً. ومن كبار العلماء، متبعاً لأهل السنة والجماعة، ذاباً عن السنن، راداً على من خالفها، رحمه الله.

٢. بلغ كتاب السنن لأبي داود مكانةً عاليةً بين أهل العلم، فقد أثنى عليه الأئمة، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- فقد عرضه عليه أبو داود فاستجاده وأستحسنه.

٣. أستقر العمل على أن منزلة كتاب السنن لأبي داود بين كتب الأصول، في المرتبة الثالثة بعد الصحيحين، ومقدم على كتب السنن الأخرى.

٤. وذكر العلماء أن سنن أبي داود هي مظنة الحديث الحسن فهو لم يلتزم إخراج الصحيح وحده، بل ذكر الصحيح، والحسن، والضعيف، فإن كان الضعف شديداً بينه، وإلا سكت عنه، وما سكت عنه: منه الصحيح، ومنه الحسن، ومنه الضعيف المحتمل.

٥. لكتاب سنن أبي داود روايات عن أبي داود كثيرةً جداً، ويوجد في بعضه من الكلام، بل من الأحاديث ما ليس في الأخرى، ومن أشهرها رواية اللؤلؤي، وراية ابن داسة، ورواية ابن الأعرابي، ورواية ابن العبد.

٦. اعتنى العلماء بكتاب السنن لأبي داود منهم من شرحه، ومنهم من اختصره، ومنهم من علق عليه. وفي الختام أوصي طلاب العلم بالعناية بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بها والدعوة إليها وخدمة كتب الحديث وتحقيقها ومعرفة مناهج المحدثين والإستفادة منها.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لعلي بن هبة الله

(١) انظر: كشف الظنون (١٠٦/٢).

(٢) انظر: تاريخ التراث الإسلامي (٢٩٣/١).

(٣) انظر: الإمام أبو داود، وكتابه السنن، للشيخ عبد الله البراك (٧١).

المعروف بابن ماكولا، تحقيق المعلى اليماني، بيروت.

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، تحقيق أحمد شاكر، طبعة مكتبة دار التراث القاهرة، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩هـ.
- بذل المجهود في حَلِّ أبي داود، للشيخ خليل بن أحمد السَّهَارنفوري، طبعة دار البيان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ.
- الأمصار ذوات الآثار، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق قاسم علي، طبعة دار البشائر ١٤٠٦ هـ، بيروت.
- تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٣ هـ.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
- تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، طبعة مكتب الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٧هـ.
- تقويم البلدان، للملك المؤيد، عماد الدين طبعة دار الطباعة السلطانية.
- الحطة في ذكر الصحاح الستة، للشيخ صديق بن حسن القنوجي، دار الكتب العلمية بيروت عام ١٩٠٥م.
- الثقات، لابن حبان البستي، طبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ.
- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائر المعارف النظامية في الهند سنة ١٣٢٧هـ.
- رسالة أبي داود لأهل مكة في وصف سننه، لأبي داود، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، الطبعة الثالثة هـ، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة دار البشائر هـ، بيروت.
- سؤالات أبي داود للإمام أحمد، مطبعة مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان السجستاني، طبعة دار الجنانن، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
- سير أعلام النبلاء، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
- شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة، لعبد الرحيم العراقي طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالث.

- شروط الأئمة الخمسة، لمحمد بن موسى الحازمي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، بيروت.
- الضوء اللامع، للإمام السخاوي، بيروت، طبعة دار مكتبة الحياة.
- طبقات الحفاظ، للسيوطي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.
- طبقات الحنابلة، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى ١٢٨٤هـ، القاهرة.
- طبقات الشافعية، لابن قاضي شبهه، الطبعة الأولى، طبعة عالم الكتب، بيروت.
- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداوودي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت .
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية عام١٤٠٩ هـ.
- فهرست مخطوطات الظاهرية، للشيخ ناصر الدين الألباني.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير علي بن أبي الكرم الجزري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- مختار الصحاح، للإمام محمد الرازي، مكتبة لبنانن بيروت عام١٩٨٦م.
- مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، طبعة دار الجيل عام ١٤١٤هـ، بيروت.
- المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، لمحمود بن محمد السبكي، طبعة الاستقامة . مصر عام ١٣٥٢هـ.
- المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبل، لابن عساكر، تحقيق سكينة الشهابي، طبعة دار الفكر ١٤٠١هـ، دمشق.
- النكت على كتاب ابن الصلاح. لابن حجر العسقلاني، طبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣. التفسير وعلاقته بالحديث

(الأستاذ: د/عبد الحليم بوزيد - كلية الشريعة جامعة باتنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن القرآن الكريم واتساع فهمه، فتح الباب للدارسين في هذا العصر نظرا للتطور العلمي، والتقدم الهائل في كل المجالات.إذ وجد الإنسان كل حاجاته ورغباته وأغراضه لإيجاد حل لكثير من مشكلات العصر في مختلف المجالات.

والمتتبع لعلوم التفسير يجد أنه مر بمراحل هامة في تاريخه.

أولها:البيان العلمي لمعاني المصطلحات القرآنية وما ترمي إليه الآيات، وخاصة في مقاصد الشريعة، المتنوعة لمسار الإنسان في كل الاتجاهات.وكانت الحاجة أكثر في فهم هذا التشريع إلى الحديث وأقوال الصحابة، لما في هذه المصطلحات والمفردات من إيضاح للمعنى المقصود، فكانت نصوص الحديث وأقوال الصحابة ضرورية في فهم هذه الغاية.و أنه كتاب الدهر كله والمكان كله والإنسانية من أولها إلى آخرها.فهو ليس نظاما عصريا، أو لجيل معين.

ثانيا:التأويل النظري الذي كانت دراسته تنصب بالفكر العام للنص القرآني أو المعنى الكلي للآيات وخاصة في كتب القدماء مثل الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن وكذلك الزرقاني، إلا هذه الدراسة كانت لغوية أكثر من غيرها، لأن اللغة التي جاء بها القرآن لغة إعجاز تحتاج إلى عمق في شرح معانيها ومقاصدها[١].

ثالثا: مرحلة التلخيص:وهي مرحلة هامة اهتم بها أكثر المعاصرين والتي اعتمد أصحابها على التعليق والتكرار، وهي دراسة انصبت أكثرها في التصحيح بين الملل في الروايات، كما في كتاب الخازن...

ومن ذلك كانت الدراسات السابقة تحتاج إلى فهم الغاية من التشريع وهو الأهم، فكانت الحاجة ضرورية في الاعتماد على الأحاديث النبوية في فهم النص القرآني.

كما تشعبت التأويلات في فهم الآيات وخاصة في الاتجاهات المذهبية، التي حاول أصحابها، التفسير حسب ما تراه المذهبية وهو خروج عن المقصد السليم الصحيح للتشريع، ومن ذلك كانت الحاجة أكثر إلى العودة بالتفسير بالحديث حتى يتضح المقصد أكثر ولا تتشعب الاتجاهات والأقاويل.

التعريف بالتفسير:

ورد تعريف القرآن الكريم في المعاجم العلمية على عدة معان:

-أنه كشف المغطى وبيانه[٢] ولذا فسر مجاهد قوله تعالى:"ولا يأتونك بالحق وأحسن تفسيرا".[٣]

-تعريف أبي حيان الأندلسي ت (٧٤٥)هـ:علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات ذلك[٤].

---

[١] محمد الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر، دراسة تحليلية، دار العودة، بيروت ط ٩٧٩١ /ص ٩١٨.

[٢] أنظر:ابن منظور ولسان العرب(٥،٥٥).ابن الأعرابي.

[٣] أنظر البحر المحيط لأبي حيان(٢٦/١)،أنظر من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٣٥.

[٤] الفرقان٣٣.

-أما عند د/زغلول النجار:فهو توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية.[1]
من خلال ما تقدم تبين لنا أن التعاريف تكاد تكود واحدة، ومن ذلك أن تفسير القرآن الكريم هو...إيضاح معاني الآيات القرآنية وبيان مقاصد الشريعة وتوسيع مدلولتها العلمية...
ونظرا للدراسات الواسعة في القرآن الكريم وما أدت به إلى تباين حول التفسير وخاصة العلمي منه فإن الحاجة إلى العلاقة بين القرآن والحديث هي علاقة تكامل في فهم النص القرآني وقد وردت في ذلك كثير من الآيات التي تدعونا إلى العودة إلى السنة في فهم مقاصد الشريعة الإسلامية؛ وأيضا فهم تشريعاتها وكذلك الغيبيات التي تحتاج إلى أحاديث في إيضاح كثير من القضايا الغيبية التي يحتاجها الإنسان المسلم وغير المسلم في عصرنا الحاضر، فالقرآن جاء للإجابة عن اهتمامات الناس ومعارفهم وأيضا اتجاهاتهم ومنطلقاتهم في أبحاثهم (وقد أشار غانم الحمد أن التفسير يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية تتعلق بالفلك أو الطب، أو علمي النبات والحيوان ونحوهما)[2].
والدراسات في القرآن الكريم أعطت للقارئ والباحث، صدق نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم-كما جاء في تعريف الزنداني الذي قال فيه:(إظهار صدق الرسول محمد بما حمله الوحي إليه من علم إلهي ثبت تحققه ويعجز البشر عن نسبته إلى محمد-صلى الله عليه وسلم-أو إلى أي مصدر بشري في عصره).[3]

تعريف الحديث النبوي:

ورد تعريف الحديث الشريف في المعاجم العلمية على عدد معان:
١-أنه السفارة بين الله عزوجل وبين ذوي العقول [4]، فالرسول –صلى الله عليه وسلم-ينقل عن ربه سبحانه وتعالى ما فيه خير الناس إذا اتبعوه؛ لأنه يسن لهم طريقة حياة فضلى تسعدهم في الدنيا والآخرة.والمنبع للتطورات في علم البشر أن أطوار الإنسان المسلم أو غيره في أي عصر، فيه من الجديد الذي لا يلغي القديم، ومعنى ذلك أن حاجة الناس إلى الحديث حاجة ملحة تمليها الظروف الزمانية والمكانية، ولا يكفي الاجتهاد وحده بل السنة الشرعية، التي توضح ما جد من قضايا متنوعة.
٢-أن مصدره فعله حديثا وتحديثا ويقال:بل هو مصدر والمصدر التحديث، ومعنى حدث الحديث عن فلان أي رواه، وأورده وحدثه الأمر وبالأمر، أي أخبره.[5]

حاجة الباحثين إلى فهم القرآن من خلال السنة:

لقد عرفنا من خلال ما سبق أن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته معجز في فصاحته وبلاغته، ومن ذلك كانت الحاجة إلى الحديث لتفسير آيات القرآن الكريم.

التفسير في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم:

---

[1] جامع البيان-للطبري(١٢/١٩).
[2] أنظر محاضرات في علوم القرآن ل:د/غانم الحمد (ص٢٤٩).
[3] عبد المجيد الزنداني في مقابلة له مع مجلة(المسلمون).عدد ٤٠بتاريخ ١٤٠٦/٠٢/٢٦هـ.
[4] معجم الألفاظ والإعلام القرانية:محمد إسماعيل ص ١٢١.
[5] ينظر د/أسعد أحمد، الحديث النبوي في دروس عصرية،دار الرائد الولي .

صلى الله عليه وسلم يقدم القرآن لفهم معانيه وبلاغته وأحكامه، فكان يقدمه النبي –ص- يفسر بيان أحكامه وإيضاح معانيه، الأمر الذي جعل كثيرا من الناس يعتنقون الإسلام، وبما أن تقبلوا عند الرسول –صلى الله عليه وسلم- كان أفهم الخلق لكتاب الله -عزوجل-لما كان عليه من العصامية والاستنداد الحسن الذي منحه الله إليه صلى الله عليه وسلم.

كان من مهماته الأساسية أن يبين للناس ما نزل إليهم، وكذلك الحاجة ضرورية في العودة إلى الفهم السليم للقرآن، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا من خلال الحديث الشريف وكثيرا ما مر التفسير بمراحل هامة ومتميزة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وخاصة في المجالات العلمية الدقيقة والانتفاع بهذه المجالات يحتاج إلى معالجة معاني الآيات وأسباب النزول والمقاصد منها، فلا بد من تفسير الرسول-صلى الله عليه وسلم- لهذه الآيات بأن الغاية من التفسير هو أن نصل إلى فهم كتاب الله المنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم- لنبين معانيه ونستخرج أحكامه، ولعل الدراسات الحديثة في علم الاجتماع مثلا والعلوم الأخرى من العلوم الإنسانية، والتي يدخل نشاطها في علم التفسير فهي تعتمد في معرفة البيان والفخم المناسب والاستنباط المحكم، لمعالجة ما وجد من معارف جديدة والتي تلتقي مع روح النص ولا تعارضه كما أننا نستعيد أيضا من هذه الدراسات المعاصرة المتطورة في هذا العصر، فتفسير القرآن من خلال الحديث تعطي للنص القرآني معانيه أكثر في معالجة هذه القضايا المستجدة في هذا النص.

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع هو أن الكثير من المفسرين في القرون الأولى، وما جاء بعده كثرت التأويلات، التي وقعت فيها من التناقض، أو عدم الاتساق مع روح الآيات ومقاصدها، أو مع آيات أخرى متصلة بموضوعها أو موضحة لها أو عاطفة عليها، فهذه الروايات لا تثبت على النقد والتمحيص طويلا، من إن النافذ البصير ليدرك ما فيها من أثر الخلافات السياسية و المذهبية والفقهية والكلامية من القرون الثلاثة الأولى.[1]

مستويات فهم القرآن من خلال الأحاديث:

وردت كثير من أقوال النبي-صلى الله عليه وسلم- في فهم النص القرآني وشرحه بالمعنى المناسب له حتى يفهم المقصد الشرعي فهما سليما.يتقبله السامع فيقنعه ويمتع عاطفته، وهذه هي دعوة القرآن البعيدة عن التأويلات الضالة التي لا علاقة لها بالقرآن الكريم.

المستوى الأول الأعلى للفهم:

يصور القرآن الكريم في قوله تعالى:"ذكرا محدثا من الرحمن "[2]، وأحسن الحديث في صورة كتاب[3]، يحدثنا القرآن أخبار الرسل وقصصهم ليعتبر ذوي العقول بما حدث في الماضي وليلتمسوا تفصيل كل شيء في هداية هذا الحديث ورحمة للمؤمنين بتوجيهاته.

---

[1] أنظر السيوطي،الاتفاق في علم القرآن،تقديم د/مصطفى البغا،دار ابن كثير،دمشق بيروت ط٥/٤٢٢هـ

[2] الشعراء ٥.

[3] الزمر ٢٣.

المستوى الثاني للفهم يصور القرآن الكريم الرسول-ص- أنه المعلم والمرشد والنذير والبشير الذي يعلم ويوضح الغاية من نزول القرآن على الناس:

أنه المعلم الذي يعلم مقاصد المعاني من التنزيل إلى الناس في قوله تعالى:"وعلمه من تأويل الأحاديث"، فالرسول-ص- يبلغ للناس القرآن الكريم كما نزل من عند الله سبحانه وتعالى ويبين معاني الآيات بالعبارات المناسبة نظرا للمقام القرآني الذي هو كلام الله تعالى الذي أوحاه الله تعالى لنبيه الكريم وفيه العظة والعبرة.

(ومن الدرجة الثالثة يأتي تعليمه بصيغ الحديث النبوي المعروف تبليغا لما علمه الله من تأويل الأحاديث، مما يتم النعمة عليه وعلى من يتبعون "أحسن الحديث" فيستقيمون وفق تفصيل النبي-ص- لكل شيء من التعبد لله والتعامل مع الخلق، بشرا أو طبيعة...)[١].

المستوى الثالث يصور القرآن أنواع الناس في الفهم:

وهم درجات في تلقي العلم وأحسن الحديث وفي فهمه منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به مثلا قوله تعالى:"ومنهم من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم".[٢]

المستوى الرابع للفهم:

يثير التأمل في اختيار لفظة الحديث لتدل على أحسن الحديث الذي هو القرآن، وعلى الحديث القدسي وعلى الحديث النبوي.وهذا المستوى من الفهم يجعل التأويل في الآيات أمر صعب فلا بد من تحديد المصطلح في تفسير النص القرآني وفق الحديث الصحيح من العلل والتأويل والنقل غير السليم.

نماذج من تفسير النبي-صلى الله عليه وسلم-:

في بداية الدعوة، كان الكثير من الصحابة يسألون النبي-صلى الله عليه وسلم- عن بعض الآيات التي تحتاج إلى فهم في مقاصدها وغاياتها.

العبادات:

١- **الحج:** يعد الحج ركن هام في الإسلام، ومن ذلك يسأل الصحابة عن هذه الشعائر الإسلامية مثل الصفا، ففي قوله تعالى:"إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمد فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم."[٣]

فعن عروة بن الزبير عن عائشة(رضي الله عنها) قالت:أرأيت قول تعالى:"إن الصفا والمروة من شعائر الله ما على أحد من جناح عليه أن يطوف بهما، لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ولكنها أنزلت، لأن الأنصار كانوا أن يسلموا[٤] يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشكل.

---

[١] ينظر:د/أسعد أحمد على تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية، دار الرائد العربي، بيروت ص ١٨.

[٢] نعمان ٣١.

[٣] البقرة.١٥٨.

[٤] ينظر الاتفاق للسيوطي ،ج ١، ص٥٧، وكذا منا هل الفرقان للزر قاني ،ج ١، ص٤.

وكان في بداية الدعوة كل أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك النبي-ص- فقالوا: يا رسول الله، إن كنا فتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله عزوجل الآية قالت عائشة: قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف لهما.[١]

فجواب عائشة(رضي الله عنها)للسائل دليل على تصحيح المفهوم الخاطئ الذي كان عليه السائل فبل السؤال.

وكذا في الصلاة، فمن سأل عن الصلاة الواردة ذكرها في القرآن في أكثر من آية قال: "صلوا كما رأيتموني أصلي."[٢]

إن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، الجانب الأهم في فهم القرآن وما جاء فيه من أحكام وتشريعات، فمن ذلك أننا نحتاج إلى القدوة في كل شيء.(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).[٣]

تفسيره لأهل العلم:

أخرج الطبراني وغيره عن أبي الدرداء، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-مثل عن الراسخين في العلم[٤].

فعن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية قال: "أية آية"قلت قال تعالى:(ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعلمون).[٥]

قال والله لقد سألت عنها خبيرا.سألت عنها رسول الله-ص- قال:"ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذ رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام".وقد كان أحد الصحابة دائما يأمر بالمعروف، فلما يئس من بعضهم سأل عبد الله بن عمر: أيجوز أن يقف عن دعوته بناءا على ما جاء في الآية:"لا يضركم من ضل"، قال له:لا، إن هذا يكون لمن دعوته ولم يستجب فلا تلح عليه فذنبه لنفسه.

وهكذا يبين رسول الله-ص- حقيقة الراسخ في العلم.

أنواع التفسير النبوي:

إن لفظة "التفسير النبوي"؛لفظة مركبة من كلمتين:

-**التفسير**:الذي هو الكشف والبيان. والنبوي، الذي يعني المنسوب إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- ومنه فالتفسير النبوي هو بيان الرسول-ص- لمعاني الألفاظ القرآنية ودلالات الآيات كما أن التفسير النبوي ينقسم إلى قسمين:

---

[١] ينظر الإمام أحمد في مسنده برقم(٢٥١٥٥)(٢٥٩٤٧).وانظر تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير،دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ط ١٤١٧١هـ/١٩٩٧م.ج ١ ص ١٨٥.

[٢] ينظر ابن حيان مؤسس الرسالة بيروت،ط ١٤٤٢هـ/١٩٩٣م.رقم ١٦٥٨.

[٣] الأحزاب ٣٩.

[٤] ينظر الطبري في تفسير قوله تعالى(الراسخون في العلم)، باب سورة آل عمران ص ١٨٥.

[٥] المائدة ١٠٥.

أ-التفسير النبوي المأثور:وهو تفسيره-ص- الذي نقل إلينا في كتب التفسير والسنة. والذي لا مجال فيه للاجتهاد أو التأويل.

ب-التفسير النبوي الاجتهادي: وهو لجوء المفسرين إلى السنة هذا وقد سأل إمبراطور الروم سفير رسول الله إليه فقال:قرآنكم يصف الجنة:وجنة عرضها السموات والأرض فأين طولها؟

فقال رسول الله عليه السلام إذا كانت الدنيا ليلا فأين نهارها، فهذا بهذا فيجتهدون في اختيار الأحاديث الموافقة لمعنى الآية المراد تفسيرها والتي يظن باجتهاده أنها توضح معنى الآية المفسرة.

علاقة التفسير النبوي بمناهج التفسير:

للحديث علاقة بالتفسير النبوي بمناهج التفسير يجدر بنا في الأول، أن نذكر هذه المناهج التي قسمها العلماء إلى منهجين أساسيين هما:

*منهج التفسير بالرأي:الذي هو التفسير المنضبط بالقواعد التي وضعها علماء التفسير بعد أن يعدم أثرا صحيحا معتمدا عن رسول الله-ص- أو صحابته الكرام، حيث يجب على المفسر أن يتأنى في بحثه وأن يستنفذ الأدلة من سنة الرسول حتى لا يتقدم عليه بالقول.

وإذا انعدم أثر صحيح من تفسيره-ص- انتقل الباحث إلى التفسير النبوي الاجتهادي. وحاول التقريب بين معاني الأحاديث والآيات المراد تفسيرها.فإن لم يكن هناك سبيل.انتقل إلى المنهج الثاني من مناهج التفسير ألا وهو:

*منهج التفسير بالمأثور:هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه[1] ولهذا المنهج علاقة وطيدة بالتفسير النبوي حيث نجد أنه يمتاز بقيامه على التفسير النبوي.هذا إذا استبعدنا تفسير القرآن بالقرآن من كونه تفسيرا بالأثر إلا إذا كان منقولا عن النبي-ص-. وبهذا نعتبر التفسير النبوي هو عمدة وأساس التفسير بالمأثور.

***قيمة التفسير النبوي وحكم العمل به:**

لا شك أن التفسير النبوي هو أصل التفسير ومصدره الأساس اعتبارا من كون النبي-ص- هو المأمور بالبيان والتبليغ، وبناء على هذا فإنه لا يجوز تفسيره بالاجتهاد والرأي دون النظر فيما ثبت عنه من تفسير، فإن وجد فهو الأحرى والأولى ويكتفى به عن غيره لقوله تعالى:"وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله، فقد ضل ضلالا مبينا"[2]، وهذا ينطبق على النوع الأول منه.يقول الإمام محمد أبو زهرة:"فكل ما في القرآن من أحكام فقهية سواء أكانت تتعلق بالعبادات أم كانت تتعلق بتنظيم المجتمع الإنساني الذي يبتدئ بالأسرة ويتدرج إلى الجماعات ثم الأمة وعلاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المسلمين بغيرهم من الأمم في السلم والحرب، وكل هذا بيان النبي-ص- وهو حجة علينا يجب إتباعه."

هذا ويجب التنبيه إلى أن الاتجاه إلى تفسير القرآن من غير اعتماد على السنة والاستعانة بها في هذا الباب للخروج على الشريعة، فقد قال تعالى:"وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن

---

[1] مناهل الفرقان،عبد العظيم الزرقاني،ج٢،ص١٠.

[2] صورة الأحزاب:٣٦.

يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا."[1]وقال ابن كثير في تفسيره:"هذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحدهما، ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى:"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما."(سورة النساء:٦٥)، وفي الحديث:"والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[2]، ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال:"ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا"، كقوله تعالى:"فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم"(سورة النور:٦٣)، والله تعالى أعلم.

هذا ويختلف أصحاب المذاهب أحيانا في قبول بعض الأحاديث عن بعض فهناك من لا يأخذ بالأحاديث التي رواها أبو هريرة وقد تكون صحيحة، وهناك من يدعي أن الرسول-ص- قال نصوصا في تولية علي بن أبي طالب للخلافة بعده ولم يثبت من ذلك شيء.

وقد سئل علي بن أبي طالب فقيل له:"هل خصكم[3] رسول الله-ص-بشيء دون الناس؟فقال:لا والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما[4] يؤتيه الله عبدا في كتابه".[5]

المراجع:

١. محمد الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر، دراسة تحليلية، دار العودة، بيروت ط ٩٧٩١ /ص ٩١٨.
٢. أنظر:ابن منظور ولسان العرب(٥، ٥٥).ابن الأعرابي.
٣. أنظر البحر المحيط لأبي حيان(٢٦/١)، أنظر من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٣٥.
٤. الفرقان٣٣.
٥. جامع البيان-للطبري(١٢/١٩).
٦. أنظر محاضرات في علوم القرآن ل:د/غانم الحمد (ص٢٤٩).
٧. عبد المجيد الزنداني في مقابلة له مع مجلة(المسلمون).عدد ٤٠بتاريخ ١٤٠٦/٠٢/٢٦هـ.
٨. معجم الألفاظ والإعلام القرانية:محمد إسماعيل ص ١٢١.
٩. ينظر د/أسعد أحمد، الحديث النبوي في دروس عصرية، دار الرائد الولي.
١٠. أنظر السيوطي، الاتفاق في علم القرآن، تقديم د/مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق بيروت ط٤٢٢/٥هـ.

---

[1] المعجزة الكبرى:محمد أبو زهرة،دار الفكر العربي،د.ت.ط.ص:٥٠٧

[2] أخرجه الحسن بن سفيان النسوي في كتابه الأربعين باب(باب التشديد في مخالفة السنة)رقم:٩.كتاب الأربعين،أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي،دار البشائر الإسلامية-بيروت،الطبعة الأولى،١٤١٤:ت محمد بن ناصر العجمي.وأبو نعيم في كتاب الأربعين كما ذكر ذلك ابن رجب في جامع العلوم والحكم،رقم:٣٨٧.

[3] يعني بالخلافة.

[4] يعني تأويلا وليس نصا لكنهم يقولون نصا وهذا افتراء.

[5] ينظر الإمام البخاري في صحيحه ج ٤ باب الجهاد.ص ١٤٢.

١١. الشعراء ٥.
١٢. الزمر ٢٣.
١٣. ينظر:د/أسعد أحمد على تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية، دار الرائد العربي، بيروت ص ١٨.
١٤. نعمان ٣١.
١٥. البقرة.
١٦. ينظر الاتفاق للسيوطي، ج ١، ص٥٧، وكذا منا هل الفرقان للزر قاني، ج ١، ص٤.
١٧. ينظر الإمام أحمد في مسنده برقم(٢٥١٥٥)(٢٥٩٤٧).وانظر تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ط ١٤١٧١هـ/١٩٩٧م.ج ١ ص ١٨٥.
١٨. ينظر ابن حيان مؤسس الرسالة بيروت، ط ١٤٤٢هـ/١٩٩٣م.رقم ١٦٥٨.
١٩. الأحزاب ٣٩.
٢٠. ينظر الطبري في تفسير قوله تعالى(الراسخون في العلم)، باب سورة آل عمران ص ١٨٥.
٢١. المائدة ١٠٥.
٢٢. مناهل الفرقان، عبد العظيم الزرقاني، ج٢، ص١٠.
٢٣. الأحزاب:٣٦.
٢٤. المعجزة الكبرى:محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت.ط.ص:٥٠٧
٢٥. أخرجه الحسن بن سفيان النسوي في كتابه الأربعين باب (باب التشديد في مخالفة السنة) رقم:٩.كتاب الأربعين، أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي، دار البشائر الإسلامية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤:ت محمد بن ناصر العجمي.وأبو نعيم في كتاب الأربعين كما ذكر ذلك ابن رجب في جامع العلوم والحكم، رقم:٣٨٧.
٢٦. يعني بالخلافة.
٢٧. يعني تأويلا وليس نصا لكنهم يقولون نصا وهذا افتراء

٤. الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في المعاجم العربية: دراسة في معجم لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)

الدكتور رزاق عبد الأمير مهدي الطيَّار
(جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية)

تقديم:

اختلف موقف علماء النحو العربي في مسألة الاحتجاج بالحديث النبوي لإثبات القاعدة النحوية فمنهم من اعتمده حُجَّة لغوية فصيحة لإثبات قواعد اللغة العربية ومنهم من رفض الاحتجاج به، ولكل منهم حجته، وكتبت في هذه المسألة مؤلفات عدَّة عرض فيها أصحابها حججهم لإثبات آرائهم ورفض رأي المخالفين لهم، ولسنا هنا في مقام إثبات هذا الرأي أو ذاك.

لكن موقف اللغويين العرب كان موحدا من الاحتجاج بالحديث النبوي إذ نرى كتب اللغة والمعاجم قد كَثُرَ فيها الاحتجاج بالحديث النبوي لإثبات المعاني الدلالية للمفردات اللغوية، وعدَّ كلام النبي محمد (ص) خير دليل وأفضل شاهد لإثبات فصاحة المفردة، ومعانيها المتعددة.

ولما كان معجم (لسان العرب) لابن منظور المتوفى سنة (٧١١ للهجرة) يمثل خزانا لجهود المعجميين المتقدمين، وجامعا لما جاء بكتب الأوائل منهم فقد رأى البحث أن يدرس موقف المعجميين العرب من الاحتجاج بالحديث النبوي من خلال معجم (لسان العرب)، وقد قسم البحث إلى أربعة مباحث وتمهيد تناولنا في التمهيد مصطلحات ومفاهيم عامة تتعلق بمفهوم الحديث الشريف وموقف علماء اللغة والنحو منه، وأهمية معجم لسان العرب بين المعاجم العربية، ودرس المبحث الأول أقسام الحديث الشريف في لسان العرب أما المبحث الثاني فقد تناول سعة الاستشهاد بالحديث الشريف. والمبحث الثالث درس أغراض الاستشهاد بالحديث الشريف، أما المبحث الرابع فبحث في معالجة ابن منظور للحديث الشريف في معجمه ثم ذكرنا عقب ذلك أهمَّ النتائج التي توصل إليها البحث والخاتمة.

تمهيد: مصطلحات ومفاهيم عامة

أولا مصطلح الحديث الشريف

تعددت آراء العلماء المسلمين في تحديد المراد بمصطلح (الحديث الشريف) فمنهم من ضيقه، ومنهم من توسع به، ويمكن أن نجمل الإشارة إلى هذه الآراء بثلاثة أقوال:

القول الأول:

يراد بالحديث الشريف ((ما صدر عن النبي محمد (ص) من قول أو فعل أو تقرير))[١] هذا القدر من تعريف المصطلح محل اتفاق عند المسلمين جميعا فلا خلاف بينهم في أن المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم هو كلام النبي (ص) وفعله وتقريره، فقد جاء حديثه مفسرا للقرآن الشريف ومبينا لأحكامه وموضحا لحدوده، ولولا كلام النبي وفعله وتقريره لتعطل العمل بالقرآن ولما أمكن أن يستنبط حكم واحد بكل تفاصيله الدقيقة وبما له من قيود وشرائط وموانع[٢]، فآيات القرآن كانت

١ - مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث : ٩

٢ - الأصول العامة للفقه المقارن : ١٢٤.

تُثبت أصل التشريع أما التفاصيل العملية للتشريعات فكانت السنة النبوية هي الكاشفة عنها.

القول الثاني:

توسع أصحاب القول الثاني بمفهوم الحديث الشريف؛ إذ أدخلوا فيه الصحابة أيضا ليصبح مفهوم الحديث الشريف عندهم ((ما صدر عن النبي محمد (ص) وصحبه من قول أو فعل أو تقرير)) فكل ذاك سنة يعمل بها ويرجع إليها في تشريع الأحكام الشرعية، وما صدر عنهم حُجَّة يمكن الاطمئنان إليها والعمل بها، واستدلوا على رأيهم بعدد من الحجج من القرآن الكريم وأقوال النبي (ص)[1]

القول الثالث:

وذهب قسم ثالث من المسلمين إلى أن الحديث الشريف يشمل فضلا عن النبي(ص) الأئمة المعصومين من أهل بيته وهم اثنا عشر إماما أولهم علي بن أبي طالب ثم ابنا فاطمة الزهراء الحسن والحسين ثم تسعة من ذرية الحسين وهم علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد الجواد ثم ابنه على الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه المهدي المنتظر عليهم السلام أجمعين هؤلاء الأئمة المعصومون سلسلة متصلة بالنبي محمد (ص) قولهم قوله وفعلهم فعله، وهم يتصفون بالعصمة وهي القاسم المشترك بينهم وبين النبي (ص)، لذا أصبح مفهوم الحديث الشريف عندهم ((ما صدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير))[2]، واستدل القائلون بذا الرأي بأدلة كثيرة من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريف لإثبات رأيهم.

هذه الأقوال الثلاثة في تحديد مفهوم الحديث الشريف هي أهم ما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام، ولسنا هنا في صدد بحث حجيَّة هذه الآراء أو إثبات صحتها وتفنيد ما لا نعتقد بصحته، فقد بحث علماء أصول الفقه وعلماء الحديث الشريف هذه الآراء بحثا مفصلا وناقش كل منهم آراء المخالفين له ونقدها وحاول إثبات ما يراه صحيحا منها وبناء على ما ثبت عند كل فريق من حجج اعتمدوا في تشريعاتهم الفقيه إما على حديث النبي (ص) فقط أو على حديث النبي وحديث الصحابة الكرام، أو حديث النبي والأئمة المعصومين من أهل بيته الطاهرين.

ثانيا: الحديث الشريف عند علماء اللغة والنحو

أما في مجال اللغة والنحو فالحديث النبوي له حكم آخر فالمراد من الاستشهاد به عند النحاة إثبات قاعدة نحوية، وعند اللغويين إثبات الاستعمال لمفردة ما، أو إثبات مستوى بياني لتركيب لغوي معين، فاللغويون وأصحاب المعاجم يتركز نظرهم نحو الدلالة واستعمال المفردة من عدمه في متن اللغة، وعناية البلاغيين تتجه نحو المستوى البياني والبلاغي للمفردة أو التركيب، ولكن خلفيات المؤلف في حقل الغويات بمفهومه العام بقيت تؤثر تأثيرا نسبيا على استشهاده بالحديث وتحديد المراد بمصطلح الحديث.

لقد توافرت بين أيدينا مجموعة من النصوص الكريمة في السنة النبوية تؤكد أن النبي محمد (ص)

---

١ - لمن أراد الاطلاع على الحجج ومناقشتها يمكن أن ينظر: الموافقات (الشاطبي):٤\٧٤-٧٦، الوجيز في أصول الفقه(زيدان) : ٢٢٠، الأصول العامة للفقه المقارن : ١٣٥-١٣٦، مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث : ١٠-١٢.

٢ - جامع المقال: ١، الأصول العامة للفقه المقارن : ١٨٩، مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث : ١٢-١٥

حاز على فضل جوامع الكلم ؛ فقد فضل الله -سبحانه وتعالى - نبيه على سائر الأنبياء بفضائل ستة، أولها: جوامع الكلم[1] وقد وصف الجاحظ كلامه (ص) قائلا: ((واستعمل المبسوطَ في موضع البسط، والمقصورَ في موضع القصر، وهَجَر الغريبَ الوحشيَّ، ورغِبَ عن الهجين السُّوقيّ، فلم ينطِقْ إلا عن مِيراثِ حكمَةٍ، ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد، ويُسِّرَ بالتوفيق، وهو الكلامُ الذي ألقَى اللّه عليه المحبّةَ، وغشَّاهُ بالقَبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبَيْن حُسنِ الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته، لم تسقط له كلمة، ولا زَلّت به قَدَم، ولا بارَتْ له حجَّة، ولم يَقُم له خَصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار ولا يَلتمِس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق، ولا يطلب الفَلْجَ إلا بالحق، ولا يستعين بالخِلابة، ولا يستعمل الموارَبة، ولا يهمِز ولا يَلْمِز، ولا يُبْطِيءُ ولا يَعْجَل، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر، ثم لم يَسْمع الناسُ بكلامٍ قَطّ أعمَّ نفعاً، ولا أقصَدَ لفظاً، ولا أعدلَ وزناً، ولا أجملَ مذهباً، ولا أكرَم مطلباً، ولا أحسنَ موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوَى، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً.))[2] وماذا يطلب اللغوي أو النحوي أو البلاغي أكثر من هذه الصفات لتكون شاهدا له على قواعده أو دليلا على فصاحة كلمة ما أو تركيب لغوي، فالحديث النبوي بمعانيه الواضحة دلالاته العميقة وأسلوبه الفريد يمثل النموذج اللغوي الأعلى بيانيا للغة العربية الفصحى بعد القرآن الكريم، وهو ظاهرة لغوية تستحق كل الرعاية والاهتمام من الباحثين عن قواعد لغة العرب ومفرداتها وتقف، الأحاديث النبوية شاهدا قويا وداعما في إثبات قواعد النحو والصرف وغيرها، ومادة لغوية ثرَّة يعتمد عليها اللغويون.

ومع كل هذه الصفات البليغة في كلامه (ص) إلا أننا نلحظ موقفا غريبا للنحاة الأوائل من الحديث الشريف، ولقد لخصت الدكتورة خديجة الحديثي موقفهم قائلة: ((أما الحديث النبوي الشريف، فلم يلق هذا الاهتمام لا من النحاة الأوائل أنفسهم ولا من الذين كتبوا في اللغة التي تصلح للاستشهاد، فلم نجد في كتب النحاة الذين عقودا النحو وبنوا أصوله وحرروا مصطلحاته وأبوابه ولا في كتب الصرفيين أو كتب الذين تحدثوا عن السماع والقياس واللغة التي يقاس عليها حتى زمن أبي الحسن بن الضائع(ت٦٨٦هـ) وأبي حيان (٧٤٥هـ) أيَّة إشارة إلى موقف النحاة الأوائل من الحديث والاحتجاج به. فلم يصل إلينا أيَّ خبر منهم أو أيَّ تعليق أو قول أبدوه فيما يتعلق بهذا الأمر، ولا ندري حقيقة موقفهم منه، أيصح عندهم الاحتجاج به أم لا يصح؟ وإن صح فما شروط الحديث المحتج به؟ وإن لم يصح فما سبب عدم تجويزهم الاحتجاج به؟ كما لم نكن ندري ما سبب سكوتهم عنه وعن توضيح موقفهم من الاحتجاج به، ولِمّ لم يصرِّح بعض الذين احتجوا به من الأوائل بأن هذا المحتج به من الحديث

---

١ - روت كتب الصحاح والسنن مجموعة من هذه الأحاديث بطرق متعددة عن أبي هريرة وغيره، ينظر مثلا / مسند أحمد بن حنبل : ٢\٢٥٠، ٣١٤، ٤١٢، ٤٤٢، ٥٠١، صحيح البخاري:٨\٧٦، صحيح مسلم :٢\٦٤، ٦٥، ٦\١٠٠ ، سنن الترمذي:٣\٥٥، السنن الكبرى للبيهقي:٢\٤٣٣، ٧\٤٨، ٩\٥، من لا يحضره الفقيه(الصدوق):١\٢٤١، الخصال(الصدوق):٢٩٣، وسائل الشيعة : ٣\٣٥١، ٥\١١٧، ١٥\٣٥٩.

٢ - البيان والتبيين ٢\١٧.

النبوي.))[1] هذا الموقف للنحاة الأوائل لا يعني الإعراض الكامل عن الاستشهاد بأيِّ حديث نبوي، فلقد استشهد سيبويه بمجموعة من الأحاديث الشريفة وكذا احتج الفراء في كتابه (معاني القرآن) ببعض الأحاديث وكذا تابعهم المبرد فنقل عن سيبويه ما احتج به من الأحاديث وإن كانت قليلة[2]. وبقيت قضية الاحتجاج بالحديث عند النحاة والصرفيين تتسع وتتقلص تبعا لخلفيات الأشخاص الثقافية والمعرفية، ولا تخلو المسألة أيضا من بعض الآثار السياسية التي قد تكون دفعت بعض المؤلفين إلى الابتعاد شيئا ما عن الاحتجاج بالحديث النبوي، ويستمر هذا الحال حتى عصر ابن خروف(ت٦٠٥هـ) وابن مالك(ت٦٧٢هـ) الذين أكثرا من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف بشكل ملحوظ[3]. ويمكن تلخيص موقف النحويين من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف على ثلاثة مذاهب

١. مذهب المانعين مطلقا: ويمثلهم ابن الضائع (ت٦٨٦هـ) وأبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) وكانت حجتهم في هذا المنع شيئين الأول: إن رواة الحديث الشريف جوزوا نقله بالمعنى، فنجد قصة واحدة جرت في زمانه قد قال فيها حديثا واحدا ولكنه ينقل بألفاظ مختلفة. الثاني: إنه قد وقع اللحن كثيرا فيما روي من الحديث النبوي لأن كثيرا من لارواة كانوا غير عرب بالطبع[4].
٢. مذهب المجوزين مطلقا ويقف على رأسهم ابن مالك (ت٦٧٢هـ) ورضي الدين الأسترآبادي (ت٦٨٨هـ) الذي زاد على ابن مالك في الاستشهاد بالحديث النبوي وكان من المتوسعين في مفهوم الحديث النبوي حيث يضم إلى حديث أهل البيت المعصومين إلى حديث النبي محمد (ص) وتابعهم ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) في كتبه، ومنهم جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) الذي استشهد بمئة وخمسة وخمسين حديثا في كتابه النحوي (همع الهوامع)، وكذا كان البغدادي (ت١٠٩٣هـ) صاحب خزانة الأدب من المجيزين مطلقا للاحتجاج بالحديث النبوي وغيرهم كثير.
٣. مذهب المتوسطين وهؤلاء هم أصحاب الرأي الوسط بين الرأيين وقد وخير مثال لهم الشاطبي (ت٧٩٠هـ) فقد أجاز الاحتجاج بالحديث الذي اعتني بنقل ألفاظه؛ ودافع عنه علما أنه قسم الحديث من جهة جواز الاستشهاد به على قسمين:

الأول: قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه، فهذا النوع لا يقع الاستشهاد به عند أهل النحو.

الثاني: الذي اعتنى ناقله بلفظه ومعناه فهذا يصح الاستشهاد به عند أهل اللغة والنحو[5].

هذا مجمل آراء علماء النحو والصرف في هذه المسالة، ولسنا في مجال ذكر أدلة كل فريق وحججهم وردودهم على مخالفيهم فقد ألف بعض الأساتيذ المعاصرين من الجامعات العراقية والعربية أكثر من كتاب قَيِّم يدرس تفصيلا هذه القضية وأحاطوا بأبعادها المتشعبة، ولعل خير من بحثها وفصلت القول في أدلة كل فريق الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها (موقف النحاة من الاحتجاج

---

١ - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: ١٥.

٢ - ينظر: المصدر السابق نفسه : ٥-٦.

٣ - ينظر: المصدر السابق نفسه :١٦-١٧ .

٤ - ينظر: المصدر السابق نفسه :٣٦٧ .

٥ - لمزيد من الاطلاع على تفاصيل هذه الآراء وأدلتها ينظر: المصدر السابق نفسه :١٣-٣٠ .

بالحديث الشريف) الصادر سنة ١٩٨١عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية دار الرشيد للنشر بمناسبة احتفالات العراق بالقرن الهجري الخامس عشر، وكذلك كتب الأستاذ الدكتور محمود فجّال كتابه (ارتكاز الفكر النحوي على الحديث والأثر في كتاب سيبويه)، وكتب الدكتور محمد عبد القادر هنادي (الاحتجاج النحوي بالحديث النبوي عند الإمام بدر الدين العيني في ضوء كتابه عمدة القاري)، والدكتور محمد ضاري حمادي (الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية)١٩٨٢م والدكتور محمود الفجال في كتابيه: (الحديث النبوي في النحو العربي) و(السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي)، وحسن موسى الشاعر في كتابه(النحاة والحديث النبوي الشريف)، فضلا عن عشرات البحوث والمقالات المنشورة في المجلات الجامعية والمواقع الإلكترونية[١]

وإذا كان موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف يتأرجح بين المنع في بعض الأحيان والإطلاق في أحيان أخرى، إن موقف اللغويين واحد متحد منذ البدء، فقد أعتمد أهل المعاجم وكتب الغريب اللغوي كلهم على الحديث النبوي بوصفه شاهدا لغوية يأتي بعد القرآن الكريم في الفصاحة وإثبات استعمال المفردات وتحديد دلالاتها المعجمية، وإذا تتبعنا نماذج من المعاجم العربية منذ معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)، ثم (جمهرة اللغة) لابن دري(ت٣٢١هـ)، ومن بعده (التهذيب) للأزهري(ت٣٧٠هـ)، ثم (الصحاح) للجوهري(ت٣٩٣هـ)، ثم (المحكم) لابن سيده(ت٤٥٨هـ)، ثم (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير(ت٦٠٦هـ) إلى أخر معجم كتب في لغة العرب نرى الحديث النبوي يشيع فيها كلها، وليس هناك أي حرج من الاستشهاد به عند اللغويين[٢] وكيف لا يكون حديث النبي (ص) كذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام ((أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد))[٣]، وقال (ص):((أدبني ربي فأحسن تأديبي))[٤] فكان شيئا منطقيا أن يكثر استشهاد المعجميين العرب بكلام أفصح العرب وهذا ما سنبينه تفصيلا من خلال معجم لسان العرب.

ثالثا: المعجمية العربية و(معجم لسان العرب)

يمكن تعريف المعجم أو القاموس بأنه ((كتاب يحتوي على كلمات منتقاة، ترتب عادة ترتيبا هجائيا، مع شرح لمعانيها ومعلومات أخرى ذات علاقة بها، سواء أعطيت تلك الشروح والمعلومات باللغة ذاتها أم بلغة أخرى))[٥] ولقد نشأت المعجمات ودونت تلبية لحاجات علمية، وقد اختلفت الدوافع التي كتبت من أجلها المعاجم بين مدينة وأخرى على مر التاريخ، ووجدت أقدم المعجمات في بلاد الرافدين فقد

---

١ - ينظر مثلا :أهمية الحديث النبوي في الدراسات اللغوية والنحوية ،د.ياسر درويش (بحث إلكتروني) مشروعية الاحتجاج بالحديث النبوي كشاهد نحوي ،زياد أبو رجاني (بحث إلكتروني)، الشاهد اللغوي ، يحيى عبد الرؤوف (بحث) .

٢ - حسب المراجع أن يتصفح أي واحد من هذه المعاجم في أي جزء منها ليلاحظ كثرة الاستشهاد بالحديث حتى أن المسألة لا تحتاج إلى ذكر أمثلة فهي من البديهيات

٣ - المجموع (النووي) : ١٨\٢٢٧ ، الفايق في غريب الحديث ،الزمخشري:١\٩، ١٢٦

٤ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (السيوطي) :١\٥١، كنز العمال (المتقي الهندي):١١\٤٠٦.

٥ - علم اللغة وصناعة المعجم : ٣

واجه الآشوريون الذين قدموا إلى بابل قبل ثلاثة آلاف عام صعوبة في فهم الرموز السومرية فقاموا بإعداد لوائح تحتوي على الكلمات السومرية وما يقابلها بالآشورية[١].

كان انطلاق الصناعة المعجمية العربية من رحم الدراسات الدينية القرآنية والحديثيَّة فقد ألَّف العلماء العرب أولى (المعجمات) سعيا لشرح غريب القرآن الكريم والحديث الشريف، وبعده كتب في بيان غريب الشعر العربي[٢]، ثم تبعتها المعجمات اللغوية الصرفة وبرز علماء العربية بشكل خاص في تصنيف المعجمات وتقدموا في الصناعة المعجمية التي تعتمد على خمس خطوات مهمة في إنتاج أي معجم هي:

١- جمع المعلومات والحقائق
٢- اختيار المداخل
٣- اختيار نظام معين للترتيب
٤- كتابة المواد
٥- نشر النتاج النهائي[٣]

ولقد توسع علماء العربية في جمع الحقائق والمعلومات المتعلقة بلغتهم وتحروا كل شاردة وواردة وضربوا في عمق الصحراء طلبا لمفردات هذه اللغة، وسعيا لجمع شتاتها، وسخروا في سبيل ذلك جهودا كبيرة وضخمة، كانت موطن فخرٍ لهم، ومحل تقدير واحترام، وقيل في وصف ذلك الجهد:((إذا تفاخرت اللُّغى كُلٌّ بمعجمها، فالفخر كُلُ الفخر لأمِّها الضَّادُ؛ إذ لم يعرف العالم أُمَّةً كالعرب فاقوا سائر الأمم عناية بلغتهم، وسعيا في جمعها وتدوينها، وبحثا في مفرداتها، وتعقبا لدلالة الحرف الواحد من حروفها بحسب موقعه من اللفظ الواحد.))[٤]

وتفنن العرب أيضا في اختيار مداخل معجماتهم والنظام الذي يمكن أن ترتب فيه كلمات المعجم، فرتبوا معاجمهم على أكثر من نظام كان بعضها من ابتكاراتهم الخاصة مما لم يسبقوا إليه، فتنوعت المعجمات بين معجمات موضوعية تصنف الكلمات على أساس الموضوع مثل معجم (فقه اللغة للثعالبي) و(المخصص لابن سيده) إلى معجمات ألفاظ تدرس الألفاظ كلها، وتحيط بمتن اللغة العربية وتجمعها، واختلفت هذه المعاجم في طريقة ترتيب مفرداتها على أنواع:

الطريقة الأولى: الترتيب الصوتي مع نظام التقليب الرياضي، وهي طريقة الخليل التي ابتكرها وسار عليها في معجمه (العين)، وترتب فيها الكلمات بحسب مخارجها الصوتية بدء من أعمق الأصوات مخرجا مع استعمال نظام التقلب بين حروف الكلمة، وقد سار على هذه الطريقة بعد الخليل معجم (البارع في علم اللغة للمفضل بن سلمة المتوفى سنة ٢٩٠هـ) ثم(التهذيب للأزهري المتوفى سنة٣٧٠هـ) ثم(المحكم لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ).

---

١ - Arabic Lexicography, Haywood John(Leiden:E.J.Brill,1960) : 5

٢ - ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره (د.حسين نصَّار):١\٥، علم اللغة وصناعة المعجم:٣-٤، المعجم العربي بين الماضي والحاضر:٣٥.

٣ - ينظر: علم اللغة وصناعة المعجم : ٣

٤ - المعجم العربي بين الماضي والحاضر :٥

الطريقة الثانية: قد تستعمل المعجمات العربية نظام الترتيب الألفبائي بحسب أواخر الكلمات (وهي طريقة الباب والفصل) حيث يقسم المعجم إلى أبواب بعدد أصوات اللغة العربية كلها بحسب نهاية الكلمة ثم تقسم الباب إلى فصول بحسب بداية الكلمة وتكون هذه الفصول داخل كل باب بعدد حروف اللغة العربية أيضا، وقد سارت على هذه الطريق مجموعة من المعاجم العربية منها (تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري المتوفى سنة ٣٩٨هـ) و(العباب الزاخر للصاغاني المتوفى سنة ٦٥٠هـ) و(لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ) ثم(القاموس المحيط للفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ) و(تاج العروس لمرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ).

الطريقة الثالثة: أو قد تعتمد المعاجم العربية نظام الترتيب الألفبائي بحسب بداية الكلمة مثل معجم (أساس البلاغة للزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨هـ) و(معاجم اليسوعيين) و(معجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة الوسيط).

معجم لسان العرب

يحتل معجم (لسان العرب) للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، مكانة مميزة بين المعاجم العربية ويوصف بأن أشمل المعاجم العربية وأكبرها، ويبلغ تعداد مفردات هذا المعجم (٨٠,٠٠٠) ثمانون ألف مادة لغوية. المصادر الرئيسة التي جمع منها ابن منظور مادته هي خمسة من المعاجم العربية التي سبقته:

- تهذيب اللغة للأزهري(ت٣٧٠هـ)
- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت٣٩٣هـ)
- المحكم لابن سيده (ت٤٥٨هـ)
- حواشي ابن بري(ت٥٨٢هـ) على صحاح الجوهري
- النهاية في غريب الحديث والأثر لعز الدين ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)

يبدو أن غاية ابن منظور من كتابه كانت جمع ما في هذه المصادر الخمسة المتقدمة عليه فيستقصي ما فات على كل منهم ويستدرك نقص ما فاتهم فيجمعه في مكان واحد، ثم يعيد ترتيب المواد وعرضها بصورة يعتقد أنها أنجع وأكثر ترتيبا وتنظيما من طريقة السابقين له، وبذلك تميز معجمه بصفتي (الاستقصاء والترتيب) وإذ كانت المعاجم السابقة – كما يقول هو– تعنى بأحد هذين الأمرين دون الآخر، فقد أخذ على نفسه أن يأخذ ما في مصادره الخمسة بنصه دون خروج عليه، ومن باب تواضعه واعترافه بجهد المتقدمين صرَّح بأن جهده الوحيد في هذا الكتاب هو جمع ما ذكره أصحاب الكتب الخمسة المتقدمة، ولعلنا نلمح في هذه الإشارة محاولة منه للبراءة من تبعة أية أخطاء محتملة بأن ما قد يقع في الكتاب من خطأ هو من الأصول التي نقل عنها، وإن تصرف قليلا في النهاية فغير شيئا من ترتيبها[١]

ومن مواصفات هذا السفر الكبير فضلا عما ذكرنا من السعة والشمول والعرض الجيد للمادة

١ - ينظر: لسان العرب المقدمة : ١\٦-٩

العلمية الآتي:

١. السعة والشمول، فقد أفاد من المقابلة بين الأصول التي اعتمد عليها وتمكن من تدارك النقص الذي وقع فيه الآخرون، وأدخل مفردات جديدة مستحدثة في متن اللغة مما رأى صحة إدخالها لتوافر مقومات الصحة والفصاحة فيها وإن كانت مستحدثة بعد عصر الاحتجاج اللغوي الذي تقيد به النحاة.

٢. العرض الجيد للمادة العلمية: إذ يتتبع المفردات المستعملة من كل جذر لغوي بجوانبها المتعددة ومعانيها المتشعبة مستوعبا المعاني الحسية والعقلية لكل مفردة.

٣. كثرة الشواهد: يعد لسان العرب أغنى المعاجم بالشواهد وتتنوع الشواهد فيه بين آيات قرآنية وحديث نبوي وأبيات شعرية وأمثلة وحكم ونصوص من خطب العرب أو من كلامهم المشهور.

أما القرآن الكريم فيذكر آياته شواهد بليغة أينما أمكنه ذلك، وكذا يذكر قراءاته المشهورة أو الأقل شهرة ويفسر القراءات ويذكر أوجه القراءة وآراء العلماء فيها ويرجح بينها أو يذكر الأولى بالقبول من تلك القراءات مدليا بحجته وموضحا رأيه فيها، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى[١]

وأما الحديث النبوي وهو موضوع هذا البحث فسيأتي تفصيل الكلام فيه ولكنه توسع في مفهوم الحديث الشريف وأدخل حديث الصحابة الكرام مع حديث النبي(ص) وأدخل أيضا حديث الأئمة المعصومين من أهل بيت النبي محمد(ص) مع حديث جدهم فاستشهد بأحاديث لمجموعة من الصحابة وأحاديث للإمام علي الحسن والصادق وغيرهم عليهم السلام أجمعين ومثلما سنذكره مفصلا.

وشمل التوسع في الاستشهاد الشعر أيضا فقد استشهد لشعراء مولدين أو من خارج الحدود الزمنية التي وضعت نهاية لعصر الاحتجاج اللغوي فاستشهد لطائفة كبيرة من الشعراء منهم للفرزدق[٢] والكميت[٣] والطرماح[٤] وبشار[٥] وابن هرمة[٦] غيرهم.

وكان للأمثلة والأقوال الحكمية مكانها في لسان العرب فهي شواهد بليغة على استعمال كثير من المفردات اللغوية[٧].

ولخطب العرب مكانتها بين شواهد ابن منظور في (لسان العرب) يذكر منها ما يجد به حاجة إليها لتعينه على إثبات معنى لمفردة أو استعمال مجازي لكلمة أو اشتقاق صرفي لصيغة ما أو غيرها من

---

١ - ينظر مثلا : لسان العرب :مادة (خطأ): ١\٦٥، ومادة(شنأ) ١\١٠١، مادة(حتت):٢\٢٤، ومادة(سحت)٢\٤١، ومادة(فوت):٢\٦٩، مادة(أيد):٣\٧٦، ومادة(جهد):٣\١٣٣.

٢ - ينظر مثلا : لسان العرب :مادة (درأ):١\٧٥، ومادة(زرأ):١\٨٥، مادة(وبأ):١\١٨٩.

٣ - ينظر مثلا : لسان العرب :مادة (بدأ):١\٣٠، ومادة(رنأ):١\٨٤، مادة(رمم):١٢\٢٥١.

٤ - ينظر مثلا : لسان العرب :مادة (ضنأ): ١\١١٢، ومادة(رمم)١٢\٢٥٦، مادة(أتي):١٤\١٨.

٥ - ينظر مثلا : لسان العرب :مادة (هجأ):١\١٨٠، ومادة(خرس)٥\٦١، مادة(رفض):٧\١٥٧.

٦ - ينظر مثلا : لسان العرب :مادة (هدأ):١\١٨٠، ومادة(نفر)٥\٢٢٦، مادة(جهز):٥\٣٢٦.

٧ - ينظر مثلا : لسان العرب :مادة (جيأ): ١\٥٢، ومادة(حدأ) ١\٥٥، مادة(حلأ):١\٦٠، ومادة(فتت)٢\٦٤، ومادة(كتت):٢\٧٧.

المواطن التي يحتاج فيها إلى أمثلة وشواهد[١].

٤. جودة الضبط: فحرص أبن منظور على ضبط الكلمات من حيث الإشارة إلى تنقيط الحروف المتشابهة مثل (ب ت ث)أو(ح ج خ) وهو نقط الإعجام فيقول مثلا (فيروى بالحاء المهملة)) [٢] أو ((وروي بالصاد المهملة)) [٣]، ومن الناحية الصرفية كان يضبط الكلمات ويشير إلى حركة الحرف حيثما استوجب المقام ذلك الضبط ليبعد المتلقي عن اللبس والاشتباه فيقول مثلا بكسر الباء أو بضم الميم أو بضم الغين أو بفتح الصاد[٤] وغيرها من الإشارات إلى ضبط حروف الكلمة صرفيا لا تشوبها معه شائبة.

٥. عرض الروايات المتعارضة ومناقشتها وترجيح إحداها: أينما وردت روايات مختلفة في اشتقاق كلمة أو رواية بيت من الشعر أو حديث شريف أو قراءة قرآنية فإنه يذكر الاختلاف في ذلك ويستعرض آراء العلماء في اختلاف الروايات ثم يرجح إحداها إذا كان المقام يستوجب الترجيح.

٦. ذكر أسماء الأعلام: ويذكر ابن منظور في ختام كل مادة لغوية ما اشتق منها من أسماء الأعلام للقبائل والأشخاص والأماكن وغير ذلك من أسماء الأعلام، وهذه القاعدة عنده لازمة في كل المواد اللغوية إلا المواد التي لا يجد فيها أسماء أعلام.

هذه بعض الخصائص التي تميز بها (لسان العرب)، حتَّى عدَّ هذا المعجم موسوعة لغوية وأدبية لغزارة مادته العلمية واستقصائه واستيعابه وقيل فيه إنه ((كتاب لغة، ونحو، وصرف، وفقه، وأدب، وشرح للحديث الشريف، وتفسير للقرآن الكريم، فصدق عليه المثل: وإنَّ من الحُسنِ لشقوة)) [٥] وقال **Haywood John** كبير أساتذة الدراسات العربية في جامعة درهام البريطانية: ((وكان لدى العرب مُعجَمٌ شاملٌ هو (لسان العرب) كانت دونه دِقَّةً وشمولا معاجم سائر اللُّغات قبل القرن التاسع عشر))[٦]، ومن أجل هذا اختار البحث معجم (لسان العرب) ليرى من خلاله نظرة اللغويين والمعجميين إلى الحديث الشريف وأفادتهم منه من حيث الاستشهاد اللغوي وتنمية اللغة وتطويرها وبيان مكانته عندهم.

المبحث الأول: أقسام الحديث الشريف في لسان العرب

ذكرنا آنفا أن العلماء المسلمين من فقهاء ومحدثين قد اختلفوا في تحديد مفهوم الحديث الشريف الذي يُعتدُّ به ويُعدُّ حُجَّة في استنباط الأحكام الشريعة، فمنهم من قصره على ما صدر عن النبي محمد(ص) من قول أو فعل أو تقرير، ومنهم من أدخل في الحديث الشريف ما صدر عن الصحابة الكرام، والقسم الثالث جعل الحديث ما صدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير والمعصوم هو

---

١ - ينظر مثلا : لسان العرب :مادة (بعث): ١١٧\٢، ومادة(حجج)٢٢٦\٢، مادة(حوج):٢٤٥\٢.

٢ - لسان العرب :مادة (جرأ) :٤٤\١.

٣ - لسان العرب :مادة (صاصأ):١٠٧\١.

٤ - ينظر مثلا : لسان العرب :٦\٥، ٧، ١٠، ١٢.

٥ - لسان العرب (مقدمة الناشر): ٦\١.

٦ - Arabic Lexicography, Haywood John(Leiden:E.J.Brill,1960) : 5-6 وينظر معه : المعجم العربي بين الماضي والحاضر، د.عدنان الخطيب:٥

النبي (ص) والأئمة الاثنا عشر من أهل بيته عليهم السلام أجمعين.

وإذا تتبعنا ترجمة ابن منظور نجد السيوطي(ت٩١١هـ) قد قال في كتابه (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) في ترجمة ابن منظور بعد مدحه وبيان فضله وسعة علمه ((وعنده تشيع بلا رفض))[١]، ويبدو أن اعتداله وتشيعه لأهل بيت النبي (ص) جعلاه يتوسع في مفهوم الحديث الشريف في معجمه، وبعد التتبع والإحصاء تبيَّن لنا أن ابن منظور رحمه الله كان يستشهد بما صدر عن النبي محمد (ص) من قول أو فعل أو تقرير، ويجمع معه ما صدر عن الصحابة الكرام، ويجمع معه ما صدر عن الأئمة المعصومين من أهل بيت النبي المصطفى عليهم السلام، ولم يكتف بهذا فحسب بل عدَّ ما صدر من أقوال عن الأنبياء السابقين لنبينا عليهم السلام أجمعين من الحديث الشريف، وقد تتبعت هذا الفهم لمعنى الحديث الشريف في(لسان العرب) فوجدته مطردا في كل أجزائه، وبناء على هذا فيمكن أن ننظر إلى أنواع الحديث المستشهد به ونقسمه من جهات عديدة على النحو الآتي:

أولا: أقسام الحديث المستشهد به من حيث صاحبه

وينقسم الحديث في (لسان العرب) من حيث صاحبه على ثلاثة أقسام

القسم الأول: ما صدر عن النبي محمد(ص)، وهذا القسم هو الأكثر انتشارا، إذ يستشهد ابن منظور بقول النبي (ص) وفعله في كثير من المواد وسنذكر بعض المواضع للتمثيل:

- قال ابن منظور في مادة (بسأ):((بسأ: بسأ به يبسأ بسأ وبسوءا وبسئ بسأ: أنس به، ...، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد وقعة بدر: لو كان أبو طالب حيا لرأى سيوفنا وقد بسئت بالمياثل. بسئت وبسأت بفتح السين وكسرها: اعتادت واستأنست، والمياثل: الأماثل. قال ابن الأثير: هكذا فسر، وكأنه من المقلوب.))[٢] استشهد بن منظور هنا بقول النبي (ص) دليلا على استعمال هذه المفردة قليلة الاستعمال في التراث القديم.
- وقال في مادة (بوأ):((بوأ: باء إلى الشيء يبوء بوءا: رجع، ...، والباء: النكاح، ...، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: من استطاع منكم الباءة، فليتزوج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء: أراد بالباءة النكاح والتزويج...))[٣]
- وقال في مادة (محش):((وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: يخرج ناس من النار قد امتحشوا وصاروا حمما، معناه قد احترقوا وصاروا فحما.))[٤]

هذه ثلاثة أمثلة لأقوال مباشرة يرويها عن النبي (ص) فيها دلالة على استعمال بعض المفردات قليلة الاستعمال وهناك مئات الأمثلة الأخرى سترد الإشارة إلى بعض منها في البحث أما استشهاده بأفعاله (ص) فمن أمثلتها:

- ما جاء في مادة (جزأ) ((وفي الحديث: أن رجلا أعتق ستة مملوكين عند موته لم يكن له مال

---

١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١٠٦، وينظر معه : الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ج٩\ق١\٣٠

٢ - لسان العرب :١\٣٤ ، وينظر معه النهاية في غريب الحديث(ابن الأثير) :١\١٢٦

٣ - لسان العرب :١\٣٦ ، وينظر معه : صحيح البخاري:٢\٦،٢٢٩\١١٧، صحيح مسلم :٤\١٢٨

٤ - لسان العرب :٦\٣٤٤ ، وينظر معه : صحيح البخاري:١\١٩٦، صحيح مسلم :١\١١٣، النهاية في غريب الحديث:٤\٣٠٢

غيرهم، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزأهم أثلاثا ثم أقرع بينهم، فأعتق اثنين وأرق أربعة: أي فرقهم أجزاء ثلاثة، وأراد بالتجزئة أنه قسمهم على عبرة القيمة دون عدد الرؤوس إلا أن قيمتهم تساوت فيهم، فخرج عدد الرؤوس مساويا للقيم.)) [١].

- وجاء في مادة (ضيف) قوله:((وفي الحديث: نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن الصلاة إذا تضيفت الشمس لغروب، تضيفت: مالت، ومنه سمي الضيف ضيفا من ضاف عنه يضيف)) [٢]
- وقال ابن منظور في مادة (سما):((وفي الحديث: صلى بنا إثر سماء من الليل أي إثر مطر، وسمي المطر سماء لأنه ينزل من السماء.)) [٣]

يلاحظ أن الاستشهاد في هذه الأمثلة بفعل صادر عن النبي (ص) وليس بقول مباشر له وسما هذا الفعل (حديثا) وهذا يؤيد أن مفهوم الحديث عنده القول والفعل.

ومما استشهد ابن منظور به صفات النبي (ص) الخلقية والخلقية:

- ما جاء في مادة (عضد) قال ابن منظور:((وفي صفته، صلى الله عليه وسلم: كان أبيض معضدا، هكذا رواه يحيى بن معين وهو الموثق الخلق، والمحفوظ في الرواية: مقصدا)) [٤]
- قال ابن منظور في مادة (غدر):((وفي صفته، صلى الله عليه وسلم: قدم مكة وله أربع غدائر، هي الذوائب، واحدتها غديرة.)) [٥]
- وقال أيضا في مادة (أسل):((وفي صفته، صلى الله عليه وسلم: كان أسيل الخد، قال ابن الأثير: الأسالة في الخد الاستطالة وأن لا يكون مرتفع الوجنة.)) [٦]

هذه بعض النماذج لاستشهاد ابن منظور بأقوال النبي(ص)أو أفعاله أو صفاته.

ومن الأمثلة الأخرى لاستشهاد ابن منظور بالحديث الشريف ما نجده من حديث الأنبياء السابقين مثل آدم وموسى وغيرهم عليهم السلام أجمعين، ومن المؤكد أن الكلام الذي ينقله ابن منظور عنهم هو عين ما رواه النبي حكاية عنهم ونقله الرواة في كتب الحديث إلى أن وصل إلى ابن منظور فنقله في معجمه من دون الإشارة إلى رواية النبي له وإنما يرفعه مباشرة إلى الأنبياء السابقين معتمدا على حسن فهم المتلقي والقارئ أن هذا الكلام منقول عنهم بوساطة نبينا محمد (ص) ومن هنا يعد كلامهم حُجَّة لغوية يصح الاستشهاد به لا لأنه حديث موسى وشعيب عليهم السلام، وإنما كونه حديث نبينا محمد (ص) ونذكر من أمثلته الآتي:

- ما نقلة ابن منظور في مادة (سجا) قال: ((وفي حديث موسى والخضر، على نبينا محمد وعليهما الصلاة والسلام: (فرأى رجلا مسجى بثوب)، ابن الأعرابي: سجا يسجو سجوا وسجى يسجي وأسجى يسجي كله:

---

١ - لسان العرب :١\٤٥ ، وينظر معه : صحيح مسلم :٥\٩٧

٢ - لسان العرب :٩\٢١٠، وينظر معه : النهاية في غريب الحديث :٣\١٠٨

٣ -لسان العرب:١٤\٣٩٩،وينظر معه: صحيح البخاري:١\٢٠٥،النهاية في غريب الحديث:٢\٤٠٦

٤ - لسان العرب:٣\٢٩٢، وينظر معه: النهاية في غريب الحديث:٣\٢٥٢

٥ - لسان العرب:٥\١٠، وينظر معه: النهاية في غريب الحديث:٣\٣٤٥

٦ - لسان العرب:١١\١٦، وينظر معه: النهاية في غريب الحديث:١\٤٩

غطى شيئا ما.))[1]، وإذا تتبعنا هذا الكلام المنقول على لسان موسى(ع) نجد البخاري قد نقله كاملا في صحيحه عن ابن عباس عن النبي(ص) وذكر القصة كاملة عن لسان النبي (ص)[2].

- ومثل هذا ما ذكره ابن منظور في (غور) قال:((وفي حديث يحيى بن زكريا، عليهما السلام: فساح ولزم أطراف الأرض وغيران الشعاب، الغيران جمع غار وهو الكهف، وانقلبت الواو ياء لكسرة الغين.))[3] وإذا تتبعنا هذا الكلام نجده في بعض كتب الحديث منتهيا إلى عمرو بن العاص[4]
- ونقل ابن منظور عن عيسى في مادة (عضل) فقال:((وفي حديث عيسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: أنه مر بظبية قد عضلها ولدها، قال: يقال عضلت الحامل وأعضلت إذا صعب خروج ولدها، وكان الوجه أن يقول بظبية قد عضلت فقال عضلها ولدها، ومعناه أن ولدها جعلها معضلة حيث نشب في بطنها ولم يخرج.))[5] وهذا الحديث مروي أيضا في كتب غريب الحديث عن النبي(ص)[6].

وتدخل هذه الروايات وأشباهها ضمن الحديث النبوي الشريف، وإن كان بعضها ينقل من غير الإشارة إلى سندها.

القسم الثاني: ما صدر عن الصحابة الكرام،

لقد روى ابن منظور أحاديث عن مجموعة ليست بالقليلة من صحابة رسول الله(ص)، وعدَّها شواهد لغوية وأدلة على استعمال المفردات بدلالات معينة، من أمثلة ذلك:

- استشهد ابن منظور بكلام أبي بكر (رض)، وقد أحصيت مئة تسعة وأربعين موضعا استشهد به ابن منظور بحديث أبي بكر وبعض تلك المواضع كان أبو بكر (رض) ينقل فيها حديث النبي(ص) فهو راوٍ لحديث النبي(ص)، أما في بعضها الآخر كان الحديث حديثه هو مثال ذلك ما نقله ابن منظور في مادة (مطط):((وفي حديث أبي بكر، رضي الله عنه: أنه مر على بلال وقد مطي به في الشمس يعذب أي مد وبطح في الشمس.))[7].
- واستشهد ابن منظور أيضا بحديث عمر بن الخطاب (رض)، وقد أحصيت سبعمئة وستة وأربعين موضعا استشهد بها ابن منظور بـ(حديث عمر رضي الله عنه)، كان في بعضها ناقلا لحديث النبي(ص) وفي بعضها الآخر كان الحديث يخص عمر بن الخطاب (رض) نفسه، ومنه ما جاء في مادة (طرد)، حيث يقول ابن منظور: ((وفي حديث عمر، رضي الله عنه: أطردنا المعترفين. يقال: أطرده السلطان وطرده أخرجه عن بلده، وحقيقته أنه صيره طريدا. وطردت

---

١ - لسان العرب : ١٤\٣٧١

٢ - ينظر: صحيح البخاري :١\٣٩، ٤\١٢٨، ٥\٢٣٥، مسند أحمد :٥\١١٩.

٣ - لسان العرب: ٥\٣٩.

٤ - ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة :٢٨٠، غريب الحديث :١\١٨٠.

٥ - لسان العرب:١١\٤٥٢.

٦ - ينظر: النهاية في غريب الحديث :٣\٢٥٣

٧ - لسان العرب:٧\٤٠٤، وينظر معه: الفايق في غريب الحديث(الزمخشري):٣\٢٤٧

الرجل طردا إذا أبعدته، وطردت القوم إذا أتيت عليهم وجزتهم.)) (١)

- أما حديث عثمان (رض) فقد أحصيت خمسة وتسعين موردا استشهد فيها ابن منظور بحديث عثمان، ومثل ما تقدم بعضها كان فيها ناقلا لحديث النبي وبعضها الآخر كان الحديث يخصه من ذلك ما نقله ابن منظور في مادة (غثر):((وقيل في حديث عثمان، رضي الله عنه، حين دخل عليه القوم ليقتلوه، فقال: إن هؤلاء رعاع غثرة أي جهال، قال ابن الأثير: وهو من الأغثر الأغبر)) [٢]
- أما حديث علي بن أبي طالب (ع) فكانت له الحصة الأكبر بين حديث الصحابة فقد بلغ مجموع ما أحصيته من المواضع التي استشهد بها ابن منظور بحديث علي (ع) سبعمئة وخمسة وسبعين موضعا منها ما جاء في مادة (غور):((وفي حديث علي: قال يوم الجمل: ما ظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين ؟ أي الجيشين، قال ابن الأثير: هكذا أخرجه أبو موسى في الغين والواو، وذكره الهروي في الغين والياء))[٣]، مثال ذلك: ما جاء في مادة (نمط)، قال ابن منظور: ((وروي عن علي، كرم الله وجهه، أنه قال: خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي.)) [٤]، ومنه أيضا ما جاء في (سعا) قال ابن منظور:((وفي حديث علي، كرم الله وجهه، في ذم الدنيا: (من ساعاها فاتته) أي سابقها، وهي مفاعلة من السعي كأنها تسعى ذاهبة عنه وهو يسعى مجدا في طلبها فكل منهما يطلب الغلبة في السعي.)) [٥] يستشهد ابن منظور بكلام الإمام على استعمال صيغة (مفاعلة) من (سعا) وهذه الصيغة تدل على المشاركة في إيقاع الفعل من طرفين وهي قليلة الاستعمال فاحتج لها بهذا الحديث. وقال ابن منظور في مادة(سجا):((وفي حديث علي، عليه السلام: ولا ليل داج ولا بحر ساج أي ساكن.))[٦] وهذا الكلام لعلي عليه السلام وهو جزء من خطبة له مشهورة أولها: ((الحمد لله المعروف من غير رؤية. والخالق من غير روية، الذي لم يزل قائما دائما إذ لا سماء ذات أبراج، ولا حجب ذات أرتاج، ولا ليل داج، ولا بحر ساج، ولا جبل ذو فجاج، ولا فج ذو اعوجاج، ولا أرض ذات مهاد، ولا خلق ذو اعتماد، ذلك مبتدع الخلق، ووارثه، وإله الخلق ورازقه، والشمس والقمر دائبان في مرضاته، يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد، قسم أرزاقهم، وأحصى آثارهم وأعمالهم، وعدد أنفاسهم وخائنة أعينهم، ...))[٧] والأمثلة تطول في نقل كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المبثوث في لسان العرب والذي كان خير شاهد على فصاحة الألفاظ ودليلا

---

١ - لسان العرب:٣\٢٦٧، وينظر معه: النهاية في غريب الحديث:٣\١١٨

٢ - لسان العرب:٥\٧، وينظر معه: النهاية في غريب الحديث:٣\٣٤٣، الفايق في غريب الحديث:٢\٤٣

٣ - لسان العرب:٥\٣٦، وينظر معه: غريب الحديث(ابن سلام الهروي) ٣\٤٧٥

٤ - لسان العرب:مادة (نمط) :٧\٤١٧ ، وينظر معه : النهاية في غريب الحديث:٥\١١٩

٥ - لسان العرب:مادة (سعا) :١٤\٣٨٥ ، وينظر معه : نهج البلاغة : ١\١٣١، تحف العقول (الحراني) : ٢٠١، النهاية في غريب الحديث:٢\٣٧٠

٦ - لسان العرب:مادة (سجا) :١٤\٣٧١

٧ - نهج البلاغة :١\١٥٨-١٥٩، وينظر مع النهاية في غريب الحديث:٢\٣٤٥

صادقا على دقة معانيها.

- وبلغ مجموع ما استشهد به ابن منظور بحديث عائشة (رض) ثلاثمئة واثنين وستين موضعا منها في مادة(بخع) قال ابن منظور:((وفي حديث عائشة، رضي الله عنها، أنها ذكرت عمر، رضي الله عنه، فقالت: بخع الأرض فقاءت أكلها أي قهر أهلها وأذلهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك.))[١]
- ونقل ابن منظور في مادة (غرر) حديث ابن عمر قائلا:((وفي حديث ابن عمر وذكر الحسن والحسين، رضوان الله عليهم أجمعين، فقال: إنما كانا يغران العلم غرا، والغر: اسم ما زقته به، وجمعه غرور))[٢]
- ونقل في مادة (نبط) قول:((عمرو بن معديكرب: سأله عمر عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم، فقال: أعرابي في حبوته، نبطي في جبوته، أراد أنه في جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط حذقا بها ومهارة فيها لأنهم كانوا سكان العراق وأربابها.))[٣]

وتسمر قائمة الصحابة طويلا فيذكرا من الصحابة أيضا أم أيمن[٤]، وصفية بنت عبد المطلب[٥]، وأبي ذر[٦]، وعروة بن مسعود[٧]، وأبي سفيان[٨]، وابن عمر[٩] وغيرهم.

وجليٌّ للعيان من خلال الأمثلة التي ذكرناها آنفا أن ابن منظور كان ينقل كلام الصحابة الكرام أو أفعالهم ويعدها من (الحديث) الذي يصح الاحتجاج به لغويا وهذه الشواهد لم يكن فيها ذكر لسنة النبي (ص) أو حديثه بل هي شأن خاص بالصحابة ولعل بعضها وقع بعد وفاة النبي(ص) كما في حديث علي الذي نقلته وهو في حربه بصفين، كل هذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن ابن منظور قد توسع في فهم الحديث الشريف وجمع فيه ما صدر عن الصحابة الكرام مع ما صدر عن النبي (ص).

القسم الثالث: ما صدر عن الأئمة المعصومين من أهل بيت النبي(ص)

ويبدو أن ما وصف به ابن منظور من تشيع لأهل بيت النبي المصطفى (ع) جعلته يدرج ما صدر عن الأئمة المعصومين من ذرية النبي (ص) في معجمه وجعلها من الحديث الشريف الذي يصح أن يكون شاهدا لغويا، ولعل السبب الآخر في ذلك أن كلام الأئمة المعصومين كان في ذروة البلاغة والبيان وقد شهد لكل واحد منهم أئمة عصره بتقدمهم في العلم والأدب وأن كلامهم خيط متصل من النبي إلى علي بن أبي طالب إلى الحسن والحسين إلى الأئمة من ولده لم تعيهم خطبة، ولم تفلل لهم حجة، وكان

---

١ - لسان العرب:٨\٥، وينظر معه: النهاية في غريب الحديث ١\١٠٢

٢ - لسان العرب:مادة (غرر) :٥\١٨ ، وينظر معه : النهاية في غريب الحديث:٣\٣٧٥

٣ - لسان العرب:مادة (نبط) :٧\٤١٢ ، وينظر معه : الفايق في غريب الحديث:١\٢٢٣

٤ - لسان العرب:مادة (ذمر) :٤\٣١٢

٥ - لسان العرب:مادة (زبر) :٤\٣١٨

٦ - لسان العرب:مادة (زرر) :٤\٣٢٢

٧ - لسان العرب:مادة (غدر) :٥\٨

٨ - لسان العرب:مادة (ذمر) :٤\٣١٢

٩ - لسان العرب:مادة (غرر) :٥\١٨

كلامهم وبلاغتهم عليهم السلام مثلا سائرا في كل وقت، وقد حفلت كتب الأدب والتاريخ والتراث بمئات من الأقوال الحكمية لأئمة بيت النبي المعصومين فكيف لا يستشهد بها ابن منظور وأئمة اللغة، ونذكر بعض النماذج مما جاء في (لسان العرب)

- أما كلام الإمام علي أمير البلاغة والبيان العربي والذي قيل في كلامه أنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين فقد استشهد به ابن منظور كثيرا وشاع في معجمه وقد ذكرت قبل قليل أن استشهاد ابن منظور بكلامه (ع) كان أكثر من حديث أي واحد آخر من صحابة النبي الكرام أو أهل بيته المعصومين.
- وكذا ذكر ابن منظور أحاديث للإمام الحسن بن علي (ع) من ذلك ما ذكره في مادة (أنب):((ومنه حديث الحسن بن علي لما صالح معاوية، رضي الله عنهم، قيل له: سودت وجوه المؤمنين. فقال: لا تؤنبني.)) [١] وما نقله في مادة(صبا)قال ابن منظور: ((وفي حديث الحسن بن علي، رضي الله عنهما: والله ما ترك ذهبا ولا فضة ولا شيئا يصبى إليه)) [٢]، وقد أحصيت واحدا وعشرين[٣] حديثا من كلام الحسن بن علي(ع) استشهد بها ابن منظور في معجمه سوى عشرات الأحاديث التي ينقلها عن بهذه الصيغة ((وفي حديث الحسن عليه السلام))أو يقول:((وفي حديث الحسن عليه السلام))[٤] وهو يريد به الحسن بن علي(ع) أيضا
- واستشهد أيضا بأحاديث للحسين بن علي(ع): فقال في مادة (فرم):((وفي الحديث: أن الحسين بن علي، عليهما السلام، قال لرجل عليك بفرام أمك، ...، وفي حديث الحسن، عليه السلام: حتى لا تكونوا أذل من فرم الأمة))[٥]
- واستشهد بحديث الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) في مادة (بري) قائلا:((وفي حديث علي بن الحسين، عليه السلام: اللهم صل على محمد عدد الثرى والورى والبرى، البرى: التراب.)) [٦] وأحصيت له ثلاثة عشر موضعا استشهد فيها بحيث علي بن الحسين قولا أو فعلا أو صفة من صفاته[٧].
- وكذلك استشهد ابن منظور بحديث الإمام محمد بن علي الباقر(ع) في تسعة مواد[٨]، منها جاء في مادة (زلف) ((وفي حديث الباقر: ما لك من عيشك إلا لذة تزدلف بك إلى حمامك أي تقربك إلى موتك، ومنه سمي المشعر الحرام مزدلفة لأنه يتقرب فيها.)) [٩]

---

١ - لسان العرب : ١\٢١٧

٢ - لسان العرب :١٤\٤٥١

٣ - ينظر لسان العرب :١\١٥٠، ٢١٧-٢\٢٩٤، ٤٦٨، ٦٤٠-٣\١٧٨-٤\١٧٩، ٢٥٩، ٤٩٠-٥\٨٣، ٩١ – ٧\١٠، ١٦٧-٨\٣٨، ٤٦ – ١٠\٣٥، ٣٨٧-١٣\١٧٥-١٤\٣٥٩، ٤٥١، -١٥\٣٩٤.

٤ - ينظر مثلا :لسان العرب :١٠\٤٠٦، ١٣\٨

٥ - لسان العرب :١٢\٤٥١

٦ - لسان العرب :١٤\٧١

٧ - ينظر:لسان العرب :١\٥٦٤، ٦٣١-٤\٧٤، ٢٣٨، ٤٥٠-٧\٢٥٨، ٣٩٥ ٣٩٨-١٣\١١٤، ٤٨٦-١٤\٧١، ٢٦١.

٨ - ينظر لسان العرب : ١\٤٤٠، ٣\١٦٦، ٤٠٨، ٩\١٣٩، ١١\٣٤٤، ١٤\٢٨٨، ٣٥٨.

٩ - لسان العرب :٩\١٣٩.

- واستشهد أيضا بحديث الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) في أحد عشر موضعا[1]، منها ما ذكره في مادة (عرا):((وفي الحديث: شكا رجل إلى جعفر بن محمد، رضي الله عنه، وجعا في بطنه فقال: كل على الريق سبع تمرات من نخل غير معرى، قال ثعلب: المعرى المسمد، وأصله المعرر من العِرَّة، وقد ذكر في موضعه في عرر.)) [2]

إلى هنا يقف ابن منظور عن الاستشهاد بحديث أئمة أهل بيت النبي عليهم السلام، ولم اعثر في (لسان العرب) على شواهد من حديث الإمام موسى بن جعفر الكاظم أو ابنه علي بن موسى الرضا أو ابنه محمد بن علي الجواد أو ابنه الحسن بن محمد العسكري.

إن ما ذكرناه فيما تقدم من أمثلة ابن منظور واستشهاده بحديث الأئمة المعصومين من آل بيت النبي المصطفى (ص) تدل على ما قلناه في بداية حديثنا من أن ابن منظور قد توسع في مفهوم الحديث الشريف، فجمع مع حديث النبي حديث الصحابة الكرام وحديث أهل بيته الأئمة المعصومين، وكان حديثهم عنده محل ثقة وإثبات للمعاني اللغوية التي ترد بها المفردات، وكذا يستشهد بكلامهم لإثبات المعاني المجازية للألفاظ، ويعد كلامهم في منتهى الفصاحة والبلاغة ويضعه موضعا رفيعا.

أهم نتائج البحث والخاتمة:

١. كان موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف كشاهد نحوي وصرفي يتراوح بين المنع المطلق والإطلاق التام، وكان موقف بعض منهم غامضا في هذه المسألة، على أن الأوائل من النحاة قد استشهدوا به على قلَّة.
٢. اتسم موقف اللغويين والمعجميين العرب من الاحتجاج بالحديث الشريف بالوضوح فمنذ البدء أخذوا به وعُدَّ الحديث الشريف واحدا من الشواهد اللغوية المهمة في عملية ضبط اللغة وبيان معاني المفردات.
٣. اتسم معجم (لسان العرب) لابن منظور بمميزات مهمة من حيث سعته وشموله واستقصائه لمفردات اللغة العربية ودقته في ضبطها وشرح دلالاتها ومعانيها حتى كان خزَّانا كبيرا للغة العربية وآدابها ومصدرا دالا على تراثها الحضاري والثقافي.
٤. توسع ابن منظور في مفهوم الحديث الشريف ليدخل معه - فضلا عمَّا صدر عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير- أدخل معه حديث الصحابة الكرام وأفعالهم وأدخل أيضا حديث الأئمة المعصومين من أهل بيت النبي محمد(ص) مع حديث جدهم فاستشهد بأحاديث لمجموعة ليست قليلة من الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) وأحاديث للإمام علي الحسن والحسين والباقر والصادق عليهم السلام أجمعين.
٥. أحصى البحث (٦٥٥٨) مرَّة استشهد فيها بحديث نبوي و كانت أغلب الأحاديث النبوية التي استشهد بها ابن منظور أحاديث قوليه للنبي محمد (ص) في حين كانت الأحاديث الفعلية قليلة وقد بلغت النسبة بينهما (٩١%) أحاديث قولية و(٩%) أحاديث فعلية.

---

١ - ينظر: لسان العرب :١\٣٨، ٤\٨١، ٤٥٠، ٥٥٨، ٦\٣٣٦، ٨\٩٨، ٤١٥، ١٠\٥٧، ١٢\١٨٩، ١٣\٥٦٠، ١٥\٥١.

٢ - لسان العرب :١٥\٥١.

٦. كان أكثر الصحابة الذين استشهد ابن منظور بحديثهم الإمام علي بن أبي طالب (ع) وقد بلغت أحاديثه(٧٧٥) حديثا ثم يأتي من بعده عمر بن الخطاب(رض) الذي بلغت أحاديثه (٧٤٦) حديثا ثم أم المؤمنين عائشة (رض) الذي استشهد لها بـ(٣٦٢) حديثا، ثم أحاديث عثمان بن عفان (رض) التي بلغت أحاديثه (٩٥) حديثا وأبي بكر(رض) (٤٩) حديثا.

٧. كان الإمام علي (ع) أكثر الأئمة من أهل بيت النبي(ص) المعصومين الذي اسشتهد ابن منظور بحديثهم يأتي من بعده ابنه الحسن (ع) في(٢١) حديثا، ثم زين العابدين علي بن الحسين (١٣) حديثا ثم الصادق(١١) حديثا ثم الباقر في(٩) أحاديث.

٨. (٦٠%) من مواد (لسان العرب) تحتوي على شواهد من الحديث الشريف. وقد بلغت نسبة الحديث الشريف إلى مجموع الشواهد الأخرى في (لسان العرب) (٣٢%)، أي قرابة الثلث من شواهد المعجم. وبذا يكون الحديث الشريف في المرتبة الثانية بعد الشعر.

٩. (٦%) من مواد المعجم تعتمد في شواهدها اللغوية على الحديث الشريف فقط دون سواه، و(١٧%) من مواد المعجم يتفوق فيها الحديث الشريف على الشعر بوصف شاهدا لغويا، و(٢٣%) من مواد المعجم يتفرد فيها الحديث الشريف أو يفوق الشعر أو يساويه في كونه شاهدا لغويا.

١٠. تنوعت أغراض ابن منظور من الاستشهاد بالحديث الشريف بين الاستئناس به في إثبات دلالة اللفظ على معناه أو إثبات استعمال مفردة غريبة وبيان معناها أو لاثبات صيغة صرفية أو استعمال تركيب نحوي وقد يكون استشهادا بلاغيا لبيان فصاحة كلمة أو استعمالها على نحو المجاز لا الحقيقة أو ذكر تشبيه أو استعارة أو كناية.

١١. تنوعت معالجة ابن منظور للحديث الشريف بين الإشارة إليه فقد دون أي شرح أو تعليق، أو ذكر الحديث مع بيان بسيط لمفردة فيه، أو ذكره مع شرح مطول للحديث كله، أو ذكر الحديث والاستطراد في ذكر أحكام فقهية أو عقدية متعلق بالحديث وذكر أقوال العلماء فيه وقد ينتهي إلى ترجيح أحد أقوالهم.

ختام ما تقدم لقد كان الحديث الشريف ثاني الموارد التي نهل منها المعجميون العرب بعد الشعر العربي وقد أخذوا من الحديث كثيرا جدا من دلالات الألفاظ وبيان صيغها الصرفية والإشارة إلى معانيها الحقيقية والمجازية بما يدلل بوضوح على موقف موحد عند المعجميين العرب من الاحتجاج بالحديث الشريف والاعتماد عليه وتقديمه وتقديسه فهو نموذج للكلام العربي الفصيح والبليغ يقع في المرتبة الأولى بين مراتب كلام البشر، وقد أغنى الحديث الشريف اللغة العربية وأنماها ووسع مواردها وأمدها بمفردات جديدة ومعان متفردة وصيغ لطيفة خدمت كلام البلغاء واتخذوها من بعد جزءا من لغتهم الأدبية.

وأني لأدعو في ختام البحث أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية والإسلامية والباحثين اللغويين جميعا إلى مواصلة البحث في الحديث الشريف ودراسته دراسات سياقية ودلالية حديثة للتعرف على أهم مميزاته، وما تفرد به، والكشف عن إضافات الحديث النبوي للغة العربية. شاكرا قسم اللغة العربية في جامعة كيرالا الهندية على إتاحة هذه الفرصة للباحثين للقاء والتشاور في شأن

الحديث النبوي بما يخدم الأمَّة الإسلامية والحفاظ على حضارتها العتيدة.

المصادر والمراجع:

- الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقي الحكيم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.
- البيان والتبيين البيان والتبيين: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠هـ . ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- تأويل مختلف الحديث: تأليف فقيه الأدباء وأديب الفقهاء الإمام أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ). دار الكتب العلمية بيروت – لبنان
- تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من أعلام القرن الرابع، عني بتصحيحه والتعليق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٣٦٣ - ش ١٤٠٤ - ق مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران).
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
- جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال، فخر الدين الطريحي، تحقيق:محمد كاظم الطريحي، مطبعة الحيدري طهران.
- الخصال للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: العلامة الشيخ آقا بزرگ الطهراني، دار الأضواء بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م
- سنن الترمذي:الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(٢٠٩ – ٢٧٩هـ)، حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر.
- سنن الدارقطني: تأليف الامام الحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) علق عليه وخرج أحاديثه مجدي بن منصور بن سيد الشورى دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- سنن الدارمي، عبد الله بن بهرام الدارمي(ت٢٥٥هـ)، مطبعة الاتدال، دمشق ١٣٤٩هـ.
- السنن الكبرى: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان
- سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هجرية - سنة ١٩٣٠ ميلادية
- الشاهد اللغوي (بحث)، يحيى عبد الرؤوف جبر، مجلة النجاح للأبحاث، الصادر عن جامعة النجاح الوطنية، القدس، المجلد الثاني، العدد السادس، ١٩٩٢.

- الصاحبي في فقه اللُّغَة وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت، ١٩٦٤م . ١٣٨٤هـ
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الارنؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
- صحيح البخاري الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
- صحيح مسلم: الجامع الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري، دار الفكر بيروت لبنان.
- الصناعتين الكتابة والشعر: تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧١م.
- علم اللغة العام وصناعة المعجم، الدكتور علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (٣٩٠هـ . ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ) طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م
- الفائق في غريب الحديث تأليف العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٨٣ هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين الجزء الأول دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ) ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ بكري حياني * الشيخ صفوة السفا، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
- لسان العرب:للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري(ت٩١١هـ)، نشر أدب الحوزة قم - إيران (١٤٠٥ هـ ق)
- المجازات النبوية: تأليف الشريف الرضي ٤٠٦ هـ - ١٠١٥ م بتحقيق وشرح فضيلة الدكتور طه محمد الزيني الأستاذ بالأزهر منشورات مكتبة بصيرتي قم - شارع إرم.
- المجموع: شرح المهذب: للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦ هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان.
- مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، د.حسن الحكيم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق،

الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠١٠م.

- المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، بإشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة بيروت - لبنان.
- مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت لبنان.
- المعجم العربي بين الماضي والحاضر، الدكتور عدنان الخطيب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الثانية١٤١٤هـ -١٩٩٤م
- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو اسحق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي(ت٧٩٠هـ)، المطبعة الرحمانية مصر.
- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، الدكتورة خديجة الحديثي،، وزارة الثقافة والإعلام العراقية دار لرشيد للنشر بغداد، ١٩٨١م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطانحي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر، قم إيران، الطبعة الرابعة، (١٣٦٤هـ ش)
- نهج البلاغة: اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
- الوجيز في أصول الفقه، الدكتور عبد الكريم زيدان، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة:الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر - قم، إيران، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ ق)
- Arabic Lexicography, Haywood John(Leiden:E.J.Brill,1960)

٥. الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف

الأستاذ الدكتور: خذري علي

(جامعة باتنة، الجزائر)

الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف

إن تناول الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف بالدراسة والتحليل، يعد امرا في غاية الأهمية، لأنه لا يتسنى لأحد فهمه وتذوق معانيه وجمالياته الفنية، ما لم يكن ملما بأساليب اللغة ومتابعا لتطور مدلولات ألفاظها وعارفا بشؤون البلاغة، ومضامينها المعرفية والشرعية، ولكي يتسنى ذلك لابد من "فهم السنة فهما صحيحا، والتأكد من مدلولات الألفاظ التي جاءت بها السنة، فإن الألفاظ تتغير دلالتها من عصر لآخر، ومن بيئة لأخرى، وهذا أمر معروف لدى الدارسين لتطور اللغات وألفاظها، وأثر الزمان والمكان فيها[١].

ويعد الحديث النبوي من أرقى النصوص فصاحة وأكثرها بيانا وحجة، وهو ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (أنا أفصح العرب غير أني من قريش، ونشأت في بني سعد من بكر...)[٢]، إلى جانب حكيم البيان وفصيح اللغة، فإن أسلوبه يقترب من لغة الحياة اليومية للمسلمين في كل أحاديثهم ومخاطباتهم، فهو كما أشار مصطفى الزرقاوي يمتاز "بخلوه من الحشو، ومن الصور الخطابية العاطفية التي تعتمد على العاطفة وحدها دون العقل، وأنه يتجلى في أسلوب الحديث النبوي العقل الناطق بأبلغ وأوجز تعبير معتاد"[٣]، والإيجاز ومخاطبة العقل، خاصيتان من أهم الخصائص التداولية المعاصرة، التي تهتم بإبلاغ الفكرة دون حشو، وإطناب للفائدة والمنفعة وكل هذه الخصائص متوفرة في الحديث النبوي الشريف الذي "يعد في القمة من البلاغة العربية، وهو نموذج فريد للبيان العربي الدال والمفيد"[٤]، وتتجلى الإفادة هنا من خلال محتويات الأحاديث النبوية الشريفة، وفي نوايا الرسول صلى الله عليه وسلم ومقصده، إذ أراد أن يصل إلى قلوب المسلمين وعقولهم، ليبلغ تشريعات ربانية ويقرر أحكاما إلهية تكون بمثابة الدستور الذي ينظم حياة المسلمين، معتمدا في ذلك على مجموعة من الخصائص التداولية المتضمنة في الحديث حسبما يقتضيه المقام.

وسنحاول تقديم قراءة تفسيرية جمالية من خلال هذه العناصر:

أولا: معجزة البيان النبوي

لقد بعث الله عز وجل رسوله في أمة تعتز بالفصاحة وتتبارى في البلاغة وتمجيد البيان وتعلي من شأنه، فهي تسمو بأهل الإجادة والبراعة فيه إلى أعلى مناصب الرفعة والتكريم، وكان الكلام هو صناعتهم التي بها يفاخرون ويتباهون فهم "أصحاب صناعة بارزة في فنون القول" وأن هذه الصناعة

---

[١] د.يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص ١٧٩.

[٢] د. عبد الفتاح لاشين، من بلاغة الحديث، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢، ص ١٢.

[٣] د.مصطفى الزرقاء، مقاربة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن، مجلة الأدب الإسلامي، العدد السابع، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مطابع مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥، ص ٦٣.

[٤] المرجع نفسه

كانت رائجة جدا، وقد نزلوها منزلة المقدس[1]، لذا كانت معجزة الرسول(ص) من جنس ما يشغل فراغ القوم ويأخذ بألبابهم، فبهرهم بجزالة المعنى وفخامة اللفظ وحسن السياق وإحكام النظم، فخر أئمة البيان صاغرين أمام روعته وأذعنوا لإعجازه وهكذا قضت الحكمة الإلهية أن يكون كلامه- صلى الله عليه وسلم، بليغا حتى يبلغهم رسالة ربه ويهديهم عقائدهم، ويغير ما ألفوه من عادات وما ورثوا من تقاليد.

فإذا كان القول أمرا لازما لكل رسول، فهي بالنسبة لرسولنا صلى الله عليه وسلم أشد لزوما وأقوى حجة وأعظم أثرا، ومن هنا كان التأييد الإلهي لنبيه صلى الله عليه وسلم بمعجزة البيان إضافة إلى معجزة القرآن.

ولعل ذلك ما حدا بالدكتور محمد شاكر أن يقول: "إن اتساع الفكرة في هذا النص ثم ببساطتها، ثم خفاء موضع الفلسفة العالية فيها، ثم تغلغل النظرة الفلسفية إلى أعماق الحقيقة الحية في الكون هو رأس ما يمتاز به كبار الأفذاذ والبلغاء... وليس في العربية من هذا النوع إلا معجزتان إحداهما: القرآن والأخرى ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففيهما وحدهما تبليغ الفكرة في نفسها ثم بتعبيرها وألفاظها وكلماتها وبهذا كان القرآن معجزة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبمثله كان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، هو ذروة البلاغة البشرية التي تنقطع دونهما أعناق الرجال"[2].

وقد أحدث الحديث الشريف انقلابا في المنظومة الثقافية العربية، وتراجع النص الشعري- الذي وصل مع المعلقات والشعر الجاهلي إلى قمة اكتماله الفني والجمالي- لحساب النص القرآني والحديث النبوي الشريف اللذان قدما بدائل جديدة وقوض أركان الشعر الجاهلي وقيمه الجمالية والتعبيرية، والحق "أنه قد أحدث انقلابا هائلا في الأدب العربي بتغييره الأداة الفنية في التعبير، فمن ناحية قد جعل الجملة المنظمة في موضع البيت الموزون، وجاء من ناحية أخرى بفكرة جديدة، أدخل مفاهيم جديدة، لكي يصل العقلية الجاهلية بالتوحيد"[3].

ومن مظاهر الإعجاز الأسلوبي والبيان في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه كان يخاطب كل قبيلة بلغتها مهما كانت طبيعتها مختلفة، بل الأعجب من كل ذلك أنه كان صلى الله عليه وسلم يحاورها بأرفع أسلوب عرفته لهجاتها، وكأنه نشأ فيها وأقام بينها، مع العلم أنه لم يسبق أن التقى بها أوزارها في ديارها.

لذلك يصح القول أن المسألة –هنا- تتعدى نطاق البلاغة التي يحققها الفرد بموهبته الفكرية صقلا وتهذيبا، إلى معجزة من معجزات النبوة، وإلا كيف نعلل هذه البلاغة الفائقة في لهجات ومصطلحات لم تألفها البيئة، التي نشأ فيها، فهو لم يتلق علما من بشر، ولم يصاحب عالما، ولم يجلس في حياته بين يدي مربي، ولم يقرأ كتابا، وكانت البيئة كلها يخيم عليها الجهل والغي والطيش

---

[1] د. حسين خمري، نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، ؤط١، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٨٣.

[2] د. محمد شاكر، بلاغة الأسلوب النبوي، مجلة الأزهر العدد٥، ص ٨٩.

[3] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، المركز الثقافي بيروت، ص ١٨٠.

والسفه، ولكنه علمه ربه فأحسن تعليمه قال تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"[١].

فهذه الفصاحة التي بهر بها العقول وأذهل بها النفوس، إنما هي منحة إلهية، فقد كان يتلقى ذلك عن طريق الإلهام مصداقا لقوله تعالى: (وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما)[٢].

فقد كان الصحابة، وهم قمة فصحاء هذه الأمة بعده، يتعجبون من كلامه، وهو يتحدث بألفاظ لم يسمعوا بها قط، وقد قال له علي بن أبي طالب يا رسول الله "نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره" فقال عليه الصلاة والسلام "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[٣].

ولم يكن مصدر إعجاب الصحابة من غرابة الحديث وألفاظه، فقد كان أبعد الناس عن الغريب والحوشي، ولكن "جعل الله غرابة كلام نبيه أحيانا في فقه معانيه ولطف استعاراته وتماسك لبناته وتجميع كلماته ودقة تشبيهاته وإحكام تطابقها"[٤].

كما تجلت خصائص النبوة في تلك الألفاظ الموجزة التي تأخذ من سامعها كل مأخذ، فتغير من شأنه هادية إلى الجادة بعد انغماس في تيه وضلال، إلى جانب ذلك أنه وضع كثيرا من المفردات والألفاظ الجديدة "فكان يقتضب ويشتق وينهج المذاهب البيانية، ويرتجل الأوضاع التركيبية ويصنع الألفاظ الاصطلاحية، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنة من حسنات البيان، وسرا من أسرار اللسان، يزيد في ميراث اللغة ويرفع من قدر الأدب، ناهيك بما استحدثه من أساليب الدين وألفاظ الشريعة مما لم يأت بها كتاب"[٥].

ويجمع الرافعي بعض جوامع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، في معرض ما جاء به من ألفاظ جديدة "الآن حمي الوطيس" وقوله "مات حتف أنفه" "وكل أحاديثه تتسم بالبلاغة والحكمة البريئة من التعقيد والعي والخطل وسلمت من الاستعانة بما لا حقيقة له، كالمجاز البعيد، كما نأت عن ضروب الإحاطة وفساد التركيب"[٦].

فأقواله ليست بالأقوال العادية التي يحيط بها نطاق القول، فقد أوتي من الأسلوب السهل المعجز ما لم يؤتيه معلم أو متعلم ممن دانت لهم العربية وملكوا زمامها، فله جوامع الكلم، فالناظر في حواره يجد صورة وضاءة لهذا الإعجاز، فحواره أخذ بكل أسباب القول الوسيم الرقيق والأسلوب العذب الأنيق السهل الممتنع[٧].

---

[١] سورة اقرأ الآيات ١-٢-٣-٤-٥

[٢] سورة النساء الآية ١١٣.

[٣] مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٨، مكتبة رحاي، ١٩٣٧، الجزائر، ص ٣١٧.

[٤] د. محمود النووي، مجلة الأزهر، ربيع القافي، ج٤، ١٩٩٦، ص ٤٣١.

[٥] د. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة س، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٣٢.

[٦] د. محمد بن سعد الدبل، الخصائص الفنية في الأدب النبوي، ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٧، ص ٢١٩.

[٧] د. مصطفة الشكعة، البيان المحمدي، المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠٨.

يقول السرطاوي عن هذا الأسلوب "إن أسلوبه قد أعجز العرب وهم أئمة الفصاحة والبيان عن أن يقلدوه، كيف لا وهو النبي الكريم المؤيد بوحي الله في كل ما ينطق أو يفعل أو يقرر"[١].

وهذا ما كان أيضا في رسائله التي أرسل بها إلى النجاشي النصراني والي كسرى، وكانت كل رسائله يراعي فيها مقتضى الحال فتتجلى فيها الدقة وإصابة الهدف مع الإيجاز والوضوح[٢].

إن عشرات الرسائل التي يكتبها صانعوا الفن، لا تسمو إلى رسالة واحدة أرسلها فصيح مطبوع، هو محمد صلى الله عليه وسلم، "وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون"[٣].

ومن هنا تكمن قوة بيانه وأسلوبه الرزين وشدة إتقانه وعلو شأنه في اللغة التي هي المنح التي يهبها خالق الإنسانية لمن اختاره لسفارة عباده، ولذلك فقد عدل لسانه وقوم بيانه وأرهف منطقه، يقول حسان جاد عن هذه البلاغة المعجزة "أنها تتمثل في قمة إعجازها وتتجلى حكمته البالغة في المثل السائر والصائب، والكياسة الرشيدة والقيادة الحكيمة لأزمة النفوس الشاردة وأعنة القلوب الجامحة"[٤].

وهكذا نرى هذه النماذج البيانية في أروع صورها في أقواله وحواراته ورسائله وأمثاله نبراسا للبلغاء بها يستضيئون ونبع للفصحاء منها يرتوون، وهي في قمة الإعجاز الأسلوبي البشري، لذلك قال بإعجاز يته كثير ممن تصدوا لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم قال الماوردي "لو كان به التحدي كان معجزا ولا يكون مع عدم التحدي معجزا"[٥]. وقال الباقلاني "لا معنى لقول من ادعى أن كلام النبي خير معجز وأن كان دون القرآن في الإعجاز"[٦]. ويرى مصطفى الشكعة على بشريته أنه معجز إذا ما قورن بغيره[٧].

ومما تقدم يتبين أن نص الحديث الشريف بتجاوزه وتخطيه للأجناس القولية السائدة، قد أصبح النص النموذج بعد القرآن-الذي تحول إلى محور لكل النصوص الثقافية التي تتحرك في سياقه وفضائه سواء لتدعيم تفوقه أو لقراءته وتفسيره، وبهذا "ندرك إلى أي مدى كان نص الحديث النبوي مدار النقاش في كل ما يتصل بالبيان وفنية القول بعامة، وبالشعر والنثر خصوصا، إنه كان قضية أدبية فنية، إلى جانب كونه قضية نبوية دينية"[٨].

ثانيا: الفصاحة والبلاغة النبوية

---

[١] د. معاد السرطاوي، دراسات في الأدب العربي، ط١، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ١٩٩٨، ص ٩٠.

[٢] مصطفى الشكعة، البيان المحمدي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١١، ١٧٤.

[٣] سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

[٤] د. حسن حاد، مقارنة بين أسلوب القرآن والحديث وتأثيرها في النفوس، مجلة الأزهر، ص ١١.

[٥] الماوردي، أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٩٣.

[٦] الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٩١.

[٧] مصطفى الشكعة، البيان المحمدي، المرجع السابق، ص ٥٢٤.

[٨] أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥، ص ٤١.

يعد حديث النبي صلى الله عليه وسلم نصا أدبيا في الذروة من البيان لا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وبيانا، فحينما نقرأ حديثه نحس من لين قوله وحلاوة عبارته ووضح نفسه وهدوء صوته، وراء لسانه عقلا نقيا وقلبا ذكيا مشوقين مقبلين عليه مرتاحين له فما السر في ذلك؟

إن كلامه صلى الله عليه وسلم، أشرف كلام بعد كلام الله وهو المصدر الثاني للبلاغة يقول أبو حيان "فهو السبيل الواضح والنجم اللائح والقائد الناصح والعلم المنصوب والأمم المقصود، والغاية في البيان والنهاية في البرهان والمفزع عند الخصام والقدوة لجميع الأنام"[١].

ولقد أوتي من الفصاحة والبيان ما لم يدانيه أحد فيه، إذا تكلم أوجز وأطنب، تطرق إلى أبواب لا يحسنها سواه في عذوبة خلاقة وأسلوب بديع واضح فصيح.

فهل وعينا مزية هذه الفصاحة، أكانت اكتسابا أم فضلا من الله؟ ما من شك، من أن كل ذلك من الله، ولقد ساندت في بنائها أقوى العوامل وتعاونت على إذكائها أبلغ المؤثرات، إذ نشأ في أفصح القبائل وخالط في حياته بطون قريش والأنصار، مع سمو الفطرة وقوتها، "إن هذه النشأة اللغوية النقية الخالصة التي صقلت موهبة الرسول صلى الله عليه وسلم الفذة التي لا نظير لها في المواهب البشرية، تقلب في أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا فكان مولده في بني هاشم وأخواله في بني زهرة ورضاعه في بني سعد، ومنشأه في قريش"[٢].

كل هذا إعداد من الله لنبيه وتدعيما لفطرته حتى يفقهوا قوله، فكان في الصميم من بني هاشم ممن ملكوا زمام الفصاحة في العرب واستبدوا بمزايا الأدب، ولذلك كانت القبائل تتنافس عن تقليدها، والأخذ عنها.

وتعد بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، من عجائب البلاغة وجواهر العربية مما لا يوجد في غيره، والمتأمل في أقواله يتحقق أنها صادرة عن قلب نبي لا عن قلب رجل عادي، "كلام قيل لتصير به المعاني إلى حقائقها فهو من لسان وراءه قلب، وراءه نور، وراءه جل جلاله"[٣].

إذ هي بلاغة نبي لا بلاغة بشر ممن يتوارثونها أو يكتسبونها اكتسابا، ويدعم هذا الزمخشري بقوله" إنها بلاغة من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الناس عن وزنه وتقصر مقاييسهم عن قياسه، فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم انتشاءه وإنما نعلم خبره، وهل يجسد في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة"[٤].

---

[١] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ط١، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، ١٩٦٤، ص ١٤.

[٢] مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، المرجع السابق، ص ٢٨٥.

[٣] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية.ص ١٨٠

[٤] المرجع نفسه.

فجوهر بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم لا يدرك ولا يعرف سره، وإنما يستشعر أثره في النفوس، كما تصف عائشة أم المؤمنين "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن الحديث كسردكم"[١].

ولذلك ظل كلامه بعيدا عن الوحشي والغريب النافر والبعيد المعقد، وقد كان يكره التكلف والتقعير والإسهاب والفضول، وقد كانت ملاحظة الجاحظ دقيقة عند قوله "لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم، فلم تؤخذ عليه هفوة يعبر بها، أو زلة لسان أو عثرة قدم تنقص مكانته، ولا كلمة غيرها أولى منها ولا جملة زادت أو نقصت عن حاجتها ما استطاع أحد أن يأخذ عليه ذلك"[٢].

أضف إلى ذلك استمساكه في بيانه بالمثالية الخلقية، فهو متقيد بالصدق في القول بما يعرفه، فقال: "إن من أخيركم أحسنكم خلقا"[٣].

فقد اجتمع الكلام في كلامه السابق مع قلة ألفاظه واتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعضد، واطراد ذلك في كل المعاني التي يوردها مما لا قبل لأحد قبله، "ذلك كان توفيقا لا إقلالا وإصابة لا عجزا، دليلا على أنها بلاغة مبعثها الوحي"[٤].

والمتأمل في حديثه صلى الله عليه وسلم، يستخرج منه لآلىء، كلما أعاد النظر فيه ظهرت له أشياء جديدة لم تظهر له من قبل، وهذا يدل على كثافة النص النبوي بالمعاني التي لا يمكن أن نكتشفها في القراءة الأولى، وإنما يحتاج إلى أكثر من قراءة للوقوف على دلالته وجمالياته الفنية والبيانية.

وفكرة تعدد الدلالات بالنسبة للحديث النبوي يؤكد مقولة قبول النص لعدد لا يحصى من القراءات، حيث تتناول كل قراءة مستوى واحدا أو عدد من المستويات كموضوع للقراءة والمعاينة، وتعدد المستويات وتنوع الأصعدة السيميائية لا يعني انغلاق كل صعيد أو مستوى على نفسه، بل يعني انفتاحه على غيره من المستويات وعلى الواقع.

ثالثا: خصائص البلاغة النبوية:

١-الإيجاز:

إن المتتبع لأقواله صلى الله عليه وسم، يلاحظ استخدامه لوسائل مختلفة وفنون متنوعة لتبليغ رسالته وإفهام متلقيه، فقد كان يتوخى الوضوح دائما في كل أحاديثه، حتى يحقق الفهم، ويصل إلى قلوب وعقول أكبر عدد من المسلمين، لأن هدفه الرئيسي هو الإبلاغ والتأثير دون تكلف ولا غموض، ويضاف إلى ذلك كله الإيجاز، حيث اعتمد جملا قصيرة تحمل بين طياتها معاني دقيقة، ومؤدية

---

[١] مصطفى الصادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص٩.

[٢] الجاحظ، البيان، ط١، تر: علي أبو معجم، مكتبة الهلال، بيروت، ص ١٢.

[٣] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، مطابع كتاب الشعب، القاهرة، ص ٤٥٨.

[٤] محمود النواوي، الحديث النبوي، مقاصده، ألفاظه، معانيه، مجلة الأزهر، ربيع الثاني، ج٤، القاهرة، ١٩٩٦.

للغرض بعيدة عن الحشو والإطناب ونلمس ذلك في قوله "بعثت بجوامع الكلم"[١]. وهي جملة قليلة اللفظ لكنها واسعة المعاني تشمل النواحي المادية والنفسية.

وهذا مثال آخر من إيجازه الذي يتميز بقوة التعبير وامتلاء اللفظ وشدة المعنى "وإن من البيان لسحرا"[٢]. وهذه العبارة ذات الحمولة المعرفية الكثيفة ذات التأثير العميق في النفس لاحتوائها على العنصر الفني الذي يسحر المستمعين ويستحوذ على قلوبهم لما يتميز به الحديث الشريف من نسق خاص به من خلال التعبير الجميل المؤثر المعبر بالصور ليلمس الوجدان الإنساني لمسة قوية في مجال الدعوة الدينية وفي مجال التأملات الوجدانية.

والحقيقة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يسعى من خلال هذه العناصر إلى التأثير في الملتقى من أيسر السبل متوخيا في ذلك الإيجاز والوضوح والميل إلى التعبير القصير، لكي يحقق الفائدة ويبلغ الرسالة ويوصلها كاملة وواضحة.

٢-المثال في البيان النبوي:

إن أهمية الأمثال في الحديث النبوي لا تقل أهمية عنها في القرآن الكريم، لما لها من أثر بالغ في النفوس، وطبيعة التمثيل أقرب إلى التعليم والتربية، فنجد الرسول صلى الله عليه وسلم، يحث أصحابه على الصبر في الابتلاء، فيشبه المؤمن الصابر بالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة، فيقول "مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح، مرة وتعدلها مرة، ومثل المنافق كا لأرزة لا تزال حتى يكون إنجعافها مرة واحدة"[٣].

فقد قابل الرسول صلى الله عليه وسلم بين صورتين أحداهما تمثل المؤمن الذي شبهه بالزرع الذي تميله الرياح فيميل معها ثم ما يلبث حتى يعود إلى صورته الأولى، في حين شبه المنافق بالأرز الذي هبت عليه رياح وظل على عناده فتقتلعه من جذوره.

هذا التعبير يرسم صورة حية للمنافق، وهي صورة يتملاها الواقع وتكاد تبصرها العين لشدة وضوحها وتسجيل هيئتها، فيخيل للسامع أنها حاضرة أمامه.

٣-خاصية التكرار في البيان النبوي:

شكل التكرار سمة بارزة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يشي بمعان متباينة وكان "يكرر ما يقوله للصحابة ثلاث مرات حتى يفهموا ما يقول، فعن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم سلم ثلاثا وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا"[٤].

تمثل الوظيفة الانتباهية حضورا معتبرا في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فهي موظفة لإثارة انتباه السامع والتأكد من التواصل القائم، وقد رأينا من خلال النموذج السابق أن ظهور هذه الوظيفة ارتبطت ببعض التكرارات، فكل ما من شأنه أن يثير انتباه المتلقي يدخل في إطار

---

[١] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب بعثت بجوامع الكلم، ص ١١٣.

[٢] المصدر نفسه، كتاب الطب، ص ١٤٩.

[٣] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب جاء في كفارة المرض، ص ١٤٩.

[٤] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم، ص ٣٤.

الوظيفة الانتباهية، ولعل هذا المنحى فيه ميل نحو التداولية، التي تسعى بدورها إلى لفت انتباه المتلقي وجعله يستجيب للرسالة من خلال الأفعال اللغوية، حيث تساهم هذه الأفعال في إفهام المتلقي وإقناعه. لكونها تلفت انتباهه لما يقال، لما تتمتع به من مباشرة ووضوح . فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يرمي من وراء هذه التوظيفات- إلى المحافظة على التواصل بين المسلمين. وحتى لا تنقطع عملية التخاطب بينه وبينهم، فهو يعمد بين الفينة والأخرى إلى بعض الأساليب والأدوات التي تضمن ذلك .

٤- القصة في البيان النبوي

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوظف القصة في حديثه ليضرب بها الأمثال للناس لعلهم يتقون، فيستعرض نماذج من المؤمنين المعتزين بإيمانهم الذاكرين لربهم، يرون النعمة دليلا على المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا بجحوده وكفره . ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة أنه قال:" اشترى رجل من رجل عقارا له وجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض. ولم ابتع منك الذهب، وقال الذي تحاكما إليه، ألكما ولد . قال أحدهما لي غلام، وقال الآخر لي جارية، قال انكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا " [1]

فهذه صورة من صور إيثار الغير على النفس، خالية من الطمع والجشع الإنساني، يريد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسخها في نفوس المؤمنين، ويصل الشعور بها بين كافة المسلمين، بالمشاركة الوجدانية والإيمان الراسخ، والاقتناع بالنصيب الذي قدر لكل واحد في هذه الدنيا. فإذا قرأها القارئ تمشت القناعة في نفسه، وزكت ورضيت بما قدر لها .

وقد اخضع الرسول صلى الله عليه وسلم القصة للغرض الديني، ولكن ذلك لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، أنه كان من أثر هذا الخضوع ظهور خصائص فنية بعينها تحسب في الرصيد الفني للقصة في عالم الفنون الطليق مثل: الحوار الذي دار بين الرجلين في القصة، وهو ما جعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية.

والقارئ للقصص النبوي، يجد هذه التوجيهات منشورة في ثناياها على هذا النحو أو على نحو سواه، ولكنه يجدها بكثرة ووفرة، تدل على الغرض الأساسي من سياق القصة، وهو الغرض الديني.

٥-بلاغة التشبيه التمثيلي:

التشبيه التمثيلي، أداة من الأدوات المفضلة في أسلوب الحديث النبوي، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحدث المحسوس والمشهد المتطور، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، والحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوجه أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص، وهذا ما نراه في قوله صلى الله عليه وسلم:" عن أبي موسى عن النبي قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل

---

[1] البخاري، صحيح البخاري ، كتاب بدأ الخلق ، ص ٢١٤.

الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجاذب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا ماء، وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت الكلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما يعين الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[١].

هذا مثل للنبي صلى الله عليه وسلم في إبلاغه عن الله ودعائه إلى سبيله، وأنه بعث رحمة للعالمين، ومثل لما جاء به من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس حال حوجهم إليه، ثم شبه المبعوث إليهم بالأرض المختلفة، فمنهم من علم وعلم، فهو كالأرض النقية شربت من المطر وحييت بعد موتها وأخصبت فنفعت، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل به، ولكنه أداة إلى الغير، فهو كالأرض التي يستقر فيها الماء فينفع بها الناس دونها، ومنهم من ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فلم يلبث إلى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الهدى والعلم فهو كالأرض الصماء الملساء التي يمر عليها الماء مر السحاب فلا انتفاع ولا نقيع..."[٢].

هذه صورة فنية رائعة، فيها روح القصة، وفيها تخييل قوي، وفي بعد في حاجة إلى ريشة مبدعة، لو أريد تصويرها بالألوان، بهذه التمثيلية المتقابلة توضح احدهما الأخرى في مشهد فني رائع، يجعل المتلقي يتابع في شغف متزايد وإعجاب شديد هذه الصورة الفنية، وإلى ذلك يشير البدر العيني بقوله " ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلا، أي شبهه بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجاتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، فكما أن السامعين له بالأرض المختلفة التي تنزل بها الغيث فمنهم العالم المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وانبتت فنفعت غيرها ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أده لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها"[٣].

وقد كان أسلوب الخطاب من أبرز الأساليب النبوية المستخدمة في توجيه الدعوة وتقويم المجتمع، إذ كان الخطاب –ولا يزال- الأسلوب الأمثل في التأثير على المخاطبين أو المتلقين طالما اعتمد على الإقناع المنطقي والتحفيز النفسي والتوجيه الديني مع اعتماده على الوسائل اللغوية المطلوبة في التأثير- على تعددها- كل منها في سياقها المناسب للموضوع المطروح، وقد التفت القدماء إلى أهمية الخطاب، وتأثيراته في شتى المجالات، وكانت تأثيرات الخطاب القرآني والنبوي من أبرز التأثيرات وأعظمها أثرا في نفس المتلقي، فسطع نور الحق والخير والعدل على الإنسانية، جمعاء متى ما أصغت بوعي لذلك الخطاب الرباني والنبوي. ومثال آخر من الأمثلة التي ضربها الرسول صلى الله عليه وسلم للناس لكي يهتدوا بهديه إلى الطريق السوي، ويعودوا إلى رشدهم قوله صلى الله عليه وسلم، "عن أبي

---

[١] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: فضل علم، ص ٣٠.

[٢] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ص ٣٠.

[٣] العيسني، عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، دار الفكر، لبنان، ج٢، ص ٨٠.

موسى قال رسول الله" إن مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل يحجزهن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها"[١].

هذا مثل عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه صفة ما بعثه الله تعالى به لإرشاد عباده لما ينجيهم مما يردهم في هوة الشقاء وصفة ما طوعت لهم أنفسهم من التمادي على الغواية المفضية إلى تلك الغاية "كصفة رجل أوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعلت تلك الحشرات تقع فيها، وهو يذودهن عنها، شبه تساقط المخالفين في النار، وحرصهم على الشهوات لظنهم المنفعة فيها مع منعه لهم منها باقتحام الفراش في نار الدنيا لاغتراره بظاهر ما يراه من الضوء"[٢]. كما صور القرآن هذه الحالة في قوله تعالى: (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) [٣]. قال الإمام السيوطي "شبه تساقط الجهلة والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع فيها مع منعه بتساقط الفراش في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع فيها مع منعه بتساقط الفراش في الدنيا لهواه وضعف تمييزه وعدم درايته بحر الدنيا، ولو علم لم يدخلها، بل ظن أن ضوء النار يريحه من ظلام الأمم في حجر الأنباء كالصبيان الأغبياء في أكناف الآباء) [٤].

٦-القيمة الجمالية في الخطاب النبوي

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب فصاحة وبلاغة، بل هو أفصح العرب، إذ كان يضرب الأمثال ويشبه الشيء بالشيء ترغيبا وترهيبا ودعوة إلى الله، ومن ذلك ما نلحظه في الأحاديث السابقة، التي تناول فيها بعض التشبيهات البسيطة التي لا تتطلب أعمال الفكر وكذا الذهن في استخلاص التشبيه وطريقة فهمه في أسلوب سهل "يصور أحوال الناس مع شريعة الإسلام فيجعلهم طائفتين، ويجعل الأولى في نوعين نافعة منتفعة على وجه الكمال، ونافعة على وجه الكمال، منتفعة على وجه النقص، أما الثانية فهي غير نافعة وغير منتفعة"[٥].

ولقد زاد هذا التشبيه المراد وضوحا وجمالا إذ أنه شبه الأمر المعقول وهو الهدى والعلم بأمر محسوس وهو الغيث، وذلك في صورة تشبيهية بالغة الروعة أبرزت أصنافا ثلاثة من الناس وأصنافا ثلاثة من الأرض.

فرحمته صلى الله عليه وسلم، للناس شبيهة برحمة الغيث للأرض قال الرامهرمزي: "انه بعث رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط المستقيم، ومثل ذلك بالغيث الذي ينشر الله به رحمته في الأرض ويحي به الأنعام والحرث، والذين استمعوا قوله وشاهدوا أمره في اختلاف مذاهبهم وطرائقهم ببقاع الأرض التي يختلف ترابها وأماكنها، فمنها ذات الرياض العشبة الكثيفة التي

---

[١] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء من المعاصي، ي١٢٧/٨.

[٢] عبد الرحيم عنبر الطهطاوي، هدايا الباري إلى ترتيب، صحيح البخاري، ١٩٠/٢.

[٣] سورة القارعة، الآية ٤.

[٤] عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح جامع الصغير، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ص ٥١٨.

[٥] د. عز الدين كمال، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص ٦٧.

يكثر خيرها ويعم نفعها، ومنها الأماكن ذات العياض والغدران، وغير ذلك من الأماكن التي ينتفع فيها الماء فيرد إليها الناس والأنعام، ومنها ما لا يتعلق من المطر إلا بمروره عليه، وهو مثل لمن فقه عن الله وتفقه كما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم فعلم وعلم ومثل للحامل علمه إلى من هو أوعى منه "[١].

والتشبيه في الحديث لم يأت مجردا بل صاحبته وسيلة محسوسة مما يشغل حيزا من اهتمام الناس، ولقد تعددت التشبيهات في الحديث منها تشبيه ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حالة حاجتهم إليه، وتشبيه السامعين له بالأرض المختلفة، فالأول تشبيه المعقول بالمحسوس، والثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس، وقد جاء في الفتح الرباني "إن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الدين والعلم بالغيث العام، أي المطر الكثير الذي يأتي الناس في حال احتياجهم إليه، فكما أن الغيث يحي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة التي قبلت الماء، وأنبتت الكلأ، ومنهم الجامع للعلم، غير أنه لم يعمل به ولا اجتهاد له في الطاعة، فهو يحفظه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عنده من العلم فيأخذه منه فينتفع به، وينفع غيره[٢]، فهذا الذي جمع العلم ولم يعمل به بمنزلة الأرض الملساء التي أمسكت الماء ولم تنبت الكلأ فينتفع منها بالشرب، ومنهم الطائفة الثالثة المذمومة التي لم تقبل هدى الله تعالى ولم ترفع به رأسا، فهي كالأرض التي لم تمسك الماء ولم تنبت الكلأ ولم ينتفع به"[٣].

وعلى الرغم من وجازة الحديث فقد ساقه الرسول صلى الله عليه وسلم، وعبر عنه بتحقيق تشبيهين، كل منهما يؤدي معنى مختصا، فالناس في الحديث قسمين قال الخطابي: "هذا مثل ضرب لمن قبل الهدى وعلم ثم علم غيره فنفعه الله ونفع به ولمن لم يقبل الهدى، فلم ينفع بالعلم ولم ينتفع به"[٤].

ولكن العيني رأى خلاف ذلك فالناس في التشبيه ثلاثة أقسام قال "في الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام فمنهم من يقبل بالعلم بقدر ما يعمل به ولم يبلغ درجة الإفادة، ومنهم من يقبل ويبلغ ومنهم من لا يقبل"[٥]. "أيده في ذلك الكرملي في الشرح بأن جعل قسمة الناس على ثلاثة بأن يقدر قبل لفظة "نفعه" كلمة من بقرينة عطف على فقه كما قال حسان ابن ثابت:

أمن يهجو رسول الله من كم ويمدحه وينصره سواء، إن التقدير ومن يمدحه وينصره[٦].

وقد وصل هذا التمثيل إلى نهاية الإبداع وقوة التأثير في النفوس، كيف لا وقد أبرز المعقولات في معرض المحسوسات الجلية، إن هذا المثل الأدبي الرائع قد جلى المعاني الخاصة بالانتفاع بالهدى

---

[١] الرامهرمزي، كتاب أمثال الحديث، مؤسسة الكتب الفقهية ، لبنان، ١٩٩٧، ص ٢٩.

[٢] أحمد عبد الرحمان البناء، الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، بيروت، ص ١٤٦.

[٣] أحمد عبد الرحمان البناء، الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني، كتاب العلم، بيروت، لبنان، ١، ص ١٤٦.

[٤] القسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، باب ما بعث به النبي من الهدى والعلم ١٤٠/٩.

[٥] البدر العيني، عمدة القارئ، دار الفكر، لبنان.

[٦] الكرماني، صحيح البخاري، ط٢ن دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥٨/١.

والعلم جلاء مؤثرا إنك لتبحث عن نضير لهذه الصورة النبوية في كلام البشر فلا تجدها، ولكنك تجد مثلا لها وأقوى منها في قوله تعالى: (انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها، فاحتمل السيل زبدا رابيا، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)[١].

فالانتفاع بالماء عند قوم وضياعه عند آخرين في الصورتين القرآنية والنبوية معا مما قوى به المثلان قوة مؤثرة.

والحديث في جملته أن الناس يختلفون في المنازل، فالفريق الأول هو الذي قال الله فيه "قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء"[٢]. والفريق الثاني هو الذي قال فيه "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"[٣]. أما الفريق الثالث هو الذي قال الله فيهم "إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فهم لا يؤمنون"[٤]. هذا إذا أخذنا التشبيه في الحديث من تشبيه المركب بالمركب، ويجوز أن يكون من قبيل التشبيه التمثيلي.

والناظر إلى التصوير الدقيق وجماله المبدع في الحديث الثاني يجد صورة حالة الرسول صلى الله عليه وسلم وحال بعض الناس الذين ينير لهم الطريق ويهديهم إلى الصراط السوي فينصرفون عنه إلى المهالك، إنها مشاهد حية تدفع إلى التفكير البعيد، فيما بين المشبه والمشبه به صورة ملموسة نراها بأعيننا ونتلمسها بأيدينا، وعن هذه الجمالية قال الغزالي رحمه الله "التمثيل وقع على صورة الإنكباب على الشهوات من الإنسان بإنكباب الفراش، لأن باغترارها بظاهر الضوء أحرقت نفسها وفنيت حالا، والآدمي يبقى في النار في مدة طويلة"[٥]. وقال القاضي عياض "هذه موعظة لبعض من أجابوا الدعوة ويحتمل أن يكون وعيدا لمشركي قريش"[٦].

ولأن في الحديث استشعار بالحذر حتى يأخذ كل إنسان حذره فلا بد أن تكون الصورة قريبة حتى تحرك النفوس، وهذا ما جاء في الحديث قال الكرماني "مثل لهم ذلك بما شاهدوه من الأمور ليقرب ذلك من إفهامهم، فمثل إتباع الشهوة المؤدية إلى النار بوقوع الفراش الذي من شأنه أن يتبع ضوء النار ليقع فيها يظن أنها لا تحرقه"[٧].

وهذه صورة معهودة تثبت المعنى المراد بها أشد وأقوى وهكذا يلتقي الغرض الديني بالغرض الفني كالشأن في جميع الصور التي يرسمها الحديث ونضير هذا في القرآن "واعتصموا بحبل الله جميعا

---

[١] سورة الرعد الآية ١٧.

[٢] سورة فصلت الاية ٤٤.

[٣] سورة البقرة الآية ٤٤.

[٤] سورة البقرة، الآية ٦.

[٥] الرامهوزي، أمثال الحديث، ١٨٢٨.

[٦] عبد الرؤوف النووي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥١٨/١٥، دار المعرفة، لبنان.

[٧] الشوكاني، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء في المعاصي، س٠٨/٢٣.

ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها"[١].

وليس المهم لدينا في هذا المجال دقة التشبيه وصدقه، وإنما المهم هو هذه الصورة القلقة المتحركة الموشكه في الخيال على الزوال ولو استطاعت ريشة المصور بالألوان أن تبرز هذه الحركة المتخيلة في صورة صامتة لكانت براعة فحسب في عالم التصوير، والمصور يملك الريشة واللوحة والألوان، وهذه ألفاظ فحسب يصور بها القرآن والحديث رحمة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم نحو هذا الإنسان الضعيف، وفي الحديث تأكيد هذا المعنى الذي يمتلؤه الخيال لهو أعظم الدلالة على رحمته صلى الله عليه وسلم، في قوله في هذا التقابل بين ثبوت الصراع وتجدده زيادة حرصه عليه السلام.

النتائج:

وفي النهاية يمكن أن نجمل النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية:

١. تمتاز الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف بالوضوح والبيان لاعتمادها على التعبير البسيط والبعد عن التكلف الذي يفسد نية المرسل في الإبلاغ والإبانة، لأن فهم المعاني هو السبيل الذي يعتمد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، في الإقناع والاستجابة والتأثير.
٢. ارتباط الصورة البيانية في الحديث الشريف بقيم اجتماعية ونفسية مثيرة تزيد من ارتباطها بالحياة اليومية وملابساتها المتجددة، وهذا ما يجعلها تتخلص من التكلف والصنعة ويزيدها تداولا واستعمالا.
٣. أن طبيعة الأحاديث النبوية قائمة على الجمل الإنشائية القصيرة لجعلها أقرب إلى الإيجاز منها إلى الإطناب، إضافة إلى تخيره صلى الله عليه وسلم الألفاظ والكلمات بدقة وعناية بشكل موجز، يبتعد عن التفصيلات المملة، مع تحديد القصد والهدف ومراعاة ظروف المتلقي.
٤. اقتباس الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم ليدعم رأيه ويقوى حجته، وليكون أقدر على إقناع السامعين والتأثير فيهم، وكسب قناعتهم وثقتهم.
٥. اعتماد النص النبوي أسلوب العرض المباشر من خلال تناوله المباشر للمعاني التي أراد إبلاغها للمستمعين، كما أن الأحاديث تنوعت ما بين (التقرير والوعد والأمر والنهي والنفي والاستفهام) وهذه الأساليب هي بمثابة الأفعال اللغوية التي تمثل جوهر نظرية الأفعال اللغوية.
٦. عمد الخطاب النبوي إلى إبلاغ أفكاره إلى المتلقي بأسلوب يعتمد الإقناع والتأثير وهذا راجع إلى ترابط الأفكار في الأحاديث وتماسك أجزائها وحلاوة ألفاظها.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، مطابع كتاب الشعب، القاهرة،

[١] سورة آل عمران الآية ١٠٣.

٣. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب بعثت بجوامع الكلم،
٤. كتاب الطب، باب جاء في كفارة المرض،
٥. كتاب العلم، من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم.
٦. أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥
٧. أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ط١، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، ١٩٦٤
٨. البناء أحمد عبد الرحمان، الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني، كتاب العلم، بيروت.
٩. الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩١،
١٠. الجاحظ، البيان، ط١، تر: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت،
١١. د. حسين خمري، نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر، ٢٠٠٧
١٢. الدبل محمد بن سعد، الخصائص الفنية في الأدب النبوي، ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٧.
١٣. الرمهرمزي، كتاب أمثال الحديث، مؤسسة الكتب الفقهية، رحاب الجزائر، ١٩٣٧.
١٤. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٨، مكتبة رحاب، ١٩٣٧، الجزائر،
١٥. مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،
١٦. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ط١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية،
١٧. الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٩.
١٨. الكرماني، صحيح البخاري، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٩. عز الدين كمال، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية.دار الفكر بيروت
٢٠. د. عبد الفتاح لاشين، من بلاغة الحديث، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢،
٢١. الماوردي، أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦،
٢٢. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية. المركز الثقافي، بيروت.
٢٣. عبد الرؤوف المناوي، فيض القرير شرح جامع الصغير، ط٢، دار المعرفة، لبنان.
٢٤. العيني عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، دار الفكر، لبنان.
٢٥. مصطفى الشكعة، البيان المحمدي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٥
٢٦. د.يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت،
٢٧. القسطلاوي، إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٨. د. معاد السرطاوي، دراسات في الأدب العربي، ط١، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ١٩٩٨
٢٩. د. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة س، بيروت، ١٩٩٩،

٣٠. د. محمد بن سعد الدبل، الخصائص الفنية في الأدب النبوي، ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٧.

الدوريات

١. د. حسن جاد، مقارنة بين أسلوب القرآن والحديث وتأثيرها في النفوس، مجلة الأزهر
٢. د. محمد شاكر، بلاغة الأسلوب النبوي، مجلة الأزهر العدد٥،
٣. د. محمود النووي، مجلة الأزهر، ربيع الثاني، ج٤، ١٩٩٦،
٤. د.مصطفى الزرقاء، مقاربة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن، مجلة الأدب الإسلامي، العدد السابع، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مطابع مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥،
٥. منشاوي عثمان عبود، مجلة الأزهر، العدد ٥، القاهرة
٦. محمود النواوي، الحديث النبوي، مقاصده، ألفاظه، معانيه، مجلة الأزهر، ربيع الثاني، ج٤، القاهرة، ١٩٩٦.

٦. الاستشهاد بالحديث النبوي بين القداسة الشرعية ونزاهة التقعيد النحوي

د./ محمد بن رده بن عطية الله العمري

(الكلية الجامعية بالقنفذة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية)

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فالحديث الشريف من أصول الدين التي قام عليها، ودليل للتشريع في الملة الإسلامية، تؤخذ الأحكام منه كما تؤخذ من القرآن الكريم.

فهو البيان له، يوضح مشكلة، ويفصل المجمل منه، ويقيد المطلق، ويخصص العام، قال تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ٤٤].

وفي الوقت الذي كان الحديث النبوي كالقرآن في التشريع وأخذ الأحكام والتحليل والتحريم، كانا لدى اللغويين مصدرين من مصادر السماع لجمّاع اللغة ورواتها؛ في سبيل ضبطها واستخراج قواعدها.

ولا يخفى على أحدٍ أنه لولا هذان المصدران وأثرهما في روح العرب، وبعثهما للحياة فيها لم تقم للدراسات اللغوية العربية قائمة في تلك المرحلة المبكرة من مراحل العربية.

فقد رفع القرآن من قدْر اللغة وأعلى مكانتها، فهي أداة قراءته، وسبيل فهم آياته واستخراج أحكامه، و "القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربيٌّ، فمَنْ أراد معرفة ما في كتاب الله، وما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من كل كلمةٍ عربية أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بداً [١].

ولمّا كانت بواعث دراسة اللغة ووضع قواعدها – في أصلها – دينية سواءً أكان ذلك باعثاً وحيداً، أم تضافر مع بواعث أخرى؛ فقد جعل للغة خصائص مناهج علوم الدين وأعطاها من القداسة ما لعلوم الدين. روي عن عمر بن الخطاب قوله: "لا يُقْرئ القرآن إلا عالم باللغة"

وسمع عن أبي العباس المبرد قوله: "كان بعض السلف يقول: عليكم بالعربية فإنها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله عز، وأنبيائه وملائكته"[٢].

وقال ابن خلدون في المقدمة: (لما جاء الإسلام وفارق العرب الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت الملكة التي في ألسنتهم بما ألقى إليها السمع من المخالفات

---

(١) الصاحبي، ابن فارس، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة،ص٦٤.

(٢) الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، ص٧.

التي للمتعربين والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما أُلقي إليها مما يغايرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ؛ فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه"(١)

وبذا فالعربية من علوم الدين، والعلم بها ومعرفة قواعدها ضرورة من ضرورات العلم الشرعي فهي ترحل مع الدين زماناً ومكاناً إلى قيام الساعة، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: آية ٩] .

بيئة قيام الدراسة النحوية:

قام البحث النحوي ابتداءً على استقراء كلام العرب في مظانه المختلفة، وكانت مادة النحو العربي هي اللغة الحية إبان استقراء الظواهر اللغوية، ولما كان هدف الدراسة والتنظير هو" انتحاء سمت كلام للعرب" وصولاً لفهم الدين وتعلمه وتعليمه؛ فقد لزم من ذلك أن تكون لغة القرآن هي المقياس عند جمع المادة اللغوية، وهذا يقتضي - وبدقة بالغة - اختيار مكان وزمان هذا الجمع والاستقراء؛ لضمان أن يكون نموذج التفسير المستخلص منها قادراً على إقامة نظام نحوي كاملٍ للغة، يرافق لغة القرآن زماناً ومكاناً، ويتصف بالدقة، والمصداقية في التفسير للظواهر اللغوية المختلفة، وتندرج تحته جزئيات لغة العرب وكلياتها.

وإذا اعتبرنا نقط أبي الأسود للقرآن - نقط الإعراب- إحساساً بالحاجة إلى ضبط النص القرآني وسبيلاً لصحة أدائه ونقله، فإن ذلك يدلنا على ضرورة تفسير هذا النقط وهذا الإعراب في مراحل لاحقة وبيئات مختلفة، يجمع ذلك الحاجة للتعلم والتعليم.

يقول النووي: ((نقط المصحف وشكله مستحب ؛ لأنه صيانة له من اللحن والتحريف)) [٢].

وهذا يقودنا إلى التسليم بأن النحو العربي جاء من شعور بحاجة ذاتية له، تدفعها رغبة تتصل اتصالاً مباشراً بالعقيدة .

فمن المعلوم أن أبا الأسود الدؤلي (ت: ٦٩) كان ثقة في الحديث واللغة والنحو[٣]، وكان نصر بن عاصم قارئًا فقيهًا [٤]، وعبدالله ابن إسحاق (ت:١١١) كان ملمّاً بالعربية والقراءات[٥]، وعيسى ابن عمر الثقفي (ت:١١٩) كان عالماً بالنحو والقراءة[٦]، وأبو عمرو ابن العلاء من أئمة القراء وإليه تنسب إحدى

---

(١) المقدمة،طبعة المكتبة العصرية،ص٤٨٤

(٢) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٩٩٩م، ١/ ١٧١.

(٣) انظر: نزهة الألباء، في طبقات الأدباء، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م ص٢١

(٤) أخبار النحويين البصريين، السيرافي، تحقيق :محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام،،الطبعة الأولى ١٤٠٥،ص ٣٩،

(٥) نزهة الألباء،، ص٣٢.

(٦) السابق، ٤٩.

القراءات السبعية[1]، وكذلك كان علي بن حمزة الكسائي[2]، وكان الخليل يقول: "إن لم تكن هذه الطائفة - يعني أهل العلم – أولياء لله فليس لله ولي"[3].

هؤلاء هم أئمة النحويين وعنهم صدر التصور النحوي للعربية، ولعله ظاهر ما في كل واحد منهم من أثر الدين، وما له من علاقة به، وهذا دليل - أيضاً - على علاقة علم العربية بالدين من جهة، ودليل على بيئة النحو العربية الخالصة، المنطلقة من العقيدة والدين من الجهة الأخرى.

ويمثل كتاب سيبويه الصورة الناضجة والمثالية للدراسات النحوية واللهجية للغة العربية، فقد جاءت قواعده تفسيراً للظواهر اللغوية، ورواية لصور لهجية متعددة، والسماع من مصادره الموثقة فهو يمثل نتيجة الاستقراء بشروطه التي وضعت، ؛ لذا تلقاه النحويون بالقبول، حتى قال عنه محمد بن يزيد: "لم يُعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه؛ وذلك أن الكتب المصنَّفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج مَنْ فَهِمَه إلى غيره "(٤).

ويقول صاعد بن أحمد الأندلسي: "لا أعرف كتابًا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك العلم، وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها كتاب بطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هؤلاء لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له"(٥). ويظهر لنا مما تقدم أننا أمام جِلّة من العلماء قامت على أيديهم الدراسة النحوية، غير متهمين في دينهم ولا أماناتهم، وكذلك تظهر صورة التأليف في كتاب سيبويه وقد تلقوه بالقبول وأجمعوا على أسبقيته.

وبهذا فلا يشك في أن علماء الصدر اللغوي ثقات في نقلهم، حريصون على خدمة الدين بخدمة اللغة، فما جاء عنهم فهو عن دراية ورواية وتدقيق، يجعلنا ننفي عنهم الجهالة والخطأ المجمع عليه، أو السكوت عن حق ينبغي الإشارة إليه والتنبيه عليه.

ضوابط الاستشهاد النحوي:

يقول الأنباري: "اعلم بأن النقل ينقسم إلى قسمين: تواتر وآحاد، فأما التواتر فلغة القرآن، وما تواتر من السنة وكلام العرب، وهذا القسم دليل قطعي من أدلة النحو يفيد العلم، وأما الآحاد فما تفرد بنقله بعض أهل اللغة، ولم يوجد فيه شرط التواتر، وهو دليل مأخوذ به، واختلفوا في إفادته فذهب الأكثرون إلى أنه يفيد الظن، وزعم بعضهم أنه يفيد العلم، وليس بصحيح لتطرق الاحتمال فيه"[6].

---

(١) أخبار النحويين البصريين، ٤٦.

(٢) نزهة الألباء، ص٥٩.

(٣) أخبار النحويين البصريين، ٥٥.

(٤) خزانة الأدب، البغدادي،١تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة الخانجي،القاهرة، ١٩٩٧، ١٣٠/١.

(٥) نزهة الألباء، ٧٥.

(٦) لمع الأدلة،الانباري، تحقيق سعيد الأفغاني،مطبعة الجامعة السورية،١٣٧٧، ص،٨٣،٨٤.

لقد وضع النحويون للنقل عن العرب شروطاً وضوابط يضمنون معها أعلى درجات الدقة في النقل وأعلى مستويات الفصاحة في المنقول.

يقول أبو زيد: "لست أقول: قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر من هوازن، وبني كلاب، وبني هلال، أو من عالية السافلة، أو سافلة العالية، وإلا لم أقل قالت العرب"[١].

وصور التحرز في الأخذ، والدقة في النقل والضبط نلمسها في عبارات سيبويه حين ينقل عن العرب مباشرة أو عن من ينقل عنهم، فقد امتلأ الكتاب بعبارات من مثل: "وسمعنا من يوثق بعربيته يقول" [٢].

"وحدثني من لا أتهم عن الخليل أنه سمع أعرابيًا يقول"(٣).

"وهذا قول جميع من نثق بعلمه وروايته عن العرب"[٤].

و "إن ناسًا من العرب يوثق بعربيتهم..." [٥].

وحين حدَّ النحويون السماع زماناً ومكانًا كانوا يتوخون من ذلك الأخذ عن الأفصح سليقة، والأبعد عن مؤثرات تغير اللسان إما بالمجاورة أو المعاصرة، فجاء أخذهم عن أعراب البادية بالرحلة إليهم ومشافهتهم.

ولما كان القرآن الكريم يمثل أعلى درجات الفصاحة، ونموذج العربية الأفصح، وهو أوثق النصوص متنًا وسندًا، أخذ به النحويون- دون خلاف- في الاحتجاج وبناء القواعد، والقياس عليه.

يقول السيوطي: "القراءات القرآنية أوثق وأصح متنًا وسندًا، ولذلك استند إليها النحاة في تقعيد الأصول، وضبط كثير من الفروع، وقد أكسبت اللغة مرونة واتساعاً، فالقراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها"[٦]. و "كل ما ورد أنه قرأ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترًا أم آحادًا أم شاذًا" [٧].

وقياساً على طريقة نقل القرآن، وخصائص نصه، جعل النحويون النقل كدليل من أدلة النحو هو: "الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة"[٨].

---

(١) المزهر، ١٥١/١.

(٢) الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ٢٦/١، ٧٧.

(٣) السابق، ١٤١/١.

(٤) السابق ٣٠٣/٣.

(٥) السابق ٦٣/١.

(٦) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٩٩٩م، ص ٧٥.

(٧) السابق، ٨٣

(٨) لمع الأدلة (٣٠،٣١).

وعليه فإنهم لم يجوزوا الاحتجاج بما لا يعرف قائله من شعر أو نثر، وإن ورد ذلك عنهم فإنما يكون على سبيل التأييد والحشد، لا على سبيل الابتداء والتأسيس.

نقل صاحب المواهب الفتحية عن النقل: "أنه إذا صدر من ثقة يعتمد عليه قبل وإلا لا يقبل؛ ولهذا كانت أبيات سيبويه أصح الشواهد..." [١].

وقد استنتج الأنباري من الممارسة العلمية للنحويين المتقدمين أنه: "يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلاً، رجلاً كان أو امرأة، حرًا كان أو عبدًا، كما يشترط في نقل الحديث، لأن بها معرفة تفسيره وتأويله فاشترط في نقلها ما اشترط في نقله"[٢].

ولهذا أسقط بعض النحويين الاستشهاد بشعر عدي بن زيد العبادي مع أنه جاهلي لمخالطته الفرس، وكذا فعل بعضهم مع الأعشى، واستبعد أبو نواس لتعلقه بالخمر كما نقل عنه.

وحين نجد من النحويين تقعيدًا أكثر على الشعر، وتركيزًا عليه في الاستدلال نستحضر قول ابن نباته: "من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه، والحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني أن العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون: قال الشاعر، وهذا كثيرٌ في الشعر، والشعر قد أتى به، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة، والشعر هو الحجة"[٣].

ولا غرو في ذلك فالشعراء أمراء الكلام، ولهم التصرف في وجوهه، وكذلك فرواية المنظوم أدق من رواية المنثور، كما أن تذكره أيسر واحتمال التغيير والتبديل في الشعر أقل من احتماله في المروي النثر [٤].

ومنتصف القرن الثاني الهجري هو حد الاستشهاد بشعراء الحضر، فإبراهيم بن هرمة "ت:١٥٠" آخر من يصح الاستشهاد بشعرهم، ومن ثم فبشار بن برد أول الشعراء المحدثين الذين لا يحتج بشعرهم على متن اللغة وقواعدها.

ومن ضوابط الاستشهاد النحوي ترك الاحتجاج بمجهول القائل، "...فالجهل بالناقل يوجب الجهل بالعدالة"[٥].

وكذلك لا يحتج بماله روايتان إحداهما مؤيدة لقاعدة تُزْعم، والثانية لا علاقة لها بها، لاحتمال أن تكون الرواية الثانية هي الصحيحة، والدليل متى تطرق إليه الاحتمال سقط الاستدلال به.

ومن ضوابطهم – أيضًا- أنَّ من حفظ حجة على منْ لم يحفظ، وبذلك فالمعول عليه هو ما نقل كما سمع عن العرب.

---

(١) المواهب الفتحية، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ٥٥/١.

(٢) لمع الأدلة، ٨٤.

(٣) أنظر، الإمتاع والمؤانسة،التوحيدي، :تحقيق أحمد أمين - أحمد الزين، طبعه مصر سنه ١٩٤٢، ١٣٦/٢.

(٤) انظر: من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ٣٢١.

(٥) الاقتراح،٢٧.

ومنها - أيضًا- أن المصير إلى ملا نضير له في كلامهم مردود، لا يخالف عند تقريره جمهور كلام العرب الذي عليه بني وعنه أخذ.

ولذا فقد كانت وجهة النحويين وجُمّاَع اللغة التدقيق في متن النقل وسنده، وبناءً عليهما يكون النظر إلى صحة الرواية والاعتماد عليها من عدمه.

مكانة الحديث النبوي في الاستشهاد النحوي:

من المقرر أن القرآن الكريم هو أعلى الكلام العربي من حيث صحة الاحتجاج به، وهو قبل ذلك مصدر التشريع الأول، ثم يأتي الحديث الشريف مصدرًا ثانيًا للتشريع-كما تقدم- وهذا يقتضي أن ينزل عند أهل اللغة في المنزلة الثانية من حيث صحة الاحتجاج به، وإقامة القواعد على سماعه، "وبغض النظر عن عدد الأحاديث التي احتج به سيبويه، وعن نوع التقديم الذي قدم به لها، نستطيع القول: إن سيبويه وشيخه الخليل بن أحمد وأبا عمرو بن العلاء قد احتجوا بالحديث في النحو والصرف، وإن كان ما وصل إلينا من احتجاجهم قليلاً "[١]. والمنهج الحق أن يقدم الحديث الشريف عند ثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سائر ما سواه من مسموع، ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق، وأعلاهم بياناً وبلاغة، قال الخطابي: "اعلم أن الله لما وضع رسوله صلى الله عليه وسلم موضع البلاغ من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمده بجوامع الكلم... قال ومن فصاحته أنه تكلم بألفاظ اقتضبها لم تُسْمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها"[٢].

وقد أثبت الرواة واللغويون للرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يسبق إلى الكلام به، كقوله: "حمي الوطيس[٣]. قال ابن الأثير: "ويقال أن هذه الكلمة أول من قالها النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد البأس يومئذ ولم تسمع قبله، وهي أحسن الاستعارات"[٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "مات حتف أنفه"[٥].

وقد استدلوا بهذين الحديثين وبأمثالهما على كمال فصاحته وبيانه صلى الله عليه وسلم، كما أثبتوا له صلى الله عليه وسلم من الأحاديث ما يدل على محاسن بيانه مما لا يقربه بيان غيره من البشر حتى وهو صلى الله عليه وسلم يشرع للأمة ويبين لها أحكام الدين، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " أرجعن مأزورات غير مأجورات"[٦]. وحديث: " فإن الله لا يمل حتى تملوا" [٧]. فهذه الأحاديث مما ذكره

---

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، خديجة الحديثي، ٧٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث، تحقيق: الطناحي والزاوي،دار إحياء التراث الإسلامي،٦٤/١،٦٥.

(٣) أخرجه مسلم برقم،٤٧١٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٤٦٦/١، وانظر المزهر، ١٦٥/١.

(٥) الحديث في مسند الإمام أحمد، ٣٦/٤، وقد ضعفه.

(٦) أخرجه ابن ماجة في كتاب الجنائز برقم،١٥٧٨.

(٧) أخرجه البخاري،

النحويون وأثبتوه للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظها، استدلالاً على كمال فصاحته، وحسن بيانه، وحين ندقق النظر فيها نجدها معدودة الألفاظ واسعة الدلالة.

وكأن النحاة حين وجدوها خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم دالة على فصاحته وبيانه ثبت لديهم أنها من لفظه الذي لا يشركه غيره فيه، فأثبتوها له واستدلوا بها.

قال ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لإشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم... [١]

لهذا فإنه "لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا ولا اقصد لفظًا، ولا أعدل وزناً، ولا أجل مذهبًا ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم"[٢].

قداسة الحديث الشريف:

أجمعت الأمة على أن الحديث متى صح عن النبي صلى الله عليه وسم كان حجةً في الدين ووجب المصير إليه والعمل بمقتضاه، ولم يسع أحداً مخالفته؛ ولذا فقد اعتنى المحدثون بمعرفة أحوال الرواة، وسألوا عنهم جرحًا وتعديلاً، فتبيت أحوال الرواة منذ صدر الإسلام إلى أن تم تدوين السنة النبوية، على أن كتابة الحديث كانت ممنوعة في صدر الإسلام حتى لا تلتبس بالقرآن، أو ينشغل الناس بها عنه، وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يكتب عنه سوى القرآن(٣)،

أثر عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: "إذا حدثتكم عن رسول الله صلى لله عليه وسلم حديثًا فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل." [٤]

لقد علم الصحابة رضوان الله عليهم أن ما يتكلم به الرسول صلى لله عليه وسلم تشريع نقله كنقل القرآن، فكانوا يتثبتون عند سماع الحديث هل هو ما قاله- صلى الله عليه وسلم- ليتأكدوا من صحة ما ينقلونه، ينسبونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه حين جاءت إليه الجدة تسأله عن ميراثها، فقال لها: مالك في كتاب الله شيء، ولا علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذ لها أبو بكر[٥].

---

(١) الصاحبي،٥٢.

(٢) الكلام للجاحظ،انظره في البيان والتبيين، تحقيق وشرح حسن السندوبي،دار إحياء العلوم،١٤١٤، (٤٤/٢).

(٣) روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: طلال تكتبوا عني غير القرآن، ومَنْ كتب عني غير القرآن فليمحه" انظر، صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٢٩.

(٤) رواه أبو داود في مسنده برقم ١٠٦.

(٥) الكفاية، ص٢٦.

وحين لا يتأكدون من لفظه صلى الله عليه وسلم، مع جزمهم أن ما يروونه هو مؤدى ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم يشيرون إلى ذلك، ويتورعون عن السكوت المفهم أن ما رووه هو عين ما تلفظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء عن عمرو بن ميمون قال: كنت آتي ابن مسعود كل خميس، فإذا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفخت أوراجه، ثم قال: "أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريب ذلك، أو شبيه ذلك، أو كما قال" [١].

إن هذا الحرص من ابن مسعود دليل على تورعه عن أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وحاشاه – بما لا يتيقن أنه ما حدّثه رسول الله.

وهذا منهجٌ متبع، وسبيل مسلوكة للصحابة حين يعرض لما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضٌ من عدم الحفظ، أو الشك بأن اللفظ كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي إدريس أن أبا الدرداء كان يحدث بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فزع منه قال: هذا أو نحو هذا أو شكله"[٢].

والصحابة في ذلك إنما يخشون أن يدخلوا في مَنْ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الأعمش: "كان هذا العلم – أي الحديث – عند أقوام كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واوًا أو ألفًا أو دالاً"[٣].

وكان من منهج الصحابة رضوان الله عنهم، أنهم حين يسمعون التغيير في متن ما سمعوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إما بتبديل أو نقص أو زيادة، لا يسكتون على ذلك، بل يردونه ويذكرون ما سمعوه وحفظوه، من ذلك أن ابن عمر حين سمع عبيد بن عمير يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين، قال ابن عمر: ويلكم، لا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المنافق كمثل الشاة العاثرة بين الغنمين"[٤].

وهذا التدقيق في اللفظ المسموع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يكون حين يتيقن الصحابي أنه سمع ذلك وحفظه بلفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الحالة هذه فلا سبيل إلى السكوت عنه، أما إذا كان اللفظ غير حاضر، وإنما المعنى هو المعول عليه، فإن الدقة لا تغيب أيضًا، وإن كان المعول عليه هو المعنى.

فعن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: يا بني يبلغني أنك تكتب عني الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقلت لا: اسمعه منك على شيء ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى إخلافًا؟ قلت: لا، قالت: لا بأس عليك"[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤/ ١٥٣.

(٢) الكفاية في علم الرواية، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب،مصورة عن مطبعة الجمعية العلمية بدار المعارف العثمانية،توزيع المكتبة العلمية،ص٢٤١.

(٣) السابق، ٢١٢.

(٤) السابق، ٢٠٨.

(٥) السابق، ٢٤٠.

قال الخطيب: "والأمة متفقة على أن للعالم بمعنى خبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقل معناه بغير لفظه وبلغة أخرى، وأن الواجب على رسله وسفرائه إلى أهل اللغات المختلفة أن يرووا عنه ما سمعوه مما أخبرهم به إلى الأجناس بلغتهم إن كانوا عالمين باللغتين العربية ولغة من أرسلوا إليه"[١].

وقد ظلت الأحاديث النبوية الشريفة كباقي المعارف كالتفسير السيرة والشعر والقصص في صدر الإسلام تتناقل شفاهًا ولا يدوّن، فكان للتابعين منهج كذلك في قبول الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسلكوا مسلك الصحابة في ذلك، فتورعوا عن قبول أي رواية، وتوقفوا عن الخوض في ما لا يعلمون عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما قبول الرواية فقد كان منهم مَنْ لا يجوِّز نقل الحديث المسموع إلا باللفظ دون المعنى يروى عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: لا ينبغي للرجل أن يحدث من الأحاديث إلا بما حفظه من يوم سمعه إلى يوم يحدث به"[٢].

وأما التوقف عن الخوض في ما لا يعلمون عن الحديث فهو تحرزٌ منهم عن التقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو تفسير كلامه بما لا يحتمل، ولاسيما وهم تابعون لم يسمعوا منه ولا علموا من صحابته المعنى الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم.

سئل الإمام أحمد عن حرف من غريب الحديث فقال: سلوا أصحاب الغريب فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالظن"[٣].

وبعد أن شاع التدوين في القرن الثاني بين العلماء، ظهر الاهتمام بالرواية وسندها، فوضعت قواعد وأصول في علم مصطلح الحديث، وظهرت كتب في طبقات رجال الحديث، كل ذلك كان حرصاً من أهل الحديث على الدقة في النقل عن الرسول، طلبًا للعدالة والتثبت، وقد أثمر هذا المنهج ثمارًا طيبة في تمحيص الروايات، وتدوين المروي، حتى ظهر من ذلك كتب المسانيد، ثم الكتب الستة، وأولها كتاب البخاري الشهير.

الأمانة العلمية في تقعيد النحويين:

إن دقة العربية تستوجب أعلى درجات الضبط، وتحرِّي الصحة لتصرف العرب في كلامها؛ لأن أي تغير في الحركات قد يغيِّر المعنى، وبسببه يتغير الحكم المستفاد منه، فالعرب قد تفرق بين المعاني المتضادة بالحركات فقط واللفظ واحد.

إن هذه الدقة في اللغة العربية استلزمت نظامًا دقيقًا أيضًا يجب أن يكون نابعًا من استقراء دقيق وسماعٍ واعٍ تمييز لما تقوم الحجة به من غيره مما لا تقوم به.

يقول ابن جني: "وإن شذ الشيء في الاستعمال وقي في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى، وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله"[٤].

---

(١) الكفاية، ٢٠١.

(٢) انظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ٣٤٥، وقد نقله عن أحمد فريد الرفاعي في كتابه الغزالي، ص١٣٥.

(٣) انظر نصه مجلة أضواء الشريعة،الصادرة عن كلية الشريعة بالرياض،العدد الرابع ٤، ١٣٩٣، ص ١٤٩.

(٤) الخصائص، تحقيق علي النجار، دار العربي، بيروت، ١/١١٧.

فالقياس عند النحويين إنما يكون على ما اطرد سماعه واتضحت سبيله، وتوفرت لصحته الرواية والعناية، إلا أن ذلك لا يعني أنه الغاية التي لا يبلغ سواها، فلم يدَّع أحد من النحويين عصمة ما قعدوا به أو استظهروه، وفي الوقت نفسه فالقياس المقبول عندهم هو ما أدى إلى ما استعمل العرب نظيره مما دخل في الاطراد الذي جعله النحويون سبيل الاطمئنان في المروي للقياس عليه.

فالقرآن حين كان أوثق النصوص سندًا، وأصحها نقلاً لم يختلف العلماء في الاستشهاد به وذكر آياته في تقرير القواعد وتأصيلها، فهو ثابت النسبة إلى الله جلَّ وعلا، ثم هو مثال اللغة التي تكلم العرب بها، وهذان الشرطان كفيلان بأن لا يتردد النحويون بعدهما في الاستشهاد به وإقامة قواعدهم قياسًا عليه.

يقول سيبويه: ".. لكنّ العباد إنما كلّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون"[١].

وفي كلام العرب لم ينظر النحويون لغير ما يسمعون حين يكون مناطاً للاستشهاد؛ لتكون بذلك أقيستهم على ما ثبت لديهم، وما سمعوه من رواته؛ ولذلك حين رُدّ على سيبويه رواية النصب بين عقبة الأسدي:

مُعاوِيُّ إنّنا بشرٌ فاسْجَحِ فلسْنَا بِالجِبَالِ ولا الحَدِيدَا

لأن البيت من قصيدة مجرورة معروفة، وبعد البيت ما يدل على ذلك، فنَّد الشنتمري ذلك بقوله: "وسيبويه غير متهم فيما نقله رواية عن العرب، فيجوز أن يكون البيت من قصيدة منصوبة غير هذه المعروفة، أو يكون الذي أنشده ردّه إلى لغته فقبله منه سيبويه، فيكون الاحتجاج بلغة المنشد لا بقول الشاعر"[٢].

فسيبويه لم يثبت إلا ما سمعه من الراوي، والاعتراض عليه لا يسقط أمانته أو عدالة نقله، فقد ثبت لديه ما أثبته وسمعه ممّن رواه، فحكاية النحويين إنما تكون على ما يسمعون، وهم مؤتمنون في ذلك وقد استعظم ابن جني في المحتسب ردّ المبرد رواية سيبويه لقول الشاعر:

فاليوَمَ أشربْ غَيرَ مُسْتْقحِبٍ إثّماً مِنَ الله ولا وَاغِلِ

وجعل اعتراضه في ذلك اعتراض على العرب لا على صاحب الكتاب؛ لأنه حكاه كما سمع، قال: "فكأنه قال لسيبويه: كذبت على العرب ولم تسمع ما حكيته، وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه"[٣].

وهنا ملمح دقيق جدًا جدير بالاعتبار عند النظر إلى الاستشهاد بالحديث الشريف، فردُّ النحويين فيه قد يفضي على اتهامهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان

---

(١) الكتاب، ١/ ٣٣١.

(٢) تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب،الأعلم الشنتمري،حققه وعلق عليه الدكتور :زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٥،ص ٩٣.

(٣) المحتسب،تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين،القاهرة ١،١٩٦٦/١١٠، ١١١.

النحويون يخشونه ويتجنبون، لذا قلّت عندهم نسبة الحديث إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإن مثلوا به؛ تورعًا عن أنه يؤخذ عنهم أنه رواية عن الرسول بلفظه وهم لم يسمعوه عنه.

جاء في أخبار النحويين البصريين: "حدثنا نصر بن علي قال: حضرت الأصمعي وقد سأله سائل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "جاءكم أهل اليمن وهم أبْخَعُ أنفسًا" قال: يعني أقتل أنفسًا، ثم أطرق متندمًا على نفسه كاللائم لها، فقال: ومَنْ أخذني بهذا؟ وما عليَّ به؟ فقلت لا عليك، فقد حدثنا سفيان بن عينية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ..... أي قاتل نفسك، فكأنه سري عنه"[١]

لقد كان هذا موقف إمام اللغة الأصمعي وهو العالم بلغة العرب، مع أنه كان في مقام التفسير لا في مقام الرواية والنقل".

فكيف يكون الأمر حين يكون بإثبات نص لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد يتبعه أو يقوم عليه حكم شرعي أو تشريع نبوي.

وقد غلب على أكثر ما ينقله النحويون المتقدمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون على سبيل الإخبار عنه أو التمثيل به؛ تحرزًا من نسبته دون اليقين من أنه لفظه صلى الله عليه وسلم، قال البغدادي في تخريج أحاديث الرضى "حديث الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخيرٌ وأن شرًا فشر" رواه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس موقوفًا... وهو من أمثلة النحويين وأول من مثل به سيبويه...." [٢]

وكذلك كانوا يتورعون عن تفسير الحديث حين لا يعلمون حقيقة معناه وربما أحالوا على العرب خروجًا عن التجرؤ على التفسير دون علم.

سئل الأصمعي عن قوله صلى الله عليه وسلم: " الجارُ أحَقُ بسقَبه" فقال: أنا لا أفسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن العرب تزعم أن السقب اللزيق"[٣]

فالإحالة هنا على العرب المسموع عنهم؛ لأن الأصمعي لم يسمع تفسير الحديث بذلك ولم يعلمه علمًا ينتفي معه احتمال إرادة ما سواه، ولذا فسره، بما سمع مما يناظره من كلام العرب.

ومما يدل على أن منهج الاستشهاد بالحديث كان واضحاً لدى متقدي النحويين أن علماء مدرستي البصرة والكوفة متفقون فيه على ذلك، وإن كان الخلاف في السماع كبيرًا بينهم فـ " الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه، بخلاف البصريين ...

---

(١) أخبار النحويين البصريين، ٧٥.

(٢) تخريج أحاديث الرضي، نقلاً عن : الحديث النبوي في النحو العربي، ص ٢٩٣.

(٣) انظر : الباعث على الخلاص من حوادث القصاص، لابن حسين العراقي، المنشور بتحقيق الأستاذ محمد الصباغ، بمجلة: أضواء لشريعة الصادرة عن كلية الشريعة بالرياض، العدد الرابع ٤، ١٣٩٣، ص ١٤٩.

ومما افتخر به البصريون على الكوفيين أن قالوا: نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضبان، وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ".[١]

إن موقف الكوفيين من الحديث وتورعهم عن الاستشهاد به ليدل دلالة واضحة على عدم وثوقهم من نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة، ولخوفهم من أن ينسبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يثبت عنه، خصوصًا أنه ثبت لهم أن " النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت".[٢]

يقول ابن فضال المجاشعي:" ألا ترى إلى قول النبي عليه السلام: " لا يُقْتَلُ قرشيٌّ بعدها صبرًا" لو رواه راوٍ" لا يُقْتَلْ بالجزم لأوجب ألا يقتل القرشي وإن ارتد، ومعنى الحديث على الرفع: أنه لا يرتد القرشي فيقتل"[٣]

لقد كان اللغويون يحتاطون لطالب العلم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يجعلون تعلم النحو ضرورة للطلب، يقول الأصمعي " إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله النبي صلى الله عليه وسلم: " من كذب عليّ متعمدًا فلينبوأ مقعده من النار" لأنه مهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه.[٤]

وإذا كان أبو حيان يرى أن سبب ترك العلماء للاستشهاد بالحديث الشريف عدم وثوقهم بأن ذلك لفظه صلى الله عليه وسلم ويعلل ذلك بتجويز الرواية بالمعنى ووقوع اللحن من الرواة الأعاجم[٥] فإن ذلك مع وجاهته ليس كل ما منع النحويين من الاستشهاد بالحديث، إذ لو كان ذلك هو عين العلة لقبل الكوفيون ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من الرواة لدخوله في زمن الاستشهاد، ولاسيما أن من عادتهم أن يجعلوا لكل ما سمعوه من لفظ أو شعر نادرً بابًا أو فصلاً.

لقد كان النحويون يرون أنفسهم وهم في صدر الإسلام ممن يؤخذ عنهم الدين، فعلمهم من علوم الشريعة، وعملهم من تبليغ الدين، فلو أثبتوا ما سمعوه من الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كالأخبار عنه والرواية له، وقد يتلقفه المتأخرون بالتسليم للفظة حين يجدونه في كتب المتقدمين من سلف الأمة، وكذلك فإنه لم يكن لعلوم اللغة استقلال عن علوم الدين الأخرى، حتى إنه أثر عن أبي عمر الجرمي أنه قال:" أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه" قال أبو جعفر الطبري حدثت به محمد بن يزيد على وجه التعجب والإنكار فقال: أنا سمعت الجرمي يقول

---

(١) النص للأندلسي في شرح المفصل، نقله السيوطي في الاقتراح، ٨٤.

(٢) النص للخليل بن أحمد، انظر في العين، ص٥.

(٣) شرح عيون الإعراب، ٣٧.

(٤) رواه البخاري، في كتاب العلم، الحديث الرقم ٢٨١٨

(٥) انظر : الشاهد وأصول النحو، د. خديجة الحديثي ص ٦٩، وقد بحثت القضية يتوسع في كتابها موقف النحويين من الاستشهاد بالحديث .

هذا.. وأومأ بيده إلى أذنيه- وذلك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه نفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه تعلم منه النظر والتفتيش". [١]

وعلى ذلك فإنه لم يغب عن النحويين أن الأليق بلفظ النبوة موافقة الفصيح، فهم حين لا يستشهدون بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحطون من منزلة الحديث بل ينزهونه عن لحن العامة من جهة؛ ويحتاطون لنقلهم عن رسول الأمة بما لا يجزمون بأنه من لفظه منه صلى الله عليه وسلم. قال السيوطي" في حديث: " من يقم ليلة القدر" قلت: الحديث رواه البخاري أيضًا: " من قام ليلة القدر" فعرف أن ذلك من تصرف الرواة، والأليق بما يناسب إلى لفظ النبوة ما وافق الفصيح"[٢] وقد قال ابن حجر فيه: " عندي في الاستدلال بهذا الحديث نظر، لأني أظنه من تصرف الرواة بالمعنى". [٣]

فأنظر كيف اتفق رأي النحوي حين رأى أن الأليق بلفظ النبوة إحدى الروايات مع ما ثبت لدى المحدث حين رأى أن إحدى الروايتين من تصرف الرواة. وحين يثبت للنحويين أو غيرهم أن السماع في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت فإن إتباعه عندهم واجب، وهذا مذهبهم في المسموع من كلام العرب، فإن اتباعه عندهم واجب كذلك: " فالقياس يترك للسماع، وإنما يلجأ إليه إذا عدم في الشيء السمع"[٤]

وقد بلغ من رسوخ هذا المذهب عند أهل اللغة أن جُعلت لأهل الحديث لغة خاصة تحترم لرفقة النص الذي ترويه يقول أبو عبيد: "لأهل الحديث لغة، ولأهل العربية لغة، ولغة العربية أقيس، ولا تجد بدًا من إتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع"[٥]

لقد قام عند النحويين على اليقين أنه " لو كان اللفظ واجبًا حتى لا يغْفَلَ منه حرف لأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإثبات ما يسمعون منه كما أمرهم بإثبات الوحي الذي لا يجوز تغيير معناه ولا لفظه، فلما لم يأمرهم بذلك دل على أن الأمر في التحديث أسهل، وإن كان أداء ذلك اللفظ الذي سمعه أحسن". [٦]

وحين يكون ذلك ثابتاً عنهم، فتورعهم أن ينسبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يجزموا بأنه لفظه يمنعهم من الخوض في الحديث أو التجرؤ على روايته كما هو حالهم مع كلام العرب من شعر ونثر.

الخاتمة

---

(١) انظر طبقات النحويين واللغويين، ٧٧، مجالس العلماء، للزجاجي٢٥١.

(٢) عقود الزبرجد،تحقيق سلمان القضاة،دار الجيل،بيروت،٣/٤٠ .

(٣) فتح الباري،، تحقيق محي الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، دار الريان، ط٣، ١/١١٣ – ١١٤.

(٤) الحلبيات،٥٢.

(٥) انظر نصه في الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، الطبعة الثالثة،ص١٤٢.

(٦) انظر قواعد التحديث،من فنون مصطلح الحديث، مال الدين القاسمي، ص ٢٢٤. وهوكلام ابن فارس الرزي ت٣٩٥هـ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد: فقد من الله على بأن أنتهي من هذا العمل، الذي تغييت فيه الوصول إلى أسباب انصراف النحويين عن الإكثار من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، وقد انتهيت من ذلك إلى النتائج التالية:

- لمّا كانت بواعث دراسة اللغة ووضع قواعدها – في أصلها – دينية جعل ذلك للغة خصائص مناهج علوم الدين وأعطاها من القداسة ما لعلوم الدين.
- ما جاء عن الصدر الأول من النحويين فهو عن دراية ورواية وتدقيق، يجعلنا ننفي عنهم الجهالة والخطأ المجمع عليه، أو السكوت عن حق ينبغي الإشارة إليه والتنبيه عليه.
- كانت وجهة النحويين وجُمّاَع اللغة التدقيق في متن النقل وسنده، وبناءً عليهما يكون النظر إلى صحة الرواية والاعتماد عليها في الاستشهادمن عدمه.
- كانت الرواية عن رسول الله تنقل شفاها حتى دونت السنة في القرن الثاني، وقد كان للصحابة والتابعين منهج في السماع والنقل، يحرصون فيه على التثبت من صحة المنقول لفظا ومعنى .
- لم ينظر النحويون لغير ما يسمعون حين يكون مناطاً للاستشهاد؛ لتكون بذلك أقيستهم على ما ثبت لديهم، وما سمعوه من رواته.
- قلَ عند المتقدمين من النحويين الاستشهاد بحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإن مثلوا به؛ تورعًا عن أنه يؤخذ عنهم أنه رواية عن الرسول بلفظه وهم لم يسمعوه عنه.
- موقف الكوفيين من الحديث وتورعهم عن الاستشهاد به يدل دلالة واضحة على عدم وثوقهم من نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة، ولخوفهم من أن ينسبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يثبت عنه.
- حين يثبت للنحويين أو غيرهم أن السماع في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت فإن إتباعه عندهم واجب، وهذا مذهبهم في المسموع من كلام العرب، فاتباعه عندهم واجب

وآخر دعوانا أن الحمد لهه رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

٧. مفهوم التأويل - أنواعه وأدلّته - في (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)

د. زينب السلطاني

(قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد)

مدخل

(١) مفهوم التأويل في اللغة والاصطلاح: وله في اللغة معانٍ عدّة منها:

الأول: أنّه العاقبة وهو من (الأوْل) وهو الرجوع إلى الأصل[١].

الثاني: أنّه من (الإيالة) وهي السياسة، فكأنّه ساس الكلام وتصرّف فيه، ووضع المعنى موضعه[٢].

الثالث: أنّه بمعنى (التدبّر و التقدير)، يقال: أوّله و تأوّله أي دبّره وقدّره[٣].

الرابع: أنّ التأوّل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه[٤].

أما التأويل في الاصطلاح: فقد عُرِّف بأنّه (نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ)[٥]. إذ الأصل فهم اللفظ بحسب ظاهره، ولا يُعدل عن ذلك الظاهر إلّا لضرورة ؛ أي وجود دليل يقتضي التأويل ؛ لأنّ وجوده يمنع من إيراد المعنى من ظاهر اللفظ، ويوجب التأويل. وعلى هذا فإنّ التأويل يعني: الخروج عن ظاهر اللفظ الى معنى آخر أو معان أُخَر.

(٢) مفهوم التأويل في القرآن:

تكرّر لفظ (التأويل) في القرآن الكريم في مواضع عدّة، وبدلالات متنوعة، حدّدها علماء (الوجوه والنظائر[٦] في القرآن الكريم) بخمسة أوجه منها[٧]: أنّ معنى (تأويله) في قوله تعالى: هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ [٨]: منتهى مدة بقاء ملك محمد (ﷺ) وأمته، وانقضاء ملكه ورجوعه إلى اليهود، فقال الله تعالى أي: لا يعلم مدّة ملك محمد (ﷺ) وأمته إلّا الله عزّ وجلّ. أما الوجه الآخر الذي ذكره علماء الوجوه والنظائر لـ(التأويل)، فهو (العاقبة والمآل)، كالذي في نحو قوله تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ [٩]، فقالوا[١٠]: إنّ المراد من

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة : ابن فارس ١٦٢/١ (آل) ، والمفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ٣٨ ، ولسان العرب : ابن منظور ٣٣/١٣ (أول).

(٢) مقاييس اللغة ١٦٠/١ (آل) ، وينظر البرهان في علوم القرآن : الزركشي ١٤٩/٢ .

(٣) لسان العرب ٣٤/١٣ (أول) ، وينظر: تاج العروس : الزبيدي ٢١٥/٧ (أول) .

(٤) تهذيب اللغة : الأزهري ٤٥٨/١٥ ، وينظر الصّحاح : الجوهري ١٦٢٧/٤ ، ولسان العرب ٣٤/١٣ (أول) .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين بن الأثير ٨٠/١، وينظر لسان العرب ٣٤/١٣ (أول).

(٦) الوجوه والنظائر : هو أن تكون الكلمة واحدة ، ذكرت في الموضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة ، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر ، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر ، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه . ينظر الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى ، المقدمة ٨ .

(٧) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان ١٣١ ، والوجوه والنظائر في القران الكريم ١١٧. ١١٨ ، وكشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر : محمد بن العماد ١٦٨.

(٨) آل عمران / ٧.

(٩) الأعراف /٥٣.

(١٠) ينظر:الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ١٣١ ، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١١٧ ، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : ابن الجوزي ١٨٢ .

(تأويله) في الآية: عاقبة ما وعد الله في القرآن الكريم من الخير والشر.

ومن وجوه (التأويل) في القرآن الكريم وروده بمعنى (تعبير الرؤيا)[١] كالذي في قوله تعالى (وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ)[٢]. ومن معانيه في القرآن الكريم: التحقيق[٣]، كما في قوله تعالى (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ)[٤]، يعني تحقيق رؤياي.

ومنها بمعنى: ألوانه، كما في قوله تعالى: (إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ)[٥]، أي ألوان الطعام قبل أنْ يأتيكما[٦]، أي: أنواعه.

(٣) مفهوم التأويل في الأثر:

يراد بالأثر ما روي عن النبي (ﷺ) من عملٍ وقولٍ وتقريرٍ، وبما ورد عن آل بيته وأصحابه وأتباعهم. لقد كان الرسول الكريم (ﷺ) يبيّن لأصحابه معاني القرآن، كما يبين لهم ألفاظه[٧]، وكانوا يسألونه (ﷺ)عمّا يشكل عليهم من ألفاظه ومعانيه، وما يصعب عليهم فهمه، حتى أنّه دعا لابن عباس (رضي الله عنه) بأنْ يعلّمه الله سبحانه التأويل ويفقّهه في الدين، فقال (ﷺ): **(اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل)**[٨] فالتأويل في هذا الحديث يعني: الاستنباط، الذي (يتطلب تعمّقاً في المعنى المراد، ومعرفة القصد من ورائه، مما لايدركه إلّا أصحاب التدبّر والفكر الثاقب، وتلك هي المنزلة التي أرادها الرسول لابن عباس)[٩]. وقد روي عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (كان رسول الله (ﷺ) يكثر أنْ يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم وبحمدك. اللهم اغفر لي)، يتأوَّل القرآن)[١٠].

وقد وردت لفظة (التأويل) في أقوال الإمام عليّ (عليه السلام)، معبّرة عن مفهومين[١١] للتأويل: **أحدهما:** تفسير القرآن بالاجتهاد، أو تأويله باستنباط الأحكام وبيان المجمل، وتخصيص العموم وغير ذلك، كالذي جاء في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام)، إذ يقول: (وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله). **والآخر:** صرف معاني القرآن إلى غير ما هي له، وهو التأويل المبنيّ على الهوى والاعتقاد، وقد ذمّه الإمام ورأى فيه خروجاً عن السبيل القويمة في الكشف عن معاني القرآن وذلك في كتاب بعثه الى أحدهم يقول فيه: (وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي، فجعل أحدنا حجةً على الآخر، فعدوت على طلب الدنيا بتأويل

---

(١) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ١٣١ ، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١١٧ ، ونزهة الأعين النواظر ١٨٣ ، وكشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ١٦٨ . ١٦٩ .

(٢) يوسف /٦ .

(٣) الأشباه والنظائرفي القرآن الكريم ١٣٢ ، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١١٨ ، ونزهة الأعين النواظر ١٨٣ ، وكشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ١٦٩ .

(٤) يوسف /١٠٠ .

(٥) يوسف /٣٧ .

(٦) الأشباه والنظائر في القرآن ١٣٢ ، والوجوه والنظائر في القرآن ١١٨ ، ونزهة الأعين النواظر ١٨٢ ، وكشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ١٦٩ .

(٧) مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية ٥ .

(٨) مسند الإمام احمد بن حنبل ٣١٤/١ .

(٩) ظاهرة التأويل وصلتها باللغة : السيد احمد عبد الغفار ٢٨.

(١٠) سنن ابن ماجة ٢٨٧/١ (باب التسبيح في الركوع والسجود) .

(١١) التفسير في نهج البلاغة : د. كاصد الزيدي ٢٠. ٢١ بحث مستل من مجلة رسالة الإسلام العدد (٤٣) لسنة ١٩٧١ .

القرآن، فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني، وعصيته أنت وأهل الشام بي...)[١].

وقد شرحه الشيخ محمد عبده [٢] - رحمه الله قائلاً: (وتأويله القرآن: صرف قوله تعالى(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ) [٣] وقوله تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) [٤]، وتحويله إلى غير معناه، حيث أقنع أهل الشام أنّ هذا النص يخول معاوية الحق في الطلب بدم عثمان من أمير المؤمنين).

نخلص ممّا تقدّم أنّ (التأويل) في الأثر ورد بمفهومين: **أحدهما:** أنّه التفسير، والتأويل بالاجتهاد والاستنباط، وهو المبنيّ على أسس صحيحة، ومتفقة مع تعاليم الشريعة.

والآخر: التأويل المذموم المبنيّ على الهوى والاعتقاد.

المبحث الأول

أنواع التأويل

تقدّم أنّ الأصل عدم العدول عن ظاهر اللفظ إلّا بقرينة تمنع من إيراد المعنى من ظاهر اللفظ، وتوجب العدول الى التأويل والاستنباط. ولما كان التأويل بتجاوز الظاهر الى معان أُخَر تستنبط بالفكر والفهم، فقد تلون بألوان مختلفة وصور متباينة بحسب الثقافات والعصور والعقائد. فكان على ضربين: **أحدهما:** تأويل قريب ؛ وهو المقبول، **والآخر:** تأويل بعيد ؛ وهو المرفوض.

أ/ التأويل المقبول:

وهو ما كان قريباً سائغاً، ولا يكون ذلك إلّا بشروط[٥] تقدم ذكرها. ويكتفي هذا التأويل بدليل قريب يسانده، ولا يشترط معه دليلاً قوياً كالتأويل البعيد.ومعلوم أنّ التأويل كلما كان قريباً كان أكثر قبولاً، وأكثر فائدة وهو ـ كما قال أحد العلماء[٦]: إنّه (أولى من البعيد الذي لا يفيد). فمن ذلك تأويلهم قوله تعالى: **(انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً)**[٧]، فقد قيل (شباباً وشيوخاً، وقيل: أغنياء وفقراء. وقيل عزاباً ومتأهلين، وقيل: نشاطاً وغير نشاطٍ، وقيل: أصحاء ومرضى)[٨]. وقد علّق الزركشي على ذلك بقوله (وكلها سائغ جائز. والآية محمولة عليها ؛ لأنّ الشباب والعزّاب، والنشاط والأصحاء خفاف، وضدّهم ثقال)[٩]. فهذا يعدّ تأويلاً مقبولاً في جميع وجوهه.

وقد أورد ابن قتيبة تأويلات لألفاظ من الحديث الشريف، مما بدا قبوله لها بأساليب مختلفة. فمن ذلك تأويل حديث النبي (ﷺ): **(لقد اهتزّ لموته العرش، ولقد تبادر الى غسله سبعون ألف ملك، وما كدت أصل الى جنازته)**[١٠]، فبيّن أنّ المراد من (الاهتزاز) (استبشار الملائكة الذين يحملونه

---

[١] نهج البلاغة : الإمام علي (عليه السلام) بشرح الإمام محمد عبده ١١٢/٣ .

[٢] نهج البلاغة ١١٢/٣ .

[٣] البقرة / ١٧٨ .

[٤] البقرة / ١٧٩ .

[٥] الوجيز في أصول الفقه ٣٤٤ ، وينظر : أصول الفقه ١٢٩ .

[٦] مجمع البيان في تفسير القرآن ١٢٩/٦ ، عند تفسيره الآية (٥٦) من سورة المائدة .

[٧] التوبة /٤١ .

[٨] البرهان في علوم القرآن ١٥١/٢ .

[٩] البرهان في علوم القرآن ١٥١/٢ ، وينظر الاتقان في علوم القرآن ١٨٠/٢ .

[١٠] تأويل مختلف الحديث ٢٤٥.

ويحفون حوله...فأقام العرش مقام من يحمله ويحيط به من الملائكة)[1]، ثم أشار الى أنّ ذلك من المجاز فهو كقوله تعالى **(فما بكت عليهم السماء والأرض)**[2]، أي (يريد مابكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض، فأقام السماء والأرض مقام أهلهما)[3]، وهو من المجاز المرسل الذي علاقته المحلية إذ ذُكِر المحلّ وأُرِيد الحالّين فيه. ثم علّق بعد ذلك قائلاً: (وهذا التأويل بحمد الله سهل قريب)[4].

ب / التأويل غير المقبول (التأويل المرفوض):

وهو التأويل الذي لايدلّ عليه ظاهر اللفظ ولا تأويله. وهو المنهيّ عنه في الشريعة. فقد نهى النبي **(ﷺ)** عن التأويل بغير علم وذكر عليه الصلاة والسلام أنه يخشى على أمته من ثلاث ؛ إحداها: **(رجال يتأوّلون القرآن على غير تأويله)**[5]، أي على غير معناه المعقول، ثم وعد أنّ جزاءهم النار في حديث له قال فيه **(من تعمّد علي كذباً فليتبوأ مقعده من النار)**[6]. فحمل الحديث . في بعض وجوهه . على أنّه نهي عن التأويل بغير علم، قال الالوسي[7] (ت ١٢٧٠ هـ) في معنى الحديث: إنّ (مَنْ قال في مشكل القرآن بما لا يعلم فهو متعرّض لسخط الله تعالى). ولابد للتأويل البعيد من دليل قوي لكي يقبل، يقول ابن حزم الأندلسي [8](ت٤٥٦ هـ): (ونحن لانقول بالتأويل أصلا إلّا أن يوجب القول به نص آخر وإجماع أو ضرورة حس، ولا مزيد، وإلاّ من ادّعى تأويلاً بلا برهان، فقد ادّعى ما لايصح، فدعواه باطل). وهذا النوع على صور منها:

(١)الإغراب في التأويل: وممن عرفوا بضروب من التأويل البعيد، المعتزلة، اذ غلب على الفكر الاعتزالي الطابع العقلي والكلامي [9]، ويتبين ذلك في القضايا العقلية والفلسفية عند تفسيرهم كتاب الله عز وجل. فقد حملوا طائفة من الألفاظ القرآنية على وفق مناهجهم، فكانت طائفة من التأويلات القرآنية لاتخلو من بعدٍ وإغراب حتى أنّ الجاحظ [10] (ت ٢٥٥ هـ) ـ مع أنّه معتزليّ ــ نقد على بعض قدامى مفسريهم ذلك، ناقلاً قول أستاذه (النظّام) في التحذير من هذا النوع من التفسير والمفسرين وهو: (لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين، وأن نصبوا أنفسهم للعامة... وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب اليهم، وليكن عندكم عكرمة والكلبيّ والسديّ والضحاك ومقاتل بن سليمان وابو بكر الأصم، في سبيل واحدة). وأبو بكر الأصم من قدامى مفسّري المعتزلة. وقد علق الجاحظ [11] على هذا الصنيع وأشباهه بعد أن عرض طائفة من الشواهد التفسيرية بقوله: (وليس يؤتى القوم إلّا من الطمع، ومن شدة إعجابهم بالغريب).

---

[1] تأويل مختلف الحديث ٢٤٦.

[2] الدخان ٢٩ .

[3] تأويل مختلف الحديث ٢٤٦.

[4] تأويل مختلف الحديث ٢٤٧.

[5] المراسيل : أبو داود السجستاني ٥٥ ، وينظر مذاهب التفسير الاسلامي : جولد تسهر ٨ .

[6] الجامع الصحيح سنن الترمذي ٢٦٨/٤ باب (ماجاء في الذي يفسر القرآن برأيه)

[7] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ٦/١ .

[8] الرد على ابن النغريلة اليهودي ١١٧ .

[9] مباحث في علوم القرآن : د . صبحي الصالح ٢٩٤ .

[10] الحيوان ٣٤٣/١.

[11] الحيوان ٣٤٦/١ .

(٢) تأويل فريق من الصوفية: يرى الصوفية أنّ للقرآن ظاهراً للعوام وباطناً للخواص، فكان أبو حامد الغزّاليّ[١] يذهب الى أنّ أحوال أهل النعيم والعذاب يعبّر عنها القرآن بالحشر والنشر والحساب والميزان والصراط، ويرى أنّ لهذه الألفاظ المصطلحة في الإسلام: (ظواهر جلية تجري مجرى الغذاء لعموم الخلق، ولها أسرار غامضة تجري مجرى الحياة لخصوص الخلق). وعُدّ منهج الغزالي الصوفي من المناهج المعتدلة لدى الصوفية، وهو منهج سهل التستري (ت ٣٠٣ هـ) الذي كان له قدم ثابتة في مجال السلوك الصوفي القائم على أساس من الشريعة الإسلامية[٢] والجمع بين الظاهر والباطن[٣]، ويرى كثير من المتصوفة أنّ هذا المعنى الباطن لا يلغي المعنى الظاهر، بل هو منه بسبب وصلة، ولذلك يرون إرادة التفسير الظاهر للفظ الآية، ويرون ضرورة إيراده أولا، ثم يستنبط في ضوء ذلك التفسير معنى إشاريّ خفيّ يتصل بفيوضاتهم ومقاماتهم ومعارفهم وأسرارهم [٤]. فالغالب على التأويلات الصوفية، التأويل الباطني الذي يترتّب عليه صعوبة فهمه، إلّا على من تعلّم طرقهم ومرن على أساليبهم[٥].

(٣) تأويل الباطنية: ومع ما وصفنا من تفسير المتصوفة بعدِّه تفسيراً باطنياً، إلّا أنّ مصطلح الباطنية يتناول طائفة أخرى خرجت عن الإسلام لانحرافها عنه بما انتحلت من عقائد بعيدة عن هذا الدين وروحه. فمن معتقداتهم أنّ للشريعة الإسلامية ظاهراً وباطناً، فجعلوا تأويلاتهم الغريبة للقرآن هي الباطن الذي يقف علمه . في زعمهم . عليهم، وأنّ ما يعلمه عوام الناس هو الظاهر[٦]. ولذلك اقتصرت تفاسيرهم على الأخذ بباطن القرآن وإهمال ظاهره مستدلين على ذلك بقوله تعالى: (فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) [٧]. وقد ملئت تفاسيرهم بالتأويلات البعيدة المخالفة لمقاصد القرآن وروحه، وللشرع الإسلامي ولأصول اللغة وقواعدها كذلك، فكانت أشدّ بعداً عن النسق القرآنيّ من تفاسير المتصوفة، وإن كانت جميعها تشترك في مخالفة ظاهر القرآن والحديث[٨]، ومن هؤلاء الكرامية[٩] والمنصورية[١٠] وغيرهما. ومن التأويلات الباطنية التي تأباها الشريعة الاسلامية وتنبذها، ما جاء في تأويلهم قوله تعالى: (إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ) [١١]، إذ قالوا: إنّ قوله (إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ) معناه: سماء الأديان انشقت، و(إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) يعني: هم رجال الدين لم يبق لهم أثر على الناس.

(٤)التأويل الفلسفي:

---

[١] جواهر القرآن ٤ .

[٢] مناهج المفسرين : منيع عبد الحليم ٣٣ ، وينظر مباحث في علم التفسير : د . عبدالستار حامد ١٧٩ .

[٣] مباحث في علم التفسير ١٧٩ .

[٤] بدع التفسير ١٥٠ .

[٥] مباحث في علم التفسير ١٧٩ . ١٨٠ .

[٦] ابن حزم حياته وعصره . آراؤه وفقهه : محمد أبو زهرة ١٢٢ ، وحقيقة البابية والبهائية : د . محسن عبد الحميد ٢٩ .

[٧] الحديد / ١٣ .

[٨] مباحث في علوم القرآن ٢٩٧ .

[٩] الكرامية : وهم اصحاب أبي عبدالله بن كرام ، من القائلين بالصفات والتجسيم والتشبيه . ينظر الملل والنحل : أبو الفتح عبدالكريم الشهرستاني ١٤٤/١ .

[١٠] المنصورية : هم أصحاب أبي منصور العجلي ، ادعى الإمامة لنفسه ، وكان يقول لاصحابه ((فيَّ نزل قوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) الطور /٤٤ ، تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة ٧٠ ، وينظر الملل والنحل ١٤/٢ . ١٥ .

[١١] الانفطار /١.

اتخذ فريق من الفلاسفة التأويل وسيلة للتوفيق بين العقل والشرع [١]، وبين الفلسفة والدين، فانبروا يؤوّلون النصوص بما يبعدها عن ظاهر القرآن ومقاصده، ومايتحمّله النصّ القرآنيّ من تأويل، ويتجلى هذا في ما قالته جماعة (اخوان الصفا) [٢]في رسائلهم وكانوا كذلك يؤوّلون النصوص القرآنية والحديثية بما يتناسب وأفكارهم الفلسفية.

وقد نعت ابن قتيبة التأويلات المرفوضة بعّدة نعوت، تدلّ على عدم قبوله لها ؛ مثل:

(أ) التأويل المستنكر: وهو ما استنكره، ولم يرتضه، مُخطِّئاً بذلك القائلين به، كما في تأويلهم (سبعة الأحرف) في قوله (ﷺ):**(أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ، فأقرأوا كيف شئتم)**[٣]، إذ ردَّ[٤] الأقوال الثلاثة التي قيلت في تأويل هذه الأحرف السبعة قائلا:(وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة الأحرف: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج. وقال آخرون: هي سبع لغات في الكلمة. وقال قوم: حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وخبر ما كان قبل، وخبر ماهو كائن بعد، وأمثال). ثم استنكر ما قالوه معلّقاً على ذلك بقوله[٥]: (وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل)، مبيّناً أنّ تأويله الصحيح . عنده . (سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن)، مستدلاً على ذلك بسياق قوله (ﷺ) بعد ذلك: (فاقرأوا كيف شئتم) وهذا القول ليس بقوي أيضا، إذ إنّ اللغات العربية التي في القرآن، وهي اللهجات، أكثر من سبع، ولهذا ردّه غير واحد من أهل العلم ؛ لأنّ المرويّ في ذلك عن النبي (ﷺ) أنّ جبريل أمره بأن يقرىء كل قوم بلغتهم ؛ توسعة على العرب بالقراءة بغير لهجة قريش [٦].

(ب) التأويل المستكره:

وهو الذي يلوي فيه المفسر أو المؤوّل النص ؛ ليتلاءم واتجاهاته ومذهبه[٧]، فيؤدي به ذلك الى مخالفة كتاب الله سبحانه. ووقف ابن قتيبة عند تأويلات تتصف بالبعد . لديه . كالذي في قوله (ﷺ): **(إنّ الله عزّ وجلّ، خلق آدم على صورته)**[٨]، إذ بيّن[٩] أنهم قالوا: (أراد خلق آدم على صورته لم يزد على ذلك). وقالوا: (إنّ الله خلق آدم على صورة عنده)، وقالوا أيضا: (لاتقبّحوا الوجه، فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته) أي على صورة الوجه. ولم يرتض ذلك ابن قتيبة، بل استبعد هذه التأويلات واصفاً إياها بالاستكراه، فقال:(ولما وقعت هذه التأويلات المستكرهة، وكثر التنازع فيها، حمل قوما اللجاج على أن زادوا في الحديث، فقالوا: روى ابن عمر عن النبي (ﷺ)، أنّ (الله عز وجل خلق آدم على صورة الرحمن) فاتهمهم

---

[١] ظاهرة التأويل وصلتها باللغة ٩ .

[٢] رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ٤٨.

[٣] تأويل مشكل القرآن ٣٣ ، والحديث في صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٩/٢٠ . ٢٣ .

[٤] تأويل مشكل القرآن ٣٣ . ٣٤ .

[٥] تأويل مشكل القرآن ٣٤ .

[٦] المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز : شهاب الدين أبو شامه ٩٦ . ٩٧ .

[٧] دراسات في القرآن : سيد أحمد خليل ١١٠ .

[٨] تأويل مختلف الحديث ٢٠٣ ، والحديث في صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٣/١١ كتاب (الاستئذان) باب (بدء االسلام)

[٩] تأويل مختلف الحديث ٢٠٤ . ٢٠٥ .

ابن قتيبة بالوضع في الحديث من أجل عضد رأيهم وما يرونه فيه، فقال: (فركبوا قبيحاً من الخطأ وذلك أنه لايجوز أن نقول: (إنّ الله تعالى خلق السماء بمشيئة الرحمن)، ولا على إرادة الرحمن، وانما يجوز هذا اذا كان الاسم الثاني غير الاسم الأول). ثم رأى إمكان حمل الحديث على ظاهره من غير تأويل له، بشرط صحة رواية ابن عمر (ﷺ) فقال: (فإن صحّت رواية ابن عمر عن النبي (ﷺ) بذلك، فهو كما قال رسول الله (ﷺ)، فلا تأويل، ولا تنازع فيه).

(ج) التأويل المتعسّف:

جاء في لسان العرب[١] أنّ التعسّف: ركوب الأمر من دون تدبير ولا روية. وهو السير على غير علم، والأخذ على غير طريق. وقد استبعد ابن قتيبة ما ورد من تأويلات حادت عن طريق الصواب فوصفها بالتعسّف. فمن ذلك حملهم[٢] قوله تعالى لجهنّم: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) [٣]، على أنه إخبار عن سعتها. فلم يُحمَل على ظاهره. ولم يرتض ابن قتيبة ذلك ؛ بل قال [٤] معلقا عليها: (فما يحوج الى التعسف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة ؟ وما ينفع من وجود ذلك في الآية والآيتين والمعنى والمعنيين، وسائر ما جاء في كتاب الله عز وجل من هذا الجنس ؟ وفي حديث رسول الله (ﷺ)، ممتنع عن مثل هذه التأويلات). ثم بين أن ليس في نطق جهنم، ونطق السماء والأرض عجب، وان الله تعالى ينطق الجلود، والأيدي، والأرجل، مستدلاً على ذلك بطائفة من الشواهد القرآنية، وأنّ في أحاديث الرسول ما يؤكد ذلك. فقد رُوِي عنه (ﷺ) أنّ جهنّم تقول: **(قط قط)**[٥] أي: حسبي حسبي. فحمل ابن قتيبة نطق جهنّم في القرآن والحديث على ظاهره من غير تأويل له.

(د) التأويل المستحيل المنكوس:

من التأويل ما يكون قبوله محالاً غير ممكن لانحرافه ومخالفته الكتب السماوية ولاسيما القرآن الكريم. ويتجلّى ذلك في إنكارهم السحر الوارد في حديثه (ﷺ): **(أنّه (ﷺ) سحر، وجعل سحره في بئر ذي أروان، وأن علياً - كرم الله وجهه - استخرجه، وكلما حل منه عقدة وجد النبي (ﷺ) خفةً، فقام النبي (ﷺ) كأنما أنشط من عقال)**[٦]، محتجين لذلك بقوله تعالى(لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[٧]، كما استدلوا على عدم إنزال الله تعالى السحر على الملكين، بتأويل بعضهم (ما) في قوله تعالى: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) [٨]، بأنّه حرف نفي. والمعنى: أنّ الله تعالى لم ينزل السحر على الملكين ببابل. وأنّه تخييل كما قال الله تعالى: (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا

---

[١] ١٥٠/١١ (عسف) .

[٢] تأويل مشكل القرآن ١١٢ .

[٣] ق / ٣٠ .

[٤] تأويل مشكل القرآن ١١٢ – ١١٣ .

[٥] تأويل مشكل القرآن ١١٣ ، والحديث في صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٧٦٥/٨ كتاب (التفسير) ، وسنن الترمذي ١٥٨/٩ كتاب (تفسير القرآن / سورة (ق))

[٦] تأويل مختلف الحديث ١٦٥ _ ١٦٦ ، وتأويل مشكل القرآن ١١٦ ، والحديث في صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٢٨٩/١٠ كتاب (الطب) باب (السحر) .

[٧] فصلت /٤٢ .

[٨] البقرة /١٠٢ .

تَسْعَى) [١]. ولم يقف ابن قتيبة إزاء هذا القول صامتا، بل تصدّى لمنكري حقيقة السحر بالرد عليهم، فقال [٢]: (إنّ الذي يذهب الى هذا مخالف للمسلمين واليهود والنصارى، وجميع أهل الكتب ومخالف للأمم كلها ؛ كالهند ؛ وهي أشدّها إيماناً بالرقي، والروم والعرب في الجاهلية وفي الإسلام، ومخالف للقرآن، معاند له بغير تأويل) أي بغير فهم له. واحتج لذلك بنصوص من القرآن والحديث، فمن القرآن قول الله تعالى لنبيه (ﷺ): (وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)[٣].

ومن الحديث أنّه (ﷺ) **(لعن العاضهة والمستعضهة)**[٤]. أراد بذلك: الساحرة، التي تسألها أن تسحر لها. ثم استبعد كذلك ما ذهبوا اليه في تأويل (ما) في (وما أنزل على الملكين) بمعنى النفي، إذ قال [٥] (فليس هذا بمنكر من تأويلاتهم المستحيلة المنكوسة [٦]) ثم عمد [٧] الى سبب نزول الآية ليثبت عدم عدم صحة ما تأوّلوه، حاملاً (ما) على معنى: (الذي) الموصولية. فيكون التقدير: والذي أنزل على الملكين.

(هـ) تأويل المتشابه:

كثرت أقوال العلماء في المحكم والمتشابه، فأما المحكم فهو ما دل على معناه بوضوح لا خفاء فيه[٨]، كقوله تعالى: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)[٩]. وأما المتشابه فأصله (أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني) [١٠]. وهو ما خفيت دلالته على معناه [١١]. وقد اتسع مفهوم المتشابه لدى ابن قتيبة، فشمل كل غامض من الألفاظ وان لم تلتبس بغيرها بشبه، وشمل عنده الآيات والأحاديث التي كانت محلاً للطعن بالقرآن والحديث من قبل المشككين والجهلة وأعداء الدين[١٢]. فيقول[١٣]: (قد يقال لكلّ ماغمض ودقّ: متشابه وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره). وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة كذلك، إذ قال[١٤]: (ولسنا ممن يزعم: أنّ المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم. وهذا غلط من متاوّليه على اللغة والمعنى... فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال، وتعلق علينا بعلة). وهو مايحمد لابن قتيبة. فهذا الفريق يجيز تأويل المتشابه من لدن من رسخت أقدامهم في العلم. على وفق القاعدة القائلة: إنّ المتشابهات تردّ الى المحكمات اللواتي (هنّ أم الكتاب).

الخاتمة:

---

[١] طه / ٦٦ .

[٢] تأويل مختلف الحديث ١٦٧ .

[٣] الفلق ١. ٤ .

[٤] تأويل مختلف الحديث ١٦٧ ، والحديث في النهاية في غريب الحديث و الاثر ٢٥٥/٣ .

[٥] تأويل مختلف الحديث ١٧٠ .

[٦] النكس في الاشياء : قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله ، وينظر لسان العرب ١٢٧/٨ (نكس) .

[٧] تأويل مختلف الحديث ١٧١ .

[٨] مباحث في علوم القرآن ٢٨٢ .

[٩] البقرة /٤٣ .

[١٠] البرهان في علوم القرآن ٦٩/٢ .

[١١] مباحث في علوم القرآن ٢٨٢ .

[١٢] الاتجاه العقلي في التفسير : نصر ابو زيد ١٦٩ .

[١٣] تأويل مشكل القرآن ١٠٢ .

[١٤] تاويل مشكل القرآن ٩٨. ٩٩ .

بعد هذه الدراسة المتواضعة للتأويل في كتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة لابدّ من خاتمة للبحث تلخّص أهمّ نتائجه:

١ – إنّ ابن قتيبة من اللغويين والمفسرين الذين فرّقوا بين التأويل والتفسير في المفهوم والدلالة الاصطلاحية، إذ جعل التفسير مختصاً بالألفاظ الغريبة والتأويل بالمشكل منها، والتأويل – لديه – صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى معنى يحتمله يكون متفقاً مع القرآن والسنّة، ولا يختلف مفهومه لدى علماء الأصول عن معناه عند غيرهم إلا من حيث دواعي الاستعمال.

٢- إنّ التأويل – عموماً - على نوعين: قريب، وبعيد، أو (مقبول) و (مرفوض) والأخير على ضروب منها: الإغراب في التأويل لدى المتكلمين، وتأويل فريق من الصوفية، وتأويل الباطنية، والتأويل الفلسفي.

٣- أما صور التأويل لدى ابن قتيبة، فمنها: المقبول الذي بناه على أساس موافقة ذلك التأويل للكتاب والسنة، ولغة العرب.فهو في ذلك لم يخرج في قبوله التأويل عما وضعه العلماء من شروط لقبول التأويل، ومنها: المرفوض ؛

وقد نعته بعدّة نعوت تدلّ على عدم قبوله له منها: المستنكر، والمستكره، والمتعسّف، والمستحيل المنكوس، وما بُنِي على الاعتقاد، والمتشابه. وبذلك نفي ابن قتيبة كلّ أنواع التأويل الخارجة عن الحدود التي يقررها الدين والعلم واللغة.

٤- أما تأويله المتشابه فكان في الصفات الإلهية وغير الصفات، وقد أكثر من إيراده الشواهد في هذا الجانب، وغرضه في ذلك الردّ على الطاعنين بالقرآن والسنّة، والقائلين بتناقضهما جهلاً منهم بهما، وتبيَّن أنّ ابن قتيبة نفي أيّ تعارض واختلاف بين القرآن والسنّة مؤوّلا كلّ ما ظاهره التناقض، وجامعاً بين مدلولات الألفاظ القرآنية والحديثية التي يوهم ظاهرها بالاختلاف والتعارض.

٥- ومن صور التأويل عنده أيضاً: الحمل على النسخ وذلك إذا لم يمكن الجمع بين المتناقضين في الظاهر، ومن هذه الصور حمل صيغة (الأمر) في النص على الاستحباب والاختيار، ومن صوره – عنده -: التأويل باستنباط أحكام بالقياس ومعانٍ محتملة بما أوتيه من قدرة عالية على الاستنباط والسعة في علم العربية، وفي معرفة مدلولات ألفاظها وتراكيبها، فقد سلك في ذلك مسلك الفقيه الذي يستنبط أحكاماً من النصوص القرآنية وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم).

٦- أما أدلّة التأويل لديه، فمنها حرصه الشديد على أن يكون التأويل منسجماً ولغة العرب وأساليبهم في التعبير، وقد أكثر من الحثّ على فهم مذاهب العرب وفنونها القولية، لأنّ ذلك – عنده- مما يُسهم في فهم معاني كتاب الله سبحانه وسنّة نبيّه الأكرم. ومن أدلّة التأويل عنده عنايته واضحة بالقرائن الدلالية ولاسيما اللفظية إذ أدرك الأثر الواضح للسياق في توجيه الدلالة وتنويعها، وكذلك الحالية المتمثلة بمعرفة أسباب النزول، فضلاً عن العقلية ولاسيما أنّ المشكل من الألفاظ يتطلب من الاستنباط وإعمال الفكر مالا يتطلبه غيره، فكان يعوّل عليه عند عدم وقوفه على دليل نقلي من نصٍ أو خبر وغير ذلك.

٧- احتكم ابن قتيبة في أدلته أيضاً إلى المنقول القرآني والأحاديث وكلام العرب، أدلة على صحة ما يذهب إليه من تأويل. ولم يقتصر على ذلك بل أحال على الكتب السماوية المتقدمة كالتوراة

والإنجيل والزبور أحياناً. فضلاً عن حرصه على ألّا يعارض التأويل ما يدين به كلّ مسلم موحّد مدرك لوحدانية الله تعالى، ولمقام الأنبياء (عليهم السلام) ولذلك رفض كلّ تأويل يتعارض والعقيدة الإسلامية سواء أكان ذلك التأويل وإرداً في الكتب السماوية المتقدمة أم في الآي القرآني أم الحديث الشريف.فكانت أدلته التأويلية متعددة وقوية يعضد بعضها بعضاً.

٨- كان ابن قتيبة في منهجه العام مقتصداً في التأويل، فهو على الرغم من شعوره بأنّ التأويل يُثري النص إلا أنّه مع ذلك لم يناً فيه عن حدّ الاعتدال، واضعا له أسساً منذ عهد مبكر، سالكاً سبيل الوسط ما بين الأخذ بالظاهر والتأويل بما يتفق مع القواعد والمقاصد الدينية والعلمية واللغوية، فكان بحق من اللغويين الرواد الذين خاضوا في هذا المجال.

قائمة المصادر:

- ابن حزم حياته وعصره – آراؤه وفقهه: محمد أبو زهره – الطبعة الثانية – مطبعة أحمد على مخيمر – مصر ١٣٩٣ هـ / ١٩٥٤ م.
- ابن حنبل منهجه وآثاره في الدراسة اللغوية: د.عبد الجليل مغتاظ عودة – منشورات جامعة سبها – ليبيا ١٩٨٨ م.
- الإتجاه العقلي في التفسير: د.نصر حامد أبو زيد – الطبعة الثانية – دار التنوير للطباعة –بيروت ١٩٨٣ م.
- الإحكام في أصول الأحكام:سيف الدين على بن محمد الآمدي – الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥.
- الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري – تحقيق:لجنة من العلماء – الطبعة الثانية – دار الجيل – بيروت ١٤٩٧ هـ / ١٩٨٧م.
- أحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي – جمعه:أبو بكر البيهقي – تقديم:محمد زاهد بن الحسن -دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م.
- اختلاف الحديث: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي – مطبوع بهامش كتاب الأم له - ١٣٨٨ هـ.
- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان البلخي – تحقيق:د. عبد الله محمود شحاتة - الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
- أصول الفقه: محمد أبو زهرة- دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية – القاهرة ١٩٥٧ م
- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ: أبو بكر محمد بن موسى الحازفي – الطباعة المنبرية – مصر ١٣٤٦هـ.
- إعراب القرآن:أبو جعفر النحاس – تحقيق د:زهير غازي زاهد – الطبعة الثانية – النهضة العربية – وعالم الكتب – مصر ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي – تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الثانية – دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٨٧م – ١٩٦٧ م.
- بدع التفاسير:عبد الله محمد الصديق الغماري الإدريسي – الطبعة الأولى – مكتبة القاهرة – دار الطاعة

المحمدية – القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ م.

- البرهان في أصول الفقه:عبد الملك بن عبد الله الجويني – تحقيق:عبد العظيم الديب –قطر ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي –تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الأولى –دار إحياء الكتب العربية – مصر ١٣٧٦هـ/١٩٥٧ م.
- تاج العروس: السيد محمد مرتضى الزبيدي – الطبعة الأولى – المطبعة الخيرية –مصر ١٣٠٦ هـ.
- تأويلات أهل السنة: أبو منصور محمد الماتريدي – تحقيق: إبراهيم عوضين والسيد عوضين – القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١ م.
- تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥ م.
- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة – تحقيق:السيد أحمد صقر –الطبعة الثالثة –دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م.
- التبيان في تفسير القرآن:أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي – تحقيق:أحمد حبيب العاملي – مطبعة النعمان – النجف الأشرف ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣ م.
- التفسير في نهج البلاغة:د.كاصد الزيدي- مستل من مجلة رسالة الإسلام لكلية أصول الدين – العدد (٤٣) بغداد ١٩٧١م.
- تفسير القرآن بالسنة: د.محسن عبد الحميد- منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية – العدد (٤) – بغداد ١٣٩٢هـ / ١٩٧١م
- التفسير الكبير: محمد بن عمر فخر الدين الرازي – الطبعة الأولى – المطبعة البهية – مصر (د:ت).
- تفسير النصوص في الفقة الإسلامي: محمد أديب صالح – الطبعة الثانية – منشورات المكتب الإسلامي – مصر (د:ت).
- تنزيه القرآن عن المطاعن:عماد الدين القاضي عبد الجبار الهمداني –الشركة الشرقية للنشر – دار النهضة الحديثة – (د:ت)
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد الأزهري- تحققيق:إبراهيم الأبياري – دار الكاتب العربي – القاهرة ١٩٦٧ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن:أبو جعفر بن جرير الطبري – دار الفكر –بيروت ١٩٨٨ م.
- الجامع لأحكام القرآن:أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكاتب العربي – القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- حقيقة البابية والبهائية: د.محسن عبد الحميد – الطبعة الثالثة – دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩ م.

- الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي: د.كاصد الزيدي- بحث منشور في مجلة آداب الرافدين – العدد (٢٦) – ١٩٩٥م.
- الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى: ابن حزم الأندلسي –تحقيق:د.إحسان عباس دار العروبة – مصر ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ م.
- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء: القسم الرياضي – دار بيروت ودار صادر – بيروت ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م.
- رسائل الجاحظ –أبو عثمان الجاحظ: تحقيق:عبد السلام محمد هاورن – مكتبة الخانجي –القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي – الطبعة الرابعة – الطباعة المنيرية – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.
- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي- الطبعة الثانية – مطابع دار الكتاب العربي – القاهرة ١٩٥٧ م.
- سنن ابن ماجة:أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني- تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي –دار الكتب العلمية – بيروت (د:ت).
- سنن الدرامي:أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي – المطبعة الحديثة – دمشق ١٣٤٩ هـ.
- الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق:احمد عبد الغفور عطار – دار الكتاب العربي – مصر ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦ م
- صحيح سنن النسائي: تصحيح:محمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الأولى – مكتبة التربية العربي لدول الخليج – الرياض ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري- الطبعة الثانية – دار إحياء التراث الإسلامي – بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- الضابط اللغوي في التفسير: د.محسن عبد الحميد – بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية – العدد (٦) – بغداد -١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.
- ظاهرة التأويل وصلتها باللغة: السيد أحمد عبد الغفار – دار المعرفة الجامعية –الإسكندرية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: محمود السعران – دار المعارف – مصر ١٩٦٢ م.
- الفائق في غريب الحديث: جار الله محمود بن عمر الزمخشري – تحقيق:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الثانية – مطبعة عيسى البابي – مصر (د:ت).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري:الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسلاقي – تصحيح:عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي – الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي -الطبعة الأولى – المطبعة الأدبية - مصر ١٣١٧ هـ.
- الكامل في اللغة والأدب:أبو العباس محمد بن يزيد المبرد – الناشر مؤسسة المعارف – بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.
- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر: محمد بن محمد بن العماد – تحقيق:د. فؤاد عبد المنعم احمد – مراجعة:د.محمد سليمان داود – مؤسسة شباب الجامعة – مصر ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل:علاء الدين بن محمد الخازن – دار المعرفة – بيروت (د:ت).
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور – طبعة مصورة عن طبعة بولاق – الدار المصرية – مصر ١٣٠٠هـ.
- مباحث في علم التفسير: د.عبد الستار حامد – مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر- الموصل ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- مباحث في علوم القرآن: د.صبحي الصالح – دار العلم للملايين- الطبعة العاشرة – بيروت ١٩٧٧م.
- متشابه القرآن: عماد الدين القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني – تحقيق:عدنان محمد زرزور- دار التراث – ودار النصر –القاهرة ١٩٦٩م.
- المجازات النبوية:الشريف الرضي – تحقيق: د.طه محمد الزيني – مطبعة الفجالة الجديدة – القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى – تحقيق:د.محمد فؤاد سزكين- الطبعة الثانية – مكتبة الخانجي – مصر ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- مجموعة الرسائل الكبرى: تقي الدين احمد بن تيمية – مطبعة محمد علي صبيح – مصر ١٩٦٦م.
- مجموعة رسائل الجاحظ: د. محمد طه الحاجري- دار النهضة العربية – بيروت ١٩٨٣ م.
- مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول: محمد بن فراموز بن علي ملا خسرو صورة لطبعة المطبعة العثمانية استبول ١٩٦٦م.
- المراسيل: أبو داود سليمان السجستاني – الطبعة الأولى – المطبعة العلمية – مصر ١٣١٠هـ.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة المقدسي – تحقيق طيار ألتي قولاج – دار صادر – بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق:أحمد محمد شاكر – المكتب الإسلامي للطباعة – دار صادر- بيروت (د:ت).
- مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي- الطبعة الأولى – دار صادر – بيروت- مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند ١٣٣٣هـ.
- مشكل الحديث وبيانه: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك- الطبعة الأولى – مطبعة جمعية دار المعارف

العثمانية – ١٣٦٢هـ.

- معاني القرآن وإعرابه: أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج- تحقيق:د.عبد الجليل عبدُه شلبي- الطبعة الأولى- عالم الكتب – بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: أبو الفضل جلال الدين السيوطي- تصحيح وضبط:أحمد شمس الدين- دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٨م.
- المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني – إعداد:د.محمد احمد خلف الله – مكتبة الإنجلو المصرية – المطبعة الفنية الحديثة – القاهرة ١٩٧٠ م.
- مقاييس اللغة: أبو الحسن احمد بن فارس- تحقيق:عبد السلام محمد هارون – الطبعة الأولى- دار إحيار الكتب العربية – القاهرة ١٣٦٨م
- مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين احمد بن تيمية – تحقيق:د. عدنان زرزور – الطبعة الأولى - دار القرآن الكريم – الكويت ١٩٧١.
- مناهج المفسرين: د.منيع عبد الحليم محمود – دار الكتاب المغربي – القاهرة – دار الكتاب اللبناني – بيروت – مطبعة النهضة – القاهرة ١٩٧٨م.
- من بديع لغة التنزيل: د.إبراهيم السامرائي – الطبعة الأولى – دار الفرقان للنشر – بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.
- الموافقات في أصول الشريعة: أبو اسحاق الشاطبي- شرح:الشيخ عبد الله دراز- مطبعة المكتبة التجارية – مصر(د:ت).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي – تحقيق:علي محمد البجاوي – دار المعرفة –بيروت (د:ت).
- النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام مجد الدين أبو السعادات بن الأثير الجزري- تحقيق:طاهر أحمد الزواوي- ومحمود محمد الطناحي- المكتبة العلمية – بيروت (د:ت).
- نهج البلاغة (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من أقوال الإمام علي (عليه السلام): محمد عبدُه- مكتبة النهضة العربية. مصر (د:ت).
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – تحقيق:محمد عبد الكريم الراضي – رسالة دبلوم عالٍ في المخطوطات – الجامعة المستنصرية – ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: هارون بن موسى – تحقيق:د.حاتم صالح الضامن –وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م

٨.أحاديث رؤية الهلال في ضوء أساليب لغة القرآن

د. يوسف حسين أحمد

(أستاذ العربية والدراسات الإسلامية)

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم سبحانه لا نحصي ثناء عليه حمدا كثيرا، تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، وصلى الله على أسعد المرسلين سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما كثيرا. أما بعد

فيطيب لي أن أقدم سعادتي الغامرة إلى القائمين بهذه الندوة الدولية المباركة عن الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم عن لغته وفلسفته وتدريسه في ولاية كيرالا التي أفتخر بالانتماء إليها، ولا ينكر أحد الأيادي البيضاء التي قدمتها الهند إلى العالم في خدمة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من قرن من الزمان. فلا غرو أن وفقكم المولى سبحانه للقيام بهذه الخدمة الجليلة، وأهنئ نفسي وأهنؤكم بهذه المناسبة السعيدة

المقدمة

في ذكر الهدف من إعداد هذه الورقة وأهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره والمنهج الذي أسير عليه، والدراسات السابقة والخطة.

فالهدف من إعداد هذه الورقة دراسة الأحاديث النبوية الواردة في قضية تحديد أوائل الشهور القمرية عامة وقضية تحديد أول يوم من شهر رمضان خاصة في ضوء نصوص القرآن الكريم المشابهة لنصوص هذه الأحاديث الواردة في سبب وجوب صيام رمضان،وذلك لمعرفة القول الذي تؤيده تلك الأساليب اللغوية الواردة في القرآن؛ إذ أن الأساليب اللغوية الواردة في القرآن الكريم والأساليب اللغوية المستخدمة في سنة رسولنا صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون واحدة؛ لأن مصدرهما واحد وهما من مشكاة واحدة، وصدق الله العظيم حيث قال :وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى **(سورة النجم ٣، ٤)**، ولأن ربنا الكريم سبحانه نصحنا إن تنازعنا في شيء أن نرده إلى الله والرسول إن كنا من المؤمنين حقا بالله واليوم الآخر، حيث قال جل شأنه:يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا(سورة النساء ٥٩)

وأهمية هذا البحث تكمن في أن هذه القضية- أعني قضية تحديد اليوم الأول من شهر رمضان وشهر شوال وشهر ذي الحجة - من كل عام تشغل بال معظم المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها البالغ عددهم أكثر من مليار مسلم.

و من هنا اخترت هذا الموضوع للبحث عنه لتقديمه في هذه الندوة المباركة راجيا من الله العلي الكبير التوفيق والسداد، ومتوكلا عليه سبحانه، فمن يتوكل على الله فهو حسبه.

هذا ولهذه القضية ولهذه الأحاديث الواردة في تحديد أول يوم من شهر رمضان دراسات كثيرة

قديمة ومعاصرة – وما أكثرها - فقد بحث عنها أئمة المذاهب الأربعة والأئمة الكبار من أصحاب كل مذهب، والعلماء المعاصرون المتخصصون في الدراسات الإسلامية والمتخصصون في علم الفلك، بالإضافة إلى مؤتمرات فقهية عقدت في المدن الكبيرة في العالم الإسلامي، وهذه الدراسات كلها – في حدود علمي واطلاعي – لم تتناول هذا الجانب الذي أريد أن أتناوله في هذا البحث بإذن الله، وهو الجانب اللغوي الوارد في القرآن الكريم.

وأفضل أن أقسم هذا البحث إلى مبحثين

المبحث الأول:

لدراسة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة في رؤية الهلال سندا ومتنا وفقها.

وأقسم هذا المبحث إلى مطلبين.

المطلب الأول: نصوص أحاديث رؤية الهلال سندا.

وردت النصوص النبوية التي علقت وجوب صيام شهر رمضان برؤية الهلال التي تحدد بداية هذا الشهر الفضيل – ومثل تحديد بداية شهر رمضان تماما أمر تحديد أوائل الشهور القمرية الأخرى غير رمضان - على ثلاثة أساليب تالية

الأسلوب الأول:

"إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا"

أسلوبه جملة شرطية مبدوءة بإذا، وفعل الشرط صيغة فعل ماض للجمع المذكر الحاضر، خوطب بها هذه الأمة المرحومة، وجواب الشرط صيغة أمر للجمع المذكر الحاضر كذلك.

وقد ثبت هذا النص بهذا الأسلوب في أكثر من كتاب من كتب الأحاديث

منها صحيح مسلم :

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا»[1]

ومنها صحيح البخاري

فقد بوب البخاري به حيث قال : **بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا»٢**

كما أخرج بإسناده في مكان آخر بالضمير العائد إلى الهلال، ورد فيه: **أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،** قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ

[1] - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) رقم ١٠٨٠ و ١٠٨١ ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢/ ٧٦٠ و٧٦٢.

[2] - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ج ٣ ص٢٦

غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ»[1]

وقد روى هذا النص بهذا الأسلوب أيضا الإمام الشافعي في مسنده والإمام أحمد في مسنده، والإمام النسائي في سننه، وابن ماجه في سننه وغيرهم ([2])

فالحديث الشريف ثابت ثبوتا صحيحا بهذه الصيغة وبهذا الأسلوب. الأسلوب الثاني:"**لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه**"

أسلوبه أسلوب النهي عن شيء بصيغة الجمع المذكر الحاضر، مغيا بحتى .

وقد ثبت هذا النص بهذا الأسلوب في كتب الأحاديث التالية:

صحيح البخاري: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ: «**لاَ تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلاَلَ، وَلاَ تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ**»[3]

و منها صحيح مسلم

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ: «**لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ**»[4]

وقد روى هذا النص بهذا الأسلوب أيضا الإمام مالك في موطاه والإمام الشافعي في مسنده والإمام أحمد في مسنده والإمام الترمذي في جامعه والإمام النسائي في سننه وابن حبان في صحيحه وابن خزيمة في صحيحه، وأبو داود الطيالسي في مسنده وغيرهم[5]. فهذا الأسلوب كذلك ثابت عن رسول الله تعالى ثبوتا صحيحا.

الأسلوب الثالث :**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**

أسلوبه صيغة أمر بشيء موجه إلى جماعة المؤمنين مبينا سبب وجوبه (لرؤيته)، وكذلك أسلوبه في تحديد أول يوم من شهر شوال.

وقد ثبت هذا النص بهذا الأسلوب في

صحيح البخاري أيضا: **يقول أَبَو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ»**[6]

وصحيح مسلم كذلك: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «صُومُوا**

---

[1] - صحيح البخاري :المصدر السابق ٢٥/٣ برقم ١٩٠٠

[2] - راجع مسند الشافعي برقم ٦٠٧ ، ٢/ ٩٨ ترتيب: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق وتعليق: ماهر ياسين فحل ، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ،ومسند أحمد في عدة أماكن بأرقام ٦٣٢٣ و ٧٥١٦ و٧٥٨١ و٧٧٧٨ ، والنسائي برقم ٢١٢٠ و٢١٢٥ و٢١٢٨ (١٣٣/٤)، وابن ماجه برقم ١٦٥٤ (٥٢٩/١)

[3] - صحيح البخاري برقم ١٩٠٦ ، ٣/ ٢٧ تعليق مصطفى البغا

[4] - صحيح مسلم برقم ١٠٨٠ ، ٢/ ٧٥٩

[5] - راجع الموطا برقم ١٠٠١ ، ٣/ ٤٠٧ ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م والسنن المأثورة للشافعي برقم ٣٤٤ ، ٣١٩/١، ومسند أحمد بن حنبل في عشرة أماكن ، منها رقم ٥٢٩٤، ٢١٨/٩ ، والسنن الكبرى للنسائي برقم ٢٤٤٢ ، ١٠١/٣، وصحيح ابن حبان برقم ٣٤٤٥، ٢٢٩/٨ ، وغيرها.

[6] - رواه البخاري في صحيحه برقم ١٩٠٩ ٢٧/٣

لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعَدَدَ»[1].

كذلك روى هذا النص بهذا الأسلوب الإمام الشافعي في مسنده والإمام أحمد في مسنده والإمام الترمذي في جامعه والإمام النسائي في سننه وابن حبان في صحيحه وابن خزيمة في صحيحه، وأبو داود الطيالسي في مسنده وغيرهم[2]

هذه هي الأساليب الثلاثة التي وردت فيها نصوص توجب الصيام والفطر مبينة سبب وجوبهما برؤية الهلال، وبالتالي تحدد بداية دخول شهر رمضان وشهر شوال.

وكل أسلوب من الأساليب الثلاثة ثابت ثبوتا صحيحا - من حيث السند - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن كلا منها ثابت سندا برواية البخاري ومسلم الذين تلقاهما الأمة بالقبول واتفقوا على أنهما أصح الكتب بعد كتاب الله، بالإضافة إلى روايتها الأئمة الكبارمثل الإمام الشافعي و الإمام أحمد، وكذلك الإمام مالك مع أئمة الحديث رضي الله عنهمم أحمعين .

المطلب الثاني: نصوص رؤية الهلال شرحا وفقها

أنقل لكم هنا معنى ما قدمه لنا شراح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرح هذه الأحاديث في موضوعين اثنين: الموضوع الأول:الاعتماد على علم الفلك في تحديد بدايات الأشهر القمرية.

الموضوع الثاني: توحيد البلدان الإسلامية إذا ثبتت رؤية الهلال في بلد واحد منها.

أما الموضوع الأول فقد أشار شراح الأحاديث في شرح قوله صلى الله عليه وسلم "فإن غم عليكم فاقدروا له" قضية تحديد أوائل الشهور القمرية اعتمادا على علم الفلك:

فقال الإمام النووي:اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى فَاقْدُرُوا لَهُ

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَعْنَاهُ ضَيِّقُوا لَهُ وَقَدِّرُوهُ تَحْتَ السَّحَابِ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يُجَوِّزُ صَوْمَ يَوْمِ لَيْلَةِ الْغَيْمِ من رَمَضَانَ،

وقال ابن سُرَيْجٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وابن قُتَيْبَةَ وَآخَرُونَ مَعْنَاهُ قَدِّرُوهُ بِحِسَابِ الْمَنَازِلِ، وَذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَجُمْهُورُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ إِلَى أَنَّ مَعْنَاهُ قَدِّرُوا لَهُ تَمَامَ الْعَدَدِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا[3]. وأيد جمهور الأئمة قولهم بأحاديث أخرى فسرت معنى قوله صلى الله عليه وسلم "فاقدروا له" بأنه إتمام شهر شعبان ثلاثين يوما – كما سبق- كما أيدوه بحديث فعلي لرسول الله صلى الله عليه

---

[1] - رواه مسلم برقم ١٠٨١، ٧٦٢/٢.

[2] - راجع مسند الشافعي برقم ٦٠٨ ٩٩/٢ ومسند أحمد بن حنبل في عشرة أماكن ، منها رقم ١٩٨٥ ، ٤٤٥/٣، وسنن النسائي برقم ٢١٢٩ و ٢١٨٩ ، ١٣٦/٤ و١٥٣ ، وجامع الترمذي برقم ٦٨٨،٦٨٤، ٦١/٢، ٦٥ ، وصحيح ابن خزيمة برقم ١٩١٢ ،٢٠٤/٣ , وصحيح ابن حبان برقم ٣٤٤٢ ، ٢٢٧/٨، و مسند أبي داود الطيالسي برقم ١٩١٩، ٣٥١/٣، وغيرها.

[3] - شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١٨٨/٧. وطرح التثريب للعراقي ١١٧/٤، راجع فتح الباري ٤/ ٢٧١، وراجع الاستذكار ٢٧٧/٣، ٢٧٨، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٢١/٤-١٢٣، وعمدة القاري ٢٧٢/١٠، و مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٣٧٢/٤ ، في شرح الحديث رقم ١٩٦٩.وشرح الزرقاني على الموطا ٢٢٦/٢، و نيل الأوطار ٢٣١/٤ ، وعون المعبود ٣٢٦/٦, وتحفة الأحوذي ٣٠٨/٣، و مرعاة المفاتيح شرح مصباح المفاتيح ٤٢٥/٦ ، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (شرح القسطلاني) ٣٥٦/٣ في شرح حديث رقمه ١٩٠٦.

وسلم فروى عن عائشة أنها قالت: (كان رسول الله يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من سائر الشهور، فإذا رأى هلال رمضان صام، وإن غم عليه عد شعبان ثلاثين يومًا وصام)[1].

فقد أشار الإمام النووي – ومعه عدد كبير من شراح الحديث – إلى أن هناك قولا مرجوحا ضعيفا لبعض التابعين يجيز الاعتماد على علم الفلك في تحديد أوائل الشهور القمرية، ولكنه ليس في جميع الحالات بل في حالة عدم رؤية الهلال مساء اليوم التاسع والعشرين من الشهر لأجل نحو غيم في السماء حال دون رؤية الهلال[2]،وهذا القول شاذ يخالفه الأحاديث الصحيحة القولية والفعلية .

لنرى أقوال شراح الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم : فإن غم عليكم:

قال زين الدين العراقي في طرح التثريب في شرح التقريب: قَوْلُهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ بِالضَمِّ أَيْ الْهِلَالُ، مَعْنَاهُ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ غَيْمٌ، يُقَالُ غُمَّ وَأُغْمِيَ وَغُمِيَ وَغُمِّيَ بِتَخْفِيفِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِهَا وَالْغَيْنُ مَضْمُومَةٌ فِيهِمَا وَهُوَ مِنْ قَوْلِك غَمَمْت الشَّيْءَ إذَا غَطَّيْته فَهُوَ مَغْمُومٌ وَيُقَالُ أَيْضًا غَبِيَ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ أَيْ خَفِيَ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ غُبِّيَ بِضَمِّ الْغَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ وَهُمَا مِنْ الْغَبَاءِ بِالْمَدِّ، وَهُوَ شِبْهُ الْغُبْرَةِ فِي السَّمَاءِ، وَذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ فِيهِ أَيْضًا «فَإِنْ عُمِيَ عَلَيْكُمْ» بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ مِنْ الْعَمَى قَالَ وَهُوَ بِمَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ ذَهَابُ الْبَصَرِ عَنْ الْمُشَاهَدَاتِ أَوْ ذَهَابُ الْبَصِيرَةِ عَنْ الْمَعْقُولَاتِ[3].

فتبين أن المراد إذا حال عن رؤية الهلال غيم أو غبار أو نحو ذلك ففيه الأقوال الثلاثة السابقة، أما في حالة ما إذا كانت السماء صافية فلا يوجد فيه إلا قول واحد. هل يجب صيام رمضان قبل التأكد من خروج شعبان؟ قال ابن بطال: وجمهور الفقهاء على أنه لا يصام رمضان إلا بيقين من خروج شعبان، إما برؤية الهلال أو إكمال شعبان ثلاثين يومًا، وكذلك لا يقضى بخروج رمضان إلا بيقين مثله، لأنه ممكن فى الشهر أن يكون تسعة وعشرين يومًا، فالرؤية تصحح ذلك وتوجب اليقين كإكمال العدة ثلاثين يقينًا، هذا معنى قوله: (فاقدروا له)، عند العلماء، [4] هل التقسيم في الحديث بين الصحو والغيم أم بين رؤية الهلال وعدم رؤيته؟ قال الحافظ ابن حجر في شرح قوله صلى الله عليه وسلم لاتصوموا حتى تروا الهلال – قال: وهو ظاهر في النهي عن ابتداء صوم رمضان قبل رؤية الهلال، فيدخل فيه صورة الغيم وغيرها، ولو وقع الاقتصار على هذه الجملة لكفى ذلك لمن تمسك به، لكن اللفظ الذي رواه أكثر الرواة أوقع للمخالف شبهة وهو:قوله "فإن غم عليكم فاقدروا له"

فاحتمل أن يكون المراد التفرقة بين حكم الصحو والغيم فيكون التعليق على الرؤية متعلقا بالصحو، وأما الغيم فله حكم آخر، ويحتمل أن لا تفرقة ويكون الثاني مؤكدا للأول.

وإلى الأول ذهب أكثر الحنابلة، وإلى الثاني ذهب الجمهور فقالوا المراد بقوله: "فاقدروا له" أي انظروا في

---

[1] - أخرجه أبو بكر النيسابوري في كتابه : الزيادات على كتاب المزني ١/ ٣٣٨ ، برقم ١٩٣ ، تحقيق د/ خالد المطيري ، ، وراجع المعجم لابن المقرئ في من اسمه عبد الله بن محمد رقم الحديث ١٠٠٧ ، ص ٣١١، تحقيق عادل بن سعد.

[2] - لا كما ذهب إليه بعض المعاصرين من أنه عام في الحالتين حلة وجود نحو غيم في السماء حال دون رؤية الهلال ، وحالة عدم وجوده ، وهذا لاقائل به من السابقين .

[3] - طرح التثريب للعراقي ١١٧/٤، راجع فتح الباري ٤/ ٢٧١

[4] - شرح ابن بطال على البخاري ٤/ ٢٧ ، ٢٨. ، وراجع الاستذكار لابن عبد البر ٢٧٥/٢ فما بعدها

أول الشهر واحسبوا تمام الثلاثين، ويرجح هذا التأويل الروايات الأخر المصرحة بالمراد، وهو قوله "فأكملوا العدة ثلاثين" ونحوه، وأولى ما فسر الحديث بالحديث [1]. أقول: وقول الجمهور أولى بالترجيح؛ لأن رؤية الهلال لايحول عنها شيء حالة الصحو، أما في حالة الغيم فاحتمالان ،احتمال حيلولة سحاب من السحب عن رؤية الهلال واحتمال عدم حيلولته عنها، فالتقسيم هنا بين الرؤية وعدم الرؤية لا بين الصحو والغيم.

و مذهب أكثر الحنابلة مبني على مذهب ابن عمر رضي الله عنهما :

قال ابن عبد البر:أَمَّا ابن عُمَرَ فَلَهُ مَذْهَبٌ خاص فِي تَأْوِيلِ مَا رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "فإن غم عليكم فَاقْدِرُوا لَهُ" وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا لَمْ يُرَ هِلَالُ رَمَضَانَ لَيْلَةَ ثَلَاثِينَ مِنْ شَعْبَانَ وَكَانَ صَحْوًا فَلَا صِيَامَ لِرَمَضَانَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَحْوًا وَكَانَ فِي السَّمَاءِ غَيْمٌ أَصْبَحَ النَّاسُ صَائِمِينَ وَأَجْزَأَهُمْ مِنْ رَمَضَانَ - إِنْ ثَبَتَ بَعْدُ - أَنَّ الشَّهْرَ كَانَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِين.[2]

فتبين مما تقدم أنه لا يوجد قول في شرح هذاه الأحاديث يجيز الاعتماد على علم الفلك في الحالتين حالتي الصحو والغيم كلتيهما لتحديد أوائل الشهور القمرية، كما تبين أن القول الشاذ المجيز للاعتماد عليه في حالة الغيم وحده يجيز الاعتماد عليه لإثبات إمكانية رؤية الهلال وإثبات بداية الشهر من ذلك الوقت، لا لمعرفة وقت ولادة الهلال ووقت معرفة خروجه من نقطة التزامن والمحاق. أعني وقت معرفة خروجه من نقطة اجتماع القمر بين الشمس والأرض بخط واحد لإثبات بداية الشهور القمرية من ذلك الوقت.

ولكن البعض من الناس نسبوا - خطأ – إلى بعض التابعين ومن ذكر معهم القول الثاني، فقالوا يجوز عندهم الاعتماد على علم الفلك لمعرفة وقت ولادة الهلال وإثبات بداية الشهور القمرية بناء عليه، وهذا قول يخالف إجماع السابقين، وللأسف تبناه بعض الدول الإسلامية، من غير علم بحقيقة الأمر.

وفيما يلي أقوال بعض علماء الفلك المعاصرين المتعلق بهذه القضية:

وقال الدكتور مسلم شلتوت من علماء الفلك المعاصرين .

ومدار القمر حول الأرض يتخذ شكل القطع الناقص كما هو الحال بالنسبة إلى مدارات الكواكب السيارة الأخرى، إلا أنه يختلف عن كونه غير منتظم وفيه الكثير من التعقيد بسبب التأثير الجذبي الواقع عليه من قبل كل من الشمس والأرض، ولهذا فإن الاختلاف في مداره المركزي يكون غير ثابت وسرعته في المدار غير ثابتة أيضًا. ....."[3].

قال الشيخ محمد كاظم حبيب :

لو كان الحساب الفلكي المتعلق برؤية الأهلة يقينيًّا لهانت المشكلة وانحسم الخلاف، ولكن الحسابات الفلكية الأكاديمية بما تشتمل عليه من الأخطاء حتى اللحظة، عقدت المشكلة وزادت الطين بلة...

ثم قال: وأخطاء الفلكيين سنوياً أكبر وأخطر من أخطاء شهود الرؤية البصرية، ....إلى أن قال :وعندنا

---

[1] - فتح الباري ٤/ ١٢١

[2] - الاستذكار ٣/٢٧٧، ٢٧٨

[3] - في مقال له بعنوان " الحساب الفلكي لتحديد أوائل الشهور العربية " المنشور على موقع إسلام أون لاين نت

شواهد مادية على اختلاف نتائج حسابات الفلكيين الأكاديميين وتضاربها مما يجعلها حسابات ظنية غير يقينية، لا يوثق بها ولا يعتمد عليها شرعًا، مع أننا في عصر غزو الفضاء؛ ولذلك يبقى الاعتماد على الرؤية الشرعية الجماعية اليقينية مع سرعة وسائل الاتصال والإعلام أفضل وأقرب لتوحيد الأمة "[١]

وقال فؤاد محمد سعيد وهبة:

واللحظة الحقيقية لخروج القمر من المحاق تبقى مجهولة، وتحديدها بدقة أكبر هو أمر خارج عن إمكانات العلم في الوقت الحاضر بالرغم من التحسن الكبير الذي حصل في حسابات حركات القمر خلال الثلاثمائة سنة الأخيرة منذ عهد نيوتن وعلى يد كبار علماء الرياضيات والفلك أمثال أولر ولاغرانج وهاميلتون وجاكوبي وليوفيل وبوانكاريه ..... إلى أن قال :

وهكذا يظهر الضعف في قاعدة اعتماد الحساب وحده، ويبطل زعم من يتوهم إمكان التخلي عن عملية الرؤية والاكتفاء بالحساب لتحديد بداية ونهاية شهر الصوم؛ لأن المطلوب عند اعتماد قاعدة ما: أن تكون القاعدة عامة وقابلة للتطبيق على الجميع، وفي كل مرة يحل فيها شهر رمضان، وليس لمواقع جغرافية دون أخرى، وفي بعض السنين دون بعض "[٢]

قالت بثينة أسامة وهي تتحدث عن التقويمات الهجرية المعمول بها في العالم الإسلامي:

فمعظم تلك التقويمات تعتبر أن بداية الشهر القمري هي الوصول إلى نقطة التزامن أو الاقتران بين الأرض والقمر والشمس، أي وقوعها على خط واحد مع وجود القمر بين الأرض والشمس؛ حيث يصبح القمر في هذه الحالة غير مرئي تمامًا، وهو ما يطلق عليه المحاق، وهذا ما يتعارض مع البداية الشرعية للشهور التي دلنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته" حيث اعتبر هنا أن بداية الشهر القمري مع بداية القدرة على رؤية القمر (الهلال) الذي لا يمكن رؤيته إلا بعد ١٧ إلى ٢٠ ساعة من الوصول إلى المحاق أي حوالي ثلاثة أرباع يوم".[٣]

وفي نهاية هذا الحديث عن الموضوع الأول أنقل ما جاء في مقال كتبه العلامة المستشار عبد المقصود شلتوت - حفظه الله - ملخصه:

أن في الإعتماد على الحساب الفلكي لإثبات دخول الشهر القمري خطآن جسيمان :

أولهما : إسقاط العلة الشرعية الموجبة للصوم والإفطار وهي الرؤية البصرية .

والثاني: إحداث علة للصوم والفطر لم يشرعها الله وهو الحساب الفلكي وإضفاء الحجية عليها .

ثم سرد -وهو يبين الخطأ الأول – الأحاديث المثبتة للعلة الشرعية التي هي الرؤية البصرية ثم قال:

وليس المقصود من هذه الأحاديث أن يرى كل واحد الهلال بنفسه، وإنما المراد بذلك شهادة البينة

---

[١] - في حوار له منشور بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/٢٣م على موقع إسلام أون لاين نت وعنوانه : ihsancnr@emirates.net.ae

[٢] - في مقال له بعنوان: تحديد الصيام فلكيا لا يعتمد عليه ، ونشر في مجلة العربي الكويتية ١ نوفمبر ٢٠٠٣ - ١٤٢٤/٩/٧هـ / العدد ٥٤٠ و نقله عنها موقع إسلام أون لاين نت بتارخ ٢٠٠٤/١٠/١٠م وصاحب المقال هذا باحث فلكي سوري وعضو الجمعية الفلكية البريطانية.

[٣] - في مقال لها بعنوان صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، نشر في موقع إسلام أون لاين نت بتاريخ ٢٠٠٢/١١/٤م وراجع كذلك لمزيد من التفصيل: مقال محمد شوكت عودة ، تحت عنوان هلال رمضان بين الحساب الفلكي والرؤية تاريخ النشر: ١٦ شعبان ١٤٢٦ (٢٠٠٥/٩/٢٠)

العادلة، وفي الإعتماد على الحساب الفلكي إهدار للعلة الشرعية، وإسقاط لحجية الرؤية الشرعية والحجية القضائية لحكم المحاكم الشرعية، واعتبار لما ألغاه الشرع وهو الحساب الفلكي، وشذوذ عن إتفاق من يعتد به من أهل العلم وفقهاء المذاهب الذين حُكي عنهم الإجماع على عدم جواز العمل به".

قال :ويترتب عليه عند معارضته مع الرؤية الشرعية :

إنتهاك حرمة النص القرآني : { فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } وحرمة نص السنة الشريفة : « صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته »وإنتهاك حرمة الصوم، وإنتهاك حرمة العيد، مما يؤدي إلى تعطيل أحكام الله، وإثارة القلاقل والاضطراب، وزيادة الفرقة والإنقسام بين المسلمين .

وأما بالنسبة للخطأ الثاني : فهو إحداث علة للصوم والفطر لم يشرعها الله سبحانه وهي الحساب الفلكي وإضفاء الحجية عليها، وبيان ذلك:

أن الله سبحانه وتعالى ربط أحكامه بعلل وأسباب شرعية، فإذا وجدت العلة الشرعية وجد حكم الله، وإذا انتفت انتفى حكم الله، ولا يملك أحد أن يغير هذه العلل ولا أن يبدلها.

وقد ثبت بالكتاب والسنة أن علة وجوب الصوم والفطر هي المشاهدة ورؤية الهلال بصرياً .

وليست العلة مجرد وجوده علمياً، في السماء من غير رؤية حسية بالعين، قال تعالى : { فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } وقال صلى الله عليه وآله وسلم «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته»، فرتب وجوب الصوم والفطر على رؤية الهلال بالعين، لا على العلم بوجود الهلال فلكياً دون رؤية بصرية، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل (صوموا لوجود الهلال أو ثبوته) حتى يعم الوجود كلاً من الوجودين الفلكي والبصري، بل قال : « صوموا لرؤيته »، والرؤية أخص من الوجود، فقد يوجد الهلال فلكياً ولكن لا يُرى لأسباب كثيرة، فلا يجب الصوم، أضف إلى هذا أن الشق الأخير من الحديث يدل دلالة قاطعة على أن وجود الهلال ليس هو العلة، وإنما العلة هى تحقق الرؤية الحسية الملموسة، وذلك لأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم « فإن غم عليكم » أو «حال بينكم وبينه سحاب » كما فى بعض الروايات، يفيد بأنه عند وجود الهلال وراء الغيم أو غيره يجب عدم الصوم، وإكمال الشهر ثلاثين يوماً، مما يقطع بأن العلة ليست هي مجرد وجود الهلال، وإنما هي أخص من ذلك، ألا وهي : تحقق الرؤية البصرية.

وبهذا ألغى الشارع الحكيم اعتبار الوجود العلمي للهلال علة للصوم أو الفطر، وأكد على أن الوجود الحسي البصري هو العلة، وليس ذلك لأن قوة درجة الحساب الفلكي فى الإثبات أقل من درجة الشهادة على الرؤية، أو لعدم صحة مقدمات ونظريات علم الفلك، ولكن لأن رحمة الله بعباده اقتضت أن يعلق أسباب عبادتهم وعللها بأمور حسية ملموسة لكل المكلفين، دفعاً للحرج والمشقة على الناس، وأن تكون علل الأحكام وأسبابها ثابتة وحسية وعامة يسهل إدراكها لجميع المكلفين دون مشقة، وألا ترتبط هذه العبادات بأمور عقلية علمية معنوية لا يدركها كل الناس، ولا كل من يريد أن يلتمسها حتى يتحقق عموم العلة مع عموم التكليف، ويسر إدراكها مع يسر أدائه .

إن الله سبحانه يعلم ما سيصل إليه علم الفلك من شأن عظيم فى مستقبل الأيام، لكنه سبحانه ألغى إعتباره فى إثبات علل العبادات، وذلك فيما أوحاه إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي صح عنه

قوله: « إنا أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، وأشار بيده»، أى : تسعة وعشرون أو ثلاثون يوماً، فهذا دليل واضح على رفض الأخذ بالحساب الفلكي فى إثبات الأهلة، إذا كلفنا أن نتعامل في ذلك وكأننا أميون في الحساب الفلكي، لا نكتب ولا نحسب، وليس في ذلك تنقص أو إزراء بعلم الفلك، ولكن المقصود أن لعلماء الفلك مجالاً رحباً في بعض شئون الحياة، خارج المسائل الشرعية، فإنه ليس لهم أي دور في إثبات علل وأسباب العبادات التي ربط الله علل أحكامها بأسباب حسية ملموسة .

وقد أجمع الفقهاء على الالتزام بالعلة الشرعية للصوم وهي الرؤية البصرية للهلال، وأجمعوا على رفض الأخذ بالحساب الفلكي سواء في ذلك حالة الصحو أم حالة الغيم إلا من شذ من المتأخرين وأحدث سبباً لم يشرعه الله، ولا عبرة بهذا الشذوذ مع انعقاد الإجماع الفقهي قبله والإجماع العملي أيضاً : فقد جرى العمل في كافة العصور الإسلامية الزاهرة، حيث تقدم المسلمون في علم الفلك، وأنشأوا المراصد الفلكية، ومع ذلك منعوه من الدخول في مجال العلل الشرعية للأحكام، بل لا يكاد يُعرف قاض - منذ عرف الإسلام القضاء إلى اليوم - قضى بالحساب الفلكي (٣) ولا زال القضاة يلون إستشراف الهلال بأنفسهم، أو ينتظرون الشهود العدول بالمحاكم حتى يجيئوا لهم، والمحاكم الشرعية العليا في مصر لم تأخذ قط في إثبات الرؤية بالحساب الفلكي منذ أنشئت إلى أن ألغيت، وكذلك دار الإفتاء من بعدها.

علما بأن الحساب الفلكي مبني على أمور ظنية وحسابية وجبرية، وأجهزة فلكية، وكلها ظنية تحتمل الخطأ والصواب، وليس أدل على ذلك من تعارض تقاويم الفلكيين أنفسهم في حساباتهم الفلكية، والذي يبنى على الظن لا يقيم اليقين لقيام شبهة الخطأ [١] إنتهى الكلام بتصرف. الموضوع الثاني: توحيد البلدان الإسلامية إذا ثبتت رؤية الهلال في بلد واحد منها. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل من المطلوب رؤية جميع الناس للهلال حتى يجب الصوم عليه؟

قال الحافظ العراقي: قوْلُهُ «لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلَالَ» لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ رُؤْيَةُ جَمِيعِ النَّاسِ بِحَيْثُ يَحْتَاجُ كُلُّ فَرْدٍ فِي وُجُوبِ الصَّوْمِ عَلَيْهِ إلَى رُؤْيَةِ الْهِلَالِ، بَلْ الْمُعْتَبَرُ رُؤْيَةُ بَعْضِهِمْ، وَهُوَ الْعَدَدُ الَّذِي تَثْبُتُ بِهِ الْحُقُوقُ وَهُوَ عَدْلَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ} [البقرة: ٢٨٢]، إلَّا أَنَّ هِلَالَ رَمَضَانَ يُكْتَفَى فِي ثُبُوتِهِ بِعَدْلٍ وَاحِدٍ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، لحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ إنِّي رَأَيْتُ الْهِلَالَ قَالَ أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟ أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ يَا بِلَالُ أَذِّنْ فِي النَّاسِ أَنْ يَصُومُوا غَدًا»[٢]

ولحديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ « تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ فَأَخْبَرْت رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنِّي رَأَيْته فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ»[٣] و قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا تُقْبَلُ

---

[١] - المصدر موقع إسلام أون لاين ، و مقال الشيخ محمد إسماعيل المقدم ، تحت عنوان :ما هو الحكم الشرعى فى إثبات دخول الشهر القمرى بالحساب الفلكى ؟ تاريخ النشر: ١٠ ذو القعدة ١٤٢٧ (٢٠٠٦/١٢/١) بتصرف

[٢] - رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ

[٣] - رَوَاه أَبُو دَاوُد وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ

شَهَادَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي الصِّيَامِ وَبِهِ يَقُولُ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ انْتَهَى.[1] فتبين أنه لا يجب على كل مكلف رؤية الهلال حتى يجب الصوم عليه، ولكن إذا ثبتت رؤية الهلال في بلدته فقد وجب الصوم عليه، سواء رأى الهلال بنفسه أم لم يره. وهنا يأتي السؤال السابق وهو أنه إذا ثبتت رؤية الهلال في بلد فهل يجب الصيام على جميع المكلفين في العالم الإسلامي أجمع أم لا بد من ثبوت رؤية الهلال في بلدته؟

تحرير محل النزاع: لا يجب على كل مكلف رؤية الهلال بل إذا رآه البعض في بلد يجب الصوم على أهل بلد الرؤية بالإجماع و كذلك على أهل البلاد القريبة. ولا يجب الصيام بالإجماع على أهل البلاد البعيدة كل البعد من بلد الرؤية كالأندلس من أفغانستان. واختلفوا في البلاد المتوسطة لا هي قريبة كل القرب ولا هي بعيدة كل البعد، و مثلوها بمثل ما بين المدينة المنورة و الشام هل يحمل إحداهما على الأخرى إذا رئي الهلال فيها.

في المسألة قولان مشهوران: القول الأول[2]: يجب على المسلمين أن يصوموا إذا رئي الهلال في البلاد القريبة منهم أو البعيدة عنهم بعدا متوسطا. (وعليه الحنفية في ظاهر الرواية المعتمد لديهم، وهو رواية ابن قاسم و المصريين عن الإمام مالك، وهو مذهب الإمام الليث بن سعد، و الشافعي و بعض أصحابه، وأحمد بن حنبل و أصحابه).

القول الثاني: لا يجب على المسلمين الصيام برؤية الهلال في البلاد البعيدة عنهم. (وهو رأي ابن عباس وعكرمة مولاه، والقاسم بن محمد و سالم بن عبد الله، وإسحق بن راهويه، وابن المبارك، وهو الراجح في المذهب الشافعي، وهو رواية المدنيين عن الإمام مالك، وحكاه الترمذي عن أهل العلم و لم يحك سواه). وفي تحديد القرب والبعد عدة آراء. أصحها: التباعد: ما اختلفت فيه مطالع الهلال كالحجاز والعراق، والتقارب : ما لم تختلف فيه المطالع كبغداد والكوفة. سبب اختلاف الفقهاء: اختلاف الفهم في النصوص الواردة في رؤية الهلال، فمن العلماء من فهم أن الخطاب فيها موجه إلى عموم الأمة بينما يرى الفريق الثاني أن الخطاب فيها موجه إلى بعض الأمة دون جميعهم.

أدلة الفريق الأول : استدل الفريق الأول بأدلة عامة كثيرة من النصوص والإجماع التي لادلالة فيها على محل النزاع، وإنما تدل فقط على وجوب صيام رمضان، لذا فضلت عدم سردها هنا، واكتفيت بذكر الأدلة الخاصة[3]

أولا: السنة النبوية: قال صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته"[4] ووجه الاستدلال :أن الخطاب العام فيه موجه إلى عموم الأمة، ومعلق بمطلق الرؤية، ومطلق الرؤية يتحقق برؤية بعض البلاد. فوجب الصوم بها على عموم الأمة.

---

[1] - طرح التثريب للعراقي ٤/ ١١٤- ١١٥

[2] - لمعرفة آراء العلماء ومزيد من أدلتهم راجع ابن عبد البر، الاستذكار، ٢٨٢/٣ و ابن رشد الحفيد ، بداية المجتهد،دار الفكر، بيروت ٢١٠/١، والقرافي ، الذخيرة ، دار الغرب ، بيروت ١٩٩٤م ،٤٨٨/٢ ،والنووي ، المجموع ، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م ، ٢٧٤/٦، ٢٧٦ ، وابن قدامة ، المغني ، بيروت ١٤٠٥ ط أولى ٥/٣ وغيرها

[3] - لمعرفة تلك الأدلة العامة راجع ابن قدامة : المغني ١٢/٣

[4] - سبق تخريجه

ثانيا:القياس: البينة شهدت برؤية الهلال فيجب الصيام كما لو تقاربت البلدان فكما يجب الصيام على البلاد القريبة من بلد الرؤية بالاتفاق، كذلك يجب الصيام على البلاد البعيدة.

مناقشة هذه الأدلة: ناقش الفريق الثاني هذه الأدلة التي استدل بها الفريق الأول بما يلي:

لا نسلم وجه استدلالكم من الحديث :أن الخطاب فيه موجه إلى عموم الأمة، وما دليكم على ذلك؟ لم لا يجوز أن يكون ذلك لأناس مخصوصين؟

وأما قياس البلدان البعيدة على البلدان القريبة فناقشوه أنه قياس مع الفارق لأن البلاد القريبة من بلد الرؤية يمكن رؤية الهلال فيها وأما البلاد البعيدة عنها فتستحيل رؤية الهلال فيها.

أدلة الفريق الثاني: استدل الفريق الثاني بما يلي: أولا : أحاديث تعليق صيام رمضان برؤية الهلال

١. قوله صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته.

٢. قوله صلى الله عليه وسلم: لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه

٣. قوله صلى الله عليه وسلم :إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا.[١]

وجه الاستدلال من هذه الأحاديث: قالوا الخطاب فيها موجه إلى أناس مخصوصين وإلى أهل بلاد مخصوصة وهي بلاد الرؤية والبلاد القريبة منها التي يمكن رؤية الهلال فيها، وليس بموجه إلى عموم الأمة فلا يدخل في الحديث البلدان البعيدة من بلاد الرؤية.

والدليل على ذلك حديث كريب[٢]: وهو: "أن أم الفضل بعثته إلى معاوية(رضي الله عنه) بالشام فقال :فقدمت الشام وقضيت حاجتها، واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس، ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة، فقال : أنت رأيته ؟ فقلت : نعم و رآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه، فقلت : ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه، فقال :لا، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم"

ودلالة الأثرواضحة على أن رؤية بلاد الشام غير كافية للمدينة المنورة، لأن قول ابن عباس رضي الله عنهما :" فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه " دليل على عدم جواز اعتماد رؤية بلد آخر بعيد عنه بعد الشام عن المدينة، فلو جاز لما أصر على صوم الثلاثين الذي هو صوم يوم عيد الفطر المحرم شرعا حسب رؤية أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه. ونسبه ابن عباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:"لا، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم"فهذا الحديث المرفوع نص في أن الخطاب في الأحاديث الثلاثة السابقة موجه إلى أناس مخصوصين وبلاد مخصوصة لا إلى جميع الأمة.

ثانيا : القياس: فقد قاسوا رؤية الهلال لوجوب صيام رمضان على دلوك الشمس لوجوب صلاة الظهر و على غروبها لوجوب صلاة المغرب. فكما أن الخطاب في أوقات الصلوات موجه إلى كل مطلع و مغرب،

---

[١] - سبق تخريج الأحاديث الثلاثة

[٢] - رواه مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، رقم الحديث ١٨١٩، وأبو داود ،كتاب الصيام ، باب إذا رؤي الهلال في بلد قبل الآخرين بليلة ، ورقم الحديث ٢٣٣٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ت محمد محي الدين عبد الحميد. ٢/ ٢٩٩ ، والنسائي كتاب الصيام باب اختلاف أهل الآفاق في الرؤية ، رقم الحديث ٢٠٨٤.مكتب المطبوعات الإسلامية ،حلب ،١٤٠٦ هـ ط ثانية ، ت عبد الفتاح أبو غدة .

والناس مختلفون في أوقات صلواتهم. كذلك الخطاب في وقت دخول شهر رمضان موجه إلى كل مطلع، فينبغي أن يكون الحكم يختلف حسب اختلاف المطالع.

مناقشة هذه الأدلة: ناقش الفريق الأول الاستدلال بحديث كريب بمناقشتين: المناقشة الأولى:- حديث كريب لا نسلم أنه نص في المسألة بل هو اجتهاد صحابي وفهمه في حديث صوموا لرؤيته ...، والظاهر في الحديث أنه خطاب لجميع الأمة، وقول الصحابي إذا تعارض مع ظاهر النص فالظاهر مقدم على فهم الصحابي.

أجاب الفريق الثاني: بأن قول ابن عباس رضي الله عنهما "هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم" يحتمل احتمالين:

١- أن يكون هذا الأمر(في قوله أمرنا) نصا حفظه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أن البلدان البعيدة لا تحمل على بلد الرؤية .

٢- أن يكون ذلك فهما خاصا منه رضي الله عنهما لأحاديث رؤية الهلال، وأن الخطاب فيها موجه إلى قوم مخصوصين وليس عاما للأمة.

وعلى كلا الاحتمالين(كونه نصا أو كونه فهما) يدل الحديث على أن الخطاب في أحاديث الرؤية موجه إلى قوم مخصوصين، إن كان نصا حفظه من رسول الله فالدلالة أوضح. وإذا كان فهما خاصا منه رضي الله عنهما فهذا فهم صحابي لم يعرف له مخالف من الصحابة. فيعد إجماعا سكوتيا يجب المصير إليه. لذا حكى ابن عبد البر الإجماع على مثل هذه الصورة.

المناقشة الثانية: لعل ابن عباس لم يعمل بخبر كريب لأنه شهادة، والشهادة لا تثبت بواحد.

رد الفريق الثاني: بأن ابن عباس رضي الله عنهما إن كان قد رده لما قلتم فهو غير صحيح بدليل أن المسافرين من الشام إلى المدينة كثير، وسهل على كريب أن يثبت ذلك بعشرات من العدول الذين كانوا في القافلة معه، فعدم سؤال المزيد من الشهود من حبر الأمة وعدم إتيان كريب بهم دليل على أنه لم يرده لكونه شهادة.

الملاحظة: تبين لنا من أدلة الفريقين ومناقشة بعضهما البعض أن الخلاف بينهما في فهم الأحاديث الثلاثة المتعلقة برؤية الهلال، هل الخطاب فيها عام لجميع الأمة وجميع البلاد أم هو خاص ببعض الأمة وبعض البلاد،

لإزالة هذا الاختلاف بين الفريقين ولمعرفة القول الصحيح من القولين علينا أن نرده إلى كلام الله تعالى، لأن في كلام الله البليغ أمثلة كثيرة من هذه الأساليب الثلاثة التي وردت في أحاديث رؤية الهلال، ونختار منها بعضها لنبحث في تلك الأمثلة المختارة هل الخطاب فيها موجه إلى عموم الأمة أم الخطاب موجه إلى قوم مخصوصين، هذا ما ندرسه في المبحث الثاني.

المبحث الثاني:دراسة الآيات القرآنية التي أسلوبها أسلوب أحاديث رؤية الهلال.

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين، المطلب الأول : جمع النصوص القرآنية المشابهة لنصوص رؤية الهلال في الأسلوب أولا: النصوص القرآنية المشابهة للأسلوب الأول – وهو "إذا رأيتم الهلال فصوموا

وإذا رأيتموه فأفطروا" أسلوبه أسلوب جملة شرطية مبدوءة بإذا، وفعل الشرط صيغة فعل ماض للجمع المذكر الحاضر، خوطب بها هذه الأمة المرحومة، وجواب الشرط صيغة أمر للجمع المذكر الحاضر.

إذا بحثنا في القرآن لوجدنا فيها آيات كثيرة أسلوبها مثل أسلوب الحديث الأول, منها:

قوله تعالى: فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ....(البقرة ١٩٨) وقال: فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا...(٢٠٠) وقال: فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ....(٢٣٩) وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ..... وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ.....(٢٨٢) وقال: حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ..... فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ...(النساء٦) وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ...(٩٤) وقال: فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ...(١٠٣) وقال: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ.....(المائدة ٢) وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُواْ..... وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى..... فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا....(المائدة ٦) وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (الأنفال ١٥) وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا...(٤٥)

وقال:فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً..(النور ٦١) وقال: وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا.....(الأحزاب ٥٣) وقال: فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ.....(محمد ٤) وقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ..(الطلاق١) وقال : الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (البقرة ١٥٦) و قال:..... فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ... فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ... (البقرة ١٩٦) وقال: فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ .....فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ .....(٢٢٣) وقال: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ...(الجمعة١٠)

فإذا نظرنا في هذه النصوص القرآنية لوجدنا:

أن المأمورين بذكر الله تعالى عند المشعر الحرام هم الذين أفاضوا من عرفات لا غيرهم، وأن المأمورين بذكر الله تعالى كذكرهم لآبائهم هم الذين قضوا مناسكهم لاغيرهم، وأن المأمورين بكتابة الدين هم المتداينون أنفسهم لا غيرهم، وأن المأمورين بالإشهاد هم المتبايعون لا غيرهم، وأن المأمورين بدفع الأموال إلى اليتامى هم الذين آنسوا منهم الرشد لاغيرهم، وأن المأمورين بالوضوء هم الذين قاموا إلى الصلاة وهم محدثون لا غيرهم، وأن المأمورين بالثبات وعدم الفرار هم الذين لقوا الكافرين لاغيرهم، وأن المأمورين بالسلام هم الداخلون في البيوت لا غيرهم، وأن المأمورين بدخول بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هم المدعوون لاغيرهم، وأن المأمورين بالانتشار وعدم البقاء في بيت النبي هم الذين طعموا و فرغوا من الطعام لا غيرهم، وأن المأمورين بالطلاق في أوقات الطهر هم المطلقون أي الذين يريدون الطلاق لا غيرهم، وأن المأمورين بما استيسر من الهدي هم المحصرون لاغيرهم، وأن المأمورين

بالهدي، وإن لم يجد فبصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة بعد الرجوع إلى البيت هم المتمتعون لاغيرهم، وأن المأمورين باعتزال النساء هم الذين حاضت نساؤهم لاغيرهم، وأن المأمورين بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله هم الذين قضوا صلاة الجمعة لا غيرهم.

وهذه المعاني واضحة في هذه النصوص ولا يختلف في ذلك عالمان. ثانيا: النصوص القرآنية المشابهة للأسلوب الثاني لنصوص رؤية الهلال (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه) أسلوبه أسلوب النهي عن شيء بصيغة الجمع المذكر الحاضر، مغيا بحتى .

إذا بحثنا في القرآن لوجدنا فيها آيات كثيرة أسلوبها مثل أسلوب الحديث الثاني, منها: قوله عز من قائل : وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ.....(البقرة ١٩٦) وقال تعالى: وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ .....وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ...(البقرة٢٢١) وقال تعالى:"وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ.....(البقرة ٢٢٢) وقال: وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.....(٢٣٥) وقال: لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ.....(آل عمران ٩٣) وقال:"وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ (البقرة ١٩١)

وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ....(النساء ٤٣) وقال:".... فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٨٩) وقال:".... فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ" وقال :"فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...(١٤٠) وقال:.. فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ.....(الحجرات ٩) وقال: ... فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ.....(الطلاق ٦) وقال: سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .....(القدر ٥) وقال: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ .....(التكاثر ١، ٢) وقال سبحانه: إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ...(الرعد ١١) وقال: وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ..... (البقرة ١٨٧)

لنفكر مليا في هذه النصوص القرآنية : هل النص الأول يدل على أنه إذا ذبح أحد الحجاج هديه يجوز لجميع الحجاج حلق رؤوسهم؟ لا ، هل النص الثاني يدل على أنه إذا آمنت مشركة من المشركات يجوز لنا أن ننكح الباقيات قبل تحقق إيمانهن ؟ وهل إذا آمن بعض المشركين هل يجوز للآباء أن يزوج بناتهم للمشركين الباقين ؟ لا و لا

وهل إذا طهرت زوجة من نساء المؤمنين من حيضها يجوز لجميع الأزواج معاشرة نساءهم قبل تحقق طهارتهن؟ لا ، وهل إذا انتهت عدة بعض المتوفى عنهن أزواجهن يجوز للمؤمنين أن ينكح الأخريات قبل التحقق من الانتهاء من عدتهن؟ لا، وهل إذا قاتلنا بعض الكفار عند المسجد الحرام يجوز لنا أن نقاتل بقية الكفار غير المقاتلين عنده؟ لا، وهل إذا غير بعض الناس ما في أنفسهم من أخلاق سيئة يغير الله تعالى ما في جميع الناس من نقمة.؟ لا ، وهل إذا تبين الفجر الصادق في بلدة من بلدان المسلمين يحرم على الصائمين جميعا الأكل و الشرب من غير أن يتحقق عنده طلوع الفجر الصادق؟ لا

ثالثا: النصوص القرآنية المشابهة للأسلوب الثالث لنصوص رؤية الهلال (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) أسلوبه أسلوب صيغة أمر بشيء موجه إلى جماعة المؤمنين مبينا سبب وجوبه (لرؤيته) و إذا

بحثنا في القرآن لوجدنا فيها آيات عديدة أسلوبها مثل أسلوب الحديث الثالث, منها:
قول رب العزة : أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ...(الإسراء ٧٨) وقال:.... فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ... (٢٢٢) وقال عز من قائل: وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ (البقرة ١٨٧) وقال: فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ .....وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (الروم ١٧، ١٨).
لنفكر قليلا في هذه النصوص القرآنية ثم لنتساءل: إذا زالت الشمس في أحد البلدان هل تجب على الناس جميعا صلاة الظهر؟ لا، إذا حاضت إحدى زوجات المؤمنين فهل يجب على جميع الأزواج أن يعتزلوا زوجاتهم؟ لا، إذا أقدم الليل في بعض بلاد المسلمين فهل يجوز للصائمين جميعا أن يفطروا من صيامهم،لا، وإذا تبين الفجر الصادق في بعض بلاد الصائمين هل يجب الإمساك على جميع الصائمين؟ لا، إذا دخل وقت صلاة العصر في بعض البلاد الإسلامية فهل يجب على المسلمين في جميع البلاد أن يصلوا صلاة العصر؟، وكذلك الصبح والمغرب والعشاء والظهر. الجواب عن هذه التساؤلات يكون بصوت واحد بالنفي
المطلب الثاني : دراسة الأحاديث السابقة في ضوء هذه الأساليب القرآنية. أولا: قلنا إن أسلوب حديث :"إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا" جملة شرطية مبدوءة بإذا، وفعل الشرط فيها صيغة فعل ماض للجمع المذكر الحاضر، خوطب بها هذه الأمة المرحومة، وجواب الشرط صيغة أمر للجمع المذكر الحاضر. فلو اخترنا بعض النصوص القرآنية الواردة في هذا الأسلوب، ووضعناها بجوار نص الحديث ثم قارنا بينهما في المعنى لوجدنا المعنى الصحيح لهذا الحديث ولعرفنا القول المختار في المسألة.
لنأخذ مثلا قوله تعالى:" إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ "
وقوله تعالى : "فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ "
و قوله تعالى:" فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ "
وقوله "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ..."
وقوله:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُواْ...."
وقوله :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"
و قوله:"..... فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً...."
كل هذه الأمثلة تشبه تماما في الأسلوب قوله صلى الله عليه وسلم:إذا رأيتم الهلال فصوموا"
إذا فكرنا في هذه النصوص وأمثالها لوجدنا أن الخطاب فيها موجه إلى عموم الأمة في الخطاب الوارد في فعل الشرط، و إلى بعض الأمة في الخطاب الوارد في جوابه.
فقوله تعالى:" إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ "[1]، يعني – والله أعلم – إذا تداينتم - أيها المؤمنون في مشارق الأرض و مغاربها - بدين، فاكتبوه أيها المتداينون منهم، فالمأمورون بكتابة الدين هم المتداينون من المؤمنين لا جميعهم، فلو طبقنا هذا المعنى على قوله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم

[1] - راجع في تفسي هذه الآية الماوردي : تفسير النكت والعيون ٣٥٤/١ وتفسير البيضاوي ١٦٣/١ وابن عرفة:تفسير ابن عرفة ٧٧٨/٢، و أسماعيل حقي :روح البيان ١٤٠/١ ، وابن عاشور: التحرير والتنوير ٩٧/٣ فما بعدها وغيرها.

الهلال فصوموا، لظهر لنا أن الخطاب في رأيتم موجه إلى جميع الأمة، وفي صوموا موجه إلى الذين رأوا الهلال، فالمأمورون بالصوم هم الذين رأوا الهلال، لا غيرهم.

ولو أخذنا قوله تعالى:" فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ"[1]، يعني – والله أعلم – إذا أفضتم _ أيها الحجاج – من عرفات، فاذكروا الله- أيها المفيضون منهم - عند المشعر الحرام، وكذلك قوله تعالى: "فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ"[2]، الخطاب في فعل الشرط موجه إلى أولياء اليتامى، والخطاب في جواب الشرط موجه إلى الدافعين منهم أموالهم، وكذلك قوله تعالى :" إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُواْ ..."[3] الخطاب في فعل الشرط (قمتم) إلى جميع المؤمنين، وفي جوابه(فاغسلوا) إلى الذين قاموا إلى الصلاة وهم محدثون، ومثله قوله تعالى:"إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ"[4] الخطاب في فعل الشرط (لقيتم)إلى جميع المؤمنين، وفي جواب الشرط (فلا تولوهم الأدبار) إلى الذين التقوا بالكافرين فعلا.

وهكذا قوله تعالى:" وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا....."[5]الخطاب في (دعيتم) موجه إلى الصحابة عامة، وفي (فادخلوا)إلى المدعوين منهم خاصة دون غيرهم، ومثله في بقية النصوص من غير فرق بين نص وآخر، وعليه فيجب علينا أن نرد نص رؤية الهلال المختلف في فهمه بالأسلوب الأول إلى هذه النصوص القرآنية فنقول إن الصحيح في معنى و مفهوم هذا الحديث أن الخطاب في "رأيتم" إلى عموم الأمة، وفي "صوموا" موجه إلى الذين رأوا الهلال، لا أولئك الذين لم يروه.

ثانيا: قلنا إن الأسلوب الثاني لنصوص رؤية الهلال (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه) أسلوبه أسلوب النهي عن شيء بصيغة الجمع المذكر الحاضر، مغيا بحتى . ولما بحثنا عن مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم وجدنا فيها آيات كثيرة أسلوبها مثل أسلوب الحديث الثاني, نختار منها بعضها للمقارنة بينها وبين نص رؤية الهلال :

قال تعالى:" وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ "

وقال: " وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ....."

وقال: "وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ "

وقال: ".... فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ "

وقال: ".... فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ"

---

[1] - راجع في تفسير هذه الآية الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٢٧١/١ وتفسير الماوردي ٢٦٠/١ ،و البيضاوي ١٩١/١ ، والتحرير والتنوير ٢٣٧/٢ فما بعدها وغيرها.

[2] - راجع في تفسير هذه الآية تفسير الإمام الشافعي ٥٢٧/٢ فما بعدها ، وتفسير الماوردي ٤٥٢/١ فما بعدها والبيضاوي٢/ ٦٠، ٦١ ،والتحرير والتنوير ٢٣٧/٤ فما بعدها.

[3] - راجع في تفسير هذه الآية تفسير الشافعي ٧٠٥/٢ فما بعدها ، وتفسير الماوردي ١٧/٢، ١٨، وتفسير البيضاوي ١١٦/٢ ، وتفسير الجلالين ١٢٠/١ ، وتفسير التحرير والتنوير ١٢٥/٦ فما بعدها.

[4] - راجع في تفسير هذه الآية تفسير الشافعي ٨٦٨/٢، ٨٦٩ ،تفسير الماوردي ٣٠٢/٢ والبيضاوي ٥٣/٢ والتحرير والتنوير ٢٨٦/٩ فما بعدها

[5] - راجع في تفسير هذه الآية تفسير الماوردي ٤١٨/٤ وتفسير البيضاوي ٢٣٧/٤ فما بعدها ، وتفسير الجلالين ٥٥٩/١ والتحرير و التنوير ٨١/٢٢ فما بعدها.

كل هذه الأمثلة تشبه في الأسلوب قوله صلى الله عليه وسلم:"لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه". إذا فكرنا في هذه النصوص وأمثالها لوجدنا أن الخطاب فيها موجه إلى عموم الناس، فالخطاب في النص الأول : وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ "[1] موجه إلى جميع الحجاج وفيه منع لكل واحد منهم من أن يحلق رأسه إلا بعد ذبح هديه، فإذا ذبح أحد الحجاج هديه فهل يكون ذلك مبيحا لحلق بقية الحجيج رؤوسهم؟ الجواب: لا

والخطاب في قوله تعالى: "ولا تقربوهن حتى يطهرن"[2] موجه إلى جميع الأزواج، وفيه منع لهم من أن يعاشروا زوجاتهم قبل انقطاع الحيض، فإذا انقطع حيض إحدى زوجات المؤمنين و تطهرت، فهل يكون ذلك مبيحا لبقية المؤمنين بمعاشرة زوجاتهم في حالة الحيض وقبل الطهر ؟الجواب : لا

والخطاب في قوله تعالى:" ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه"[3]موجه إلى جميع الحكام، وفيه منع لهم من ابتداء قتال الكفار عند المسجد الحرام، وإباحة لهم بقتالهم إذا بدأوا به، فإذا بدأ بعض الكفرة القتال معنا عند المسجد الحرام فهل يكون ذلك مبيحا للحكام بقتال بقية الكفار عند المسجد الحرام؟ الجواب لا

والخطاب في قوله تعالى:" .....فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله"[4] موجه إلى جميع المؤمنين وفيه منع لهم من أن يتخذوا المنافقين أولياء حتى يهاجروا، وإباحة لهم باتخاذ الذين هاجروا منهم أولياء، فإذا هاجر بعضهم فهل يكون ذلك مبيحا لاتخاذ بقيتهم من الذين لم يهاجروا أولياء؟ طبعا لا

والخطاب في قوله تعالى: "فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره..."[5]، موجه إلى جميع المؤمنين،ويمنعهم من القعود مع الكافرين والمستهزئين حتى يخوضوا في حديث غيره، و يبيح لهم ذلك إذا خاضوا في حديث غيره، فإذا خاض بعضهم في حديث غيره ولم يخض الآخرون فهل يجوز للمؤمنين القعود مع الذين لم يخوضوا في حديث غيره ؟ طبعا لا.

فإذا كان جواب هذه التساؤلات السابقة كلها بالنفي فلنعد إلى قوله صلى الله عليه وسلم:"لاتصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه" فنقول: الخطاب فيه عام وموجه إلى جميع المؤمنين يمنعهم من الصيام حتى رؤية الهلال، ويبيح لهم الصوم بل يوجب عليهم ذلك إذا رأوا الهلال، فإذا رئي الهلال في بعض البلاد ولم يمكن رؤيته في بقية البلاد، فهل يجوز الصوم أو يجب في بقية البلاد التي لم ير

---

[1] - راجع في تفسير هذه الآية تفسير الشافعي ٣٠٣/١ وتفسير الماوردي ٢٥٤/١ فما بعدها ، وتفسير البيضاوي ١٢٩/١ وتفسير الجلالين ١/ ٤١ والتحرير والتنوير ٢٢٤/٢ فما بعدها.

[2] - راجع في تفسير هذه الآية تفسير الشافعي ٣٣٦/١ فما بعدها وتفسير الماوردي ٢٨٢/١ فما بعدها وتفسير البيضاوي ١٢٩/١ وتفسير الجلالين ٤٧/١ و التحرير والتنوير ٣٦٨/٢ فما بعدها.

[3] - تفسير الماوردي ٢٥١/١ فما بعدها ، وتفسير البيضاوي ١٢٨/١ ، وتفسير الجلالين ١/ ٤٠ ، وتفسير التحرير والتنوير ٢٠٢/٢ فما بعدها.

[4] - راجع في تفسير هذه الآية تفسير الماوردي ١/ ٥١٤ فما بعدها ، وتفسير الماوردي ٢/ ٨٨ ، وتفسير الجلالين ١١٦/١ ، و الشوكاني :فتح القدير ٥٧١/١ ، والتحرير والتنوير ٥/ ١٥١، ١٥٢.

[5] - راجع تفسير الجلالين ١٢٨/١، و الشوكاني ٦٠٦/١ فما بعدها ، وابن عاشور ٢٣٣/٥ فما بعدها.

الهلال فيها ؟ ينبغي أن يكون الجواب بالتأكيد بالنفي.

ثالثا: قلنا إن الأسلوب الثالث لنصوص رؤية الهلال (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) أسلوب أمر بشيء موجه إلى جماعة المؤمنين مبينا سبب وجوبه (لرؤيته) بتعليقه على رؤية الهلال. لما بحثنا عن مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم وجدنا فيه آيات معدودة أسلوبها مثل أسلوب الحديث الثالث, ندرسها من أجل المقارنة بينها وبين نص رؤية الهلال: فالخطاب في قوله تعالى:"أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ..."خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلاة وتدخل فيه أمته، فالخطاب عام لجميع الأمة[1] ، وعلق بسبب وجوبها _ وهو زوال الشمس – فإذا تحقق زوال الشمس في بلد من البلدان هل تجب صلاة الظهر على جميع المسلمين في العالم ؟ طبعا لا.

والخطاب في قوله عز شأنه:"....فاعتزلوا النساء في المحيض..." يعم جميع الأزواج، ويأمرهم بوجوب اعتزال نسائهم في أوقات حيضهن ،[2] فإذا تحققت هذه العلة في امرأة من نساء المؤمنين فهل يجب على جميع الأزواج من المؤمنين اعتزال زوجاتهم؟ بالطبع لا، والخطاب في قوله عز من قائل:"وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل" عام لجميع الأمة، وفيه أمران، أحدهما: الأمر بإباحة الأكل والشرب في ليالي شهر رمضان إلى وقت طلوع الفجر، ووجوب الإمساك بعده،

وثانيهما : الأمر بوجوب إتمام الصيام في نهار رمضان إلى وقت قدوم الليل، و إباحة الإفطار بعده[3]، فإذا تحقق طلوع الفجر في بلد من بلدان العالم الإسلامي فهل يجب الإمساك على جميع المسلمين ؟ و إذا تحقق قدوم الليل في بلدة من بلدان العالم الإسلامي فهل يجوز الإفطار لجميع المسلمين؟ الجواب بالطبع لا ولا ،

والخطاب في قوله سبحانه":فسبحان الله حين تمسون وحين تصبون ....وعشيا وحين تظهرون" موجه إلى جميع المسلمين [4]يعني – والله أعلم – فصلوا لله حين تمسون – وهما صلاة المغرب والعشاء – وحين تصبحون – وهي صلاة الصبح – وعشيا –وهي صلاة العصر – وحين تظهرون – وهي صلاة الظهر- ونتساءل هنا مثل ما تساءلنا عند شرح قوله تعالى "أقم الصلاة لدلوك الشمس " ويكون الجواب بالتأكيد: مثل الجواب هناك بالنفي.

وإذا قارننا الأسلوب الثالث من نص رؤية الهلال – وهو صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته- مع ما قلنا في هذه النصوص، وتساءلنا فيه مثل ما تساءلنا فيها – وهو وهل إذا تحققت رؤية الهلال في بلد، ولم تتحق في بلاد أخرى – وهي القضية التي نريد التحقيق فيها –أو ليس من الواجب أن نجيب فيها مثل ما أجبنا في التساؤلات المذكورة في نصوص القرآن المشابهة لنصوص رؤية الهلال ؟ نعم، هذا هو الواجب.

---

[1] - راجع المراجع السابقة في تفسير هذه الآية

[2] - راجع تفسير الإمام الشافعي ٣٣٢/١ فما بعدها وابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٦٤/٢، وإسماعيل حقي : روح البيان ٣٤٧/١، وتفسير الجلالين ٤٧/١، وأبو حيان : البحر المحيط ٤٣٢/٢، فما بعدها، و النسفي: مدارك التنزيل ١٨٥/١ فمابعدها،والبيضاوي ١٣٩/١، وغيرها.

[3] - تفسير الشافعي ٢٩٤/١، و الماوردي :تفسير النكت والعيون ٢٤٤/١، فما بعدها و ابن عاشور : التحرير و التنوير ١٨٠/٢، فما بعدها.

[4] - راجع الشوكاني : المرجع السابق ٢٥٢/٤ مع التفاسير الأخرى

فإذا ثبت أن جميع النصوص الواردة في القرآن الكريم التي تشبه الأساليب الثلاثة التي استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية تدل على معنى واحد من غير خلاف ،أوليس من الواجب علينا أن نرد إليه الاختلاف الوارد في فهم أحاديث رؤية الهلال إن كنا مؤمنين بالله واليوم الآخر، امتثالا لأمر المولى سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (النساء ٥٩)

هذا وهناك نصوص في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سبق في نصوص القرآن لو درسناها لأدت بنا الدراسة إلى هذه النتيجة أيضا مثل قَول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي خَرَجْتُ» [١]، أعرضنا عن التعرض إليها نظرا إلى أن هذه الدراسة مخصصة لدراسة نصوص رؤية الهلال في ضوء أسلوب القرآن.

الخاتمة في نتائج البحث وخلاصة الدراسة

عندما قمنا بدراسة نصوص رؤية الهلال في ضوء نصوص القرآن الكريم لاحظنا أن هناك معنى عاما يشترك فيه جميع هذه النصوص، وهو أن الشارع سبحانه إذا أمرنا بشيء وعلق هذا الأمر بوصف أو بسبب يختلف وقت حدوثه من شخص إلى شخص آخر أو من بلد إلى بلد آخر فالحكم فيه يختلف من حيث الوقت حسب الأشخاص أو حسب البلاد. فقوله تعالى : "وإن كنتم جنبا فاطهروا" فالشارع سبحانه أمرنا بالغسل وعلقه بحدوث الجنابة، وحدوث الجنابة يختلف وقته باختلاف الأشخاص، فحدوث الجنابة لشخص وتحقق هذه العلة فيه يدل على وجوب الغسل عليه فقط دون غيره، ويجب الغسل على الغير عندما تتحقق فيه هذه العلة.ووقت تحققها في شخص يختلف عن وقت تحققها في شخص آخر، وبالتالي يختلف وقت وجوب الغسل حسب الأشخاص.

وقوله تعالى: ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله"فالله سبحانه وتعالى علق إباحة المعاشرة الزوجية بأوقات طهرالزوجات، وأوقات طهرهن يختلف من امرأة إلى امرأة أخرى، وعليه فيختلف وقت تطبيق هذا الخطاب من شخص إلى شخص آخر. وقوله تعالى:"سلام هي حتى مطلع الفجر"، وقوله "أقم الصلاة لدلوك الشمس"فالله سبحانه وتعالى علق هذين الحكمين بطلوع الفجر في النص الأول، وبدلوك الشمس في النص الثاني، وهما _ أعني طلوع الفجر ودلوك الشمس – يختلفان باختلاف البلدان، وعليه فهذان النصان يختلف وقت العمل بهما من بلد إلى بلد آخر.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ "يختلف من بلد إلى بلد آخر. وبناء عليه تبين لي أن هناك قاعدتين أصوليتين يجب على الفقيه ملاحظتهما في اجتهاداته وهما:

[١] - رواه الترمذي برقم ٥٩٢ عن عبد الله بن أبي قتادة، والنسائي برقم ٦٨٧ ، وقال الألباني : صحيح

١. إذا أمر الشارع المكلف بأمر وعلقه بوصف يختلف وقته باختلاف البلدان فالحكم يختلف باختلاف البلاد، مثل قوله تعالى :"ثم أتموا الصيام إلى الليل" وقوله صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته"
٢. إذا أمر المكلف بأمر وعلق بوصف يختلف حدوثه من شخص إلى شخص آخر فالحكم يختلف وقته من شخص إلى شخص آخر، مثل قوله تعالى:ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله، وعليه فوقت حلق الحجاج رؤوسهم يختلف من شخص إلى شخص آخر. والله أعلم.

٩. دور الحديث النبوي في الدراسات الجامعية (الدراسات الايرانية نموذجا)

الدكتوره كبري روشنفكر
(جامعه تربيت مدرس، طهران- ايران)

الملخص

نعنى بالحديث كل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف خِلقي أو خُلُقي، أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي.

جعل الله- عز اسمه- هذا الدين خاتمة الرسالات والأديان وتعهد بحفظه وصونه، فاختص هذه الأمة بأن وفقها لحفظ كتاب ربها وصيانة حديث نبيها. فإذا بها تبتكر لحفظ الحديث قواعد المصطلح على أدق منهج علمي يمكن أن يوجد للاستثبات من النصوص المروية وتمحيصها. ومن هنا نرى المسلمين فى انحاء العالم يهتمون بها اهتماما علميا وعمليا، كما نرى اقبال الايرانيين بعيد الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٨م الي الان بالتعاليم الاسلامية وتوظيفها التربوى فى الكتب التعليمية فى مختلف المستويات المدرسية الى الدروس والكتابات والبحوث الجامعية كما انتج الباحثون العديد من الرسائل والاطروحات فى الدراسات العليا بهذا الشأن. فإن البحوث هذه تضمنت مختلف المجالات والموضوعية فيها قد تركزت حول الإجتماعيات والسياسيات وما الي ذلك،

يقوم هذا المقال خلال المنهج الوصفي استقراء الموضوعات المتخذة من قبل الباحثين ضمن دراسة تحليلية ل ٤٠ بحثاً من البحوث الجامعية الايرانية فى مرحلة الماجستر بطريقة عشوائية وذلك خلال قراءة ملخصها ليبين مدي إهتمام الدارسين الايرانيين بالنص الديني النبوى اولاً ثم صلة البحث بنوعية الموضوع الذي إختاروه وتنوعه وتطوره فى مختلف الموسسات العلمية خلال السنوات الواحدة والعشرين الاخيرة(من ١٣٦٩ هـ الى ١٣٩٠هـ. ش) .

الكلمات الرئيسية: الاسلام، الحديث النبوى، البحوث الجامعية، ايران

مقدمة

يعد الحديث النبوى مصدرا هاما من مصادر الفكر الاسلامى وادبه بعد ظهور الاسلام حيث تغذى من مصدره الاول وهو القرآن الكريم من جهات مختلفة. وقد بقى من الرسول الاعظم(ص) الرسائل والعقود والوثائق وغيرها من كتاباته واقواله بجانب ما روى عن سماحته. ومنذ عصر الرسول إهتم المسلمون بالحديث عملا بقوله تعالى:< لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة> (الاحزاب، ٢١) " فكانوا يأتمّون به كما يأتمّون بالقرآن الكريم وما شرع لهم." (ضيف، لاتا، الفن ومذاهبه...، ٤٨) كما يوصى الرسول سفراءه الحكم بسنته وذلك بعد كتاب الله.(ن.م)

و ترجع اهمية الحديث الى ان اصول الدين الاسلامى واحكامه جاءت مجملة فى القرآن الكريم دون تفصيل والحديث هو الذى فصلها.(ضيف، لاتا، العصر الاسلامى، ٣٥) وكان امر تدوين قسم محدود من الاحاديث فى حياته(ص) كتلك التى تتصل بالزكاة وغيره الا ان الاكثر قد بقى تابعا لقوله: " لا تكتبوا عنى شيئا الا القرآن فمن كتب شيئا فليمحه." (ن. م، ٣٧) والسبب فى ذاک عدم المخالطة بين القرآن والاحاديث. ان كتابه الحديث تعد من أهم وسائل حفظ المعلومات ونقلها للأجيال، وقد كانت

أحد العوامل في حفظ الحديث. فكتابة الحديث مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى :مرحلة جمع الحديث في صحف خاصة بمن يكتب دون أن تتداول بين الناس، وهذه بدأت منذ عهده صلى الله عليه وسلم وبإذنه. المرحلة الثانية: الكتابة التي تقصد مرجعاً يعتمد عليه ويتداولها الناس وهذه بدأت في القرن الثاني للهجرة.

وكانت في كل من هاتين المرحلتين مجرد جمع للأحاديث في الصحف غالباً لا يُراعى فيها تبويب أو ترتيب معين، ثم جاء دور التصنيف الذي اتخذت فيه الكتابة طابع التبويب والترتيب في منتصف القرن الثاني، وبلغ أوجه وذروته في القرن الثالث المعروف بعصر التدوين. www.4roro4.com

ومما لا شک فيه ان الوضع فی الحديث كان شائعا منذ صدر الاسلام، الا ان العلماء قديما اهتموا بنقد الاحاديث عن طريق الاسناد اولا ثم التنقيب عن الوثائق او الاشكال النثرية الاصلية من اعتبار المتن وكذالک درس الحديث من النظر فی شكله اللغوی والانشائی وغيره من المعايير النقدية الرائجة انذاک. (المقدسی، ۱۹۹۸، ۶۵- ۶۹)

و اليوم نری ايضا ان الحديث يكون موضع اهتمام الدارسين من المشرق والمغرب فی مختلف المستويات، مسلما كان او غيره فقد كتب ويكتب كثيرا فيه يتناصون ويقتبسون ويفصلون ويجعلونه مرآة امام اعينهم فی الطريق وحتی يرودون عليه فهو مازال حيا مادام المسلمون احياء.

و فی ايران وخاصة بعيد الثورة الاسلامية عام ۱۹۷۸م الي الان وحسب اطار دستور البلاد الحالی الذی اخذ مصادره من القرآن والسنة، اهتم المسؤولون بالتعاليم الاسلامية وتوظيفها التربوی فی الكتب التعليمية فی مختلف المستويات المدرسية الی الدروس والكتابات والبحوث العلمية.(للمزيد من الاطلاع انظر: www.samt.ac.ir - موسسة تدوين الكتب الدراسية الجامعية فی ايران- والمكتبة التخصصية لتاريخ الاسلام وايران www.irdc.ir/news.asp?id=806 حيث نشاهد فهرس 1100عنوان من الكتب الموجودة في السيره النبوية باللغتين العربية والفارسية.)

و فی ميدان الدراسات الجامعية انتج الباحثون العديد من الرسائل والاطروحات فی الدراسات العليا حيث تضمنت مختلف المجالات والسمة الغالبة فيها الموضوعية من البحوث الفكرية والإجتماعية والسياسية والتربوية والنقدية وما الي ذلك.

يقوم هذا المقال خلال المنهج الوصفي، دراسة تحليلية ل ۴۰ بحثاً من البحوث الجامعية فی مرحلة الماجستر بطريقة عشوائية فی مختلف الموسسات العلمية خلال السنوات الواحدة والعشرين الاخيرة(من ۱۳۶۹ ه الی ۱۳۹۰ه. ش) وذلک ضمن قراءة ملخصها ليبين مدي إهتمام الدارسين الايرانيين بالنص الديني النبوی اولاً ثم صلة البحث بنوعية الموضوع الذي إختاروه .

التعاريف:

الحديث لغة: ضد القديم، ويستعمل حقيقة في الخبر والحديث: الجديد والخبر. واصطلاحاً: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل أو تقرير، أو وصف خِلقي أو خُلُقي أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي.. والخبر عند علماء هذا الفن مرادف للحديث. فلا فرق إذن عند الجمهور بين الحديث والخبر. (www.4roro4.com) والحديث الصحيح ما سلم لفظه من ركاكة ومعناه من مخالفة

آية او خبر متواتر او اجماع وكان رواية عدل وفى مقابله السقيم. (الجرجانى، ٢٠٠٢، ٧٣)

و الاجماع حول رواية الحديث هى أنه روى بمعانيه لا بالفاظه. (الفاخورى، ١٩٨٤، ٢٤٢ وضيف، لاتا، ٥٠، الرافعى، ٢٠٠٠، ٢٢٣) فحيث ان الرواية كانت تبتنى على النقل الشفوى فان رجالات البحث والتأليف والرواية والتلقى والكتابة والتعليم وضعوا أصوله فى ميادين الحديث النبوى والقرآن الكريم وما تفرغ عنها من العلوم واجروا تنفيذاته فى بضعة عشر قرنا حيث وضعوا اصول الفيلولوجيا.(اسد، www. Almultaka.net)

و كإن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلک يتّبع الوسائل التربوية في إلقاء الحديث علي اصحايه، ويسلك سبيل الحكمة كي يجعلهم أهلاً لتَحمل المسؤولية، فكان من شمائله في توجيه الكلام:

أ- أنه لم يكن يسرد الحديث سرداً متتابعاً، بل يتأنّى في إلقاء الكلام ليستقر في الأذهان.

ب- أنه لم يكن يطيل الأحاديث.

ج- أنه صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يعيد الحديث لتعيه الصدور. (http://www.4roro4.com)

- علم الحديث: علم يبحث فيه عن وضع اصول وقوانين تؤدى الى معرفة الحديث وانواعه بهدف الحصول على الفهم الصحيح منه. (محمد الحاجى، http://iqna.ir)

أدوار علوم الحديث:

الدور الأول: دور النشوء وذلك في عصر الصحابة الممتد إلى نهاية القرن الأول الهجري.

الدور الثاني: دور التكامل حيث .اكتملت علوم الحديث في هذا الدور، إذ وجدت كلها واحداً واحداً، وخضعت لقواعد يتداولها العلماء وذلك من مطلع القرن الثاني إلى أول الثالث.

الدور الثالث: دور التدوين لعلوم الحديث المختلفة، وذلك من القرن الثالث الهجري إلى منتصف الرابع. والقرن الثالث هو عصر السنة الذهبي، دونت فيه السنة وعلومها تدوينا كاملا.

الدور الرابع: عصر التآليف الجامعة وانبثاق فن علوم الحديث مدونا، ويمتد من منتصف القرن الرابع إلى أوائل القرن السابع حيث ألب العلماء في هذه الفترة على تصانيف السابقين والتي كانت تجربة أولى في التدوين، فجمعوا ما تفرق في مؤلفات الفن الواحد .واستدركوا ما فات السابقين، معتمدين في كل ذلك على نقل المعلومات عن العلماء بالسند إليهم كما فعل سابقوهم، ثم التعليق عليها والاستنباط منها.

الدور الخامس:دور النضج والاكتمال في تدوين فن علوم الحديث: وذلك من القرن السابع إلى القرن العاشر، وفيه بلغ التصنيف لهذا العلم كماله التام، فوضعت مؤلفات استوفت أنواع هذا العلم.

الدور السادس: عصر الركود والجمود:وقد امتد ذلك من القرن العاشر إلى مطلع القرن الهجري الحالي. في هذا الدور توقف الاجتهاد في مسائل العلم والابتكار في التصنيف، وكثرت المختصرات في علوم الحديث

الدور السابع: دور اليقظة والتنبه في هذا العصر: من مطلع القرن الهجري الحالي إلى وقتنا هذا، وفيه تنبهت الأمة للأخطار المحدقة نتيجة اتصال العالم الإسلامي بالشرق والغرب (http://www.4roro4.com)

فهذا كله ان دل على شيء فهو يدل على طبيعة الحديث واستعداد المسلمين الايجابى فى انشاء علم يستهدف مساعدة كيان الانسان فى المحاولة عن كشف مسيرة الحياة وحقائقها ومجهولاتها.

و فيما يلى جدول، الرسائل الفارسية وعناوينها وموضوعاتها ومكانها وتاريخ المناقشة:

جدول الدراسات الإيرانية (الرسائل الجامعية) في البحث عن الحديث النبوى وما يتصل به:

الرقم	العنوان الاصلي	المؤسسة او الجامعة/ الفرع	الموضوع	السنه	عدد الكلمات والمنهج	بعض النتائج
١	**آفرينش از ديدگاه قرآن وحديث**	آزاد الاسلامية/ المعارف **الاسلامية**	الخلق	؟	؟/ لم يذكر	ذكر العناوين الكلية
٢	آشنايى با احوال واحاديث زنان راوى پيامبر (ص) از حرف ذال تا ياء(	تربيت مدرس/	راويات الحديث	١٣٧٧	٢٤٥/ يبدو انه وصفى	لم يذكر/ التعريف بالراويات
٣	**سلوک پيامبر (ص) در شؤون خانوادگى در قرآن وحديث ()**	حوزۀعلميۀ قم	النبى والاسرة	١٣٧٨	٤٧/ لم يذكر	ذكر عناوين البحث فقط
٤	شخصيت سياسى رسول اكرم (ص) در قرآن وحديث	حوزۀعلميۀ قم	حياة الرسول السياسية	١٣٧٧	٦١/ لم يذكر	ذكر عناوين البحث فقط
٥	فلسفه اختصاصات پيامبر (ص) در قرآن وحديث	ازاد الاسلامية فى فسا	خصائص الرسول(ص)	١٣٨٠	١٢٨ / يبدو انه وصفى وتاريخى	ذكر عناوين البحث فقط
٦	معراج پيامبر اسلام از ديدگاه آيات وروايات	جامعة الزهرا	المعراج	١٣٧٨	١٠٣ / يبدو انه وصفى وتاريخى	اثبات المعراج+ ذكر عناوين البحث
٧	آشنايي با احوال واحاديث زنان راوي از پيامبر(ص(،	تربيت مدرس	الراويات	١٣٧٧	٢١٨/ لم يذكر	ذكر الفصول

	راوياتي كه با لقب يا كينه معرفي شده‌اند					
٨	برخورد قرآن وسنت با جاهليت عصر نزول وعصر حاضر	اصول الدين بقم	نقد الجاهلية	١٣٨١	٢٤٣/ يبدو انه وصفى وتاريخى	اثبات الجاهلية فى العصر النبى والراهن ودرو القران فى امحاءها
٩	بررسى انطباق احاديث شيعه بر احاديث نبوى (ص) در آيات الاحكام	اصول دين بقم	الحديث والاحكام	١٣٧٧	٦٩/ يبدو انه وصفى	ذكر الفصول
١٠	بررسي وتحليل مناظرات توحيدي در احاديث رسول اكرم)ص(	تربيت مدرس	التوحيد فى الاحاديث	١٣٧٥	٢١٤/ يبدو انه وصفى وتاريخى	ذكر الفصول
١١	بررسي وتحليل معاهدات سياسي پيامبر اسلام (ص) وائمه اطهار (ع) در قرآن وحديث	اصول دين بقم	العهود السيلسية	١٣٧٨	١٧٨/ لم يذكر	هذه المعاهدات تصلح لان يكون نموذجا للمسلمين فى عصرنا الحالى
١٢	سيماي حضرت محمد(ص) در آيينه قرآن وحديث	آزاد اسلامي واحد فسا	شخصية النبى(ص)	١٣٧٥	٤٤/ لم يذكر	ذكر رؤوس المباحث
١٣	تحليل علم غيب پيامبر وامام از ديدگاه قرآن وعترت	جامعة قم	علم الغيب والنبى	١٣٧٧	لم يذكر	ذكر رؤوس المباحث
١٤	خاتميت پيامبر اكرم (ص) از ديدگاه قرآن وحديث	آزاد الاسلامية	ختم النبوة	١٣٨٢	١٣١/ يبدو انه وصفى وتاريخى	ذكر رؤوس المباحث
١٥	ديدگاه رسول اكرم در	آزاد الاسلامية	تربية	١٣٨٠	٨٢/ ؟	هذه الآراء

	مورد تربیت کودکان		الاطفال			مفيدة لتربية الاولاد حاليا
١٦	رفتار پیامبراکرم(ص) با پدیده نفاق برپایه قرآن کریم وسیره نبوي	الامام الصادق(ع)	النفاق	١٣٨٢	/٤٠٨ يبدو انه وصفى وتاريخى	
١٧	روایات سیرۀ نبوی قبل از بعثت	مرکز بحوث الحوزه والجامعة	سيرة النبى قبل البعث	١٣٧٩	/٦٧ يبدو انه تاريخى	لم يذكر
١٨	سیره پیامبر اسلام (ص) در برخورد با منافقان در قرآن وحدیث	تربیت مدرس	النفاق	١٣٨٠	/٢٤٣ لم يذكر	ذكر الفصول استة
١٩	سلوك پیامبر صلي‌الله‌عليه‌وآله در شئون خانوادگي در قرآن وحديث	اصول‌الدين قم	الاسرة	١٣٧٧	/٤٠٩ لم يذكر	سلوكه(ص)يبنى على الادب والاحترام والعدالة والرأفة والصبر
٢٠	شخصيت سياسي رسول اكرم (ص) در قرآن وحديث	اصول‌الدين / فلسفه	شخصية الرسول السياسية	١٣٧٧	/١٥٠ لم يذكر	حيث ان الحكومة بيد الشعب فان سماحته يعامل المنازعين معاملة التسامح وينظر الى ارائهم
٢١	٤١-معراج از دیدگاه قرآن وروایات	مرکز تربیت مدرس حوزه علمیه قم	المعراج	١٣٧٢	/٥٤ لم يذكر	طكر العناوين
٢٢	جنگ روانی از دیدگاه قرآن وسیره نبوی)ص(	الامام الصادق(ع(	الحرب الباردة فى	١٣٦٩	/١٣٢ يبدو انها وصفى	عناوين البحث

			القرآن والحديث النبوى		وتاريخى	
٢٣	معراج رسول اكرم (ص) از ديدگاه قرآن وحديث	آزاد الاسلامية فى فسا	المعراج	١٣٧٧	المنهج المقارن بين الاديان	المعراج كان جسمانيا وقد رآى الرسول ضمنه العجائب السماوية
٢٤	سيماى شخصيت حضرت محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم(	مؤسسه الامام الخميني	شخصية الرسول	١٣٧٩	٤٠٩/ يبدو انه وصفى وتاريخى	ذكر صفاته(ص)
٢٥	هجرت پيامبر اسلام در قرآن وحديث	تربيت مدرس	الهجرة	١٣٨١	٢٩٩/ المنهج التاريخى	الهجرة افضل الطرق والحبشة انسب الامكنة فى المرحلة الاولى
٢٦	**مبانى نقد متن الحديث عند الفريقين**	المدرسه العليا للامام الخمينى/علوم الحديث والقرآن	اصول النقد فى الحديث	١٣٩٠	٦٧٧/ لم يذكر	عناوين الفصول+ كيفية استخدام آليات النقد من العقل والاستدلال بالحجج
٢٧	**ادب در تعاليم قرآن وسنت**	جامعة **طهران/ علوم القرآن والحديث**	الاخلاق	**١٣٧٢**	؟/ لم يذكر	ذكر اجزاء الرسالة
٢٨	**تربيت جسم از ديدگاه قرآن وحديث،**	**آزاد الاسلامية بطهران/ علوم القرآن والحديث**	التربية الجسمية		؟/ لم يذكر	ذكر العناوين
٢٩	**ذكر وموانع آن در قرآن**	جامعة	الذكر	**١٣٧٥**	؟/ لم	ذكر عناوين

	وحديث،	**طهران/ علوم القرآن والحديث**			يذكر	الفصول الثلاثة
٣٠	**فقر وغنا در قرآن وحديث،**	جامعة **طهران/ علوم القرآن والحديث**	الفقر والغنى	**١٣٧٠**	؟/ لم يذكر	ذكر عناوين الفصول الثلاثة
٣١	**سير تدوين حديث**	الالهيات والمعارف الاسلامية والارشاد / الامام الصادق (ع)	تدوين الحديث		الاسنادى	عناوين الفصول الثلاثة
٣٢	**تاريخ تدوين الحديث، وأثره على المدارس الفقهيّة**	علوم القرآن والحديث بجامعه المصطفى	تدوين الحديث والفقه	١٣٨٤	٣٠٣/ يبدو انه تاريخى	عناوين الفصول
٣٣	**در آمدى بر حديث پژوهى وچكيده پايان نامه هاى حديثى**	اصول الدين	الدراسات الحديثية	١٣٧٨	٢١٩/ يبدو انه وصفى	التعريف ب١٠٠ كتاب فى علوم الحديث دراسة ١٥٥ ملخصا من الرسائل الجامعية الى العام١٣٧٨
٣٤	. نقش **رفتارهاى عاطفى در تربيت اسلامى كودكان ونوجوانان از ديدگاه** قرآن **وسنت**	مؤسسه الامام الخمينى للتعليم والبحوث	تربية الاطفال			
٣٥	**توكل در** قرآن **وحديث**	اصول الدين	التوكل	١٣٨٦		

	ونقش آن در زندگی انسان					
٣٦	نقش **تفريح در تربيت نوجوان(با توجه به آموزه های** قرآن **وحديث)**	اصول الدين	تربية المراهقين	١٣٨٦		
٣٧	نقش **عقل در تربيت از ديدگاه** قرآن **وحديث**	اصول الدين	العقل والتربية	١٣٨٣		
٣٨	نقش **تربيتی والدين از ديدگاه** قرآن **وحديث**	جامعه المصطفى	دور الابوين فى التربية	١٣٨٥		
٣٩	**بررسی** نقش **وعملكرد** قرآن **واحاديث در علوم تربيتی**	جامعة قم/ قسم الالهيات والمعارف الاسلامية	دور القرآن والاحاديث فى التربية	١٣٨١		
٤٠	بررسی تحليلی اسباب ورود حديث نبوی در صحاح ستة وكتب اربعة	جامعة قم		١٣٨٦	المنهج المقارن بين الفرق	ذكر الفصول الخمسة

اختيرت هذه الدراسات في مرحلة الماجستير من الجامعات الإيرانية بما فيهم: علوم الحديث بقم وطهران، الأمام الصادق، تربيت مدرس، الجامعة من سنة ١٣٦٩ الشمسية حتي ١٣٩٠.

بحث وتحليل:

إن الدراسات الاربعين والتي اختيرت عشوائيا في مختلف المجالات العلمية والدينية تدل علي أن عدد قليل من الباحثين خطوا خطوات علمية من كتابة أبحاثهم ورسائلهم الجامعية. فالملخصات تعاني من ضعف البناء والكتابة حيث لابدّ أن يتضمن المنهج وبعض النتائج والمسألة التي تهدف المقالة لتبيينها وتوضيحها أو حلها فإن الغالبية تشتمل فصول البحث وذكر الموضوعات الهامشية دون القضايا الأساسية المتصلة بصلب البحث والمنهج يبدو انه وصفى وتاريخى.

ان الدراسات متنوعة وهي تتمحور حول الموضوعات المختلفة مثل: السياسة (شخصية الرسول السياسية، النفاق، الحرب الباردة، الهجرة)؛ الاعتقادات (التوحيد، الاسلام وختم النبوة،

الخلق، علم الغيب، **المعراج**)، والأحكام، والاجتماعيات والأخلاق (التربية، الاسرة، التوكل والذكر،)، وعلم الرواية (الراويات، نقد الحديث، تدوين الرواية) وغيرها من الموضوعات.

هناک عناوين مشابهة للدراسات مثل شخصية الرسول السياسية (رقم۴ و۵ و۲۰ و۲۴) وقضية المعراج(رقم۶ و۲۱ و۲۳) والنفاق (رقم ۱۶ و۱۸) وتدوين الحديث (۳۱ و۳۲).

الدراسات غالبا تتراوح بين القرآن والحديث حيث نرى ان ٦٥% من مجموع البحوث تنحى هذا المنهج. والحديث اعم من الاحاديث النبوية وغيرها الا ما تاكد عليه فى العنوان.(رقم ٤٠ نموذجا)

عدد كلمات الملخص(اذا حصلنا عليه) يتراوح بين ٤٤ و٦٧٧ والمعيار هو ترديده بين ١٥٠- ٣٠٠.

ان اكثر البحوث تتعلق ب جامعه اصول الدين(٩ دراسات)، ثم جامعه **آزاد الاسلامية**(٧ دراسات) وجامعة الزهرا اقل حظا من مثل تلک البحوث.

النتائج والاقتراحات

١- النتائج

- البحوث جرت غالبا فى فروع الحديث.
- ان الملخصات غالبا تعانى النقص فى المعيارية.
- اكثر الدراسات تمت فى الموضوعات السياسة والعقيدية، والأحكام، والاجتماعيات والأخلاق، وعلم الرواية.
- ان البحوث فى بعض الاحيان تتشابه والسبب فى ذاک عدم اهتمام الباحث بالبحوث السابقة وعدم وجود مركز يقوم بجمع مثل هذه الموضوعات.
- هناک جمع بين الدراسات القرآنية والحديثية غالبا.

٢- الاقتراحات

- وضع ببلوغرافيا الحديث النبوى فى مختلف البلدان العالمية
- تأسيس موقع الكترونى يقوم بجمع ونشر كل الافكار والموضوعات االقديمة والجديدة والتى ترتبط الى البحوث الدينية النبوية بهدف التعريف بالاسلام الاصيل .

المصادر

- القرآن الكريم
- أسد، أيمن حاج، ٢٠٠٥م، علم التحقيق؛ الفيلولوجيا الاستشراقية والنقد المعاصر .www Almultaka.net
- **الجرجانى، على بن محمد بن على(٢٠٠٢)** التعريفات، دار الكتاب العربى بيروت، لبنان
- **الرافعى، مصطفى صادق(٢٠٠٠)** اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت
- ضيف، شوقى(لاتا)الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ط١٣، دار المعارف، مصر
- ---------- **(لاتا) تاريخ الادب العربى، العصر الاسلامى**، ط٢١، دار المعارف، مصر

- **الفاخوری، حنا (۱۹۸۴)**، ط۵، دارالعلم للملائین، بیروت، لبنان
- **المقدسی، انیس(۱۹۹۸) تطور الاسالیب النثریة فی الادب العربی، ط۹**، دار العلم للملایین، مصر

المواقع:

- http://www.4roro4.com/vb/s28478.html
- http://www.hawzah.net/fa/
- http://www.hawzah.net/fa/ThesisView.html?ThesisID=68140
- http://www.hawzah.net/fa/MagArt.html?MagazineArticleID=59428&MagazineNumberID=5869
- http://iqna.ir
- www.irdc.ir/news.asp?id=806
- www.samt.ac.ir

١٠. الدراسة الموضوعية للحديث وتوظيفها في تفاعل المجتمع مع السنة النبوية

الدكتور فراس محمد إبراهيم

(كلية أصول الدين/الجامعة العراقية، رئيس جمعية علوم الحديث العلمية)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد..

فإن السنة النبوية لم تدع جانباً من جوانب الحياة إلا أوضحت أمره، ولا حالة من الحالات النفسية أو العقلية أو الاجتماعية إلا أبانت حكمها، ولا سبباً من أسباب التقدم والرقي والنهوض بالأمة إلا بينته وحثت على التمسك به، إلى غير ذلك من المزايا التي كانت من المقومات التي نهضت بالأمة إلى المدنية المؤسسة على القواعد الصحيحة والأخلاق الحسنة، فرفعت المسلمين الأوائل بين الأمم وسعدوا بها وسادوا على غيرهم، كما أنها لم تترك شيئاً يحفل به البشر إلا وتطرقت إليه سواء بشكل تفصيلي أو بشكل مجمل.

إن عملية تجديد العلوم وتطويرها مطلب مُلِحٌ للارتقاء بالمجتمعات والسمو بها، وتمس عملية التجديد العلوم بمختلفها بما في ذلك العلوم الإسلامية وفروعها المتعددة، وقد برزت في الآونة الأخيرة الحاجة الماسة إلى التجديد في فهم السنة النبوية وطريقة تفسير نصوصها بطريقة تتماشى والواقع المعاصر، وتظهر علاقة النصوص الحديثية بالعلوم الأخرى، مع أن أصل النصوص ثابت ومدوّن في كتب الحديث، لكن لأن النظريات والمناهج الحديثة التي أطلقها وسوّق لها غير المسلمين، وأجبروا الناس على التعامل معها كثيرة؛ فلا بد والحالة هذه من إعادة النظر في عرض السنة النبوية بطريقة تواكب هذه النظريات والمناهج، ثم لا بد من إظهار الصور الناصعة للسنة النبوية وهي تتعامل وتتحاور مع الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا شك في أن السنة النبوية فيها من التعليمات والأدلة ما يصلح لكل زمان ومكان.

إن علوم السنة النبوية بفروعها المتعددة من أشرف العلوم وأعلاها منزلة فهي تبحث في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته وأفعاله وتقريراته، التي تمثل موضوعها، ومن هذه الفروع شرح الحديث وتفسيراته والتي تعددت مناهجه.

وتهدف هذه الدراسة إلى الإشارة إلى المنهج الأجدى نفعاً لدراسة الحديث في العصر الحاضر، وتوظيفه في تفاعل المجتمع مع السنة النبوية.

وتأتي أهمية الدراسة من كونها تبين ارتباط علم الحديث بالعلوم الأخرى وبالمجتمع وواقعه المعاش.

وتأتي هذه الورقة البحثية مساهمة متواضعة في هذا المجال، جعلتها بعنوان: «الدراسة الموضوعية للحديث وتوظيفها في تفاعل المجتمع مع السنة النبوي»، قصدت بذلك التأكيد على أهمية الدراسة الموضوعية للحديث ودورها في تفاعل المجتمع من السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وقد انتظمت هذه الورقة بعد المقدمة في ثلاثة مطالب وخاتمة، على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم الدراسة الموضوعية وأهميتها.

المطلب الثاني: مناهج الدراسة الموضوعية للحديث وعلاقتها بالسنة والعلوم الأخرى.

المطلب الثالث: تفاعل المجتمع مع السنة النبوية.

أما الخاتمة فضمت أهم النتائج والتوصيات.

وختاماً لا بد لي من بيان أن الندوات بطبيعتها تملي على الباحث الاختصار وعدم الإسهاب والاسترسال، وهذا ما راعيته في هذا البحث، معتذراً عن عدم التوسع في كل مطلب وبيان كل جوانبه، آملاً أن ما سأقدمه في هذا البحث يحقق أهدافه، والله ولي التوفيق.

المطلب الأول

مفهوم الدراسة الموضوعية وأهميتها

أولاً: تعريف الدراسة الموضوعية

وردت تعريفات عدة للدراسة الموضوعية للحديث اتسم غالبها بالوصف، ولعل أفضل وآخر تعريف للحديث الموضوعي ما توصل إليه الدكتور خالد الشرمان، فعرفه تعريفاً عاماً وآخر خاص، أما التعريف العام فهو: **"دراسة علمية لموضوع معين بالاعتماد على حديث النبي صلى الله عليه وسلم، أو هو بيان موضوع ما في السنة النبوية"**[1].

أما التعريف الخاص للحديث الموضوعي، فهو: **"بحث علمي لموضوع ما، من خلال الحديث المقبول، للوصول إلى الهدي النبوي، وتطبيقه في الواقع"**[2].

ويلاحظ من التعريفين ما يأتي:

١. المحور الأساسي الذي تدور عليه الدراسة الموضوعية هو حديث النبي صلى الله عليه سلم.

٢. تعتمد الدراسة الموضوعية على الأحاديث المقبولة الصحيح منها والحسن، ولا تعتمد على الحديث الضعيف.

٣. تهدف الدراسة الموضوعية إلى تطبيق السنة النبوية في حياة الناس العملية، وتعمل على تفاعل المجتمع مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لذا فهي تخاطبهم بأسلوب وطريقة تتوافق مع العصر الذي يعيشون فيه.

ثانياً: أهمية الدراسة الموضوعية للحديث

يمكن أن نجمل أهمية منهج الدراسة الموضوعية للحديث بالنقاط الآتية:

١. يتفق منهج الدراسة الموضوعية مع روح العصر الحاضر الذي تتجدد فيه حاجات المجتمعات، وتبرز فيه أفكار ونظريات جديدة مع التقدم العلمي والتقني، حيث تعطي هذه الدراسات رؤى وحلولاً صحيحة، وتخرج للناس أحكاماً عامة تغنيهم عن اللجوء إلى القوانين الوضعية[3].

٢. تبرز هذه الدراسات جوانب متعددة من الإعجاز في السّنة النبوية الصحيحة والتي تؤكد بوضوح أن السّنة النبوية وحي من عند الله تعالى وإن كان بالمعنى دون اللفظ، لأن مثل هذا الإعجاز لا يتسنى لبشر معرفته قبل قرون إلا عن مصدر إلهي[1].

---

(1) الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية، للدكتور خالد محمد محمود الشرمان، دار الفرقان-عمان، ط/١ لسنة ٢٠١٠: ٢١.

(2) ينظر: المصدر نفسه.

(3) ينظر: البداية في التفسير الموضوعي، د.عبد الحي الفرماوي، ص: 69، ومباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، ص30

٣. تساعد هذه الدراسات في تأصيل العلوم الشرعية الجديدة التي نشأت حديثاً لتلبية حاجات المسلمين العلمية في شتى مجالات المعرفة الإنسانية مثل :علم النفس الإسلامي، والإعلام الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي وغيرها[٢].

٤. وهذا بالإضافة إلى الفوائد الجليلة التي تقدمها مثل هذه الدراسات لكلٍ من الدعاة والباحثين، بل أفراد المجتمع المسلم كله من إحاطة تامة بيسر وسهولة بكل ما يتعلق بموضوع الدراسة في مكان واحد[٣].

المطلب الثاني

مناهج الدراسة الموضوعية للحديث وعلاقتها بالسنة والعلوم الأخرى

أولاً: مناهج الدراسة الموضوعية للحديث

حدد الدكتور رمضان إسحاق الزيان المناهج المتبعة للدراسة الموضوعية للحديث من خلال استقراءه لجهود المتخصصين في الحديث الشريف وعلومه وبحوثهم المتعلقة بالدراسات الموضوعية للحديث فوجد أنها تدور حول ثلاثة مناهج[٤]:

الأول: يبنى على جمع الأحاديث الواردة في كل كتب السّنة النبوية عن موضوع الدراسة، ثم يتولى الباحث ربط موضوعات الأحاديث بالواقع المعاصر لمعالجة قضايا المجتمع المسلم بطريقة شمولية مع تبسيط عملية تطبيق السّنة بشكل علمي وبأسلوب معاصر.

الثاني: يبنى على جمع مجموعة الأحاديث من مصادر حديثية معينة كالصحيحين والكتب الستة أو التسعة شريطة أن تفي بغرض شرح أبعاد موضوع معين للوصول إلى نتائج تساهم في فهم أبعاد موضوعات السّنة النبوية الشريفة للمساعدة على تطبيقها في واقع حياة المسلمين.

الثالث: يبحث في شرح موضوع معين من خلال جمع روايات حديث شريف واحد يكون محور الدراسة بحيث يستوعب إلى جانب تحليل الحديث الشريف ونقده دراسة موضوعية وربطه بالواقع المعاصر.

ثانياً: علاقة الدراسة الموضوعية بفروع السنة النبوية والعلوم الأخرى

١. علاقة الدراسة الموضوعية بفروع السنة النبوية

تتعلق الدراسة الموضوعية للحديث بفروع السنة النبوية كافة، تعلقاً وثيقاً، فهي تستخدم مجموعة العلوم التي تتعلق بالحديث، ابتداءاً من جمع الأحاديث النبوية من مظانها مروراً بنقدها واختيار ألفاظها ورفع التعارض الوارد فيها . إن وجد ،. وبيان الناسخ والمنسوخ فيها، وتحرير مسائلها الفقهية، ثم عرضها بطريقة تناسب العصر الحاضر، لذا يعد هذا المنهج الدراسي ثمرة لجميع الدراسات الحديثية لأنه ذو صلة بشتى فروع علوم السّنة النبوية[٥].

---

(١) ينظر: الحديث الموضوعي دراسة نظرية: ٢١٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: الحديث الموضوعي دراسة نظرية: ٢٢٦-٢٢٧.

(٥) ينظر: المصدر السابق: ٢٢٥.

وهكذا تتضافر علوم السّنة كلها مجتمعة في خدمة موضوع معين تناولته الأحاديث الشريفة للوقوف على مفهومه وحدوده والتعرف على إمكانية تطبيقه في عصرنا الحاضر[1].

٢. علاقة الدراسة الموضوعية للحديث بالعلوم الأخرى

إن البحث من خلال منهج الدراسة الموضوعية للحديث في موضوع ما، إنما يعني البحث في مجموعة من العلوم، تلتقي عندها جميع أنواع صور المعرفة المتعلقة بالموضوع، ولذا فإن منهجية النقد والتحليل تعني التقاء جميع أنواع صور التحليل المعرفي للموضوعات المتعلقة بموضوع الدراسة، وتلك نتيجة طبيعية تتعلق ببنية المنهج ذاته، وبالتالي فإن التحليل لابد وأن يتطرق إلى جميع النواحي التي تتعلق بالموضوع.

فعند النظر في الأحاديث النبوية الشريفة نجد أن موضوعاتها ليست بمعزل عن موضوعات العلوم الأخرى، بل كلاهما يتبادل التأثير، ويستفيد كلٌّ منهم من الآخر فيما من شأنه الوصول إلى الصواب والحق، وإسعاد البشرية.

وعلى سبيل المثال إذا أخذنا موضوع الرأي العام في الإسلام؛ . وقد وردت تطبيقاته والإشارة إليه في السنة النبوية كثيراً .، فإن العلوم الإنسانية الأخرى تخدمه في كثير من مباحثه ومسائله.

فالرأي العام في الإسلام . المرتبط بالنظام السياسي .؛ يبحث عن الرأي المنضبط السائد بين جماهير المسلمين، نحو قضية تهم هذه الجماهير في وقت ومجتمع معين، بعد مشاورة وحوار ونقاش يوافق الشريعة ويسير في حدودها[2].

وعليه فإن موضوع الرأي العام يتصل بالعلوم الآتية:

١. العلوم السياسية.

٢. علم الاتصال.

٣. الاجتماع السياسي.

إن منهج الدراسة الموضوعية للحديث يجمع بين العمل لإظهار الصورة الناصعة للسنة النبوية وتثبيت الإسلام رسالة وكياناً وشريعة ونظاماً، والعمل للارتقاء بالمجتمع الإسلامي علمياً وحضارياً، ويتطلب هذا المنهج الصلة العلمية المتينة بين سعة الإطلاع في العلوم الإسلامية، وسعة الإطلاع في العلوم الحديثة، فالمدنية المعاصرة تتميز بتقدم هائل في العلوم لم تكن تخطر ببال المجتهدين القدماء، بينما تفتح للمجتهدين المعاصرين آفاقاً واسعة تتطلب منهم خبرة غزيرة بأصول الدين والشريعة، وخبرة واسعة بالتطورات الحاصلة في ميادين المعرفة النظرية والتطبيقية المختلفة، هاتان الخبرتان المتكاملتان اللتان لا تنفصلان في منهج الدراسة الموضوعية للحديث في عصرنا هذا، وبذلك تبرز حتمية ذلك الترابط المنهجي عن طريق الإرشاد والاسترشاد بين الاختصاص في العلوم الإسلامية والاختصاص العلمي التطبيقي والإنساني.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٦.

(٢) ينظر: مراعاة الرأي العام في المجال السياسي في ضوء السنة النبوية: ١٩.

المطلب الثالث

تفاعل المجتمع مع السنة النبوية

أولاً: علاقة المجتمع بالسنة النبوية

لا يشك أحد في قيمة وأهمية علاقة المجتمع بالسنة النبوية، فهي ضرورة من ضرورات تمسك المسلمين بدينهم لا يستغنى عنها، وعند التأمل في علاقة المسلمين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتفاعلهم معها يتبين لنا أن هذه العلاقة ليست على وجهها الصحيح عند كثير من المسلمين، فقد اعتراها مد وجزر، ورأي ورأي آخر، لاسيما في زمننا الحاضر زمن التحديات والتغيرات المتسارعة التي أصبحت هم الناس الأكبر، وشغلهم الشاغل، ومع التحديات تبرز الحاجة إلى عرض جديد للسنة النبوية يتوافق مع العصر الحاضر، وتبرّز أهمية السنة النبوية وصلاحيتها كمنهج حياة في كل زمان ومكان.

وإذ كان المجتمع يتفاعل مع النظريات الوضعية في مجالات الحياة المختلفة كالتربية والسياسة والاجتماع وغيرها من العلوم تفاعلاً كبيراً؛ ويحتاج إليها، .ولا شك أن كثيراً من هذه النظريات له مردود إيجابي على حياة الناس .، ففي الوقت ذاته فإن حاجة الإنسان إلى الدين حاجة فطرية، فإذا علمنا أن في ديننا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام من النظريات والتطبيقات العملية ما يوافق الكثير من مناحي الحياة المعاصرة ويغني عن هذه النظريات تأكد لنا أن المجتمع سيتفاعل معها تفاعلاً كبيراً، شرط أن تقدم وتعرض بطريقة تتلاءم والعصر الذي يعيشه المجتمع.

ثانياً: أثر الدراسة الموضوعية للحديث على المجتمع

إن المتتبع للدراسات الحديثية يلحظ انحسار الاهتمام بربط الأحاديث النبوية بالواقع المعاصر، يقابل ذلك اهتمام بدراسة الأسانيد والرجال، لذا فإن دراسات السنة النبوية تواجه مشكلة، تتمثل في تأخر هذه الدراسات وعدم مواكبتها للتطور والعصر، ومسايرتها للحضارة والتقدم العلمي.

وعلى الرغم من وجود نماذج حية في نصوص الحديث النبوي تبين التعاطي الرائع للمنهج النبوي مع مختلف القضايا، إلا أن كثيراً من الدارسين للحديث لم يتمكنوا من طرحها بطريقة تقنع الآخرين وتنفي التهمة عن السنة بعدم كفاءتها في الاستجابة للمستجدات المعاصرة.

فالناظر في تفسيرات الأحاديث النبوية وأبحاثها يلحظ غلبة الرتابة والجفاف عليها[١]، بل تفتقر أحياناً إلى عرض تصور واضح عن أهدافها[٢]، وذلك بخلاف ما تقدمه العلوم التطبيقية من تفسيرات وحلول لقضايا مختلفة، والتي تتسم بالمرونة والحيوية والتجدد، وتقدم النفع المباشر للإنسان، الأمر الذي يجعلها حاضرةً ومقبولةً على حساب ما تقدمه السنة من التفسيرات الرتيبة لنصوص الحديث النبوي[٣].

ومن هنا فلا بد من التجديد في طريقة عرض السنة النبوية وتفسير نصوصها، لتتمكن من مواكبة

---

[١] ينظر: الموضوعية في العلوم الإنسانية للدكتور صلاح قنصوه:٤٠٨.

[٢] ينظر: مشكلة العلوم الإنسانية: ٥٢.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ١٦.

العصر، على أن لا نخضع هذه النصوص إلى النظريات والتوجهات الفكرية المعاصرة، كما فعل بعضهم ليكون ذلك تعدياً على حرمة الدين وسلباً لأصوله وخصائص التي امتاز بها عن غيرها، ولكن التجديد الذي نريد يتمثل في إحياء هذه النصوص، وتغيير النمط الذي تسير عليه الأبحاث فيها وطرق عرضها، ليكون لها الحضور الفاعل ويتفاعل المجتمع معها، وبذلك تقدم نفعاً مباشراً للمجتمع.

إن دراسة الحديث دراسة موضوعية أمر في غاية الأهمية، لأن هذا النوع من الدراسات يجعل السنة النبوية متعايشة مع الواقع، وتستثمر نصوصها الحديثية في تقديم الحلول للعديد من المشكلات التي يواجهها المجتمع، فالدارس للحديث وفق هذا المنهج يظهر معناه بأوضح وأبهى صورة، ويظهر للمجتمع المنهج النبوي في مسألة ما من خلال ربط النص الحديثي بالواقع المعاصر، ليعالج قضية معاصرة ويناقش جوانبها بطريقة علمية. فالدراسة الموضوعية للحديث تعالج قضية أو إشكالية تهم الفرد والمجتمع وتشغل الفكر، وتقلق واقع الحياة لما تتطلبه من حلول وتوجيهات، ومن خلال هذا النوع من الدراسات يتم التعرف على مقصد النبي صلى الله عليه وسلم في الموضوع بشكل شمولي[1].

الخاتمة

بعد أن بحثنا في موضوع الدراسة الموضوعية للحديث وتوظيفها في تفاعل المجتمع مع السنة النبوية؛ أرى أننا اليوم بحاجة إلى توجيه للدارسين للحديث باعتماد المنهج الموضوعي عند دراستهم للحديث خصوصاً تلك الدراسات الموجهة لعامة الناس، لتعرض السنة بطريقة تواكب العصر الحاضر، وأول ما أسجله هنا لأحكم على هذا البحث في جديته جملة النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج:

١. إن مناهج تفسير الحديث لها الدور الأكبر في صياغة ذهن المتلقي، وتعمل بدرجة كبيرة على تحديد كيفية تعامله مع السنة، وكيفية تعاطيه مع المستجدات العالمية من حوله، وذلك وفق التصورات والصور التي غرست في عقله ونفسه من خلال قراءته وفهمه للسنة النبوية.
٢. إن باب الاجتهاد في تفسير السنة وعرضها عرضاً معاصراً مفتوح أمام الدارسين ليستنتجوا من نصوصها ما فيه علاج لقضايا المجتمع، وإشارات لأحداث مستقبلية.
٣. فهم السنة النبوية والتفاعل معها واتخاذها منهج حياة واجب على كل مسلم.
٤. العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والتطبيقية، في تكامل وانسجام، كل منهما يؤدي دوره المكمل للآخر، فلا يصح أن يفصل هذان عن بعض.
٥. يستخدم الحديث الموضوعي كافة فروع علوم السّنة النبوية للوصول إلى أهدافه البحثية سواء مجموعة العلوم الخاصة بالسند أو المتن.
٦. الجمود والرتابة في طريقة عرض السنة النبوية يبعدها عن مسارها ويصدها عن أداء مهمتها، ويوجد البون الشاسع بينها وبين العلوم الأخرى.
٧. للحديث الموضوعي أهمية قصوى في العصر الحاضر لفهم النصوص الحديثية والتعرف على إمكانية

---

(١) ينظر: الحديث الموضوعي دراسة تاصيلية تطبيقية: ١٩٥.

تطبيقها بفقه العصر.

٨. يصل منهج الدراسة الموضوعية إلى نظريات حديثية في شتى جوانب الحياة، كنظريات حديثية في الإعلام أو السياسية وغيرها من العلوم.

٩. يركز منهج الدراسة الموضوعية على توجيه المجتمع للتفاعل مع السنة النبوية والاهتمام بالناحية العملية المرتبطة بالحديث النبوي، مع التركيز على مبدأ الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: التوصيات:

١. النظر بعين العصر لنصوص الحديث النبوي وتوظيف هذا الأمر للعمل على تفعيل دور السنة النبوية وربطها بواقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها وأهدافها، والتأكيد على أصالتها، ومنزلتها بين العلوم الأخرى.

٢. على الباحثين اختيار الموضوعات التي يحتاج إليها المجتمع المسلم المعاصر و التي تساهم في تقدمه و رفاهيته، والتزامه بدينه و اعتزازه به، بالإضافة إلى الموضوعات التي تحل المشاكل التي قد تواجهه في حياته.

٣. عقد المؤتمرات والندوات التي تُعنى بالدراسات المعاصرة لنصوص الحديث النبوي، لجعل هذا النوع من الدراسات أكثر تداولاً في أوساط أهل الحديث والمفكرين وللعمل على الآتي:

أ. فتح آفاق دراسات في المشكلات والقضايا المعاصرة من المنهج النبوي، بطريقة تضيف إلى المعرفة الإسلامية كل جديد.

ب. تشجيع البحث العلمي مادياً ومعنوياً. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر

١ البداية في التفسير الموضوعي، د.عبد الحي الفرماوي

٢ الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية، للدكتور خالد محمد محمود الشرمان، دار الفرقان-عمان، ط/١ لسنة ٢٠١٠م.

٣ الحديث الموضوعي دراسة نظرية، للدكتور رمضان إسحاق الزيان، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢م، المجلد العاشر

٤ مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم

٥ مراعاة الرأي العام في المجال السياسي في ضوء السنة النبوية، بحث غير منشور للدكتور فراس محمد إبراهيم/الجامعة الإسلامية في بغداد.

٦ مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها، للدكتورة يمنى طريف الخولي، دار الثقافة/القاهرة. ط٢ لسنة ١٩٩٦م.

الموضوعية في العلوم الإنسانية عرض نقدي لمناهج البحث، للدكتور صلاح قنصوه، دار الثقافة/القاهرة، لسنة ١٩٨٠م.

١١. النقاط المنهجية لتحليل الحديث الشريف

أ. د. حمزة عبد الله المليباري

(كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي)

بين يدي البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وبعد:

فلعل من الأفضل إثارة بعض الأسئلة تمهيدا للدخول في بيان أصول التعامل مع النصوص الحديثية شرحا وتحليلا:

- ما حاجة المجتمع اليوم إلى إثارة موضوع يتعلق بلغة الحديث وضوابط فهمها ؟!
- ما ضرورة تأسيس منهج صحيح، أو تصحيح المنهج في تحليل الحديث وتأويله ؟!
- ما آثار إهمال ذلك في المجتمع ؟
- كيف يتم تحليل الحديث وشرحه، وما النقاط المنهجية لذلك ؟!
- ما ضرورة تدريس هذا الموضوع في المؤسسات التعليمية ؟

ويتوقف الجواب عن هذه الأسئلة على استيعاب موضوع هذه المداخلة.

معنى تحليل النص وأهميته

لقد شاع بيننا استخدام كلمة التحليل، كل في مجال تخصصه، بحيث يفهم الجميع معناها المقصود عموما؛ فتحليل الماء: يعني البحث عن العناصر المكونة له. وتحليل الدم: يعني البحث عن العتاصر الأساسية لدم شخص معين. وهكذا.. ولا يختلف ذلك كثيرا عما جاء في معاجم اللغة عموما من قوله: "تحليل الجملة: بيانُ أجزائِها ووظيفةِ كلٍّ منها"[١].

فغاية ما في تحليل النص هو شرحه أو تفسيره من خلال تفحص حروفه وألفاظه وتراكيبه ودلالاته وإشاراته ومناسباته وسياقاته. وعليه فعملية التحليل تحتاج إلى جهد ووقت وخبرة وبحث ومقارنة وإعادة القراءة أكثر من مرة. أما قراءة النص السريعة العجلى فلا تعد تحليلا.

لعل من الأنسب أن نشير إلى ذلك الأثر المشهور الذي يشد انتباهنا نحو الغاية المنشودة في تدريس العلوم الشرعية لا سيما الحديث، وضرورة بذل قصارى الجهد من أجل تحقيق تلك الغاية، ألا وهو: "يحملُ هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدُولُه يَنفَوْنَ عنه:

- تحريفَ الغالين.
- وتأويلَ الجاهلين.
- وانتحالَ المُبْطِلين".

[١] – انظر مثلا المعجم الوسيط ١٩٤/١

إذ يرشدنا هذا الأثر إلى ضرورة التحصيل المنهجي لنكون قادرين على حفظِ الدين وحمايةِ نصوصِهِ من جميعِ مَظاهرِ الانتحالِ والتحريفِ والتأويلِ الباطلِ من أي مصدر كان، سواء أ كان ذلك تعمدا أم غفلة.

يقول ابن القيم: "ينبغي أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غُلوٍّ ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كلِّ خطأ في الأصول والفروع.."

"وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، حتى صار الدينُ بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الأفهام، والذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمهجور لا يلتفت إليه، ولا يرفع هؤلاء به رأسا" [1]!!.

فإذا أردتَ – أيها القارئ -:

- أن تفهمَ معنى الحديثِ كما أراده النبيُّ (صلى الله عليه وسلم).
- أو تُرجِّحَ بين الأقوالِ الواردة في معنى الحديث.
- وأن تُمَيِّزَ بين التأويلِ الباطلِ والتأويلِ الصحيحِ.
- وتنفيَ عن الإسلام ونصوصه تحريفَ الغالين، وتأويلَ الجاهلين وانتحالَ المبطلين.

فما عليكَ إلا أن تُحَلِّلَ النصوص في ضوءِ النقاطِ العِلميّة المنهجيةِ الآتية. وينبغي أن نشير إلى أن فائدة منهج التحليل لا تنحصر في قراءة نصوص الحديث فقط، بل في التعامل مع جميع أنواع النصوص، وقراءة نصوص أي كتاب من الكتب - قديمة كانت أم حديثة-، وأن نصوص الآخرين تعد أمانة يجب المحافظة عليها، ولا يجوز التصرف في تأويلها وفق الهوى وقصد التضليل.

النقاط المنهجية لتحليل الحديث الشريف وشرحه

وفي ضوء ما سبق فإننا مطالبون بقراءة نصوص الحديث قراءة صحيحة، وفهم لغتها فهما سديدا، ولا يتم ذلك إلا في ضوء النقاط المنهجية التي ينبغي تطبيقها على الخطوات المرحلية، وهي:

١- الخطوة الأولى: تخريج الحديث والتأكد من لفظه الصحيح من ألفاظه التي وردت في الرواية.

٢- الخطوة الثانية: جمع أقوال الشراح والنظر فيها.

٣- الخطوة الثالثة: تحليل النصوص بمراعاة النقاط الآتية:

---

[1] – كتاب الروح ٩١ – ٩٢

أ - ما يقتضي سياق الحديث.

ب - ما تدل عليه مناسبة ورود الحديث.

ج - النظر كيف كان العمل بمقتضى الحديث في عصر الصحابة والتابعين.

د - جمع النصوص القرآنية والحديثية المتعلقة بموضوع الحديث؛ إذ يُفَسِّر بعضُها بعضًا.

هـ - النظر في مواقع استخدام الكلمات الواردة في الحديث في العصور الأولى.

وبتحليل الحديث في ضوء هذه النقاط العلمية نستطيع التمييز بين التأويل الصحيح والتأويل الباطل، أو الترجيح بين الأقوال المختلفة حول شرح الحديث، بل نستطيع أن نبدع في ذلك أيما إبداع يقدره ويحترمه كل منصف فاهم. وما علينا إلا أن ننظر ونتأمل ما الفهم أو القول الذي ينسجم مع هذه النقاط، والذي لا ينسجم معها؛ فالذي ينسجم هو التأويل الصحيح، وما لا ينسجم فيُعدُّ تأويلاً غيرَ صحيح، بغض النظر عن شخصية صاحبه ومكانته، ومع احترام حقه وحريته وقناعته.

ومن الجدير بالذكر أن النقاط المنهجية لتحليل النصوص ليست محصورة في الأنواع المذكورة، بل يمكن للباحث أن يوسعها بناء على تجربته الخاصة، أو بناء على تطبيقات الأئمة القدامى، أصحابِ المذاهب الفقهية أو الشراح المدقِّقين، في تعاملهم مع النصوص الشرعية شرحا وتأويلا.

ومن العجب العجاب أننا نعيش في ظلال الكتب المنهجية التي ألفها الأئمة السابقون، بل ترشدنا مصادر التشريع كتابا وسنة إلى ضرورة العناية بالقضايا المنهجية الدقيقة، والأساليب الحضارية في التعامل مع الآخرين في جميع ما يصدر منهم من مواقف؛ قولية كانت أم عملية، ومع ذلك أصبحنا نحن أفقر الناس إلى المنهج!.

تفصيل النقاط المنهجية وأهمية مراعاتها عند التحليل:

أولا: تخريج الحديث، والنظر في تفاوت ألفاظه والتأكد من اللفظ الصحيح منها

يُعدُّ التخريجُ أولَ خطوةٍ مُهِمّةٍ وضروريةٍ في سبيل التحليلِ؛ لأن الحديث النبوي من شأنه:

- أن تتفاوت ألفاظه
- ويتغير سياقه من راو إلى راو.

فكلما كثر الرواة والروايات تعرض الحديث لاختلاف ألفاظه وتغير سياقه. ولذا، فإن الوقوف على اللفظ الصحيح من ألفاظه، أو السياق الذي يكون أقربَ إلى الصواب، بات ضروريا لفهم معناه والوقوف على مغزاه. ويمكن معرفة ذلك عند اتفاق أغلب رواة الحديث الثقات على لفظ معين دون اختلاف يذكر. وعليه فاللفظ الذي ذكره أكثر الرواة الثقات يكون أقرب إلى الصواب مما ذكره راو بخلافهم.

وأما محاولة فهم الحديث قبل التخريج، وقبل الوقوف على سياقه الصحيح الكامل، فتعدُّ استرواحا يميل إليه كثير من الباحثين المستعجلين، لا سيما غير المتخصصين في الحديث. بل يُعدُّ ذلك

أحدَ أهمِّ أسباب الانزلاق الفكري والعقدي والسلوكي الذي حدث في تاريخ الأمة الماضي ويشهد على ذلك الحاضر.

ثانيا: جمع أقوال الشراح.

لا شك أن جمع أقوال الشراح أمر لا بد منه عند تحليل الحديث؛ إذ يفتح للباحث آفاقا واسعة لفهم النص، ويساعده على الوقوف على الحَيْثِيّات العلميّة التي كان الشراح يُعَوِّلون عليها في شروحهم وآرائهم، ويُقْنِعه صحةَ ما تمَّ الاتفاقُ عليه بين الشُرَّاح، ويُكَوِّنُ فيه خَلْفيَّاتٍ عِلميّة تُثْرِي تفكيرَه المنهجيَّ لترجيح ما هو أقرب إلى الصواب من الآراء المختلفة؛ ليس بناءً على الانتماءات الشخصيّة أو المذهبيّة أو الحزبيّة، أو الطائفيَّة، بل بناءً على منهج صحيح سيأتي بيان بعض عناصره مفصَّلا. أما غَضُّ الطرف عن شروح السابقين لينطلق في الشرح والتحليل دون خَلْفِيَّة عِلميَّة تُذكر فليس ذلك من أساليب القراءة الصحيحة.

ويشهد على مصدقية هذا العنصر محتوى كتب الشروح، بل كتب الأحاديث أيضا؛ مثل المصنفات والموطآت التي تذكر أقوال السابقين من الأئمة مشفوعة بالأحاديث. وكذلك كتب الصحاح والجوامع والسنن؛ إذ لا تستغني عن نقل تلك الأقوال في الأبواب أو غيرها بأساليب متنوعة يعرفها كل من يراجعها.

ثالثا: سِياق الحديث

المقصود بالسياق هو: ما سبق في النص أو تأخَّر من الجمل أو الكلمة. أو كل ما يحيط بالنص. وقد يكون السياق متعلقا بالنحو، أو البلاغة، أو المقصِد أو غير ذلك. فالفهم الذي يوافق سياق الحديث النحويّ أو البلاغيّ أو المقصديّ – مثلا - يكون تأويلا صحيحا. وأما إذا كان الفهم مخالفا لذلك فيعدُّ تأويلا باطلا.

إن النظر في سياق الحديث يكون من أهم النقاط العلمية المنهجية لتحليل الحديث؛ إذ يحلُّ به كثيرٌ من العُقَد، ويقتنع به كلُّ مُنْصفٍ فاهمٍ. ومن الجدير بالذكر أن فائدة النظر في السياق لا تنحصر فيما يخصُّ الحديثَ النبويَّ، وإنما في جميع أنواع النصوص؛ سواء أكانت قرآنية أم تاريخية أم نصا لإمام أو لغيره.

ولأهمية هذه النقطة المنهجية سأذكر لها بعض الأمثلة من القرآن والسنة.

المثال الأول قوله تعالى:

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[1].

ما معنى كلمة: **﴿ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴾** ؟

جاءت كلمة (فرش) في سورة أخرى، وهي قوله تعالى:

[1] – الواقعة ٢٧ – ٣٨

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [1]

إذا نظرنا في كتب التفسير وجدنا أقوالا مختلفة؛ قيل: ﴿ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴾ أي مرفوع بعضها فوق بعض، أو مرفوعة على الأسرة. وقيل: إن الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة، وارتفاعها كونها على الأرائك، أو كونها مرتفعات الأقدار في الحسن والكمال..

السؤال:

مالذي يترجح من القولين في ضوء السياق ؟

وما السياق ؟

الجواب: يدل السياق على أن الفرش هنا كناية عن النساء، حيث ورد بعد هذه الكلمة ما يختص بالنساء من الأوصاف، ويتمثل السياق هنا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾. هذا وقد كان العرب يطلقون كلمة الفرش كناية عن النساء.

والمثال الثاني قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [2]

يدل سياق الآية على أن قوله (مِنْ قَرِيبٍ) لم يرد على سبيل القيد. ويمكن أن يكون على سبيل الترغيب بالإسراع إلى التوبة. وكذا قوله (بِجَهَالَةٍ) لم يرد أيضا على سبيل القيد، وإنما جاء وصفا للمعصية بلازمها؛ إذ كل ما يكون بخلاف الحقّ يعدُّ جهالة.

وما هذا السياق يا ترى !

السياق هنا قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾؛ حيث يدل على أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا إلا في حالتين فقط؛ وهما: أن يتوب العبد عند موته، وأن يموت الكافر على كفره. ففي هاتين الحالتين لا يغفر الله الذنوب. ولذا تعيَّن الفهمُ من قوله تعالى: (مِنْ قَرِيبٍ) أنه لم يأت ذكره قيدا لقبول التوبة، وإنما لغرض آخر، ويحتمل أن يكون الغرض تربويا؛ إذ يتضمن الترغيب إلى الإسراع بالتوبة؛ لأن الإنسان لا يعلم متى ينتهي أجله، وكذا يتعين الفهم من قوله تعالى: (بِجَهَالَةٍ) أنه ليس على سبيل القيد، وإنما جاء وصفا للمعصية بلازمها كما سبق.

والمثال الثالث قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ

---

[1] – الرحمن ٥٤

[2] – سورة النساء ١٧ – ١٨

النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [1]

يدل السياق الموضوعيّ والمقصديّ على أن جملة ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ إنما هي من يوسف وليس من امرأة العزيز.

وما هذا السياق الموضوعي ؟!

إن الموضوع العام الذي تدور حوله الآية هو إعلان تبرئة يوسف عليه الصلاة والسلام من جميع الشبهات والتهم أمام المجتمع، وذلك تحصنا مما سيحاك حوله تدريجيا مرة أخرى عندما تشتهر شخصيته بعد توليه خزائن الدولة، التي ستكون موضع اهتمام الشعب في ضوء الأزمة الاقتصادية الخانقة. كما أن تلك الكلمة بمثابة جواب لسؤال يظهر من رفض يوسف دعوة الملك، وبهذا ينسجم أول الآية مع آخرها.

وأما امرأة يوسف فجاء ذكرها استطراديا هنا، ولم تكن تبرئة ساحتها مقصودة بذاتها حتى ينسب قوله ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**﴾ إليها، وكيف تتحقق لها التبرئة ؟، وهي التي أعلنت أمام الملأ أنها راودت يوسف عن نفسها!. وقد سبق في القصة قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾[3]. وهذه الآيات كلها تؤكد على أنها أرادت الخيانة وسعت لها لكنها فشلت. ومع ذلك فإن كلام امرأة العزيز في معرض الرد على الملك لا يثير تساؤلا حتى يجاب بقوله ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**..﴾، بعكس موقف يوسف عليه الصلاة والسلام، فإنه رفض دعوة الملك بعد أن كان راغبا في التحرر من السجن. وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾[4]. فموقف يوسف عليه الصلاة والسلام يثير بحد ذاته تساؤلا: لماذا هذا الرفض إذن؟

ولما كان قوله ﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ** ﴾ قد تضمن تزكية مباشرة لنفس قائله - أيا كان قائله، ويتعين هنا أن يكون يوسف هو القائل في ضوء السياق الموضوعي كما سبق -، جاء بعده

---

[1] – سورة يوسف ٥٠ – ٥٤

[2] - سورة يوسف، الآية : ٣٢ – ٣٤

[3] - يدل سياق الآية أن قوله ﴿**وَهَمَّ بِهَا**﴾ مرتبط بقوله ﴿**لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ أي لم يهم بها كما همت به امرأة العزيز، بدليل قوله نعالى في آخر الآية ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ . هذا وقد عبر الله تعالى عن مراودة امرأة العزيز لنفس يوسف وسعيها لذلك، بأنها همت به، وهذا النوع من الهم لم يصدر من يوسف عليه الصلاة والسلام قطعا.

[4] - سورة يوسف، الآية: ٤٢

قوله ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إزاحة لشبهة تزكية النفس.

والمثال الرابع قوله صلى الله عليه وسلم:

ورد في حديث سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان قوله:

«قال: فَأَخْبِرْنِي عن الْإِحْسَانِ. قال: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ.». تأول بعضهم كلمة « فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاه »: بأن هذا يدل على مرتبة الفناء. وهي أعلى مراتب التقرب إلى الله عند غلاة الصوفية. وهي أن يصل العبد إلى مرتبة أنه لا يرى في هذه الدنيا إلا الله، وكأن الدنيا كلها فانية.

ووجه تأويلهم لجملة « فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاه » هو: أن قوله «فَإِنْ لم تَكُنْ» يعد جملة شرطية، أي معناه: إن لم تكن أنت موجودا. بمعنى أنك وصلت بالتأمل والتفكير في الله إلى درجة أنك تشعر بأن العالم كله صار فانيا، أي وصلت إلى مرتبة الفناء.

وقوله «تَرَاه» جواب للشرط أي ترى الله تعالى. لكن هذا التأويل باطل وانتحال. ويعرف ذلك بجلاء بالتأمل في سياق الحديث النحوي.

وما هذا السياق النحوي ؟

إن السياق النحوي هو أن هذه الجملة «فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاه» كلها شرطية، ولا يمكن أن يكون قوله « فَإِنْ لم تَكُنْ » شرطا وقوله «تَرَاه» جوابا للشرط، لأنه لو كان كذلك لصار اللفظ هكذا: (تَرَهُ) مجزوما بحذف الألف، على أنه لم تأت هذه الكلمة في جميع الروايات إلا مرفوعة بإثبات حرف الألف «تَرَاه».

ثالثا: النظر في سبب ورود الحديث:

ومما لا شك فيه أن هذا الأمر يندرج تحت مفهوم السياق، بشرط أن يكون السبب صحيحا وثابتا في الرواية، وليس كلُّ ما يَرِدُ في الرواية من سببٍ أو قصةٍ صحيحةً ثابتةً يُعتمد عليها، لكني أخص بالذكر هنا بعد بيان أهمية السياق، لإزالة شبهة قد تظهر في هذه المناسبة التي نحن بصددها، وذلك أن القاعدة الأصولية تقول: إن الاعتبار في سبب ورود الحديث هو عموم النص لا خصوص سبب وروده، وهذا لا يعني أن هذه القاعدة الأصولية تنفي ضرورة الاعتماد على سبب ورود الحديث عند تحليله، لأن غاية ما في الأمر هي: أن التأويل ينبغي أن لا يتناقض مع سبب ورود الحديث، وإذا تناقض فيُعَدُّ التأويل غلطا وباطلا.

رابعا: النظر كيف كان فهم الصحابة والتابعين للحديث

تكون هذه النقطة مهمة جدا لأن الصحابة أدرى بفهم ما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا ينبغي أن يكون تأويل الحديث بحيث لا يتناقض مع فهم الصحابة أو عملهم به أو قولهم بمقتضاه. والمتتبع لكتب الحدبث التي تتضمن فقهه من خلال الأبواب والعناوين العامة والخاصة، مثل المصنفات والسنن والجوامع والأجزاء، وكتب الشرح عموما، يتبين له جليا مدى اهتمام فقهاء المحدثين والشراح بجمع أقوال الصحابة وكبار التابعين وأعمالهم لدى التعامل مع الأحاديث شرحا أو فقها.

ومن أبرز ما يذكر في هذا الصدد كتاب سنن الإمام الترمذي؛ إذ قام بترتيب الأحاديث فيه على الموضوعات الفقهية وغيرها، بعد أن استهل كل مجموعة من الأحاديث التي تتفق في الموضوع، بوضع عناوين توافق مضمونها ومحتواها، ثم كان يختتم كل باب بقوله: "وعليه عمل فلان وفلان من الصحابة أو التابعين" أو نحو ذلك مما يدل على اهتمامه بالوقوف على عمل الصحابة أو التابعين بل كبار الفقهاء السابقين بمقتضى أحاديث الباب.

وهذا الأسلوب في سنن الترمذي إن دل على شيء، فإنما يدل على أن شرح الحديث وفهمه في ضوء أقوال الصحابة والتابعين وأعمالهم يشكل منهجا علميا ضروريا لدى الإمام الترمذي، ولم يكن هذا بدعا منه، بل كان عملا متواصلا بين الأئمة قبل الإمام الترمذي، حتى صار هو على دربهم ومنهجهم في ذلك.

هذا، وقد دل صنيع المحدثين في القرنين الأول والثاني والثالث، في تلقِّي السنَّة، وروايتها، وتدوينها، على أن جمع أقوال الصحابة والتابعين يعد من أبرز عناصر التحليل لدى فقهاء المحدثين قاطبة، إذ لم يهملوا الآثار بل جمعوا بينها وبين الأحاديث في مصنف واحد، وتعاملوا معهما بأسلوب واحد، ونرى ذلك جليا في المصنفات والموطآت.

ولذلك فأي تأويل لنصوص الأحاديث يستغني عن النظر في الموقوفات وآثار الصحابة وكبار التابعين فإنه يكون غير مضمون بسداده، بل قد يؤدي إلى الانزلاق من الخط المستقيم.

خامسا: جمع النصوص القرآنية والحديثية والأعمال التطبيقية وغيرها مما له صلة بموضوع الحديث الذي تريد شرحه.

يتوقف تحليل الحديث على شمولية النظر التي تستدعي الوقوف على ما له صلة بموضوع الحديث من نصوص وأعمال وأحداث. ويتضح ذلك جليا عند ما نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم حين يُحدِّث في مجال التشريع فإنه يخاطب الأمة كافة، ولا شك أن مناسبة الكلام لها أثر واضح في طبيعة صياغته. ومن ثم قد لا يكون ظاهر الكلام مقصودا. وعليه فلا ينبغي فهم النص معزولا عما يفسره من نصوص وأعمال.

والجدير بالذكر: أن الفهم الصحيح لا يتناقض مع النصوص الصحيحة الأخرى، فإذا تناقض فيعني ذلك أن الفهم غير صحيح. ولذلك فإن أئمتنا قد كانوا يولون جمع النصوص - قرآنية كانت أم حديثية- عناية كبيرة لدى تأويل الحديث وشرحه. وذلك واضح جدا لمن تتبع كتب السنن والمصنفات والجوامع وكتب الشروح عامة؛ إذ تتضمن عناوين الأبواب في تلك المصادر الحديثية آيات قرآنية أو نصوصا حديثية، وذلك ليستوضح معاني الأحاديث وفقهها. وأما في كتب الشروح فإن ذلك واضح جدا لمن يراجعها، لا سيما عند اختلاف الآراء حول تأويل الحديث.

سادسا: مراعاة العرف اللغوي، والنظر في مواقع استخدام الكلمة الواردة في الحديث في العصور الأولى ومنهج أهلها في ذلك. لأن اللغة العربية عامة والمصطلحات العلمية خاصة تتغير إطلاقاتها بمضي الزمن بل باختلاف المناطق أيضا، وتستقر بعض المصطلحات أو بعض الألفاظ في بعض معانيها في عصر دون عصر، أو منطقة دون أخرى، بحيث يتبادر الذهن إليه عند الإطلاق أو

التعبير. وأن بعض المصطلحات لم تعرف أو لم تشتهر بوضعها الاصطلاحي إلا متأخرا. ولذا، فإن الكلمات الواردة في الحديث ينبغي تفسيرها بالمعاني المعروفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم أي بمراعاة العرف اللغوي.

هناك كلمات كثيرة تتضمنها نصوص الحديث، قد أطلقت في المعنى الذي اشتهر في العصور الأولى، ولا ينبغي تفسيرها بما هو متداول اليوم، مثل كلمة النِّيَّة والقُلَّةِ، والفِقْهِ، والصلاة، وكذلك كلمة النَّسْخِ وغيرها!!.

تنبيه مهم:

ومن القضايا المنهجية المهمة أيضا الاعتناء بطبيعة نص الحديث ونوعيته، لأن فيه:

- ما يتعلق بالأحكام.
- وما يتعلق بالغيبيات.
- وما يتعلق بالترغيب والترهيب.
- وما يتعلق بالمعجزات.

إن التعامل مع هذه الأنواع من الحديث لا يكون على صورة واحدة، وأسلوب واحد، ففيها ما يصلح للتأويل، وفيها ما لا يصلح؛ فمثلا ما يتعلق بالترغيب والترهيب يختلف التعامل معه عن أحاديث الأحكام التي من شأنها الخضوع للتأويل والتوفيق بين النصوص والأحكام. أما أحاديث الترغيب والترهيب فيجب إمرارها على ظاهرها دون تأويل، لأن ذلك يؤدي إلى إفراغ النص من محتواه التربوي، ودون اعتباره حكما من الأحكام، لأنه قد يتناقض مع نصوص أخرى في الحكم. ومن المعلوم أن الهدف من الترغيب والترهيب هو التربية بالدرجة الأولى.

الخاتمة

تلك هي القضايا المنهجية الدقيقة، التي تحمي الباحث عن الخطأ والانزلاق لدى تعامله مع النصوص، والتي تُنمِّي في نفسه المهارات الذِّهنيَّة في الاستنتاج والاستدراك والإبداع، والتي تُبَرهِن على أن الإسلام لم يترك شيئا في خدمة الإنسان فِكريًّا وحَضَارِيًّا وثَقافيًّا، وأنه بريء من فوضى الجاهلين، وغوغاية المتطفِّلين، وغَنِيٌّ عن انفعال السطحيِّين وتعصُّب المقلِّدين.

ومن هنا تظهر جليا حاجة المجتمع إلى طرح موضوع: **لغة الحديث وفلسفته ودراساته**.

وختاماً لنتذكَّر... قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نَفع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

١٢. أهمية تدريس السنة النبوية وضرورة تطويرها

د.عبد الله بن محمد السماعيل
(كلية الآداب . جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية)

ملخص البحث

يعد تدريس السنة النبوية من أعظم المؤثرات على فكر الإنسان وعقله لما يحتوي من أحاديث نبوية عظيمة وسيرة عطرة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وتكمن أهمية هذا البحث في أن للسنة النبوية الأثر الفاعل والكبير على عقل الإنسان وفكره حيث أن تدريس مقرر السنة النبوية يعمل بدرجة كبيرة في تحديد كيفية تعامل الفرد مع مجتمعه، ونوعية تعاطيه مع المستجدات العالمية من حوله، وذلك وفق التصورات والصور التي غرست في عقله ونفسه في مراحل حياته المختلفة ويأتي هذا البحث لبيان أهمية هذا لجانب وطرق الاستفادة من الوسائل الحديثة التي تحقيق هذا الجانب.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن العالم الإسلامي يعيش أزمة تردد ونقل وتقليد وفقدان للهوية، أزمة فكرٍ بكلِّ ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، والدليل على أن المشكلة تراوح مكانها حول الفكر هو نظرة الانزواء والاضمحلال لواقع المسلمين ما جاء إلا نتيجة غياب الفكر من حياتهم، وغياب التعليم الفعال عن أنظمة تعليمهم. والفكر موجود عند المسلمين بشكل أو بآخر، إلا أن إخفاقه في إنهاض الأمة دليل على عدم فعاليته بالصفة التي هو عليها. لذا كان علينا تقرير مدى أهمية العقل - ومنه الفكر - وماهيته، والاستدلال به الاستدلال الصحيح المفضي إلى فكرٍ مجدٍ وفعال.

وتأتي هذه الورقة العلمية مساهمة متواضعة في هذا المجال، جعلتها بعنوان: **"أهمية تدريس السنة النبوية وضرورة تطويرها "**، قصدت بذلك التأكيد على أهمية التعليم الديني الفعال الذي يحقق للمجتمع نهضته، وللفرد الرضا والقناعة بما يعتقده، وقد انتظمت هذه الورقة بعد المقدمة في أربعة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: في ماهية العقل وأهميته.

المبحث الثاني: مشكلة مقرر السنة النبوية .

المبحث الثالث: من خصائص مقررات السنة النبوية .

المبحث الرابع: أثر تدريس مقرر السنة النبوية في الإصلاح.

الخاتمة: وفيها عرض التوصيات التي أسفرت عنها هذه الورقة.

وبعد فلعلَّ هذه الندوة تكون فاتحة خيرٍ، ومنطلقاً للعناية والاهتمام بالسنة النبوية وتطوير تدريسها للارتقاء بجودة التعليم، حتى تكون هذه المقررات ملائمة مع المتغيرات العالمية والمحلية، ثم إني

أتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على هذه الندوة على إتاحة الفرصة للمشاركة، سائلاً الله تعالى أن يجزيهم على ذلك خير الجزاء، وأن يبارك في الجهود إنه سميع مجيب.

المبحث الأول: في ماهية العقل وأهميته:

أولاً: ماهية العقل: يُعرَّف العقل في معاجم اللغة بتعريفات مختلفة، فيعرف بأنه الحِجْر والنُهى، والإمساك والتحكم والضبط والعلم بصفات الأشياء، ويوصف كذلك بأنه مكان الوعي، والفكر، والشعور، والإرادة، والقلب، .... والعقل: مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: "العاقل" الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، وسُمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك[1].

ثانياً: أهمية العقل:

ترجع أهمية العقل إلى أمور منها:

١- بالعقل ميز الله الإنسان ؛ لأنه منشأ الفكر الذي جعله مبدأ كمال الإنسان ونهاية شرفه وفضله على الكائنات، وميزه بالإرادة وقدرة التصرف والتسخير للكون والحياة، بما وهبه من العقل وما أودعه فيه من الفطرة قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُو ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } [2] .

٢- وبالعقل يستطيع الإنسان التمييز والتمحيص وفهم نصوص الشريعة وتنزيلها على الواقع فإن العقل بما يملك من طاقات إدراكية أودعها الله فيه ذات دور مهم في الاجتهاد والتجديد إلى يوم القيامة؛ وذلك بالنظر إلى انقطاع الوحي، فالعقل له دور في استقراء الجزئيات والأدلة التفصيلية التي يجمعها مفهوم معنوي عام، باعتباره مبنى من مباني العدل، وهى الأصول الكلية، والقواعد العامة التي تستشرف مقاصد ومصالح إنسانية مادية ومعنوية يعبر عنها بالحاجات والمطالب، والعقل يرد الفروع والجزئيات التي تنزل في الواقع، وليس لها نص إلى الأصول والكليات المنصوصة من خلال ما عُرف بالقياس وغيره. وبدونه لا يمكن ربط الدين بالواقع .

٣- العقل مناط التكليف بخطاب الشارع طلباً أو كفًّا أو تخييراً أو وضعاً؛ لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال، فالمجنون، والصبي الذي لا يميز، يتعذر تكليفه؛ لأن التكليف خطاب من الله ولا يَتلقى ذلك الخطاب إلا من يعقل ويدرك معناه.

وهكذا تبدو ضرورة العقل وأهميته بوصفه أصلاً من أصول المصالح التي بدونها لا مجال للتلقي عن رسالة الوحي بوصفها مصدراً للمعرفة والعلم والتوجيه، ولا مجال لمسئولية الخلافة الإنسانية وإعمار الكون دون وجود العقل وإعمال دوره ووظيفته في الفهم والإدراك والتمييز بين المصالح والمفاسد، ومن هنا كفلت الشريعة أحكام حفظه باعتباره كياناً وجودياًً في الإنسان، وضابطاً لدوره ووظيفته في الكون.

ومن هذا المنطلق يأتي منظور الشريعة في حفظ العقل، سواء من ناحية الوجود ابتداء

---

[1] انظر: لسان العرب مادة عقل ٤٥٨/١١ .

[2] سورة لقمان ، آية رقم (٢٠) .

بتحصيل منفعته أو من ناحية درء المفاسد عنه أو المضار اللاحقة به.

فأحكام حفظ العقل من ناحية الوجود، هي الأحكام التي تقيم أركانه وتثبت قواعده بحيث تثمر منفعته فكراً مستقيماً، وعلوماً نافعة، ومعارف صالحة، فقد جاءت نصوص الشريعة تحث على العلم والنظر في آيات الله في الكون، والتفكر فيها بما يعمق الإيمان بالله تعالى وهي أكثر من أن يتسع لها السياق هنا. قال الله تعالى: {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}[1]، { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ }[2]، { أَفَلاَ تُبْصِرُونَ }[3]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

إن الإنسان يزداد عقلاً وتهذيباً وصقلاً بازدياد المعارف والعلوم. فإن مفهوم العلم - في الرؤية الإسلامية - الذي يفيد زيادة عقل، مفهوم شامل يؤدي إلى معرفة الله تعالى والتقرب إليه، بما يحقق مهمة الخلافة في الأرض، وعمارة الكون والحياة.

أما تدابير حفظ عقول الأمة من ناحية ما يدرأ عنها الخلل الواقع أو المتوقع فيتمثل في موقف الإسلام من صور الغلو والانحراف الفكري.

والفكر قد يكون مجرد رأي وصل إليه العقل بطريقة أو بأخرى، وقد يكون عقيدة عند الاقتناع به وتحرك الوجدان نحوه، وانفعال النفس به انفعالاً يظهر أثره في القلب والسلوك، ومن الانحراف في الرأي التعصب لحكم اجتهادي ليس له دليل قاطع في ثبوته أو دلالته. ومن الانحراف في العقيدة إنكار وجود الإله الخالق، وكذلك الغلو في الإيمان بوجوده، غلواً يتنافى مع ما يجب له من الجلال والجمال.

فمن أخطر أنواع الانحراف انحراف الفكر والبعد به عن القصد إفراطاً أو تفريطاً، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به، ولهذا كانت العناية بتقويم الفكر وتصحيح الاعتقاد هي أول نقطة في أي برنامج من برامج الإصلاح التي جاء بها الأنبياء، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**" (متفق عليه). والقلب أحد معاني العقل كما سبق[4].

والانحراف الفكري ينتج عن خلل في البناء الفكري، وهذا الخلل قد يعود إلى الأمور التالية أو إلى أحدها:

١- الجهل بأصول التشريع: الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، أو الإعراض عن الأخذ بهذه الأصول أو إحداها، مثل من ينكر حجية السنة مثلاً.
٢- الجهل بمناهج التعامل مع هذه الأصول، كالجهل بمآخذ الأدلة وأدوات الاستنباط أو الجهل باللغة العربية - لغة الوحي - وأساليبها، وإجمالاً بمنهج تحليل نصوص الوحي واستنباط الحكم منها.
٣- وجماع الأمرين السابقين صدور الاجتهاد من غير أهله مع الجهل بمقاصد الشريعة والمصالح المعتبرة شرعاً.

إن ظاهرة الانحراف والغلو الفكري تعود في بعض أسبابها إلى الخلل في البناء الفكري والمنهجي،

---

[1] سورة آل عمران ، آية رقم (٦٥) .
[2] سورة المؤمنون ، آية رقم (٦٨) .
[3] سورة الذاريات ، آية رقم (٢١) .
[4] في ص ٣ .

الذي أدى إلى كثير من السلبيات والمواقف التي تتناقض مع المقاصد والمصالح الشرعية العامة للأمة.

ولما كانت مقررات السنة النبوية تلعب الدور الأكبر في صياغة ذهن الإنسان وفكره، وتعمل بدرجة كبيرة في تحديد كيفية تعامله مع مجتمعه ونوعية تعاطيه مع المستجدات العالمية ؛ كان لزاماً على علماء الشريعة والمربين والمتخصصين النظر في مشكلة هذه المقررات ــ والوقوف عليها، ووضع الحلول المناسبة لتطويرها للإرتقاء بجودة أدائها في واقع العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: مشكلة مقررات السنة النبوية:

لقد أدرك الباحثون أن مقررات السنة النبوية تواجه أزمة حادة وتعتريها مشكلة قائمة، تتمثل في تأخر هذه المقررات وعدم مواكبتها للتطور ومسايرتها للحضارة. فالناظر في أبحاثها وطرائق عرضها يلحظ غلبة الرتابة والجفاف عليها [١]، وافتقارها أحياناً إلى إعطاء تصور واضح عن أهدافها ومناهجها المشتركة [٢].

ومن هنا نادى المخلصون بضرورة التجديد في هذه المناهج لتخرج من الدائرة المغلقة التي تدور فيه، وتستطيع بذلك مواكبة العصر، لكن لا يعني ذلك أن نخضع مناهجنا الدينية للمناهج الأخرى فإن هذا يُعَدُّ جناية في حقِّ المناهج الدينية وسلباً لأصولها وخصائصها، التي انفردت بها عن غيرها، ولكن التجديد الذي ننشده يتمثل في إحياء هذه المقررات وتغيير النمط الذي تسير عليه في الأبحاث وطرائق العرض، حتى تحظى بحضور حافل، وتسهم في تقديم النفع للبشرية، كما هو مأمول منها.

ثم إنه لم يعد خافياً على أحد هذا التقدم المبهر الذي حققته العلوم الطبيعية والتطبيقية، ولعلَّ من نتائج ذلك هذه الابتكارات والإنجازات الحديثة، فلا يكاد يمر يوم إلا ونسمع عن جملة من الابتكارات والصناعات وتطوير الأبحاث وتحسين المنتجات، حتى قيل: إن أكثر من ثلاثة أرباع علم الفيزياء قد أنتجه هذا القرن.

لقد احتلت العلوم الطبيعية والتطبيقية مكانة مرموقة في هذا العصر، وغدت لها قدسية عند الناس، فهذا مصطلح العلم يكاد ينحصر في الوقت الراهن على العلوم الطبيعية والتطبيقية دون غيرها [٣]، ولهذا السبب تم تنحيت العلوم الإنسانية - ومنها العلوم الشرعية - عن مسمى العلم، ولعلَّ هذا هو السرّ في نشوء التقسيم في بعض مراحل الدراسة وفي الكليات على أساس أن هناك أقساماً وتخصصات علمية وأخرى أدبية، ويقصد بالأقسام العلمية تلك التي يدرس فيها العلوم التطبيقية والطبيعية، والأقسام الأدبية هي التي يدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية ونحوها، ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن للتخصص دوراً أساساً في تعميق هذه المشكلة وتوسيع نطاقها.

المبحث الثالث: من خصائص مقررات السنة النبوية:

تتميز مقررات السنة النبوية بسمات وخصائص لعل من أهمها:

١- أن هذه المقررات منها ما هو واجب تعلمه [٤]، سواء كان واجباً عينياً أو كفائياً؛ لأن صحة العبادة

---

[١] انظر: الموضوعية في العلوم الإنسانية للدكتور صلاح قنصوه ص (٤٠٨) .
[٢] انظر: مشكلة العلوم الإنسانية ص (٥٢) .
[٣] انظر: مشكلة العلوم الإنسانية للدكتورة يمنى الخولي ص (٥) .
[٤] مجموع فتاوى ابن تيمية (٨٠/٢٨) .

مرتبطة بتعلمه، وموافقة العقود والمعاملات لأحكام الشريعة مرتبط بتعلم هذه المقررات، بل حتى ممارسة بعض الصناعات، ومزاولة بعض المهن، وانخراط المسلم بعمل من الأعمال المباحة، يوجب عليه تعلم هذه المقررات المتعلقة بعمله.

٢- تميز هذه المقررات بكثرة فنونها وعلومها وتشعبها وتعددها، حيث لا تدانيها في ذلك العلوم الأخرى ولا تلحقها، وعلى سبيل المثال فالمناهج المتعلقة بعلم الشريعة تحتها عدة علوم، وتحت كل علم جملة وافرة من العلوم، والمناهج المتعلقة بعلم القرآن الكريم تحتها حوالي ثمانون علماً [١]، والمتعلقة بالحديث ستون علماً، ونجد هذا في علوم السنة النبوية، وعلوم اللغة أيضاً وفي غيرها.

إن المناهج الدينية في الوقت الحاضر لا بد أن تجمع بين العمل بأحكام الإسلام رسالة وكياناً وشريعة ونظاماً، والعمل لترقية المجتمع الإسلامي علمياً وحضارياً، وهذا المنهج لا يتحقق إلا بالصلة العلمية المتينة بين الخبرة العلمية، والخبرة العملية والتقنية الحديثة، فالمدنية المعاصرة تتميز بتقدم هائل في العلوم والتقنية لم تكن تخطر ببال المجتهدين القدماء، بينما تفتح للمجتهدين المعاصرين آفاقاً واسعة تتطلب منهم خبرة غزيرة بأصول الدين والشريعة، وخبرة واسعة بالتطورات التي حصلت في ميادين المعرفة النظرية والتطبيقية، هاتان الخبرتان المتكاملتان اللتان لا تنفصلان في منهجية الاجتهاد في عصرنا هذا، وبذلك تبرز حتمية ذلك الترابط المنهجي عن طريق الإرشاد والاسترشاد بين الاختصاص الشرعي والاختصاص العلمي التجريبي.

المبحث الرابع: أثر تدريس مقررات السنة النبوية في الإصلاح:

إن المتأمل في مقررات السنة النبوية يجد أنها تدعو إلى نشر الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، والرفق واللين في الدعوة والحوار قال الله سبحانه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فالقول اللين وصية الله لموسى وهارون عليهما السلام، وهي وصية لكلِّ الناصحين في كلِّ الأزمان، اللين وعاء الدعوة، ودليل الرحمة، يجعل للكلمة قبولاً، وللدعوة تأثيراً، لا يَجْرَحُ كبرياءَ النفس، ولا يُهِينُ كرامتها.

وإذا كان موسى عليه السلام وهو نبي معصوم، مؤيد بقوى السماء أُمِرَ بالقول اللين، فما بال غيرِ المعصومين يغفلون عن هذه الوصية، ألا يعلمون أن التمرد على الأحكام والنفور من خطاب الدعوة نتاج أساليب الغلظة والفظاظة والقسر والشدة، أهم خير أم موسى؟ وهل من يدعونهم شرٌّ من فرعون؟ "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"، رواه مسلم، و"من يحرم الرفق يحرم الخير" رواه مسلم، والله تعالى يقول لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ }.

لقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وبهذا الأسلوب الراقي أحبه الصحابة حباً جماً، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، وبذلك دخل الناس في دين الله أفواجاً.

تأمل هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي جاء يستأذنه في أمر عظيم، يستأذنه في أمر

---

[١] انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٠/١) .

الزنا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعنف عليه وإنما حاوره فقال له هل ترضاه لأختك؟ ...لابنتك؟... لأمك؟...، وهو يقول: لا... فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: وكذلك الناس لا يرضونه.....

كذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد فزجره الناس، فلم يعنف عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم بل قال: دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً من ماء....

وليس معنى ذلك التساهل في حدود الله، فقد جاء أسامة بن زيد يشفع في حد من حدود الله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال أتشفع في حد من حدود الله وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ولما رأى قطعة من التوراة في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما هذا يا عمر، لو أن أخي موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي . فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا مجافاة، وإنما حزم في لين، وشدة في رفق، هكذا كان هديه صلى الله عليه وسلم. إذا أدركنا هذا كان لزاماً على العلماء والمربين تجديد الخطاب الإسلامي في المناهج الدينية، وتقريبه للناس دون المساس بمبادئ الإسلام وأحكامه الثابتة.

الخاتمة

في ختام هذه الورقة أعرض بعض التوصيات التي أتمنى أن تسهم في تطوير مقررات السنة النبوية لإصلاح الواقع في العالم الإسلامي، ولعل من أهم ذلك:

١- العمل على تفعيل دور العلوم الشرعية وربطها بواقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها وأهدافها، والتأكيد على أصالة هذه العلوم، ومنزلتها بين العلوم الأخرى.

٢- الاهتمام بتدريس مقررات السنة النبوية، ورصد الميزانيات لهذا الغرض، وإلا فإن تخصصات العلوم الشرعية في الجامعات وغيرها تواجه خطراً محدقاً؛ نظراً لشح الموارد والأطر التعليمية.

٣- الاعتناء بالتخصص؛ فقد مضى الوقت الذي يمكن أن تجد فيه من يعرف كلَّ شيء ويتحدث في كل فن، وحتى العلوم الشرعية لم تعد فرعاً واحداً يدركه المتخصص, وإنما اتسعت لتشمل فروعاً عدة في التخصص الواحد . إن النابغين والمتفوقين يوجهون في الأغلب إلى التخصصات العلمية التطبيقية (الطب، الحاسب، الهندسة . . .), فهل يليق أن يوجه إلى التخصصات الشرعية أولئك الذين لم تسعفهم معدلاتهم؟! .

٤- الارتقاء بالتعليم الشرعي؛ فرغم انتشار مدارس التعليم الشرعي ومعاهده، ورغم آثاره الحميدة في نشر العلم الشرعي والحفاظ عليه، إلا أنه يعاني من ضعف وقصور، ويتسم بالنمطية والتقليدية، ويدار بطريقة بدائية. ومخرجات التعليم الشرعي اليوم دون تحديات الواقع ومتطلباته.

ومعلمو العلوم الشرعية بحاجة إلى نقلة في طريقة أدائهم وتفكيرهم. وكثير من مطالب التغيير في التعليم الشرعي التي يثيرها الآخر منطلقها - المعلن على الأقل - الواقع الفعلي لهذا التعليم وحاجته إلى التطوير. وما لم يتم التطوير من الداخل، وما لم تكن الأصوات المطالبة به صادرة من العاملين فيه الغيورين عليه فلن يكون التطوير في مصلحة التعليم الشرعي.

وتشمل متطلبات التطوير بوجه أخص:

- تطوير أداء المعلمين؛ فنحن بحاجة ماسة إلى الارتقاء بكفايات وقدرات معلمي العلوم

الشرعية في مجتمعاتنا، حتى يسهموا في تضييق الفجوة بين إمكانيات التعليم ومخرجاته.

- تطوير المناهج والأخذ بالمفهوم الحديث للمنهج؛ ومن ثم فالتطوير يجب أن يشمل كافة عناصر المنهج من أهداف وطرق تدريس ووسائل وتقنيات وأنشطة وكتاب مدرسي.
- تطوير الأداء الإداري والبيئة المدرسية للمعاهد والمدارس الشرعية.

٥- ضرورة إعمال العقل في التعليم وعدم إهماله وذلك بتعليم الطلاب كيف يفكرون، وبتدريسهم طرائق التفكير.

وختاماً: أحمد الله وأشكره على التسهيل والتيسير، وأسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أهم المراجع

١- أبجد العلوم لصديق حسن القنوجي. دار ابن حزم. بيروت. ط١ ١٤٢٣هـ .

٢- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي. دار ابن كثير. دمشق. ط٣ ١٤١٦هـ .

٣- أحكام التصوير في الفقه الإسلامي لمحمد بن أحمد واصل. دار طيبة. الرياض. ط٢ ١٤٢٠هـ

٤- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر القرطبي. مطبعة العاصمة. القاهرة. ط٢ ١٣٨٨هـ .

٥- الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية. مطبعة المدني. مصر.

٦- علم القانون والفقه الإسلامي للدكتور سمير عالية. المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت. ط١ ١٤١٢هـ .

٧- لسان العرب لابن منظور، دار الفكر، بيروت.

٨- مجموع فتاوى ابن تيمية. جمع ابن قاسم. مجمع الملك فهد. المدينة المنورة. ١٤١٦هـ .

٩- المجموع شرح المهذب لمحيي الدين النووي. دار الكتب. الرياض. ١٤٢٣هـ .

١٠- المدخل إلى السياسة الشرعية لعبد العال عطوة. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض ١٤١٤هـ .

١١- المسائل الطبية المستجدة للدكتور محمد النتشة. سلسلة إصدارات الحكمة. بريطانيا. ط١ ١٤٢٢هـ .

١٢- مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها للدكتورة يمنى طريف الخولي. دار الثقافة. القاهرة. ط٢ ١٩٩٦م .

١٣- الموضوعية في العلوم الإنسانية عرض نقدي لمناهج البحث للدكتور صلاح قنصوه. دار الثقافة. القاهرة. ١٩٨٠م .

١٤- نظرية السياسة الشرعية الضوابط والتطبيقات للدكتور: عبد السلام العالم. منشورات جامعة قازيونس. ليبيا. ط١ ١٩٩٦م .

١٥- وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد الزحيلي. دار البيان. دمشق. ط١ ١٤٠٢هـ

١٣. جهود العلماء في ترجمة الحديث النبوي إلى اللغة البنغالية-واقع بنغلاديش

الدكتور محمد إحسان الله مياه

(قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ – بنغلاديش)

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...وبعد:

فإن اهتمام علماء بنغلاديش بالأحاديث النبوية وعنايتهم بها يرجع إلى تاريخ دخول الإسلام في منطقة "البنغال" في القرن السابع الميلادي الموافق القرن الأول الهجري.

ولا غرابة في ذلك إذ تعد بنغلاديش ثانية أكبر الدول الإسلامية حيث ٨٩,٧٠% من شعبها تمثل مسلمين.وجهود علمائها في دراسة الحديث النبوي بشتى الأساليب والوسائل تعتبر جهودا ملموسة تستهدف تقريب الحديث النبوي إلى قلوب المسلمين وتفهيمه لديهم. ومن أهم جهودهم في دراسة الحديث وعلومه ترجمة كتب الأحاديث من العربية إلى اللغة البنغالية، لغة أكثر من ١٥٠ مليون مسلم.ولهذه الترجمة دواعيها وعلماؤها المترجمون وكتب الحديث المختارة للترجمة ومناهج العلماء في الترجمة وترجمة الحديث ووفوائدها ومشاكلها غيرها من أمور.وتجدر دراسة هذه الجهود خلال البحث المنهجي يكشف عن جوانب ترجمة الأحاديث النبوية في واقع بنغلاديش. لذا اختار الباحث هذا البحث بعنوان: **"جهود العلماء في ترجمة الحديث النبوي إلى اللغة البنغالية-واقع بنغلاديش"**

ويتطرق البحث إلى ما يلي:

أوّلاً: المقدمة وتشمل نبذة مختصرة عن دولة بنغلاديش وتاريخ دخول الإسلام إليها. ثانياً: النظام التعليمي في بنغلاديش ومكانة دراسة الحديث النبوي في التعليم الديني. ثالثاً: تطور دراسة الحديث النبوي وتاريخ ترجمته ودواعي الترجمة. رابعاً: كتب الأحاديث المترجمة واللغات التي ترجمت إليها في واقع بنغلاديش. خامساً: العلماء البارزون لهم إسهامات في التررجمة ومناهجهم فيها

سادساً: فوائد الترجمة ومشاكلها في بنغلاديش والحلول المقترحة لها. وفي الخاتمة تسجيل النتائج التي يتوصل إليها من خلال هذا البحث.ومنهجية البحث ستسير من خلال جمع المعلومات من المصادر والمراجع ذات العلاقة بموضوع البحث مع التوثيق وعزو الأقوال إلى أصحابها، وغيرها مما يتطلبه البحث المنهجي. والله الموفق...

أوّلاً: المقدمة وتشمل نبذة مختصرة عن دولة بنغلاديش وتاريخ دخول الإسلام إليها.

كانت بنغلاديش قديماً من مناطق الهند القديمة التي شملت: الهند، وباكستان، وبنغلاديش، وسريلانكا، والمالديف.[١] وقبل ظهورها كدولة مستقلة عام ١٩٧١م شهدت البلاد عدة تقلبات سياسية وكانت تخضع للحكومات المختلفة تتمثل فيما يلي:[٢]

---

[١]. انتشار الإسلام في الهند، بحث أعدتها الطالبة الصاملي، جامعة أم القرى،مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

[٢]. تاريخ المسلمين في البنغال، عباس علي خان،المركز الإسلامي بنغلاديش،١٩٩٤م ص ١٣ ونظام التعليم الإسلامي : تاريخ موجز للأستاذ محمد عبد الرب، إسلاميك إيدوكيشن سوشايتي، ص ٣٥ فما بعدها .ومناهج التعليم الإسلامي ومدارسها :تاريخ ومقارنة،د. خوندكار أبو

(١) حكم "البال" و" الغور" وغيرهما بالهند، وذلك قرابة خمسة قرون من ٧١٢م إلى ١٢٠٥م الموافق كان الحكم آنذاك غير الإسلامي، باستثناء الفترة التي كان فيها الجزء الكبير من الهند تحت الحكم الإسلامي فور الفتح الإسلامي بيد القائد محمد بن القاسم بداية القرن الثامن الميلادي

(٢) حكم عصر السلاطين موغول، وذلك لمدة أكثر من خمسة قرون ونصف من ١٢٠٥م إلى ١٧٥٧م

(٣) الحكم البريطاني وذلك لمدة مائة وتسعين عام من الاحتلال البريطاني في عام ١٧٥٧م إلى استقلال الباكستان في عام ١٩٤٧م

(٤) الحكم الباكستاني كان يحكم على الباكستان الشرقي (بنغلاديش حالياً) والباكستان الغربي (الباكستان الحالي) لمدة أربعة عشرين عاماً من ١٩٤٧م إلى ١٩٧١م.

(٥) حكم جمهورية بنغلاديش الشعبية منذ استقلالها عام ١٩٧١م.

ومن حيث مكانتها في العالم الإسلامي تعتبر بنغلاديش ثانية أكبر الدول الإسلامية من حيث كثافة السكان المسلمين إذ نسبة المسلمين فيها ٨٩,٧٠% من مجموع سكانها بعدد ١٥٠ مليون نسمة.

ومن حيث الوضع الجغرافي تقع بنغلاديش في جنوب شرق آسيا وتحدها الهند من جهة الغرب والشمال والشمال الشرق وبورما من الشرق الجنوب وخليج البنغال من الجنوب.

ومن حيث نظام الحكم يطبق النظام الديمقراطي.وعدد المناطق فيها سبع وعدد المحافظات أربع ستون.

وأما دخول الإسلام فيرجع تاريخ دخوله فيها إلى القرن السابع الميلادي الموافق القرن الأول الهجري. وذلك عن طريق الدعاة والتجار العرب الذين قدموا " مليبار" من الهند لغرض التجارة ونشر الإسلام.[١]

ثم بالفتح الإسلامي بيد القائد محمد بن القاسم في بداية القرن الثامن الميلادي حين فتح السند. ثم بالفتح الإسلامي بيد محمد بن بختيار الخلجي في بداية القرن الثالث عشر الميلادي حين فتح منطقة "رار" و" بورندو" من بلاد البنغال.[٢]

ثانياً: النظام التعليمي في بنغلاديش ومكانة دراسة الحديث النبوي في التعليم الديني.

نظام التعليم في بنغلاديش يتمثّل في ثلاثة أقسام رئيسة:[٣]

١- **التعليم العصري:** هو ما يتم تقديمه في المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية للعلوم العصرية.

٢- **التعليم الديني:** هو ما يتم تقديمه في المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية للعلوم الدينية.

٣- **التعليم المهني:** هو ما يتم تقديمه في المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية للعلوم المهنية والتقنية

مكانة دراسة الحديث النبوي من التعليم الديني في تعليم بنغلاديش:

تحتل دراسة الحديث النبوي من التعليم الديني في بنغلاديش مكانة مرموقة.ومن أهم بواعث ذلك:

نصر محمد عبد الله جهانغير،نشر في مجلة دراسات الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن، الجزء الثاني. يونو ٢٠٠٠م. انتشار الإسلام في الهند بحث من إعداد الطالبة الصومايلي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة

[١]. تاريخ المسلمين في البنغال، ص ١٨

[٢]. تاريخ المسلمين في البنغال، ص ٢٢

[٣]. موقع **Bangladesh Bureau of Educational and Stastics** www.banbeis.gov.bd

التديّن الفريد الذي يتمتع به المسلمون في هذه البلاد والميل الطبيعي نحو تعليم أمور الدين، وتطوير مناهج التعليم الديني بضم المقررات الدراسية في مختلف مراحل التعليم الديني والتعليم العصري.

ثالثاً: تطور دراسة الحديث النبوي وتاريخ ترجمته ودواعي الترجمة:

لا يوجد دليل فاصل على تحديد تاريخ بداية دراسة الحديث النبوي في بلاد البنغال، ولا يعرف بيَدِ مَن كانت النواة الأولى في دراسة الحديث النبوي في هذه البلاد. ولكنه يرجح الرأي أن يكون ذلك بدخول الإسلام إليها بيد الدعاة القادمين من العرب والفرس واليمن إلى هذه البلاد للدعوة الإسلامية. وفي أيام حكام الشاه والنواب كان الاهتمام بدراسة الحديث.و في حكم السلطان غياث الدين بلبان(من ١٢٢٨م – ١٢٨١م) قدم إلى البنغال عدد من العلماء المحدثين. ففي عام ١٢٧٠م / ٦٦٨هـ قدم العلامة الشيخ شرف الدين أبو توامة إلى"سونار غاو"(في منطقة داكا حالياً) وأقام فيه مدرسة دينية وخانكاه قدم فيها دروس التفسير والحديث الشريف والتربية الصوفية إلى أن توفي عام ١٣٠٠م / ٧٠٠هـ.[١] وفي حكم علاء الدين حسين شاه بن سعيد أشرف مكي على البنغال في فترة من ١٤٩٣م إلى ١٥١٩م، وكان أول من اهتم باللغة البنغالية وآدابها، وقام بتأسيس مدرسة متطورة في " غورباه" (وهي في منطقة " مالداها" بالهند حالياً)كما أسس كلية أخرى فكان يهتم بدراسة الحديث الشريف فيهما. وفي عام ١٥٠٣م قام محمد بن يزدان بخش بنقل صحيح البخاري في ثلاثة مجلدات. ثم من عام ١٧٨١م إلى عام ١٨٣٣م كان مشكاة المصابيح في الحديث مقرراً في المدرسة العالية في كلكتا.

وكان الاعتناء البالغ بالاستفادة من الحديث الشريف وخدمته وحفظه ثم تعليمه وتطبيقه في مجالات الحياة عن طريق الدراسة والبحث والتعليم. ويقول العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي: " وأذكر هنا كمثال لعناية المسلمين الشاملة بحفظ الحديث الشريف والاستفادة منه مما قام به علماؤه في شبه القارة الهندية، فقد اشتهر وامتاز شبه القارة الهندية بما فيه الهند وباكستان وبنغلاديش منذ عهده الماضي في تدريس الحديث الشريف والاهتمام بدراسته وتأليف شروح أمهات كتبه..."[٢]

أما دراسة الحديث النبوي الشريف بانتظام في بنغلاديش فكانت منذ بداية القرن العشرين حين أسست دار العلوم معين الإسلام هات هازاري في شيتاغونغ عام ١٩٠١م.وهي أولى المدارس القومية أو الأهلية في بنغلاديش على نظام ديوبند.وتاريخ تطور دراسة الحديث في بنغلاديش مر بمرحلتين:[٣]

المرحلة الأولى: ما قبل المدرسة العالية في كلكتا ودار العلوم معين الإسلام هات هازاري في شيتاغونغ التي بدأت فيها دراسة الحديث الشريف وعلومه عام ١٩٠٨م.[٤] والمرحلة الثانية: ما بعدهما

ومن رواد علم الحديث الشريف وأبرز علمائه في بنغلاديش خلال المرحلة الأولى: الشيخ شاه جلال

---

[١]. علم الحديث وتاريخه،نور محمد أعظمي،المكتبة الإمدادية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢م، ص ١٩٩،وتاريخ تدوين الحديث للشيخ محمد عبد الرحيم، خيرن بروكاشوني، ١٩٩٧م، ص ٤٧٨

[٢]. الحديث الشريف وأهميته في مواجهة تحديات العصر ومكانته في حياة المسلمين ومساهمة علماء الهند فيه،الحديث الشريف و تحديات العصر،ندوة علمية دولية ثانية في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي في عام ٢٠٠٥م،كتاب الندوة، الجزء الثالث ص ١٠٧٩-١٠٨٠

[٣]. علم الحديث وتاريخه،نور محمد أعظمي،المكتبة الإمدادية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢م، ص ١٩٩

[٤]. أصول دراسة الحديث، الشيخ أبو الفتح محمد يحيى، الطبعة الثانية،مكتبة الأزهربداكا،٢٠١٠ م،ص ٤٣٧

اليمني الذي قدم من اليمن إلى منطقة "سلهت"، ومات بها عام ١٤١٢م/٨١٥هـ.ومعاصره السيد أحمد تنوري الذي قدم من بغداد إلى دلهي أولا ثم إلى منطقة "نواخالي "، والسيد شاه علي بغدادي الذي قدم من بغداد عن طريق الهند إلى منطقة " فريد بور" أولاً ثم إلى داكا، ومات بها في "ميربور" عام ١٥٠٧م/٩١٣هـ، الشيخ حاجي شريعت الله من مواليد "فريدبور" المتوفى عام ١٨٤٠م/١٢٥٦هـ ومولانا حبيب الله المتوفي عام ١٢٧٩م والشيخ كرامت علي جونبوري المتوفى عام ١٨٧٣م /١٢٩٠هـ ومولانا عبد الواحد ساتغامي المتوفى عام ١٩١٠م/١٣٢٨هـ وغيرهم ممن قاموا بخدمات تطوير علم الحديث

ومن رواد علم الحديث الشريف وأبرز علمائه في بنغلاديش خلال المرحلة الثانية: مولانا عبد الله راي بوري من منطقة "نواخالي" المتوفى عام ١٩١٢م/١٣٣٠هـ، ومولانا عبد الحميد الذي من هات هازاري، بـ"شيتاغونغ" المتوفى عام ١٩١٩م/١٣٣٨هـ ومولانا عبد الرحمن الذي من "ميمنشينغ" المتوفى عام ١٩٣٠م/١٣٣٧هـ ومولانا محمد طاهر سلهتي من كانيغهات بـ"سلهت" المتوفى ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ وغيرهم ممن قاموا بخدمات الحديث الشريف وعلومه، ويبلغ عددهم أكثر من خمسين من المحدثين، ولا يتسع المجال لذكر أسمائهم هنا. وبالإضافة يوجد عدد كبير من علماء الحديث وعلومه ما زالوا على قيد الحياة يقومون بتقديم شتى أنواع الخدمات في تطوير وتعليم الحديث وعلومه في آلاف المدارس الإسلامية في مختلف مناطق بنغلاديش.منهم: مولانا عزيز الحق في داكا ومولانا أحمد شفيع في هات هازاري بشيتاغونغ وومولانا قاضي معتصم بالله في داكا، ومولانا أشرف علي في كوملا وومولانا محمد سلطان ذوق في دار المعارف بشيتاغونغ، وومولانا تفضل حق في سلهت وومولانا عبد الحق في ميمنشينغ وغيرهم آلاف المحدثين والمحدثات يبذلون جهودهم في خدمات الحديث وعلومه في المدارس الإسلامية.[١]

أما تاريخ الترجمة فأول ترجمة كانت إلى اللغة اللاتينية في أوربا عام ١١٤٣م وذلك بيد" كنت" الذي استعان في عمله ببطرس الطليطلي وعالم ثان عربي.[٢] أما تعريف الترجمة. فهي لغةً تطلق على معان:

منها: نقل الكلام من لغة على أخرى.والمترجم هو الذي يترجم الكلام أو ينقله من لغة إلى أخرى. ومعناها العرفي: التعبير من معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده.[٣]

وتعتبر اللغة البنغالية لسان ٢٥٠ مليون من الناس في العالم الحالي. وهي اللغة الخامسة من اللغات المعترفة في العالم.و أكثر من ١٥٠ من المسلمين يتكلمون بهذه اللغة الفتية.ومن هنا كانت الضرورة والدواعي اللازمة لترجمة الحديث النبوي من العربية إلى اللغة البنغالية.[٤] وتتمثل هذه الدواعي فيما يلي:[٥]

- بيان مكانة الحديث الشريف لدى مسلمي أهل اللغة البنغالية لما له من أهمية بالغة كمصدر ثان من

---

[١]. علم الحديث وتاريخه، ص ٢٠٨ فما بعدها،وأصول دراسة الحديث، ص ٤٤٤ فما بعدها

[٢]. مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزرقاني " دار الفكر، الجزء الثاني، ص١٠٨

[٣]. لسان العرب مادة " ترجم" ومناهل العرفان في علوم القرآن، ص١١٠-١١١

[٤]. مقدمة ترجمة التفسير في ظلال القرآن بالبنغالية، الجزء الأول، أكاديمية القرآن بلندن،ومقدمة ترجمة كتاب رياض الصالحين بالبنغالية،لجزء الأول،بنغلاديش إسلاميك سنتر،داكا،ص ٨

[٥]. مقدمة المجلد الأول من كتاب المشكاة و رياض الصالحين وصحيح البخاري المترجم باللغة البنغالية

- هروب كثير من المسلمين من دراسة الحديث وفهم معانيه لسبب عدم توفر كتب الحديث وشروحه باللغة البنغالية التي يتكلم بها أكثر من ١٥٠ مليون مسلم

- ترغيب المسلمين من أهل اللغة البنغالية في دراسة الحديث الشريف بجانب دراسة القرآن الكريم.

- وجود القلة ممن يهتم بالحديث الشريف لسبب ظهور الكتب المترجمة باللغة الأردية والفارسية اللتين لا يجيدهما إلا خواص العلماء البنغلاديشيين.والترجمة إلى اللغة البنغالية تساعد على تخفيف العناء من فهم الحديث الشريف باللغتين السابقتين.

- تقريب معاني غريب الحديث الذي يسبب عدم الإلمام بمعاني الحديث الشريف وفهمه فهماً صحيحاً.

- وقوع الخطأ الفاحش والشرح البعيد عن المعنى الحقيقي خاصة لدى قراء الحديث الشريف من المثقفين بالثقافات العلمية العصرية

- عدم تمكن الطلاب والطالبات من دراسة معظم موضوعات الحديث الشريف في مقررات التعليم الديني لسبب عدم توافق المدة الدراسية مع المفردات التي يدرسونها.

- سد حاجات المسلمين من أهل اللغة البنغالية نحو الحديث وشروحه التي يحتاج إليها جل عوام الشعب.

رابعاً: كتب الأحاديث المترجمة إلى اللغة البنغالية:

إن كتب الأحاديث التي ترجمت من العربية إلى اللغة البنغالية، منها ما هو مترجم بكامل الأجزاءوهو الغالب ومنها ما هو مترجم ببعض الأجزاء مع استمرار عمل الترجمة أو مراجعة حالياً، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: كتب مترجمة إلى البنغالية بكامل الأجزاء: ونتناول هذه الكتب ابتداء بكتب الصحاح الستة مع الإشارة إلى تارخ الطبعة الأولى لكل كتاب – إن وجد- وعدد الطبعات والإصدارت -إن كان أكثر من واحد- ومحتوى كل مجلد من المجلدات التمرجمة.

١- صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.

ولهذا الكتاب المترجم أربعة إصدارات كما يلي:

أ- **إصدار "المؤسسة الإسلامية" في داكا:** قام بترجمته مجموعة من العلماء بمشاركة ٢١ من العلماء الأكفاء في جودة الترجمة.وقام بمراجعته ١٣ من العلماء البارزين.وطبع في ١٠ مجلدات حيث كانت الطبعة الأولى عام ١٩٨٩م.ولإقبال القراء طبع الكتاب عدة طبعات.[١]ومن أهم مميزاته ما يلي:

- ترجمة الكتاب كاملاً بجميع الأجزاء بحجم ١٠ مجلدات

- في بداية كل مجلد بيان بدار النشر والطباعة، فهرس المحتويات، أسماء أعضاء لجنة المراجعة، ثم أسماء المترجمين فكلمة مدير المؤسسة الإسلامية وكلمة مدير إدارة الطباعة والنشر.

- مقدمة الكتاب[٢] تشمل بيان مكانة الحديث، تعريف الحديث والفرق بينه وبين السنة، مصطلحات

---

[١]. صحيح البخاري باللغة البنغالية، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية، داكا،الطبعة السادسة، ٢٠٠٥م،

[٢]. المرجع السابق

علم الحديث، أنواع مصنفات الحديث وتعريفها، طبقات كتب الحديث الخمس، أسماء كتب الأحاديث الصحيحة غير الصحيحين، عدد الحديث الوارد في كل من كتب الحديث، تاريخ تدوين السنة، دراسة الحديث في شبه القارة الهندية، نبذة عن حياة الإمام البخاري، نبذة عن صحيح البخاري وبعض شروحه، وضوابط الترجمة.

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[١]

المجلد الأول من كتاب بدء الوحي إلى كتاب الصلاة، المجلد الثاني من بقية كتاب الصلاة إلى كتاب الجنائز المجلد الثالث من كتاب الزكاة إلى كتاب الاعتكاف، المجلد الرابع من كتاب البيوع إلى كتاب الشهادات

المجلد الخامس من كتاب الصلح إلى كتاب الجهاد، المجلد السادس من كتاب الأنبياء إلى كتاب المغازي المجلد السابع من بقية كتاب الجهاد إلى كتاب التفسير، المجلد الثامن من بقية كتاب التفسير إلى كتاب النكاح، المجلد التاسع من كتاب الطلاق إلى كتاب الدعوات والمجلد العاشر من بقية كتاب العوات إلى كتاب التوحيد.

ب – إصدار "أدهونيك بروكاشوني" في داكا: قام بترجمته مجموعة من العلماء المترجمين بمشاركة ٥ من العلماء الأكفاء في جودة الترجمة. كما قام بمراجعته الشيخ عبد المنان طالب أحد العلماء البارزين. وطبع في ٦ مجلدات حيث كانت الطبعة الأولى عام ١٩٧٩م. ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات.[٢] ومن أهم مميزاته ما يلي:

- ترجمة الكتاب كاملاً بجميع الأجزاء بحجم ٦ مجلدات
- في بداية المجلد الأول بيان بدار النشر والطباعة، يليه مقدمة الكتاب ففهرس محتويات المجلد الأول.
- مقدمة المجلد الأول تشمل نفس الكلام المذكور في مقدمة المجلد الأول في إصدار المؤسسة الإسلامية.

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[٣]

المجلد الأول من كتاب الوحي إلى كتاب الجنائز، المجلد الثاني من كتاب أسماء النبي إلى كتاب الوحي، المجلد الثالث من كتاب الصلح إلى كتاب المناقب، المجلد الرابع من كتاب المغازي إلى كتاب فضائل القرآن، المجلد الخامس من كتاب النكاح إلى كتاب الدعوات، والمجلد السادس من كتاب الرقاق إلى كتاب التوحيد

جـ- إصدار " المكتبة الإمدادية" في داكا: قام بترجمته مولانا عزيز الحق في ٧ مجلدات.وهو محاضرات سجلها أثناء الدرس في دروس البخاري وليس ترتيب الكتاب المترجم على ترتيب البخاري تماماً.[٤]

د- إصدار " شركة تاج " في داكا في ٦ مجلدات ولكن لا يزيد على إصدار " أدهونيك بروكاشوني".

٢- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة ٢٦١ هـ.

---

[١]. محتوى كل مجلد من صحيح البخاري بالبنغالية، المؤسسة الإسلامية

[٢]. صحيح البخاري بالبنغالية، المجلد الأول، الطبعة الحادية عشر، ٢٠٠٠م، أدهونيك بروكاشوني، داكا

[٣]. محتوى كل مجلد من صحيح البخاري بالبنغالية، أدهونيك بروكاشوني، داكا

[٤]. صحيح البخاري بالبنغالية،مولانا عزيز الحق، المجلد الأول، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٩م، المكتبة الحميدية، داكا

ولهذا الكتاب المترجم إصداران كما يلي:

أ- **إصدار "المؤسسة الإسلامية" في داكا:** قام بترجمته مجموعة من العلماء شارك ١٦ من العلماء الأكفاء في جودة الترجمة.كما قام بمراجعته ١٣ من العلماء البارزين. وطبع في ٨ مجلدات حيث كانت الطبعة الأولى عام ١٩٨٩م. ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات.[١] ومن أهم مميزاته ما يلي:

- ترجمة الكتاب بجميع الأجزاء بحجم ٨ مجلدات.

- في بداية المجلد الأول مقدمة الكتاب الطويلة تحتوي على ففهرس محتويات المجلد الأول.

- مقدمة الكتاب(في المجلد الأول)تشمل الكلام عن مكانة الحديث، تعريف الحديث، طرق ومراحل ورواد تدوين الحديث، دراسة الحديث في شبه القارة الهندية، نبذة عن حياة الإمام مسلم وصحيح مسلم مع ذكر أسماء المترجمين والمراجع الذين قاموا بهذا العمل الجليل. وتمتاز بمقدمة طويلة في ٦٥ صفحة.

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[٢]

المجلد الأول من المقدمة إلى كتاب الإيمان، المجلد الثاني من كتاب الطهارة إلى كتاب الصلاة، المجلد الثالث من بقية كتاب الصلاة إلى كتاب الاعتكاف، المجلد الرابع من كتاب الحج إلى كتاب المساقاة والمزارعة، المجلد الخامس من بقية كتاب الحج إلى كتاب البيوع، المجلد السادس من كتاب الفرائض إلى كتاب الأضاحي

المجلد السابع من كتاب الأشربة إلى فضائل الصحابة، المجلد الثامن من بقية فضائل الصحابة إلى كتاب التفسير

ب- **إصدار "إسلاميك سنتر" في داكا:** قام بترجمته مولانا محمد أفلاتون قيصر وطبع في ٨ مجلدات. ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات.[٣] ومميزاته كما في الإصدار المذكور سابقاً.

٣- جامع الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ.

ولهذا الكتاب المترجم إصداران كما يلي:

أ- **إصدار" المؤسسة الإسلامية" في داكا:** قام بترجمته مولانا فريد الدين مسعود، و قام بمراجعته ١٣ من العلماء البارزين.وطبع في ٦ مجلدات وكانت طبعةالمجلد الأول عام ١٩٨٩م ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات.[٤]ومن مميزاته:

- ترجمة الكتاب كاملاً بجميع الأجزاء بحجم ٦ مجلدات

- في بداية المجلد الأول بيان بدار النشر والطباعة، تليه المقدمة الطويلة، ففهرس محتويات المجلد الأول.

- مقدمة الكتاب (في المجلد الأول) تشمل: الكلام عن مكانة الحديث، تعريف الحديث، طرق ومراحل

---

[١]. صحيح مسلم بالبنغالية، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية، داكا، طبعة عام ١٩٩٤م

[٢]. محتوى كل مجلد من صحيح مسلم بالبنغالية، المؤسسة الإسلامية

[٣]. صحيح مسلم بالبنغالية، المجلد الأول، إسلاميك سنتر، داكا، طبعة عام ١٩٩٢م،

[٤]. جامع الترمذي بالبنغالية، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية، داكا، طبعة عام، ١٩٩٧م

ورواد تدوين الحديث، دراسة الحديث في شبه القارة الهندية، نبذة عن حياة الإمام أبي عيسى الترميذي ونبذة عن جامع الترمذي وخصائصه مع ذكر أسماء المراجع الذين قاموا بهذا العمل الجليل.

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[١]

المجلد الأول من أبواب الطهارة إلى باب ما جاء في الأذان، المجلد الثاني من أبواب الصلاة إلى أبواب السفر، المجلد الثالث من كتاب الزكاة إلى كتاب البيوع، المجلد الرابع من أبواب الأحكام إلى أبواب صفة القيامة، المجلد الخامس من أبواب صفة الجنة إلى كتاب التفسير، المجلد السادس من بقية كتاب التفسير إلى كتاب الشمائل.

ب- إصدار" إسلاميك سنتر" في داكا: قام بترجمته مولانا محمد موسى. وطبع في ٦ مجلدات وكان آخر طبعة عام ٢٠٠٤م. ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات. ومميزاته كمميزات إصدار " المؤسسة الإسلامية" المذكور سابقاً إلا في بعض الأمور.[٢]

٤- سنن النسائي: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ وله إصدار واحد من "المؤسسة الإسلامية" في داكا: قام بترجمته مولانا رضاء الكريم إسلام آبادي، وراجعه ٥ من العلماء البارزين. وطبع في ٥ مجلدات وكانت طبعة المجلد الأول عام ٢٠٠٠م ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات.[٣] ومن أهم مميزاته:

- ترجمة الكتاب كاملاً بجميع الأجزاء بحجم ٥ مجلدات

- في بداية المجلد الأول بيان بدار النشر والطباعة، تليه المقدمةالطويلة، ففهرس محتويات المجلد الأول.

- مقدمة الكتاب (في المجلد الأول) تشمل: الكلام عن مكانة الحديث، تعريف الحديث، طرق ومراحل ورواد تدوين الحديث، دراسة الحديث في شبه القارة الهندية، نبذة عن حياة الإمام أبي عبد الرحمن النسائي ونبذة عن سنن النسائي وخصائصه مع ذكر أسماء المراجع الذين قاموا بهذا العمل الجليل.

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[٤]

في بداية كل مجلد ترجمة حياة الإمام النسائي ونبذة عن سنن النسائي ثم يبدأ بذكر المحتوى كالتالي:

المجلد الأول من المقدمة والطهارة إلى باب الإمامة، المجلد الثاني من كتاب الافتتاح إلى كتاب الجنازة، المجلد الثالث من كتاب الصوم إلى كتاب الطلاق، المجلد الرابع من كتاب الخيل إلى كتاب البيوع والمجلد الخامس من كتاب القسامة إلى كتاب الأشربة

٥- سنن ابن ماجه: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه المتوفى سنة ٢٧٥ هـ.

ولهذا الكتاب المترجم إصداران كما يلي:

أ- إصدار" المؤسسة الإسلامية" في داكا: قام بترجمته ٥ من العلماء البارزين. كما قام العالمان

---

[١]. محتوى كل مجلد من جامع الترمذي بالبنغالية، المؤسسة الإسلامية

[٢]. جامع الترمذي بالبنغالية، إسلاميك سنتر،طبعة عام ٢٠٠٤م

[٣]. سنن النسائي بالبنغالية، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية، داكا، طبعة عام ٢٠٠٤م

[٤]. محتوى كل مجلد من سنن النسائي بالبنغالية، المؤسسة الإسلامية

بمراجعة الكتاب المترجم. وطبع في ٣ مجلدات.وكانت طبعة المجلد الأول عام ٢٠٠٠م ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات.[١] ومن أهم مميزاته:

- ترجمة الكتاب كاملاً بجميع الأجزاء بحجم ٣ مجلدات

- بدأ المجلد الأول بالمقدمة ذكر فيها تعريف الحديث وما يتعلق بالموضوع من مصطلح الحديث وتاريخ تدوين الحديث وحياة الإمام ابن ماجه وآثاره، وضوابط الترجمة.[٢]

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[٣]

المجلد الأول: من باب اتباع السنة إلى باب ما جاء في أين توضع النعل إذا خلعت في الصلاة، المجلد الثاني: من كتاب الجنائز إلى كتاب الجهاد والمجلد الثالث: من كتاب المناسك إلى كتاب الزهد.

ب- إصدار "أدهونيك بروكاشوني" في داكا: قام بترجمته مولانا محمد موسى، وليس له لجنة المراجعة. وطبع في ٤ مجلدات، وكانت طبعة المجلد الأول عام ٢٠٠٠م.ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات.[٤] ومن أهم مميزاته:

- ترجمة الكتاب كاملاً بجميع الأجزاء بحجم ٤ مجلدات

- بدأ المجلد الأول بالمقدمة ذكر فيها تعريف الحديث وما يتعلق بالموضوع من مصطلح الحديث وتاريخ تدوين الحديث وحياة الإمام ابن ماجه وآثاره ثم تناول أبواب الحديث.

- وفي المجلد الأخير أضاف الرموز المختصرة التي استخدمها للتوضيح.[٥]

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[٦]

المجلد الأول من باب اتباع السنة إلى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، المجلد الثاني من بقية كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها إلى كتاب الكفارات، المجلد الثالث من كتاب التجارة إلى كتاب الصيد والمجلد الرابع من كتاب الأطعمة إلى كتاب الزهد.

٦- سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ

ولهذا الكتاب المترجم إصداران كما يلي:

أ- إصدار" المؤسسة الإسلامية" في داكا: قام بترجمته ٣ من العلماء البارزين. كما قام العالمان بمراجعة الكتاب المترجم. وطبع في ٥ مجلدات. وكانت طبعة المجلد الأول عام ١٩٩٠م ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات.[٧] ومن أهم مميزاته:

- ترجمة الكتاب كاملا بجميع الأجزاء بحجم ٥ مجلدات

- في بدء المجلد الأول مقدمة الكتاب تشمل الكلام عن مكانة الحديث وتعريفه، طرق ومراحل ورواد

---

[١]. سنن ابن ماجه بالبنغالية، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية، داكا، طبعة عام ٢٠٠٢م

[٢].المرجع السابق مقدمة المجلد الأول

[٣]. محتوى كل مجلد من سنن ابن ماجه بالبنغالية، المؤسسة الإسلامية

[٤]. سنن ابن ماجه بالبنغالية، المجلد الأول، أدهونيك بروكاشوني، داكا، طبعة عام ٢٠٠٢م

[٥]. المرجع السابق المجلد الرابع ص ١٧

[٦]. محتوى كل مجلد من سنن ابن ماجه بالبنغالية، أدهونيك بروكاشوني.

[٧]. سنن أبي داود بالبنغالية، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية، داكا، طبعة عام ٢٠٠٢م

تدوين الحديث، دراسة الحديث في شبه القارة الهندية، نبذة عن حياة الإمام أبي داود وسنن أبي داود وخصائصه.[١]

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[٢]

المجلد الأول من كتاب الطهارة إلى كتاب الصلاة، المجلد الثاني من بقية كتاب الصلاة إلى كتاب اللقطة،

المجلد الثالث من كتاب المناسك إلى كتاب الجهاد، المجلد الرابع من كتاب الطب إلى كتاب السلام والمجلد الخامس من بقية كتاب الجهاد إلى كتاب الأطعمة.

ب- إصدار" إسلاميك سنتر" في داكا: قام بترجمته العالمان من العلماء البارزين. كما قام العلماء البارزون بمراجعة الكتاب المترجم. وطبع في مجلدين. وكانت طبعة المجلد الأول عام ١٩٩٠م ولإقبال القراء الهائل طبع الكتاب عدة طبعات. ومن أهم مميزاته:[٣]

- ترجمة الكتاب كاملا بجميع الأجزاء بحجم مجلدين
- ذكر النص العربي للحديث مع السند الكامل وفي الترجمة ذكر اسم الراوي الأول (اسم الصحابي)فقط
- استخدام اللغة السهلة والبليغة
- ذكر ترجمة المؤلف في البداية من المجلد الأول من الكتاب المترجم
- مراعاة المطابقة بين النص العربي من المتن وبين الترجمة
- توضيح المعلومات في الهوامش أسفل من الصفحة

٧- موطأ مالك: للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ.

ولهذا الكتاب المترجم إصدار واحد من " المؤسسة الإسلامية" في داكا: قام بترجمته أحد العلماء البارزين وطبع في مجلدين، كانت طبعة المجلد الأول عام ١٩٨٢م وطبعة المجلد الثاني عام ١٩٨٧م، وأهم مميزاته:[٤]

- ترجمة الكتاب كاملا بجميع الأجزاء بحجم مجلدين
- في المجلد الأول افتتح بمقدمة فيها ترجمة حياة الإمام مالك وآثاره وتلاميذه
- بداية في كل باب ذكر عدد حديث الباب.

محتويات المجلدين بعد الترجمة:[٥]

المجلد الأول من كتاب وقوت الصلاة إلى كتاب الحج والمجلد الثاني من كتاب الجهاد إلى كتاب أسماء النبي

---

[١]. المرجع السابق

[٢]. محتوى كل مجلد من سنن أبي داود بالبنغالية، المؤسسة الإسلامية

[٣] سنن أبي داود بالبنغالية، المجلد الأول، إسلاميك سنتر، داكا، طبعة عام ١٩٩٠م

[٤]. موطأ الإمام مالك بالبنغالية، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية، داكا، طبعة عام ١٩٨٧م

[٥]. محتوى كل مجلد من موطأ الإمام مالك بالبنغالية، المؤسسة الإسلامية، داكا

٨-**مشكاة المصابيح لولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤٠هـ** ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب في الحديث النبوي ترجم إلى اللغة البنغالية.[١] وله أربع تراجم إلى اللغة البنغالية:

أ- ترجمة فضيلة الشيخ فضل الكريم طبعت عام ١٩٥٤م في مجلدين مع المتون بالعربية.

ب- ترجمة فضيلة الشيخ خان بهادر أحسن الله خلال منتصف القرن العشرين طبعت في ٥ مجلدات من دون المتون بالعربية

ج - ترجمة مولانا نور محمد عظمي بدأ بها عام ١٩٦٥م ولما أكمل إلى المجلد الخامس انتقل إلى رحمة الله تعالى ثم أكمل ترجمته مولانا محمد أفلاتون قيصر ٦ مجلدات إضافية فصارت ١١ مجلداً. وطبع من مطبعة مراد وكذلك من مكتبة إمدادية

د- ترجمة فضيلة الشيخ إي بي إم عبد الخالق معجمدار طبعت في ٤ مجلدات من مطبعة مراد. طبعة المجلد الأول عام ٢٠٠٠ م، ثم طبعة المجلد الثاني عام ٢٠٠١م ثم طبعة المجلد الثالث والرابع عام ٢٠٠٥م

الترجمتان الثانية والثالثة تمتزان بالترجمة والشرح معاً ويسمى "مشكاة شريف". وأفضلهما وأتقنهما بلا شك الترجمة في أحد عشر مجلداً. ومن أهم مميزاته:[٢]

- ترجمة الكتاب كاملا بجميع الأجزاء في أحد عشر مجلداً.

- ترجمة الحديث مع الشرح والتوضيح باللبغة البنغالية

- بدأ بكلمة المترجم فيها بيان سبب ترجمة هذا الكتاب وسبب عدوله عن الترجمة لمدة حتى تأليف كتاب آخر باللغة البنغالية " علم الحديث وتاريخه"، ويعتبر هذا الكتاب البالغ ٣٠٣ صفحة كمقدمة قبل ترجمة كتاب المشكاة. ثم ثناء العلماء على ترجمة هذا الكتاب، فهرس محتويات الكتاب، ذكر تعريف السنة والحديث وأقسامه وأقسام الوحي وتعريف مصطلحات الحديث المختلفة وأنواع كتب الحديث وطبقات هذه الكتب والمنهج المتبع في ترجمة الحديث وشرحه وآراء علماء الغرب حول الحديث النبوي.ثم تعريف كتاب المشكاة وشروحه ومراجعه، وأسماء المراجع والمصادر في ترجمة الكتاب.ثم بدأ ترجمة الكتاب بالدقة والشرح الوافي الميسّر. وما زال العلماء في ضبط الكتاب المترجم بوع الهوامش والتعليقات بغية تحسين ترجمة هذا الكتاب القيم. ولقد لقي إقبال القراء الهائل فطبعت طبعات عديدة في مختلف المجلدات.ولم أذكر محتويات المجلدات حتى لا يطول البحث.

٩- **كتاب رياض الصالحين لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النبوي.المتوفى سنة ٦٧٦هـ** ولهذا الكتاب المترجم إصداران:

أ- إصدار "إسلاميك سنتر" في داكا: قام بترجمته ٤ من العلماء وقام بمراجعته العالمان.طبع في ٤ مجلدات، الطبعة الأولى عام ١٩٨٥م، ولإقبال القراء الهائل طبعت الطبعة العاشرة عام ٢٠٠٠م.

ومن أهم مميزاته:[٣]

---

[١]. مقدمة ترجمة كتاب رياض الصالحين بالبنغالية،المجلد الأول،بنغلاديش إسلاميك سنتر، داكا،طبعة عام ٢٠٠٠م ص ٩

[٢]. مقدمة المجلد الأول من ترجمة كتاب المشكاة

[٣]. مقدمة كتاب رياض الصالحين بالبنغالية،المجلد الأول،بنغلاديش إسلاميك سنتر،داكا،

احتواء بداية كل مجلد كلمة الناشر بأهمية الكتاب المترجم وأسماء المترجمين مع ذكر عدد الصفحات التي قام بها كل مترجم ومحتوى المجلد من الموضوعات.

محتويات المجلدات بعد الترجمة:

المجلد الأول من باب الإخلاص وإحضار النية إلى باب إجراء أحكام الناس على الظاهر، المجلد الثاني من باب إجراء أحكام الناس على الظاهر إلى باب المصافحة، المجلد الثالث من باب عيادة المريض إلى باب الدعاء عند النوم، والمجلد الرابع: من باب فضل الدعاء إلى باب ما أعد الله للمؤمنين في الجنة.

ب- إصدار "إسلامية قرآن محل" في داكا: قام بترجمته فضيلة الشيخ إي إم إم سراج الإسلام ولا مراجع له كما للطبعة السابقة.وطبع في ٤ مجلدات، الطبعة الأولى عام ٢٠٠١م.

ومن أهم مميزاته: احتواء بداية كل مجلد كلمة المترجم بأهمية الكتاب المترجم وحياة الإمام النبوي وآثاره ومحتوى المجلد من الموضوعات.[١]

محتويات المجلدات بعد الترجمة:[٢]

المجلد الأول من باب الإخلاص وإحضار النية إلى باب إجراء أحكام الناس على الظاهر، المجلد الثاني من باب الخوف إلى باب استحباب المصافحة عند اللقاء، المجلد الثالث من باب عيادة المريض إلى باب ما يقوله عند النوم، والمجلد الرابع: من باب فضل الدعاء إلى باب ما أعد الله للمؤمنين في الجنة.

١٠- الأدب المفرد: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.

قام بترجمته مولانا عبد الله بن سعيد جلال آبادي بإشراف " المؤسسة الإسلامية " ومولانا محمد موسى بإشراف "أحسن بابليكيشون" وتم إصداره في مجلد واحد عام ١٩٨٤م بمقدمة فيها كلمة المترجم وترجمة حياة الإمام البخاري.وأما أبوابه فيحتوي على ٦٥٤ باباً ابتداء من قوله: ووصينا الإنسان بوالديه...[٣]

١١- معارف الحديث لفضيلة الشيخ منظور نعماني وفضيلة الشيخ محمد زكريا:

وقام بترجمته مولانا أبوسعيد محمد عبد الحي في ٨ مجلدات وقام بمراجعته مولانا إي كي إم عبد السلام وطبع الكتاب المترجم عام ٢٠٠٧ م.[٤]هذه الكتب البالغ عددها أحد عشر كتاباً تمت ترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة البنغالية بكاملها.

أما الكتب التي مترجم ببعض الأجزاء مع استمرار عمل الترجمة أو مراجعة حالياً فهي ما يلي:

١- مسند أحمد: للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ. تمت ترجمة المجلد الأول فقط بإشراف المؤسسة الإسلامية وإسلاميك سنتر.ولم يصدر إلى اليوم إذ عمل الترجمة جار.

٢- سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

ترجم الكتاب بيد العلماء بمراجعة مولانا محمد موسى بإشراف إسلاميك سنتر. وطبع المجلد الأول في

---

[١]. كتاب رياض الصالحين بالبنغالية،المجلد الأول،إسلامية قرآن محل، داكا، طبعة عام ٢٠٠١م

[٢]. كل مجلد من كتاب رياض الصالحين بالبنغالية،إسلامية قرآن محل،داكا،طبعة عام ٢٠٠١م

[٣].كتاب الأدب المفرد باللغة البنغالية،المؤسسة الإسلامية،داكا، طبعة عام ١٩٨٤م

[٤].معارف الحديث باللغة البنغالية، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية، داكا طبعة عام ٢٠٠٧م

هذا العام وسيكون طبع ثلاثة مجلدات أخرى.[١]

٣- سنن دار قطني لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٣٨٥هـ

قام بترجمته فضيلة الشيخ أبو الكلام بإشراف المؤسسة الإسلامية. وطبع المجلد الأول في هذا العام وسيكون طبع ثلاثة مجلدات أخرى.[٢]

٤- إعلاء السنن للعلامة جعفر أحمد عثماني المتوفي سنة ١٣٩٤ هـ

قام بترجمته العالمان من العلماء البارزين وقام بمراجعته ٤ من العلماء البارزين. وذلك بإشراف المؤسسة الإسلامية في داكا.وطبع في أربعة مجلدات ابتداء من عام ٢٠٠٥م.[٣]

وهناك عدد من كتب الحديث الشريف باللغة البنغالية بعضها مترجمة إليها وبعضها مؤلفة بها. ككتاب الأحاديث القدسية للعلامة محمد المدني بترجمة ممتاز الدين أحمد، وكتاب الترغيب والترهيب بترجمة مولانا محمد سعيد الحق ومولانا محمد مجيب الرحمن ومولانا محمد إمداد الله. وككتاب ألف حديث من تأليف مولانا محمد مجيب الرحمن وكتاب الأحاديث الأربعون من تأليف محمد رضاء الكريم إسلام آبادي وكتاب الحديث الشريف(الجزء الأول والجزء الثاني) من تأليف مولانا محمد عبد الرحيم وغيرها من الكتب.

خامساً: العلماء البارزون لهم إسهامات في الترجمة إلى اللغة البنغالية ومناهجهم فيها:

المترجمون لصحيح البخاري: [٤]مولانا قاضي معتصم بالله، مولانا محمد عبد الجليل، مولانا مشرّف حسين، مولانا أبو الفتاح محمد يحيى، مولانا محمد سراج الحق، مولانا محمد إسماعيل، مولانا خالد سيف الله، مولانا إسحاق فريدي، مولانا عبد الرب، مولانا أبو طاهر مصباح، مولانا محبوب الرحمن بهويان، مولانا روح الأمين خان، مولانا عبد المؤمن، مولانا قطب الدين، مولانا مشتاق أحمد، مولانا عبد المتين، مولانا قاضي أبو هريرة، مولانا عبد النور، مولانا رفيق الله نسارابادي، مولانا محمد فاروق مولانا سيد محمد علي، مولانا محمد هلال الدين، مولانا مزمل حق، مولانا عبد الخالق، مولانا عبد الرزاق، ومولانا محمد أفلاتون قيصر ومولانا عتيق الرحمن

المراجعون لترجمة صحيح البخاري: [٥] مولانا عبيد الحق، مولانا قاضي معتصم بالله، مولانا رضاء الكريم إسلام آبادي، فضيلة الشيخ محمد عبد السلام، الدكتور قاضي دين محمد، مولانا روح الأمين خان، مولانا إي.كي.إم. عبد السلام، مولانا فريد الدين مسعود، مولانا أمين الإسلام، مولانا محمد فريد الدين عتار، مولانا إمداد الحق، مولانا عبد المقيت شودوري. ومولانا عبد المنان طالب.

مناهج ترجمة صحيح البخاري:[٦]

- ذكر السند الكامل في النص العربي للحديث واكتفاء بذكر الراوي الأول من السند واسم الصحابي في

---

[١]. سنن الدارمي باللغة البنغالية،المجلد الأول، بنغلاديش إسلاميك سنتر،طبعة عام ٢٠١١م

[٢]. سنن دار قطني باللغة البنغالية،المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية،داكا،،طبعة عام ٢٠١١م

[٣]. إعلاء السنن باللغة البنغالية،المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية،داكا،،طبعة عام ٢٠٠٥م

[٤]. المجلد الأول من صحيح البخاري باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية و أدهونيك بروكاشوني

[٥]. المجلد الأول من صحيح البخاري باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية و أدهونيك بروكاشوني

[٦]. المرجع السابق

نهاية السند في الترجمة وذكر اسم الراوي الأخير من السند فقط في بعض الإصدارات.

- في حالة تحويل في السند ذكر اسم الراوي المحول إليه مع الراوي الأول

- كتابة اللفظ العربي والأردو والفارسي بالبنغالية بمقارنة الحروف الهجائية من تأليف المؤسسة الإسلامية

- استخدام الرموز الحرفية للجمل الاعتراضية كـ" صلى الله عليه وسلم" و"عليه السلام" و"رضي الله عنه وعنها وعنهم" و"رحمة الله عليه وعليها وعليهم".

- عدم تكرار العبارات التي تدل على الدعاء في نهاية أسماء الرواة المذكورة تسلسلا دون الانقطاع، مثل: "أنس وعباس وأبو هريرة – رضي الله عنهم"

- إحالة الآيات القرآنية برقم السورة فرقم الآية في النص المترجم وليس الهامش.

- ذكر الكتاب والباب والنص بالعربية ثم الترجمة بالبنغالية

- في الهامش بيان الغموض والناسخ والمنسوخ وبعض الأحكام مع إحالة الكلام إلى المرجع.

المترجمون لصحيح مسلم: [١] مولانا رضاء الكريم إسلام آبادي، مولاناقطب الدين، مولانا عبد بن سعيد جلال آبادي، مولانا مؤمن الحق، مولانا أبو البشر أكوند، مولانا مشتاق أحمد، مولانا محمد عبد الجليل، مولانا رحمتي، مولانا محمد موسى، مولانا أحمد حسين، مولانا برهان الدين، مولانا خورشيد الدين، مولانا حماية الدين، مولانا عبد التين مسعودي، مولانا محمد إسماعيل، فضيلة الشيخ مأمون الرشيد.

المراجعون لترجمة صحيح مسلم: [٢] مولانا عبيد الحق، مولانا قاضي معتصم بالله، مولانا رضاء الكريم إسلام آبادي، مولانا محمد عبد السلام، الدكتور قاضي دين محمد، مولانا روح الأمين خان، مولانا فريد الدين مسعود، مولانا إي.كي.إم. عبد السلام، مولانا حسن عبد القيوم، مولانا مفضل حسين خان، مولانا لطف الحق، مولانا إسحاق فريدي ومولانا محمد سعيد الحق. مولانا محمد أفلاتون قيصر

أما المناهج التي سار عليها المترجمون في ترجمة صحيح مسلم فهي نفس مناهج ترجمة البخاري.

المترجمان لجامع الترمذي: [٣] مولانا فريد الدين مسعود ومولانا محمد موسى

المراجعون ترجمة جامع الترمذي: [٤] مولانا عبيد الحق، مولانا قاضي معتصم بالله، مولانا رضاء الكريم إسلام آبادي، مولانا محمد عبد السلام، الدكتور قاضي دين محمد، مولانا روح الأمين خان، مولانا فريد الدين مسعود، مولانا إي.كي.إم. عبد السلام، مولانا حسن عبد القيوم، مولانا مفضل حسين خان، مولانا لطف الحق، مولانا إسحاق فريدي، ومولانا محمد سعيد الحق.

أما المناهج التي سار عليها المترجمون في ترجمة جامع الترمذي فهي نفس المناهج التي اتبعها

---

[١]. المجلد الأول من صحيح مسلم باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية و وبنغلاديش إسلاميك سنتر

[٢]. المجلد الأول من صحيح مسلم باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية وبنغلاديش إسلاميك سنتر

[٣]. المجلد الأول من جامع الترمذي باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية وبنغلاديش إسلاميك سنتر

[٤]. المرجع السابق

المترجمون في ترجمة صحيح مسلم وترجمة صحيح البخاري ويضاف إليها ما يلي:

- ترجمة قوله" وفي الباب" بالبنغالية " وفي هذا الموضوع" و" قال أبو عيسى" أو " آراء العلماء الآخرين" بأنه "قال أبوعيسى – رحمه الله -" باللغة البنغالية.

- سرد رأي إمام أبي حنيفة عند مناقشة أقوال العلماء

- " كراهية" أحياناً ترجم بـ" مكروه" وأحياناً بـ"حرام".[١]

مترجم سنن النسائي: مولانا رضاء الكريم إسلام آبادي

المراجعون لترجمة سنن النسائي: مولانا محبوب الحق، مولانا عبد الملك، فضيلة الدكتور أبو بكر رفيق أحمد، فضيلة الدكتور أبو الكلام بتواري، فضيلة الدكتور أ.ف.م. أبو بكر الصديق.[٢]

أما المناهج التي سار عليها المترجمون في ترجمة سنن النسائي فهي نفس المناهج التي اتبعها المترجمون في ترجمة صحيح مسلم وترجمة صحيح البخاري ويضاف إليها ما يلي:

- عند الترجمة اعتمد على النسخة المطبوعة في الهند.[٣]

المترجمون لسنن ابن ماجه: مولانا إمداد الله، مولانا سعيد الحق، مولانا عبد الجليل ومولانا محمد موسى.

المراجعان لترجمة سنن ابن ماجه: الدكتور أ. ف. م.أبو بكر الصديق وإي.بي.إم.عبد السلام.[٤]

أما المناهج التي سار عليها المترجمون في ترجمة سنن ابن ماجه فهي نفس المناهج التي اتبعها المترجمون في ترجمة صحيح مسلم وترجمة صحيح البخاري.

المترجمون لسنن أبي داود: مولانا يعقوب شريف، مولانا أ. ف.م. أبو بكر الصديق ومولانا نور محمد

المراجعان لترجمة سنن أبي داود: مولانا يعقوب شريف ومولانا محمد موسى [٥]

و المناهج التي سار عليها المترجمون في ترجمة سنن أبي داود هي مناهج ترجمة صحيح البخاري.

- **المترجمون لكتاب مشكاة المصابيح:** [٦] مولانا فضل الكريم، فضيلة الشيخ خان بهادر أحسن الله ومولانا نور محمد عظمي ومولانا محمد أفلاتون قيصر ومولانا إي بي إم عبد الخالق معجمدار.

و أما المناهج التي سار عليها في ترجمة هذا الكتاب في أحد عشر مجلدً فهي:

- استخدام اللغة السهلة والبليغة والتركيز على الترجمة الحرفية خوفاً من وقوع الخطأ في استنباط الأحكام

- زيادة الألفاظ أو نقصها لبيان المعاني على الوجه المطلوب.

- سرد الشرح بعد ترجمة الحديث مباشرة وترجيح آراء المتقدمين باعتبارهم أعلم منا

- استعمال الألفاظ والمصطلحات الإسلامية، عند استعمال العربية والفارسية وضع اللفظ البنغالي في

---

[١]. مقدمة المرجع السابق

[٢]. المجلد الأول من سنن النسائي باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية

[٣]. مقدمة المرجع السابق

[٤]. المجلد الأول من سنن ابن ماجه باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية و أدهونيك بروكاشوني

[٥]. المجلد الأول من سنن أبي داود باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية وبنغلاديش إسلاميك سنتر

[٦]. المجلد الأول من المشكاة باللغة البنغالية

القوسين

- الاستعانة بكتاب "الأشعة اللمعة " ترجمة المشكاة بالفارسية للشيخ عبد الحق الدهلوي

- **المترجمون لكتاب رياض الصالحين:** [١] مولانا شمس الحق خان، مولانا سعيد أحمد ومولانا عبد المنان طالب ومولانا إي إم إم سراج الإسلام.

المراجعون لترجمة كتاب رياض الصالحين: مولانا عبد المنان طالب، مولانا محمد موسى ومولانا مزمل حق

وأما المناهج التي سار عليها في ترجمة هذا الكتاب فهي: [٢]

- اختيار اللغة السهلة والبليغة وترك الألفاظ الغريبة وعدم استخدام الكلمات الخفيفة المؤدية إلى الخلل

- كتابة الهوامش الضرورية لعوام الناس وترجمة الشروح والتعليقات التي وضعت بيد الإمام النبوي

- وضع نص الحديث والتعليقات عليه في فقرات فاصلة بينهما.

- بيان مصطلحات علم الحديث في المقدمة لتيسير فهم درجات الحديث التي بينها الإمام النبوي.

- **المترجم لموطأ مالك:** مولانا محمد موسى ولا يوجد المراجع له.ومناهج ترجمة هذا الكتاب هي نفس المناهج التي اتبعها المترجمون في ترجمة صحيح مسلم وترجمة صحيح البخاري.

- **مترجم كتاب معارف الحديث:** مولانا أبوسعيد محمد عبد الحي والمراجع: إي كي إم عبد السلام.[٣]

- **مترجم كتاب الأدب المفرد:** مولانا محمد موسى.[٤]

- **مترجم كتاب سنن الدارمي** المراجع له مولانا محمد موسى.

- **مترجم كتاب سنن دار قطني:** مولانا أبو الكلام[٦]

- **المترجمون لـ إعلاء السنن:** [٥]مولانا إسحاق فريدي، مولانا سيف الإسلام ومولانا أبو طاهر مصباح

و الكتب المترجمة المذكورة بعد موطأ الإمام مالك ليس لترجمتها منهج خاص الذي سار عليه المترجمون.

سادساً: فوائد الترجمة ومشاكلها في واقع بنغلاديش والحلول المقترحة لها:

أ- فوائد الترجمة: للترجمة فوائدها ذكرها مؤلف كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن.[٦] وإن كانت هي فوائد ترجمة القرآن الكريم ولكنها تعود كذلك على فوائد ترجمة الحديث الشريف، وهذه الفوائد هي:

- رفع النقاب عن جمال الحديث الشريف ومحاسنه لمن لا يستطيع أن يراها بمنظار اللغة العربية واللغة الأردية واللغة الفارسية من المسلمين أهل اللغة البنغالية، وتسهيل فهمه عليهم من خلال

---

[١]. المجلد الأول من كتاب رياض الصالحين باللغة البنغالية،طبعة بنغلاديش إسلاميك سنتر وإسلامية قرآن محل عام ٢٠٠٠م و٢٠٠١م

[٢].المرجع السابق

[٣]. المجلد الأول من كتاب معارف الحديث باللغة البنغالية،طبعة المؤسسة الإسلامية عام ٢٠٠٧م

[٤]. كتاب الأدب المفرد باللغة البنغالية،طبعة المؤسسة الإسلامية عام ١٩٨٤م

٦.المجلد الأول من سنن الدارمي من طبعة إسلاميك سنتر وسنن دار قطني باللغة البنغالية من طبعة المؤسسة الإسلامية

[٥]. المجلد الأول من كتاب إعلاء السنن باللغة البنغالية،طبعة المؤسسة الإسلامية عام ٢٠٠٥م-٢٠٠٩م

[٦]. مناهل القرآن في علوم القرآن ١٣٧/٢-١٣٩

الترجمة.

- دفع الشبهات بالحديث نسبها إليها أعداء الإسلام وبعض المسلمين الضعفاء في الإيمان والمنكرين للسنة.

- تنوير غير المسلمين في حقائق الإسلام وتعاليمه خلال الحديث وإعطاء الفكرة النيرة حول السيرة النبوية

- إزالة الحواجز التي وضعوها الماكرون بأكاذيب افتروها تارة على الإسلام وأخرى على نبي الإسلام- صلى الله عليه وسلم- ونسبوا هذه الأكاذيب والمفتريات إلى القرآن الكريم وإلى تاريخ الرسول وسيرته العطرة.وكان الرد عليهم بلسان بعض بني جلدتهم إذ يقول الكاتب الانجليزي " برناردشو": لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى بدين الإسلام بطابع أسود حالك، إما جهلاً وإما تعصباً، إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه، فعندهم أن محمداً كان عدواً للمسيح، ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب، وفي رأيي أنه بعيد جداً من أن يكون عدواً للمسيح، إنما ينبغي أن يدعى منقذ البشرية...[١]

- براءة الذمة من واجب تبليغ الحديث بلفظه ومعناه إذ الترجمة باللغة البنغالية جمعت بين نص الحديث الشريف باللغة العربية وبين معاني الحديث الشريف على ما فهمه المترجم والشارح له باللغة البنغالية. والحديث الشريف هو الوحي الذي يصح تبليغه بمعناه دون لفظه كما يرى بعض علماء الحديث.[٢]

ب- مشاكل الترجمة وحلولها المقترحة في واقع بنغلاديش:

لا شك في أن ترجمة الحديث الشريف في بنغلاديش يتمثل في إيجابيات مشكورة غير أنه لا يسلم من السلبيات والمشاكل تنتظر حلولها السريعة.وفيما يلي بعض هذه المشاكل والحلول المقترحة لعلها تعين – بفضل الله–على أداء هذه الرسالة العظيمة:

١- مناهج ترجمة الحديث ومراجعتها غير موحدة لدى جميع الجهات القائمة على ترجمة كتب الحديث.والحل الوحيد لهذه المشكلة هو تطبيق مناهج ترجمة الحديث الموحدة بين جميع الجهات القائمة على نشاط الترجمة.

٢- عدم التنسيق بين الجهات التي تقوم بالترجمة سواء مؤسسات أو أفراد لما يؤدي إلى عدم الجودة والإتقان في بعض الكتب المترجمة.والحل لهذه المشكلة إقامة التنسيق والتعاون بين القائمين على هذا العمل. ٣- أزمات البيئة والوسائل الحديثة لعملية الترجمة.و الحل لهذه المشكلة تخصيص الأماكن المناسبة وتوفير لأجهزة والوسائل الحديثة لتتم الترجمة المثالية بعيدا عن المشاكل.

٤- عدم وجود تلقى الدعم الحكومي الكافي ولا الدعم الشخصي للترجمة إلا نادراً. والحل لهذه المشكلة التنسيق مع رجال الحكومة ومع الأغنياء في المجتمع وبيان أهمية الدعم المالي وفضل العمل الخيري.

٥- عدم الاستعانة بالخبراء الممتازين في دراسة الحديث وعدم اختيار المتخصصين في اللغة البنغالية.

---

[١]. نقلا عن مجلة ذي مسلم رفيو بلكهنو، الهند في جزء مارس سنة ١٩٣٣م

[٢]. منهم الإمام السيوطي وابن بطال وابن حجر العسقلاني، ينظر مناهل العرفان ١٣٩/٢

والحل لهذه المشكلة الاهتمام والاعتناء بترشيح من له البعد الثالث في اللغة وحسن أساليبها وخبرة الترجمة.

٦- عدم وجود مراكز ترجمة الحديث الشريف بعدد كاف وعدم استمرار الترجمة بصفة مستديمة.والحل لهذه المشكلة تكثيف الجهود والعناية بتوفير المراكز والمنظمات لترجمة الحديث وتوفير وسائل تشغيلها بصفة دائمة

٧- عدم وجود اللجنة المركزية للمراقبة والمتابعة للكتب المترجمة في الحديث الشريف. والحل المناسب تشكيل اللجنة الشرعية المركزية مهمتها تحقيق وتدقيق الأمور المذكورة سابقاً مساعدة لأداء الأمانة العلمية والدينية.

وفي الختام نسجل بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث المتواضع:

- إن نظام التعليم في بنغلاديش يتمثل في تعليم العلوم العصرية والعلوم الدينية والعلوم التقنية والمهنية
- دراسة الحديث وعلومه تحتل مكانة مرموقة بوجود جهود المؤسسات الحكومية والأهلية للتعليم الديني.
- تطور دراسة الحديث الشريف وعلومه في بنغلاديش مرت بمرحلتين: مرحلة قبل دراسة الحديث في المدرسة العالمية في كلكتا وفي دار العلوم معين الإسلام هات هازاري في شيتاغونغ. ومرحلة بعدهما.
- تاريخ الترجمة الأولى يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادي وكانت الترجمة الأولى إلى اللغة اللاتينية
- ترجمت كتب الحديث الشريف المختلفة إلى اللغة البنغالية من أهمها الكتب الصحاح الستة وغيرها.
- تبذل قصارى الجهود في ترجمة أمهات كتب الحديث من الجهات المختلفة – مؤسسات وأفراد.أهمها: المؤسسة الإسلامية وأدهونيك بروكاشوني وبنغلاديش إسلاميك سنتر والمكتبة الإمدادية في داكا.
- أول كتاب في الحديث الشريف ترجم إلى اللغة البنغالية هو " مشكاة المصابيح".
- أول كتاب كامل ترجم إلى اللغة البنغالية هو صحيح البخاري ترجم وطبع في عشرة مجلدات
- أكثر الكتب ترجمت في ضوء مناهج الترجمة وضعت من قبل المؤسسة الإسلامية بداكا.
- أكثر الكتب ترجمت وروجعت بأيدي نخبة من العلماء التخصصين في اللغة العربية واللغة البنغالية.
- أن ترجمة الحديث الشريف إلى اللغة البنغالية فيها إيجابيات مشكورة وفيها مشاكل قابلة للحلول.

١٤. الأساليب التعليمية في السنة النبوية: أسلوب القصة نموذجاً

د.وفاء بنت عبدالعزيز بن حمد الزامل

(جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، المملكة العربية السعودية /الرياض)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، وأهل التقوى والمغفرة.

له الحمد كله، وله الشكر كله، وله الثناء الحسن، له الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد الرضى، لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما نثني عليه، له الحمد كما هدانا، وله الحمد كما كفانا وآوانا، له الحمد بالإسلام، وله الحمد بالإيمان، وله الحمد بالسنة والقرآن، له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، هدانا للإسلام، وعلَّمنا القرآن، وأرسل لنا خير معلم ورسولٍ على مدى الأزمان.

لا يمكن الحديث عن القضايا التعليمية والمشكلات التي تواجه العاملين في هذا المجال دون اللجوء إلى الحديث عن الأساليب التعليمية باعتبارها ركيزة هامة في العملية التربوية، فالمعلم الناجح - كما يراه الكثيرون – هو الذي يحسن يستخدم هذه الأساليب، إضافة إلى العناصر الأخرى التي يجب أن يتمتع بها في المواقف التربوية المختلفة وإذا كانت هذه هي مكانة الأساليب التعليمية في المجال التعليمي فمن الضروري تسليط الضوء عليها بتركيز قوي يوضح هذه الحقيقة لمن يجهلها ويذكر المتغافلين عن أهميتها.

وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام القدوة العملية الحية للمسلمين إبان حياته بينهم، فقد استخدم عليه الصلاة والسلام أساليب تعليمية متنوعة لايصال الرسالة بأحسن أسلوب وأبلغه، ومن هذه الأساليب التعليمية المؤثرة أسلوب القصة، والتي سنلقي الضوء عليها خلال هذا البحث والذي نسأل الله تعالى أن ينفع به .

* أهداف البحث:

١/إلقاء الضوء على الأساليب التعليمية في السنة النبوية .

٢ / التعريف بالقصة النبوية، وإلقاء الضوء على خصائصها وأنواعها وأهدافها وآثارها التربوية.

٣/إبراز المنهج النبوي في عرض القصص.

4/ بيان الأثر التعليمي لأسلوب القصة باعتبارها وسيلة تعليمية جذابة وفعالة في إيصال المعلومات وشدّ الانتباه، ودورها في تكوين القيم والاتجاهات في نفوس المتعلمين.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها إسهاماً علمياً تعود بالنفع على المعلمين والمربين حيث يقفون من خلالها على الأساليب النبوية في التربية والتعليم، وخاصة أسلوب القصة، وما تضمنه هذا الأسلوب من مضامين تربوية في المحتوى والأهداف والطريقة التي يتم بها توصيل الأفكار، وتنشئة الأجيال تنشئة صالحة.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع والفهارس العامة.

مباحث البحث:

الأول: مفهوم القصة.

الثاني: خصائص القصص النبوي.

الثالث: أنواع القصص النبوي.

الرابع: الأهداف التربوية من القصص النبوي.

الخاتمة:وتتضمت أهم النتائج والتوصيات .

*** تعريف القصة لغة:**

القِصَّة: - بكسر القاف وتشديد الصاد المفتوحة – الأخبار المرويَّة، والأنباء المحكيَّة، وقد سمَّى الله تعالى ما حدَّثنا به في كتابه من أنباء الغابرين قصصاً، قال سبحانه:﴿ كَذلِكَ نَقُصُّ عَليكَ مِن أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [(١)]، وقال﴿ ذَلكَ مِنْ أَنبْاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَليكَ مِنْهَا قَائمٌ وَحَصِيدٌ﴾[(٢)]، وقال:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَليكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[(٣)]، وقال:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهم عِبْرَةٌ﴾[(٤)].

وأصل القصِّ عند العرب تتبُّع الأثر، قال ابن سيده: "قَصَّ آثارهم يقصّها قَصَّاً وقصصاً وتقصَّصها تتبّعها بالليل، وقيل: هو تتبُّع الأثر أي وقت كان"[(٥)]، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ...﴾ [(٦)] أي اتبعي أثره، وقال:﴿ فَارْتَدَّا عَلى آثَارِهِمَا قَصَصَاً﴾ [(٧)]، أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصّانِ الأثر[(٨)].

قال ابن فارس: "القصصُ يدلُّ على تتبع الشيء، مأخوذ من قولك: اقتصصت الأثر إذا تتبعته، ومن ذلك اشتقاق القِصاص في الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتصَّ أثره، ومن الباب القِصَّة والقَصص حيث يُتَتَبَّع الخبر فيُذكر، والصدر هو القَصُّ، وهو عندنا قياس الباب، لأنه متساوي العظام، كأن كل عظم منها يتبع الآخر، ومن الباب قَصُّ الشَّعر، وذلك أنك إذا قصصته فقد سوَّيت بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها"[(٩)].

ويراد بالقِصّه الخبر، ورواية الأمر والحديث، قال ابن منظور: "والقِصَّة الخبر، وقَصَّ عليَّ خبره يَقُصُّه قَصَّاً وقَصَصاً: أورده، والقَصص – بفتح القاف – الخبر المقصوص، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص – بكسر القاف – جمع القِصة التي تُكتب، وتَقَصَّص الخبر، تتبَّعه،

---

(١) سورة طه، الآية ٩٩.

(٢) سورة هود، الآية ١٠٠.

(٣) سورة يوسف، الآية ٣.

(٤) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٥) المحكم (١٠١/٦).

(٦) سورة القصص، الآية ١١.

(٧) سورة الكهف، الآية ٦٤.

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (٢٩٧٧/٣).

(٩) معجم مقاييس اللغة (١١/٥).

والقِصّة الأمر والحديث، واقتصصتُ الحديث، رويته على وجهه، وقصَّ عليه الخبر قَصَصاً، والقاصّ هو الذي يأتي بالقِصّة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها"[١].

وعلى هذا فالقصة في اللغة تقوم على معنى التتبع سواء كان التتبّع مادياً كقصّ العظام، وقصّ الشَّعَر، وقصّ الأثر، أو كان التتبع معنوياً كقصّ الأخبار، وقصّ الكلام، وهذا معنى ملحوظ في القصة التي هي الجملة من الكلام المقصوص، والقصة تكتسب هذا الاسم من معنى فعل القاصّ حين يقوم بقصّ القصّة، فهويأتي بها على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، ويقتفي آثار أحداثها في ترتيب بعضها على بعض متتبعاً الحدث من بدايته متدرِّجاً معه حيث ذروةُ الحدثِ وانتهاءً بالخاتمة، وكأن القاص في ذلك يحاكي قاصَّ الأثر وهو يتتبع آثار الأقدام على الأرض وفي منعرجات الدروب حتى يعرف مصير تلك الأقدام، ويصل إلى نقطة النهاية بالنسبة لها[٢].

*** القصة عند الأدباء:**

القصة في الاصطلاح الأدبي المتداول لم تستقر على مدلول محدَّد، فهي تارة تستعمل للدلالة على مشتملات الفن القصصي بعامة، من رواية وأقصوصة وحكاية ونادرة... وغيرها، وهي في بعض الأحيان تُسْتَخْدَمُ للدلالة على نوع من الفن القصصي لا يطول ليبلغ حدَّ الرواية، ولا يقصر ليقف عند حدّ الأقصوصة[٣].

يقول طاهر حجَّار في كتابه "الأدب والأنواع الأدبية": "من الصعب أن نعطي تحديداً شاملاً للقصة بحيث نفهم كل إمكانيات هذا النوع الأدبي الذي لم يثبت بعد، وفعلاً ما هو الفرق بين الرواية والقصة والقصة القصيرة..." [٤].

ويقول عز الدين إسماعيل في كتابه "الأدب وفنونه": "لعلَّنا لا نجاوز الحقيقة عندما نزعم أن عدم وجود تعريف محدد لمصطلح (القصة القصيرة) هو أهم الأسباب التي أوجدت الاختلاط بين القصة القصيرة وغيرها من الأنماط الأدبية"[٥].

كما أن اختلاف النُّقاد في تحديد العناصر الفنية للقصة الأدبية كان سبباً في اختلاف تعريفاتهم للقصة، إذ العناصر الفنية هي ضوابط التعريف، ويظهر هذا جلياً عند عرض تعريفاتهم للقصة، وهي كما يلي:

١ - اكتفى بعضهم بجعل القصة سرداً للأحداث ينتهي إلى غرض مقصود، وتأثير في قارئها:

- فقد عُرِّفت القصة بمدلولها الشامل في "المعجم المفصَّل في اللغة والآداب" بأنها: "لون من ألوان الأدب القصصي الذي يروي الأخبار على أنواعها ويعرض الأحداث، وينقل المآثر، ويسوق الحكايات والنوادر، وينسج الأساطير والخرافات؛ طلباً للمتعة والفائدة"[٦].

---

(١) لسان العرب (٧٣/٧، ٧٤).

(٢) القصص في الحديث النبوي للزير (٤٨).

(٣) انظر: المعجم المفصل في اللغة والآداب (٩٨٠/٢).

(٤) صـ (٩٩).

(٥) صـ (١٤)

(٦) (٩٨٠/٢).

- وعرَّفها مجدي وهبة وكامل المهندس في كتابهما "معجم المصطلحات" بأنها: "سَرْد لأحداثٍ لا يُشترط فيها إتقان الحبكة، ولكنه يُنسب إلى راوٍ، وأهميتها تنحصر في حكاية الأحداث وإثارة اهتمام القارئ أو المستمع، لا الكشف عن خبايا النفس، والبراعة في رسم الشخصيات"[١].
- وعرَّفها محمود تيمور بأنها: "عرض لفكرة مرَّت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثَّرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبِّر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القُرّاء محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه"[٢].
- وقال محمد يوسف نجم: "القصة مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثُّر والتأثير"[٣].
- وعرفها الأشقر بأنها: "فن حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرضٍ مقصود"[٤].
- وقال فاضل والي في مقالته: "جذور القصة في الأدب العربي": "القصة عبارة عن مجموعة من الأحداث الجزئية التي تقع في الحياة اليومية في المجتمع مرتبطة ومنظمة على وجهٍ خاص، وفي إطار خاص بحيث تمثل بعض جوانب الحياة وتجلوها في شتى وجوهها بغرض الوصول من خلال الوعي الكامل بالأحداث والظروف الاجتماعية إلى الحقائق الإنسانية مع عدم إغفال الحرص التام على جانب التسلية والإمتاع، وجانب التثقيف والتهذيب.."[٥].
- وعرفها فورستر بأنها "حكاية تتسلسل أحداثها في حلقات كحلقات فقرات الظهر، أو كدودة الأرض تتموج أجزاؤها في تتابع"[٦].
- وجاء تعريفها في كتاب "القصص النبوي"[٧] بأنها: "ذلك العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تصوير القاص لأحداث وقعت من بطل له وجود، لكنها نظمت على أساس أدبي أو عاطفي فقدِّم بعضها وأخِّرآخر وحذف بعضها وذكر آخر أو بولغ في تصويرها إلى الحد الذي يستأثر بعواطف القارئ أو السامع".

٢ - اشترط بعض النقاد اشتمال أي قصة على بداية ووسط ونهاية، فيتدرج الحدث من البداية إلى أن يبلغ ذروته (العقدة) ثم تأتي لحظة التنوير (النهاية)، من هؤلاء: رشاد رشدي في كتابه "فن القصة القصيرة "حيث تدرَّج فيه لوضع ضوابط للقصة القصيرة خَلُص في نهايته إلى أن القصة تصوير

---

(١) صـ (٢٨٩)

(٢) "فن القصص"، ص (٤٧)

(٣) "فن القصة"، ص ٩.

(٤) معجم علوم اللغة العربية، د.محمود بن سليمان الأشقر، (٣٢٠).

(٥) مجلة رؤى – العدد الرابع – السنة الأولى / شوال ١٤١٩هـ (ص ٤٢).

(٦) انظر: دراسات في القصة العربية الحديثة، محمد زغلول سلام (ص٣).

(٧) السيد شحاته, والسيد تقي الدين (ص٨).

حدث متكامل له بداية ووسط ونهاية، وتقوم بين أركانه الثلاثة – الشخصيات والحوادث والمعنى – علاقة عضوية كالعلاقة التي تقوم بين أعضاء الجسم الحي – كل منها يقوم على خدمة الآخر – فهي وحدة لا يمكن أن تتجزأ[١].

- وعزيزة مريدن في كتابها "القصة والرواية" حيث قالت: "القصة قالب من قوالب التعبير يعتمد فيه الكاتب على سرد أحداث معينة، تجري بين شخصية وأخرى أو شخصيات متعددة، يستند في قصها وسردها إلى عنصر التشويق، حتى يصل بالقارئ أو السامع إلى نقطة معينة تتأزم فيها الأحداث وتسمى "العقدة" ويتطلع المرء معها إلى الحل، حتى يأتي في النهاية"[٢].
- وعز الدين إسماعيل في كتابه "الأدب وفنونه" حيث اختار التعريف القائل: إن القصة القصيرة المحكمة هي سلسلة من المشاهد الموصوفة تنشأ خلالها حالة مسببة تتطلب شخصية حاسمة ذات صفة مسيطرة تحاول أن تحل نوعاً من المشكلة من خلال بعض الأحداث التي تتعرض لبعض العوائق والتصعيدات (العقدة) حتى تصل إلى نتيجة قرار تلك الشخصية النهائي فيما يعرف بلحظة التنوير أو الحل، في أسلوب يتميز بالتركيز والتكثيف الدلالي دون أن يكون للبعد الكمي فيها شأن كبير[٣].

وهذا هو تعريف ولسن ثوريلي للقصة كما جاء في ترجمة كتابه "كتابة القصة القصيرة"[٤].

*** القصة في الحديث النبوي:**

كان الرسول – ﷺ – أول من سلك نهج القرآن الكريم، وترسَّم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، حيث نجد الرسول – ﷺ – يتخذ من القصة أسلوباً مهماً من أساليب الدعوة، يحمِّلها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي عليها الصحابة، ويوجههم من خلالها إلى فهم هذا الدين عقيدةً في الفكر، وطريقةً في السلوك وواقع الحياة.

ومما يعكس لنا اهتمام الرسول– ﷺ – بالقصة في تعليم الصحابة وتربيتهم أنه كان يكرر القصة الواحدة أكثر من مرة وفي أكثر من مجلس، وربما كان السبب في ذلك هو تجدد الوافدين على مجلسه -عليه الصلاة والسلام -من المسلمين حديثاً، أو من الصحابة الذين كانوا يتعاقبون في الاستماع إليه، وربما كان السبب أيضاً ما يحرص عليه الرسول – ﷺ – من تقرير ما تهدف إليه القصة من غايات، وما تتحدث عنه من موضوعات في نفوس مستمعيه، وظاهر تكرار القصة الواحدة في أكثر من مناسبة تؤكدها وتنطق بها عدة نصوص في كتب الحديث، فقد جاء في سنن الترمذي عند رواية قصة أصحاب الأخدود"... قال: وكان – ﷺ – إذا حدَّث بهذا الحديث حدَّث بهذا الحديث الآخر، قال: كان

---

(١) ص ٩٢-٩٣.

(٢) ص ١٢

(٣) ص ١٤.

(٤) انظر مقالة أعدَّها: محمد محمد باشا بعنوان : [كتاب: كتابة القصة القصيرة تأليف: ولسن ثوريلي – ترجمة د. مانع حماد الجهني كضرورة أساسية للمكتبة الأدبية العربية] مجلة الدارة – العدد الرابع، السنة العشرون، رجب، شعبان، رمضان ١٤١٥هـ، ص ٢٤٢.

ملك من الملوك.."[1]، وعن قصة "الكفل من بني إسرائيل" قال ابن عمر - ﷺ-: "لقد سمعت من رسول الله – ﷺ – حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين – حتى عدَّ سبع مرات – ولكن سمعته أكثر من ذلك قال: كان الكفل من بني إسرائيل.."[2].

وقد اشتملت كتب الحديث المعتمدة – من صحاح وسنن – على نصوص قصصية كثيرة جداً، وهي متفاوتة طولاً وقصراً، كما تتفاوت أيضاً في حظها من بروز العنصر القصصي.

وقد فطن المحدثون الأوائل إلى هذه الأحاديث والتي تتميز بشكلها القصصي ونصُّوا على تسميتها قصة، ومن أمثلة ذلك عند البخاري قوله: "باب قصة الحبش"[3]، وقوله "باب قصة غزوة بدر"[4]، وقوله: "قصة يأجوج ومأجوج"[5] وغيرها، وعند مسلم كقوله: "حدثنا ابن عون عن محمد عن أنس بهذه القصة نحو حديث يزيد..."[6]، وقوله: "... ثم ذكر سائر الحديث بقصته..." [7]، وقوله: "... بهذا الإسناد، الحديث عن النبي – ﷺ – مجرداً عن سائر القصة.." [8]، كما نجد عند الترمذي في سننه هذا اللفظ كثيراً – أعني لفظ "القصة" – فغالباً ما يقول:" وفي الحديث قصة"[9] و"..فذكر قصة في هذا الحديث طويلة"[10]، "...وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة .." [11]، وكذا نجده عند أبي داود، وابن ماجه، والنسائي في سننهم.

ونجد في "كنز العمال"[12]: الكتاب الثالث من حرف القاف: كتاب القصص، وذكر قصة أصحاب الغار، وقصة موسى والخضر عليهما السلام، وغيرهما.

وجديرٌ بالذكر – ونحن نتحدث عن القصص في السنة النبوية – أن نفرِّق بين القصة في السنة والقصة في الأدب المعاصر، فقصص السنة محكوم بهدف التوجيه والتربية وليس بهدف التاريخ، والقائل له هو رسول الله – ﷺ – الذي أوتي جوامع الكلم، فكلامه عليه الصلاة والسلام قليل في مبناه كثير في معناه، وانطلاقاً من هذا نرى أن قصص السنة يتحقق فيه مدلول القصة بوجه عام سواء

---

(١) أخرجه الترمذي (التفسير/ ومن سورة البروج ح ٣٣٤٠) عن صهيب - ﷺ - ؛ وسيأتي تخريج الحديث تاماً في موضعه (الفصل الأول/ المبحث الثاني ص:٢٣٥)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣/٢ ح ٤٧٤٧)، وأبو يعلى في مسنده (٩٠/١٠ ح ٥٧٢٦)، والمزي في تهذيب الكمال (٣١٩/١٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٩/١٧)، من طرق عن الأعمش عن عبدالله الرازي عن سعد مولى طلحه عن ابن عمر – وفيه سعد مولى طلحة: مجهول – التقريب (٢٧٧) وانظر تخريجه مفصلاً في محلق الأحاديث الضعيفة في آخر البحث،ص :٥٩١.

(٣) (كتاب المناقب – الباب الثالث عشر) (١٢٩٨/٣).

(٤) (كتاب المغازي – الباب الثالث) (١٤٥٤/٤).

(٥) (كتاب الأنبياء- الباب العاشر) (١٢٢٠/٣).

(٦) (كتاب الآداب/ ح ٢١٤٤) (١٦٩٠/٣).

(٧) (كتاب الأشربة/ ح ٢٠٤٠) (١٦١٤/٣).

(٨) (كتاب اللباس والزينة ح ٢١٢٥) (١٦٧٨/٣).

(٩) انظـــــــــر: (٣٦٣/٢)، (١٩٦/٣)، (٢٢/٤)، (٤٣/٤)، (٧٧/٤)، (١٣١/٤)، ١٣٥/٤) (٢٣٦/٤)، (٣١٣/٤)، (٥٠٢/٤)، (٦٢٧/٤)، (٣٩/٥)، (٤٦/٥) وغيرها.

(١٠) (٢١٣/٤).

(١١) (٤٦٧/٣).

(١٢) لعلاء الدين علي بن حسام الدين الهندي الشهير بالمتقي، وفيه رتَّب كتاب "جمع الجوامع" للسيوطي.

قصرت نصوصه أو طالت بحسب الغرض.

ولا يمكن أن نخضع القصة النبوية للمقاييس النقدية المعاصرة، إذ لا يصح أن نخضع المتقدم – بظروفه الاجتماعية – ونقوّمه وفق ظروف تختلف في الزمان والمكان[(١)].

يقول د. طلعت عفيفي: "فمن خطل الرأي وفساد الاتجاه أن نضع أمامنا القصص النبوي الموحى به من الله، والضارب في أعماق الماضي لمدة تقدَّر بنحو ألف وأربعمائة سنة ونحاول أن نبحث فيه عن سمات قصة اليوم وعناصرها"[(٢)].

***خصائص القصص النبوي:**

امتاز القصص النبوي بخصائص فريدة ميزته عمَّا سواه من القصص، وتبدو هذه الخصائص جليَّةً لكل من قرأ هذه القصص وتأملها، ويمكن إجمال هذه الخصائص فيما يلي:

١ -القصص النبوي في غالبه – وخصوصاً التاريخي والغيبي المستقبلي – وحيٌ من الله عز وجل، وقد جاء ما يشير لذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[(٣)]، وقال ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٤)]، وقال ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[(٥)]، وقال﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[(٦)]. وهذه الميزة تضيف لصحيح القصص النبوي نوعاً من القداسة، وتزيد الثقة به وتقديره[(٧)].

٢ -القصص النبوي قصص هادف، أغراضه سامية، وأهدافه تربوية: فالمتأمل للقصص النبوي على اختلاف أنواعه يجد أنه يشترك في غرضه ومقصده، فهذه القصص إنما ساقها النبي – ﷺ – بغرض التربية والتوجيه والدعوة ترغيباً في الخير، وترهيباً من الشر، فما كان النبي – ﷺ – يعرض تلك القصص بمختلف أنواعها لذاتها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة، أي أنه لم يعرضها لذات الفن القصصي – وإن كان هذا يتحقق تبعاً – وإنما كان يعرضها وهو يستهدف بالدرجة الأولى المبادئ والأهداف السامية التي يريد نقلها لأمته[(٨)].

٣ -أصالة موضوعات القصص النبوي، وقوتها، وتنوعها:

فالمتأمل لموضوعات القصص النبوي يجد أنها من النوع الذي يثير في السامع أو القارئ كثيراً

---

(١) انظر: القصص في الحديث النبوي للزير (٨٩) وما بعدها.

(٢) مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية – دراسة تحليلية تربوية. (٢٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٤.

(٤) سورة هود، الآية ٤٩.

(٥) سورة يوسف، الآية ٣.

(٦) سورة النجم، الآية ٤.

(٧) الوسائل التعليمية في السنة النبوية – رواية ودراية – للعنزي (٢٣٦/١).

(٨) انظر: القصص في الحديث النبوي للزير (٤٢٧)، الوسائل التعليمية في السنة النبوية للعنزي (٢٣٧/١)، القصة في السنة النبوية وآثارها التربوية للعرياني (١٨)..

من الانفعالات، ويحرّك فيه شتى العواطف والمشاعر، ويجعله مرتبطاً بمتابعة القصة إلى نهايتها، وذلك لما تتمتع به الموضوعات في القصة من القوة والأصالة، بحيث تستهوي المتلقي وتشدّه إلى درجة أن يظل الموضوع حياً في تفكيره، عالقاً في ذهنه حتى بعد انتهائه من القصة بفترة طويلة.

ومما يمنح موضوعاته هذه الأصالة: ما يُلاحظ في أفكارها من العمق والغنى، إذ تتناول جوانب مهمة من قيم الإسلام ومبادئه، كما تتناول قضايا غاية في الخطورة كقضايا البعث والثواب والعقاب، بالإضافة إلى تناوله جوانب حية من حياة الإنسان وسلوكه وطبائعه بجوانبها المتعددة، وتحاول أحياناً أن تتغلغل في بواطن بعض القضايا التي ربما غابت عن وعي الإنسان، فتتناول موضوعات تهدف من ورائها إلى تبصيرنا ببعض الحقائق الخافية في باطن حياتنا، كما نجد مثل ذلك في قصة "الأم والرضيع" حيث تحاول القصة أن تصوِّر لنا الوجه الآخر لكلٍ من الراكب ذي الشارة، والجارية السوداء، وما ينطوي وراء الأول من حقيقة خافية هي الشرُّ والجبروت، وما وراء تلك الجارية المسكينة من خير وصلاح، كما تعكس ما ينخدع به الإنسان من مظاهر برَّاقة تحول بينه وبين أن يرى الحقيقة الناصعة، وكذلك في قصة "المتصدق على زانية وغني وسارق" فهي تعالج موضوعاً في غاية من الأهمية والخطورة، وبطريقة تحمل فكرة عميقة عن الحياة والمجتمع.

وأما الغنى في موضوعات القصة النبوية والتنوع فلا أدلُّ عليه من كثرة القصص التي تربو عن المئة قصة، وكل قصة تحمل فكرة أو أكثر، تعرض قضية ما أو جانباً من جوانبها، وكل حادثة أو موقف أو علاقة في قصة من القصص لابد أن تنتهي إلى تقرير فكرة أو نظرة أو مضمون ما[١].

٤ - الاهتمام بالناحية الشعورية: ونعني بذلك ترفُّع القصة عن قيود الزمان والمكان لتستوعب الحياة كلها وتبقى آثارها حتى بعد فناء الأشخاص المفتَرِضين فيها، يقول سيد قطب: "بعض القُصَّاص يصوِّر لنا الحوادث والشخصيات بغاية الدقة والبراعة من الناحية القصصية، ولكنه لا يتجاوز بنا محيط هذه الحوادث والشخصيات المحدودة ولا محيط الفترة الزمنية التي تجري فيها الحوادث...، وبعضهم يوقفنا- بعد الحوادث- وجهاً لوجه أمام الحياة كلها: سننها الخالدة و أوضاعها الكونية وأقدارها الشاملة"[٢].

٥ - الصدق: فالقصة النبوية لا تجنح إلى الخيال في اختيار موضوعاتها، وإنما تعمد إلى عالم الواقع، "فهي تخبر عن أمور حدثت، وشخصيات وجدت ليس فيها اختراع للشخصيات، أو تلفيق للحوادث"[٣].

٦ - الواقعية: حيث نقلت لنا القصة النبوية الشخصية الإنسانية بأمانة ودقة وواقعية، فصوَّرت الإنسان بمختلف جوانبه: الخير والشر والقوة والضعف، والإيمان والكفر، الإنسان كما خلقه الله بما فيه من جوانب روحية وجوانب مادية، واقع الإنسان وهو يهبط إلى الأرض وإلى رغبات الأرض،

---

(١) انظر المحاور الأساسية التي تنضوي تحتها وتلتقي عندها جميع الأفكار في كل قصة كما جمعها الزير في كتابه "القصص في الحديث النبوي"(٣٧٩ وما بعدها) .

(٢) النقد الأدبي – أصوله ومناهجه (٧٩) .

(٣) خصائص القصة الإسلامية، لجرار (٢٢٩).

وواقعه وهو يرتفع إلى مستوى نفخة الروح، وواقعه أيضاً وهو يصارع جوانب الشر ويدافعها وينتصر عليها في النهاية مؤكداً بذلك أصالة الخير فيه وقوته في كيانه.

وحين ننتقل إلى نصوص القصة نجد أن جانب الضعف الإنساني واضح في كثير من شخصياتها نجده مثلاً في شخصية "البغيّ" في قصة"جريج"، فهذه المرأة تُمثِّل دور الإثم والخطيئة بصورة قوية ومع أنها بغيّ، وهذا كافٍ في بيان إغراقها في الشر فإنها تتوغل في هذا السبيل الهابط وتتبرع للجماهير التي أغاظها صلاح العابد "جريج" بأن تقوم بإغرائه وإفساده، وحين تفشل في ذلك معه تتعرض للراعي وتمكِّنه من نفسها لتحمل منه، ثم تتهم بهذا الحمل ذلك العابد الصالح، ويشاركها في هذا الموقف الدنيء "الجماهير" التي شجعتها في بداية القصة على أن تفتن جريجاً وتصرفه عن عبادته، ثم قاموا بإيذائه حين اندفعوا في غير رويّة أو تثبُّت يضربونه ويشتمونه ويهدمون صومعته.

وفي قصة أخرى وهي قصة "الأقرع والأبرص والأعمى" نجد الأبرص والأقرع يمثلان جانب الجحود والنكران للجميل، والكفر السافر للنعمة التي أسبغها الله عليهما صحة بعد مرض، وغنى بعد فقر، ولكنهما يكفران ولا يشكران، وهو واقع موجود في نفس الإنسان الذي لم يلتزم تماماً بمنهج الإسلام:﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[1]، ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾[2].

والطغيان والجبروت والكفر بالله ناحية تلح عليها القصة النبوية في أكثر من قصة تعكس بها جانب الشر الذي ينطوي عليه نفوس الملوك بشكل خاص وذوي السلطان فتراها جلية في قصة "أصحاب الأخدود"، و "سارة امرأة إبراهيم عليه السلام والملك الجبار" وغيرها.

وكما رسمت القصة النبوية جانب الشر في الإنسان رسمت أيضاً جانب الخير والصلاح والفضيلة، ففي قصة "خشبة المقترض" مثلا ترى جوانب الخير البارزة في المُقرض والمُقْتَرِض، وقيمة الإيمان الكبرى المتمكنة في نفسيهما.

وفي قصة "الزائر أخاه في الله" نواجه مثلاً آخر يدل على أصالة هذه الناحية في النفس الإنسانية "حباً في الله" يترفع عن الأغراض الشخصية والمكاسب المادية.

كما تقدم لنا القصة النبوية صورة رائعة تصور قدرة الإنسان على الانتصار على ضعفه، وأن هذا الهبوط إنما هو تردٍّ يحدث في غيبة الإيمان، فما يلبث أن يفيق العبد وينتصر على شهواته ونزواته كما في قصة "أصحاب الغار" حيث كان رجل منهم قد مُكِّن من فعل الفاحشة بأمرأة كان يهواها فلما ذُكِّر بربه، استيقظت فطرته وارتعد جسده خوفاً من الله، فما كان منه إلا أن انصرف عنها لم يمسسها بسوء، واحتسب هذا عملاً خالصاً يتقرب به لله تعالى.

كما لفتت القصة النبوية الأسماع إلى جانب مهم، ألا وهو أن النفس العاصية قد يوجد فيها جوانب مضيئة مشرقة، كما في قصة البغي التي سقت كلباً فغفر الله لها، وقصة الرجل الخطّاء الذي طلب من أولاده أن يحرقوه بعد موته خشية لله، وكذا القاتل مئة نفس، فقد كان مجرماً مُغْرقاً في الإجرام يسفك الدماء وفي لحظة ما يدرك أنه أخطأ، ويسعى ويحاول هنا وهناك في حركة دؤوبة جاءت

---

(١) سورة عبس، الآية ١٧.

(٢) سورة العلق، الآية ٦-٧.

من أجل الانتصار على النفس والعودة لباريها[1].

٧ - الالتزام:

الالتزام في الأدب يعني أن ينحو الأديب بفنه إلى تحقيق المثل العليا في المجتمعات الإنسانية من خلال الدعوة إلى تثبيت الدعائم الخلقية، ولقد تجلَّى هذا المعنى بوضوح في القصة النبوية في مضمونها وفي طريقة أدائها، أما المضمون فإنه مستمد من عقائد الإسلام وأخلاقه، وأما طريقة الأداء فإن أبرز مظاهر الالتزام فيها استخدام الوسيلة النظيفة في التعبير والتصوير للشخصيات والمواقف، فليس فيها ما يثير الغرائز أو يدغدغ المشاعر، مع ما يَرِدُ فيها أحياناً من مواقف جنسية تصوِّر همَّ الرجل بالمرأة، إلا أنها تقدِّمه بأسلوب رفيع المستوى تتشح عباراته بالعفة، وترتدي أثواب النزاهة.

تأمل مثلاً هذه العبارات في قصة "جريج": "امرأة يُتمثل بحسنها"، "فأمكنته من نفسها فوقع عليها – أي الراعي"، وفي قصة أصحاب الغار": "أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء"، "فطلبت منها"، "فلما وقعت بين رجليها"، "اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه"، وفي قصة "أم الخبائث": "فَعلقته امرأة غويَّة"، "فلم يَرمْ حتى وقع عليها"، إنها إلماحات سريعة، وكنايات دقيقة تدل على المقصود ولا تفصِّل فيه، فلا تصِفُ المشاعر الجنسية، ولا تهتم بوصف محاسن المرأة، وتصوير مفاتنها، وما هي عليه من إغراء يثير كوامن خفية لقارئ أو سامع القصة، بل إن القصة النبوية تختار من نفس بطل القصة اللقطة المترفعة المستعلية النظيفة، التي تصلح للقدوة وتغري بالارتفاع، لا تصنع كما تصنع الفنون الحديثة المتأثرة بالتفسير الحيواني للإنسان، ولا تجعل من لحظة الضعف بطولة تستحق الإعجاب والتصفيق، إنها تعرضها عرضاً واقعياً خالصاً لا تقف عندها طويلاً، وإنما تسرع لتسلط الأنوار على لحظة التغلب على الضعف البشري، لأنها هي الجديرة بتسليط الأنوار عليها[2].

٨ - دقة الإيجاز وبراعة الإعجاز[3]: فعبارات القصة النبوية وسائر تراكيبها قصيرة موجزة، تتجلى في نظم متماسك جيد الفصل والوصل، خالٍ من أي نوع من أنواع التعقيد بالتقديم أو التأخير، بحيث يسترسل القارئ أو السامع مع القصة في متابعة جيدة لا يشعر خلالها بأدنى عناء أو تعثر[4]، جامعاً في أسلوبه بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة الكلام مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة ولا زلَّت له قدم، ولا بارت له حجة، لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه بعد القرآن الكريم من كلامه – ﷺ –[5].

٩ - بساطة التعبير وترك التكلُّف: وهي البساطة الزاخرة بالحياة والقوة التي تجعله أكثر تأثيراً وجاذبية؛

---

(١) القصص في الحديث النبوي (٤٦٨) بتصرف.

(٢) انظر: منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب (١٥٩)، القصص في الحديث النبوي للزير (٤٨٠).

(٣) جاء عددٌ من القصص النبوي في عبارات قصيرة وموجزة منها: قصة الهرة السجينة، وساقي الكلب اللاهث، والزائرأخاه في الله، والمميط الأذى عن الطريق، وغيرها كثير تجدها في ثنايا هذا البحث.

(٤) القصص في الحديث النبوي للزير (١٦٨).

(٥) البيان والتبيين للجاحظ (٢٢١/٢) – بتصرف -، وانظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي (٢٨٢).

نظراً لما يتمتع به من تنوع في الصياغة والتعبير حسب ما يتطلبه عرض القضايا، بعيداً عن البهرجة اللفظية أو المحسنات التي لا طائل تحتها.

١٠- استخدام أسلوب التشويق، وهذا عنصر ذو أهمية كبرى في إضفاء الحيوية على العمل القصصي وضمان استمرار المتلقي في متابعة الأحداث، وإثارة ترقّبه وتوقعاته المختلفة لما سيحصل في المستقبل[١].

١١- التأثير من خلال التصوير: فقد اعتمد كثير من القصص النبوي على التصوير الذي يشيع جواً من الحياة في ثنايا القصة بحيث تجعل المستمع والقارئ يتخيل هذه القصة كما وقعت فتوقع في قلبه التأثر كأنه يراها.

وقد برز التصوير في القصة النبوية في ثلاثة أنواع:

- تصوير المشاهد والمواقف.
- تصوير العواطف والانفعالات.
- تصوير الشخصيات[٢].

*** أنواع القصص النبوي:**

يمكن تقسيم القصص النبوي- باعتبار زمنه -إلى ثلاثة أنواع:

١ - القصص التاريخي: ومادة هذه القصص مأخوذة من أحداث التاريخ الواقعة فيما مضى من سالف الدهر، ولكن القصة التي يعرضها الرسول – ﷺ – هنا يلاحظ أنها منتقاة من تلك المواد التاريخية السابقة، إذ حرص – عليه الصلاة والسلام – على تقديم ما له أثر في التربية والتوجيه وتأييد أهداف الدعوة الإسلامية وتحقيق أغراضها، دون الاعتناء بكل تفاصيل الواقعة التاريخية، وعند النظر إلى هذا النوع من القصص يمكن تصنيف قصصه إلى ثلاثة أنواع: قصص الأنبياء والمرسلين، قصص بني إسرائيل، قصص لم يحدد زمانها ولا مكانها ولا أقوامها. والجامع بينها كلها أنها وقعت في الزمن الماضي، مما لم يشهده رسول الله– ﷺ – ولا صحابته، فجاء خبره إلى رسول الله – ﷺ – عن طريق الوحي فقصَّه وبينَّه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوى. إِنْ هُو إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٣].

٢ - القصص الذاتي الشخصي الواقع لرسول الله – ﷺ – في حياته قبل البعثة أو بعدها، وهي أحداث حقيقية صادقة نبعت من واقع حياة النبي – ﷺ – الحافلة بجلائل الأعمال، وقصَّها للعظة

---

(١) من صور التشويق في القصص النبوي: * "طرح السؤال قبل سرد القصة: كسؤاله قبل قصِّ رؤياه "هل رأى أحد منكم رؤيا؟"، وكسؤاله في قصة الشفاعة : أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟".

* الغموض والإبهام في أحداث القصة وتأجيل كشفه لآخر القصة، كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وقصة رؤياه للمعذبين في البرزخ.

* تحويل مجرى الأحداث كما في قصة الغلام والساحر والراهب.

انظر تفصيل ذلك :قصص الحديث النبوي للزير (٢٠٧)وما بعدها .

(٢) انظر تفصيل هذه الميزة في كتاب "القصص في الحديث النبوي" للزير (١٦٩-١٧٧)، ومقالة: "خصائص الأسلوب في القصص النبوي" لعبدالباسط أحمد حمودة – مجلة المنهل – العدد (٥٣٩)، المجلد (٥٨) العام (٦٢) ذو الحجة ١٤١٧هـ، ص ٣٦-٤٠.

(٣) سورة النجم، الآية ٣-٤.

والاعتبار والاقتداء. "وهذه القصص أشبه ما تكون بالسيرة الذاتية التي يسجلها الإنسان عن بعض ما يمرُّ به في حياته، والرسول – ﷺ – في هذا النوع ينتخب أهم تجاربه الذاتية، ويتخيَّر أكثرها إثارة ليقصها على أصحابه مستهدفاً من وراء ذلك ما يحققه غرض هذه التجارب من تعميق الإيمان"[(١)].

٣ - القصص الغيبي المستقبلي: وهذا النوع يمثله عدد من القصص ذي موضوعات شتى تتناول أموراً مختلفة، ولكن رابطاً واحداً يجمعها كلها ويشكل قاسماً مشتركاً بين كل قصة من هذه المجموعة وأختها، وهو أنها كلها تتحدث عن أمور غيبية خاصة – دنيوية أوأخروية – ولا سبيل على الإطلاق إلى معرفة أي شيء منها إلا عن طريق الوحي، وهذا النوع من القصص يؤيد صدق نبوة محمد – ﷺ –، ويعمِّق الإيمان بالغيب في نفوس سامعيه، ومع هذا كله فهو معين لا ينضب من التوجيهات و الدروس التربوية التي تنفع من تأملها[(٢)].

*** أهداف القصص النبوي:**

مرَّ بنا أن من خصائص القصص النبوي سمو أهدافه وغاياته، والمتأمل للقصص النبوي يرى اشتراكه جميعاً في هدف واحد أسمى هو الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه.

وإن كان لكل قصة أغراض تفصيلية جزئية تبدو لمن أمعن النظر فيها إلا أن هذه الأغراض تصبُّ مجتمعة في الغاية العظمى وهي الدعوة إلى الله تعالى.

ونحن إذ نتحدث عن أهداف القصص النبوي فإننا نعني الأهداف الرئيسة العامة التي هي بمثابة المحور المشترك بين جميع القصص النبوي أو أغلبها، أما الأهداف الجزئية والعبر التفصيلية فإنك ستجدها في موضعها عند تحليل الأحاديث.

ويمكن إجمال أهداف القصص النبوي العامة فيما يلي:

١ - بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة وتثبيتها في نفوس المستمعين: وأهم قضية في أمور العقيدة هي قضية التوحيد، وبيان عظمته، وأهميته، والتحذير من الشرك وبيان سوء عاقبته.

ففي قصة "بطاقة أثقل من تسعة وتسعين سجلاً" تبرز لنا أهمية كلمة التوحيد، فهي المنقذ الوحيد لذلك الرجل الذي نُشِر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، وفي قصة "يحيى -عليه السلام- يؤمر بخمس كلمات" تجد أول تلك الخمس التي أعلنها يحيى -عليه السلام- على الناس هي أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وفي قصة "إبراهيم- عليه السلام -

---

(١) القصص في الحديث النبوي للزير (٣٣٣) – بتصرف -.

(٢) عدَّ بعض من صنَّف في القصص النبوي القصة التمثيلية نوعاً من أنواع القصص النبوي منهم: السيد شحاته والسيد تقي الدين في "القصص النبوي" (٩٠٨)، والزير في كتابه "القصص في الحديث النبوي" (٣٤٤) فقال: "القصة التمثيلية نوع من القصة النبوية يضربها النبي – ﷺ – مثالاً للفكرة المطروحة أو القضية المقررة، بصرف النظر عن كون هذا المثال قد وقع فعلاً من الناحية التاريخية أو لم يقع"، وتبعه في هذا: د. مأمون فريز جرار في كتابه "خصائص القصة الإسلامية" (١١٥)، وبدر محمد ملك في كتابه "قصص رواها الرسول – ﷺ –" (١١)، و سعيد نزال العنزي في رسالته "الوسائل التعليمية في السنة النبوية" (٢٣١)، والذي يظهر لي – والله أعلم – أنها ليست قصصاً بل هي من باب ضرب الأمثال وتقريب المعاني، وقد مثَّل الزير على هذا النوع بثمانية أحاديث، ولم أجد فيها ما يمكن أن يطلق عليه لفظ قصة، وإنما هي أخبار ومشاهد وأمثال كما جاء النص فيها بقول رسول الله – ﷺ – "مثل كذا ككذا وكذا"..

يلقى أباه أزر في عرصات القيامة" تجد قبح الشرك وسوء عاقبته.

ومن الجوانب العقدية التي تكررت كثيراً في القصص النبوي إثبات صفات الله تعالى التي تدل على جلاله وكماله سبحانه، فهو الرحمن الرحيم الذي يقبل التوبة، وهو الكريم الذي يعطي بلا حساب، وهو العليم الحكيم سبحانه، وهو المهيمن المتصرف في هذا الوجود فلا يقع فيه شيء صغر أو كبر إلا بأمره وإذنه، فمثلاً في قصة "سليمان- عليه السلام -يرزق بنصف إنسان" نجد تربية المسلم على تعليقه أموره المستقبلية بمشيئة الله وإذنه، فهذا سليمان – عليه السلام – نبي الله يُحرم من تحقيق مراده وغايته النبيلة من إنجاب مجاهدين في سبيل الله بسبب غفلته عن التعليق بمشيئة الملك الوهاب.

وفي قصة "المتألي على الله" القائل: "والله لا يغفر الله لك" نجد النهاية المؤلمة، والهلاك المحقق لمن تقوَّل على الله وادَّعى عليه مالا علم له به.

كما تجد في بعض القصص التأكيد على أهمية التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، كما في قصة "سبعون ألفاً من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب"، وقصة "خشبة المقترض"، وفي قصة "النبي الذي أعجب بقومه" تجد النبي – ﷺ – يلفت الأسماع في نهاية القصة إلى علاج العُجب بهذا الدعاء النابض بالتوكل والاعتراف لله تعالى بالحول والقوة "اللهم بك أقاتل وبك أصاول ولا حول ولا قوة إلا بك".

ومن قضايا العقيدة المهمة التي وقفت معها القصة النبوية كثيراً قضية البعث والنشور والإيمان باليوم الآخر.

٢ - إثبات صدق نبوة محمد – ﷺ –، وإبراز مكانته العليا عند ربه سبحانه: فالرسول – ﷺ – وهو الأميّ الذي لم يكن يحسن القراءة والكتابة، ولا عُرف بطلب العلم عمَّن كان يحسنه من عرب الجاهلية أو غيرهم من أهل الكتاب، يتلو على قومه هذه القصص، وقد جاء بعضها في دقة وإسهاب، وهذا مما يؤكد أنها وحي من الله تعالى، قال تعالى:﴿ تِلكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيبِ نُوحِيهَا إليكَ مَا كُنتَ تَعلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَومُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العاقِبةَ للمُتَّقِينَ ﴾[1].

وقد جاء في بعضها التنويه بمكانة محمد – ﷺ – العظيمة عند ربه سبحانه، كما في قصة "الإسراء والمعراج"، وقصة "الشفاعة"، وقصة "سبعون ألفاً من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب"، و"تفاؤل رغم الجراح" فمن تأمَّل هذه القصص وغيرها وقف على تكريم الله سبحانه لنبيه محمد-ﷺ- واعتنائه بشأنه.

٣ - إبراز النماذج الإيمانية الخيّرة المشرقة المتعاقبة على مدى الأزمان للاقتداء بها:

فمنذ أن خلق الله الأرض ومن عليها لم تخلُ من نماذج خيِّرة كالأنبياء والمرسلين ومن نهج طريقتهم واهتدى بهديهم.

فالأفراد – كما هو ملاحظ – يميلون إلى محاكاة سلوك الأشخاص الذين يتمتعون

---

(١) سورة هود، الآية ٤٩.

بمكانة اجتماعية مرموقة، أو خصائص جذابة أكثر من محاكاتهم لأفراد لا يمتلكون مثل هذه السمات[١].

وكمال القدوة والتميز الذي يغري بالاقتداء والمحاكاة متوفر في أنبياء الله – عليهم السلام – والرسل كما هو معلوم من بني آدم لهم خصائص البشر وصفاتهم لا يخرجون عن صفتهم البشرية، ولكن الله – عز وجل – اصطفاهم وأنعم عليهم باختيارهم رسلاً للناس وخصَّهم لذلك ببعض الخصائص والصفات التي لا يشترك معهم بقية البشر فيها، ولله عز وجل الحكمة البالغة في كون الأنبياء بشراً، فلو لم يكونوا كذلك لم يكن هناك مجال للاقتداء بهم والتأسي بأحوالهم[٢].

والقصة النبوية لم تقف عند حد الترغيب في الاقتداء بالأنبياء فقط، بل إنها في كثير من الأحيان تبرز أشخاصاً أخرين ليسوا بأنبياء، لكنهم اشتهروا بمواقف نبيلة وأخلاق حميدة، كانت سبباً لتخليد ذكراهم كقصة "خشبة المقترض" و"الورع وأثره في النفوس" و "أصحاب الغار" و"فضل الرفق في المطالبة" و"ساقي الكلب اللاهث" و"صوت في سحابة" و"الخطّاء التوَّاب" وغيرها.

٤ - الاعتبار والاتعاظ لما جرى للأمم السابقة:

"لقد اختار رسول الله – ﷺ – من قصص الماضين ما يفيض بالعظة المؤثرة، ولا شك أن تأثير الموعظة يكون أشد وأنفذ إلى القلب حين تبدو عبرتها من خلال عرض قصصي"[٣]، والاعتبار بالوقائع والأحداث والأخبار الماضية، إنما هي من نصيب العقلاء الذين ينظرون ويتفكرون ويتدبرون، فتتأثر قلوبهم وعقولهم مما علموا أو شاهدوا، وتستجيب نفوسهم لدواعي الخير والبر، وتنصرف عن وساوس الشر ودواعي الإثم، فالذي يمر على العظة والعبرة، دون أن يدركها ويتأثر بها أو يعتبر عندها يكون كمن فقد عقله، أو فقد بصره، وتبلَّد شعوره وإحساسه، وتجمد تفكيره وإدراكه[٤].

فالنبي – ﷺ – ما ساق قصص الماضين قاصداً التأريخ للأحداث والوقائع وإنما كان مقصده الاعتبار بما فيها، فتراه مثلاً في قصة "النبي المعجب بقومه" يبرز العبرة من هذه القصة محذراً من العجب بالنفس والقوة والكثرة، فيصدع بدعائه "اللهم بك أقاتل وبك أصاول ولا حول ولا قوة إلا بك "اعتباراً بما جرى لهذا النبي قبله.

وسار على هذا النهج بعده صحابته فتجد أبا هريرة - رضي الله عنه – بعد روايته لحديث "المتألي على الله" يحذّر من زلّات اللسان فيقول: "تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته".

٥ - التربية بالترهيب والترغيب، وهي نابعة أساساً مما رُكِّب في النفس الإنسانية من طبيعتي الخوف والرجاء المتقابلتين في هذه النفس من ناحية والمتجاورتين فيها من ناحية أخرى، والخوف والرجاء

---

(١) علم النفس التربوي وتطبيقاته، لمحمد البيلي وآخرين، (٢٠٩).

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، لعبدالعزيز الجليل (٢٧/٣).

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن، للتهامي نقرة (٥٤٤).

(٤) أخلاق القرآن، لأحمد الشرباصي (١٣٣).

قوتان مختلطتان في أعماق الكائن البشري، بحيث يوجهان اتجاهه في الحياة ويحددان أهدافه وسلوكه، كما يحددان أيضاً أفكاره ومشاعره، إذ إنه سيختار منهج حياته منطلقاً في ذلك من خوفه ورجائه[(١)]. فلا تكاد تخلو قصة من القصص النبوي من الترغيب في الأمور المحمودة والأخلاق الكريمة، والترهيب من الأمور المذمومة والخلال الدنيئة.

٦ - تسلية المؤمنين، ودعوتهم للثبات والصبر، وانتظار العاقبة الحميدة: قال تعالى:﴿ وكُلاً نَقُصُّ عَليكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسلِ مَا نُثَبِّتُ بِه فُؤادَكَ وَجَاءَكَ في هَذِه الحَقّ ومَوعِظَةٌ وذِكَرى لِلمُؤمِنِينَ﴾[(٢)].

ففي قصّ أخبار الأنبياء والمرسلين ومالاقوه من أذيّه وتكذيب، وقصص المؤمنين الصادقين الصابرين تسلية للمؤمنين عمَّا يلاقونه من الهموم والمصائب ليصبروا ويثبتوا ويؤمنوا بنصر الله لهم.

فمن يقرأ قصة موسى -عليه السلام- مع قومه وأذيتهم له في نفسه، واتهامه بالعيب، وقصة أصحاب الأخدود وما لاقوه من التعذيب والتنكيل، وقصة الغلام والساحر، وما مرَّ به إبراهيم -عليه السلام- من ابتلاءات، ففي قصة "سارة والملك الجبَّار" يُبتلى بتسلّط ملك جبَّار يريد أن يفجر بامرأته، وفي قصة"زمزم" يترك زوجته وطفله الوحيد في وادٍ قفر إيماناً بقضاء الله وتسليماً لأمره، ثم تنكشف هذه الابتلاءات ويأتي الفرج من الله مفرّج الكروب.

الخاتمة

وبعد أن حططتُ الرِّحال، وأرخيتُ للقلم الزِّمام، وأوسعت له العنان، لقربه من الإتمام بعد رحلة ممتعة، تم فيها إلقاء الضوء اللامع على عدد من القصص النبوي الجامع، يَحسُن بعد ذلك كله أن أُلخّص الفوائد الجمَّة، والنتائج المهمة، والمقترحات المُلِحَّة من خلال هذه الجولة المُلِمَّة، فإليكم النتائج أولاً فالمقترحات:

*** نتائج البحث:**

١ – بَيَّنَتْ هذه الدراسة أن القصة في السنة النبوية يتحقق فيها مدلول القصة بوجه عام، سواء طالتْ نصوصها أم قصرتْ، وذلك لأنها تصوِّر الأحداث أو الحدث تصويراً متكاملاً له بداية ووسط ونهاية.

٢ – تميَّزت القصة النبوية عن غيرها من ألوان القصص الأخرى بخصائص جعلتها تسمو فوق غيرها من القصص الأدبي إذ أنها ربَّانيَّة المصدر، تربوية الوجهة، اتسمت بالصدق والواقعية، قُدِّمت بأسلوب رفيع المستوى تتشح عباراته بالعفة وترتدي أثواب النزاهة، بليغة موجزة، بسيطة في تعبيرها، نائية عن التكلّف، زاخرة بالحيوية والقوة والتأثير البالغ.

٣ – للقصة النبوية دور فعَّال في تنمية الجانب الروحي لدى المسلم، فهي تهدف إلى تعزيز الإيمان بالله تعالى وتقوية الصلة به.

٤ – القصص النبوي أسلوب تربوي تعليمي بالغ الأثر، متعدد الجوانب، يتصل بعقل المستمع ونفسه،

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (١٥٥)، سيكولوجية القصة في القرآن للتهامي نقرة (٤٤٤).

(٢) سورة هود، الآية ١٢٠.

فيجد المستمع أحياناً نفسه في إحدى شخصيات القصة مما يساعده على تنفيس طاقاته المخزونة، وقد يتخيل نفسه يجالس شخصيات القصة ويعيش معهم أحداثها، وفي ذلك متعة وراحة نفسية وعقلية.

٥ – دعتْ القصة النبوية للتوبة والإنابة تربيةً للمسلم على الرجوع إلى الحق وعدم التمادي في الباطل، وتلمسُ هذا جليّاً في عدد من القصص، منها: "قصة القاتل مئة نفس" حيث فتحت هذه القصة الأمل لكل عاصٍ أسرف على نفسه ويريد العودة إلى الله، كما قررت القصة حقيقة عظيمة وهي رحمة الله الواسعة التي تشمل التائبين مهما كثرت ذنوبهم وعظمت خطاياهم، فالله سبحانه يحب من جاءه تائباً نادماً على ذنوبه، بل ويرضى عنه ويعينه، ولا أدلُّ على ذلك من قول الله لأرض الطاعة والخير أن تقربي، ولأرض المعصية تباعدي، ليُدْني عبده التائب من أرض الرحمة فتقبضه ملائكة الرحمة.

وفي قصة "الخطّاء التوَّاب "بشارة لكل عبدٍ يعود للذنب ثم يَغْلِبُ نفسَه بالتوبة طامعاً في رحمة ربه الرحيم، فإن الله غفور رحيم يحب التوابين ويغفر ذنوبهم.

٦ – هدفتْ القصة النبويّة لتكوين الرغبة في اجتناب أمراض النفس محذرةً منها، فأمراض النفس الكامنة تدفع الإنسان إلى ارتكاب المنكرات والمعاصي وتصدُّه عن الصراط المستقيم، فإن تُرِكَتْ وشأنها طغتْ على الإنسان وأَرْدَتْهُ المهالك، ومن هذه الأمراض مرض العُجْب، ففي قصة "النبي المُعْجَب بقومه" يلفت النبي – ﷺ – إلى أعجوبة من عجائب القلوب، إذ لم يَسْلَم نبي من أنبياء الله الكرام من وساوس النفس، فعوقب بعقوبة صعبة على النفس إذ خُيِّر بين أمور مريرة: تسليط العدو على قومه، أو الجوع المذهب لقوتهم، أو الموت، وما من شك أن كلاً من هذه الثلاث قادرة على الذهاب بهيبة الأمة وإزالة العجب الذي حلَّ في قلوب أفرادها.

وكون القصة قد وقعت لنبي من الأنبياء يعني أن مَن هُم دونَ الأنبياء أشدُّ عرضةً لداء العُجْب والغرور، فدلَّنا الرسول – ﷺ – إلى الأساليب الوقائية من هذا المرض الخطير، فتجد في نهاية القصة قوله – عليه السلام – "اللهم بك أُقاتِل وبك أُصاوِل ولا حول ولا قوة إلا بالله" لاجئاً إلى الله تعالى، وهذا سرُّ الخلاص من العُجْب والغرور. وتجد في قصة المتكبر المتبختر النهاية الأليمة والعقوبة المعجَّلة له، حيث خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

٧ – اهتمت القصة النبوية بتنشئة الإنسان على المبادئ الأخلاقية السامية، والأمثلة على ذلك كثيرة، فلا تكاد تخلو قصة من دعوة إلى خلق كريم، أَذكر هنا طرفاً منها:

- في "قصة أبي ضمضم" دعوة للعفو والتسامح وسلامة الصدر من الغلِّ والحسد.
- وفي "قصة خشبة المقترض" جوانب أخلاقية عالية كالثقة بالله تعالى وحسن التوكل عليه، والثقة بعباد الله الصالحين، وحب العطاء والتعاون والصدق والأمانة والوفاء بالوعد والحرص على أداء الحقوق لأهلها.
- وفي" قصة أثر الورع في النفوس" تَلوحُ لنا عبرةٌ رائعة، وأثر بليغ للقيم الإنسانية العليا من الورع والنزاهة والأمانة ونكران الذات وإيثار الغير والخوف من الله والصدق مع الناس وحسن

التعامل في البيع والشراء والترفّع عن الشهوات.

وهكذا في كل قصة تقف مع صفحات مضيئة تدعو للاقتداء بها.

٨ – دعَتْ القصة النبوية لتنمية روح الشعور بالجماعة وتنمية التكافل والمحبة بين المسلمين، ومن ذلك "قصة الزائر أخاه في الله"، و"قصة فضل الرفق في المطالبة" و"المزيل الأذى عن طريق المسلمين" فهؤلاء بُشّروا بفضل الله ومحبته ومغفرته لهم لسمو أخلاقهم وسعيهم في مصلحة الجماعة.

٩ – أدَّتْ القصة النبوية دوراً بارزاً في إشباع حاجة الاطلاع لدى المستمعين.

فكل ما حدَّث به الرسول – ﷺ – من قصص لا يخلو من معارف مفيدة تسهم في تشكيل تصوّر الإنسان وتقويم سلوكه، ففي قصة خلْق آدم – عليه السلام- مثلاً الجواب الشافي عن التساؤلات والإشكالات التي أثيرت حول أصل الكائن البشري: من أين جاء؟ ومِمَّ تطوَّر؟ فآدم -عليه السلام- هو أبو البشر، وقد خلقه الله تعالى خلقاً سوياً كاملاً من أول لحظة، لاكما يدَّعي أصحاب نظرية التطور والنشوء. كما أن قصص القيامة تُفْصِحُ عن مصير الإنسان بعد الموت، وأن مردَّه إلى ربه سبحانه يبعثه ويحاسبه، ثم تكون النهاية إما لجنة أو لنار.

١٠ – كشفتْ القصة النبوية عن سنن الله الكونية، ومن هذه السنن سنة الله فيمن اتّبع هداه وفيمن أعرض عنه، فالعاقبة للمتقين، والهزيمة للجاحدين، يظهر هذا في بعض القصص، كقصة" الغلام والساحر"، و "قصة أصحاب الأخدود"، وقصة "الأقرع والأبرص والأعمى"، و"قصة تفاؤل رغم الجراح"... وهكذا يشير الرسول – ﷺ – إلى سنن الله تعالى في خلقه من خلال القصص دون أن يصرِّح بها؛ ليحفز عقول المسلمين إلى اكتشافها والتفكر فيها والعمل بمقتضاها.

١١ – القصة النبوية أسلوبٌ فريد من أساليب تدريب العقول على الإقناع الفكري، لما فيها من ذِكرٍ للحوادث مرتبطة نتائجها بأسبابها، وتعليم أساليب الحوار البنَّاء، وكشف الحقائق باستخدام أساليب التفكير الصحيح، ففي" محاجَّة آدم وموسى – عليهما السلام – "يتبين للمستمع والقارئ كيف يتم الإقناع الفكري بالحجة والبرهان، وفي قصة سليمان وداود – عليهما السلام – مع المرأتين المتخاصمتين في الطفل كشفٌ للحقائق باستخدام أساليب التفكير الصحيح.

١٢ – القصص النبوي يحفل بأنواع من الشخصيات البشرية كالأنبياء والرجال والنساء وجماهير الناس، والشخصيات غير البشرية كالملائكة والحيوانات والطيور والجمادات والجن وغيرها.

ومن أبرز شخصيات القصة النبوية شخصيات الأنبياء والمرسلين فقد حَظيت هذه الشخصيات من الرسول – ﷺ – في قصصه باهتمام كبير، يشهد لذلك كثرة النصوص القصصية التي كانت شخصياتها أو معظمها أو بعضها شخصيات أنبياء، فقد مَرَّ بنا ثلاثون قصة جاء فيها ذكر الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – والغالب في شخصيات الأنبياء أنها تذكر محددة بأسمائها، ولا شك أن ذكر الشخصية - لا سيما المعروفة – باسمها يعطيها نوعاً من الواقعية في اعتبار السامع، مما يجعله أكثر قرباً وارتباطاً بها، وأكثر إحساساً بها، و هدف آخر وراء ذكر أسماء الأنبياء وهو تعريفنا بهم، وبما يصدر عنهم من مواقف وآراء، وتزويدنا بالمعلومات عن هذه الشخصيات الكريمة، التي

كانت نخبة الأجيال البشرية وصفوتها، لربط المسلمين بالسلسة الذهبية التي تعاقب عليها الوحي على مرِّ الزمان.

وفي أحيان قليلة يُذكر الأنبياء من غير تعيين أسمائهم حيث تَرِدُ الشخصية في القصة بلفظ "نبي"، ولعل العناية أصلاً مقصود بها الحدث أو الموقف نفسه.

١٣ – نبَّه القصص النبوي على وحدة الرسالات، وأخوَّة جميع الأنبياء، بشَّر السابقُ باللاحق، وجاء اللاحقُ مبيناً فضل السابق، اتحدت عقيدتهم وتشابهت بعض فروع شرائعهم.

١٤ – صوَّرت قصصُ الأنبياء الجوانب البشرية للأنبياء التي يظهرون فيها أناساً من البشر في عواطفهم وانفعالاتهم وطبائعهم، كما في عاطفة إبراهيم تجاه أبيه يوم القيامة، وعاطفة الأبوة والبنوة بين إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – حين التقيا لأول مرة في "قصة زمزم"، وانفعال موسى – عليه السلام – وغضبه من الحجر لما فرَّ بثوبه، ونسيان سليمان – عليه السلام – للاستثناء في يمينه فَحُرِمَ من تحقيق مراده من إنجاب مجاهدين في سبيل الله، وما تسَّرب إلى نفس نبي من أنبياء الله من الإعجاب بكثرة قومه، وما حكَمَ به داود – عليه السلام – في قضية المرأتين المتخاصمتين حُكماً بالظاهر فجانب حكمه الصواب، وما بلغ النبي – ﷺ – من الحزن والهمِّ والأسى لموقف أهل الطائف من دعوته، وما أصابه عليه السلام من ابتلاء في قصة "سحره عليه السلام".

١٥ – أبرزت القصة النبوية الجوانب الحية في شخصيات الأنبياء: كحياء موسى عليه السلام، وصبره على أذى قومه- في قصة الحجر الذي فرَّ بثوبه-، ورغبته الجادة في طلب العلم -كما في قصته مع الخضر-، وتعظيم عيسى عليه السلام لله تعالى -كما في قصة رؤيته للسارق-، وطمع أيوب عليه السلام في فضل الله وبركته، كما في قصة جراد الذهب، وغيرها من الجوانب المضيئة الحريّة بالاقتداء بها والسير على خطاها.

١٦ – في بعض الأحاديث النبوية جاءت الإشارة إلى بعض قصص الأنبياء ولم يرد تفصيلها، ولعل سبب ذلك ذكرها في القرآن الكريم، فاكتفى النبي – ﷺ – بالإشارة لما في القرآن الكريم، كما في "قصة ابنيّ آدم" و"قصة يوسف عليه السلام"، و"قصة هود وقومه" وغيرها.

١٧ – اعتنت القصة النبوية بتصوير الجوانب الاجتماعية والشكلية والنفسية لشخصيات القصة بما يؤثر في مجريات الأحداث ويعين على فهم القصة، ففي "قصة الشفاعة" نجد مثالاً على رسم الجوانب الاجتماعية لشخصيات الأنبياء الذين ذكروا، حيث يتحدث الناس عنهم وهم بصدد طلب الشفاعة بأوصاف تُبين أهميتهم وتشير إلى أن لهم مركزاً فاعلاً في حساب المجتمع.

وفي "قصة جريج" جاء وصفه بأنه عابد مما حدّد له وضعاً اجتماعياً معيناً، وفي القصة نفسها تُذْكَر المرأة بأنها "بغيّ" لأن في وصفها بالبغاء ما يعطي شخصية هذه المرأة بعداً أخلاقياً في سلوكها في المجتمع الذي تعيش فيه.

وفي قصة "الزارع في الجنة" جاء وصفه بما يدل على عظيم منزلته وعلوها عند الله حيث يتأتى له هذا الطلب ويُجاب إليه، وهو أنه "من أهل الجنة". وفي قصة "القاتل مئة نفسٍ" صورت

القصة ما اتصف به من إجرام وسفك للدماء، ثم يأتي وصف الذين أفتوه، الأول عابد منهمك في العبادة لكن لا علم لديه يُفتي بموجبه، والثاني عالم قد تأهَّل للفتيا بما حواه من علمٍ وفهمٍ لنفسيات المستفتين.

كما جاء في قصص أخرى رسم البعد الجسمي والمظهر الخارجي لشخصيات القصة بما يؤدي غرضاً في فهمها، ففي قصة "الأم والرضيع المتكلم في المهد" جاء وصف الراكب أنه "ذو شارة" أي جمال في المظهر والملبس والمركب، وهذا المظهر الحسن كان دافعاً للأم لأن تتمنى أن يكون ولدها مثله.

وفي قصة الأقرع والأبرص والأعمى نصَّتْ على أشكالهم الخارجية حتى نستطيع أن نتصور هيئات هؤلاء الثلاثة وما هُمْ عليه من عاهات، لندرك بصورة أعمق مواطن العبرة في هذا الامتحان الذي هم مقبلون عليه، وحين تغيَّرتْ الحال نجد القصة تنصّ مرة أخرى على هيئاتهم الجديدة ومدى التحول في أشكالهم نعمة من الله تستحق الشكر. والملاحظ بشكل عام أن القصة النبوية برغم هذه الأوصاف الخارجية المتناثرة لا تهتم كثيراً بالرسم الخارجي للشخصية إلا بما يؤثر في أحداث القصة.

أما الجوانب النفسية فقد رسمت القصة النبوية في جزء منها الأحاسيس النفسية والمشاعر الداخلية التي يشعر بها بعض الأشخاص في القصة؛ لتكتمل الصورة أمام قارئها، ففي قصة "ساقي الكلب اللاهث" تنقل لنا القصة الحديث النفسي الذي يتردد داخل الرجل وهو يرى كلباً يصارع الموت من العطش، فيقرر من منطلق شفقته ورحمته بهذا الكلب وتَذَكُّره حاله هو لمَّا كان عطشاناً يقرر أن يسقيه وإن كلفه ذلك جهداً ومشقة.

وفي قصة "حجر يفرّ بثوب موسى عليه السلام "تنقل لنا القصة صورة عن نفسية موسى- عليه السلام – وما تنطوي عليه من حياء شديد وحب للستر، وانفعال وغضب لمن خالفه وأتى بأمر لا يريده. وفي قصة "الغلام والساحر والراهب" تصوِّر لنا القصة الحالة النفسية التي كان الغلام يعيشها بعد سماعه من الراهب ومن الساحر، فتعترك الأفكار في ذهنه ويجد في نفسه حيرةً وقلقاً فيقف أمام الأزمة بامتحان مصيري مُقرِّر، فهو يرمي الحجر على الدابة وقد سأل ربه أن يَدُلَّه على الطريق الصحيح.

وقد جاء في قصة "تفاؤل رغم الجراح" تصوير الحالة النفسية التي كان يمر بها رسول الله– ﷺ – يوم العقبة يوم عرض نفسه على ابن عبدياليل فردّوه وآذوه، فخرج مهموماً حسيراً كسيراً قد تغشاه الهمُّ حتى لا يدري أين هو ذاهب. وهكذا في كثير من القصص يأتي التصوير دقيقاً موجزاً في عبارات قصيرة تثير مشاعر المستمع أو القارئ وتجعله يعيش جوَّ القصة.

١٨ – ركّزت القصة النبوية على الحوادث المثيرة في ذاتها، وغالباً ما تبتدئ به القصة كما في قصة "المسرف الخائف" الذي أوصى أولاده بحرقه وتفريق جسده، فقد كان حَدْث هذه القصة مثيراً للغاية، بطل القصة يجمع أولاده، ويأخذ عليهم المواثيق أن يحرقوه إذا مات، وليس ذلك فحسب بل ويطلب أن يسحقوه ويذروه في يوم عاصف، وتتصاعد درجة الإثارة في الأحداث حين يقول الله

تعالى بعد هذا كله: "كُنْ" فإذا هو قائم أمامه بكامل شخصيته!!

وفي قصة "صوتٌ في سحابة" حين فوجئ الرجل الذي كان يسير في أرض فلاة بصوت في سحابة يقول: "اسقِ حديقة فلان" فالصوت الذي ينادي باسم فلان مثير في ذاته باعث على العَجَب، وتزداد إثارته، حين يستجيب ذلك السحاب للنداء فيتنحَّى ويُفْرِغُ ماءه، وإذا الماء يتجه إلى حديقة الرجل صاحب الاسم!!. وفي قصة "ذئب يتكلم" تبرز الإثارة في كلام الذئب ومحاورته مع صاحب الغنم!!

١٩ – الأحداث في القصة النبوية أنواع مختلفة، وكل نوع له طبيعته الخاصة فمنها ما هو حَدْثٌ من قبيل القضاء والقضاء يحدث في القصة بصورة تجعلنا ننسبها مباشرة إلى تدخَّل قدر الله في إجرائها، كما في "قصة خشبة المقترض"، "والغلام والساحر" و"موسى عليه السلام مع الخضر" وغيرها، ومنها معجزات لأنبياء كما في قصة "إبراهيم وزوجته سارة مع الملك الجبار"، و"حجر يفر بثوب موسى"، "وأيوب عليه السلام يخر عليه رجل جراد".. وغيرها.

ونوع آخر من الأحداث وهي المألوفة العادية التي تحدث في عموم القصص وتقع للشخصيات بصورة طبيعية.

٢٠ – أثبت القصة النبوية أنه لا يخلو عصر من العصور وزمن من الأزمنة من وجود أناس صالحين يخافون الله ويخشونه.

٢١ – في قصّ النبي – ﷺ – للمواقف المؤثرة التي مرَّت به في حياته درسٌ عظيم للاستفادة من تجارب العظماء والوقوف مع عِبَرِها.

٢٢ – أبهمتْ القصة النبوية في جزء منها تحديد الزمان أو المكان وفي كثير منها لم تحدد أسماء الأشخاص، إذ ليس مراد النبي – ﷺ – من سياق القصص أن يؤرخ للأحداث أو يمجِّد أشخاصاً وأماكن، بل مقصده العظة والعبرة من أحداث القصة.

٢٣ – رأى النبي – عليه الصلاة والسلام – قصصاً في منامه، فأصبح يقَصُّها على أصحابه رضوان الله عليهم وقد عبَّر بعضها، وترك بعضها على ظاهره، وقد مرَّ في البحث سبع عشرة رؤيا، عبَّر عليه الصلاة والسلام منها ستاً، ونقل تعبير الملائكة في اثنتين، وترك باقيها على ظاهره لم يُبدِ له تعبيراً.

٢٤ – تضمنت حادثة الإسراء والمعراج قصصاً عظيمة ومواقف مثيرة من تأملها ظهر له جلياً مدى الإكرام والتشريف الذي ناله رسول الله – ﷺ – في هذه الرحلة المباركة، والأمور الغيبية التي كشفت له، والأثر القوي لهذه الرحلة العجيبة على نفس رسول الله– ﷺ – حيث أمدَّته بقوة وعزم لا حدود لهما، حتى لم يتردد في إعلان ما حدث له على الملأ من قريش، وهو يعلم أنهم سيكذبونه، فتميَّز الصادق من الكاذب.

٢٥ – أثبتت القصة النبوية صدق نبوة محمد – ﷺ –، حيث أوحي إليه بأخبار الغيب المستقبل وأُخبر بشيء مما سيقع يوم القيامة، وكان من هذه الأخبار قصصٌ بلغت في هذه الدراسة ثلاث عشرة قصة منها سبعٌ في الدنيا وباقيها مما سيقع يوم القيامة، وما سوى ذلك من الأحاديث التي جاءت في السنة النبوية إنما هي أخبار لا يصح إطلاق لفظ قصة عليها.

٢٦ – أغلب القصص النبوي الوارد في الكتب الستة صحيح أو حسن مقبول سنداً ومتناً، والقليل جداً هو الضعيف، وقد بلغ عدد القصص الضعيفة التي مرت معنا في البحث عشر قصص فقط.

*** المقترحات:**

١ – استمرار العناية بالسنة النبوية ذلك الإرث النبوي المتجدد، ودراستها وتحليل مضامينها التربوية وأساليبها التعليمية الناجحة، لاستنباط الركائز التربوية الصالحة للأفراد والمجتمعات.

٢ – ضرورة إدخال القصص النبوي في المناهج التعليمية كأسلوب فريد من الأساليب التربوية التي تسهم في بناء الأجيال بناءً إسلامياً أصيلاً.

٣ – توظيف القصص النبوي في نشر الأفكار والمبادئ الإسلامية عن طريق الإعلام المرئي والمسموع والمقروء.

٤ – صياغة القصص النبوي بأسلوب سهل ميسر يقدَّم للناشئة كبديل عن القصص الخيالي الذي ملأ مكتباتهم، مع ضرورة مراعاة عنصري التشويق والإثارة.

٥ – على الدعاة إلى الله والخطباء والمربين الرجوع لمعين السنة النبوية الصافي والنهل منه، والحذر من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص المكذوب.

٦ – ضرورة تنشئة الأجيال المسلمة على القراءة المتأنية الدقيقة لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وفهمها الفهم الصحيح واستنباط الدروس والعبر منها، وعدم الاقتصار على الحفظ المجرد للسنة، بل لابد من الفهم الصحيح ليتم تطبيق السنة النبوية وفق ما أراد الله ورسوله – ﷺ –.

٧ – ضرورة إتمام هذا العمل باستقراء باقي دواوين السنة النبوية واستخراج القصص منها وترتيبها وشرح معانيها واستنباط فوائدها لتكتمل لدينا موسوعة قصصية نبوية تثري المكتبات الإسلامية.

هذه أهم المقترحات والوصايا أختم بها بحثي راجيةً أن تجد الآذان الصاغية والقلوب الواعية، وأن تلقى العناية التامة إن شاء الله، وهي من باب النصيحة وأداء الأمانة والمشاركة في التوجيه، وأداء شيء من الواجب علينا تجاه سنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

وبعد: فإنه بانتهاء هذه المقترحات، تنتهي هذه الخاتمة، وبانتهاء هذه الخاتمة ينتهي ما أردتُ الوصول إليه من إعداد هذا البحث، بعد أن بذلتُ فيها جُهدي، وأكللتُ ذهني، وقطعت مشاغلي، ولم أبخل بمداد ولا ورق ولا جهد ولا وقت.

وهذا أوان تَرْكِ القلم، مع أنه يأبى إلا أن يكتب، وتأبى الأوراق إلا أن تمتد وحُقَّ لهما ذلك فهما لا يريدان مفارقة أنفاس الحبيب -عليه الصلاة والسلام- إلا أن الوقت انقضى، والخطّة المرسومة لهذه الرسالة انتهت ولا أملك إلا التسليم للأمر الواقع، مقدِّمةً للقارئ الكريم هذا العمل المتواضع، الذي هو جُهْد المقلِّ، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمن نفسي والشيطان، سائلةً الله أن يغفر خطئي، ويوفقني إلى الصواب، ويعصمني من القول عليه وعلى رسوله – عليه الصلاة والسلام – ما ليس لي به علم، فإن الإنسان كثيراً ما يكتبُ على عَجَل وتقطيع، يكتب وقلبه مشتت الشواغل، ممتلئ الارتباطات، في كل وادٍ منه قطعة، وفي كل مكان منه مُزعة، تؤلمه قضايا أمته، وتقضّ مضجعه

مشكلاتها المتتابعة فقد كثرت الفتن، وتتابعت الهموم، مما يصدُّ عن إحكام المقال، وتحبير الأقوال، ويسبِّب الوقوع فيما لا يُراد عن حسن قصد، ونشدان للحق، وتحرٍّ للأفضل.

المصادر والمراجع

. تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م. . أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط: بدون.

. دراسات في القصة العربية الحديثة، محمد زغلول سلام، دار صادر، بيروت – لبنان، ط: بدون.

. سيكلوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، جامعة الجزائر، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م.

. علم النفس التربوي وتطبيقاته، محمد البيلي وآخرون، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٨م.

. القصص في الحديث النبوي – دراسة فنية موضوعية -، محمد بن حسن الزير، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

. القصة في السنة النبوية وآثارها التربوية، سلطان محمد عبدالله العرياني – رسالة ماجستير جامعة اليرموك، كلية الشريعة.

. القصص النبوي، السيد شحاته، والسيد تقي الدين، دار النهضة العربي، القاهرة – مصر.

. قصص الغيب في صحيح الحديث النبوي، عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

. قصص رواها الرسول – صلى الله عليه وسلم –، بدر محمد ملك، مكتبة دار التراث، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

. القصة والرواية، عزيزة مريدن، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: بدون.

. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

. مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية، طلعت محمد عفيفي، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

. معجم مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

. المعجم المفصل في اللغة والآداب، إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. . الوسائل التعليمية في السنة النبوية – رواية ودراية، سعيد نزال العنزي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعد الإسلامية، كلية أصول الدين ١٤٢٦/١٤٢٧هـ.

. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض – السعودية، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.

١٥. جهود المملكة العربية في العناية بالسنة النبوية: جائزة نايف نموذجاً

د. مرضي بن ناصر الدوسري و د. سعود بن فرحان العنزي
(جامعة طيبة، المدينة المنورة)

بسم الله الرحمن الرحيم

ا. جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة

أولاً.. اسم الجائزة..

جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.

ثانيا.. راعي الجائزة..

صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود.

ثالثا.. أهداف الجائزة..

١) تشجيع البحث العلمي في مجال السنة النبوية وعلومها والدراسات الإسلامية المعاصرة
٢) إذكاء روح التنافس العلمي بين الباحثين في كافة أنحاء العالم.
٣) الإسهام في دراسة الواقع المعاصر للعالم الإسلامي واقتراح الحلول المناسبة لمشكلاته بما يعود بالنفع على المسلمين حاضراً ومستقبلاً.
٤) إثراء الساحة الإسلامية بالبحوث العلمية المؤصلة.
٥) إبراز محاسن الدين الإسلامي الحنيف وصلاحيته لكل زمان ومكان.
٦) الإسهام في التقدم والرقى الحضاري للبشرية.

رابعا.. فروع الجائزة..

الفرع الأول: السنة النبوية.

الفرع الثاني: الدراسات الإسلامية المعاصرة.

وتتولى اللجنة العلمية للجائزة تحديد التخصصات التي تندرج تحت كل فرع من هذين الفرعين , وكذلك الموضوعات التي يتم طرحها للتنافس في كل فرع ولكل دورة من دورات الجائزة.

خامسا.. موضوعات الجائزة..

يطرح في كل دورة من دورات الجائزة ولكل فرع في فرعيها موضوعات في تخصصات مختلفة ويكون هناك فائز واحد في كل موضوع فيكون مجموع الفائزين أربعة و إذا لم تستحق الجائزة في موضوع من الموضوعات المطروحة حجبت في تلك الدورة.

سادسا.. مقدار الجائزة..

يقدم لكل فائز من الفائزين في أحد موضوعات الجائزة ما يلي..

١)شهادة استحقاق .
٢)درع يحمل شعار الجائزة.
٣)مبلغ نقدي مقداره (٥٠٠,٠٠٠)خمس مائة ألف ريال.

سابعا.. تنظيم الجائزة..

تنظم الجائزة مرة واحدة كل عام ويتم الإعلان عن موضوعات الجائزة في فرعيها قبل وقت كاف ومن خلال وسائل الاتصال على مستوى الجائزة.

ثامنا.. شروط البحث والترشيح..

١) أن يتناول البحث واحداً من الموضوعات المحددة في الإعلان للجائزة.
٢) أن يكون متصفاً بالأصالة ودقة التوثيق وسلامة المنهج.
٣) أن يكون مكتوباً بلغة عربية صحيحة.
٤) أن يقم في الموعد المحدد لتقديم البحوث.
٥) أن يجتاز التحكيم وفقاً للضوابط إلي تضعها اللجنة العلمية.
٦) أن تقدم سبع نسخ من كل بحث مرشح مع السيرة الذاتية للباحث وصورتين شمسيتين له.
٧) ألا يكون البحث المرشح فائزاً من قبل.
٨) البحوث المقدمة إلي الجائزة لا ترد إلي أصحابها سواء فازت أو لم تفز.
٩) الالتزام بجميع الشروط والضوابط التي تضعها اللجنة العلمية للجائزة.

تاسعا.. الهيئة العليا للجائزة..

يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود راعى الجائزة أو من ينيب عنه , وتضم في عضويتها كل من..

١. صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبدالعزيز (نائبا للرئيس ومشرفا عاما على الجائزة).
٢. صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز (نائبا للمشرف العام).
٣. صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سعود بن نايف بن عبدالعزيز.
٤. صاحب السمو الملكي الأمير نواف بن نايف بن عبدالعزيز.
٥. صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن نايف بن عبدالعزيز.
٦. صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن نايف بن عبدالعزيز.
٧. معالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد (إمام الحرم المكي الشريف ورئيس المجلس الأعلى للقضاء).
٨. معالي الشيخ عبدالله بن منيع (المستشار في الديوان الملكي عضو هيئة كبار العلماء).
٩. معالي الدكتور عبدالله بن عمر نصيف (نائب رئيس مجلس الشورى سابقا).
١٠. معالي الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو (رئيس منظمة المؤتمر الإسلامي).
١١. فضيلة الشيخ أصغر علي إمام (الأمين العام لجمعية أهل الحديث في الهند).
١٢. فضيلة الدكتور أبو بكر عبدالله دكوري (مستشار رئيس جمهورية بوركينا فاسو الإسلامية).
١٣. فضيلة الدكتور عادل المعاودة (عضو مجلس النواب البحريني).
١٤. معالي الدكتور ساعد العرابي الحارثي (مستشار سمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير

الداخلية أمين عام الجائزة).

١٥. معالي الدكتور محمد بن علي العقلا (مدير الجامعة الإسلامية).

١٦. سعادة الدكتور زين العابدين الركابي (الباحث والمفكر الإسلامي).

تكون مدة عضويتهم أربع سنوات قابلة للتجديد.

مهمات الهيئة..

١) إقرار الخطط والسياسات العامة للجائزة.

٢) اعتماد اللوائح الخاصة بالجائزة وتعديلها.

٣) إقرار موضوعات بالجائزة.

٤) اعتماد أسماء الفائزين بالجائزة

٥) إقرار الميزانية والحساب الختامي.

٦) اعتماد التقرير الختامي.

عاشراً.. الجهة المنظمة للجائزة..

الأمانة العامة للجائزة.

الحادي عشر.. المشرف العام على الجائزة..

صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبد العزيز آل سعود.

مهمات المشرف العام..

١)إقرار موعد حفل الجائزة ومكانه.

٢)اعتماد خطة حفل الجائزة.

٣)إعلان أسماء الفائزين بالجائزة بعد اعتمادهم من الهيئة العليا للجائزة.

٤)اختيار أعضاء لجان الجائزة وتعينهم.

٥)اعتماد محاضر لجان الجائزة وتوصياتها.

٦)اعتماد الإجراءات الإدارية والمالية للجائزة.

الثاني عشر.. الأمانة العامة للجائزة..

يكون للجائزة أمانة عامة تتولى جميع الأمور العلمية والمالية و الإدارية ويعمل عدد من الموظفين المتفرغين ويكون مقرها في المدينة المنورة وترتبط مباشرة بسمو المشرف العام على الجائزة.

الثالث عشر.. مهمات الأمين العام..

١) التهيئة لعقد اجتماعات الهيئة العليا للجائزة وإعداد جدول أعمالها وصياغة محاضرها وابلاغها وتنفيذ الخطط والسياسات والقرارات التي ترسمها.

٢) الإعلان عن موضوعات الجائزة بعد اعتمادها من الهيئة العليا للجائزة.

٣) تمثيل الجائزة أمام الجهات الأخرى.

٤) ترشيح أعضاء اللجان الإشراف على أعمالها وتلبية احتياجاتها.

٥) رفع توصيات اللجنة العلمية إلي المشرف العام تمهيداُ لرفعها إلي الهيئة العليا.

٦) الإشراف على بناء قاعدة معلومات عن الجائزة .
٧) تلقى المراسلات المتعلقة بالجائزة والاجابه عما يرد من استفسارات.
٨) الإشراف المباشر على تنظيم حفل الجائزة.
٩) الإشراف على العاملين في الأمانة العامة للجائزة والرفع عن احتياجاتها إلي المشرف العام على الجائزة.
١٠) الإنفاق من ميزانية الجائزة وفقا للضوابط التي يقرها المشرف العام على الجائزة.
١١) إعداد الميزانية والحساب الختامي ورفعها إلي المشرف العام على الجائزة تمهيداً لرفعهاالهيئة العليا.
١٢) إعداد التقرير الختامي للجائزة.

الرابع عشر.. اللجنة العلمية للجائزة..

تؤلف من سمو المشرف العام على الجائزة بناءً على ترشيح من الأمين العام كل أربعة سنوات قابلة للتجديد وتضم مجموعة من العلماء والباحثين المشتغلين بالدراسات والبحوث الإسلامية ذات الصلة بفروع الجائزة.

مهمات اللجنة..

١)اقتراح موضوعات الجائزة في فروعها المختلفة وتوصيف أطرها العامة.
٢)اختيار المحكمين لموضوعات الجائزة.
٣)وضع العناصر الرئيسة وتحديد المعايير العلمية والفنية للبحوث.
٤)النظر في البحوث الواردة للجائزة و إحالة ما يتفق منها مع شروط الجائزة إلي التحكيم .
٥)تحديد البحوث الفائزة بناءً على نتائج التحكيم.
٦)إعداد المحاضر اللازمة لنتائج أعمالها و إحالتها إلى الأمين العام للجائزة لاتمام اللازم بشأنها.
٧)اقتراح حجب الجائزة في أحد الموضوعات عندما لا ترتقي البحوث المقدمة إلي المستوى المطلوب.
٨)اقتراح ما تراه لتطوير الجائزة.

الخامس عشر.. اللجان الأخرى..

تؤلف لجان فرعية وتحدد مهامها حسب الحاجة , وذلك بقرار من المشرف العام على الجائزة بناء على اقتراح الأمين العام.

السادس عشر.. المكافآت..

سوف يتم صرف مكافأة الجائزة والعاملين عليها من الحساب الخاص بصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود " وزير الداخلية " ابتغاء وجه الله تعالى.

II. جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود التقديرية لخدمة السنة النبوية وعلومها

أولا.. اسم الجائزة..

(جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود التقديرية لخدمة السنة النبوية وعلومها)

ثانيا.. صفة الجائزة..

جائزة عالمية تقديرية تمنح بصفة دورية كل عامين في مجال من مجالات خدمة السنة النبوية

ثالثا.. أهداف الجائزة..

١)تكريم أصحاب الجهود المتميزة في خدمة السنة النبوية.

٢)تشجيع الباحثين وترغيبهم في خدمة السنة النبوية وتحقيقا وتدريسا وتقنية.

٣)تعريف الأجيال بالجهود المعاصرة والمتميزة في خدمة السنة النبوية.

رابعا.. مجالات منح الجائزة..

١)تحقيق الكتب التراثية في السنة النبوية ودراستها

٢)التأليف في موضوعات السنة النبوية

٣)الانقطاع لتدريس الحديث النبوي

٤)تطويع التقنية في خدمة السنة النبوية

خامسا.. الضوابط والشروط..

١)أن يكون الترشيح من قبل مؤسسة علمية معتبرة.

٢)أن يكون البحث المرشح في القرن الرابع عشر الهجري فما بعده.

٣)أن يستوفي المرشح شروط الترشيح الخاصة بكل مجال والتي تتضمنها استمارة الترشيح.

٤)أن يكون البحث المقدم ذا قيمة متميزة وأثرا بارزا لخدمة السنة النبوية.

٥)تخصص الجائزة كل دورة في مجال من مجالاتها الأربع.

٦)يجوز أن تمنح الجائزة مقسومة بالتساوي لأكثر من مرشح في المجال الواحد سواء أكان فردا أو مؤسسة.

سادسا .. لجنة التحكيم..

تتكون لجنة التحكيم للأعمال المقدمة لنيل الجائزة من علماء مختصين في المجال المعلن.

سابعا.. مقدار الجائزة..

يقدم للفائز بالجائزة مايلي:

١)شهادة استحقاق.

٢)درع يحمل شعار الجائزة.

٣)مبلغ نقدي مقداره (٢٠٠,٠٠٠ريال)فقط مئتي ألف ريال.

ثامنا.. المصروفات ..

تصرف قيمة الجائزة ونفقاتها من الحساب الخاص لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود ابتغاء وجه الله.

III. مسابقة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود لحفظ الحديث النبوي

اولا..اسم المسابقة..

(مسابقة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود لحفظ الحديث النبوي)

ثانيا..أهداف المسابقة..

١- ربط الناشئة والشباب بالسنّة النبوية وتشجيعهم على العناية بها وحفظها وتطبيقها.

٢- الإسهام في إعداد جيل ناشئ على حب سنّة النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- شحذ همم الناشئة والشباب وتنمية روح المنافسة الشريفة المفيدة بينهم.

٤- شغل وقت الناشئة والشباب بما يفيدهم دينياًً وعلمياً وأخلاقيا.

ثالثا.. الفئات المستهدفة من المسابقة..

تستهدف المسابقة الناشئة والشباب من طلاب المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في المملكة العربية السعودية.

رابعا.. شروط المسابقة..

١- أن يكون المتسابق منتسباًً إلى مؤسسة تعليمية تربوية في المملكة.

٢- أن يكون مرشحاً من قبل مؤسسة تعليمية في المملكة.

٣- أن يلتزم المتسابق بالمستوى المخصص لمرحلته.

خامسا.. منهج المسابقة..

١- منهج المستوى الأول: يحفظ المتسابق مائة حديث مختارة من كتب السنة المعتمدة، مع معرفته براوي الحديث من الصحابة.

٢- منهج المستوى الثاني: يحفظ المتسابق مائتين وخمسين حديثاً مختارة من كتب السنة المعتمدة، مع تعريف مختصر براوي الحديث من الصحابة.

٣- منهج المستوى الثالث: يحفظ المتسابق خمس مائة حديث مختارة من كتب السنة المعتمدة، مع تعريف مختصر براوي الحديث، إضافة إلى معرفة من أخرجه.

سادسا.. ضوابط اختيار الأحاديث..

تختار أحاديث المسابقة من كتب السنة المعتمدة (صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن أبي داود، سنن النسائي، سنن ابن ماجة، موطأ الإمام مالك، مسند الإمام أحمد..... وغيرها)

يشترط أن تكون الأحاديث المختارة صحيحة أو حسنة.

يراعى أن تتناسب الأحاديث المختارة في موضوعاتها وفي طولها أو قصرها مع مستويات المسابقة.

سابعا.. موضوعات أحاديث المسابقة..

تشمل الأحاديث المختارة للمسابقة الموضوعات الآتية: العبادات، المعاملات، الأحكام، الآداب والأخلاق.

يراعى عند اختيار أحاديث كل مستوى من مستويات المسابقة ما يتناسب مع المتسابقين من موضوعات.

ثامنا.. مستويات المسابقة..

١- المستوى الأول: حفظ ١٠٠ حديث وهو مخصص للناشئة في المرحلة الابتدائية.

٢- المستوى الثاني: حفظ ٢٥٠ حديث وهو مخصص للناشئة في المرحلة المتوسطة.

٣- المستوى الثالث: حفظ ٥٠٠ حديث وهو مخصص للشباب في المرحلة الثانوية.

تاسعا.. اللجان العاملة في المسابقة..

أولاً: لجنة الإشراف: وهي لجنة النشاط العلمي والثقافي للجائزة، ويرأسها المدير التنفيذي للجائزة. ومهامها:

a. الإشراف على المسابقة ومتابعة سيرها في كل مراحلها.
b. ترشيح لجنة التحكيم للمرحلة النهائية للمسابقة.
c. ترشيح اللجنة العلمية للمسابقة.

وينبثق منها اللجان الآتية:

١. لجنة التنظيم والتنسيق: ومهامها:

١- القيام بأعمال التنسيق والتنظيم بين لجنة الإشراف واللجان الفرعية في المناطق.
٢- القيام بما تسنده إليها لجنة الإشراف من أعمال.

٢. اللجنة العلمية: وهي اللجنة المختصة باختيار أحاديث المسابقة. ومهامها:

١- اختيار أحاديث المسابقة في كل مستوى من مستوياتها وفق الموضوعات المحدّدة والضوابط المقرّرة لذلك.
٢- عرض ما اختارته على لجنة الإشراف لإقراره.

٣. لجنة التحكيم: وهي اللجنة المحكمة للتصفيات النهائية، ويختار أعضاؤها من أهل الاختصاص والتميز في السنة وعددهم خمسة. ومهامها

١- إلقاء الأسئلة على المتسابقين بعد دعوتهم إلى المنصة.
٢- الاستماع إلى المتسابقين وتقويمهم وتقدير درجاتهم وفق ضوابط التحكيم وقواعده المحددة للمسابقة.

ثانياً.. اللجان الفرعية..

١. لجان التنظيم والتنسيق الفرعية: وهي اللجان العاملة في كل منطقة، وتتصل مباشرة برئيس لجنة التنظيم والتنسيق . ومهامها:

١- -تنظيم إجراءات المسابقة في المنطقة وفق الضوابط والقواعد المقررة للمسابقة.
٢- -الإشراف على التصفيات الأولية للمسابقة في المنطقة.
٣- -تزويد لجنة التنظيم والتنسيق بنتائج التصفيات الأولية، وأسماء المتسابقين المرشحين للمرحلة النهائية للمسابقة.

٢. لجان التحكيم الفرعية: وهي اللجان المحكمة للتصفيات الأولية من المسابقة في المناطق، وتحدد لجنة واحدة لكل منطقة. ومهامها:

١. إلقاء الأسئلة على المتسابقين بعد دعوتهم إلى المنصة.
٢. الاستماع إلى المتسابقين وتقويمهم وتقدير درجاتهم وفق ضوابط التحكيم وقواعده المحددة للمسابقة.

عاشرا.. الترشيح للمسابقة النهائية..

ترشح لجنة التنظيم والتنسيق في كل منطقة- بالتنسيق مع لجنة التحكيم الفرعية - الفائز الأول في كل مستوى من مستويات المسابقة لتمثيل المنطقة، وترفع أسماء المرشحين للجنة التنظيم والتنسيق وفق النموذج المعد لذلك.

الحادي عشر.. تصفيات المسابقة. .

تجري التصفيات الأولية للمسابقة في مناطق المملكة العربية السعودية، وترشح كل منطقة متسابقاً واحداً في كل مستوى من مستويات المسابقة، وتجرى التصفيات النهائية في المدينة المنورة (مقر الجائزة).

الثاني عشر.. جوائز المسابقة..

يحصل الخمسة الأوائل من كل مستوى في المرحلة النهائية على جوائز المسابقة، وفق ما يلي:

•المستوى الأول: مقدار الجوائز: 58000 مقسمة على النحو التالي:

-الفائز الأول: 20000 ريال.

-الفائز الثاني: 15000 ريال.

-الفائز الثالث: 10000 ريال.

-الفائز الرابع:8000 ريال.

-الفائز الخامس: 5000 ريال.

•المستوى الثاني: مقدار الجوائز: 100000 مقسمة على النحو التالي:

-الفائز الأول: 30000 ريال.

-الفائز الثاني: 25000 ريال.

-الفائز الثالث: 20000 ريال.

-الفائز الرابع: 15000 ريال.

-الفائز الخامس: 10000 ريال.

•المستوى الثالث: مقدار الجوائز: 150000 مقسمة على النحو التالي:

-الفائز الأول: 40000 ريال.

-الفائز الثاني: 35000 ريال.

-الفائز الثالث: 30000 ريال.

-الفائز الرابع: 25000 ريال.

-الفائز الخامس: 20000 ريال.

يعطى جميع المشاركين في المسابقة شهادات تقدير.

الثالث عشر: المصروفات

تصرف جوائز المسابقة ونفقاتها من الحساب الخاص لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود وزير الداخلية ابتغاء وجه الله تعالى.

معايير تقويم الطلاب والطالبات في جميع المستويات

١. الخطأ في متن الحديث درجتان على كل خطأ. (جميع المستويات)
٢. عدم معرفة راوي الحديث أو الخطأ فيه درجة واحدة. (جميع المستويات)
٣. عدم معرفة من خرج الحديث أو الخطأ فيه درجة واحدة. (المستوى الثالث)
٤. الخطأ اللغوي درجة واحدة. (جميع المستويات)
٥. الخطأ في نطق الكلمة نصف درجة. (جميع المستويات)
٦. يقدر عضو اللجنة درجة التعريف براوي الحديث حسب حفظ الطالب.(المستويان الثاني والثالث)
٧. يحتسب على الطالب نصف درجة عند تردده أو شكه في أي مما سبق إذا أصلح الخطأ بنفسه.(جميع المستويات)
٨. تلاحظ طريقة الإلقاء وقوته للترجيح بين المتسابقين عند تساوي الدرجات. (جميع المستويات)

ضوابط مشاركة الطلاب والطالبات للمرة الثانية في المسابقة:

١. الطالب - الطالبة - الذي فاز على مستوى المنطقة وترشح للتصفيات النهائية وفاز بجوائز المسابقة في المراكز الخامسة الأولى، لا يحق له المشاركة في نفس المستوى مرة أخرى.
٢. الطالب – الطالبة - الذي فاز على مستوى المنطقة وترشح للتصفيات النهائية ولم يفز بجوائز المسابقة، لا يحق له المشاركة في نفس المستوى مرة أخرى.

استمارة تحكيم (المستوى الأول)ابتدائي

اسم الطالـب(ة):

الجنسيــة:

المنطقــة:

عناصر التقويم	الدرجة المخصصة	الدرجة المكتسبة
دقة حفظ المتن	٧٠	
سلامة اللغة	٢٠	
راوي الحديث	١٠	
مجموع الدرجات	١٠٠	

أعضاء لجنة التحكيم:

١,

٢,

٣.

استمارة تحكيم (المستوى الثاني)متوسط

اسم الطالـــب(ة):

الجنسيـــة:

المنطقـــة:

عناصر التقويم	الدرجة المخصصة	الدرجة المكتسبة
دقة حفظ المتن	٦٠	
سلامة اللغة	٢٠	
راوي الحديث	٥	
التعريف براوي الحديث	١٥	
مجموع الدرجات	١٠٠	

أعضاء لجنة التحكيم:

١,

٢,

٣.

استمارة تحكيم (المستوى الثالث)ثانوي

اسم الطالـــب(ة):

الجنسيـــة:

المنطقـــة:

عناصر التقويم	الدرجة المخصصة	الدرجة المكتسبة
دقة حفظ المتن	٦٠	
سلامة اللغة	١٥	
راوي الحديث	٥	
التعريف براوي الحديث	١٥	
معرفة من أخرج الحديث	٥	
مجموع الدرجات	١٠٠	

أعضاء لجنة التحكيم:

١.

٢.

٣.

منهج المسابقة:

المستوى الأول

حفظ ١٠٠حديث

وهو خاص بطلاب االمرحلة الابتدائية.

المستوى الثاني

حفظ ٢٥٠حديثا

ومعرفة راوي الحديث من الصحابة

والمستوى الثاني خاص بالمرحلة المتوسطة.

المستوى الثالث

حفظ ٥٠٠ حديث

ومعرفة من رواه من الصحابة ومن أخرجه

وهذا المستوى خاص بطلاب المرحلة الثانوية.

- ثم الإعلان عن أسماء الفائزين والفائزات، وتكريمهم بحضور سمو الأمير –حفظه الله.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملحوظة: من أراد الاستزادة: فنأمل مراجعة موقع الجائزة http://www.naifprize.org.sa/

١٦. مصطلح العنف مفهومه، مرادفا ته وأضداده في الخطاب النبوي دراسة في المعني والأبعاد: صحيح البخاري أنموذجا

الدكتور أحمد بن بالقاسم جعفري
(رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإفريقية أدرار/ الجزائر)

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعد،

إن بداية الحديث عن مفهوم مصطلح العنف تعود بنا أولا إلى ما جاء في كتب المعاجم العربية وأعني بهما تمثيلا لا حصرا لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) والقاموس المحيط للفيروزبادي (٨١٧هـ)، حيث يعرفه الأول منهما في لسانه الجزء التاسع كتاب الفاء ص ٢٥٧ وما بعدها بقوله:" العنف: الخُرْقُ بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق، عنف به وعليه يعنُف عنفا وعنافة وأعنفه وعنفه تعنيفا وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره، ... إلى أن يقول وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله، ..... والتعنيف التعيير واللوم، والتعنيف التوبيخ والتقريع واللوم، ... وعنفوان الشباب أوله، .. وعنفوان فُعلوان من العنف ضد الرفق " (*[١]).

أما عند الفيروزبادي فيعرفه بقوله: " العنف ...ضد الرفق ....والعنيف من لا رفق له بركوب الخيل، والشديد من القول والسير ...وعنّفه لامه بعنف وشدة " (*[٢])، ثم يورد الفيروزبادي للفظ بعض المرادفات الأخرى من مثل: " العلفصة: وهي العنف في الرأي والأمر " (*[٣]) و" الهيص: العنف بالشيء ودق العنق " (*[٤]).و " اللضم: العنف والإلحاح " (*[٥])

وفي المعجمين يقترن مفهوم لفظ العنف بضده الرفق وينطبق هذا المفهوم على جميع أشكال اللوم والتوبيخ والتقريع وهو مأخوذ في أصله كما رأينا من العنف في ركوب الخيل وذلك بزجرها والتشديد عليها، وصاحب الأمر هذا سمته العرب عنيفا، كما يفهم من المعنيين أيضا أن العنف معنوي في أصل معناه وليس جسديا، ومنه رأينا الفيروزبادي يورد معاني أخرى لبعض أشكال العنف، فإذا كان عنفا في الرأي والأمر فهو علفصة وإذا كان جسديا بدق العنق فهو هيص وإذا كان أقل من ذلك وبشيء من الإلحاح فهو لضم، وحينما نترك المعجمات العربية للبحث عن مفهوم اللفظ بأبعاده المختلفة في الخطاب النبوي ممثلا كما قلنا في صحيح البخاري أنموذجا وفيما له علاقة مباشرة بموضوع هذا المحور موضوع العنف فإننا لا نجد لفظ (العنف) هكذا معرفة إلا من خلال حديث واحد روي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فيما جرى بينها وبين اليهود الذين قدموا إلى النبي صلى الله عليه

---

[١] لسان العرب .ابن منظور ج/٩. ص ٢٥٧ وما بعدها .دار صادر بيروت .

٢ القاموس المحيط .الفيروزبادي .ج١ ص ١٠٨٥.

٣ المصدر نفسه ص ٨٠٥.

٤ المصدر نفسه ص ٨١٩.

٥ المصدر نفسه ص ١٤٩٤.

وسلم حيث تقول رضي الله عنها " إن يهودا أتو للنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم فقالت عائشة:عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم، قال: مهلا يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش، (وفي رواية وإياك والعنف أو الفحش) قالت: أولم تسمع ما قالوا، قال: أولم تسمعي ما قلت، رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في، " (*[1])، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وما يمكن أن يستخلص من الحديث بداية هو دعوة الرسول الكريم لنبذ العنف حتى مع ألد الأعداء البادئين بالظلم والعداوة، وثانيا هذا الحديث يعطينا صورة واضحة لمفهوم العنف الذي يتجاوز به الحديث صوره السلوكية من ضرب وقسوة وشدة إلى ما هو أدنى من ذلك من عنف لفظي معنوي وفي ذلك كله أكثر من إشارة ودلالة، ثم أخيرا أن الحديث وقبل أن يحذر من العنف الذي أقرنه بلفظ الفحش دعا إلى الالتزام بضده أولا وهو الرفق لأنه هو الأساس الذي تبنى عليه المعاملة في الإسلام بخلاف العنف الذي هو دخيل وطارئ فقط،

وغير هذا اللفظ لا نجد ذكرا آخر للمصطلح في الصحيح لا على مستوى الكلمة مفردة ولا على مستوى جذرها ولواصقها اللهم ما نسب للصحابة في ابتعاد الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعنيفهم فيما قد صدر منهم، وهو ما يدفعنا للبحث عن مرادفات اللفظ أو بالأحرى بعض الألفاظ المعبرة عن بعض صور العنف وأشكاله والتي حددناها تمثيلا لا حصرا في ثلاث مفردات وهي (الخشونة، الظلم، الفحش،) وما جاء فيها من ذكر على لسان الحبيب صلى الله عليه وسلم نهيا أو تأديبا أوما إلى ذلك، والبداية مع مصطلح الخشونة الذي لم يرد ولا مرة في الصحيح على مستوى الكلمة مفردة أو مع اللواصق، لكنه ورد على مستوى جذر الكلمة في مناسبتين وفي غير هذا المعنى المقصود، أما لفظ الظلم فقد خُصص له باب بعينه وورد فيه حديثان اثنان الأول منهما جاء في ضرورة الابتعاد عن الظلم في شتى أشكاله وصوره وبشكل مطلق حيث "روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الظلم ظلمات يوم القيامة " (*[2]).

وهو تشبيه بليغ من هدي خطابه عليه الصلاة والسلام جاء ليعكس مدى تأثير الظلم على صاحبه الذي يجعله وكيفما كان عمله يسبح في ظلمات -هكذا بالجمع – وليس ظلمة واحدة لأنه ما يكاد يخرج من ظلمة في طريق بحثه عن نور الحق حتى يدخل في ظلمة أخرى الله وحده الأعلم بمداها وبحدها. ثم أخيرا لا ينبغي أن تنسى أيها الظالم بأن كل هذا هو يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون،

أما الحديث الثاني –مجال الحديث - فكان في ضرورة انتصار المؤمن لأخيه المؤمن مظلوما وظالما حيث "روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال: تأخذ فوق يديه " (*[3]) وفي رواية قال:" تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره".

---

١ حديث رقم ٦٠٣٠ صحيح البخاري كتاب الأدب .ج ٣ ص ١٢٣٨.

٢ حديث رقم ٢٤٧٧ صحيح البخاري كتاب المظالم.ج٢ . ص ٤٨٨.

٣ حديث رقم ٢٤٤٤ صحيح البخاري كتاب المظالم .ج٢ .ص ٤٨٨.

وفي هذا الخطاب النبوي أيضا دعوة صريحة منه عليه الصلاة والسلام إلى منع الآخرين عن الظلم وحجزهم عنه معتبرا ذلك نصرا له انطلاقا مما عرفناه من العواقب الوخيمة التي تنتظر الظالمين، وفي كل هذا أيضا حمايةً للمظلوم ومنعة له،

وحين نخرج من لفظ الظلم إلى لفظ الفحش الذي جاء مقرونا بلفظ العنف أو مرادفا له في الحديث السابق نجد اللفظ يتكرر في أكثر من خمسة وعشرين مرة تقريبا غير أن ما يعنينا في هذا الموضوع هو أقل من هذا وفيه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم، أو وصف لصحابته رضوان الله عليهم لبعض صفاته وأخلاقه عليه السلام، من ذلك ما " روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وكان يقول:إن من خياركم أحسنكم أخلاقا، وفي رواية إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقا"(*[1]) وفي حديث آخر" روي عن أنس بن مالك رضي الله عنهما أنه قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبّابا ولا فحاشا ولا لعانا " (*[2]). وفي حديث عائشة " أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة يا رسول الله حين رأيتَ الرجل قلتَ له كذا وكذا ثم تطلقتَ في وجهه وانبسطت إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة متى عهدتني فحاشا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره وفي رواية (اتقاء فحشه) " (*[3])،

وفي كل هذا الأحاديث والأخلاق المحمدية الداعية إلى نبذ الفحش –حتى مع الأعداء- صورة واضحة عن هديه عليه الصلاة والسلام في نبذ العنف بجميع أشكاله وصوره، والدعوة إلى حسن الخلق والرفق في المعاملات وبغير هذا يتحول الإنسان المكرم إلى شر مخلوقات الله منزلة عند الله يوم القيامة، لأنه وكما أبعد الناس عنه في الدنيا بقبح قوله، وشر فعله يبعده الله عنه في الآخرة ليعيش على الصورة التي عاش فيها في دنياه.

وفي المقابل لكل هذا وحين نقلب الموضوع من جهة ضده للوقوف أكثر على حقيقة اللفظ نجد لفظ العنف يقابله لغويا لفظ الرفق كما مر معنا في التعريفين اللغويين سابقا، وحول مصطلح الرفق وبعض مرادفاته المختارة تمثيلا من مثل الرحمة والطيبة دارت معاني أحاديث كثيرة كما سنرى. وفيها ومن حولها كانت الدعوة المحمدية أيضا صريحة للتمسك بهذه الأخلاق كبديل أساسي لتلك الصفات النقيضة،

ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في باب الدعاء على المشركين في رواية ثانية لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها في قصة اليهود مع الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لها: " مهلا يا عائشة إن

---

١ حديث رقم ٣٥٥٩ صحيح البخاري كتاب ا لمناقب ص ٧٢٣.

٢ حديث رقم ٦٠٣١ صحيح البخاري كتاب الأدب ص ١٢٣٨.

٣ حديث رقم ٦٠٣٢ صحيح البخاري كتاب ا لأدب. ص ١٢٣٨.

الله يحب الرفق في الأمر كله (وفي رواية إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) " (*[1])، وفي اشتقاق اللفظ من وسمه عز وجل أكثر من معنى ومن دلالة في الأمر..

وبالرجوع إلى مرادف اللفظ نجد لفظ الرحمة في مفرده وجذوره يتكرر أكثر من مائتين وثلاثين مرة في الصحيح، ومثله لفظ الطيبة الذي تردد أكثر من مائة وخمسين مرة ومثله لفظ الشفقة والعطف وما إلى ذلك، ومع كل مفردة من هذه المفردات إشارة صريحة إلى التمسك بمكارم الأخلاق ودعوة لنبذ جميع أشكال العنف،

وإذا تركنا مصطلح العنف في مفهومه ومرادفاته وأضداده ورحنا نتتبع الخطاب النبوي في كل ما له علاقة مباشرة بأحد أشكال العنف حديثا أو ما يعرف بالعنف ضد المرأة وجدنا الخطاب النبوي في هذا المجال يركز تركيزا أساسيا على الموضوع، ويتحدث في أكثر من أربعمائة موضعا عن الزوجة الأهل وعن الأم وعن النساء بشكل عام وفي كل مرة كانت الدعوة منه عليه الصلاة والسلام بضرورة الرفق بالنساء عامة وعدم تعنيفهن أو القسوة عليهن، و نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا قوله عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه للرجل الذي جاءه وسأله من أحق الناس بحسن صحابتي " قال عليه الصلاة والسلام أمك قال ثم من قال:أمك قال ثم من قال: أمك، قال ثم من قال: أبوك " (*[2])، والحديث هنا كما هو واضح وبلغة الجنسين يعطي ثلاثة حقوق من أصل أربعة للأم المرأة مقابل حق واحد للأب الرجل، ولعل في ذلك أكثر من دلالة وتأكيد لما قد يضيَع من حقوق للمرأة الأم، وجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا أنه لا يجوز إكراه الفتاة على النكاح حيث روي عن الخنساء بنت خذام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها (*[3]). لأنه رأى في ذلك تعنيفا لها، بل الأكثر من هذا كله أن المرأة إذا استكرهت على الزنا فلا حد عليها شرعا مصداقا لقوله تعالى (" ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ") (*[4]).

وفي جانب تحمل المسؤولية يضع الرسول الكريم المرأة جنبا إلى جنب مع الرجل حيث يقول عليه الصلاة والسلام:" كلكم راع وكلكم مسؤول فالإمام راع وهو مسؤول والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول " (*[5])، ويذهب النبي الكريم في تفسير صفة تأديب الزوج لزوجته وضربها الضرب المبرح فيقول: " لا يجلد أحدكم إمرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم " (*[6]) فنراه يستغرب لمن يجمع بين وصفين متناقضين في يوم واحد ولذلك نهى عنه،

---

١ حديث رقم ٦٣٩٥ صحيح البخاري كتاب ا لدعوات ص ١٣٠٣.

٢ حديث رقم ٥٩٧١ صحيح البخاري كتاب ا لأدب. ص ١٢٢٨.

٣ حديث رقم ٦٩٤٦ صحيح البخاري كتاب ا لإكراه. ص ١٤٠٥.

٤ سورة النور .الآية ٣٣.

٥ حديث رقم ٥١٨٨ صحيح البخاري كتاب ا لنكاح ص ١٠٨٩.

٦ حديث رقم ٥٢٠٤ صحيح البخاري كتاب ا لنكاح. ص ١٠٩٤.

هذا قليل من كثير ورد في الهدي المحمدي صلى الله عليه وسلم في ما له علاقة مباشرة بمصطلح العنف في بعض مفاهيمه اللغوية أولا وفي جزء يسير مما له علاقة مباشرة باللفظ مرادفا وضدا، وهي رؤوس أقلام أولية نأمل أن نكون بها قد شاركنا ولو باليسير في إثارة بعض النقاط الأساسية لما من شأنه أن يسهم في نشر أحاديثه عليه الصلاة والسلام والتمكين لها من جهة، وكذا تحريك آليات البحث والتنقيب في خطابات الهدي النبوي ورسالة الإسلام عامة من جهة أخرى دفعا لكثير من الشبهات والترهات وتصحيحا لكثير من الافتراءات والمغالطات التي تحوم حول رسالتنا المحمدية، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل،

مصطلحات ومفاتيح أساسية في البحث:

مرادفات العنف حسب الترتيب الهجائي:

* الخشونة * الرعونة * الشدة * الظلم * العنف * القسوة * القوة*

أضداد مصطلح العنف حسب الترتيب الهجائي:

*الحنان *الرحمة * الرفق * الشفقة * الطيبة * العطف * الليونة *

المراجع والمصادر:

*/ القرآن الكريم برواية الإمام ورش عن نافع (ض).

*/ الألفاظ الكتابية، عبد الرحمان بن عيسى الهمزاني د ت.

*/ صحيح البخاري، تحقيق أحمد زهوة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٢٦/٢٠٠٥م.

*/ القاموس المحيط للفيروزبادي

*/ لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت

١٧. معالم من الهدي النبوي في التربية

د. علي بن صالح الشايع

(كلية التربية، جامعة القصيم- السعودية)

ملخص البحث

لما كانت معالجة القضايا التربوية تقتضي النظر في الاساليب التي استخدامها الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن هذا البحث قد تعرّض، بمنهج تحليلي، للأساليب التربوية من خلال (**معالم من الهدي النبوي في التربية**)، حيث تم عرض ومناقشة الموضوع من خلال أربعة محاور أساسية.

في المحور الأول تعرض البحث، لمفهوم التربية ومهمتها في الإسلام. وفي المحور الثاني تناول البحث لماذا هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التربية.

أما المحور الثالث فقد عالج البحث بعض الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة، والعل هذا المحور من أهم محاور البحث حيث تناول أحدى عشر أسلوب، وقد تعرّض البحث ضمن هذا المحور إلى تعريف الأسلوب والأدلة على هذا الأسلوب ثم بيان أهمية هذا الأسلوب.

معالم من الهدي النبوي في التربية [١]

١- مقدمة:

تأتي هذه الدراسة في ظل الانبهار الكامل بالتربية الغربية مع اهمال واضح للتربية الإسلامية واعتماد النموذج الغربي في كثير من المدارس الاسلامية، وأسبب في ذلك التقدم الحضاري الذي أذهب عقول بعض المسلمين،، يقول محمود سفر "كان انبهاره – يعني الإنسان المسلم- بحضارة العصر لدرجة الغشاوة، واللهث خلفها حتى الإعياء، كل هذا دفع إلى التقليد والمحاكاة، ليجد نفسه في نهاية المطاف منقادا طواعية إلى الرضوخ لسلطان الحضارة، فيصبح تابعا لها تأمر فيطيع"[٢]. والتربية في جوهرها النهائي عملا ثقافياً يختلف باختلاف الأمم، وتستمده من تراثها ومعتقدتها وفكرها من أجل الحفاظ على هويتها. والتربية الاسلامية تستمد أصولها ومسلماتها وغاياتها وأهدافها من الدين الاسلامي. وقد حاولت في هذه الدراسة بشكل مختصر الاشارة إلى بعض المعالم التربوية والتي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة رضي الله عنهم، وكيف استطاع ان يغير هذا المجتمع ويؤثر فيه هذا التأثير، لإنه صلى الله عليه وسلم استخدم القلب مع العقل وكما قال الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا (إننا- نحن أبناء الغرب- نحتاج إلى معلمين مسلمين يعلموننا كيف نتعلم بقلوبنا كما نتعلم بعقولنا)[٣].

٢- مفهوم التربية ومهمتها في الإسلام

كلمة تربية من المفردات الأصلية في اللغة العربية، وتشير معاجم اللغة إلى أن كلمة تربية مصدر للفعل (رَبَّى- يرُبَّى)، وهو فعل مزيد بالتضعيف، ومجرده (ربا- أو ربب) ويدل على التنمية والتهذيب والتقوية

---

[١]-علي الشايع، أستاذ مساعد بقسم أصول التربية، كلية التربية- جامعة القصيم بالسعودية.

[٢] - محمود سفر، دراسة في البناء الحضاري، محنة المسلم مع حضارة عصره، كتاب الأمة، العدد٢١، الدوحة، ١٤٠٩هـ، ص٤٦.

[٣]-محمد قطب، ، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، دار الشروق، ط١، بيروت، القاهرة، 1418هـ، ص9.

والمحافظة وعلى الشأن[١].

وهذا الفعل يشير إلى النمو والزيادة. قال تعالى (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) (البقرة:٢٧٦). وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»[٢].

و من معانيها التنشئة بالتدرج - و هي من أهم خصائص التربية الإسلامية - اخرج البخاري تعليقا "وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ .

وَيُقَالُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِى يُرَبِّى النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ ."(٣).

ويرى ابن خلدون أن التربية عملية تنشئة اجتماعية للفرد لتعويده بعض القيم العادات والاتجاهات السائدة في المجتمع، واكسابه المعلومات وتزويده بالمعارف الموجودة في المجتمع[٤].

ولقد جاء الإسلام برؤية كونية توحيدية فطرية، وبقيم ومبادئ تربوية هادئة تقصد إلى الخير والإحسان، تحي الضمائر وتنير العقول وتبني حس المسؤولية في الإنسان. فصارت من أصول الإسلام كون الدين هو الموجه لحركة المجتمع ومصدر كل نظمه العاملة التي منها التربية بوسائلها المختلفة. ومن هذا الوجه يتبيّن أن الدين هو روح حركة الحياة في الإسلام وروح العلوم والمعارف كلها وروح المجتمع.

فالتربية في الإسلام منهج متكامل يعنى بالجسم والروح والعقل. ومن أجل تكامل النظرة الإسلامية إلى الحياة والوجود والمجتمع، جمعت التربية الإسلامية بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم، فهي تعني بالتربية الخلقية والصحية والعقلية، فالإسلام بالأساس تعبدي يوضح العلاقة بين العبد وربه لكنه لم يهمل ابدا الجوانب الأخرى. ولذلك ينشأ المسلم سوياً قوى الصلة بالله، محققاً لرسالته في الحياة.[٥] أما غاية التربية فهي بناء الإنسان وصياغته بالصورة التي يتمكن من حمل رسالة الاستخلاف في الأرض بالعبادة والتعمير.

والتربية بهذا المعنى إنما هي غرس للمبادئ والقيم وأخلاق الفطرة السوية، من عدل ومساواة وصدق وإخلاص، في صميم قلب الإنسان، والنشء خاصة، لتُسقَى بماء التعارف والتواصل والتراحم بين الناس فتؤتي أكلها وثمارها سلاماً ووئام وتعاوناً في المجتمع الإسلامي:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ (١٥٩)﴾ (آل

---

[١]-مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١، ط٢، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ١٩٥٢م، ص٧٢-٧٣.

[٢]-أخرجه البخاري في كتاب الزكاة- باب الصدقة من كسب طيب لقوله تعالى (ويربي الصدقات.....الآيه) رقم (١٤١٠) . و قال ابن حجر:" قوله:(يربيها كما يربى) هو من التربية وهي القيام على الشئ وإصلاحه ". هدي الساري مقدمة فتح الباري . ط٣ , القاهرة , المكتبة السلفية , ١٤٠٧ هـ . (ص ١٢٦) , الفصل الخامس , في سياق الألفاظ الغريبة , حرف (الراء) .

[٣]- صحيح البخاري , ك العلم , باب العلم قبل القول والعمل.قال ابن حجر:" و قال الأصمعي و الاسماعيلي الرباني نسبة إلى الرب , أي الذي يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم , والعمل , و قال ثعلب قيل للعلماء ربانيون لأنهم يربون العلم أي : يقومون به .. و الحاصل أنه اختلف في هذه النسبة هل هي نسبة إلى الرب , أو إلى التربية " فتح الباري (١/ ١٩٥) .

[٤]- محمد شحات وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ط١، الرياض، دار الخريجي، ١٤١٥هـ، ص٢٥

[٥]-الجندي، أنور: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار (القاهرة ١٩٧٩) مج٦/٣٩٧.ص٢٥

عمران).

﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢)﴾ (المائدة).

فالتربية الاسلامية بالمفهوم الشامل هي " تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الاسلام والتي ترسم عدداً من الاجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام"[(١)]. و الأولى في هذا التعريف ينبثق هذا السلوك مع عقيدة الإسلام " بدل قوله: يتفق

٣- لماذا هدي النبي ﷺ في التربية

من أسباب تحقق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة هديه.

١. إن هذا الهدي النبوي صحيح وصالح ولكن على المربي أن يراعي المتربي والموقف التربوي.
٢. انبهار المسلمين بالنظريات التربوية الغربية وإهمال القرآن الكريم والسنة النبوية وما احتوته من معالم وأساليب وطرق تربوية.

٤.معالم من الهدي النبوي

١/٤ القدوة[(٢)]

تعتبر التربية بالقدوة من أهم معالم التربية الإسلامية ومن أسباب فشل التربية في وقت الحاضر غياب القدوة، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة في كل حياته كلها قال تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب:٢١).

ولذلك حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم الآباء والأمهات من التناقض بين ما يدعونه ويظهرونه لأولادهم وبين سلوكهم، لما يترتب على ذلك من آثار سيئة على تربيتهم، فقد يؤدي ذلك إلى شك الأبناء في القيم التي يتلقونها من الوالدين، كما يقلل من احترامهم للوالدين، ويسهم في تثبيط عزائمهم، فعن عبدالله بن عامر أَنَّهُ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لِأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللهِ تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ " قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ "[(٣)].

لذا ينبغي على العلماء و من يتصدي للتربية و التعليم أن يكون قدوة حسنة ,قال الشافعي لمؤدب أولاد هارون الرشيد أبي عبد الصمد:" ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح من تؤدبهم إصلاحك نفسك، فإن

[(١)]-سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م، ص٦

(٢)- قال الزبيدي:" قدو:و القُدْوَةُ ، مُثَلَّثَةً ،و القِدَةُ ،كعِدَةٍ :ما تَسَنَّنْتَ به ،واقْتَدَيْتَ به .قالَ الجَوْهرِي:القُدْوَةُ :الأُسْوَةُ .يقالُ:فلانٌ قُدْوَةٌ ,يُقْتَدَى به.ويُضَمُّ.وفي المِصْباح الضمُّ أَكْثَر مِن الكَسْر".تاج العروس من جواهر القاموس(٣٩/ ٢٧٦).أما في الاصطلاح فعرفه الشوكاني فقال :" الاقتداء هو طلب موافقة الغير في فعله "فتح القدير,ط , الرياض مكتبة المعارف ١٣٧/٢ ،تفسير سورة الأنعام ,آية (٩٠).

[(٣)]-أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٧٠٢) ج٤٧٠/٢٤ طبعة الرسالة ،و في الهامش قال الشيخ شعيب الأرنؤوط :"حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام مولى عبد الله بن عامر، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عجلان، فقد أخرج له مسلم".

أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عِندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تتركه "(١).

و لقد كان صلي الله عليه وسلم الأنموذج الأمثل للقدوة الحسنة , لذا لما سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق الرسول صلي الله عليه وسلم قالت:" كان خلقه القرآن "(٢) . لذا لا غرابة أن نسمع ونري أفعاله تتردد من أفواه الصحابة - رضي الله عنهم - فهذا أنس، رضي الله عنه، قال:" إني لا آلو أن أصلي بكم كما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بنا ..."(٣) , و هذا رجل قال لابن مسعود:"يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. قال .. وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا"(٤). و هذا " بن عمر، رضي الله عنهما كان يرمي الجمرة الدنيا.. فيقوم مستقبل القبلة ..ثم يرمي الوسطى ويقوم.. ثم يرمي العقبة، ولا يقف عندها ويقول هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل"(٥).و هذه نماذج و الأمثلة كثيرة .

وتكمن أهمية القدوة في أن كثير من الأفعال نستصعب تطبيقها، لكن إذا رأينا أمامنا مثل حي سهل التطبيق وزادت العزيمة.

٢/٤ التربية بالممارسة العملية

وهو من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والعمل، والنظرية والتطبيق.

عَنْ حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِوَضُوءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ، فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الوَضُوءِ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلاَثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلاَثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، وَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٦].

و قال سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه -:"ولقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قام عليه - المنبر - فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته ثم أقبل على الناس فقال "يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلَّموا صلاتي "(٧).

ويستخدم هذا الأسلوب لإعطاء أهمية للموضوع، ولتأكد من إتقان العمل. والفرق بين هذا الأسلوب وأسلوب القدوة إن هذا الأسلوب فيه تفاصيل دقيقة تحتاج إلى تطبيق، كذلك المربي والمتربي لديهم نية

---

(١)- ذكره أبو نعيم بالإسناد في حلية الأولياء(٩ / ١٤٧) , ط ٤ , بيروت , دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ , و نقله الخطيب في تاريخ بغداد (٣ / ١٨٧) . بيروت - دار الكتب العلمية .

(٢)- مسند أحمد بن حنبل (٦ / ١٦٣)حديث (٢٥٣٤١).و في الهامش قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣)- صحيح البخاري . ك الأذان ,باب المكث بين السجدتين.حديث(٨٢١) .وصحيح مسلم ,حديث (٤٧٢)

(٤)- صحيح البخاري . ك العلم , باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة.حديث(٧٠) .

(٥)- صحيح البخاري . ك الحج , باب رفع اليدين عند جمرة الدنيا والوسطى.حديث(١٧٥٢) .

[٦]-أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب المضمضة في الوضوء (١٦٤) ج١/٤٤

(٧)-صحيح البخاري . ك الجمعة , باب الخطبة على المنبر. حديث(٩١٧) .وصحيح مسلم ,حديث (٥٤٤) و اللفظ له .

التعلم بخلاف أسلوب القدوة أحيانا تكون النية منتفية لدى المربي. فالقدوة سلوك مستمر في حيات المربي سواء كان لوحدة أو مع مجموعة , بخلاف التربية بالممارسة فلابد من شخص متلقي .

٣/٤ التربية بالمناقشة

تعتبر طريقة المناقشة هي تطوير لأسلوب الإلقاء بإدخال المناقشة في صورة تساؤلات تثير الدافعية و من معاني النقاش في اللغة "استقصاؤك الكشف عن الشيء "(١) و في الوسيط قال:" (ناقشه) مناقشة ونقاشا استقصى في حسابه ... والمسألة بحثها"(٢). و قد استخدم الرسول صلي الله عليه وسلم هذا الأسلوب كثيرا , فعند مسلم - رحمه الله - في صحيحه عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[٣]. ومما يدل على أهمية المناقشة أن الرسول صلى الله عليه وسلم نسب التعليم إلى جبريل عليه السلام على الرغم أن المعلم هو الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن أهمية هذا الأسلوب أنه يرسخ المعلومة ويذهب الملل ويعود المتعلم على الجرأة ومهارة التعبير وكذلك يثير تفكير المتعلم.

٤/٤ الإقناع بالحوار

الحوار لغة:بمعنى المحاورة وهي المراجعة في الكلام بين اثنين فأكثر. قال تعالى (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) المجادلة).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنَّى ذَلِكَ؟» قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ»[٤]. وأهميه هذا الاسلوب أن المربي

---

(١)-القاموس المحيط (ص ٥٦٢).باب الشين , فصل النون . ط ٢ بيروت .

(٢)-المعجم الوسيط (٢ / ٩٤٦) . مجمع اللغة العربية . أحمد الزيات و آخرون .

[٣]-أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب معرفة معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ رقم (١) ح٣٦/١ .

[٤]-أخرجه البخاري كتاب الطلاق باب إذا عرض بنفي الولد رقم (٥٣٠٥) ج٥٣/٧

يخاطب عقل المتربي وليس عاطفته ولذلك تقبل هذا الأمر عن اقتناع وليس مجاملة.
والفرق بين أسلوب المناقشة وأسلوب الإقناع بالحوار أنه في أسلوب المناقشة المربي يملك المعلومة ويريد توصيلها أو تصحيحها لدى المتربي، أما أسلوب الإقناع فهناك مشكلة لدى المتربي يعمل المتربي على حلها.

٥/٤ أسلوب التوجيه والموعظة الحسنة

يعد أسلوب التوجيه والموعظة من أساليب الرسل والأنبياء، قال تعالى (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (النساء: ٦٣), و التوجيه و الموعظة من الأساليب المؤثرة في سلوك الصغار والكبار معاً. ولكي تُحدث الموعظة أثرها في النفوس، فإنه ينبغي أن تقترن بالتالي:

أ- استخدام الأسلوب غير المباشر في النصح والتوجيه: ولذلك كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يستخدم ما بال أقوام ومنها عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الوَلاَءُ لِي، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَّرْتُهُ ذَلِكَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْتَاعِيهَا، فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّمَا الوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ» ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ»[(١)]. ومن فوائد التوجيه غير المباشر أنه أكثر قبولا وتأثيرا على المتلقي وفيه ستر عليه، وكذلك تجنب الرد السيء من المتلقي وفيه عموم التوجيه.

ب-تخير وقت التوجيه حيث تكون النفس هادئه ومرتاحة للقبول التوجيه ومن ذلك فعن عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ، رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ» فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ» فَقَالَ: أَتُرَى بِي بَأْسٌ، أَمَجْنُونٌ أَنَا، اذْهَبْ[(٢)]. فالرسول صلى الله عليه وسلم وجه النصح للجالسين ولم يوجه النصح للمتخاصمين لعلمه صلى الله عليه وسلم أن الوقت غير مناسب لنصح هذا الغضبان . ولذلك لم يستجيب للرجل الذي انطلق إليه.

ج_ أشعار الأفراد محل التوجيه بالعطف والاهتمام. من ذلك حديث معاذ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: " أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "[(٣)]. فمن باب العطف الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال له مرتين إني لأحبك ثم قال أوصيك وكلها تدل على العطف والاهتمام.

د- إتباع التدرج في النصح و الإرشاد. من ذلك حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ

[(١)]-أخرجه البخاري كتاب الشروط باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله (٢٧٣٥) ج١٩٨/٣

[(٢)]-أخرجه البخاري كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعان (٦٠٤٨) ج١٥/٨

[(٣)]-أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب في الاستغفار (١٥٢٢)ج٨٦/٢ وقال الألباني حسن صحيح

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[١]. ففي الحديث الأمر بالصلاة فقط مجرد الأمر أكثر من ٥٠٠٠ مرة في كل يوم خمس مرات لمدة ثلاث سنوات فهل نتوقع أن يصر الابن على الرفض.

هـ- توجيه الصغير بما يتناسب مع سنه. من ذلك حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخَذَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِخْ كِخْ» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»[٢].

كذلك عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَأَخَذَ حِفْنَةً مِنْ مَاءٍ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهِي، وَقَالَ: «وَرَاءَكِ أَيْ لَكَاعِ»[٣].

٦/٤ التربية باستخدام الوسائل

يمكن القول إن الوسيلة التعليمية: هي كل أداة يستخدمها المربي لتحسين عملية التعلم والتعليم، وتوضيح المعاني والأفكار، أو التدريب على المهارات، أو تعويد المتربين على العادات الصالحة، أو تنمية الاتجاهات، وغرس القيم المرغوب فيها. فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَخُطُوطًا إِلَى جَنْبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَخَطٌّ خَارِجٌ مِنَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، قَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " هَذَا الْإِنْسَانُ، الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الَّتِي إِلَى جَنْبِهِ: الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، إِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمُرَبَّعُ: الْأَجَلُ الْمُحِيطُ بِهِ، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ: الْأَمَلُ "[٤].

وهذا رسم تقريبي

الأعراض

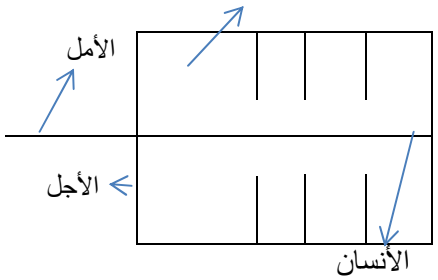

وتكمن أهمية هذا الأسلوب أن فيه إثارة الانتباه المتعلمين، ويزيد من فهم الموضوع المراد شرحه، وفيه إطالة أمد التعلم، وزيادة التركيز نحو الحدث (بأورة الشعور)، وإبراز أهمية الموقف التعليمي.

٧/٤ التربية بالحديث والموقف

ويعرف بأنه: توظيف حدث معين لإعطاء توجيه معين.

ومن الأمثلة على ذلك عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ

---

[١]-أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (٤٩٥) ج١/١٣٣ وقال الألباني حسن صحيح

[٢]-أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب ما يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم (١٤٩١) ج٢/١٢٧

[٣]-المعجم الكبير للطبراني ج٢٤/٢٨١

[٤]-أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٢٣١) كتاب الزهد باب الأمل ولأجل ج٢/١٤١٤ ,و الأمام أحمد في مسنده (٣٦٥٢) ج٦/١٦٤ .وقال الألباني صحيح

بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»[1]. فالرسول صلى الله عليه وسلم حتى يقرب للمستمعين هوان الدينا على الله وظف الجدي الميت. ومن الامثلة كذلك عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا، وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[2]. وهذا الحديث يبين مقدار العطف والرحمة لإن العطف والرحمة درجات فمقدار عطف الأم على ابنها وهي أعلى درجات العطف والرحمة فالله أرحم من الأم.

٨/٤ أسلوب التفريق بين المخطئ عن جهل والمخطئ عن علم

الخطأ سلوك بشري لا بد ان نقع فيه حكماء كنا او جهلاء . وليس من المعقول أن يكون الخطأ صغيراً فنكبره .. و نضخمه.. ولابد من معالجة الخطأ بحكمة ورويه، وليس أجمل من الأسلوب النبوي في معالجة الأخطاء، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السَّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ فَجَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ رِجَالًا مِنَّا يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ» وَرِجَالٌ مِنَّا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوهُمْ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَرِجَالٌ مِنَّا يَخُطُّونَ، قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطُّهُ، فَذَاكَ» قَالَ: وَبَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَحَدَّقَنِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ قَالَ: فَضَرَبَ الْقَوْمُ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُسَكِّتُونِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَانِي بِأَبِي وَأُمِّي، هُوَ مَا ضَرَبَنِي، وَلَا كَهَرَنِي، وَلَا سَبَّنِي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، قَالَ: «إِنَّ صَلَاتَنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ» قَالَ: ثُمَّ اطَّلَعْتُ إِلَى غُنَيْمَةٍ لِي تَرْعَاهَا جَارِيَةٌ لِي فِي قِبَلِ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، وَإِنِّي اطَّلَعْتُ فَوَجَدْتُ الذِّئْبَ قَدْ ذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، فَصَكَكْتُهَا صَكَّةً، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ادْعُهَا»، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَمَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ فَاعْتِقْهَا»[3].

وفي الحديث الآخر عن عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ

---

[1]-أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ج٢٢٧٢/٤

[2]-أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٤) ج٢١٠٩/٤

[3]-أخرجه النسائي في كتاب السهو باب الكلام في الصلاة (١٢١٨) ج١٤/٣ وقال الألباني صحيح.

أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[1]. ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم تصرف بشفقه ورحمة مع المتحدث في الصلاة لإنه لا يعلم الحكم في ذلك، بينما تصرف بشدة مع أبي ذر رضي الله عنه مع فضله لإنه حصل منه ما حصل و هو يعلم الحكم الشرعي لهذه المسألة.

٩/٤ ترك مناقشة المخطئ في عذره الزائف

يحاول بعض المخطئين تقديم مبررات مختلقة وغير مقبولة وخصوصا إذا انكشف أمرهم بغتة على حين غرة منهم بل قد يبدو على بعضهم التلعثم وهم ينطقون بالعذر الزائف وخصوصا الذين لا يُحسنون الكذب لنقاء في سرائرهم. فكيف يتصرّف المربي يا تُرى إذا صادف مثل هذا الموقف من أحد المخطئين؟.

عَنْ خَوَّاتِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ الظَّهْرَانِ قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِي، فَإِذَا نِسْوَةٌ يَتَحَدَّثْنَ، فَأَعْجَبَنِي، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا، وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: " أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ". فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هِبْتُهُ وَاخْتَلَطْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَمَلٌ لِي شَرَدَ وَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا، فَمَضَى وَاتَّبَعْتُهُ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ وَدَخَلَ الْأَرَاكَ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ مَتْنِهِ فِي خُضْرَةِ الْأَرَاكِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، وَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ: " أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟ ". ثُمَّ ارْتَحَلْنَا، فَجَعَلَ لَا يَلْحَقُنِي فِي الْمَسِيرِ إِلَّا قَالَ: " السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ ". فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَمُجَالَسَةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ الْمَسْجِدِ، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَقُمْتُ أُصَلِّي، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ، فَجَاءَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، وَطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ وَيَدَعَنِي، فَقَالَ: " طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ". فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ لَأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَأُبَرِّئَنَّ صَدْرَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا انْصَرَفْتُ قَالَ: " السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟ ". فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، فَقَالَ: " رَحِمَكَ اللَّهُ " - ثَلَاثًا - ثُمَّ لَمْ يَعُدْ لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ»[2].

ونلاحظ في هذا الحديث عدة لفتات تربوية منها أن الرسول صلى الله عليه وسلم ناده بكنيته وهو يفعل محرم، وبعد أن ذكر عذر ليس مقبول لم يجادله أو يقول له كذبت بل أخذ يركز وكرر هذا العذر ليعلم خوات رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتنع بهذا العذر، كذلك لم يفضح بل أن الصحابة رضي الله عنهم يعتقدون أن خوات رضي الله عنه شرد له جمل، ولما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن خوات رضي الله عنه انقطع عنه وهذا يدل على حياءه وندمه وتوبته أرد ان يضع حداً

---

[1]-أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (٣٠) ج١/١٥

[2]- رواه الطبراني في الكبير (٤/٢٠٣)حديث (٤١٤٦).وقال الهيثمي:" رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيقَيْنِ، وَرِجَالُ أَحَدِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ الْجَرَّاحِ بْنِ مَخْلَدٍ وَهُوَ ثِقَةٌ".مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .ك المناقب. باب ما جاء عن خوات بن جبير رضي الله عنه(١٦١٠٥) ٩/٤٠١

لهذا، ثم بعد ذلك دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة ثلاث مرات ولم يذكره لاحقا بهذا الخطأ الذي حصل منه.

١٠/٤ التربية بالمزاح

الإسلام لا يرفض المزاح، ولكن يقيده بضوابط الشرع، ليصبح سلوكاً مقبولاً يدخل السرور على النفس، ويطرد الممل ويذهب السأم، ويزيل الغم عن النفس.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ» . وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ»[(١)].

ومن فوائد هذا الأسلوب إعطاء المعلومة أو تصحيحها بشكل مرح مما يدخل السرور على قلب المتلقي ويتلقى المعلومة بشكل عفوي مما يزيد في رسوخها، كذلك فيه إزالة الحواجز بين المربي والمتربي.

١١/٤ التربية بالمشاركة

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يُحَدِّثُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

[البحر الرجز]

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا،

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا،

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا "

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا[(٢)].

فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يشارك الصحابة في العمل ليبين لهم أهمية العمل الذي يقومون به

<u>من أهم نتائج البحث</u>

يمكن تلخيص أهم نتائج هذا البحث في نقطتين:

الأولى: إن التربية الاسلامية قادرة على النهوض بالأمة من سباتها، ولها الدور الكبير في إحداث التغيير

---

(١)-أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (١٢٦٤٨) ج٩٠/٢٠ من طريق عبد الرزاق و قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في الهامش :"إسناده صحيح على شرط الشيخين".أ.هـ وهو في "مصنف عبد الرزاق""١٩٦٨٨".و أخرجه الترمذي في "الشمائل" "٢٣٩"، وأبو يعلى "٣٤٥٦"، والبزار، "٢٧٣٥"، والبيهقي ١٦٩/٦ و٢٤٨/١٠ ، وصححه الحافظ في "الإصابة" ٥٣٣/١

(٢)-أخرجه البخاري كتاب المغازي باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٤١٠٦) ج١١٠/٥

الاجتماعي والاقتصادي على جميع المستويات، ولنا في ذلك كيف أحدث الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التغيير في من حوله ولقد حقق القادة الذين تخرجوا من مدرسة النبوة أعظم الفتوحات في تاريخ البشرية في مدة هي بمقاييس ذلك الزمن قياسية جداً ففي أقل من مائة عام غطت فتوحاتهم جزءاً كبيراً من العالم القديم (وامتدت من الصين شرقاً إلى شاطئ الأطلس غرباً وبلغ عدد قادة الفتح الإسلامي مئتان وستة وخمسين قائداً منهم مئتان وستة عشر قائداً من الصحابة والباقون من التابعين) [١]. النقطة الثانية: الحذر من النقل بدون تمحيص وللأسف فإن علماء المسلمين استقوا من الغرب الفلسفة والنظريات بدون تمحيص أو تأصيل يقول أحد الباحثين " إنه ربما كانت أخطر مظاهر التبعية ميل كتابنا وعلمائنا إلى قبول المقولات الاجتماعية التي نشأت وتطورت في المجتمعات الصناعية دون التنبيه إلى ما تقوم عليه من مسلَّمات تشكلَّت في ظروف تاريخية وحضارية مختلفة تماماً عن ظروفنا"[٢]

(١) - حسين أدهم جرار القدوة الصالحة، (أخلاق قرآنية ونماذج ربانية)، ص٢٧ .

[٢]-جلال أمين، بعض مظاهر التبعية الفكرية في الدراسات الاجتماعية في العالم الثالث" في إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٢٣٢.

١٨. مكانة الحديث النبوي في العقيدة الإسلامية

د. سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود بالرياض.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يهدف هذا إلى التأكيد على أن التمسك والاستدلال بالسنة النبوية في العقيدة والأحكام من لوازم العقيدة الإسلامية الصحيحة، بل إن ذلك من لوازم تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلكم الكلمة التي يسمعها المسلمون كل يوم خمس مرات حين ينادي بها المؤذن لأعظم شعيرة بعد التوحيد، قائلاً: (أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله). بل المسلم في كل صلاة وفي دعاء التحيات يقول في آخره: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

والشهادة له عليه والصلاة والسلام بأنه رسول الله: تعني تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

وعليه فالذين يحتجون بالسنة النبوية عموماً أو أخبار الأحاد أو العقائد أو الأحكام، أو يحرفونها ويأولونها أو يفوصون معانيها إذا لم توافق أفهاهم وعقولهم هم في واقع الأمر وحقيقته لم يحققوا معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

بل الذين لا يحتجون بالسنة النبوية هم في حقيقة الأمر لا يعارضون بالقرآن، لأن الله أمر في كتابه بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**). بل إن الله –عز وجل-جعل اتباعه صلى الله عليه وسلم دليلاً على صدق محبة العبد لله عز وجل، قال تعالى: (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**).

ولمكانة السنة النبوية من العقيدة الإسلامية عنى بها سلفنا الصالح قولاً وعملاً وعلماً واعتقاداً وتصنيفاً وتأليفاً، فلا تكاد تجد كتاباً من كتب العقائد المسندة أو المختصرة أو المطولة إلا ويشير مؤلفه إلى مكانة السنة من العقيدة، بل إن من مسميات العقيدة في القرون الفاضلة: السنة كما في كثير من مؤلفات السلف.

وقد جاء هذا البحث لبيان هذه المكانة والعلاقة بالعقيدة الإسلامية، من جهة كون السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر العقيدة الإسلامية، ومن جهة كون الاستدلال بها من لوازم صحة العقيدة وتحقيق معنى الشهادتين اللتين هما الركن الأول من أركان الإسلام. وكذا من تحيقي الإيمان بالرسل الذين هو ركن من أركان الإيمان. وذلك من خلال ذكر شواهد من عناية المصنفين في العقائد المسندة والمختصرة. والتاريخ خير شاهد فلا نصر ولا عز ولا تمكين لأمه الإسلام حتى تعود إلى كتاب ربها وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وتطبقهما في سائر شؤون حياتها فقد ترك فينا صلى الله عليه وسلم ما أن تمسكنا بهما فلن نضل أبداً: كتاب وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً. وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد - صلى الله عليه وسلم - وشرَّ الأمور محدثَاتُها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

من أهداف هذه الندوة المباركة: التوصل إلى المنهج الأمثل في التعامل مع السنة النبوية، والتأكيد على أهمية السنة كمصدر للعقيدة والشريعة والمعرفة. وهذا لاشك أنه هدف كبير وعظيم. فالشكر الله للأخوة القائمين على هذا الندوة هذا الاختيار الموفق بإذن الله، في وقت المسلمون بحاجة ماسة وملحة إلى المنهج الأمثل في التعامل مع السنة النبوية كما دل عليه كتاب وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليه أجمعين، وما كان عليه أئمة الإسلام الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى.

ولذا أحببت أن أشارك في هذا المؤتمر بهذا البحث الذي أحاول فيه إبراز مكانة السنة النبوية في العقيدة الإسلامية، من خلال مكانة السنة النبوية في القرآن الكريم، وعناية السلف الصالح بها في كتب العقائد المسندة والمختصرة والمطولة، مصدراً للتلقي، ولازما من لوازم صحة المعتقد. وقد عنونت لهذا المختصر بعنوان: بعنوان: (مكانة الحديث النبوي في العقيدة الإسلامية).

وتتكون خطة البحث من: مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة.

التمهيد: في بيان أهمية العقيدة الإسلامية.

المبحث الأول: منزلة الحديث النبوي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الحديث النبوي من مصادر العقيدة الإسلامية.

المبحث الثالث: استدلال السلف الصالح بالحديث النبوي في مسائل العقيدة.

المبحث الرابع: الحكم العقدي في الاستدلال الحديث النبوي.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

وقد راعيت الاختصار في هذا البحث قدر الاستطاعة، سائلاً الله أن يجزي العلماء الفضلاء القائمين والمشرفين على هذا المؤتمر أحسن الجزاء وأوفاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

تمهيد: أهمية العقيدة الإسلامية.

مما لا شك فيه أن العقيدة الإسلامية هي الأصل والأساس الذي إذا صح صحت جميع الأعمال، وإذا فسد فسدت جميع الأعمال، ولذا عنى أنبياء الله أولاً وقبل كل شيء بتصحيح عقائد الناس.

لأن مدار الخير والصلاح على صلاح العقيدة، فإذا صلحت استقام الناس على الحق والخير، وإذا فسدت فسدت أحوال الناس، واستحكمت فيهم الأهواء والآثام، وسهلت عليهم المنكرات. وإلى هذا

المعنى يشير الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**"[1].

والمتأمل في القرآن الكريم وفي قصص الأنبياء والمرسلين التي وردت في القرآن الكريم، وما حدث لهم مع أقوامهم، نجد أنهم اتفقوا جميعاً على الدعوة عقيدة واحدة، هي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب الشرك، وإن اختلفت شرائعهم. قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**}[سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]. وكل رسول كان يقول لقومه: {**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**}[الأعراف، الآية: ٨٥،٦٥،٥٩].

وعليه فالدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والتحذير من الشرك، هو الأصل الأول في دعوة الأنبياء والمرسلين، من لدن نوح إلى محمد - عليهم الصلاة والسلام.

وهذا لا يعني أن الأنبياء والرسل لم يدعوا إلى الفضائل الأخرى، ولا أنهم لم يهتموا بإصلاح المفاسد الأخرى، بل جاءوا بشرائع ومناهج تسير عليها الأمم وتصلح شئون حياتها الدنيا، وأمروا بالمعروف والإصلاح والعدل، ونهوا عن المنكر والفساد والظلم، وأمروا بكل خير وفضيلة، ونهوا عن كل شر ورذيلة إجمالاً وتفصيلاً. لكن أعظم الفضائل توحيد الله - تعالى - وتقواه، وأعظم المفاسد الشرك بالله، وهو الظلم العظيم. فكان ذلك أعظم وأول ما أرسل الله به الرسل.

وهكذا كل دعوة لا تقوم على هذا الأساس - في أي زمان ومكان - فإنها دعوة قاصرة وناقصة، لأن هذا أصل عظيم من أصول الدين متى غفلت عنه الأمم وقعت في كارثة الشرك والابتداع. نسأل الله السلامة والعافية من ذلك.

ومما يؤكد أهمية العقيدة أنها أول واجب يطلب من العبد عند دخوله الإسلام، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه لليمن قال له: (**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية للبخاري- إلى أن يوحدوا الله**) الحديث[2].

وكما أنه أول واجب فهو آخر واجب فمن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله الله دخل الجنة، وعن التوحيد يكون السؤال في القبر عن ربه ودينه ونبيه.

ومما يؤكد أهمية العقيدة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما قاتل الناس على العقيدة (عقيدة التوحيد) حتى يكون الدين لله وحده، تلك العقيدة المتمثلة في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، على الرغم أن سائر المفاسد والشرور كانت سائدة في ذلك الوقت، ومع ذلك فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- جعل الغاية من قتال الناس تحقيق التوحيد، وأركان الإسلام، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا**

---

[1] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث ٥٢، فتح الباري ١ / ١٢٦ . وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، الحديث ١٥٩٩ جـ ٣، ١٢٢ .

[2] رواه البخاري في صحيحه رقم(٤٣٤٧) ومسلم في صحيحه رقم(١٩).

بحق الإسلام، وحسابهم على الله"[1].

ثم إن المتأمل في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم – يجد أن الدعوة إلى العقيدة تأصيلاً وتصحيحاً شملت الجزء الأكبر من جهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ووقته في عهد النبوة.

حيث قضى - صلى الله عليه وسلم- ثلاثاً وعشرين سنة في الدعوة إلى الله. هي عهد النبوة، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جُلها كانت في الدعوة إلى تحقيق (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي الدعوة إلى توحيد الله - تعالى- بالعبادة والألوهية وحده لا شريك له، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة.

ومنها عشر سنين في المدينة، وكانت موزعة بين تشريع الأحكام، وتثبيت العقيدة، والحفاظ عليها، وحمايتها من الشبهات، والجهاد في سبيلها، أي أن أغلبها في تقرير التوحيد وأصول الدين، ومن ذلك مجادلة أهل الكتاب، وبيان بطلان معتقداتهم المحرفة، والتصدي لشبهاتهم وشبهات المنافقين، وصد كيدهم للإسلام والمسلمين، وكل هذا في حماية العقيدة قبل كل شيء.

وبهذا نصل إلى نتيجة بينة واضحة، وهي: أنه واجب على العلماء والدعاة الذين جعلوا القرآن الكريم وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هديهم أن يدركوا هذه الحقيقة من الكتاب والسنة، و يعملوا بها، كما فعل الرسول- صلى الله عليه وسلم - وأصحابه. فيُعنوا أولاً وقبل كل شيء بتصحيح عقائد الناس، وتحذيرهم من الشرك والانحراف عن صراط الله المستقيم.

المبحث الأول: منزلة الحديث النبوي من القرآن الكريم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العقيدة الواسطية بعد أن ذكر آيات الصفات ثم قال: (فصل: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِك. فَمِنْ ذَلِكَ: مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟**). متفق عليه[2].

ثم ذكر جملة من أحاديث الصفات ثم قال: (إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رِسُولُ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ؛ بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ).

والفصل جعله ليميز ما بين الأدلة من السنة عن الأدلة من القرآن وهذه طريقة أهل السنة والجماعة فإنهم يذكرون في المسائل الأدلة من الكتاب ثم يذكرون الأدلة من السنة.

فسنة النبي صلى الله عليه وسلم مفسرة للقرآن ومبينة له كما قال تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ**

[1] - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، فتح الباري . الحديث ٢٤ جـ ١ / ٧٤ . وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله . الحديث ٢٢ جـ ٢ / ٥٣.

[2] صحيح البخاري التوحيد (٧٠٥٦)، صحيح مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨).

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل: ٤٤]، فبين ما أنزل الله لفظه، ومعناه. فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقاً ظاهراً مما توارثته الأمة عن نبيها كما توارثت عنه ألفاظ القرآن)[١].

و(قد اتفق الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عن مجمله، وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر، والخبر)[٢]، (فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بين للناس لفظ القرآن، ومعناه)[٣].

والسنة في القرآن تأتي بلفظ (الحكمة) كما قال جل وعلا ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وكقوله ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وكقوله ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ هذه الحكمة يراد بها سنة الرسول صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ.

وأيضاً في القرآن يأتي الدلالة على السنة بأن الرسول عليه الصلاة والسلام آتانا إياها كقوله ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

كذلك يعبَّر عن السنة أو توصف السنة بما كان فيه أسوة كقول الله جل وعلا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

والمقصود أن السنة في القرآن لها ألفاظ متعددة، وكل هذه الأدلة تدل على أن السنة من الشرع وأنها حجة من عند الله. وهذه أدلة خاصة. بل كل آية فيها الأمر بطاعة النبي صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ هي أمر بطاعة سنته عليه الصلاة والسلام. كقوله ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ وكقوله ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ وكقوله تعالى:﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وكقوله ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ ونحو هذه الآيات هذه فيها الأمر بطاعة الرسول صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ.

وهذه الأوامر عامة لم يَخُصَّ -جل وعلا- شيئاً مما بلغه النبي صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ دون شيء. في العقائد والأحكام. فطاعة الرسول صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ تكون في الأخبار وتكون في الأحكام:

- فأما طاعته في الأخبار بتصديقها وباعتقاد ما دلت عليه.
- وطاعته في الأحكام عليه الصلاة والسلام بامتثال ما أَمر به أو نَهى عنه.

والأدلة عامة لم تفرق بين الأحكام والأخبار فكانت طاعته صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ في الجميع واجبة.

وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام يبلغ ما أوحَى إليه ربه به جل وعلا.

فالسنة من جهة المصدر من الله جل وعلا وجبريل ينزل على النبي صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن وقد قال جل وعلا في نبيه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾.

فالحاصل أن السنة مع القرآن لها أربع مراتب:

الأولى: أن تكون مُقَرِرَة لما جاء في القرآن.

---

(١) الجواب الصحيح (١٧/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٣٢/١٧).

(٣) منهاج السنة النبوية (١٧٦/٤).

الثانية: أن تكون مبينة للقرآن شارحة ومفسرة له. كما فسر النبي عليه الصلاة والسلام قوله تعالى:﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ بأن الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم. أو(بيان للمجمل) أو(بتقييد المطلق). أو(توضيح معنى عام) مثل قوله جل وعلا ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾. ومثل قوله تعالى: (**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ**)(البقرة: من الآية٤٣)أمر الله بإقامتها، وبينت السنة كيفيتها.

الثالثة: أن تكون السنة منشئة لحكم جديد لم يأت في القرآن البتة. مثل حكم النَمْصْ وحكم التَفْليجْ للحُسُنْ ونحو ذلك، أو مثل الأحكام المستقلة التي جاءت ببيان آداب الأكل وآداب الشرب وآداب السفر ونحو ذلك. فالسنة استقلت بأحكام كثيرة عن القرآن، ومن ذلك حديث النزول: "**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**) الحديث.

الرابعة: النسخ. بمعنى أن تكون السنة ناسخة لحكم في القرآن كما نَسَخَ قولُ النبي صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ (لا وصية لوارث) آيةَ البقرة.

المبحث الثاني: الحديث النبوي من مصادر العقيدة الإسلامية.

من المعلوم والمقرر أن العمل بالسنة النبوية في العقائد والأحكام هو من العمل بالقرآن لأن السنة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه، والتعويل عليه بعد كتاب الله عز وجل؛ قال تعالى: (**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة**)[النساء١١٣]. والمراد بالحكمة: السنة.

وقال تعالى: (**ويعلمهم الكتاب والحكمة**)[البقرة١٢٩].

وقال آمرا لنساء نبيه: (**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**)[الأحزاب٣٤].

وقال سبحانه: (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**)[الحشر٧].

وقال صلوات الله وسلامه عليه وآله:(**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**)[1].

فالعمل بالسنة عمل بالقرآن.

وحكم السنة في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل هو حكمُ القرآن؛ فإن السنة توضيحٌ للقرآن، وبيانُ للمراد منه: تفصِّل مجمله، وتقيِّد مطلقه، وتخصِّص عمومه ؛ كما قال تعالى: (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**)[النحل:٤٤].

وقد خالف في هذا الأصل أهل الأهواء والانحراف:

١ - ففريقٌ يردّ السنة النبوية وينكرها إذا وردت بما تخالف مذهبه؛ بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن، والواجب في باب الاعتقاد اليقين، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة.

٢ - وفريق يثبتها ويعتقد بصحة نقلها، ولكنه يحرفها ويؤول معانيها؛ كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب، حتى يخرجها عن معانيها الظاهرة إلى ما يريده من معان الإلحاد والتحريف[2].

ومما يؤكد مكانة ومنزلة الحديث النبوية من العقيدة الإسلامية أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للعقيدة. لأن السنة وحي، فالرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وسواء في ذلك السنة

[1] رواه أبو داود في سننه،باب: في لزوم السنة(٣٥٥/١٢)، وأحمد في المسند(١٣١/٤)(١٩١/١).

[2] انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس ص١٩٦-١٩٧).

المتواترة أو الآحاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والذي عليه الأصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له وعملاً به يوجب العلم إلا فرقة قليلة اتبعوا طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان).

وقال الإمام أحمد مقرراً وجوب الأخذ بما دلت عليه السنة: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى أي سفيان والله سبحانه يقول﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ أتدري ما الفتنة , الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فليهلك).

وقد جرت عادة الأئمة في مؤلفاتهم العقدية، يسمون كتب الحديث النبوي بكتب السنة؛ فالسنة تفسر القرآن؛ أي ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح؛ تفسر القرآن؛ لأن القرآن حمالٌ للوجوه، والسنة تبين هذا..

وقد كان أهل السنة يوصون بمناظرة أهل البدع بالسنة، لأن القرآن حمال للوجوه، والسنة تفسره وتبينه وتوضحه وتعبر عنه.

ولذلك حكى السيوطي رحمه الله في مقدمة كتابه (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)- الإجماع على كفر من قال: (نأخذ بالقرآن، ولا نأخذ بالسنة).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ظهور هؤلاء؛ يقول: «لأجدن أحدكم متكئًا على أريكته يقول: ما جاءنا من كتاب الله أخذناه»؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله». وفي رواية: «وسنتي». واللفظ الأول هو المحفوظ، والكتاب أمَرَ بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾، ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾... وغير ذلك من الأدلة الدالة على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالاستدلال بالسنة هو استدلال بالقرآن، والإعراض عنها هو إعراض عن القرآن الكريم، لأن الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

فالحاصل أنّ أهل السنة يؤمنون بالسنة كما يؤمنون بالقرآن، ويعتبرون السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع، وأن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه.

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى اليمن، وقال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله». وهذا الخبر متفق على صحته؛ فقد بعث معاذًا بأصل الدين؛ لم يبعثه بمسألة من مسائل الأسماء والصفات، ولا باب من أبواب التوحيد؛ بعثه بكل الدين؛ بكل الإسلام؛ بعثه بالتوحيد، وبعثه بالشهادة الأخرى، وبعثه بالصلاة، وبعثه بكل أركان الإسلام، ولم يعترض عليه أحد من أهل اليمن؛ لأن هذا رجل واحد؛ فلا ندري صدقه من كذبه؛ فكان أهل الكتاب

أعقل بكثير من أهل الكلام الذين يرفضون خبر الواحد.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث عماله: الواحد والاثنين؛ يبلغون الدين والإسلام، وهذا الذي أجمع عليه الصحابة، وأجمع عليه العلماء.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: (والسنة هي المصدر الثاني في التشريع. ومعني قولنا:" المصدر الثاني": يعني: في العدد، وليس في الترتيب؛ فإن منزلتها إذا صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم كمنزلة القرآن.

لكن الناظر في القرآن يحتاج إلى شيء واحد، وهو صحة الدلالة على الحكم، والناظر في السنة يحتاج على شيئين: الأول: صحة نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والثاني: صحة دلالتها على الحكم؛ فكأن المستدل بالسنة يعاني من الجهد أكثر مما يعانيه المستدل بالقرآن؛ لأن القرآن قد كفينا سنده؛ فسنده متواتر، ليس فيه ما يوجب الشك؛ بخلاف ما ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. فإذا صحت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كانت بمنزلة القرآن تماماً في تصديق الخبر والعمل بالحكم، كما قال تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)(النساء: من الآية١١٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته؛ يأتيه الأمر من أمري؛ يقول: لا ندري! ما وجدنا في كتاب الله ؛ اتبعناه، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه**"[1].

ولهذا كان القول الصحيح أن القرآن يُنسخ بالسنة إذا صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك جائز عقلاً وشرعاً، ولكن ليس له مثال مستقيم)[2].

المبحث الثالث: استدلال السلف الصالح بالحديث النبوي في مسائل العقيدة.

إنَّ من نِعَمِ الله - عز وجل- على هذه الأمة أنْ أكمل لها دينها، وأتمَّ عليها نعمته، ورضي لها الإسلام دينًا، وما قُبِضَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وقد تركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ، وما ترك خيرًا يقرِّبها إلى الجنة ويبعدها عن النار إلا ودلَّها عليه، ولا شرًّا إلا وحذَّرها منه؛ ليهلك مَن هلك عن بيِّنة، ويحيى مَن حيَّ عن بينة.

فسار سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين، ومن سلك نهجهم، وخطا خطاهم، على نهج نبيِّهم - صلى الله عليه وسلم - وقد أمرَنَا الله - عز وجل - أن نتَّبع سبيل المؤمنين، وحذَّر من اتِّباع السُّبُل التي تَفرَّق بأصحابها عن الصراط المستقيم؛ فقال: {**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[الأنعام: ١٥٣]، ويقول سبحانه: {**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**}[النساء: ١١٥].

وسبيل المؤمنين لاشك أنه سبيل الصحابة والتابعين، والقرون الفاضلة في الدين، الذين أثنى الله عليهم، وأثنى عليهم المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وأمرنا باتباعهم. كما أن مخالفة سبيل المؤمنين

---

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده(١٣١/٤)، وأبو داود في سنن(٤٦٠٤)، والترمذي(٢٦٦٤)، وابن ماجه_١٣) والحاكم(١٩٠/١) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على كتاب الرسالة للشافعي ص(٩)، واللأباني في كتباه: (الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام).

[2] شرح العقيدة الواسطية(٢/٥-٦).

مشاقة لله تعالى، ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - كما ورد في الآية نفسها. وسبيلهم هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الأصبهاني(ت٥٣٥هـ) رحمه الله: (إذا رأيت الرجل إذا قيل له: لم لا تكتب الحديث؟ يقول: العقل أولى، فاعلم أنه صاحب بدعة). بل لقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ترك السنة والاعتراض عليها وعدم الأخذ بها نوع جنون، فقد قال رحمه الله: (متى عرفتُ لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-حديثًا ولم آخذ به فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب)[1]. مما يؤكد مكانة الحديث النبوي في العقيدة الإسلامية عناية علماء العقيدة بالسنة النبوية في كتب العقائد المختصرة والمطولة المسندة والمدرة، فمن ذلك:

قال الإمام ابن أبي داود(٢٣٠-٣١٦هـ) في أول منظومة الحائية:

١. تمسّك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيا لعلك تفلح
٢. وَدن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربح
٣٨. ودع عنك آراء الرجال وقولَهم فقول رسول الله أزكى وأشرح
٣٩. ولا تك من قوم تلّهوا بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدح
٤٠. إذا ما اعتقدت الدهر ياصاح هذه فأنت على خير تبيت وتصبح

وقال الإمام الصابوني(٣٧٣-٤٤٩هـ) في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث: (أصحاب الحديث-حفظ الله تعالى أحياءهم ورحم أمواتهم-يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم –عز وجل- بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله صلى اله عليه وسلم، على ما وردت به الأخبار الصحاح، ونقلت العدول الثقات عنه، وثبتون له –جل جلاله- ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم)[2].

وقال: (وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح، من السمع والبصر والعين، والوجه)[3].

إلى أن قال رحمه الله في آخر كتابه: (ومن تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها واستقام عليها، ودعا إليها كان أجره أو فر وأكثر).(وهكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشد الانكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق...جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة، وجنبنا الأهواء المضلة، والآراء المضمحلة، والأسواء المذلة، فضلاً منه ومنة)[4].

وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله(ت٥٤١-٦٢٠هـ) في كتابه لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: (موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم. وكل ما جاء في القرآن أو صح

---

(1) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن (ص ٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٠٦)، وانظر: صفة الصفوة (٢/ ٢٥٦)، والسير (١٠/ ٣٤).

[2] عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص(١٦٠-١٦١).

[3] المرجع السابق ص(١٦٥).

[4] المرجع السابق، ص(٣٢١).

عن المصطفى عليه السلام من صفة الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترد التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل) ثم بعد أن استدل بجملة من أيات الصفات أستدل بجملة من أحاديث الصفات بلغت ستة عشر حديثاً، حيث قال: (ومن السنة، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا). ثم قال: (فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف-رحمه الله- على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لردّه ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله).

وقال في آخر كتابه اللمعة: (ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه).

وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية، حيث قال: (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وَيُؤْثِرُونَ كَلاَمَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ. وَالإِجِمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِه الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ)[1].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه الأصول الثلاثة التي يكون عنها السؤال في القبر:

قال: (العلم: وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة).

ثم قال: (إن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة. ومن عصاه دخل النار، والدليل قوله تعالى: (إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون فأخذناه أخذاً وبيلا).

إلى أن قال: (ومعنى شهادة أن محمداً رسوله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر. وألا يعبد الله إلا بما شرع).

إلى أن قال في الأصل الثالث: (لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه والخير الذي دلها عليها التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه، بعثه إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين)[2].

وهذا المنهج هو من القواعد الكبرى التي تميز بها سلفنا الصالح في منهج السلف - رحمهم الله - عن كثير من أهل الأهواء والبدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أهل الحق والسنة لا يكون متبوعُهم إلا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فهو الذي يجب تصديقُه في كل ما أخبر، وطاعتُه في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره

---

[1] العقيدة الواسطية بشرح الشيخ محمد خليل الهراس، ص(٧٠).

[2] الأصول الثلاثة ص(٨٨،٥٧،١٦،١١).

من الأئمة"[1]. وقد كان اعتمادهم على السنة النبوية، وتعظيمهم لها، مبنيًّا على أمور، منها:

أ- أن من مقتضيات شهادة أن محمدًا رسول الله، التي لا يتم الإيمانُ إلا بها: وجوبَ تصديقِه فيما أخبر، سواء كان عن الله، أو صفاته، أو مخلوقاته، أو ما يستقبل من أمور الآخرة، وغيرها من الغيبيات.

ب- أن أعرف العباد بما يصلح لهم هو رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أرحم بهم من أنفسهم.

ج- أن الرسول بلَّغ جميعَ ما أُنزل إليه من ربه، لم يكتم شيئًا من ذلك، وأنه - عليه الصلاة والسلام - قد بلَّغ ذلك أتمَّ بلاغٍ وأبيَنَه، حتى ترك أمَّتَه على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فما من خير إلا ودلَّ أمتَه عليه، وما من شر إلا وحذَّرها منه.

وقد تمثَّلت هذه الأمورُ السابقة في موقف السلف من السنة، وتعظيمهم لها، وذلك بكونها وحيًا من الله - تعالى - وبكونه - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن الهوى، وبدا هذا واضحًا من خلال:

١- الخضوع لحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا صحَّ، وتعظيمه، وعدم الاعتراض عليه بأي نوع من أنواع الاعتراض، فلا تحلُّ معارضتُه بذوقٍ، أو وجْدٍ، أو رأي، أو قياس، ونحوه.

يقول الشافعي - رحمه الله -:"لم أسمع أحدًا نسبه الناسُ - أو نسب نفسه - إلى علمٍ يخالف في أن فرض الله - عز وجل - اتِّباع أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتسليم لحكمه، بأن الله - عز وجل - لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال، إلا بكتاب الله، أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأن ما سواهما تبعٌ لهما، وأنَّ فرْضَ الله - تعالى - علينا، وعلى من بعدنا وقبلنا، في قبول الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واحد"[2].

٢- اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة، ونبذ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فأوجبوا التحقق من الأحاديث قبل الاحتجاج بها؛ حتى لا يُنسب إلى دين الله ما ليس منه.

٣- حجية خبر الآحاد في العقيدة، إذا صحَّ وتلقتْه الأمة بالقبول، وهذا من المعالم الرئيسة لمنهج السلف - رضوان الله عليهم - والقول بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم، ومن ثَم فلا يُحتَجُّ بها في العقيدة، بدعةٌ أحدثتْها المعتزلةُ، وتلقَّفها بعض العلماء من المنتسبين إلى السنة - دون بحث أو تمحيص لمآلات هذه المقالة - وخاصة في كتبهم في أصول الفقه في مباحث أدلة الأحكام، بينما لو تتبعنا نصوص السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، لوجدنا شبه إجماع منهم على عدم التفريق في أخبار الآحاد بين الأحكام والعقائد.

يقول ابن تيمية: "فالخبر الذي تلقَّاه الأئمةُ بالقبول، تصديقًا له، أو عملاً بموجبه، يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى المتواتر"[3].

وقال ابن أبي العز: "وخبر الواحد إذا تلقتْه الأمة بالقبول، عملاً به، وتصديقًا له، يفيد العلم اليقيني

---

[1] مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٤٦).

[2] إيقاظ الهمم" (ص: ١٠٤) نقلاً عن كتاب "الأم" (٢٧٣/٧).

[3] مجموع الفتاوى (٤٨/١٨).

عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاعٌ"[1].

ويقول صديق حسن خان: "والخلاف في إفادة خبر الآحاد الظنَّ أو العلم تقيّد بما إذا لم يُضمَّ إليه ما يقويه، أما إذا انضم إليه ما يقويه، أو كان مشهورًا، أو مستفيضًا، فلا يجري فيه الخلاف المذكور، ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماعُ على العمل بمقتضاه، فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيَّره من المعلوم صدقُه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، فكانوا بين عامل به، ومتأول له، ومن هذا القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم"[2].

فلم يكن السلف الصالح يفرِّقون بين خبرٍ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وآخرَ، بدعوى أنه آحاديّ، أو متكاثر الورود، تفريقًا يؤثِّر في العمل والعلم والاعتقاد، واستمرَّ هذا في أهل السنة والجماعة، أهل الحديث والأثر، إلى يومنا هذا، وإلى أن يشاء الله، يدلُّ على هذا تخريج أئمة أهل السنة كمالك وأحمد، والبخاري ومسلم، وأبي داود والترمذي، والنسائي والدارمي، وغيرهم، للأحاديث المثبِتة للعقائد في مدوناتهم، فمتى صح الحديث، وتُلُقِّي بالقبول، وجب العملُ والاعتقاد به ولزم.

المبحث الرابع: الحكم العقدي في الاستدلال الحديث النبوي.

المتأمل في أقوال أئمة السلف ومصنفاتهم العقدية يجد أنهم يعنون بالسنة النبوية الصحيحة, فيثبون ما جاء فيها من عقائد وأحكام كما يثبتون ما جاء في القرآن الكريم، وبنفس الطريقة والمنهج: من غير تحريف ولا تعطيل, ومن غير تكييف , ولا تمثيل.

ولهذا كانوا يزجرون أشد الزجر من يعارض سنة النبي صلى الله عليه وسلم بآراء الرجال كائناً من كان، ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر)[3].

وإذا كان هذا كلام ابن عباس رضي الله عنهما لمن عارض السنة بقول أبي بكر وعمر وهما من هما، فكيف بمن يعارض السنة بقول من هو دونهم ممن ينتسب إليه؟! ويجعل قوله مقدماً على الكتاب والسنة، فما وافقه قبله، وما خالفه ردّه، أو تأوله فالله المستعان. كما هو مقرر في المناهج الكلامية العقلانية في الاستدلال على العقيدة.

وقال الشافعي رحمه الله: (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**)[النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة. الفتنة الشرك، لعله إن ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم**

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية" (ص: ٣٣٩، ٣٤٠).

[2] نقلاً عن "العقيدة في الله"، لعمر سليمان الأشقر (ص: ٦٠).

[3] رواه الإمام في مسنده (٣٣٧/١) والبزار في مسنده(٥٠٥٢)وابن عبد البر في جامع بيان العلم(١٢١٠/٢) وسنده صحيح.

عذاب أليم)[النور:٦٣]الآية.

بل كانوا في القرون الفاضلة يسمون كتب العقائد بكتب السنة، ويعنون بها الطريقة والهدي والسمت والمنهج الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في العلم والقول والاعتقاد والفعل. ومن أمثلة ذلك: كتاب السنة السنة للإمام أحمد، والسنة لابنه عبدالله، والسنة لأبي بكر بن هانيء الأثرم، والسنة لأبي داود، والسنة للطبراني، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني. ولماذا يكون منهم هذا الاهتمام وهذه العناية، والعمل بالسنة النبوية هو من متقضى ولوازم شهادة أن محمداً رسول الله.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه الأصول الثلاثة: (ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد اللهُ إلا بما شرع)[١].

وهذا المعتقد هو خلاف ما عليه أرباب الكلام والفلسفة والتوجهات المنحرفة الذين جعلوا سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وراءهم ظهرياً. فردوها أو حرفوه عما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم. بزعمهم أنها أخبار آحاد لا تقبل في العقائد، وما لم يستطيعوا رده فإنهم يتسلطون عليه بالتحريف، فنتج عن ذلك إنكار كثير من المغيبات ومسائل الاعتقاد.

يقول الدكتور محمد عمارة: (نحن نطالب أصحاب هذه الموجة التي جعلت حديث الآحاد هو كل شيء وتركت القرآن وراء ظهرها أن تعود إلى تحكيم العقل والتريث والاهتمام بالقرآن أولاً، وهو النص اليقيني ثم بالمتواتر من الحديث كله لأنه نص قطعي، ثم بعد ذلك بحديث الآحاد في بعض الأعمال وليس في نطاق التشريعات لأنه ظني)[٢].

وهذا فيه تحجيم للعمل والاستدلال بخبر الآحاد-ومن المعلوم أن أكثر الأحاديث النبوية، هي أحاديث آحاد كما يعرف ذلك أصحاب الحديث، فإذا كنا لا نستدل بحديث الآحاد إلا في بعض الأعمال وليس في نطاق التشريع، فما يبقى لنا من الأحاديث، وما الدليل من الكتاب والسنة وفعل الصحابة على هذا التفريق، أليس في هذا إبطال للعمل بآلاف الأحاديث النبوية الصحيحة المروية في الصحيحين وغيرهما، والسبب في ردها شبهة المعتزلة ومن قال بقولهم، أنها ظنية.

ونتيجة لهذا المنهج ردوا كثيراً من الأحاديث النبوية الصحيحة، مثل: حديث نزول عيس عليه السلام في آخر الزمان، وأحاديث الدجال والجسّاسة، وحديث موسى عليه السلام وملك الموت، وحديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه، وحديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث شق صدر النبي -صلى الله عليه وسلم- وإخراج حظ الشيطان منه، وحديث إسلام قرين النبي صلى الله عليه وسلم، وأحاديث المعراج، وحديث وقوع الذباب في الإناء، وحديث إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة، وحديث تحاجت الجنة والنار، وغيرها[٣].

وقد تأثر عدد من أبناء المسلمين الذين قلت بضاعتهم وثقافتهم من علم الكتاب والسنة، فوقعوا

---

[١] ص(٥٧).

[٢] جريدة المسلمون، السنة السادسة، العدد٢٧٦، نقلاً عن موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، (٢/٢٠٠).

[٣] انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية(٢/٢٠٢-٢١٢).

فريسة لهذا المنهج الخاطئ المنحرف عن جادة الصواب. وبارك المستشرقون هذا الموقف، ومجّدوه لأنه يخدم وجهتهم في إبطال الاستدلال بالسنة النبوية[1]. ورحم الله الإمام مالك حيث قال: (أَو كلَّما جاءنا رجل أَجدلُ من رجُلٍ تركنا ما جاء بِهِ جبريل إلى محمَّد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء)[2].

ويعني -رحمه الله- أنه لو كان الدّين بالجدل والمراء وآراء الرجال، لكان كلما جاءنا رجل أجدل من الآخر، تركنا ما أنزل الله تعالى، وما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لكلامه، ثم يأتي من هو أجدل منه، فنترك –أيضاً- كلام من قبله لكلامه، وهكذا، وهذا هو واقع الحال عند هؤلاء العقليين ممن تركوا الكتاب والسنة وراءهم ظهرياً.

فالواجب على كل مسلم يريد النجاة لنفسه أن يحذر من الأهواء والبدع ومزالق العقول، وأن يحرص على اتباع ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- يتمسك به ويعضّ عليه بالنواجذ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

---

١) الأخذ بالحديث النبوي والاستدلال به في العقائد والأحكام هو من لوازم وتحقيق شهادة أن محمداً رسوله الله والتي هي شطر الركن الأول من أركان الإسلام: (شهادة أن لا إله إلا الله).

٢) الأخذ بالحديث النبوي والاستدلال به هو من لوازم محبة المؤمن لربه عز وجل، وإيمانه بالكتاب الله عز وجل، لقوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله). ولقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).

٣) العمل بالسنة النبوية هو عمل بالقرآن الكريم، وتركها هو ترك للقرآن الذي فيه الأمر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته.

٤) لقد عنى سلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بالحديث النبوي قولاً وعملاً وتطبيقاً، ولذا لا تكاد تجد مؤلفاً في العقيدة الإسلامية إلا ويشير مصنفه إلى مكانة الحديث النبوي في العقيدة الإسلامية من جهة أنه أحد مصادر العقيدة، ولا تصح العقيدة إلا بتصديق الرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر به عن ربه عز وجل، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

٥) السنة النبوية وحي من الله، لأن الله تعالى قال: (**وما ينطق عن الهوى إنه إلا وحي يوحي**). فهي الوحي الثاني بعد القرآن، فالعمل بها عمل بالوحي، وتركها ترك لهذا الوحي، ولذا لا يمكن أن تعارض بالعقول القاصرة، أو التأويلات الفاسدة.

٦) عندما نقرر ونؤكد مكانة الحديث النبوي في العقيدة الإسلامية، فإن هذا لا يعني إغفال وإهمال شروط الصحة، فالحديث الضعيف فضلاً عن الموضوع لا يعتمد عليه في اثبات العقائد والأحكام، ولذا من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار عياذاً بالله. فكما أنه يوجد في الأمة من يرد الأحاديث النبوية ولا يحتج بها ويعترض على رسول الله صلى الله عليه

---

(1) انظر: المرجع السابق، (٢٨٤/١).

(2) رواه اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة، (١٤٤/١). والخطيب في شرف أصحاب الحديث، ص(٥).

وسلم فيما يثبه لربه عز وجل، فكذاك يوجد من يعتمد على الروايات الواهية والموضوعة فينسب للدين ما هو منه براء.

٧) وأوصي بأن تكون هناك هيئة عالمية تعنى بالسنة النبوية، ونشر كتبها، والدفاع عنها، وتجمع الباحثين والمختصين بدراسة الحديث النبوي.

وفي الختام، أوصي القائمين على هذا الندوة المباركة بتبني فكرة إقامة مركز عالمي أو هيئة عالمية تعنى بالسنة النبوية ونشر كتبها والدفاع عنها، وتجمع المختصين والباحثين والمهتمين بالحديث النبوي وتقيم المؤتمرات والندوات المتعلقة بالسنة النبوية ويكون لها موقع على الانترنت، وأقترح أن يكون موقع هذا المركز أو هذه الهيئة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة النبوية حيث انطلاق الدعوة ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

المراجع والمصادر:

١. الأصول الثلاثة، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.
٢. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: التركي،مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٥م.
٣. شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد خليل الهراس، تحقيق: علوي السقاف، الطبعة السادسة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م/ الدرر السنية.
٤. صحيح الإمام البخاري.
٥. صحيح الإمام مسلم.
٦. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. الرياض.
٧. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة المقدسي.
٨. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٩. تفاسير الحديث الشريف في المغرب الإسلامي، قراءة في المنهج والموضوع

د/ محمد عبد الحليم بيشي

(قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

تمهيد:

يقف الحديث الشريف والسنة النبوية المطهرة في مصاف الركائز العظمى للثقافة الإسلامية، من حيث اعتباره المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، ولذلك ملئت المدونات الإسلامية بعلوم الحديث رواية ودراية، وتخريجا واستنباطا، وتحليلا وتعليلا. إذ جاوزت العلوم الخادمة للنص النبوي مائة علم، وناءت المكتبات بالشروح والتفاسير الخادمة للصحاح والمجاميع والسنن والمعاجم والمستدركات والمستخرجات والزوائد وكتب السيرة والشمائل والخصائص ودلائل ومعالم النبوة، فضلا عن كتب التخريج والتعليل والتصحيح والنسخ ومختلف الحديث وغريبه وبلاغته ولغته...إلخ.

وهذا الاعتناء بالنص النبوي يصب في خاتمية الإسلام وهيمنة عقيدته وإعجاز كتابه الذي قضى بالقدر الرفيع لمحمد صلى الله عليه وسلم، حيث لم تحفظ أمة نصوص وأفعال وأقوال نبي كالنبي الخاتم، والذي وعده ربه بخلود أمره ووسطية أمته وهيمنة شريعته مصدقا لقول الله تعالى:﴿**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾[١]

كيف لا وهو النبي الذي زكاه ربه في أحواله كلها صغيرها وكبيرها. فقال تعالى

مزكيا منطقه: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾[٢]

ومزكيا خلقه:﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[٣]

ومزكيا فؤاده:﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾[٤]

ومزكيا عقله ولبه: ﴿**وما صاحبكم بمجنون**﴾[٥]

وعليه تراكضت الأرجل وسهرت الأعين وكلت الأيدي وذبلت الجفون في كتابة الحديث وتدوينه وشرحه. ولكن الذي سما من كل الأعضاء هي الوجوه الناظرة التي وعدها محمد صلى الله عليه وسلم بالحسنى في الدنيا والآخرة حيث قال في خدمة حديثه وحفظة سنته:

---

[١]- سورة آل عمران الآية١٦٤.

[٢]-سورة النجم الآية ٣-٤

[٣]-سورة القلم الآية ٤.

[٤]-سورة النجم الآية١١.

[٥]-سورة التكوير الآية ٢٢.

" نضّر الله امرئ سمع من حديثا، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه.."[1]

ولأجل ذلك لم تكن بلاد المغرب الإسلامي بعدوتيها الأندلسية والمغربية خلوا من خدمة الحديث الشريف حفظا وتدوينا ودراية وشرحا وتفسيرا، وهي وإن تأخرت إنتاجا عن نظيرتها مشرقا إلا أنها سبقت وبزت في أحيان عديدة غيرها كما سيأتي بيانه.

ولاستبصار الموضوع بروية وتوءدة فإننا سنتناول الموضوع كالآتي:

أولا: دخول الحديث إلى المغرب الإسلامي، المسار والقرار

يعود دخول الحديث إلى بلاد المغرب الإسلامي إلى الأيام الأولى لولوج الإسلام فاتحا المغارب الثلاث الأدنى(طرابلس وتونس)، والأوسط (الجزائر)، والأقصى (المغرب) ثم بلاد الأندلس منذ منتصف القرن الأول الهجري إلى نهايته، أي من بناء القيروان على يد الصحابي عقبة بن نافع الفهري (ت ٦٣ هـ)[2] حتى فتح الأندلس على يد طارق بن زياد سنة (٩٢ هـ)[3] .

حيث انتشر الإسلام بين جموع البربر[4] في سرعة هائلة بررتها سماحة هذا الدين وإنسانيته التي جعلت البشر حيث كانوا وبأي لسان نطقوا أمة واحدة لا تفاضل ولا تراتب فيها إلا بالتقوى والعمل الصالح، وسرعة الانتشار رافقتها حركة عجيبة في الإسلام الكلي للبربر، ثم تمكن العربية منهم حتى قالوا: إن الإسلام غرّب وعرّب".

هذا على عكس المشرق الذي بقيت فيه أقليات دينية عديدة كالنصارى والمجوس وعبدة الأصنام والكواكب الذين تحفل بذكر مقالاتهم كتب الملل والنحل.

عندما جاء الصحابة الأوائل وخاصة العبادلة منهم (عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمرو، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس) [5]ومعهم جيش جحفل من التابعين بذرت الروايات الأولى للحديث التي عضّ عليها بالنواجذ مسلمو البربر، وعندما صارت القيروان

---

[1] - سنن الترمذي:كتاب العلم رقم٢٦٦٥/سنن أبي داوود رقم٣٦٦٠/ الخطيب البغدادي:شرف أصحاب الحديث.ت محمد سعيد خطيب أوغلي،نشر كلية الإلهيات أنقرة،ط دار إحياء السنة النبوية،١٩٧١. ص١٧.

[2] -عقبة بن نافع الفهري القرشي،ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم،في صحبته خلاف،ولي فتح برقة وإفريقية والمغرب،استشهد في واقعة تهودة ببسكرة بالجزائر سنة٦٣هـبنى مدينة القيروان وجامعها الأعظم.

انظر ابن الأثيرعزالدين:أسد الغابة في معرفة الصحابة(ت خالد طرطوشي) ط١،بيروت،دار الكتاب العربي،٢٠٠٦. رقم٣٧٢٣ ج٣ص٣٧٢/ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة .بيروت ،دار إحياء التراث العربي د-ت.ج٤ص٥٢٧/ ابن عبد البر:الاستيعاب في أسماء الأصحاب،القاهرة،مكتبة مصر-د،ت-ج٣ص٥٩/ ابن خلدون عبد الرحمان :تاريخ ابن خلدون،ط،١،بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٢.ج٦ص١٢٧.

[3] -انظر في فتح الأندلس :المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .(ت يوسف البقاعي)ط١،بيروت،دار الفكر،١٩٩٨ج١ص١٨٧/ الطبري :تاريخ الأمم والملوك(ت نواف الجراح)ط١،بيروت،دار صادر،٢٠٠٣. ج٤ص١٢٩٧.

[4] -البربر أمم كثيرة تسكن شمال لإفريقيا،دانوا بالوثنية والنصرانية قبل الإسلام، وهم ثلاث عصائب كبرى زناتة وصنهاجة ومصمودة.انظر ليون الإفريقي:وصف إفريقيا(ت محمد حجي)ط٢،بيروت،دار الغرب الإسلامي،١٩٨٣ ج١ص٣٥/تاريخ ابن خلدون ج٦ص١٨٤.

[5] -أبو العرب التميمي القيرواني:طبقات علماء إفريقية وتونس(ت علي الشابي ونعيم اليافي)،تونس،الدار التونسية للنشر١٩٨٥،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب. ص٩٣.

بتونس دار إسلام صار مسجد عقبة بها جامعة إسلامية[1] تدار فيها حلق العلم والرواية[2]، شأنها شأن جامع عمرو بالفسطاط وجامعي البصرة والكوفة بالعراق والأموي بالشام.

كما أن البعثات التعليمية التي وفدت من المشرق حملت معها علم السنة، وخاصة بعثة التابعين التي أرسلها الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ)، وجاءت بغرض تعليم البربر شؤون دينهم[3]، وضمن عشرة من كبار التابعين، وعلى رأسهم المحدث "إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر"[4] الذي قال: "ينبغي أن نحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظ القرآن"[5] وكان لهذه البعثة الدور الأجلى في ترسيخ تقاليد الرواية في المغرب الإسلامي التي وإن تأخرت قليلا عن مثيلاتها في الحجاز والعراق ومصر، فمرد ذلك إلى تأخر فتح المغرب وإسلام البربر، ثم القلق السياسي الذي كان يحياه المغرب الإسلامي في عصر الولاة بسبب ثورات الخوارج من إباضية وصفرية طوال النصف الأول من القرن الثاني الهجري[6]، إلا انه يمكننا أن نجمل العوامل التي رافقت مسار الرواية الحديثة في الآتي:

ا/ وفود التابعين على إفريقية للتعليم والتدريس، وحتى الهجرة فرارا من الظلم.حيث وفد على العرب جماعات عديدة من التابعين وتابعيهم الذين حملوا الرواية وأسانيدها ونشروها في حلق العلم بالقيروان وغيرها، ومن هؤلاء يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري(١٤٣هـ)[7]

الذي روى عنه ابن شهاب الزهري والسفيانان، وكان من شيوخ الإمام مالك بن أنس.

وكذلك التابعي حنش الصنعاني[8] الذي عاصر فتوح الأندلس وأقام بإفريقية معلما ومحدثا، وبها توفي سنة مائة للهجرة.

ومن الذين وفدوا المغرب فارين عكرمة البربري[1] تلميذ ابن عباس الذي حدث إفريقية كثيرا.

---

[1] -يوسف حوالة:الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ٤٥٠،٩٠هـ- منشورات جامعة أم القرى،مكة المكرمة،٢٠٠٠.ج١ص٢٠٢-٢١١.

[2] -انظر:المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد:رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم.(ت بشير البكوش)-ط١،بيروت،دار الغرب الإسلامي.ص١٩٣٨.ج١ص٧٧.

[3] -ابن عذراى :البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،(ت ج.س كولان وليفي بروفنسال -٣أجزاء- وإحسان عباس-جزء٤- .بيروت،دار الثقافة-د،ت-ج١ص٤٥/عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية.ط١،تونس،دار سحنون، وبيروت،دار ابن حزم،٢٠٠٨. ص٢١.

[4] -إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر.ولاه عمر بن عبد العزيز القيروان فكان خير وال،توفي سنة١٣١ هـانظر:طبقات أبي العرب ص٨٤/ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ط١ ،بيروت، مؤسسة الرسالة،٢٠٠١.ج١ص١٦٠

[5] -الخطيب البغدادي:الكفاية في علم الرواية(ت أحمد عمر هاشم)ط١،بيروت،دار الكتاب العربي،١٩٨٥.ص٢٧.

[6] -محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري.المغرب،دار الثقافة. ص٩٦.

[7] -تهذيب التهذيب ج٤ص٣٦٠ / ابن سعد:الطبقات الكبرى،(ت محمد عبد القادر عطا)ط١ بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٠.ج٦ص٢٥٧/المالكي:الرياض ج١ص٩٣..

[8] -تهذيب التهذيب ج١ص٥٠٣/طبقات ابن سعد ج٥ص٣٩١/الرياض ج١ص٧٨/الضبي:بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.مصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٨. ص٢٧٨/البيان المغرب ج١ص١٢/طبقات أبو العرب ص٨١/نفح الطيب ج٣ص٢٨٩.

ب/ الرحالة المحدثون وهم من الجلة بمكان حيث كانت الرحلة في طلب الحديث وخاصة إلى الحجاز في مواسم الحج معبرا مهما لانتقال الرواية إلى المغرب، وقد ذكر أصحاب التراجم والسير والإخباريون أسماء عديدة من المتقدمين والمتأخرين الذين شدوا الرحال للإستزادة من الرواية أمثال عبد الرحمن بن زياد المعافري (ت١٦١هـ)[٢] الذي ولي قضاء القيروان، وهو من شيوخ سفيان الثوري وابن المبارك وغيرهم، وكان قد رحل إلى المشرق ثلاث مرات، وكذلك أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي(ت١٧٥هـ)[٣] الذي رحل إلى المشرق وسمع من جلة المحدثين كسفيان وابن جريج والأعمش ومالك وأبي حنيفة. ثم عاد محدثا بمسجد القيروان أكثر من عشرين سنة.

ج/ مذهب الإمام مالك بن أنس: انتقل مذهب مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)إلى إفريقية بطرائق عديدة منها الرحلة إلى الحجاز وكذا القرب من المدرسة المالكية المصرية، وشهرة الرجل الذي طبقت شهرته الآفاق، فتتلمذ عليه وعلى كبار تلامذته كابن القاسم المصري(ت١٩١هـ)[٤] شيوخ مغاربة كثر حملوا معهم موطئه الذي جمع بين الفقه والرواية.

ولما كان الحديث عمدة للمذهب المالكي فإنه انتشر واشتهر بانتشاره. خاصة وقد أطبق عليه علماء المغرب بعد إزاحة المذاهب الأخرى كمذهب أهل العراق الأحناف، كما قال القاضي. عياض:" وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد وابن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس"[٥]

ويعلل ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) هذا الانتشار للمذهب المالكي بتشابه البيئتين الإفربقية والحجازية، فيقول: ""و أما مالك-رحمة الله تعالى- فاختص بمذهبه أهل المغرب و الأندلس.وان كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم. والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق. ولم يكن العراق في طريقهم .فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة .و شيخهم يومئذ و إمامهم مالك و شيوخه من قبله و تلميذه من بعده.فرجع إليه أهل المغرب و الأندلس و قلدوه دون

---

[١] - تهذيب التهذيب ج٣ص١٤٣/طبقات ابن سعد ج٥ص٢٧٨/ الذهبي شمس الدين:ميزان الاعتدال في نقد الرجال(ت علي محمد البجاوي).بيروت،دار المعرفة-د،ت. رقم٥٧١٦ ج٣ص٩٣/ ابن خلكان أبو العباس شمس الدين:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل)ط١،بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٨.ج٣ص٣٦٥/ الذهبي شمس الدين:سير أعلام النبلاء(اعتناء محمد بن عيادي بن عبد الحليم).ط١،القاهرة ،مكتبة الصفا،٢٠٠٣. ج٥ص١٢/الرياض ج١ص٩٣/طبقات أبي العرب ص٨٣.

[٢] -تهذيب التهذيب ج٢ص٥٠٥/الرياض ج١ص٩٦/طبقات أبي العرب ص٩٥.

[٣] - تهذيب التهذيب ج٢ص٤٠٢/ طبقات أبي العرب ص١٠٧/الرياض ج١ص١١٣/ عياض القاصي :ترتيب المدارك وتقريب المسالك(ت محمد سالم هاشم) ،ط١بيروت دار الكتب العلمية ،١٩٩٨. ج١ص١٩٤.

[٤] -في ترجمة ابن القاسم العتقي شيخ المدرسة المصرية المالكيةانظر:ترتيب المدارك ج١ص٢٥٠/الديباج المذهب ج١ص٤٠٠/ مخلوف محمد :شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،بيروت ،دار الفكر –د،ت.رقم٢٤ ج١ص٥٨/سير أعلام النبلاء ج٦ص٣٦٧/ ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب،بيروت،دار إحياء التراث العربي،د- ت. ج١ص٣٢٩

[٥] -القاضي عياض: ترتيب المدارك ج ١ص٢٥.

غيره .ممن لم تصل إليهم طريقته، و أيضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب و الأندلس. ولم يكون يعانون الحضارة التي لأهل العراق.فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة.و لهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم. ولم يأخذه تنقيح الحضارة و تهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب"[١].

اشتهر من هؤلاء المحدثين الذين نقلوا موطأ الإمام مالك علي بن زياد العبسي التونسي(١٨٣هـ) [٢] الذي سمع من مالك والليث بن سعد وسفيان الثوري الذي نقل جامعيه الصغير والكبير إلى تونس.

وكذلك البهلول بن راشد(١٨٣هـ)[٣] الذي رحل مع عبد الله بن غانم وعبد الله بن فروخ، وسمع الموطأ من مالك، والجامع الكبير لسفيان الثوري.

أما أول رجل أدخل الموطأ إلى الأندلس فهو الغازي بن قيس الأموي(٢٣٠هـ)[٤] كما ادخل معه قراءة نافع، وبه انتشرت رواية الموطأ، حتى عاد يحيى بن يحيى الليثي الملقب بعاقل الأندلس (٢٣٤هـ)[٥]فغلبت روايته على الآخرين.

إلا أن الحسم في سيطرة مذهب مالك على بلاد المغرب يعود إلى الفقيه أسد بن الفرات(٢١٣هـ) [٦] صاحب المدونة الأسدية التي جمع فيها بين فقهي أهل العراق وأهل الحجاز، ثم إلى الإمام سحنون بن سعيد (٢٤٠هـ)[٧] صاحب المدونة المشهورة التي جمع فيها فتاوى شيخه عبد الرحمن بن القاسم برواية الإمام مالك بن أنس، والتي غدت مصدر الأحكام المالكية [٨]حتى قال عنها ابن رشد الجد هي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو وكتاب إقليدس عند أهل الحساب"[٩]

---

[١] -ابن خلدون المقدمة ص٤٢٠.

[٢] -انظر في ترجمته :ترتيب المدارك ج١ص١٨٥/طبقات أبي العرب ص٢٢٠/الديباج ج٢ص٧٢/شجرة النور رقم٣٣ج١ص٦٠/الرياض ج١ص١٥٨.

[٣] - انظر في ترجمة البهلول :ترتيب المدارك ج١ص١٨٨/طبقات أبي العرب ١٢٦/ ابن فرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب(ت محمد الأحمدي أبو النور)ط٢،القاهرة،مكتبة دار التراث،٢٠٠٥.

ج١ص٢٨٠/ رقم٣٤ج١ص٦٠/الرياض ج١ص٢١٦.

[٤] - ترتيب المدارك ج١ص١٩٩/الديباج ج٢ص١٠٧/شجرة النور رقم٤٣ ج١ص٦٣/الحميدي:جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. مصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٨.ص٣٢٤.

[٥] - في ترجمة الليثي انظر:ترتيب المدارك ج١ص٣١٠/الديباج ج٢ص٢٨١/تهذيب التهذيب ج٤ص٣٩٩/شجرة النور رقم٤٦ج١ص٦٣/بغية الملتمس ص٥١٥/جذوة المقتبس ص٣٨٢/وفيات الأعيان ج٥ص١١٧/شذرات الذهب ج٢ص٨٢

[٦] -في ترجمة أسد بن الفرات انظر:ترتيب المدارك ج١ص٢٧٠/طبقات أبي العرب ص١٦٣/الرياض ج١ص١٧٢/الديباج المذهب ج٢ص٢٧١/ شجرة النور رقم٧٣ج١ص٦٢/محمد الفاضل بن عاشور:أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص٢٧.

[٧] - في ترجمة سحنون انظر:ترتيب المدارك ج١ص٣٣٩/الرياض ج١ص٢٤٩/الديباج ج٢ص٢٤/شجرة النور رقم٨٠ج١ص٦٩.

[٨] -محمد إبراهيم علي:اصطلاح المذهب عند المالكية ط٢،دبي،دار البحوث.٢٠٠٢ص١١٧.

[٩] -محمد بن حسن شرحبيلي:تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي.المغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،٢٠٠٠. ص٣٨٤.

لقد تزاوج الفقه مع رواية الحديث في إفريقية والأندلس جريا على عادة الإمام مالك في دروسه في المدينة. وصحيح أن ازدهار الحديث لم يواكب ازدهار الفقه نظرا لبعد الشقة بين المشرق موطن الحديث وبين المغرب، كما أن المشكلات الفقهية الكثيرة في بلاد حديثة عهد بالإسلام جعل من مساحة الفتوى والنقل أكبر من مساحة الرواية والحديث، كما أن المغرب لم يعرف عملية جمع الحديث وتدوينه وتتبّع أسانيده الأصلية عند الحجازيين أو البصريين أو الكوفيين، إذ هي المناطق الكبيرة التي حوت روايات الصحابة رضوان الله عليهم، ولهذا لم يظهر محدثون رواة كبار من طبقة ابن شهاب أو السفيانين في المغرب، ولكن هذا النقص الذي كان في بداية الأمر سرعان ما تداركه المغاربة بالانكباب على كتب السنة المدونة لينقلوها ويحفظوها،ثم يعكفون على شرحها وتفسيرها، ويسهموا بنزر قليل في علم الدراية، ومرجع ذلك ليس نقص الكفاءة العلمية، وإنما لعوامل موضوعية أهمها غياب الوضع في الحديث عندهم، وكون كبار علماء الجرح والتعديل مشارقة فمرده إلى أن أصل الرواية هو المشرق وأن مستقرها وموئلها هو المغرب.

ثانيا: الحديث في المغرب الإسلامي القرار والمدار.

عرف المغرب الإسلامي تيارا حديثيا صرفا منافسا للمالكية والحنفية تمثل في أهل الأثر والحديث الذين أنشدّوا في تخريجاتهم الفقهية ومنهجيتهم العلمية إلى الأثر والحديث، ودافعهم في ذلك الوقوف ضد تيار أهل الرأي ممثلين في الحنفية الذين كانت لهم الصولة أيام الدولة الأغلبية بإفريقية[1]، ثم ضد المالكية الذين انكبوا على المدونة السحنونية متخذين من الآراء الفقهية للإمام مالك مرجعا لا محيد عنه في الفتوى.

وبلغ الصراع أوجه في القرون الثلاثة الأولى عندما صار المذهب المالكي رسميا يفتى ويقضى به في أرجاء المغرب كما قال ابن حزم الأندلسي: "مذهبان انتشرا أمرهما بالرئاسة والسلطان مذهب أبي حنيفة، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله فكان لا يولي البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى إفريقية إلا أصحابه المنتمين إلى مذهبه، ومذهب مالك بن أنس عندنا(الأندلس)، فإن يحيى بن يحيى (راوي الموطأ) كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة، فكان لا يلي قاض في أقطارنا إلا بمشورته أو اختياره، ولا يشير إلا بأصحابه، ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا والرئاسة، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به"[2]

تفيدنا كتب التراجم أن عديدا من العلماء تمردوا على هذا الاتجاه المذهبي، وراحوا يراجعون المنهجية العلمية السائدة منشدين إلى دواوين الحديث يتخذونها مصدرا لأحكامهم،

---

[1] -المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية ص٦٩/نجم الدين الهنتاتي:المذهب المالكي بالغرب الإسلامي،إلى منتصف القرن الخامس الهجري.تونس،مكتبة تبر الزمان،٢٠٠٤. ص١١٤.

[2] -المقري:نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ج٢ص١٨٧.

ومدارا لحلقاتهم. ومن هؤلاء الإمام بقي بن مخلد (٢٧٦ هـ)[١] الذي جاء من رحلته المشرقية محملا بالأسانيد العالية للحديث، قال عنه ابن حزم:"وكان مخيرا لا يقلد أحدا، وكان جاريا على مضمار البخاري ومسلم والنسائي" فكاده علماء قرطبة حتى ألزموه البدعة وسعوا به إلى السلطان.

ومن هذا التيار الإمام منذر بن سعيد البلوطي (٣٥٥هـ)[٢] الذي دخل في صراعات مع أقرانه من أجل التقليد والاعتداد بالحديث، وجرت له محن مذكورة.

ومن المتوسطين الإمام محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ)[٣] الذي ثار ضد التقليد وكانت له مواقف محمودة في نصرة الحديث ترجمها عمليا في مشرعه العلمي الموسوم بالجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم.

إلا أن الصوت الأعلى في هذا المضمار كان لإمام الأندلس أبي محمد علي بن حزم (٤٥٠هـ)[٤] الذي كانت له معارك مشهورة مع مالكية الأندلس، والفقيه الباجي أبي الوليد خاصة في قضايا الأصول والقياس والبراءة الأصلية[٥].

قال ابن بشكوال:"ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعة في علم اللسان، و وفور حظه من البلاغة والشعر، ألف في علم الحديث والمسندات كثيرا، وألف في فقه الحديث " الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع"[٦]

وقد أحدث ابن حزم حركة في الاتجاه التشريعي في المغرب بلغت ذروتها مع دولة الموحدين التي نفذت جزءا من مشروعه في ترك التقليد الذي فشا على عهد المرابطين والذي وصفه المراكشي: "ولم يكن يقرب من أمير المسلمين-علي بن يوسف بن تاشفين- ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع، أعنى فروع مالك، فنفقت في ذلك كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعني بها كل الاعتناء."[٧]

قام الموحدون بمراجعة للمنهج العلمي السائد القائم على التقليد فكروا عليه بإصدار قرارات سلطوية بمنع الكتب المذهبية، بل والأمر بإحراقها[٨]، وإلزام طلبة العلم

---

[١] -في ترجمة بقي بن مخلد:بغية الملتمس ص٢٤٥/جذوة المقتبس ص١٧٧/سيرأعلام النبلاء ج٨ص٤٩٠..

[٢] -انظر نفح الطيب ج٢ص١٩١/جذوة المقتبس ص٣٨٤

[٣] -نفح الطيب ج٢ص٢٦٦/بغية الملتمس ص١٢٣/وفيلا الأعيان ج٤ص١٠٧/شذرات الذهب ج٣ص٣٩٢.

[٤] -في ترجمة ابن حزم ومعاركه انظر:وفيات الأعيان ج٣ص٢٨٤/سير أعلام النبلاء ج١١ص٩٠/نفح الطيب ج٢ص٢٣٨/جذوة المقتبس ص٣٠٨/بغية الملتمس ص٤١٥/شذرات الذهب ج٣ص٢٩٩.

[٥] -انظر عبد المجيد تركي:مناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم والباجي.ط٢،بيروت،دار الغرب الإسلامي،١٩٩٤. .ص١٣-١٩.

[٦] -الحجوي الثعالبي:الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي.ط١،بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٥. ج٣ص٤٤.

[٧] -المركشي:المعجب في تلخيص أخبار المغرب.ط١،صيدا،المكتبة العصرية،١٩٩٦. ص١٣١.

[٨] -إحراق الكتب في المغرب له سوابق كما حصل مع إحياء علوم الدين للغزالي،وكتب ابن ارشد الحفيد فيما بعد.انظر:المراكشي:المعجب ص٢٢٤/أنخل جنتالت بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي (ت حسين مؤنس)ط٢،القاهرة،دار الثقافة الدينية،٢٠٠٨.ص٤٠٢.

بالرجوع إلى المصنفات الحديثة، بل إنهم صاغوا برامج تعليمية لطلبة الموحدين في الفقه من المصادر الحديثة الأصلية بدل كتب المالكية، يقول المراكشي: "وفي أيام يعقوب بن المنصور (الموحدي) انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب، بعد أن تجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القرآن، فأحرق منها جملة من سائر البلاد كمدونة سحنون، وكتاب بن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، وكتاب التهذيب للبرادعي، وواضحة ابن حبيب. وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة، الصحيحين والموطأ ومسند الدارقطني ومسند البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها، وكان قصده محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة"[١].

لقد كان مخاض استقرار مصنفات الحديث الشريف طويلا، فبسبب تلك المراجعات العلمية لطرائق التعليم من قبل الفقهاء ذاتهم وأحيانا من قبل السلطة، وبسبب الصراع مع المذهب الظاهري في الأندلس. ثم التواصل مع المشرق الإسلامي موطن الحديث و وموئله في الرحلات العلمية في الحج وغيره. بدأت الجهود العلمية تنصب لخدمة الحديث الشريف والسنة النبوية درسا وتدريسا وتحقيقا وتفسيرا. وبرزت حلق علمية خاصة بالرواية وأخرى أكبر منها خاصة بالفقه المستند إلى الحديث.

ويمكننا من الاستقراء أن نتكلم عن مجاميع حديثة لقيت شهرتها ثم انكب عليها العلماء بالشرح والتدريس، ومنها:

١- موطأ الإمام مالك بن أنس: الذي يعد كتاب الحديث الأول في المغرب الإسلامي من حيث الاعتناء بشرحه وبيان غريبه، ووصل موقوفه، وترجمة رواته، والجمع بينه وبين المصنفات الأخرى. وهذا الكتاب الذي جمعه مالك خلال أربعين سنة[٢] "وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وبوبه على أبواب الفقه فأحسن ترتيبه وتبويبه فكان كتابا حديثيا فقهيا جمع بين الأصل والفرع، فهو أول تدوين يعتبر في الحديث والفقه. إذ أقبل عليه الخلق وانتفعوا منه، لتحريه في النقل وانتقاء أحاديثه ورجاله"[٣].

ولو تتبعنا البيلوغرافيا الناشئة حول الكتاب لوجدناها تربوا على العشرات، وكان للمغاربة نصيب السبق في العناية والشرح لهذا الكتاب. ومن تلك الشروح ما يأتي:

-تفسير الموطأ لعبد الملك بن حبيب القرطبي(٢٣٨هـ)[٤]

- تفسير الموطأ لأبي المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي (٤١٣ هـ)[٥]

---

[١] - المركشي:المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٠٢.

[٢] -عياض:ترتيب المدارك ج١ص١٠٢/أبو زهرة:مالك حياته وعصره .ط٢،القاهرة،دار الفكر العربي.ص١٦٦.

[٣] - الحجوي الثعالبي:الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ج٣ص٤٠٦.

[٤] -انظر:الديباج المذهب ج٢ص٧/بغية الملتمس ص٣٧٧/جذوة المقتبس ص٢٨٢/سير أعلام النبلاء ج٨ص٤٩.

[٥] -الديباج ج١ص٤١٥/شجرة النور ج١ص١١١/بغية الملتمس ص٣٧١/جذوة المقتبس ص٢٧٨.

- النامي في شرح الموطأ لأحمد بن نصر الداودي الجزائري(٤٠٢ هـ)[١]
- شرح مشكل ما وقع في الموطأ و البخاري لبن خلف الألبيري ٥٣٧ هـ)[٢]
- المنتقى في شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي (٤٧٤ هـ)
- جمع الكتب الخمسة مع الموطأ (محمد بن محمد بن سليمان الفاسي) (١٠٩٤)
- شروح ابن عبد البر القرطبي (٤٦٣ هـ) مثل التمهيد والاستذكار.
- شروح القاضي أبي بكر بن العربي (٥٤٣هـ)[٣] مثل المسالك،القبس.

هذا إضافة إلى عديد المؤلفات التي دارت حول الموطأ بترتيبه بالأسانيد مثل (مسند الموطأ لأحمد بن زياد ابن الأعرابي (٣٤٠هـ)[٤] أو التي اهتمت بعلله أو غريبه أو مشكله أو زيادته، ثم اختصاره وتجريده. وهو دال على العناية الخاصة للمغاربة بهذا الكتاب الجليل في السنة النبوية.

٢- صحيح البخاري(٢٥٦هـ): والذي دخل إلى المغرب منذ بداية القرن الرابع بعامل الرحلة والرواية. فقد دخل سنة ٣٠٧ على يد الإمام أبي الحسن علي محمد الفابسي (٤٠٣هـ)[٥] ثم على يد الحافظ أبي محمد الأصيلي(٣٩٢هـ)[٦] وعنهما شاعت روايته في بلاد المغرب والأندلس[٧].

وكانت عناية المغاربة به فائقة في المرحلة المتأخرة بعد القرن السادس خاصة، إلا أننا لم نعدم شروحا وتفاسير له في مثل ذلك ومن أمثلة ذلك:

- كتاب النصيحة في شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن نصر الداودي الجزائري(٤٠٢هـ) وهو أول شرح للصحيح -إذ استثنيا عصريه الخطابي-.
- شرح البخاري لابن بطال علي بن خلف القرطبي (ت٤٤٩)[٨]
- شرح البخاري لابن أبي جمرة المعروف ببهجة النفوس (ت٦٩٩ هـ)[٩]
- المتجر الربيح في شرح الجامع الصحيح لابن مرزوق التلمساني (ت ٨٤٢هـ)

٣- صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري:

---

[١] -الديباج المذهب ج١ص١٥٤/عادل نويهض :معجم أعلام الجزائر.ط٢،بيروت،دار نويهض،١٩٨٠ ص١٤١.

[٢] -الديباج المذهب ج٢ص٢٣٨/

[٣] -انظر:الديباج ج٢ص١٩٨/شجرة النور رقم٤٠٨ج١ص١٣٦/سير أعلام النبلاء ج١١ص٣٩٣/وفيات الأعيان ج٤ص١١٦/شذرات الذهب ج٤ص١٤١

[٤] -محمد شرحبيلي:تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ص٢٤٨.

[٥] -سير أعلام النبلاء ج١٠ص٣٩٢/شجرة النور رقم٢٣٠ج١ص٩٧.

[٦] -الديباج ج١ص٣٧٤/بغية الملتمس ص٣٤٠/شجرة النور رقم٢٥١ج١ص١٠٠.

[٧] -يوسف الكتاني:مدرسة الإمام البخاري بالمغرب.بيروت،دار لسان العرب-د،ت- ج١ص٣٠.

[٨] -في ترجمة ابن بطال انظر:ترتيب المدارك ج٢ص٣٦٥/الديباج ج٢ص٨٣/ شجرة النور رقم ٣١٦ج١ص١١٥/ سير أعلام النبلاء ج١١ص٣٣/شذرات الذهب ج٣ص٢٨٣.

[٩] -في ترجمة بن أبي جمرة انظر التنبكتي:كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج(ت محمد عمر)،ط١،القاهرة،دار الثقافة الدينية،٢٠٠٤، ج١ص١٦٢/كحالة رضا:معجم المؤلفين،ط١،بيروت،دارالرسالة،١٩٩٣. ج٢ص٢٣٤.

كانت عناية المغاربة به شديدة حتى ذهب البعض منهم إلى تفضيله على صحيح البخاري، ونقل ابن خلدون قوله: "وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به، وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع لهم في التراجم...."[١]

وهذا التفضيل لا يعود إلى مسألة الأصحية وإنما لامتيازات مسلم على البخاري في التبويب والتأليف كما نقل عن ابن حزم قوله عن صحيح مسلم: " ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندها أهل الوصف المشروط في الصحيح، وأيضا فإن مسلما قد اختص بجمع طرق الحديث في مكان واحد."[٢]

وعليه توالت الشروح والتفاسير بصحيح مسلم، ومن نماذج ذلك ما يأتي:

- المعلم بفوائد صحيح مسلم للإمام المازري (ت٥٦٣ هـ)
- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عيا ض اليحصبي (ت٥٤٤.)
- المفهم في شرح مسلم لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الأنصاري (٦٥٦هـ)[٣]
- شرح صحيح مسلم لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي جمرة (٥٩٨ هـ)[٤]

مكمل إكمال الإكمال لأبي عبد الله السنوسي التلمساني (٨٩٥ هـ)[٥]

كما صنفت كتب عديدة في رجال مسلم مثل كتاب ابن يربوع الاشبيلي (٥٢٢هـ) المعروف ب "المنهاج في رجال مسلم بن الحجاج"[٦]، أو في غريب صحيح مسلم مثل كتاب القاضي عياض: "مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، هذا فضلا عن المختصرات والتجريدات والمصنفات التي اهتمت بالجمع بينه وبين غيره من كتب السنن مثل كتاب الحميدي (٤٨٨ هـ) الجمع بين الصحيحين[٧] وغيره، وهو ما يدل على العناية اللائقة بهذا الجامع الصحيح.

٤ – المجاميع الحديثية الأخرى:

وقد انتالت تباعا على بلاد المغرب والأندلس، وشملت كل من المجاميع والمسانيد والمصنفات والسنن والأجزاء وغيرها. ومن أوائل ما دخل إلى بلاد إفريقية جامع سفيان الثوري الذي نقله البهلول بن راشد [٨]وكذلك مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (ت٢٣٥ هـ) الذي رواه عنه بقي بن مخلد الأندلسي (ت ٢٧٦هـ) ونقله إلى الأندلس، وأثار عليه بسببه أصبغ بن خليل(٢٧٣

---

[١] -ابن خلدون :المقدمة(ت درويش الجويدي) ط٢. صيدا.المكتبة العصرية.١٩٩٧.ص٤١٤.

[٢] -الحسين شواط:منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض.ط١،السعودية،دار ابن عفان،١٩٩٣ .ص٨٨

[٣] -المصدر نفسه ص ٩١.

[٤] -شذرات الذهب ج٤ص٣٤٢/ معجم المؤلفين ج١ص٤٤٣.

[٥] -شجرة النور رقم١٩٤ج١ص٢٦٦/معجم أعلام الجزائر ص١٨٠/معجم المؤلفين ج٣ص٧٨١.

[٦] - شجرة النور رقم ٣٨١/ج١ص١٣٠/الصلة ج١ص٢٩٣.

[٧] -انظر:بغية الملتمس ص١٢٣/وفيات الأعيان ج٤ص١٠٧/سير أعلام النبلاء ج١١ص٣٨٨/معجم المؤلفين ج٣ص٥٨٣.

[٨] - أبو العرب:طبقات علماء إفريقية ص١٢٦ /ترتيب المدارك ج١ص١٨٥

هـ)[1] الـذي قـال تعصـبا: "لأن يكـون في تـابوتي رأس خنزيـر أحـب إلي مـن أن يكـون فيـه مسـند بـن أبي شيبة."[2]

وكـذلك مصـنف عبـد الـرزاق بـن همـام الصـنعاني (ت٢١٥ هـ) الـذي أدخلـه أحمـد بـن خالـد بـن يزيد ابن الحباب (٣٢٢ هـ)[3]

ومسـند مسـدد بـن مسـرهد (٢٢٨) الـذي رواه الشـاعر بـن بكـر بـن حمـاد التـاهرتي الجزائـري (٢٩٦ هـ)[4] وعنه انتشر ببلاد المغرب.

أمـل سـنن النسـائي أبـي عبـد الـرحمن أحمـد بـن شـعيب (٣٠٣هـ) فقـد انتشـر منـذ القـرن الرابـع، ومن أشهر رواتها ابن الأحمر (ت٣٢٢هـ)[5].

ونفـس الأمـر مـع سـنن الترمـذي (٢٧٩هـ) الـذي حملـه الـرواة معهـم مـن رحلاتهـم وقـد اشـتهر مـع شرح الإمام ابن العربي المعافري المالكي له في عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي[6].

وكـذلك سـنن ابـن داود فقـد انتشـرت في الأنـدلس وعليهـا كـان يعتمـد ابـن حـزم في تخريجاتـه الفقهية في كتابه الموسوعة المحلى بالآثار.

ثالثا: تفاسير الموطأ. المنهج والطرائق القدد.

حظـى الموطـأ بالعنايـة الكبـرى مـن قبـل المغاربـة. بـل إن هـؤلاء فـاقوا المـدارس المالكيـة الأخـرى: المصـرية والعراقيـة والمدنيـة[7] بكثـرة مـا أنتجـوه حولـه وبـوفرة مـا اسـتخرجوه منـه، ويكفـي في الدلالـة على المكانـة السـامقة مـا قالـه الإمـام ابـن العربـي الاشـبيلي في حـق الموطـأ: " الكتـاب الأول واللبـاب هـو الموطـأ، والثـاني صـحيح البخـاري هـو الأصـل الثـاني في هـذا البـاب، وعليهمـا بنـاء الجميع كالقشيري-مسلم-والترمذي فما دونهما"[8].

وكـذلك مـا قالـه عيـاض: "لـم يعـتن بكتـاب مـن كتـب الفقـه والحـديث اعتنـاء النـاس بالموطـأ، فـإن الموافق والمخالف أجمع على تقديمه وتفضيله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه"[9].

ولأجـل ذلـك كثـرت شـروح الموطـأ وسـنختار أنموذجـا لتفسـير الموطـأ. ومـن المعلـوم أن كتـب تفسـر الحديث وشرحه تنقسم إلى ثلاثة أنواع أهمها:

ا/ كتـب الشـرح الموضـوعي: وهـي التـي تنقسـم مباحثهـا إلـى الكـلام عـن سـند الحـديث وعللـه ووصـله، ثـم الكـلام عـن متنـه إلـى مباحـث لا تراعـي دومـا ترتيـب مـا في الحـديث، ولا يلتـزم

---

[1] -انظر:الديباج ج١ص٢٦٨/شجرة النور رقم١١٢ج١ص٧٥/ترتيب المدارك ج١ص٤٤٨.

[2] - عياض:ترتيب المدارك ج١ص٤٤٨/وانظر مصطفى الهروس:المدرسة المالكية الأندلسية ص١١٥.

[3] - الحميدي:جذوة المقتبس ص١٢١/بغية الملتمس ص١٧٥.

[4] -نفح الطيب ج٢ص٢١٦/معجم أعلام الجزائر ص٥٩

[5] - الحميدي:جذوة المقتبس ص٨٨/ابن سعيد:المغرب في حلي المغرب ج١ص٢٣٩.

[6] -ابن العربي:عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي-المقدمة –،بيروت،دار الكتب العلمية.ج١ص٥.

[7] -في المدارس المالكية انظر:محمد إبراهيم علي :اصطلاح المذهب عند المالكية صص ٦٢-٧٠.

[8] - ابن العربي:عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ج١ص٥/شجرة النور ج١ص٢١/الفكر السامي ج٢ص٤٠٧.

[9] - عياض:ترتيب المدارك ج١ص١٠٥.

أصحابها التطواف بكل ما في الحديث، فيتكلم الشارح عن غريبه ثم فقهه. ومن هذه النماذج كتاب عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للقاضي ابن العربي المالكي.

ب/ الشرح الموضعي أو الشرح بالقول: حيث يهتم المؤلف بشرح كل ما يتعلق بالحديث من ألفاظ، وما يتأتى منها من معان وأحكام وفوائد، إضافة إلى بيان ما في السند بالكلام عن الرجال والوصل والانقطاع وغير ذلك.

ومن هذا النموذج كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني أو كتاب عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني.

ج/ كتب الشرح الممزوج: وهي التي يدخل فيها الشارح كلامه بين ثنايا الحديث سندا ومتنا، لتوضيح معنى الحديث على شكل مختصر، ومن أمثلة ذلك إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد القسطلاني(ت٩٢٣ هـ)[١]

توزعت تفاسير الموطأ على التقسيمات السابقة، ولكثرتها فإننا سنستقرأ كتابين في شرح الموطأ،الأول لابن عبد البر وهو الاستذكار،والثاني هو المنتقى للإمام الباجي المالكي.

وريادة هذا التفسير الأول إي الاستذكار راجعة إلى ذات الشرح أولا، ثم إلى شخصية مؤلفه.

أما المؤلف أبو عمر بن عبد البر (ت٤٦٣ هـ)[٢] الذي جمع علوما وفنونا عديدة وكان موسوعة علمية "وفاق من تقدمه من رجال الأندلس وعظم شأنه بالأندلس، وعلا ذكره في الأقطار، ورحل إليه الناس وسمعوا منه، وألف تواليف مفيدة طارت في الآفاق."[٣]

وقدم خدم ابن عبد البر الموطأ بمؤلفين مهمين مختلفين في المنهج.

الأول: التمهيد لما في الموطأ من المعني والأسانيد.

رتبه ترتيبا جديدا على المسانيد، حيث قسم الكتاب على روايات الصحابة مخالفا تبويب الإمام مالك لموطئه على الأبواب الفقهية المعروفة[٤]، ونال هذا الكتاب شهرة واسعة حتى قال فيه غريم المالكية بالأندلس ابن حزم الظاهري: وهو كتاب لا أعلم في الكلام في الحديث مثله أصلا، فكيف أحسن منه."[٥]

الثاني: "الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار"

وقد عرض فيه ابن عبد البر منهجيته في تفسير أحاديث الموطأ التي التزم فيها ترتيب الكتاب برواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي في المقدمة التي قال فيها:

---

[١] - الحسين شواط:منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ص١٦٩.

[٢] - في ترجمة ابن عبد البر:ترتيب المدارك ج٢ص٣٥٢/الديباج ج٢ص٢٩٥/بغية الملتمس ص٤٨٩/جذوة المقتبس ص٣٦٧/سير أعلام النبلاء ج١١ص٧٥/شجرة النور رقم٣٣٧ج١ص١١٩/شذرات الذهب ج٣ص٣١٤/معجم المؤلفين ج٤ص١٧٠/

[٣] - عياض:ترتيب المدارك ج٢ص٣٥٢.

[٤] -ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعني والأسانيد(ت شهاب الدين أبو عمرو)ط١،بيروت،دار الفكر،٢٠٠٢. ج١ص١٠.

[٥] -إحسان عباس:رسائل ابن حزم الأندلسي ج٢ص١٧٩.

"إن جماعة من أهل العلم و طلبته و العناية به سألونا أن اصرف لهم كتاب التمهيد على أبواب الموطأ و نسقه. وأحذف لهم منه تكراره و شواهده و طرقه . وأصل لهم شرح السند و المرسل اللذين قصدت إلى شرحهما خاصة في التمهيد .بشرح جميع ما في الموطأ من أقاويل الصحابة و التابعين. وما لمالك فيه من قوله الذي بنى عليه مذهبه واختاره من أقاويل سلفه أه بلده الذين هم الحجة عنده على من خالفهم، واذكر على كل قول رسمه وذكره فيه ما لسائر فقهاء الأمصار من التنازع في معانيه حتى يتم شرح كتاب الموطأ"[1]

- مثّل الاستذكار اختصارا لكتاب التمهيد، إلا أنه حافظ على نسق التأليف في التركيز على الفقه والأحكام المستنبطة من الأحاديث مع ذكر آراء الفقهاء واختلافاتهم.بما يمثل ريادة في الفقه المقارن، كما أنه لم يغفل الاستفادة من المصنفات الحديثية التي نقلت آراء الصحابة والتابعين كمصنف ابن أبي شيبة وعبد الرزاق، ولأجل هذه العناية التي تصل مذهب مالك بالسلف فإنه أكثر من ذكر شواهد ونقول السلف في الأحكام الفقهية، وكأنه حاكى وعارض به محلى ابن حزم (٤٥٠ هـ) وقيمة هذا التفسير للموطأ تظهر من البيئة التي كتب فيه، فهي بيئة عكفت على الانتصار لمذهب مالك وتقليده ونفي كل رأي يخالفه، حيث كان التمشرق - أي الأخذ بآراء أهل المشرق كالأحناف والشافعية-سبّة عند أهل الأندلس والمغرب، حتى أن كثيرا من العلماء امتحنوا بسبب ذلك.

فجاء هذا الكتاب ليكسر حدة التقليد، ويستنطق من الحديث مفاهيم متعددة تبرر الخلاف وتجيزه، وبالتالي تفتح الآفاق أمام العقل الفقهي لئلا يقع أسيرة الرؤية الأحادية القائمة على الإقصاء. فهو كتاب فقه مقارن مؤيد بالدليل الحديثي.

وعليه فإن منهجية الاستذكار ومن قبله التمهيد رامت فتح الأحادية الفقهية واستبطنت من حيث لم تنطق رحابة الفقه الإسلامي، وكسرت من حدة التقليد السائد باستصحاب الرؤى الفقهية من خارج المذهب، وهو صنيع نجده يتكرر عند محدثين آخرين متأخرين كابن حجر العسقلاني في الفتح. وهكذا كتبت للأندلس الريادة في الفقه المقارن مع ابن عبد البر ثم مع الحفيد ابن رشد (٥٩٥هـ)[2] في بداية المجتهد ونهاية المقتصد، كما عرفتها مع ابن حزم الأندلسي في ريادته لتأسيس علم مقارنة الأديان في موسوعته الشهيرة: الفصل في الملل والأهواء والنحل.

---

[1] -ابن عبد البر:كتاب الكافي في فقه أهل المدينة-مقدمة المحقق محمد ولد ماديك الموريطاني-ط٢،الرياض،دار الريض الحديثة،١٩٨٠.ج١ص١٠٠-١٠١.

[2] انظر في ترجمة ابن رشد:سير أعلام النبلاء ج١١ص٥٩٢/الديباج ج٢ص٢٠٢/شذرات الذهب ج٤ص٣٢٠.

-يطالعنا الإمام الثاني المعاصر لابن عبد البر الفقيه أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف (ت٤٧٤هـ) [١] بمؤلف آخر في شرح الموطأ وهو المنتقى، بعدما ألف قبله كتاب الاستيفاء في شرح الموطأ، وكان بدعا في كلا التفسيرين للموطأ.

يمتاز الباجي بكونه جمع إلى جانب الفقه والحديث علم الأصول والكلام، وتميزه يعود إلى رحلته المشرقية التي أفاد فيها من الإنتاج المشرقي في كلا الأصلين. ولأجل هذا أجمع المترجمون على علو كعبه فقد كان: " فقيها نظارا محققا راوية محدثا، يفهم صنعة الحديث ورجاله، متكلما أصوليا فصيحا شاعرا مطبوعا، حسن التأليف، متسق المعارف، ولكن أبلغ ما كان في الفقه، وإتقانه على طريق النظار من البغداديين وحذاق القرويين."[٢]

ويكفي في تأكيده هذه الشهادة أنه عندما عاد من المشرق ناظر ابن حزم الظاهري في الأصول، وأفحمه في ذلك، وكان سبب نكبته وإحراق كتبه ثم نفيه[٣].

يعتبر المنتقى أحسن تفسير مذهبي للموطأ بشهادة المتأخرين إذ بين خطته في شرحه فقال: " اقتصر فيه على الكلام في معاني ما يتضمنه الكتاب من الأحاديث، والفقه. وأصل ذلك من المسائل بما يتعلق بها في أصل كتاب الموطأ، ليكون شرحا له، وتنبيها على ما يستخرج من المسائل منه، ويشير إلى الاستدلال على تلك المسائل والمعاني التي يجمعها، وينصها ما يخف ويقرب، ليكون ذلك حظ من ابتدأ بالنظر في هذه الطريقة من كتاب الاستيفاء إن أراد الاقتصار عليه، وعونا له إن طمحت همته إليه، فأجبتك إلى ذلك، وانتقيته من الكتاب المذكور، على حسب ما رغبته، وشرطته، وأعرضت فيه عن ذكر الأسانيد، واستيعاب المسائل، والدلالة، وما احتج به المخالف، وسلكت فيه السبيل الذي سلكت في كتاب الاستيفاء من إيراد الحديث والمسألة من الأصل، ثم أتبعت ذلك ما يليق به من الفرع، وأثبته شيوخنا المتقدمون رضي الله عنهم من المسائل"[٤]

هذا التفسير الحديثي امتاز بجملة مزايا أهمها شرح الحديث واستخراج فوائده وفروعه الفقهية مع عرض أقوال الأئمة وخاصة داخل المذهب، ومن خارجه أحيانا مع ذكر الدليل المالكي، وكأنه قفز على المدونات التقليدية التي لا تهتم بالدليل مثل الواضحة لابن حبيب،والمستخرجة لمحمد العتبي (٢٥٥هـ)[٥]والمدونة لسحنون.

كما أنه استثمر فيه معارف المدرستين العراقية والمدرسة القيروانية وهي محاولة رائدة لوصل ما انقطع بين المدرستين.

---

[١] -في ترجمة الباجي انظر:ترتيب المدارك ج٢ص٣٤٧/الديباج ج١ص٣٣٠/سير أعلام النبلاء ج١١ص٢٧٦/شذرات الذهب ج٣ص٣٣٤/وفيات الأعيان ج٢ص٣٤٠/نفح الطيب ج٢ص٢٣١/معجم المؤلفين ج١ص٧٨٨.

[٢] - عياض:ترتيب المدارك ج٢ص٣٤٨

[٣] -في نكبة ابن حزم انظر:تاريخ الفكر الأندلسي ص٢٥٤

[٤] -الباجي:المنتقى في شرح الموطأ.ط١،القاهرة،مطبعة السعادة،١٣٣٢هـ ج١ص٢-٣.

[٥] -في ترجمة العتبي انظر:ترتيب المدارك ج١ص٤٤٩/جذوة المقتبس ص٣٩/بغية الملتمس ص٤٨.

كما طرح جانب دراسة الأسانيد والرجال والسبب يعود إلى قطعية أحاديث الموطأ ولكونه أراد للكتاب أن يكون مصدر للفقه المدلل بدل الفقه المصمت الذي يسلم بأقوال الأئمة دون أن يتبعها بالدليل، وكأنه تمرين للطالب على فهم تخريجات الإمام مالك الفقهية متبوعة بأدلتها. ولذلك اعتبره المستشرق أنخل بالنتيا[1] أحسن كتاب ألف في مذهب مالك لأنه شرح أحاديث الموطأ وفرع عليها تفريعا حسنا.

رابعا:تفاسير صحيح مسلم والريادة المغربية.

كتب للمغاربة الريادة في شرح صحيح مسلم[2] مع علمين كبيرين أحدهما تونسي وهو الإمام المازري في كتابه المعلم بفوائد مسلم، والثاني لمغربي هو القاضي عياض في كتابه"إكمال المعلم"

أما الأول فهو الإمام المجتهد أبي عبد الله بن محمد بن علي المازري (ت٥٣٦ هـ)[3]. والذي يعد شرحه أساسا لمن بعده، فمن الناحية العلمية يعتبر كتاب المعلم الأساس الذي بنى عليه شراح مسلم كتبهم وأفادوا منه، وعليه مدار تصنيفاتهم، وقد تسلسلت مصنفات المغاربة عليه بين إكمال وتكميل لمدة خمسة قرون، كما أفاد منه المشارقة كالنووي (ت٦٧٦ هـ) في المنهاج، وكذا بن حجر (٨٥٢ هـ) في فتح الباري، والسيوطي (٩١١ هـ) في الديباج[4].

وقال محققه الشيخ الشاذلي النيفر:" طريقة المعلم طريقة مبتكرة، حيث أن صاحبه ركز فيها بحوثه على الاستنتاج والاستنباط، مقدما لذلك على غيره، وله في ذلك أغراض متعددة خدم بها الكتاب خدمة جليّ، لم يسبقه إليها سابق."[5]

كانت منهجية هذا التفسير لمسلم مخالفة لما سواه حتى ممن أتى بعده، فصاحبه بلغ درجة الاجتهاد والتميّز، ولأجل ذلك ركز على الاستنباط من الحديث مستعملا الآلة اللغوية، ومعملا عقله الكلامي حيث تبرز أشعريته الواضحة في الدفاع عن العقائد السنية.

ولأجل ذلك اهتم بعيون المسائل وتحريرها بدل الخوض في المماحكات الفقهية والسندية، ولا غرو فهو:"آخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه وررتبة الاجتهاد ودقة النظر"[6].

ويمكن أن نلخص منهجية هذا التفسير لصحيح مسلم بالآتي:

-عدم الإيغال في الصناعة الحديثية من حيث الرواية بالسند، ولأجل ذلك لم يعرض بالتعقيب على منهجية الإمام مسلم في مقدمته الشهيرة لصحيحه إلا قليلا[7].

---

[1] -أنخل بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي ص٤٧٨.

[2] -الشاذلي النيفر:مقدمة كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري .ط١،تونس،الدار التونسية للنشر١٩٨٧.ص١٨٤.

[3] -في ترجمة الإمام المازري راجع :الديباج ج٢ص١٩٦/شجرة النور رقم٣٧١ج١ص١٢٧/سير أعلام النبلاء ج١٢ص٥٧/وفيات الأعيان ج٤ص١٠٩/شذرات الذهب ج٤ص١١٤/معجم المؤلفين ج٣ص٥٢٥.

[4] - الحسين شواط:منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ص١١٩

[5] -الشاذلي النيفر:المازري الفقيه المتكلم تونس،دار بوسلامة،١٨٩٢.ص٨٨.

[6] -ابن فرحون:الديباج المذهب ج٢ص١٩٧.

[7] -المازري:المعلم بفوائد مسلم.ص٢٧٠-٢٧٤.

- عدم شرح كل الأحاديث الواردة في أبواب مسلم، فهو يختار المهم فيها، والتي يكون عليها محور الباب، لأنه عادة مسلم جمع المكررات في باب واحد عكس البخاري[١].

واختياره للمهم من أجل الاستنباط، وعليه فإنه يعد من أول شراح الحديث الذين فتحوا باب الاستنباط من السنة النبوية، لأن من تقدمه انصرفت عنايتهم إما للسند، وإما لغريب الحديث، وهما اللذان اعتمد فيهما على المصادر المتقدمة."[٢]

- الاعتماد على تفسير الحديث بالقرآن أولا، ثم بالسنة ثانيا، وكذا باللغة العربية وهو ما جعل النسق العلمي متزنا لا ينزل إلى التناقضات الواضحة في تفاسير من بعده،وفي ذلك نماذج عديدة مثل تعليقه على حديث البراءة من الصالقة والحالقة والشاقة[٣].

- الاهتمام بالقضايا العقدية وتحريرها وتدليلها والرد على أهل الأهواء منها، وقد كان وفيا لأشعريته، حيث أتبع تفسير كتاب الإيمان بآرائه السديدة في موضوع الصفات والتقليد وعصمة الأشياء والتكفير وغير ذلك.

ومن نماذج ذلك تعليقه على حديث ضحك الله تعالى، حيث يقول: "الضحك من الله محمول على الرضا والقبول، ومن ذلك يقال: ضحكت الأرض إذا ظهر نباتها"[٤].

وكذا في تعليقه على أحاديث التكفير بالمعاصي مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"[٥]

حيث قال: مؤمن أي آمن من عذاب الله، ويحتمل أن يكون معناه مستحلاذلك، وقد قيل: معناه أي كامل الإيمان، وهذا على قول من يقول أن الطاعات لا تسمى إيمانا، وهذه التأويلات تدفع قول الخوارج أنه كافر بزناه، وقول المعتزلة: أن الفاسق الملي لا يسمى مؤمنا تعلقا من الطائفتين بهذا الحديث، وإذا احتمل ما قلناه لم تكن فيه حجة."[٦]

- الإكثار من ذكر أقوال الأئمة المعدودين في المسائل الفقهية دون غيرهم من غير المشهورين، مع تذييلها غالبا بأدلتها من الكتاب والسنة والترجيح بينها.ونجده غالبا ينتصر لمذهب مالك وقد يخالفه أحيانا، وقد يذكر سبب الخلاف في المسألة وفائدته[٧].

وخلاصة القول أن المازري فتح فنا جديدا في تفسير الحديث، كان بدعا فيه باعتماده الإيجاز والاختصار والتركيز على الفوائد المباشرة المستنبطة من الحديث دون حشوه بالاستطرادات

---

[١] -انظر: الحسيني عبد المجيد هاشم:الإمام البخاري محدثا وفقيها.صيدا،منشورات المكتبة العصرية.ص١٢٢.

[٢] -الشاذلي النيفر:مقدمة كتاب المعلم للمازري ص٢٤١.

[٣] -صحيح مسلم:كتاب الإيمان رقم ١٠٤ /المازري:المعلم ص٣٠٤.

[٤] - المازري:المعلم بفوائد مسلم ص٣٣٩

[٥] -صحيح مسلم:كتاب الإيمان رقم٥٧/صحيح البخاري :كتاب الأشربةرقم٥٥٧٨.

[٦] - المازري:المعلم بفوائد مسلم ص٢٩٤.

[٧] - الحسين شواط:منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ص١٢١.

والزيادات والمماحكات السندية. فهو شرح اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه كما قال ابن خلدون[1].

أما الكتاب الثاني الذي حاكى الأول فهو للقاضي عياض اليحصبي السبتي المالكي المغربي[2]، والذي جارى فيه المازري وسماه: إكمال المعلم بفوائد مسلم"، فكان أكثر تميزا في تفسير صحيح مسلم لأنه احتف بكتب أخرى خدم بها القاضي الحديث الشريف ومنها: كتابه الشفا في التعريف بحقوق المصطفى. وكتاب " مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، وكتاب "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" وهو من الكتب المتقدمة في علم الدرايه عند المغاربة.

انفرد عياض في عمله بإكمال عملين سابقين عليه، أولهما كتاب المعلم للمازري السالف ذكره، والثاني "تقييد المهمل وتمييز المشكل"، لأبي علي الحسين الجياني (٤٩٨ هـ)[3] إذا أفاد من هذا الأخير في دراسة العلل الواردة على أسانيد مسلم.

امتاز تفسير عياض لصحيح مسلم بجملة مميزات تجعله يبز المنهاج للنووي فيما بعد، وذلك باعتراف النووي ذاته في النقل عن عياض كثيرا.ومن تلك المزايا:

- الإلمام بالقضايا السندية والحديثية التي أوردها مسلم في صحيحه، ولم يعرج عليها المازري، وبرزت عارضة عياض في شرح هذه المقدمة لمكانته العالية في علم المصطلح، وكذا من خلال:" الكلام على بعض الرجال والأسانيد والعلل غير القادحة الواقعة في بعضها مما أغفله الجياني دون التوسع والاستقصاء.

- شرح الأحاديث التي لم يتعرض لها المازري وهي كثيرة جدا، بحيث يندر أن نجد حديثا لم يشرح بعض ألفاظه إلا أن يكون مكررا، وذلك ببيان المعاني وضبط الألفاظ واستنباط الأحكام الفقهية والفوائد المختلفة، وبيان الغامض وتقييد المهمل والتنبيه على اختلاف ألفاظ الرواة، وكذا الاستدراك والتعقيب على السابقين[4].

- الاهتمام بالجمع بين الأحاديث المتعارضة، وتأويل مختلف الأحاديث إن تعذر الجمع.

- الاعتناء بالنواحي العقدية، والرد على الفرق المعارضة، ونحو ذلك في نواحي الصفات والعصمة وذلك في مثل حديث الصورة، "فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون"[5].قال:مقابلة لفظ الصورة هنا التي المراد بها حق الله الصفة- على ما تقدم- للفظة الصورة الحقيقية الواردة في صفة الملك والمخلوق، وتجنيس اللفظ باللفظ كما قال تعالى: مستهزؤن الله

---

[1] - ابن خلدون:المقدمة ص٤١٤-٤١٥.

[2] -في ترجمة عياض انظر:الديباج ج٢ص٣٦/شجرة النور رقم٤١١ج١ص١٤٠/وفيات الأعيان ج٣ص٤٢٤/شذرات الذهب ج٤ص١٣٨/سير أعلام النبلاء ج١٢ص١١٥/والترجمة الواسعة لابنه محمد بن عياض في التعريف به.

[3] -في ترجمة الجياني انظر:الديباج ج١ص٢٩٣/بغية الملتمس ص٢٦٥/سير أعلام النبلاء ج١١ص٤٠٣/وفيات الاعيان ج٢ص١٥٤/شذرات الذهب ج٨ص٤٠٨/معجم المؤلفين ج١ص٦٣٣.

[4] - الحسين شواط:منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ص١٦٨.

[5] -صحيح مسلم:كتاب الإيمان رقم١٨٢/صحيح البخاري:كتاب الرقاق رقم٦٥٧٣.

يستهزئ بهم[1]". وقوله" ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين"[2]. وقدد جاءت هذه اللفظة في البخاري: فيأتيهم الله في الصورة التي لا يعرفونها، وفي الصورة التي يعرفون" من غير إضافة، وهي أبين وأقرب لتأويل الصفة والصورة ترجع في اللسان إلى معنى الصفة ومعنى الحقيقة. وإليه يرجع قوله: الصورة التي رأوه فيها أولا.أي علموا من تنزيهه وتقديسه، واعتقدوه من أنه لا يشبهه شيء، وقد زلّ من لم يحصل كلامه مما تقدم، فأثبت صورة لا كالصور، وهذا تناقض وتجسيم محض، نعوذ بالله"[3].

- توسع هذا الكتاب في قضايا التفسير وعلوم القرآن، مما يمكن أن يعتبر مرجعا ومصدرا في هذا الفن من العلوم الخادمة للقرآن الكريم.

- الاهتمام بالقضايا الفقهية وتوجيهها على مذهب الإمام مالك، مما يمكن عده أحد مراجع الفقه الملتصق بالدليل عكس المصنفات المالكية المتقدمة.

وبالجملة فهذا الكتاب يعد مرجعا أولا في شرح صحيح مسلم، وعليه بنى المتأخرون تفسيراتهم،فكلهم عالة عليه مثل النووي في المنهاج و الأبي الوشتاني(٨٢٧ هـ)[4] في إكمال الإكمال.

وعلى الجملة فالكتاب دال على تميز المغاربة واعتزازهم بصحيح مسلم، حيث شرحه واحد وعشرون منهم، وعلق عليه خمسة، وألف في تفسير غريبه ثلاثة، وصنف حول رجاله استقلالا ثلاثة، ومع رجال الصحيح أربعة، واختصره ستة، وألف في زوائد على البخاري اثنان، وصنف في الجمع بينه وبين غيره اثنا عشر[5].

لقد أظهر عياض تميزا جديرا بالنظر في تفسيره لمسلم وهو وإن استدرك وأكمل معلم المازري إلا أن جهده في هذا الشرح الفريد يكاد يجعل الكتاب سامقا في الإحاطة بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، واستنباط الفوائد منها، ومزج الفقه بالدليل وبناء الصورة العقدية على مدلول السنة بدلا عن تمحلات المتكلمين وهو في النهاية تفسير حوى فنون اللغة والبلاغة والتفسير والفقه والأخلاق.

خامسا: تفاسير البخاري في المغرب، النهر الجاري.

- اعتنى المغاربة بصحيح البخاري (٢٨٥ هـ) اعتناء عظيما، وخاصة في الأعصر المتأخرة، حيث اعتادوا قراءته سردا تعلما وتبركا، وكانت عادة الجزائريين بدأه يوم ٢٧ رجب وختمه ليلة ٢٧ رمضان، وتقام لذلك الأحفال وتوزع الصدقات.

---

[1] -سورة البقرة الآية ١٤-١٥.

[2] -سورة آل عمران الآية ٥٤.

[3] -القاضي عياض:إكمال المعلم ص٨٣٢.

[4] -في ترجمة الأبي الوشتاني انظر:شجرة النور رقم ٨٧٤ج١ص٢٤٤/معجم المؤلفين ج٣ص٢٧٨.

[5] - الحسين شواط:منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ص٤٠٦.

وبذكر ابن مرزوق الجد[1]:أن أكثر ما كان يقرأ بين يدي السلطان أبي الحسن المريني كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري، فقد واضب على حفظه وروايته في المشاهد[2].

كان دخول صحيح البخاري إلى المغرب متقدما فقد نقله أبو الحسن الفاسي (ت٤٠٣ هـ) إلى افريقية، ومن أوائل من نقله بعد الرحلة أبو محمد الأصيلي (ت ٣٩٢هـ).

تعددت تفاسير البخاري واختلفت مناهجها بين الشرح المختصر أو التفسير الواسع، أو التي اهتمت به رواية وسندا، وكذا التي اهتمت بغريبه، أو الجمع بينه وبين غيره، ومن أهم هاته الشروح التي تركت أثر من بعدها:

- كتاب النصيحة للإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (٤٤٩ هـ) وبه كانت الريادة في تفسير البخاري في كل العالم الإسلامي من نصيب الجزائريين. وهو الكتاب الذي نصر به مذهب مالك، ونقل عنه كثيرا ابن حجر في الفتح.

-كذلك أبو بكر بن العربي الحافظ (٥٤٣ هـ) الذي له شرح سماه، النيرين في الصحيحين.

- ومن الشروح التي اعتمدها ابن حجر في الفتح شرح ابن بطال القرطبي(٤٤٩هـ)،وكذلك شرح المهلب بن أبي صفرة المالكي[3]،وكذا شرح ابن التين الصفاقسي (٦١١ هـ)[4]الذي سماه "الخبر الفصيح الجامع لفوائد الجامع الصحيح".

كما اهتم به العلامة ابن مالك الجياني النحوي، صاحب ألفية النحو (٦٧٢ هـ)، وسماه: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، وهو شرح اعتنى بالنواحي اللغوية والمشاكل الأعرابية في الصحيح.

وترك لنا العلامة الأصولي الشاطبي (٧٩٠ هـ) شرحا مهما سماه " المجالس" ولعله خلاصة لمحاضرات في الحديث، وصفه التنبكتي بقوله: شرح فيه من الفوائد والتحقيقات ما لا يعلمه إلا الله"[5] وترك بن رشيد السبتي بدر الدين(٧٢١ هـ) تفسيرا انصب على شرح تراجم البخاري وما فيها من فوائد ومناسبات، وقد طبع في الهند[6].

لكن أقدم الشروح المتداولة هو كتاب " بهجة النفوس، بابن أبي جمرة (٦٩٩ هـ) والذي خدم البخاري، باختصاره ثم شرحه، وهذا الشرح الموجز كان له الأثر البليغ فمن بعده، حيث كان ابن أبي جمرة عمدة شراح البخاري بكثير النقل عنه والاستدراك عليه.

---

[1] -في ترجمة ابن مرزوق الجد انظر:الديباج ج٢ص٢٢٨/كفاية المحتاج ج٢ص٨٩/شجرة النور رقم٨٤٨ج١ص٢٣٦/شذرات الذهب ج٦ص٢٧١.

[2] -ابن مرزوق الخطيب:المسند الصحيح الحسن من مآثر مولانا أبي الحسن.الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والكتاب.ص١٥٠.

[3] -في ترجمة ابن أبي صفرة انظر:الديباج ج٢ص٢٧٦/سير أعلام النبلاء ج١٠ص٦٠٨/شجرة النور رقم٣١١ج١ص١١٤.

[4] -في ترجمة ابن التين انظر:كفاية المحتاج ج١ص٢٢٩/شجرة النور رقم ٥٢٨ج١ص١٦٨.

[5] -كفاية المحتاج ج١ص٩١/شجرة النور رقم٨٢٨ج١ص٢٣١.

[6] -الكتاني:مدرسة البخاري في المغرب ج٢ص٥٧٣.

ومن أهم التفاسير التي سارت مشرقا ومغربا شرح الإمام ابن مرزوق الحفيد التلمساني (٨٤٢ هـ)[١] والذي كان مبرزا في علوم الحديث والفقه واللغة، وترك في علم الرواية كتاب "الروضة"، وخدم البخاري بجمع مكرراته بسفر سماه " أنوار الدراري في مكررات البخاري"، كما اهتم به دراسة وتدريسا ورواية وتحملا. وكان مرجع الجزائر في علوم الحديث، وتكفي شهادة تلميذة أبي الفرج التلمساني الذي وصفه بقوله: " فهو كان شيخنا الإمام عالما علما جامع شتات العلوم الشرعية والعقلية، ذو الدراية والرواية والعناية ملازم السنة، ..قرأت عليه التفسير والصحيحين والترمذي وأبا داوود والموطأ والعمدة....[٢]"

كان الحافظ ابن مرزوق مسندا محدثا من الطراز الرفيع، وقد خدم البخاري بشرح مهم سماه "المتجر الربيح والمسعى الرجيح، والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح."[٣]

تميز ابن مرزوق في شرحه هذا بإجادة اختصار مقاصد البخاري وتبويبه للصحيح، وهي طريقة مفردة قال فيها: " ومن أهم ما لم يذكروه جمع مقاصد الأبواب من كل كتاب من كتبه الكبيرة ككتاب الصلاة ونحوه، أو من أكثرها من ذلك الكتاب، ثم ينتقل إلى أبواب أخرى تشترك في معنى آخر من ذلك الكتاب كأنه فصل آخر منه، وتبيين المناسبة من تلك الأبواب والفصول ووجه الترتيب في تقديم بعضها على بعض، وغير ذلك من المحاسن.[٤]"

كما أفرد التراجم في أوائل الأبواب بتفاسير مفيدة، على اعتبار أن فقه البخاري في تراجمه وفي ذلك يقول: "وفي تراجم البخاري من الدقائق والأسرار ما عجز كل من أتى بعده عن استيفاء مقاصده في ذلك، وسنبينه في كل ترجمة على ما فتح الله به علينا."[٥]

- التنبيه على نكت البخاري في تكرار الأحاديث، وأنه ليس تكرارا في الحقيقة، وإنما هو إفادات جديدة في تنويع السند أو الزيادة في الأحكام، أو تبيين انفراد الراوي وفير ذلك.

- الاعتماد على كتب اللغة ومعاجمها لتبيين دلالة الألفاظ، مثل كتاب الصحاح للجوهري،والمحكم لابن سيده، وكتب الإعراب كالصفا فقسي والشلوبين.

-الإفادة من شروح المغاربة السابقين كابن بطال في شرح البخاري، والقاضي عياض في كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار.

-إدخال المباحث البلاغية في الحديث، ومن ذلك تعليقه على حديث عيادة في البيعة قوله: " وفي الحديث من البديع الجمع في المخاطبين والتقسيم في الموفي والمصيب المعاقب، والمصيب المستور، والطباق في الوافي والناقص والمعاقب والمنشور والعفو والعقوبة."[٦]

---

[١] -في ترجمة ابن مرزوق الحفيد انظر:كفاية المحتاج ج٢ص١٣٧/شجرة النور رقم٩١٨ج١ص٢٥٣/معجم أعلام الجزائر ص٢٩٠.

[٢] -التنبكتي:كفاية المحتاج ج٢ص١٤٠.

[٣] -لبن مرزوق:المتجر الربيح.(ت حفيظة بلمهوب)ط١،الجزائر،دار التنوير،٢٠١١.ج٢ص٢٧٤.

[٤] -المصدر السابق ج١ص٢٢٦.

[٥] -نفسه:المقدمة ج١ص١٠.

[٦] -المصدر السالف ج٢ص٣٤٥

- إدخال علم المقاصد في شروح الأحاديث، وهي مسألة مميزة لم يعرض لها كثيرون، ومن ذلك كلامه عن مقاصد الدين والنسل والنفس والمال في حديث البيعة السالف[1].

- الاهتمام بالقضايا العقدية من حيث المسند الحديثي لا الكلامي، وهي مسألة ظاهرة في سلفية الإمام، ومن ذلك تعاليقه العديدة على أحاديث كتاب الإيمان، ومن ذلك كلامه عن تفاضل أهل الإيمان وزيادته ونقصه، مع عدم إغفال المباحث المنطقية الداعمة لآرائه في بعض القضايا اللغوية والعقدية.

- إيراد القضايا الفقهية، وخاصة عن المراجع المالكية ككتب عياض أو المازري،أو ابن الحاجب (٦٤٦ هـ)، واستعانته بكتب الأصول كالمحصول للفخر الرازي (٦٠٦ هـ) وعرضه لآراء الفقهاء الآخرين مع تركيز على المدونات المالكية كرسالة ابن أبي زيد وواضحة ابن حبيب الأندلسي(٢٣٨ هـ).

- التعريف بالصحابة الرواة بإيجاز والعودة بذلك إلى مصادر تراجم الصحابة.

والخلاصة أن الكلام في تفسير الحديث الشريف في المغرب الإسلامي والأندلس مما يطول حبله، فهو تراث عريض يصعب حصره لتعدد المشارب وتنوع المناهج في خدمة السنة النبوية، إلا انه ينبغي التذكير بهذه الحقيقة، وهو أن المغرب وإن خلا من الرواية العالية كحال المشرق، فإنه لم يتخلف عن ركب تفسير وخدمة حديث النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن اغلب التفاسير والشروح كانت على موطأ الإمام مالك رحمه الله وذلك لأن أهل المغرب في الغالب مالكية المذهب، ولكنهم لم يقصروا في شرح غيره، وخاصة صحيحي مسلم والبخاري الذين فاقت العناية بهم كل تصور، ويكفي التذكير بأن أول شرح للبخاري كان من نصيب المغاربة في في كتاب النصيحة للداودي الجزائري، وكان أهم شرح لمسلم كتاب عياض المعروف بإكمال المعلم والذي نحا عليه من بعده، كما أن شرح ابن العربي المالكي للترمذي يعتبر متقدما ولم ينسج على منواله إلا المبارك فوري الهندي في تحفة الأحوذي.

والدراسة المقدمة هي سطر في موسوعة كبيرة تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث خدمة لسنة الخاتم الأمين.

---

[1] -المصدر نفسه ج٢ص٣١٤-٣١٩.

٢٠. تحليل الحديث النبوي الشريف - نحو ضوابط منهجية معاصرة

د.أحمد محمود قعدان

(كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، أكاديمية القاسمي - فلسطين)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشكره شكر عبد معترف بالتقصير عن شكر نعمه وأفضاله، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وفرض عليهم فرائض عظيمة، منها فريضة الزكاة، وهي الركن الثالث من أركان الاسلام، ومبانيه العظام، تميزت بأحكام جليلة، ومسائل كثيرة، تتجدد صورها، وتتنوع وقائعها، مع تغير المعاملات المالية، وتطورات الحياة المادية، مما يستدعي العناية ببحث مستجدات هذه الفريضة العظيمة، وبيان أحكامها، لأن الله سبحانه وتعالى شرعها رحمة بعباده لكثرة منافعها الكلية والجزئية، ولهذا سميت زكاة لأنها تزكي صاحبها فيزداد إيمانه ويتم إسلامه، ويتخلق بأخلاق الكرماء، ويتخلى عن أخلاق اللؤماء، وتطهره من الذنوب، ويكثر ثوابه وأجره وقربه من الله تعالى، ويبارك الله في أعماله، وتزكو حسناته، وتقبل طاعاته، ويدخل في غمار المحسنين، فهي أصل الإحسان إلى الخلق، وكذلك تزكي المال المخرج منه بحفظه من الآفات، واستخلاصه من مخالطة السحت والحرام الذي قد يشوبه. وفي الزكاة تطهير للنفس من رذيلة الحقد، وداء الحسد، وآفة البغضاء،فما أن يصل شيء من مال الغني لأخيه الفقير، إلا ويشعر الأخير بأن من حوله من أبناء المجتمع الذين أنعم الله عليهم بالمال يمدون يد العون والمساعدة له، فيدخل ذلك السرور في قلبه نحوهم، وينعدم الحسد والبغضاء.

وهذه الفريضة وإن أنقصت المال حسّاً، فإنها تزيده معنى، لأنها تذهب خبثه وكدره وتبقيه صافياً صالحاً للنمو على الدوام، كما جاء ذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " ما نقصت صدقة من مال ".

وقال جل وعلا في محكم التنزيل: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين).

وعلى الرغم من أن فريضة الزكاة شرعت بنص صريح من الآيات القرآنية، وحددت السنة الشريفة مقاديرها وتفاصيلها، غير أن هناك مصادر كسب برزت في حياة الناس تحتاج إلى مزيد من تسليط الضوء عليها، حتى يتوصل إلى التكييف الفقهي الصحيح لها، وتلكم المصادر هي: رواتب الموظفين، وأجور العمال،وقد برزت كمصادر للدخل لدى الأفراد في العصر الحاضر مقابل عملهم،وجزاء جهدهم.

لم تكن الدخول المكتسبة من العمل والمهن الحرة ذات شأن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد في زكاتها نص. وقد جاءت روايات عن الصحابة رضي الله عنهم في تزكية "المال المستفاد " كلها موقوفة وبعضها ضعيف لا يعتد به، وكلها تدور حول وقت إخراج الزكاة: هل تزكى بعد أن يحول عليها الحول أم تزكى عند استفادتها ؟ واصطلاح المال المستفاد يتضمن الدخول المكتسبة من العمل ومن غير العمل كربح الصناعة والتجارة وريع العقار، كما ويتضمن الدخول غير المكتسبة كالهبة والميراث

والكنز واللقطة.

أما الدخول المكتسبة من العمل كأجور العمال ورواتب الموظفين ومكافئات المهنيين فلم تعرف الا في عهد بعد النبوة، فنقرأ أنّ عمر بن عبد العزيز كان يأخذ الزكاة من رواتب الجند المرابطين أولاً بأول، أي عند كل أعطية، كما كان يأخذها من العطاء والجائزة وروى ابن أبي شيبة في مسنده عن هبيرة قال: " كان ابن مسعود يزكي أعطياتهم من كل ألف خمسة وعشرين ".

ونحن هنا نقصد على وجه التحديد الأجور والراتب ومكافئات أصحاب المهن الحرة، وهذه الدخول المكتسبة " مال " دون شك والزكاة واجبة في كل مال.[1]

وسيجيب هذا البحث المعاصر عن التساؤلات الآتية:

هل ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أخذهم لزكاة الرواتب ؟ هل ورد عن الخلفاء الراشدين أخذهم لزكاة الرواتب ؟

هل ورد عن الأئمة الفقهاء أخذهم لزكاة الرواتب ؟

هل كانت تعرف هذه الدخول بأسماء أخرى ؟

ما هو رأي الفقهاء المعاصرون بزكاة الرواتب ؟

ما مستند كل رأي من آراء الفقهاء المعاصرين ؟ وما الراجح منها ؟

وعلى فرض وجوب الزكاة فيها، كيف تزكى ؟ ومتى تزكى ؟

هل يشترط مرور الحول على اكتسابها، أم تزكى بمجرد الحصول عليها وإن لم يتوفر شرط الحول ؟

وكيف نطبق ذلك على واقعنا كمحاضرين أو موظفين أو عمّال ؟

تمهيد: أهمية الرواتب والأجور كموارد للكسب:

يطلق الراتب الشهري ويراد به: الأجر الذي يتقاضاه الأجير الخاص مقابل عمله كل شهر، فهو مال مستفاد من جنس نصاب عنده وليس من نمائه.[2]، جاء في " المعجم الوسيط:" الراتب: يقال رزق راتب: ثابت ودائم، ومنه الراتب الذي يأخذه المستخدم أجراً على عمله ".[3] وقديماً كان يسمى أجور العمال (أعطيات)، قال مالك في الموطأ:" قال القاسم بن محمد: وكان أبو بكر إذا أعطى الناس أعطياتهم يسأل الرجل: هل عندك من مال وجبت فيه الزكاة..."

ولما كانت فئات الموظفين والعمال في مجملها تمثل ثقلاً مقدراً في أي مجتمع، وأن رواتب بعضهم تفوق في أحيان كثيرة دخول كثير ممن يعملون في التجارة والزراعة، لذا كان لا بد من الاهتمام بالنظر في إيجاب الزكاة في أموالهم، فإن ثبت شرعاً أخذ الزكاة منهم كان ذلك طهراً لأموالهم، واستكمالاً منهم لأركان دينهم، وعوناً منهم لإخوانهم المحتاجين، لا سيما وقد أصبح للموظفين دخول عالية، لأن فيهم الوزير، والمدير، والمحاضر، والطبيب، والمحامي وأمثالهم، كما أصبح الصناع والمهنيون يحصلون على

---

[1] أبو السعود، الغفيلي، عبد الله بن منصور. "نوازل الزكاة" – دراسة فقهية -،ص٢٨٧، ط١.الرياض: الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٩/٢٠٠٨م.

[2] أبو السعود، محمود، "فقه الزكاة المعاصر"،ص١١٣، ط٢.الكويت : دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤١٢/١٩٩٢م.

[3] المعجم الوسيط".ج٣،ص٣٢٦، ط٢. القاهرة: مجمع اللغة العربية، د. ت.

نسب كبيرة من الدخول لقاء أتعابهم.

المبحث الأول:

آراء الفقهاء وأدلتهم في حكم زكاة الرواتب وأجور العمال:

لاشك أن رواتب الموظفين وأجور العمال أصبحت في عصرنا الحاضر تمثل موارد ضخمة ومتجددة لدى عدد ليس بالقليل من أصحاب هذه الفئات، وقد تباينت وجهات النظر، لا في حكم الزكاة فيها فحسب؛ بل في متى تزكَّى، وفي مقدار الزكاة فيها، ولعل مردَّ ذلك الخلاف كالآتي:

١- لم يرد فيها نصٌّ صريحٌ من كتاب أو سُنَّة.

٢- لم تكن هذه الدخول معروفة في عهد النبوَّة، وإن عُرفت رواتب الجند والمرابطين في عهد أبي بكر والخلفاء من بعده، وكانت تسمَّى الأُعْطِيَّات، ولكن دخول الوظائف وأجور العمال ونحوهما على الوجه المعروف في عصرنا الحاضر لم تكن معهودة للفقهاء في عصور الإسلام الأولى.

٣- الاختلاف في قياسها على المال المستفاد.

٤- الاختلاف بين الفقهاء في زكاة المال المستفاد، هل تكون عند استفادته أو بعد الحول.

هذا وسنورد قول الموجبين ومستنَدهم في ذلك، ثم نعرض لقول المانعين ومستنَدهم كذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول:

قول الموجبين وأدلتهم:

١- رأي الشيخ محمد الغزالي:[١]

أشار محمد الغزالي في كتابه " الإسلام والأوضاع الاقتصادية " إلى موضوع زكاة رواتب الموظفين، ودخل أصحاب الحرف الحرة، ونورد هنا نص ما قاله بهذا الشأن:

" وأنصبة الزكاة في صنوف المال، حددها الدين تحديداً يعتبر نصاً في أكثر الأحوال، ونريد أن نعتبره - قياسا- فيما سنورد من أمثال.

" ذلك أن الإسلام أوجب إخراج ربع العشر، من رأس المال الذي يبلغ مائتي درهم فما فوقها، والزكاة في هذه الصورة معتبرة برأس المال فقط، زاداً ونقص، أو بقي على حاله، ما دام قد مر عليه عام، وقد فرض الإسلام - كذلك - زكاة في الزروع والثمار جعلها العشر أو نصف العشر.

" والزكاة في هذه الصورة قد اعتبرت على أساس الدخل الناتج، مر عليه العام أو لم يمر، ولا عبرة فيها برأس المال المغل- وهو الأرض المزروعة، قلت قيمتها أو عظمت ومن هنا نستطيع الحكم بأن قاعدة فرض الزكاة في الإسلام، قد تكون رأس المال، وقد تكون مقدار الدخل، ونخلص من هذا إلى أن من له دخل لا يقل عن دخل الفلاح، الذي تجب عليه الزكاة، يجب أن يخرج زكاة مساوية، ولا عبرة البتة، برأس المال، ولا بما يتبعه من شروط.

فالطبيب والمحامي والمهندس والصانع وطوائف المحترفين والموظفين وأشباههم تجب عليهم زكاة، ولابد

---

[١] الغزالي، محمد. "الإسلام والأوضاع الاقتصادية".ص١٦٦ وما بعدها، القاهرة: دار الصحوة للنشر، ١٩٨٧م.

أن تخرج من دخلهم الكبير.

ولنا على ذلك دليلان:الأول: عموم النص في قول القرآن الكريم: (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض).[1]

ولا شك أن ربح الطبقات الآنفة، كسب طيب، يجب الإنفاق منه، وبهذا الإنفاق يدخلون في عداد المؤمنين الذين ذكر القرآن أنهم هم (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون).[2]

والدليل الثاني: أن الإسلام لا يتصور في حقه أن يفرض الزكاة على فلاح يملك خمسة أفدنة، ويترك صاحب عمارة تدر عليه محصول خمسين فدانا، أو يترك طبيبا يكتسب من عيادته في اليوم الواحد، ما يكسبه الفلاح في عام طويل من ارض إذا أغلت بضعة أرادب من القمح، ضربت عليها الزكاة يوم الحصاد.

لا بد إذن من تقدير الزكاة على أولئك جميعا، وما دامت العلة المشتركة التي يناط بها الحكم موجودة في الطرفين، فلا ينبغي المِراءُ في إمضاء هذا القياس وقبول نتائجه.

وقد يقال: كيف نقدر هذه الزكاة؟ وعلى أي نسبة تكون؟

والجواب سهل، فقد ردد الإسلام زكاة الثمار بين العشر ونصف العشر على قدر عناء الزارع، في ري أرضه، فلتكن زكاة كل دخل على قدر عناء صاحبه في عمله، ومن الممكن إيضاح التفاصيل،وتفريع المسائل، وتحديد القيم، بعد أن يتقرر هذا الأصل الخطير، والأمر لا يستقل به تفكير واحد، بل يحتاج إلى تعاون العلماء والباحثين ".

تلخيص ومناقشة:

ونلخص رأي الغزالي في النقط الآتية:

١. وجوب الزكاة في رواتب الموظفين ودخل أصحاب المهن الحرة، قياسا على وجوبها في المحاصيل الزراعية.

٢. تزكى هذه الرواتب وهذا الدخل كما تزكى المحاصيل الزراعية فالنصاب هو ما قيمته ستون صاعا من المحاصيل الزراعية، والقدر الواجب إخراجه، هو العشر أو نصف العشر (تبعا لقدر عناء صاحب الدخل).

٣. لا يشترط مرور الحول في وجوب زكاة هذا الكسب.

ولنا على هذا الرأي ملاحظات:

الملاحظة الأولى:

قياس زكاة كسب العمل، على زكاة المحاصيل الزراعية، يبدو غير سليم من وجوه:

أ) أن زكاة النقود - وكسبُ العمل نقود- وردت بشأنها نصوص تضبطها وتقرر أحكامها، والفرع الذي يقاس على الأصل، يشترط فيه ألا ترد بشأنه نصوص شرعية تخصه، فلا يصح إذن قياس كسب العمل على المحاصيل الزراعية في الزكاة، لانعدام شروط القياس.

---

[1] سورة البقرة : الآية (٢٦٧)

[2] سورة البقرة : الآية رقم (٣)

ب) لا قياس مع وجود الفارق، وقد أقرت الشريعة الفرق بين زكاة النقود وزكاة المحاصيل الزراعية، سواء على مستوى النصاب، أو على مستوى القدر الواجب إخراجه، أو على مستوى تكرار - أو عدم تكرار - الزكاة كل سنة قمرية.

فلماذا نسوي بين مفترقين، ونقيس أحدهما على الآخر؟

ج) لو تجاهلنا هذه الفروق، وقسنا زكاة كسب العمل، على زكاة المحاصيل الزراعية، لوجب ألا نزكي كسب العمل إلا مرة واحدة، ولو دارت عليه أحوال، لأن حكم الأصل الذي قسناه عليه كذلك، ولا قائل بذلك.

الملاحظة الثانية:

نصاب المحاصيل الزراعية الذي أحال عليه الغزالي، يطرح إشكالا، ذلك أن المحاصيل الزراعية متنوعة ومختلفة القيم، فهل نوجب الزكاة على دخل العامل إذا بلغ قيمة نصاب الشعير أو إذا بلغ قيمة نصاب القمح، أو الأرز أو التمر.. الخ ؟ وبين أنصبة هذه المحاصيل تفاوت كبير في القيمة.

الملاحظة الثالثة:

لماذا القياس - على فرض صحته- على المحاصيل الزراعية، وليس على العروض التجارية ؟ مع أن قياس العامل على التاجر- لو صح القياس- أقرب وأوضح.

الملاحظة الرابعة:

الدليل الثاني الذي أورده الغزالي لتأييد وجهة نظره لا ينفق في سوق المباحث الدينية، لأنه في عمقه يمثل استدراكاً على الله، والاستدراك على الله لا يجوز، ولو سلمنا هذا الدليل وخضعنا له، لأوجبنا الزكاة على من ملك تسعاً وعشرين بقرة، وعلى من ملك أربعة من الجمال، بدعوى أنه لا يعقل أن يوجب الإسلام الزكاة على الفلاح إذا بلغ محصوله خمسة أوسق من الحبوب أو الثمار، ويعفى من ملك ٢٩ بقرة أو أربعة من الجمال، وهي تساوي قيمة خمسة أوسق من الحبوب أضعافاً مضاعفة. إن تشريع الإسلام حكيم لا تناقض فيه، ولكن عقولنا القاصرة لم تدرك جميع الحكم الكامنة وراء التشريع، فالاعتراف بالعجز، وتفويض الأمر لله، أسلم وأنفع.

٢- وعرض الأساتذة: محمد أبو زهرة، وعبد الوهاب خلاف لهذا الموضوع في محاضرتهم عن الزكاة، في حلقة الدراسات الاجتماعية، عام (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) بدمشق، فأوجبوا فيه زكاة كسب العمل؛ حيث قالوا: "أما كسب العمل والمهن؛

فإنه يؤخذ منه زكاة إن مضى عليه حَوْلٌ، وبلغ نِصَاباً.[١]

واستدلُّوا على ذلك بقولهم: " أما كسب العمل والمهن الحرة ؛ فإنَّا لا نعرف له نظيراً، إلا في مسألة خاصة بالإجارة على مذهب أحمد - رضي الله عنه -.

وقد صرَّح بهذا المعنى في رواية بكر بن محمد عن أبيه، فقال: "إذا أكرى داراً أو عبداً في سنة بألف، فحصلت له الدراهم وقبضها، زكَّاها إذا حال عليها الحَوْل من حين قبضها، وإن كانت على المكتري؛

[١] "حلقة الدراسات الاجتماعية - محاضرات عن الزكاة". ص٢٤٨، ط ٧. دمشق: جامعة الدول العربية، ١٣٧٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

فمن يوم وجب.[1]

٣- تناول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه "فقه الزكاة" زكاةَ رواتب الموظفين وكسب المهن الحرة، وخصّص لذلك الفصل التاسع من الباب الثالث ولاحظ أنّ التكييف الفقهي المناسب لكسب العمل والمهن الحرة، هو أن يعتبر هذا الكسب مالاً مستفاداً، وتجري عليه أحكام الزكاة المتعلقة بالمال المستفاد.[2]

وهذا التكييف الفقهي الذي ذكره القرضاوي، يبدو سليماً إلى حد بعيد، ولذلك نوافقه عليه، ونسير على ضوئه في هذا العرض المتواضع، لأنّ ما يتقاضاه الموظف كل شهر، وما يكسبه المحاضر والموظف والطبيب والمهندس والمحامي، وغيرهم من ذوي المهن الحرة يعتبر مالاً مستفاداً بكل المقاييس.

وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك بالفعل - فإن من واجبنا أن نسترشد بأحكام الزكاة المتعلقة بالمال المستفاد، حتى إذا كنّا على بينة منها، واقتنعنا فيها بما ينبغي أن نقتنع به بعد ذلك إلى تطبيق تلك الأحكام على

زكاة رواتب الموظفين، وكسب المهن الحرة.

٤- ومن الذين ذهبوا للقول بوجوب زكاة الرواتب والأجور وإيرادات المهن الحرة ونحوها للزكاة، قياساً على زكاة المال المُستفاد، كل من: أبو بكر الجزائري،[3] وأيمن بن سعود العنقري[4]، ومحمود أبو السعود[5]، ومحمد العقلة[6]، وعبد الله بن منصور الغفيلي[7].

٥- أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، فتوى رقم (٢٨٢)، وتاريخ (١١/ ١١/ ١٣٩٢هـ) بوجوب الزكاة على مَنْ ملك نصاباً من النقود، كالذي يوفِّره الموظف شهرياً من مرتبه. فتوى رقم (٢٨٢)، وتاريخ (١١/ ١١/ ١٣٩٢هـ).[8]

زكاة راتب الموظف:

السؤال الأول والثاني من الفتوى رقم (٢٨٢)

س١: موظف يوفر من مرتبه شهريًا مبلغًا متفاوتًا من المال، شهر يقل التوفير، وشهر آخر يزيد، ويكون أولها قد مضى عليه الحول، والبعض الآخر لم يمض عليه الحول، ولا يعرف مقدار ما وفره في كل شهر، فكيف يزكيه؟

س٢: موظف آخر يتسلم راتبه شهريًا ويودعه في خزينة لديه كل ما استلمه، ويصرف من هذه الخزينة

---

[1] ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. "المغني". تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو.ج١،ص٤٩٠، ط٣. الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م.

[2] القرضاوي، يوسف، "فقه الزكاة". ج١،ص٤٩٠،ط ١٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥ م.

[3] الجزائري، أبو بكر جابر. "الجمل في زكاة العمل".ص٣٣، المدينة المنورة: مطابع الرشيد، (١٤٠٢هـ).

[4] العنقري، أيمن بن سعود، " المسائل المستجدة في نوازل الزكاة المعاصرة "، ص٣٩ وما بعدها، ط١، دار الميمان ١٤٣٠-٢٠٠٩م.

[5] أبو السعود، محمود، "فقه الزكاة المعاصر"،ص١١٣، ط٢.الكويت : دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤١٢/ ١٩٩٢م

[6] العقلة، محمد. "أحكام الزكاة والصدقة".ص١٦٤، ط١. عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢هـ).

[7] أبو السعود، الغفيلي، عبد الله بن منصور. "نوازل الزكاة" – دراسة فقهية -،ص٢٨٧، ط١.الرياض: الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٩/٢٠٠٨م.

[8] نورد نص الفتوى كاملاً مأخوذاً من الموقع: http||mouwazaf.ahlamotada.com|t321-topic

يوميًا، أو أوقات متقاربة نفقة بيته ومتطلباته على مبالغ متفاوتة حسب الحاجة، فكيف يكون حول ما يتوفر في الخزينة، وكيف تخرج الزكاة في مثل هذه الحالة؟ مع أن عملية التوفير كما أسلفنا لم يمض على جميعها الحول.

ج١،٢: لما كان السؤال الأول والثاني في معنى واحد وكان لهما نظائر رأت اللجنة أن تجيب جوابًا شاملًا تعميمًا للفائدة، وهو من ملك نصابًا من النقود ثم ملك تباعًا نقودًا أخرى في أوقات مختلفة وكانت غير متولدة من الأولى ولا ناشئة عنها، بل كانت مستقلة كالذي يوفره الموظف شهريًا من مرتبه، وكأرث أو هبة أو أجور عقار مثلًا فإن كان حريصًا على الاستقصاء في حقه حريصًا على أن لا يدفع من الصدقة لمستحقيها إلا ما وجب لهم في ماله من الزكاة فعليه أن يجعل لنفسه جدول حساب لكسبه يخص فيه كل مبلغ من أمثال هذه المبالغ بحول يبدأ من يوم ملكه ويخرج زكاة كل مبلغ لحاله كلما مضى عليه حول من تاريخ امتلاكه إياه.

وإن أراد الراحة وسلك طريق السماحة وطابت نفسه أن يؤثر جانب الفقراء وغيرهم من مصارف الزكاة على جانب نفسه؛ زكى جميع ما يملكه من النقود حينما يحول الحول على أول نصاب ملكه منها، وهذا أعظم لأجره وأرفع لدرجته، وأوفر لراحته وأرعى لحقوق الفقراء والمساكين وسائر مصارف الزكاة وما زاد فيما أخرجه عما تم حوله يعتبر زكاة معجلة عما لم يتم حوله.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو نائب رئيس اللجنة

عبد الله بن منيع عبد الله بن غديان عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الفتوى رقم (١٣٦٠)

س: بخصوص سؤاله عن زكاة رواتب الموظفين، هل هي واجبة عند الاستلام أم بعد مضي الحول؟

ج: لا يخفى أن من الأجناس الواجبة فيها الزكاة النقدين، وأن من شروط وجوب الزكاة فيها تمام الحول، وعليه فإن الزكاة واجبة فيما يتوفر من راتب الموظف ويبلغ نصابًا بنفسه، أو بضمه إلى ما لديه من النقد ويحول عليه الحول، ولا يجوز قياسها على الخارج من الأرض؛ لأن اشتراط الحول في وجوب الزكاة في النقدين ثابت بالنص ولا قياس مع النص، وبناء على ذلك فلا تجب الزكاة فيما يتوفر من رواتب الموظف حتى يحول عليه الحول.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو // نائب رئيس اللجنة // الرئيس//

عبد الله بن منيع // عبد الله بن غديان // عبد الرزاق عفيفي // عبد العزيز بن عبد الله بن باز//

السؤال الرابع من الفتوى رقم (٢١٩٢)

س٤: إذا كان المسلم موظفًا، أو عاملًا يتقاضى راتبًا شهريًا معينًا، وليس له مصدر آخر للكسب، فتأتي نفقته في بعض الشهور مستغرقة لراتبه الشهري، ويبقى معه الشيء القليل في بعض الشهور، يدخره

للنفقات الطارئة فما طريقة أداء الزكاة لهذا الإنسان؟

ج٤: المسلم الذي تجمع لديه وفر من رواتب شهرية ونحوها يزكي ما حال عليه الحول من المتوفر لديه إذا بلغ نصابًا بنفسه أو بضمه إلى أية نقد أو عروض تجارة لديه تجب فيها الزكاة، وإذا أخرج زكاة ما لم يحل عليه الحول من المتوفر لديه ناويًا بذلك تعجيل زكاته فذلك حسن إن شاء الله. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو // نائب رئيس اللجنة // الرئيس//

عبد الله بن قعود // عبد الله بن غديان // عبد الرزاق عفيفي // عبد العزيز بن عبد الله بن باز//

هذه فتاوى اللجنة الدائمة.

وقد سُئل الشيخ/ عبد الله بن عقيل[169] :

زكاة رواتب الموظف

الرواتب التي يستلمها الموظف شهريا. كيف الطريق إلى معرفة حولها وضبطه؛ لأجل أداء الزكاة؟

الإجابة:

الطريق إلى ذلك أن يعرف متى استلم راتب شهر محرم -مثلا- ويثبته عنده. فإن استهلكه قبل الحول فليس عليه زكاة. وإن بقي الراتب عنده حتى حال عليه الحول، فيؤدي زكاته إذا كان نصابا فأكثر- بنفسه أو بالنسبة إلى بقية ماله- وهكذا راتب صفر، وما بعده. وكلما قبض راتب شهر عرف تاريخ قبضه. فإذا حال عليه الحول عنده، وجبت زكاته وحده بنسبة .(2.5%) فإن أراد جمع بعض الرواتب مع بعض وإخراج زكاتها جميعا فلا بأس، لكن لا يؤخرها عن حولها؛ لأن تأخير الزكاة بعد تمام الحول لا يجوز. أما تقديمها قبل الحول فلا بأس. قال الفقهاء: ويجوز تعجيل الزكاة لحولين فأقل. فعلى هذا يمكنه إخراج زكاة كل ما لديه في شهر رمضان؛ لأنه أفضل، والصدقة فيه مضاعفة، ولأنه أسهل عن الاشتغال بتدقيق حساب زكاة كل راتب ومدة حوله. واللَّه أعلم.

وسُئل العلاَّمة الفوزان في المنتقى " :

183. كيف تتم الزكاة على المال المتزايد كل شهر من رواتب الموظف؛ فقد يحول الحول وتحت يدي من المال ما تجب فيه الزكاة، ولكن بعضه لم يحل عليه الحول؛ فماذا أفعل به ؟

إذا خصصت شهرًا من السنة تخرج فيه الزكاة عن المال المتحصل لديك والمتجمع لديك، شهر رمضان مثلاً؛ فهذا شيء طيب، تخرج الزكاة عما تحصل لديك: ما كان تم حوله فتكون الزكاة قد أخرجت في وقتها، وما لم يتم حوله تكون قد عجلت زكاته، وتعجيل الزكاة جائز إذا كان لغرض شرعي، وهذا هو الذي لا يسع الناس - خصوصًا الموظفين - إلا العمل به" اهـ.

٦- رأي المؤتمر الأول للزكاة بالكويت:

انعقد بدولة الكويت المؤتمر الأول للزكاة من تاسع رجب إلى فاتح شعبان سنة ١٤٠٤ هـ، وشارك فيه ممثلون لأكثر من ٢٥ دولة، فيهم العلماء والفقهاء، ورجال القانون والاقتصاد.

وتخصص المؤتمر ب " زكاة الأجور والرواتب وأرباح المهن الحرة وسائر المكاسب " وخلص إلى ما يلي:

" هذا النوع من المكاسب ذهب أغلب الأعضاء إلى أنه ليس فيه زكاة حين قبضه، ولكن يضمه الذي كسبه إلى سائر ما عنده من الأموال الزكوية في النصاب والحول فيزكيه جميعا عند تمام الحول منذ تمام النصاب.

"وما جاء في هذه المكاسب أثناء الحول يزكى في آخر الحول، ولو لم يتم حول كامل،على كل جزء منها. "وما جاء منها ولم يكن عند كاسبه قبل ذلك نصاب، يبدأ حوله من حين تمام النصاب عنده، وتلزمه الزكاة عند تمام الحول من ذلك الوقت.

" ونسبة الزكاة في ذلك ربع العشر(٢،٥ %) لكل عام.

"وذهب بعض الأعضاء إلى أنه يزكي هذه الأموال المستفادة عند قبض كل منها، بمقدار ربع العشر(٢،٥ %) إذا بلغ المقبوض نصابا، وكان زائدا عن حاجاته الأصلية، وسالما من الدين.

" فإذا أخرج هذا المقدار فليس عليه أن يعيد تزكيته عند تمام الحول على سائر أمواله الأخرى، ويجوز للمزكي هنا أن يحسب ما عليه ويخرجه فيما بعد مع أمواله الحولية الأخرى".[١]

تلخيص ومناقشة:

نلخص ما ذهب إليه أغلب الأعضاء فيما يلي:

١. المال المستفاد (راتب- أجرة- كسب) لا يزكى حين قبضه، ولكن يزكى مع أموال المستفيد الأخرى إذا تم حولها.
٢. ما جاء من هذه المكاسب أثناء الحول، يزكى في آخر الحول، و لو لم يدر حول كامل على بعضها.
٣. لا يبدأ الحول إلا عند تمام النصاب.
٤. القدر الواجب إخراجه هو ربع العشر(٢،٥ %)

وهذا الرأي يبدو منسجما مع النصوص الشرعية المتعلقة بزكاة النقود، سواء فيما يخص النصاب، أو القدر الواجب إخراجه، أو اشتراط الحول.

على أن أصحاب هذا الرأي مالوا- لضرورة عملية اقتضت تجنب الحرج والعسر- إلى إخراج زكاة الأموال المستفادة أثناء الحول، عند تمام الحول، ولو لم يدر حول كامل على بعض تلك الأموال، وفي ذلك إيجاب للزكاة في مال لم يتوفر شرط من شروط وجوب الزكاة فيه، وهو مرور الحول.

على أن بإمكاننا أن نلتمس المخرج من هذا المأزق، بالاتكاء على جواز تقديم إخراج الزكاة عن موعدها المحدد، وهذا الجواز دلت عليه بعض الأحاديث، وهو ما ذهب إليه الشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وبعض التابعين، وذهب مالك، وربيعة وسفيان الثوري وداود وأبو عبيد بن الحارث إلى أن إخراج الزكاة لا يجزئ حتى يحول الحول مستدلين بالأحاديث التي فيها تعليق الوجوب على الحول.[٢]

ما أرجحه:

انطلاقا من هذه الآراء المختلفة التي استعرضناها وتعرفنا على مدى انسجامها مع النصوص

---

[١] مجلة منار الإسلام، عدد ١٠، ٩ شوال ١٤٠٤ / يوليو ١٩٨٤م، ص٤٩.

[٢] انظر نيل الأوطار ٢١٤/٤ و انظر فيما يخص مذهب الإمام مالك مدونة سحنون ٢٤٤/٢٤٣/١ .

الشرعية، ومع القواعد العامة المرتبطة بموضوع الزكاة.

واسترشادا بما عليه جمهور فقهاء الإسلام، قديما وحديثا، من اشتراط الحول لوجوب الزكاة في النقود.

و اقتداء بهدي الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة الكرام، وأئمة المذاهب الأربعة المشهورة.

نستطيع أن نقرر مطمئنين ما يلي:

١. رواتب الموظفين وكسب أصحاب المهن الحرة، تخضع للشروط العامة لزكاة النقود:

- فنصابها هو ما يساوي قيمة ٥٩٥ غ من الفضة
- وشروطها هي نفس شروط زكاة النقود، بما في ذلك مرور الحول
- والقدر الواجب إخراجه هو ربع العشر(٢،٥ %)

٢. وعليه فالموظف المبتدئ أو الحرفي المبتدئ أو صاحب المهنة الحرة المبتدئ لا يخاطب بالزكاة إلا إذا بلغ ما عنده من النقود النصاب، فإذا بلغ ما عنده النصاب، فإنه يبدأ الحول، وإذا مر الحول على ذلك النصاب وهو باق عنده فإنه يزكيه.

وإذا بلغ النصاب، وبدأ الحول، ثم نقص ماله عن النصاب، فإن الحول الذي بدأه ينقطع، ولا يبدأ من جديد إلا إذا اجتمع عنده النصاب.

٣. ما يتقاضاه الموظف أو صاحب المهنة الحرة، داخل الحول لا تجب فيه الزكاة – ولو بلغ النصاب- بمجرد قبضه- و إنما تجب فيه، إذا دار عليه الحول وهو عند مستفيده، ويبدأ حوله من يوم استفادته.

٤. ما استهلكه الموظف أو الحرفي أو غيرهما من ماله المستفاد، داخل الحول معفو عنه شرعا، ولا يطالب بإخراج زكاته، لان ما استُهلك لم يعد ملكا لمن استهلكه حتى يطالب بإخراج زكاته.

وإذا أردنا تطبيق ما ذكرنا، فإن صعوبات عملية تواجهنا، وتتمثل في صعوبة ضبط المقادير المستفادة، أو المتبقية، بعد الإنفاق منها، وصعوبة ضبط بداية حول كل قسط مستفاد ونهايته، وضبط المقدار الواجب إخراجه عن كل قسط.

وهذه الصعوبات لابد من تخطيها بوضع حل مناسب لها، لأن بقاءها بدون حل يشكل الحرج والعسر المرفوعين عن الأمة الإسلامية، بمثل قوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج)[١] وقوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[٢]

وتجاوز هذه الصعوبات العملية، يمكن بإحدى الطريقتين:

الطريقة الأولى: وهي التي تبناها غالب المشاركين في المؤتمر الأول للزكاة المنعقد بدولة الكويت عام ١٤٠٤ هـ ومؤداها:

ان الرواتب والأجور المستفادة داخل الحول، تجمع في نهاية الحول، مع الأموال الأخرى التي دار عليها الحول، ويزكى الجميع، وهي التي استحسنها الالباني في " تمام المنة في التعليق على فقه السنة "

---

[١] سورة الحج : الآية ٧٦

[٢] سورة البقرة : الآية ١٨٤

(ص٣٧٨) عندما علق على قول ابن حزم: "كل فائدة فإنما تزكى لحولها لا لحول ما عنده من جنسها وإن اختلطت عليه الأحوال " بقوله: " وهذا المذهب أقرب إلى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم: " ليس في المال زكاة حتى يحول عليه الحول: " لولا أن فيه حرجا في بعض الأحوال فالأقرب في مثل هذه الحالة أن يلحق بالأصل ويزكى.

وهذه الطريقة يلاحظ عليها أنها توجب الزكاة في أقساط من المال المستفاد، لم يمض عليها الحول وهي بيد مستفيدها، أي توجب الزكاة في أقساط من المال دون أن يتوفر شرط من شروط وجوبها وهو مرور الحول.

وإذا كان أصحاب هذه الطريقة يبررون تقديم زكاة تلك الأقساط على موعدها، بما في ذلك من تخفيف على المزكي والجابي، باعتبار هذه الطريقة تريحهما مما في ضبط المواعد، والمقادير من عناء، فإن هذه الطريقة في عمقها تشدد على المزكي ولا تخفف عنه لأنها توجب عليه إخراج زكاة بعض أمواله قبل أن يجب عليه ذلك، ولا اعتقد أن التخفيف إذا انطوى على تشديد، وإيجاب ما لم يجب يعتبر تخفيفا.

وقد يقال هنا إن الزكاة جاز على الصحيح إخراجها قبل موعدها ولو بسنة أو سنتتين، وهذا صحيح، ولكن هذه الطريقة لا تكتفي بإجازة إخراجها قبل موعدها بل توجب ذلك، والفرق كبير بين الجواز الذي يعود إلى رضا المزكي واختياره، وبين الوجوب الذي لا يعود إلى اختياره بل يفرض عليه فرضا.

الطريقة الثانية: وهي التي أراها أنسب وأسلم، وهي أن لا تزكى الرواتب والأجور المستفادة داخل الحول، لا عند قبضها ولا عند تمام حول أموال المستفيد الأخرى، بل إذا مضى الحول على أمواله التي يتعلق بها حساب الحول، تزكى تلك الأموال التي مضى عيها الحول وحدها، أما ما استفاده داخل الحول، أو ما تبقى منه بعد الإنفاق، فإنه يجمع مع تلك الأموال التي زكاها، ويستقبل بالجميع حول جديد فإذا دار هذا الحول زكى الجميع، وهكذا يصنع بما وفره من كسبه داخل كل حول.

وقد يقال هنا إن بعض تلك الأموال المستفادة، داخل الحول لا تزكى بمقتضى هذه الطريقة، إذا دار عليها الحول، بل تزكى إذا مر عليها حول ونصف، أو أقل أو أكثر.

وهذا صحيح ولكن لاحرج في ذلك، لأن تأخير إخراج الزكاة عن موعدها المحدد لمصلحة – أو ضرورة- جائز، والتأخير هنا كان لمصلحة التيسير على المزكين وعلى الجابين أيضا- في حالة عناية الدول الإسلامية بتنظيم الزكاة، وجباية أموالها-

وهذه الكيفية التي رجحتها، هي نفس ما آل إليه ما رجحه ابن حزم في المحلى، فرغم أنه قال: كل فائدة فإنما تزكى لحولها لا لحول ما عنده من جنسها، وإن اختلطت عليه الأحوال[1] فإنه قال – يفسر ذلك ويوضحه -: لو أن امرأ ملك نصابا، وذلك مائتا درهم من الورق أو... فإن استفاد في داخل الحول، ما يغير الفريضة فيما عنده، إلا أن تلك الفائدة لو انفردت لم تجب فيها الزكاة... فإنه يزكي

[1] المحلى ٨٥/٦

الذي عنده وحده لتمام حوله، وضم حينئذ الذي استفاده إليه، لا قبل ذلك، واستأنف بالجميع حولا.

وبعد أن أورد أمثلة متعددة، لا تخرج في عمقها عن هذا الذي رجحت قال: " فإن قيل: فإنكم تؤخرون زكاة بعضها عن حوله شهورا، قلنا: نعم، لأننا لا نقدر على غير ذلك البتة، إلا بإحداث زكاتين في مال واحد، وهذا خلاف النص، وتأخير الزكاة إذا لم يمكن التعجيل مباح لا حرج فيه"[1]

وهذا التأخير في الإخراج أجازه القرضاوي نفسه، كما يفهم من هذا المثال الذي ضربه، وهو:" رجل له مال يزكيه كل حول في أول شهر المحرم فإذا استفاد مالا – راتبه مثلا- في صفر أو ربيع الأول، أو ما بعده من الشهور وأخرج زكاته حين الاستفادة، فإنه لا يخرج زكاته مرة أخرى في آخر الحول مع ماله، بل يخرج عنه أو عما بقي منه في الحول الثاني، حتى لا نشق عليه بكثرة الأحوال، وقد أقام الله شرعه على التيسير".

المطلب الثاني:

قول المانعين وأدلتهم:

لا يوجد قول يخالف في إخضاع الرواتب والأجور للزكاة، سوى ما أورده كوثر الأبجي،[2] ولم يسمِّ قائله، لكنه ذكر مستنَده بقوله: "ولكن يقابل هذا الرأي - أي: رأي من أخضعها للزكاة - الرأي الثاني، ويستند إلى ما يلي:

١- أن الثروات والدخول المستحدَثة التي لم توجد في عهد النبي - صلي الله عليه وسلم - ولا في عصر الخلفاء الراشدين، ووجدت فقط في عصرنا هذا هي فقط التي يمكن الاجتهاد فيها بالقياس على سائر أنواع الزكاة، بغرض إخضاعها للفريضة؛ حيث إن كافة أنواع الثروات التي كانت موجودة في زمن النبي - صلي الله عليه وسلم - قد أُخضعت للزكاة، وعلى ذلك تشمل الزكاة كافة ثروات العصر، أما الدخل الناتج عن كسب العمل فقد كان موجوداً زمن النبي - صلي الله عليه وسلم - وزمن الخلفاء الراشدين من بعده، ومع ذلك فلم يخضعها أحد للفريضة، ولو كان يمكن إخضاعها، لما أغفلتها الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

٢- إن وجوب تزكية إيراد كسب العمل تخريجاً على أنه مال مُستفاد تخريجٌ حديثٌ؛ رغبةً في إخضاع هذا الإيراد، ولو كان هو المال المُستفاد المقصود به في مراجع الفقه الإسلامي؛ لما استعصى تخريجه على علماء العصور السالفة.

٣- إن هذا المال سيخضع حتماً للزكاة بعد استقطاع الأعباء العائلية، متمثلاً في زكاة النقدَيْن، فإذا كنَّا سنخضعه لزكاة كسب العمل، فهل سنعفيه حينئذٍ من زكاة النقدَيْن منعاً للثني ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل يجوز أن نُخضع المال لزكاة ثم تشريعها بالقياس، ونعفي المال من زكاة أصلية ؟

٤- إن زكاة كسب العمل - تشبيهاً بضريبة كسب العمل - التي تُخضع المرتبات والأجور وإيراد المهن الحرة للضريبة، ولا يصح أن نضيف للزكاة من المفاهيم والمبادئ الوضعية، إلى جانب أن كسب العمل

---

[1] فقه الزكاة , ج١, ص٥١٨

[2] الأبجي، كوثر. "محاسبة الزكاة والضرائب في دولة الإمارات العربية"،ص٣٥٦. ط١. دبي: دار القلم، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

يخضع فعلاً في معظم المجتمعات الإسلامية لضرائب وضعية، والمطلوب هو تخفيف الأعباء المالية على كسب العمل بصفة خاصة؛ نظراً لأنه يعتمد على المقدرة الذهنية والعضلية للإنسان، وهو مَعِينٌ سريع النضوب، ويجب المحافظة عليه، فإذا كانت الضرائب واقعاً مفروضاً في المجتمعات الإسلامية؛ فالأحرى بنا أن نخفِّف الأعباء المالية، لا أن نضيف عبئاً جديداً.

٥- إن الدولة المعاصرة تحتاج لإنفاق نفقات عامة كثيرة، في نواحٍ متعددة بخلاف مصارف الزكاة، وعلى ذلك إذا كانت هناك إيرادات لم تفرض عليها الشريعة أصلاً زكاةً، مثل كسب العمل - أي: الرواتب، والأجور، ودخل المهن الحرة - فالأوجب أن تُفرض عليها ضريبة تخصص حصيلتها للإنفاق في أوجه المصارف الأخرى التي تحتاجها الدولة، بدلاً من الاجتهاد الذي قد يصيب أو يخطئ في تشريع زكاة جديدة.

القول الراجح:

مما سبق من عرض وتعليق على آراء وأدلة الفريقين - الموجبين والمانعين - يتضح لنا **ترجيح القول بوجوب زكاة الرواتب والأجور وإيرادات المهن الحرة**، فمن كان له كسب عمل - محاضراً أو موظفاً، أو عاملاً، أو صاحب مهنة حرة - يفضل عن حاجته بقدر النِّصاب، **وجبت عليه الزكاة**؛ لأنه يُعدُّ بذلك غنياً، قال - صلى الله عليه وسلم -: ((تؤخذ من أغنيائهم، وتُردُ على فقرائهم)[1] ؛ فالأغنياء كلهم فُرضت عليهم الزكاة، سواء كان هذا الغنى معبَّراً عنه بثروة تملك من ذهب، أو فضة، أو إبل، أو بقر أو غنم، أو عروض تجارة، أو زراعة، **فلا وجه لاستثناء أغنياء كسب العمل**.

المبحث الثاني: كيفية زكاة الرواتب والأجور (تطبيقات على رواتب وأجور في كلية القاسمي):

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نصاب الزكاة:

اختلف الفقهاء الموجبون في تحديد قيمة النِّصاب فيها إلى ثلاثة أقوال:

الأول: اعتبار نصابها بنصاب الزروع والثمار؛ فمن بلغ دخله ما قيمته خسمة أوسق، أو (٦٥٣ كيلو جرام وزناً من أدنى ما تخرجه الأرض كالشعير)؛ وجبت عليه الزكاة.

وعلَّة ذلك: أن كسب العمل إيراد وثمرة مباشرة للعمل، فيقاس على زكاة الزروع والثمار.[2]

الثاني: اعتبار نصابها نصاب النقود:

وحدُّوه بما قيمته ٨٥ جراماً من الذهب، أي: ما يساوي عشرين مثقالاً، أو (٢٠٠) درهم من الفضة؛ وذلك لأن الناس يقبضون رواتبهم وأجورهم وإيراداتهم بالنقود؛ فالأولى أن يكون المعتبر هو نصاب النقود.[3]

الثالث: اعتبار نصاب الرواتب والأجور على نصاب النقود:

أي ما يعادل ٨٥ جراماً من ذهب، أو ٢٠٠ درهم من الفضة، واعتبار نصاب إيرادات المهن الحرة على

---

[1] ابن حجر، أحمد بن على العسقلاني. "فتح الباري"، ج٣،ص٢٦١. د. م. بيروت: المكتبة السلفية، د. ت.

[2] الإسلام والأوضاع الاقتصادية للغزالي، ص١٦٦.

[3] فقه الزكاة للقرضاوي،ج١،ص٥١٣-٥١٤.

الزروع والثمار؛ فيكون نصابها ما يعادل قيمته خمس أوسق، أو (٥٠ كيلة مصرية)، أو (٦٥٣ كيلو جرام وزناً من أدنى ما تخرجه الأرض كالشعير).[١]

وعلِّة التفرقة في هذا - عندهم - أن كسب أصحاب الرواتب والأجور مصدره العمل فقط؛ أما كسب أصحاب المهن الحرة فمصدره رأس المال والعمل.

ونرجِّح القول الثاني لما يلي:

أولاً: لما ورد فيه من أن الجميع يتقاضون أجورهم بالنقود، إضافةً إلى أن ما يتبقى لدى الواحد منهم بعد قضاء حاجاته وديونه - إن وجدت - يكون عادة في صورة مدخرات نقديَّة، والمال المدَّخر قد فُرضت عليه الزكاة بمقدار ربع العشر.

ثانياً: لأنّ قيمة معدني الذهب والفضة تتَّصف بالثبات النسبي في مقابل قيمة الزروع والثمار؛ فإنها تتأثر بعوامل بيئية أو محلية، مما يجعلها لا تناسب أن يُقاس على قيمتها نصاب زكاة الرواتب والأجور وإيرادات المهن الحرة.

هذا ولابد أن يكون مقدار النصاب المعتبر لوجوب الزكاة فيه من صافي الدخل، يعني: بعد خصم الديون الحالَّة - إن وجدت - والحد الأدنى للمعيشة من الرواتب، كما تطرح النفقات والتكاليف من إيرادات أصحاب المهن الحرة، فما بقي بعد هذا كله تؤخذ منه الزكاة إذا بلغ نصاب النقود.

وجاء في "فقه الزكاة" للقرضاوي: فالذي نرجحه ألا تؤخذ زكاة الرواتب والأجور إلا من " الصافي " وإنما قلنا تؤخذ من صافي الإيراد أو الرواتب ليطرح منه الدين الحال إن ثبت عليه ويعفى الحد الأدنى لمعيشته ومعيشة من يعوله، لأن الحد الأدنى لمعيشة الإنسان أمر لا غنى له عنه، فهو من حاجته الأصلية والزكاة إنما تجب في نصاب فاضل عن الحاجة الأصلية، كما تطرح النفقات والتكاليف لذوي المهن، فما بقي بعد هذا كله من راتب السنة وإيرادها تؤخذ منه الزكاة إذا بلغ نصاب النقود فما كان من الرواتب والأجور لا يبلغ في السنة نصاباً نقدياً - بعد طرح ما ذكرناه كرواتب بعض العمال وصغار الموظفين فلا تؤخذ منه الزكاة.[٢]

المطلب الثاني: مقدار الزكاة الواجب:

ذهب معظم الفقهاء المعاصرين إلى أن القدر الواجب في زكاة الرواتب والأجور وإيرادات المهن الحرة، هو ربع العُشر فقط؛ عملاً بالنصوص التي أوجبت في النقود ربع العُشر؛ ولأن دخل الفرد يعتمد على العمل وحده، ومن ثَمَّ وجب تخفيف الزكاة عليه؛ رعاية للطبقات العاملة، واستئناساً بما عمل به ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهما - من اقتطاع الزكاة من العطاء إذا أعطوه، من كل ألف خمسة وعشرين.[٣]

المطلب الثالث:

اشتراط الحول وعدمه في زكاتها:

---

[١] شحاتة،حسن،" محاسبة الزكاة "، ص٢٥٨،القاهرة : دار التوزيع والنشر، د.ت.

[٢] فقه الزكاة للقرضاوي،ج٢،ص٥١٧.

[٣] "أبحاث وأعمال مؤتمر الزكاة الأول"،ص٤٤٢، الكويت: بيت الزكاة، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

إنّ من الموجبين من اعتبر وجوب الزكاة في الرواتب والأجور أنها مال مُستفاد - مُستفاد بسببٍ مستقل - وقد تعددت آراء الفقهاء حول زكاة المال المُستفاد بسبب مستقل:

الرأي الأول: المال المُستفاد من غير جنس ما عنده، إن كان نصاباً؛ استقبل به حَوْلاً وزكَّاه، ولا يُضمُّ إلى ما عنده؛ بل له حكم نفسه، وهذا قول الجمهور.[1]

الرأي الثاني: أن الزكاة تجب فيه حين استفاده، روي ذلك عن ابن مسعود، وابن عباس، ومعاوية من الصحابة، والأوزاعي من التابعين.[2]

ورجَّح ابن قدامة الرأي الأول - رأي الجمهور - حيث يُشترط للمال المُستفاد حَوَلاَن الحَوْل، وذلك بقوله: "ولنا حديث عائشة، عن النبي - صلي الله عليه وسلم -: ((لا زكاة في مال حتى يحُول عليه الحَوْل).[3]

ورجَّح بعض الفقهاء المعاصرين الرأي الثاني، القاضي بوجوب إخراج زكاة المال المستفاد في الحال، وذلك استناداً إلى حكمة تشريع الزكاة، ومصلحة الإسلام والمسلمين في عصرنا هذا، وإلى أن اشتراط الحَوْل في كل مال - حتى المُستفاد منه - ليس فيه نصٌّ في مرتبة الصحيح أو الحسن يقيد النصوص المطلقة، ولذا اختلف الصحابة والتابعون فيه، باعتباره من الأمور الاجتهادية.[4]

والواقع؛ أن القول باستحقاق الزكاة في المال المُستفاد حين استفادته لا يمنع من اعتبار الحَوْل في إخراج زكاته، وذلك بأن تحدَّد الفترة التي تتخذ أساساً لتحديد النِّصاب ومقدار الواجب؛ فيُضمُّ ما يحصل عليه الموظف، أو العامل، أو صاحب المهنة الحرة، من إيرادات صافية خلال السنة؛ فتؤخذ منها الزكاة متى بلغت نصاب النقود، بعد خصم الديون الحالَّة، وتكاليف الحصول على الدخل، وما يلزم من حاجته الأصلية.

فلو قدَّرنا أن دخل محاضر يبلغ في الشهر عشرة آلاف شاقل؛ فإن حاصل إيراده السنوي يكون (١٢٠٠٠٠) شاقل، فيُقتطع من هذا المجموع ما عليه من ديون حالَّة أثناء السنة، وما عليه من نفقات لنفسه ولمن يعول شرعاً أثناء السنة، فإذا كان المتبقي بعد هذا الاقتطاع يبلغ نصاب النقود؛ زكَّي المقدار الباقي في نهاية الحَوْل، الذي يحدِّد بدايته صاحب الدخل؛ بأن يجعل له شهراً يستقبل به العام، فإذا جاء ذلك الشهر الذي أكمل به الحَوْل، يحسب ما بقي لديه من مال، فيُخرج زكاته إن بلغ نصاباً، ولو لم يكن قد مر على آخر دفعة حصل عليها سوى بضعة أيام.

ووفقاً لاحتمال إنفاق المرء لهذا المال الفاضل في حاجته في أغراض أخرى، بأن يشتري به أصولاً ثابتة أو عقاراً قبل نهاية الحَوْل؛ فإننا نرى أن يحدِّد الفرد من خلال شهر واحد متوسط نفقاته، ثم ما فضل له من دخله يصبح هو وعاء الزكاة خلال الشهر، ثم يضرب في اثني عشر، ويخرج الزكاة بنسبة ٢,٥%

---

[1] المغني لابن قدامة، ج٤،ص٧٥.

[2] المغني، ج٤،ص٧٥

[3] المغني، ج٤،ص٧٧، والحديث أخرجه ابن ماجة، باب من استفاد مالاً، من كتاب الزكاة، وصححه الألباني، في كتابه " صحيح سنن ابن ماجة، الألباني، محمد ناصر الدين. "صحيح سنن ابن ماجه". ط١. الرياض: مكتبة المعارف، (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م).

[4] المغني، ج١،ص٥٠١-٥٠٥.

من المجموع؛ فكأنه قد وزع قدر الزكاة على شهور السنة تقديراً؛ فيصبح هذا المقدَّر هو الواجب عليه كزكاةٍ في ذمته، في حال إنفاقه للفاضل عن حاجته الأصلية في أغراض أخرى خلال العام.

المطلب الرابع:

حالات تطبيقية على زكاة الرواتب والأجور في أكاديمية القاسمي:

الحالة الأولى:

محاضر يعمل براتب شهري قدره (٧٠٠٠) شاقل، وليس له مصدر سوى هذا الراتب، فإذا علم أن نفقاته تقدر بـ (٤٣٠٠) شاقل، وأن سعر الجرام من الذهب (١٥٠) شاقل، فما قيمة الزكاة المستحقة عليه ؟

الإيراد الكلي خلال العام = ٧٠٠٠ × ١٢= ٨٤٠٠٠ شاقل.

يطرح مبلغ حاجاته الشخصية الأصلية ٤٣٠٠ × ١٢=٥١٦٠٠شاقل

صافي الإيراد الفاضل عن حاجاته = ٣٢٤٠٠

النصاب المقرر = ٨٥ × ١٥٠ = ١٢٧٥٠

إذن صافي إيراد هذا المحاضر الفاضل عن حاجاته يزيد على النِّصاب، ويخضع للزكاة بمعدل ٢,٥%.

قيمة الزكاة المستحقة (٣٢٤٠٠×٢,٥%)

٨١٠ شاقل

الزكاة الشهرية المستحقة

٦٧,٥ شاقل

الحالة الثانية:

موظف الأكاديمية يعمل براتب شهري قدره (٦٦٠٠) شاقل، وليس له مصدر دخل سوى هذا الراتب، فإذا علم أن نفقاته الشهرية تقدر بـ (٦٠٠٠) شاقل، وأن سعر الجرام من الذهب (١٥٠) شاقل، فما هي قيمة الزكاة المستحقة عليه؟

الإيراد الكلي خلال العام ٦٦٠٠ × ١٢

٧٩٢٠٠ شاقل

يطرح مبلغ حاجاته الشخصية

٦٠٠٠×١٢ = ٧٢٠٠٠

٧٩٢٠٠-٧٢٠٠٠= ٧٢٠٠شاقل

النصاب المقرر

٨٥ × ١٥٠

١٢٧٥٠شاقل

إذن من مقارنة الفاضل له عن حاجاته من دخله، نجده دون النّصاب؛ فلا زكاة عليه.

الخاتمة

١ - إن زكاة الرواتب تختصُّ بالدخل الدوري، وليست بالثروة أو رأس المال.

٢ - إن هذه الزكاة شخصية، قياساً على سائر الزكوات، ؛ فإن بلغ الفاضل عن الضروريات والحاجيات قيمة نصاب النقود زكَّى، وإلا فلا.

٣ - إن تقدير الحوائج الأصلية يختلف من شخص لآخر، وذلك باختلاف ظروف كل فرد، واختلاف أفراد الأسرة، مما يجعل تقدير هذه الحوائج يخضع لتقدير المزكّي نفسه، طبقاً لظروفه الخاصة، وتقدير القائم على الزكاة.

٤ - إن الزكاة أمانة وفي إخراجها طهرة للنفس، واستجابة لأوامر الله تعالى، بناء عليه يجب على كل موظف، أو عامل أن يتقي الله في كسبه، فلا يبخل بحق الله إن كان مستحقاً؛ حتى يطهر نفسه وماله بهذه الشعيرة العظيمة وهي الزكاة، فإن لم تقم الجهات الرسمية بتحصيلها، لزم على كل فرد القيام بذلك؛ لأنها فريضة عينية.

المراجع

1. "أبحاث وأعمال مؤتمر الزكاة الأول". الكويت: بيت الزكاة، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
2. الأبجي، كوثر. "محاسبة الزكاة والضرائب في دولة الإمارات العربية". ط١. دبي: دار القلم، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
3. ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. "المغني". تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو. ط٣. الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.
4. ابن حجر، أحمد بن على العسقلاني. "فتح الباري". د. م. بيروت: المكتبة السلفية، د. ت.
5. أبو السعود، محمود، "فقه الزكاة المعاصر"، ط٢.الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤١٢/ ١٩٩٢م.
6. أبو داود سليمان بن الأشعث. "سنن أبي داود". اسطنبول: دار الدعوة، د. ت.
7. "الاقتصاد الإسلامي، بحوث مختارة من المؤتمر العالمي للاقتصاد الإسلامي"، جدة: جامعة الملك عبد العزيز، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، (١٩٨٥م).
8. الألباني، محمد ناصر الدين. "صحيح سنن الترمذي باختصار السند". ط١. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
9. الألباني، محمد ناصر الدين. "صحيح سنن ابن ماجه". ط١. الرياض: مكتبة المعارف، (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م).
10. الألباني، محمد ناصر الدين. "ضعيف الجامع الصغير وزياداته". ط ٣. بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
11. الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرَة. "سنن الترمذي". إسطنبول: المكتبة الإسلامية بإسطنبول، (١٩٨١م).
12. الجزائري، أبو بكر جابر. "الجمل في زكاة العمل". المدينة المنورة: مطابع الرشيد، (١٤٠٢هـ).
13. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. "المستدرك على الصحيحين". ط١. حيدر آباد: مطبعة

مجلس دائرة المعارف الإسلامية، (١٣١٤هـ).

14. "حلقة الدراسات الاجتماعية - محاضرات عن الزكاة". ط ٧. دمشق: جامعة الدول العربية، ١٣٧٢ هـ / ١٩٧٢

15. الخطيب، الشربيني. "مغني المحتاج". القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (١٩٨٥م).

16. شحاتة، شوقي إسماعيل. "محاسبة زكاة العمل، علماً وعملاً". ط١. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (١٩٧٠م).

17. العقلة، محمد. "أحكام الزكاة والصدقة". ط١. عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢هـ).
الغزالي، محمد. "الإسلام والأوضاع الاقتصادية". القاهرة: دار الصحوة للنشر، ١٩٨٧م.

18. الغفيلي، عبد الله بن منصور. "نوازل الزكاة – دراسة فقهية -، ط١.الرياض: الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٩/٢٠٠٨م.

19. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. "الذخيرة". تحقيق محمد الحجي. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٩٩٤م).

20. القرضاوي، يوسف، "فقه الزكاة". ط ١٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م

21. الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود. "بدائع الصنائع". القاهرة. مطبعة الإمام، (١٩٧٢م).

22. مجلة البحوث الإسلامية (١٤٠٣/ ١٤٠٤هـ).

23. "المعجم الوسيط". ط٢. القاهرة: مجمع اللغة العربية، د. ت.

24. روابط على الانترنيت:
http||mouwazaf.ahlamotada.com|t321-topic
بحث لبلة الحسن عمر مساعد: مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ١٤، ص٦٧٥-٧٠٤
/http://www.alukah.net/Sharia/0/421
بحث للدكتور اليزيد بن محمد الراضي
http://mnokhab.net/vb/showthread.php?t=4687&page=2
www.islamonline.net|servlet|satellite?cid

٢١. أساليب وطرق شراح الحديث النبوي: الإمام بدرا لدين العيني أنموذجاً

د سلطان فهد الطبيشي

(كلية التربية – جامعة الملك سعود، الرياض – المملكة العربية السعودية)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فإن الاهتمام بما خلفه السلف الصالح من الآثار من باب نشر العلم، ومن أهم هذه العلوم علم الحديث النبوي ؛ حيث توالت عناية الخلف بهذه الآثار بالقيام بنشرها وشرحها ؛ وقد قيَّض الله لهذه الأئمة علماء حفاظاً، وجهابذةً نقاداً، حفظوا لنا الدين بحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيده ومتونه، وميزوا صحيحه من سقيمه، وأوضحوا لنا ما يشكل منه ؛ بما آتاهم الله من الحفظ والفهم ؛ لذا أحببت أن اكتب في أساليب وطرق شراح الحديث النبوي، مع الكتابة عن أحد هؤلاء الأعلام وهو الحافظ بدر الدين العيني ومنهجه في شرح صحيح البخاري .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

طرق وأساليب شراح الأحاديث

من ينظر في طرق وأساليب شراح الأحاديث النبوية يجدها متباينة، وسبب ذلك يعود لما قصده الشارح من شرحه ؛ هل يريد شرح كل لفظ أو يعلق على جزء من الحديث ... إلخ هذه المقاصد، وهي كما يلي:

الطريقة الأولى:

شرح مختصر يهتم ببيان الكلمة بعد الكلمة من الناحية اللغوية وقليل من الكلام على السند وفقه الحديث مثل: شرح الخطابي على البخاري، وشرح السيوطي والسندي على سنن النسائي وغيرها .

الطريقة الثانية:

شرح بعض الألفاظ التي تحتاج على بيان ؛ لغموضها أو إشكالها أو ضبطها وبيان أحوال بعض الرواة وليس كل المتن والإسناد، مثل شرح المازري والقاضي عياض والنووي على صحيح مسلم، والعظيم آبادي في عون المعبود، والمباكفوري في تحفة الأحوذي وغيرهم .

الطريقة الثالثة:

شرح كل شي في الحديث ؛ من بيان لرواة الإسناد وتوضيح وشرح لمتن الحديث، مع ذكر الفوائد عقب الحديث غالباً مثل كتاب: التمهيد لابن عبدالبر على موطأ مالك، وشرح ابن حجر على البخاري، وشرح العيني على البخاري، والسهارنفوري في بذل المجهود وغيرهم .

الطريقة الرابعة:

وهي أن يذكر الشارح طرفاً من الحديث ثم يذكر قضايا ونكت تحته مثل: تفريع، استلحاق، فائدة، تأصيل، بديعة، الفقه ...إلخ وهذه طريقة ابن العربي في كتاب القبس على موطأ مالك، وكذا في شرحه للترمذي.

أو يذكر الشارح الحديث ثم يجعل الشرح عبارة عن فوائد وهذه طريقة العراقي في طرح التثريب.

منهج العيني في عمدة القاري

اسمه: عمدة القاري شرح صحيح البخاري.

مؤلفه: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحلبي, ثم القاهري, الحنفي، المعروف بالعيني.

مولده: سنة (٧٦٢ هـ).

وفاته: سنة (٨٥٥ هـ).

طبع الكتاب:

طبع في اسطنبول في تركيا في أحد عشر مجلداً.

ثم طبع في المطبعة المنيرية، في مصر في خمسة وعشرين جزءاً، وكمل طبعه في عام ١٣٨٤هـ، بإشراف جماعة من العلماء, وهذه الطبعة من أحسن الطبعات، وقد صورتها دار إحياء التراث وغيرها.

ثم طبع في عشرين مجلداً من القطع الكبير، في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده في مصر, الطبعة الأولى عام ١٣٩٢هـ، وللكتاب طبعات أخرى.

صحة نسبة الكتاب لمؤلفه

نص الإمام العيني في كتابه بأنه هو الذي سمى كتابه: عمدة القاري فقد قال: فجاء بحمد الله وتوفيقه فوق ما في الخواطر، فائقاً على سائر الشروح بكثرة الفوائد والنوادر مترجماً بكتاب (عمدة القاري في شرح البخاري) ومأمولي من الناظر فيه أن ينظر بالإنصاف، ويترك جانب الطعن والاعتساف ؛ فإن رأى حسناً يشكر سعى زائره، ويعترف بفضل عاثرة، أو خللاً يصلحه أداء حق الأخوة في الدين فإن الإنسان غير معصوم عن زلل مبين.

مدة التأليف

شرع في تأليفه كما قال القسطلاني في أواخر سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وفرغ منه في آخر الثلث الأول من ليلة السبت خامس شهر جمادى الأولى سنة سبعٍ وأربعين وثمانمائة .

طريقة تأليف الكتاب وسببه

ذكر أنه لما رحل إلى البلاد الشمالية, قبل الثمانمائة مستصحباً معه صحيح البخاري, لنشر فضله عند ذوي الألباب, ظفر هناك من بعض مشايخه بغرائب النوادر، مما يتعلق باستخراج ما في الصحيح من الكنوز, ثم لما عاد إلى الديار المصرية ندبه إلى شرح الكتاب أمور:

أ – أن يُعلَم أن في الزوايا خبايا, وأن العلم من منايح الله – عز وجل – ومن أفضل العطايا .

ب – إظهار ما منحه الله من فضله العزيز, وإقداره إياه على أخذ شيء من علمه الكثير, والشكر مما يزيد النعمة, ومن الشكر إظهار العلم للأمة.

ج – كثرة دعاء بعض الأصحاب للتصدي لشرح الكتاب, فأجاب الدعوة فشرح الكتاب .

وذكر أنه سيظهر ما فيه من الأمور الصعاب، ويبين ما فيه من المعضلات، ويوضح ما فيه من المشكلات، ويورد فيه من سائر الفنون بالبيان ما صعب على الأقران، بحيث إن الناظر فيه إن أراد ما يتعلق بالمنقول ظفر بآماله, وإن أراد ما يتعلق بالمعقول فاز بكماله, وما ظفر من النوادر يرضاه.

مقدمة الكتاب

١- افتتح الكتاب بمقدمة مختصرة(عشر صفحات تقريباً), قريبة جداً من مقدمة النووي، ذكر فيها من تصدَّى لشرح البخاري من العلماء, وأن منهم من أخذ جانب التطويل, ومنهم من لازم الاختصار, ومنهم من أخذ جانب التوسط.

كما ذكر أنه كان يستهيب من خوض هذا البحر العظيم، أو يحوم حوله, ولا يرى لنفسه قابلية لمقابلتها حوله.

٢- ثم ذكر في هذه المقدمة أسانيده إلى الإمام البخاري.

٣- ثم ذكر فوائد تتعلق بالصحيح:

الأولى: في اسم صحيح البخاري وأنه (الجامع الصحيح لمختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه)، وما يتعلق بذلك.

الثانية: اتفاق العلماء على أن الصحيحين أصح الكتب بعد كتاب الله, والجمهور على ترجيح البخاري على مسلم.

الثالثة: ما ذُكِر من شرطهما, وأنه ما رواه صحابي مشهور عن النبي – صلى الله عليه وسلم – له راويان ثقتان, ثم يرويه عنه تابعي مشهور بالرواية عن الصحابة له أيضا راويان فأكثر ... الخ.

وأن الحاكم قد ذكر أنهما خالفا شرطهما, وذكر عدة أحاديث؛ واستدرك عليه.

وأغرب من ذلك قول الميانشي، من أن شرطهما ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابيان فأكثر، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر، وأن يكون عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة ... قال: " والظاهر أن شرطهما اتصال الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من مبتداه إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة " [١] .

الرابعة: عدد أحاديث صحيح البخاري بالمكرر وعدمه، وأنها (٧٢٧٥) بالمكرر, وبحذفها نحو (٤٠٠٠) آلاف.

الخامسة: في فهرسة أبواب الكتاب؛ وقد نقلها عن أبي الفضل بن طاهر المقدسي.

السادسة: طبقات من حدَّث عنهم البخاري في صحيحه, وأنهم خمس طبقات.

السابعة: في أن في الصحيح جماعة جرحهم بعض المتقدمين؛ وهو محمول على أنه لم يثبت جرحهم بشرطه.

الثامنة: في الفرق بين الاعتبار والمتابعة والشاهد.

التاسعة: في ضبط الأسماء والأنساب المتكررة المختلفة في الصحيحين.

---

(١) عمدة القاري (١/ ٦).

العاشرة: عن معلقات البخاري, وأن ما ذكره بصيغة الجزم (كقال, ورَوَى) ونحوهما فهو حكم منه بصحته, وما كان بصيغة التمريض كرُوي ونحوه, فليس فيه حكم بصحته.

منهج الشارح

لم يبين منهجه في المقدمة، لكن الناظر لكتابه يرى أنه:

شرح الكتاب على ترتيبٍ جميل منظم، يشوّق القارئ، يبدأ أولاً: بمناسبة الحديث للترجمة، ثم يتحدث عن رجال رواة الحديث، ثم في ضبط أسماء الرجال ثم الأنساب، يعنون عناوين، مناسبة الحديث للترجمة: ثم إذا انتهى قال: رواة الحديث، ثم ضبط أسماء الرجال، ثم ضبط الأنساب، ثم يذكر فوائد تتعلق بالرجال، ثم لطائف الإسناد،، ثم يبين نوع الحديث إن كان الحديث متميزاً بنوعٍ خاص من العزة والغرابة والتواتر، يقول: نوع الحديث، ثم يذكر مواضع الحديث من صحيح البخاري، ثم يذكر من أخرجه غير البخاري، ثم يبين اختلاف لفظه في المواضع، ثم يقول: بيان اللغة،، ثم بعد ذلكم بيان الإعراب، ثم بيان المعاني، بيان البيان، بيان البديع، ثم بعد ذلكم يقول: الأسئلة والأجوبة، يورد إشكالات في الحديث ثم يجيب عنها، ثم سبب الحديث إن كان له سبب، ثم استنباط الأحكام، وهو في كل ذلكم يطيل ويغرب في النقول والردود والمناقشات، ينقل من الشراح، وينقض أقوالهم، المقصود أن الشرح منظم ومرتب لو كان على وتيرةٍ واحدة، لكنه في هذا الترتيب وهذا التنظيم في الأجزاء الأربعة الأولى، أما بعد ذلك فإنه أوقف هذه التفاصيل، واختل الترتيب والتبويب المشار إليها، واقتصر على عناوين: مطابقة الحديث للترجمة، وذكر رجاله، ولطائف إسناده، ومن أخرجه غير البخاري، وذكر معناه، وما يستفاد من الحديث، وذلك في شرح كل حديث إلى الجزء الحادي عشر، حيث انقطع هذا الترتيب فتارة يورد هذه العناوين وتارة لا يوردها إلى الجزء السابع عشر، حيث لم ترد فيه العناوين سوى مرتين لعنوان واحد، لكنه يذكر ما يتعلق بالشرح سنداً ومتناً دون عناوين، وبعده إلى نهاية الكتاب يتكلم عن مطابقة الحديث للترجمة ومواضعه في البخاري ومن أخرجه غيره، والكلام على رجاله ثم يشرحه دون ذكر عناوين، كل ذلك مع بسط القول في ترجمة الباب من أول الكتاب إلى آخره، والاقتصار ما تدعوا الحاجة إليه .

ويكثر من إيراد الاعتراضات والرد عليها ودفع الاستشكالات .

وينقل ممن سبقه من الشراح كالخطابي والكرماني وابن بطال والنووي وغيرهم، وينقل كثيراً من فتح الباري، أحياناً ينقل المقطع الكبير من فتح الباري ويبهم المؤلف يقول: قال بعضهم، ولا يسمي ابن حجر وإن كان ينقل منه واستفاد منه كثيراً، ثم بعد ذلكم يتعقبه كثيراً.

مذهب الشارح الفقهي

وبما أن العيني حنفي المذهب فانه انتصر لمذهبه كغيره من شراح الحديث .

المزايا والملاحظات

١- لا يسوق الروايات بكثرة فقد يورد أحياناً روايات لكنها قليلة، ولا يذكر ما فيها من زيادات.

٢- طويل النفس في الإعراب .

٣- يسوق أحاديث الباب بتمامها.

٤- منهجه مضطرب لأنه بدأ كتابه بشرح مستفيض، وتفصيل دقيق، ثم في النهاية اختصره جداً فلم يكن متوازنا في شرحه وهذا التباين في منهجه جعل شرحه ليس على وتيرةٍ واحدة، لأنه اعتمد على أشياء انقطعت فانقطع معها، فجاء ترتيب أوله أجود وأحسن من آخره.

٥- تميز شرحه بترتيبٍ جميل منظم، وحسن للعرض والتقسيم، يعنون للمواضيع التي سيتحدث عنها بطريقة تشوّق القارئ، وترتب أفكاره.

٦- يحشد الأقوال دون توجيه لها أو ترجيح في الأعم الأغلب .

٧- يذكر من خرج الحديث لكنه يترك الحكم عليه، و أحيانا يحكم على الأحاديث .

٨- اهتم باللغة اهتماما بالغاً.

٩- يطيل النفس في بيان المعنى، ويذكر أقوال أهل اللغة فيها.

١٠- يعتني بضبط المشكل، وبيان الغريب.

١١- يترجم للرواة، وكان في أول كتابه يطيل فيهم يبين نسبهم، وبعض شيوخهم وتلاميذهم،وسنة وفاتهم.

١٢- الإحالة لشرح الحديث في باب مضى .

١٣- لم يهتم بنسخ البخاري المتعددة .

١٤- يحاول التوفيق بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض .

١٥- يذكر كلام الفقهاء ويستطرد في ذكر مذهب أبي حنيفة والأقوال التي قالها ثم ينتصر للرأي الراجح من مذهب الأحناف .

١٦- يتكلم على النكت والفوائد والمبهمات .

١٧- يذكر من وصل المعلقات والمتابعات .

١٨- يسوق المتابعات والشواهد بطرقها ويذكر من وصلها ويحكم أحيانا عليها .

والله الموفق

٢٢. انتشار الإسلام في العالم، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر: حقائق وأرقام

إبراهيم بن حماد السلطان الريس

(أستاذ الحديث النبوي بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين. وبعد

فإن فيل أبرهة الأشرم حين وقف على مشارف مكة وأبى أن يتقدم نحو بيت الله العتيق لم يكن فعله ذلك بتدبير البشر ولا بقوة البشر ولا بالإمكانات التي بأيديهم، فما كان بيد قريش في ذاك الموقف إلا الهرب إلى الجبال وترك بيت الله العتيق الذي كانوا يقدسونه، ليقول قائلهم عبدالمطلب مقالته المشهورة التي تنبئ عن شعور داخلي بضعفه وعجزه وأنه يطلب إبله ونياقه وأما البيت فيكل الأمر للقادر العظيم جل وعلا، فقد قال: "أَنا رب الْإِبِل وللبيت رب يحميه". وحمى الله بيته ورد عنه قوة أبرهه.

إن ذاك الموقف هو دليل على أن دين الله تعالى ممثلاً في بيت الله العتيق في حفظ الله وأنه لن يتعرض له بشر كائنا ما كانت سطوته وكائنة ما كانت قوته، وهذا الأمر الذي كان في ذاك الزمان هو الذي يبقى إلى قيام الساعة.

ورغبة مني في المشاركة في هذا المؤتمر المبارك بإذن الله عز وجل فقد اخترت من محاوره موضوعاً مهماً وجديراً بالدراسة والتأصيل لما يتضمنه من حقائق دينية وتاريخية وواقعية، تؤكد على مسألة جديرة بالتذكر؛ وهي أن الإسلام دين الله والله سيحفظه مهما كان حال أتباعه من القوة والضعف ومن الهوان والإذلال ومن التقصير والتفريط، وأن تذكر هذه الحقيقة يطمئن النفس على دين الله تعالى ويدفع المرء إلى التعلق بهذا المبدأ العظيم الذي يحفظه الله، ومن تعلق به نجا.

وقد اخترت للبحث عنواناً هو:

انتشار الإسلام في العالم، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ حقائق وأرقام.

وإنني سأتناول هذه المسألة من حيث بيان أصلها الشرعي في القرآن العظيم والسنة المشرفة، مع تدعيم ذلك بشيء من الحقائق والأقوال والإحصائيات التي تؤكد هذه الحقيقة.

ويتكون البحث من: مقدمة وتمهيد وفصول ثلاثة؛ وذلك على النحو التالي:

مقدمة

تمهيد، عن تأريخ انتشار الإسلام واتساع رقعة دولته.

الفصل الأول: دلائل انتشار الإسلام من القرآن العظيم.

الفصل الثاني: دلائل انتشار الإسلام من السنة المطهرة.

الفصل الثالث: أدلة انتشار الإسلام من الواقع؛ "إحصاءات وتقارير وأقوال وحقائق"

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

المصادر والمراجع

وإنني إذ أشارك بهذا البحث، أسال الله تعالى أن يجعل هذا المؤتمر مؤتياً نتائج قيمة وأن يتوصل القائمون عليه والمشاركون إلى النتائج المرجوة التي قصدوها والأهداف السامية التي رسموها، كما أسأله جل وعلا أن يجعل ما قدمته نافعاً ومفيداً، وما كان فيه من صواب وحق فمن توفيق الله تعالى وتسديده، وما كان فيه من خلل وتقصير فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه بريئان، وختاماً أسأل الله تعالى أن يسددني وإخواني في كل تصرفاتنا إلى ما فيه الخير للإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

بين يدي هذا البحث الموجز عن انتشار الإسلام في الأرض، اعرض بصورة موجزة للتحول العظيم للعالم، فبعد أن كان ديناً يدين به محمد بن عبدالله ' وعدد قليل من أصحابه رضي الله عنهم، إلى أن يكون الدين الأول في العالم من حيث سرعة الانتشار، والثاني في العالم من حيث عدد الأتباع بعد النصرانية.

بدأ به رسول الله '، وما مات إلا بعد أن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، مع شدة العداء من قريش وغيرها، ومع قوة التشويه الذي مارسوه ضده، فدخلت كل جزيرة العرب في الإسلام، مع قلة الخسائر البشرية والمادية في تحقيق ذلك[١]

وتابع الخلفاء الراشدون ثم الدولة الأموية فالعباسية الدعوة لهذا الدين، حتى وصل للشرق والغرب، وتكونت دولة لا تغيب عنها الشمس، فيقول الخليفة المسلم وهو ينظر للسحابة أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك، لاتساع الدولة المسلمة، وما مضى القرن الأول بعد وفاة رسول الله ' حتى بلغت دولة الإسلام بلاد الهند شرقاً وأسبانيا غرباً، بل إن الإسلام وصل إلى الصين في القرن الأول الهجري، وعلى الرغم مما تعرض له أهل الإسلام من غزو تتري مغولي حاقد سافك للدماء ومبيد للأرواح، وعلى الرغم مما أصب دولة الإسلام في بعض مراحلها من ضعف أو بعد عن شريعة الله وتقصير في جنب الله، فقد توطدت قوة الإسلام، وعظم شأنه، واستمرت دولة الخلافة قائمة في الأرض، واستمرت فتوحات النور تتوالى شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، في أوربا وآسيا وأفريقيا، والحقيقة الواضحة أنه حينما يتحرك جيش الإسلام لصد من يمنع وصول نور الإسلام عن الناس من جهة، تتحرك قوة الإيمان ليسلم من العالم العدد الكبير دون دخول جيوش ولا تحرك عطايا ومنح، فقد دخل الإسلام شبه القارة الهندية وماليزيا وإندونيسيا والفلبين، من خلال تحلي التجار المسلمين بأخلاق وقيم الإسلام، مما دعا الناس لأتباع هذا الدين وكذلك كان الحال في قارة أفريقيا؛ فقد انتشر فيها الإسلام على الرغم من التخطيط الغربي لجعلها قارة نصرانية، ولكن دين الله غالب، فتكللت جهود هزيلة من المسلمين بالانتشار للإسلام بتوفيق الله عز وجل، وخارت قوى الحملات التنصيرية الغربية

---

[١] انظر: كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للإمام الندوي. و رسالة (الإسلام اليوم) لأبي الأعلى المودودي. وانظر للاستزادة مقال د.عطية صقر، تاريخ انتشار الإسلام في القارات /www.nfaes.com/Articliesfiles/73eht.docx /، وكتاب انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة و الافتراء، للدكتور نبيل لوقا بباوى، وقد أجازه الجامع الأزهر الشريف وأوصى بترجمته للغات العالم وتوزيعه.

التي تبنتها دول وكيانات سياسية واقتصادية قوية. فهذا هو الإسلام؛ الله ناصره، والله متم نوره، والله عد ووعده حق أن كيد الكافرين في تباب وبوار وخسران.

في موقع أهل التأويل[١] مقال للأستاذ الدكتور محمد عمارة عنوانه: انتشار الإسلام ، نشر بتاريخ 2009-12-07، وجاء فيه: لقد وقف كثير من الكتاب الغربيين، الذين درسوا تاريخ انتشار الإسلام بحيدة وإنصاف، وقفوا مذهولين أمام السرعة التي انتشر بها هذا الدين... فالمسلمون فتحوا في ثمانين عامًا أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون.أ.هـ

ومن دلائل عظمة هذا الدين ما أشرق من أنواره على العالم أجمع عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فقد كان المسلمون يترقبون أن يصاب دينهم بانهيار وانحسار، ولكن الآية أنه دين الله، فجاء من رحم المأساة نوراً ورحمة عمت العالمين، وكثرت تساؤلات الغرب النصراني واليهودي والعلماني عن هذا الدين الذي ينتسب له هؤلاء، وكان التشويه الذي تبنته وسائل إعلام ومراكز أبحاث للإسلام وقيمه من أسباب انتشاره، إذ كثرت أسئلة الناس[٢] عن الإسلام، فلما قرؤوا عرفوا الحقيقة ورأوا النور، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول: أدلة انتشار الإسلام من القرآن العظيم.

إن المتأمل لنصوص القرآن العظيم يرى عجباً، ولا عجب في الحقيقة من ذلك لأنه كلام الخالق العظيم والمدبر الحكيم سبحانه وتعالى، ففي كتاب الله تعالى آيات نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو في حال قلة وضعف، ولكنها تنزلت عليه لتطمئن قلبه وتبشر أتباعه وتبهر أعداءه، حينما تتحقق الآيات وتقع المعجزات، ولقد وقفت كثيراً مع آيتين جليلتين متقاربتين في الدلالة، ولكنهما صريحتين في البشارة بانتصار الإسلام مهما كاد له أعداؤه ومهما خذله أتباعه، وأن نصر الله لدينه وحفظه له حقيقة لا تقبل الجدال، وهاتان الآيتان هما قول الله سبحانه: "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) "سورة التوبة. وقوله جل وعلا: " يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)" سورة الصف.

وكم أفاض أهل التفسير في الكلام على ما في هاتين الآيتين من دروس ووقفات عظيمة، فهي آيات إعجاز أن دين الإسلام يحفظه الله رب العالمين، مهما كاد له الكائدون وخطط ضده المغرضون وشوه صورته الحاقدون.

لنتأمل هذا التصوير البديع في الآيتين، كيف أن أهل الضلال والفساد لا يريدون النور الذي يفضح فسادهم ويكشف زيف دعاواهم، وينير الطريق للسائرين، كيف أنهم يبذلون جهدهم لإطفاء النور، ومع ذلك يعجزون.

---

[١] http://www.attaweel.com/vb/t14995.html باختصار.

[٢] جمع الدكتور صلاح الصاوي مجموعة من تساؤلات الأمريكان وأجاب عنها لتكون هداية لهم، ومرشداً لمن يُسأل من المسلمين، وسمى كتابه: "تساؤلات الأمريكان حول الإسلام، بعد تفجيرات سبتمبر".

ثم لنتأمل: إن الوسيلة التي يسعون بها للتغطية على فضائحهم، ولستر جرائمهم هي استعمال أفواههم، إن في ذلك لآية؛ فإن وسيلة أهل الفساد والمكر والكيد للإسلام هي استعمال التشويه للإسلام والستر لنوره والتدليس على البشر بما هو خلاف الواقع، وإن حملات التشويه التي تقودها مؤسسات عالمية ضد دين الله عز وجل تستخدم في ذلك وسائل الإعلام بصورها المختلفة وأطيافها المتنوعة، والغالب على تلك الوسائل أنها تستعمل الكلمة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية؛ وكلها مصدرها في غالب الأحوال الأفواه.

إن من يكيد للإسلام لا يستطيع الكيد له علناً من خلال مواجهته، ولا يستطيع التدليل على حجته الداحضة ضد الإسلام بشكل حقائق، وإنما غالب مسالك هؤلاء التشويه باللسان ونحوه، فما استطاع عدو للإسلام أن يواجهه، وإنما بالكيد والمكر والتشويه والكذب.

ثم انظر للضعف الذي تشير له الآيات في أنهم يريدون لجهلهم إطفاء النور بأفواههم، فهل يمكن ذلك؟ إن النور لا ينطفئ ولا يواجه إلا بنور أقوى منه يغطي عليه وهيهات أن يكون ذلك.

إن الآيتين تتناولان هذه الحقيقة بصورة صريحة واضحة وقطعية، وليس فيهما ما قد يختلف فيه أهل التأويل، وإنما الدلالة فيهما صريحة، والعجيب في الأمر أن الله عز وجل بعد الآية الأولى ثنى بآية أخرى فيها القول الفصل" هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ " فهو سبحانه الحافظ الناصر، وهو سبحانه المرسل لنبي الهدى بالنور المبين والحق الواضح، وهو سبحانه الذي وعد . ووعده حق . أن دين الإسلام سيظهر ويتغلب على كل ما يدين به البشر من أديان باطلة ونحل ضالة، سواء رضي أولئك أم سخطوا، وسواء أأحب أولئك هذه الحقيقة وسلموا لها وقبلوا بها أم كرهوا، فدين الإسلام منصور مهما كاد له أعداؤه، ومهما تخلف عن نصرته أتباعه، ومهما أخطأ في حقه بعض من ينتسبون إليه، ولو وقفنا نتأمل في هاتين الآيتين لطال بنا البحث، وتشعب بنا المقال.

يقول الأستاذ سيد قطب[1]: إنها صورة بائسة لهم وهم يحاولون إطفاء نور الله بنفخة من أفواههم وهم هم الضعاف المهازيل! ...صورة ذات معالم واضحة وحدود مرسومة، تترسمها الأجيال لا نظرية في بطون الكتب، ولكن حقيقة في عالم الواقع. وأتم نوره فأكمل للمسلمين دينهم... على الرغم من كل ما جرد على الإسلام والمسلمين من حرب وكيد وتنكيل وتشريد وبطش شديد. لأن نور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه، ولا أن تطمسه كذلك النار والحديد، في أيدي العبيد! ... ثم قال: لقد جرى قدر الله أن يظهر هذا الدين، فكان من الحتم أن يكون:«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» .أ.هـ.

ويقول الأستاذ عبد الكريم يونس الخطيب[2]: إنه لو كان أمر الإسلام أمر قوة، لما كان فى الحياة اليوم إنسان يدين بالإسلام، ولما كانت دعوة الإسلام أكثر من حدث من أحداث التاريخ، عاش في الحياة زمنا، ثم طواه الزمن فيما طوى من وقائع وأحداث. فهل هذا هو واقع الإسلام؟ وهل هذا هو شأنه في

---

[1] في ظلال القرآن ٣٥٥٧/٦

[2] التفسير القرآني للقرآن (٥٩١/٢)

وقائع الحياة وأحداثها؟ إن الأمر لعلى عكس هذا تماما..وإن شهادة الواقع لا تحتاج إلى بيان.. فهي ناطقة بأفصح لسان، بأن دولة الإسلام تزداد على الأيام امتدادا واتساعا، وأن زحفه السلميّ المكتسح لم يتوقف لحظة واحدة، حتى في أقسى الظروف وأحلكها، التي مرّت بالإسلام وألقت بكل ثقلها عليه.أ.هـ.

ويقول[١]: إنه مع ما أصاب المسلمين من بلاء، فقد بقي الإسلام في قلوب أهله متمكنا قويّا، لا يتحولون عنه أبدا، ولو أخذوا بكل ألوان الضر والأذى، في أموالهم وأنفسهم، أو جيء إليهم بكل مغريات الحياة من مال ونساء على يد المستعمرين والمبشرين[٢]... فلم يسلم للمسلمين شيء غيره، مما كان لهم فى هذه الدنيا، التي سلبهم الاستعمار إياها، حيث لم يكن له حاجة فيها.. وكان الإسلام دائما هو القوة التي يستند إليها المسلمون، كلّما خذلتهم قوى الحياة جميعا، من علم، ومال، ورجال.

قال[٣]: ما استطاعت تلك الحملات التي رصدت لها دول أوربا وأمريكا الأموال الضخمة، وجنّدت لها العقول الجبارة؛ أن تنال من الإسلام منالا، أو أن تحوّل مسلما واحدا عن دينه، أو تفتنه فيه، بل كان المسلم الأمّيّ الساذج، يفحم بفطرته السليمة، وبعقيدته السمحة الواضحة كلّ منطق، ويخرس كل ذي لسان، حتى يرفع بصره إلى السماء قائلا: «لا إله إلا الله» ... قال: فالمسلمون ليسوا هم الذين وسعوا رقعة الإسلام، ومكّنوا له في الأرض، ودفعوا به إلى كل أفق من آفاقها، بل الإسلام نفسه هو الذي جعل للمسلمين دولة.. والإسلام نفسه هو الذي غذّى هذه الدولة بأسباب الحياة والنّماء.. والإسلام نفسه هو الذي كان الدرع الواقية والحصن الحصين لأهله، يلوذون به، ويستظلون بجناحه، كلما لفحهم هجير الحياة، وتعاوت حولهم الذئاب.أ.هـ.

وفي تحرير التنوير[٤] يقول ابن عاشور: إنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْفُوا الْإِسْلَامَ عَنِ النَّاسِ ويعوقوا انتشاره ومثلت حَالَتُهُمْ بِحَالَةِ نَفَرٍ يَبْتَغُونَ الظَّلَامَ لِلتَّلَصُّصِ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا يُرَادُ فِيهِ الِاخْتِفَاءُ. فَلَاحَتْ لَهُ ذُبَالَةُ مِصْبَاحٍ تُضِيءُ لِلنَّاسِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَخَشُوا أَنْ يَشِعَّ نُورُهُ عَلَى النَّاسِ فَتَفْتَضِحَ تُرَّهَاتُهُمْ، فَعَمَدُوا إِلَى إِطْفَائِهِ بِالنَّفْخِ عَلَيْهِ فَلم ينطفىء... فَكَانَ لِذِكْرِ بِأَفْواهِهِمْ وَقْعٌ عَظِيمٌ فِي هَذَا التَّمْثِيلِ لِأَنَّ الْإِطْفَاءَ قَدْ يَكُونُ بِغَيْرِ الْأَفْوَاهِ مِثْلِ الْمِرْوَحَةِ وَالْكِيرِ، وَهُمْ أَرَادُوا إِبْطَالَ آيَاتِ الْقُرْآنِ بِزَعْمِ أَنَّهَا مِنْ أَقْوَالِ السِّحْرِ. ... وَجُمْلَةُ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ يُرِيدُونَ وَهِيَ إِخْبَارٌ بِأَنَّهُمْ لَا يَبْلُغُونَ مُرَادَهُمْ وَأَنَّ هَذَا الدِّينَ سَيَتِمُّ، أَيْ يَبْلُغُ تَمَامَ الِانْتِشَارِ.أ.هـ.

لقد كانت البشارة الأولى لنبينا ' عند فتح مكة، ولا تزال تلك البشارة تصحب كل مسلم يتلو كتاب الله تعالى القرآن العظيم، فربنا سبحانه وتعالى يقول: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) (٢) سورة النصر.

ولنتأمل قول الله العلي العظيم: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

---

[١] التفسير القرآني (٥/٦٦٠)

[٢] كذا جاء عند المؤلف، والحقيقة أنهم لم يكونوا مستعمرين من العمران والبناء، وليسوا بمبشرين بخير إنما هم دعاة شرك وتنصير.

[٣] التفسير القرآني (٥/٦٦١)

[٤] تحرير التنوير ٢٨/١٨٩-١٩٠ بتصرف.

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) سورة النور. إنه وعد من الله القادر، ولا يشك مسلم في تحقق وعد الله أبدا.

تدبر حكمة الله وصراحة وعده:(وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) سورة إبراهيم. إن وعد الله لرسله هو الوعد بالنصر للمؤمنين، وخذلان الكافرين، وصدق الله.

ولو وقفنا مع تلك الآيات البينات لرأينا فيها من الإشراقات والهدى، ما يثير العجب ويشرح النفس، فحسبي في هذه الدراسة ما ذكرت.

وبعد هذه الإشراقات في هذا الفصل أقول: تدبرت قول الله عز وجل " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ " فرأيت عجباً، كيف أن قيادات العالم تصد الناس عن القرآن خشية أن يهتدوا، وكيف أن هناك من يحارب القرآن مخافة أن يؤثر في أتباعه، فيهتدون للحق، فلذلك يمنعهم من الاستماع لهو قراءته، كما فعلت قريش مع من كان يفد لمكة من الوفود حيث يحذرونهم من الاستماع للقرآن من رسول الله ’. وما كان منهم ذلك إلا لما فيه من إعجاز وهداية.

هذا القرآن الذي تكفل الله بحفظه؛ سيبقى ناصعاً معجزاً إلى قيام الساعة، وسيبقى أثره على الناس بليغاً وسيكون أول رائد لقيادة العالمين للدخول في دين الله تعالى، فالله حافظه ومظهره؛ يقول جل وعلا: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)) سورة الحجر.

ولهذا مهما بذل أعداء الملة والدين، ومهما خططوا ومكروا وأنفقوا فلن يكون جهدهم إلا حسرة ووبالاً عليهم، فربنا جل وعلا يقول: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦)) سورة الأنفال.

الفصل الثاني: أدلة انتشار الإسلام من السنة المطهرة.

المتتبع لأحاديث المصطفى ’ يجد فيها من الإعجاز ما يقف الفكر أمامه حائراً، فالأحاديث النبوية جاءت قاطعة بالبيان والتأكيد لما وردت به نصوص القرآن العظيم، وإن عجب المتفكر المتأمل في الحياة لا يتوقف حينما يسمع أو يقرأ حديث ثوبان مولى النبي ’ عند مسلم في صحيحه[1] أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ... الحديث. يقول الإمام النووي رحمه الله: وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مُعْجِزَاتٌ ظَاهِرَةٌ وَقَدْ وَقَعَتْ كُلُّهَا بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ بِالْكَنْزَيْنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْمُرَادُ كَنْزَيْ كسرى وقيصر ملكى العراق الشام فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مُلْكَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَكُونُ مُعْظَمُ امْتِدَادِهِ فِي جِهَتَيِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَهَكَذَا وَقَعَ، وَأَمَّا فِي جِهَتَيِ الْجَنُوبِ وَالشِّمَالِ فَقَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَصَلَوَاتُ اللَّهِ وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحَى.أ.هـ.

---

[1] الصحيح، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، باب: ٥ - بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ٢٢١٥/٤ رقم ٢٨٨٩.

لقد جمع الله تعالى لنبيه ' الأرض، وقرب له بعيدها؛ فرأى مشارقها ومغاربها؛ بقدرة الله العلي العظيم، ثم بين الحكمة من ذلك، وهي أن الله بين له أن ملك أمته سيبلغ كل الأرض مشارقها ومغاربها، وأنه –وهو في حال الضعف- سيبلغ ملكه إيواني كسرى وفارس.

فهذه البشارة العجيبة عظيمة في رفع الهمة للوصول إلى القمة من المجد والرفعة.

والحديث الثاني: حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه، وهو يخبر عما عليه حال الصحابة من الضعف والخوف والغلبة لعدوهم، وأن الصحابة أرادوا من نبي الهدى صلى الله عليه وسلم أن يستنصر الله لهم؛ ليرفع عنهم ما هم فيه من شدة وبلاء، فقال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ '، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رواه البخاري[1].

يقول الشيخ محمد بن عثيمين[2] رحمه الله: أقسم . عليه الصلاة والسلام . أن الله سبحانه سيتم هذا الأمر، يعنى سيتم ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من دعوة الإسلام، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون. أي: فاصبروا وانتظروا الفرج من الله، فإن الله سيتم هذا الأمر. وقد صار الأمر كما أقسم النبي عليه الصلاة والسلام.أ.هـ.

والحديث الثالث: حديث الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ بَيْتِ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، يُعِزَّهُمُ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَلَا يَدِينُوا لَهَا» رواه الحاكم في المستدرك[3] وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ "

وجاء هذا الحديث من رواية تميم الداري[4] رضي الله عنه، فعن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَبْلَغَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، يُعِزُّ بِعِزِّ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُذِلَّ بِهِ فِي الْكُفْرِ» وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجِزْيَةَ»

وهنا قوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - (بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ) أَيِ الْمُدُنُ، وَالْقُرَى، وَالْبَوَادِي، وَهُوَ مِنْ وَبَرِ

---

[1] الصحيح، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، ٢٠١/٤ رقم ٣٦١٢.

[2] شرح رياض الصالحين ٢٥٢/١

[3] المستدرك ٤٧٦/٤ رقم ٨٣٢٤، والحديث أخرجه: أحمد ٤/٦، والطبراني ٢٠/"٦٠١"، وهو حديث صحيح إلى النبي '.

[4] رواه الحاكم في المستدرك ٤٧٧/٤، رقم ٨٣٢٦، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " ووافقه الذهبي. وأخرجه الإمام أحمد في المسند رقم ١٦٩٥٧، وإسناده صحيح.

الْإِبِلِ أَيْ شَعَرِهَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ مِنْهُ وَمِنْ نَحْوِهِ خِيَامَهُمْ غَالِبًا، وَالْمَدَرُ جَمْعُ مَدَرَةٍ، وَهِيَ اللَّبِنَةُ.أ.هـ[1].

فهي كلمة وعد صادق من نبي يوحى إليه أن الإسلام سيدخل كل بيت من خيام وبر، أو من بنيان ولبنات من أي مادة كانت، وإن ذلك سيكون بقدرة الله وقوته لا بقوة البشر وقدرتهم؛ وإنما البشر أسباب قد تتوافر وقد تتخلف؛ وهذا ما تصدقه الإحصاءات وتؤكده التقارير والبيانات.

الحديث الرابع: حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ[2] رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ‘، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ‘، فِي الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ‘: " تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ. ثُمَّ سَكَتَ، قَالَ حَبِيبٌ: " فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فِي صَحَابَتِهِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ أُذَكِّرُهُ إِيَّاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي عُمَرَ، بَعْدَ الْمُلْكِ الْعَاضِّ وَالْجَبْرِيَّةِ، فَأُدْخِلَ كِتَابِي عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَسُرَّ بِهِ وَأَعْجَبَهُ "

الحديث الخامس: حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ -، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى» ، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: " كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ " قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

ومن الأحاديث في هذا الباب؛ **أحاديث الطائفة المنصورة**، وهو مما عده بعض أهل العلم من المتواتر، وفيه عدد من الأحاديث عن جمع من أصحاب رسول الله ‘، فمن ذلك:

حديث عمير بن هانئ[1] رحمه الله؛ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ

---

[1] انظر: مرقاة المفاتيح ١١٦/١ للملا علي القاري. و مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري ١١٣/١.

[2] رواه بإسناد حسن؛ الإمام أحمد في المسند ٣٥٥/٣٠ رقم ١٨٤٠٦، وأخرجه الطيالسي في المسند ٣٤٩/١ رقم ٤٣٩.

[1] البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ، ١٣٦/٩، ومسلم،-واللفظ له-

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»

وحديث الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ[1] رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قَالَ: «لاَ يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»

وحديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ[2] رضي الله عنهما، أنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ، قَالَ: " فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ "

وحديث ثوبان[3] رضي الله عنه، مولى النبي ' أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

أخبار صريحة صحيحة في البشارة بأن عباد الله هم المنصورون، وأنه سيبقى هناك من يحمل مشعل الإسلام ونبراس الهداية للحق حتى تقوم الساعة، وأن الأعداء مهما كادوا فسيكون كيدهم في تباب، فالغلبة لجند الله وأتباع دينه، يقول جل وعلا: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)"سورة الصافات.

هذه النصوص وغيرها حقائق ثابتة لا يمكن أن تتغير أو تتبدل ، مهما قويت شوكة الكفار والمنافقين، ومهما ضعف حال الأمة وقل اعتبارها بين الأمم، فمن كان الله معه فهل يخاف؟، ومن كان الله ناصره، فهل ينهزم؟ كلا.

وبعد هذا السرد لأحاديث صريحة في البشارة بنصر الله، وأن العاقبة للمتقين، يمكن القول؛ إن تأمل هذه الأحاديث والنظر لها بعين الإيمان، أو ربطها بواقع الحال في العالم بشكل عام، يقيم في النفس شعوراً قوياً يرفع المعنويات وينمي العزة في النفس والقوة في الإيمان، ويجعل المسلم الذي يرى واقع أمته وضعفها واستعلاء أعدائها عليها، تجعله يعتز بدينه ويقوى بالله يقينه وينظر للأمور بعين الواثق بالله وما وعد به رسول الله '.

الفصل الثالث: أدلة انتشار الإسلام من الواقع.

إن من الأمور التي يحتاج لها المسلم ليزداد إيمانه، وليحاج المعرضين والمستكبرين والجاهلين،

كِتَابُ الْإِمَارَةِ، ٥٣ - بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، ١٥٢٤/٣ رقم١٠٣٧.

[1] البخاري، كتاب المناقب، باب ٢٠٧/٤رقم ٣٦٤٠ ومسلم،- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، ٥٣ - بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، رقم١٩٢١.

[2] مسلم،كتاب الإيمان، ٧١ - بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ١٣٧/١ رقم ١٥٦. وعنده أيضاً في كِتَابُ الْإِمَارَةِ، ٥٣ - بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ١٥٢٤/٣رقم ١٩٢٣.

[3] مسلم،٣٣ - كِتَابُ الْإِمَارَةِ، ٥٣ - بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، ١٥٢٣/٣ رقم١٩٢٠.

الوقوف على حقائق مادية مشاهدة تنطق بالحجة وتقيم البرهان على عظمة الإسلام وصدق مصادره، وإن من بين تلك الأمور ما يسعد قلوب المؤمنين ويشرح عقول الباحثين عن الحقيقة وهو الإعجاز الظاهر في واقع الحياة مما يتوافق مع ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة نبينا رسول الله ′، ولهذا فإننا حين نستعرض نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ونقف فيها على مثل تلك الحقائق التي ذكرتها في الفصلين السابقين، لا تعتبر هذه الأمور حقائق مسلّمة إلا عند من يؤمن بالقرآن العظيم والسنة الشريفة، وأما المشركين والكافرين من اليهود والنصارى والملحدين وغيرهم، فلا يقيمون لنصوص الوحي وزن، لكنهم يقفون أمام الحقائق المادية التي تظهر إعجاز الوحيين، مما يستدعي الإقبال على تدبر ما فيهما ومراجعة المعلومات عن دين الإسلام، وبين يدي هذا المبحث نقف مع شهادة أعلى سلطة دينية للنصارى؛ الفاتيكان، فقد اعترف الفاتيكان؛ بأن الإسلام أكثر الديانات انتشارا في العالم، ورد الخبر في صحيفة (RTL.fr) الفرنسية؛ بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٣١م، تحت عنوان: وأصبح الإسلام هو دين العالم الأول، وجاء في الخبر: وقد اعترف الفاتيكان رسميا في نهاية هذا الأسبوع؛ وقال: الإسلام يفوق الرومانية الكاثوليكية كديانة أكبر في العالم .

وقد جاء الخبر في صحيفة فوكس نيوز(١) الصادرة بتاريخ ٣٠مارس ٢٠٠٨، وفيه: قال المونسنيور فيتوريوFormenti في مقابلة مع صحيفة الفاتيكان رومانو:"للمرة الأولى في التاريخ ، ونحن لم نعد في الأعلى؛ المسلمون قد تفوقوا عليا"، وقال: إن الكاثوليك يمثلون ١٧,٤% من سكان العالم - نسبة مستقرة - في حين أن نسبة المسلمين ١٩,٢%. وورد ذلك أيضاً في صحيفة هاآرتز(٢) الإسرائيلية، بتاريخ ٢٠ديسمبر ٢٠١١.

أحداث الحادي عشر من سبتمبر

إن أحداث سبتمبر لم تكن سدّاً في وجه انتشار الإسلام، بل كانت بوابة لتعرف العالم على الإسلام، وإدراك حقيقته، ولهذا جاءت الآثار كما تحكي ذلك الإحصاءات، دالة على نصر الله وإظهاره لدينه على الدين كله، ولكن لم يكن ذاك الحدث وحده مؤلم ومبشر، وإنما يلحظ العالم أن كل حدث عداء للإسلام ومقدساته يؤدي لانتشاره، تجرأ نصراني دانمركي على الإساءة لرسول الله ′ وتبعه من تبعه، فكانت النتيجة ما يعرفه الجميع من انقلاب السحر على الساحر، وأثمر الحدث التعرف على الإسلام ونبي الإسلام، ودخول الناس في دين الله أفواجا، ثم كانت حادثة حرق المصحف في إحدى كنائس أميركا، وتأتي النتائج وفق ما أراده الله تعالى من إظهار دينه، فما أعظمه من دين، وما أسماه من مبدأ حق من عند الله رب العالمين.

جاء في موقع أون إسلام[٣]،بتاريخ يوم الثلاثاء, ٠٤ يناير ٢٠١١وتحت عنوان "كلما زاد الهجوم على الإسلام؛ زاد عدد معتنقيه !" ؛ تقريرٌ مبهر بما أعقب الأحداث من إقبال على الإسلام وانتشار له.

وسأتناول في هذا الفصل بعض الحقائق والإحصاءات التي تبين عظمة هذا الدين المنصور من الله

---

(١) http://www.foxnews.com/story/0,2933,343336,00.html

(٢) http://www.haaretz.com/news/vatican-islam-surpasses-roman-catholicism-as-world-s-largest-religion-1.242965

(٣) http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/newsreports/muslim-minoritie/127589-2011-01-04-14-42-22.html

القوي المتين، وسأقسم مباحث هذا الفصل إلى أربعة أقسام، وهي كالتالي:

المبحث الأول: الإحصاءات والأرقام:

وفيه اذكر بعض الإحصاءات عن انتشار الإسلام بقوته الذاتية التي جعلها الله عز وجل فيه، والأرقام تحكي الواقع وتدلل على الإعجاز في الإسلام وقوته الذاتية، فمن أعداد الداخلين في دين الله أفواجا، إلى أعداد بيوت الله تعالى التي يعلوا نداء التوحد منها، إلى تزايد أعداد المقبلين على قراءة القرآن وكتب التعريف بالإسلام، فمن تلك الإحصاءات:

أولاً: إحصاءات لأعداد الداخلين في الإسلام:

تمتلئ صفحات الانترنت بذكر أرقام ونسب لأعداد المعتنقين لدين الإسلام، وتدل الأرقام على قوة الانتشار، إلا أن الإحصائيات التي وقفت عليها تنقصها المتابعة الدقيقة والجدة، فغالب هذه الأرقام قامت بها جهات لا تنتمي للإسلام، فلذلك قد لا تحكي الواقع بإعجازه، كما أن غالب هذه الإحصائيات قديمة نسبياً، ومع ذلك تبقى الدلائل فيها صريحة وواضحة، وسأحرص على ذكر الأرقام التي وردت في بيان الواقع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ فمن ذلك:

قبل ذكر ما بعد حدث سبتمبر، أتناول هذا الإحصاء العام لأعداد المسلمين قبله، ليتبين حال الأمر بعد ذاك الحدث، فقد ورد في موقع إسلاميك ويب[١]، إحصائية لأعداد ونسب المسلمين في العالم جاء فيها:

أن عدد المسلمين وفق إحصائيات سنة ١٩٩٨م يبلغ: 1.678.442.000 نسمة، ونسبة المسلمين من مجموع سكان الأرض 26%، ونسبة تزايد أعداد المسلمين في كل سنة 6.40%، بينما عدد المسلمين تزايد في نصف القرن الماضي بنسبة 235%، كما ورد في الموقع أن تقديرات عدد المسلمين في سنة ٢٠٠٠م، يبلغ: 1.902.095.000نسمة.أ.هـ

فماذا بعد هذا التاريخ وقد ازداد دخول الناس في الإسلام بشكل أقلق العالم الغربي المتطلع للسيطرة على العالم.

في إحصائية نشرت على موقع "m-h-1987 "[٢] أنه في الخمسينيات كان واحد من كل سبعة من البشر مسلماً، والآن واحد من كل أربعة إلى خمسة من البشر مسلم، من كل لون وجنس. عدد دول العالم ٢٠٦ دول، وأكثر من خمسين دولة فيها أغلبية مسلمة. ورغم أن الإسلام عادة ما يرتبط بالعرب والشرق الأوسط، فإن العرب لا يمثلون أكثر من ١٨% من جملة المسلمين.

وجاء في جريدة الشرق الأوسط، أن حكيم عوانصافي[٣]، رئيس جمعية المسلمين في هاواي، ذكر أنه قبل تفجيرات ١١ سبتمبر كان معدل التحول للإسلام ثلاثة مهتدين شهريا، ولكن منذ ذلك الوقت اهتدى ٢٣ شخصا شهرياً إلى الدين الإسلامي.أ.هـ

---

[١] راجع الرابط: http://www.islamicweb.com/begin/results.htm

[٢] http://bina-m-h-1987.fav.co.il/index.php?dir=app_sites&page=content&id=202781

[٣] http://www.aawsat.com/details.asp?section=1&article=75703&issueno=8405

كما أن أحداث حرب الخليج العربي بما أحدثته من تغيير في المنطقة، وبما صحبها من ضعف لحال المسلمين وحاجتهم لنصرة أعدائهم على بعضهم البعض، قد أحدثت تغييراً لدى جنود الجيش الأمريكي الذين شاركوا في تلك الحرب، فقد أسلم أحد القساوسة الأمريكان وأسلم أكثر من سبعة آلاف ضابط وجندي، من النساء والرجال، وهذا ما دلت عليه الإحصائيات[١].

ونشر الأستاذ خالد المحاميد في جريدة الوطن السعودية[٢]؛ لقاء مع رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة الدكتور جعفر شيخ إدريس؛ جاء فيه عن الجانب الإيجابي لما حدث في ١١ سبتمبر: إن هذا الحدث ساهم في إقبال الناس في التعرف على الإسلام ومعرفة حقيقته، مما أدى إلى دخول الكثير من الناس في الإسلام وقد تجاوز عددهم منذ ذلك التاريخ ٤٠ ألفاً.أ.هـ

وجاء في تقرير[٣] لمحطة السي. إن. إن (CNN) إنه أزدات نسبة الداخلين في الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر، فقد أظهرت الإحصائيات الجديدة أن عدد الذين يدخلون في الإسلام ازداد بشكل كبير بعد أحداث سبتمبر؛ **فيه أنه منذ** ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حتى تموز ٢٠٠٢فقط - دخل أربعة وثلاثون ألفاً من الأمريكان في دين الإسلام بالرغم من الحملة الإعلامية والسياسية الأمريكية التي ربطت موضوع الإرهاب بالإسلام.

وجاء في موقع مفكرة الإسلام[٤] تقرير تحت عنوان: الإسلام هو الدين الأسرع انتشارًا في العالم، ونشر ذلك بتاريخ يوم الثلاثاء ١٣ سبتمبر ٢٠١١م، ومما ورد فيه: يؤكد معظم الباحثين أن أكثر من عشرين ألف أمريكي يعتنقون الإسلام كل عام وذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر! فعلى العكس مما هو متوقع بأن أعداد المسلمين الجدد ستنخفض إلا أن النتيجة جاءت على عكس الحسابات، فقد أظهرت الإحصائيات - وكما يقول الخبراء الأمريكيون - أن أعلى نسبة لاعتناق الإسلام في أمريكا جاءت بعد أحداث سبتمبر بشكل لم تشهد البلاد له مثيلاً من قبل! وسبب ذلك هو الإقبال الكبير على شراء الكتب الإسلامية بعد هذه الأحداث مما فتح مجالاً للناس أن يتعرفوا على الإسلام من مصادره، وهذا ما يدفعهم لتصحيح فكرتهم عن الإسلام واعتناقه بسهولة.أ.هـ

ولمزيد علم بهذه الحقيقة العظيمة، يمكن للمتابع أن يقف على عشرات المقاطع المرئية في مواقع على الشبكة المعلوماتية[٥]؛ لبعض رجال الغرب والشرق ممن بهرهم الإسلام وأنار الله قلوبهم للحق، وهم يتكلمون عن إسلامهم ونعمة الله عليهم؛ ومنهم الكثيرين من المفكرين والأساتذة الجامعيين والعلماء والأطباء وغيرهم.

ثانياً: الإقبال على قراءة ترجمات القرآن الكريم وكتب السنة والكتب التي تعرِّف بالإسلام:

سنشير هنا إلى ظاهرة مبهرة وحقيقة واقعة، وهي اهتمام العالم الغربي الكافر بالقرآن العظيم

---

(١) انظر كتاب المعجزة المتجددة ١٤١-١٤٢

(٢) http://www.alwatan.com.sa/news/NewsText/newsdetail.asp?issueno=2875&id=57056

(٣) http://www.cnn.com/world/9704/14/egypt.islam

(٤) html.we-el-gharb/2011/09/13/133797-http://www.islammemo.cc/nahn

(٥) http://www.forsanelhaq.com/showthread.php?t=109074

وبحثهم عن تراجم معانيه، وقراءتهم له قراءة فاحص يبحث عن الحق، أو حاقد يفتش عن ما يريده من التناقض أو القصور –وأنى له ذلك-، وقد وردت بيانات مهمة تكشف شيئاً من ذلك، فمما وقفت عليه:

ففي موقع صعود الإسلام[١]، وتحت عنوان:" هل أصبح القرآن أفضل الكتب مبيعاً في أميركا" وذكر فيه من الوثائق والمصورات ما يدل على ارتفاع الإقبال على شراء كتاب الله عز وجل بشكل كبير.

وجاء في الخبر: بعد أسبوعين من أحداث ١١ سبتمبر أعلن أكثر من ١١ ألف أمريكي اعتناق الإسلام، وفتحت المراكز الإسلامية أبوابها أمام عشرات الألوف من الأمريكيين للقراءة عن الإسلام، والتعرف إليه، وأكدت مصادر أمريكية أنه منذ ذلك الوقت تصدرت الكتب التي تترجم معاني القرآن الكريم قوائم الكتب الأكثر مبيعاً في المكتبات الأمريكية.

ونقلت **صحيفة الأوبزرفر البريطانية**[٢] **عن مؤسسة بنجيون للنشر**،- وهي الناشرة لأفضل ترجمة معروفة للقرآن باللغة الإنجليزية - **أن مبيعات المصحف الشريف المترجم، بلغت الذروة بعد ١١ سبتمبر وتضاعفت ١٥ مرة** خلال الأشهر الثلاثة التي تلت أحداث ١١ سبتمبر.

وقد علمت من عدد من الطلاب السعوديين المبتعثين للدراسة في بلاد الغرب؛ أن الكثير من زملائهم مهتمين بالمعرفة عن حقيقة الإسلام، ويزداد طلبهم على نسخ من ترجمات معاني القرآن العظيم.

ثالثاً: ازدياد أعداد المساجد

ومن الظواهر التي يمكن رصدها بالأرقام؛ انتشار بيوت الله المساجد والجوامع وارتفاع نداء الصلاة بالأذان في أصقاع من العالم، بشكل أغضب قادة الديانات الأخرى وبعض السياسيين وأرهبهم، فمن ذلك:

في تقرير نشره موقع "cnn"[٣]، عنوانه: النمو السريع للإسلام في العالم الغربي، يذكر التقرير أن أعداد الذين يعتنقون الإسلام كل عام في العالم الغربي كبير جداً وفي تسارع مستمر، ففي ١٢ سنة تم بناء أكثر من 1200مسجد في الولايات المتحدة الأمريكية بمعدل مئة مسجد سنوياً.

وهناك أرقام كثيرة لا مجال لعضها هنا، وإن المنصف يقف عند هذه الأرقام فيرى أنها شواهد مادية ملموسة يقف عندها ولا يرتاب في حقيقتها، فيدرك أن هذا النور الذي يشع في العالم وينتشر هو دين الله الحق المنصور.

المبحث الثاني: التقارير

هنالك دراسات متكاملة حول الإسلام وأتباعه ومقدساته وواقعه، تتبناها جهات متعددة، لتحقيق أهداف قد رسمها القائمون عليها، وقد وقفت على عدد منها في مواقع عربية وغربية، إسلامية وغير

---

(١) http://www.riseofislam.com/islam_in_america_06.html

(٢) انظر: http://bina-m-h-1987.fav.co.il/index.php?dir=app_sites&page=content&id=202781

(٣) http://www.cnn.com/WORLD/9704/14/egypt.islam. تمت ترجمة الصفحة للتحقق من المعلومات فيها.

إسلامية، ومنها:

- التقرير الذي أعده موقع وقناة CNN[١] الأمريكية، وعنون له بـ: الإسلام أسرع الديانات انتشارا.
- وفي الشبكة العنكبوتية في اليوتيوب[٢] فلم إحصائي وثائقي غربي عن انتشار الإسلام وسرعته في بلاد الغرب، عنوانه: العالم يتغير؛.The World Changing ، وهو تقرير يوضح تخوف النصارى من انتشار الإسلام في العالم وخاصة في أوروبا وأمريكا.
- وأعدت قناة روسيا اليوم[٣] تقريراً حديثاً عن انتشار الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، تضمن الكثير من اللقاءات مع مسلمين جدد، ذكروا فيها براءة الإسلام مما ألصق به من شبه، وأنهم وجدوا فيه النور والهدى.
- وفي موقع آخر باللغة الإنجليزية أيضاً وعنوانه "صعود الإسلام/ riseofislam "[٤] يتحدث الموقع عن الإسلام في أوربا والعالم وانتشاره، وتخوف الغربيين من ذلك؛ وبعض الإحصاءات حول صعود دين الله عز وجل، رغم ما حصل في الحادي عشر من سبتمبر، والموقع مليء بالحقائق والأرقام والوثائق والتقارير عن موضوع البحث في غاية الأهمية.
- ولست هنا في مقام الجمع لما كتب من مقالات وتقارير ودراسات حول انتشار الإسلام، وحسبي ما ذكرته، مما تمتلئ به وبمثله الشبكة العنكبوتية للمعلومات.

المبحث الثالث: الأقوال:

لا زلت أتذكر حينما كنت صغيراً ذاك الكتيب المرعب الذي قرأته في صغري فأرعبني ما فيه من جمع لأقوال بعض رجالات الغرب وسياسييه، وما تمتلئ به من معاداة المسلمين والكيد لهم والتهديد والتحقير، ولا زال ذاك الكتيب يوقظ في نفسي الشعور برحمة الله ونصره وحفظه ورعايته وفضحه لكيد الكافرين؛ وهذا الكتيب لمؤلفه جلال العالم؛ عنوانه "قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله"، فهو مليء بأقوالهم وخوفهم من سيطرة الإسلام على العالم، وإن ما قدمته من تقارير تضمنت الكثير من العبارات التي تكشف للعالم اعترافات غير المسلمين بعظمة الإسلام وعظمة شريعة الله تعالى؛ فمن تلك المقالات التي تفيض بها الصحف والمجلات والكتب والمدونات والمواقع والقنوات:

قول مهاتما غاندي في حديث لجريدة "ينج إنديا" وتكلم فيه عن صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته

---

(١) http://www.cnn.com/WORLD/9704/14/egypt.islam/

(٢) http://www.youtube.com/watch?v=wAmk_bXWYxM

و http://www.youtube.com/watch?v=Pr0KLYLxncc&feature=related

http://www.safeshare.tv/v/qCcEdjc8g9w

(٣) http://www.youtube.com/watch?v=g6ERWcbSzB8

(٤) http://www.riseofislam.com

مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف .بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفاً؛ لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة" .

وقال البروفسور رما كريشنا راو في كتابه "محمد النبي": لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة **عن** حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلا" .

وتقول الشاعرة الهندية ساروجني: "يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة، ويسجد القروي والملك جنب لجنب اعترافًا بأن الله أكبر.. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر".

ومع الأزمة الاقتصادية التي يمر بها العالم الغربي خاصة، برزت كتابات صريحة في الكشف عن الحقيقة، وكان من بين تلك الكتابات[1] ما قاله "بوفيش فانسون" رئيس تحرير مجلة "تشالينجز" والذي كتب موضوعًا بعنوان: البابا أو القرآن. وقد تساءل الكاتب بأسلوب يقترب من التهكم من موقف الكنسية ومستسمحًا البابا بندكيت السادس عشر قائلا: "أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا ما حل من كوارث وأمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري.

كما طالب "رولان لاسكين" رئيس تحرير صحيفة "لوجورنال دفينانس" بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق العالم من جرَّاء التلاعب بقواعد التعامل والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة.

المبحث الرابع: الحقائق الأخرى:

إن هنالك مجموعة من الحقائق التي لا يجادل فيها بصير ولا يخالف فيها عاقل، وإن هذه الحقائق من الأسباب المهمة في اهتداء الكثيرين من البشر، وإن قدرة الله تعالى وحكمته؛ هي التي جعلت لدين الله تعالى هذا القبول والانتشار والسيادة، والأيام حبلى بأخبار عظيمة من الله تعالى للمؤمنين، فهو سبحانه وتعالى القائل، في حقيقة لا نشك –كمسلمين- فيها ولا نجادل في وقوعها: " قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)" سورة الأعراف. هذه الحقيقة الأولى؛ أن العاقبة ونهاية الأمر ستكون للمؤمنين بالله تعالى.

أما الحقائق التي نحتاج لتذكرها هنا فمنها:

---

[1] موقع البيت بيتك: http://elbeitbeitak.blogspot.com/2011/08/blog-post_5576.html

١. أن الأمم تتبع أصحاب القوة والسلطة، فما يوجد الانتصار إلا ويأتي معه التبعية والانقياد من المغلوبين، وهذه حقيقة قررها الإمام ابن خلدون رحمه الله في مقدمة تأريخه[١]، قال: المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائدهأ.هـ

لكن الأمر هنا، مع دين الله تعالى الإسلام يخالف هذه القاعدة، فينتصر دين الله تعالى ويتبعه الناس حتى وهم منتصرين على أتباعه، ولهذا أسلم هولاكو، مع شدة بطش قومه وسيطرتهم وغلبتهم واجتياحهم لديار المسلمين، وما ذلك إلا بسبب الحقيقة الخالدة، أن دين الله منصور من الله، وأن مقاييس البشر في هذه القضية تقف إجلالاً لتدبير الله وتقديره.

٢. ومن الحقائق ما أبهر العالم في عصرنا من قوة الإسلام ونصاعة حجة أتباعه، ظهر ذلك في المناظرات[٢] التي أجراها علماء مسلمون مع النصارى حول ما هو الدين الحق، كما كان من الشيخ أحمد ديدات، ود.ذاكر عبد الكريم نايك، والدكتور جمال بدوي، وغيرهم، وكم كان لهذه المناظرات من أثر في بيان الحق للناس.

٣. ومن الحقائق أن عدداً من القطاعات العسكرية الغربية، كالجيش الأمريكي؛ قد اعتمدت إيجاد جهات رسمية إسلامية داخل قطاعاتها؛ مما يدلل على الحقيقة الواضحة أن الإسلام بدأ في إشراقات نوره على قلوب قادة العسكر في بلاد الكافرين.

٤. إسلام أصحاب الفكر والثقافة، ورجال العلم والطب، من الظواهر التي يلحظها كل من له عناية بدراسة واقع انتشار الإسلام، أو من له اهتمام بدراسة الإعجاز العلمي والطبي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد كان المستشرقون، والكثير منهم من العلماء وأصحاب الرأي ممن عنوا بدراسة الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وقد أسلم عدد منهم؛ من بينهم المستشرق والمؤرخ البريطاني عبدالله فلبي، والمفكر الفرنسي موريس بوكاي. والمغني البريطاني كات ستيفنس / يوسف إسلام، والمستشرق السويسري جون لويس بوركهارت J.L.Burckhart ، والفيلسوف الماركسي الفرنسي: روجيه جارودي، والدكتور مراد هوفمان، والمفكر محمد أسد؛ صاحب كتاب الطريق الى مكة، وغيرهم كثير من المشاهير قديماً وحديثا.

٥. ومن الحقائق، أن دعوى انتشار الإسلام بالسيف يجب أن تنسحب اليوم من تفكير من يتشدقون بذكرها ضد دين الله عز وجل، فهاهو الإسلام اليوم ينتشر مع ضعف أتباعه وقوة أعدائه، فانتشاره ليس بقوة مادية؛ وإنما بإظهار الله تعالى له، فما حمل السيف لبلاد أمريكا ولا اليابان ولا إندونيسيا ولا ماليزيا، فكيف انتشر وينتشر الإسلام اليوم هنالك؟!.

٦. وحقيقة مهمة، فهناك دعاوى ترفع كل حين تتهم الإسلام باضطهاد المرأة وهضم حقوقها، فماذا نقول عن تلك الإحصائيات والحقائق التي رصدتها الدراسات وبينتها الوقائع، عن انتشار الإسلام بين النساء بشكل أكبر منه بين الرجال، وهذه الحقيقة من الحجج القوية في الرد على من يتهمون

---

[١] مقدمة ابن خلدون ١٨٤، الفصل الثالث والعشرون.

[٢] انظر: http://www.forsanelhaq.com/showthread.php?t=171182

الإسلام بمعاداة المرأة ويزعمون أنه يظلمها.

ففي موقع المسلم كتب الأستاذ صلاح الصيفي بتاريخ١٤٢٩/١٢/٦ هـ؛ تحت عنوان: لماذا ينتشر الإسلام بين نساء ألمانيا؟! مقالاً مطولاً بين فيه الإقبال الملاحظ من النساء في مختلف المستويات العمرية على الدخول في الإسلام، وأنهن أكثر من الرجال في ذلك.

وفي صحيفة اليابان تايمز[١] نُشر مقالٌ حول ظاهرة إسلام النساء في اليابان بشكل كبير.

وذكر حكيم عوانصافي[٢]، رئيس جمعية المسلمين في هاواي أن المهتدين الجدد للإسلام هم في الأغلب نساء، مشيرا إلى أن المعدل الوطني هو أربع نساء مقابل رجل واحد.أ.هـ

وجاء في موقع مفكرة الإسلام[٣] ضمن تقرير تحت عنوان: الإسلام هو الدين الأسرع انتشارًا في العالم، ونشر ذلك بتاريخ يوم الثلاثاء ١٣ سبتمبر ٢٠١١م: أن الإحصائيات تدل على أن نسبة النساء اللواتي يعتنقن الإسلام في أوربا وأمريكا هي نسبة كبيرة؛ وذلك لأن المرأة الغربية تعاني اليوم من احتقار الرجال لها، واستخدامها كوسيلة لتنفيذ مصالحهم، فهي وسيلة للدعاية والإعلان، ووسيلة لتحقيق المكاسب ووسيلة للمتعة فقط، أما الإسلام فقد ارتقى بالمرأة إلى أعلى درجة، وجعل منها الأم والمربية وجعلها رسولنا الكريم ' ضمن وصاياه، وآخر ما نطق به من تعاليم قبل أن يفارق الحياة وقرن الوصية بها بالصلاة.أ.هـ

٧. وأختم بحقيقة من الحقائق الظاهرة الدالة على أن الإسلام قوي في ذاته، فبرغم كل وسائل الاتصال والتوثيق، ورغم كل التشويه والتضييق، إلا أننا لم نسمع بأفواج من الناس تترك الإسلام وتعتنق غيره، بل العكس هو السائد، فالآلاف تترك دياناتها إلى الدين الحق، ويعمرون بيوت الله ويعملون بهمة من أجل دينهم الجديد دون أي إرغام أو جبر فلم يُرفَع في وجههم سيف ولم تبهرهم دولة إسلامية قوية امتلكت أسباب التقدم والتفوق، فلماذا ثبات من أسلم على دينه، ولا يرتد إلا النادر مما لا حكم له؟.

الخاتمة

لقد كانت المسألة من المسلمات عند المسلم المتدبر للقرآن العظيم، والممارس لشيء من سنة نبي الهدى '، وبعد هذه الصفحات الموجزة في هذه الدراسة؛ أختم ببعض التوصيات والمقترحات التي تتناسب مع هذا الواقع.

١. أن يدرك العالم عظمة الإسلام وأن الله حافظه، وأن الكيد له لن يثمر إلا الشوك والخسران، فربنا سبحانه وتعالى يقول: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ (٣٦)" سورة الأنفال.

٢. الوقوف بإعجاب وإكبار وتدبر عند كلام الله تعالى وحديث نبي الهدى '، فما جاء من آيات وأحاديث في التأكيد على حفظ الله لدينه، وإظهاره مهما كاد العالم له، دليل تتفق فيه الحقيقة

---

[١] صحيفة المسلمون العدد٦٦١.

[٢] http://www.aawsat.com/details.asp?section=1&article=75703&issueno=8405

[٣] html.we-el-gharb/2011/09/13/133797-http://www.islammemo.cc/nahn

القرآنية والنبوية مع الإحصاءات والتقرير الواقعية.

٣. أن ندرك كأتباع للإسلام، أن الإسلام سيبلغه الله لكل العالم، فدين الله باق ومنتصر، أما مقتضى ذلك فأن لا نفرط ولا نضيع ونميع الدين، فضياعه منا وتركنا له وتساهلنا بأحكامه وتفريطنا فيه خسارته علينا لأنه باق ونحن محتاجون للاعتصام به، وليس هو بحاجة لنا.

٤. أن نكرر على أنفسنا وغيرنا السؤال الذي يبعث على التأمل والعمل: الأحداث الضخمة التي تواجه الإسلام اليوم، زادت انتشاره ولم تضعفه، فما سبب ذلك؟ وما مبعث تلك القوة؟.

٥. من التوصيات المهمة التأكيد على واجب الأمة في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن النتائج ستكون معجزة مبهرة، فالانتشار اليوم والدعوة من المسلمين لدينهم ضعيفة وأمم الإسلام مستذلة، فكيف لو نشطت الجهود، واعتزت الأمة واستقلت وقادت، وهي مستطيعة وقادرة على ذلك لو وجد العزم الصادق والقيادة الناصحة والهمم العالية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١. الإسلام اليوم، لأبي الأعلى المودودي صـ٢٠ – ٢٥، طبعة الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢. تاريخ انتشار الإسلام في القارات /www.nfaes.com/Articliesfiles/73eht.docx

٣. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ

٤. تساؤلات الأمريكان حول الإسلام، بعد تفجيرات سبتمبر، للدكتور صلاح الصاوي، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

٥. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.

٦. الجامع الصحيح، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٧. الجامع الصحيح، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٨. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ

٩. شرح صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ

١٠. صحيفة المسلمون العدد٦٦١.

١١. فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب،

مـع تعليقـات الشـيخ ابـن بـاز، تصـوير رئاسـة إدارات البحـوث العلميـة والإفتـاء والدعوةوالإرشاد،الرياض، عن الطبعة السلفية، القاهرة
١٢. في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.
١٣. قادة الغرب يقولون «دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ».، تأليف الأستاذ: جلال العالم ، نشر بتاريخ: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٤م، ط دار المختار الإسلامي.
١٤. كتاب انتشار الإسلام بحد السيف؛ بين الحقيقة و الافتراء، للدكتور نبيل لوقا بباوى، طبعة مجازة من الأزهر الشريف.
١٥. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لعلي أبي الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر.
١٦. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري،إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
١٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٨. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
١٩. المسند، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٠. المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، عناية أبوصهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢١. المعجزة المتجددة، لأبي عبدالرحمن صالح بن محمد اليافعي، دار الأندلس الخضراء، جدة،الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م
٢٢. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م.
٢٣. مقدمة تاريخ ابن خلدون؛ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

ثانياً: المواقع الإلكترونية:

هذه روابط للمواقع الإلكترونية التي رجعت لها في دراستي لواقع الإسلام وانتشاره في العالم، وأما الروابط الداخلية للمقالات والتقارير، فموجودة في حواشي البحث:

http://bina-m-h-1987.fav.co.il

http://elbeitbeitak.blogspot.com
http://www.aawsat.com
http://www.alwatan.com.sa
http://www.attaweel.com
http://www.cnn.com
http://www.forsanelhaq.com
http://www.foxnews.com
http://www.haaretz.com
http://www.islamicweb.com
http://www.islammemo.cc
http://www.onislam.net
http://www.riseofislam.com
http://www.safeshare.tv
http://www.youtube.com

٢٣. تقنيات الحجاج البلاغي للخطاب النبوي الشريف

الدكتور عاشور مزيلخ
(أستاذ محاضر جامعة الجزائر)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

قبل الشروع في الحديث عن تقنيات الحجاج البلاغي في الحديث النبوي الشريف وإبراز أهم الجوانب فيه، أود إبداء بعض الملاحظات، ذات صلة بموضوع البحث، فالخطاب الحجاج البلاغي خاصية أساسية من خصائص الخطاب الإقناعي وموضوع الإقناع وإن كان هو فعل الصّورة الحجاجية، فهل حقق الحديث النبوي الشريف ذلك فعلا وكيف؟ وهل الاختلاف في مستويات التّلقّي يؤكّد الصفة الحجاجية؟

وبحثنا يتناول تقنيات الحجاج البلاغي للخطاب النبوي الشريف، وإن كان الاقناع يندرج ضمن ما تسعى إليه سيميائيات التواصل بدراسة أساليب التواصل قصد التأثير، فالخطاب الحجاجي يهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه، في شكل صّيغ لّغوية هي أفعال كلام تمارس وظيفة الإقناع من خلال قوّتها الكلامية، تتجلى من خلال الآليات الحجاجية البناء والرّبط والتشبيه والاستعارة والكناية.

لذلك سوف نركّز في هذه المداخلة ومن خلال النماذج من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى إبراز الجوانب الحجاجية البلاغية الاستدلالية المتجلية في أفعال الكلام ذاتها، لنص الحديث النبوي الشريف، أي تقنيات الحجاج البلاغية الموظفة للإقناع والتأثير، كالاستعارة والبديع والتمثيل، كما تبحث هذه الورقة في البنية الحجاجية للخطاب النبوي، ويكون ذلك بعد دراسة مستويات الخطاب في الحديث النبوي الشريف، ومسوغات استعمال الخطاب التوجيهي والتعليمي والاقناعي، فهي استراتجيات واقعة في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، فنجد نماذج كثيرة في الحديث النبوي الشريف تسوغ استعمال ذلك.

إنَّنا في هذه المداخلة نحاول بيان دور الآليات البلاغية وتنويعها في إظهار العلاقة الحجاجية التي تربط بداية الحديث بنهايته، وهي أيضا توضيحا وتفصيلا لما أجمل، أو لمجموعة من القضايا المرتبطة بالنتيجة الواردة في أول الحديث، وكذا معرفة كيفية تفاعل وتكامل الجوانب الحجاجية بالجوانب الإخبارية في الحديث النبوي الشريف.

ويتضح هدف البحث أكثر في إبراز بعض الجوانب الحجاجية البلاغية في الأحاديث النبوية وطبيعتها الاستدلالية، ذلك أن مظاهر الحجاج تختلف من حديث لآخر.

وهنا نريد أن نشير إلى أن الوظيفة الحجاجية التي تهمنا في هذا البحث بيان أهمية دراسة الجوانب الحجاجية في خطابات الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي حجج مبثوثة في أحاديثه، تخدم النتيجة أي تسير في اتجاه حجاجي واحد.

ثم نخلص إلى رصد أهم الصور المنطقية وآليات المحاجّة في الحديث النبوي الشريف، وإن كانت

السلسلة الخطابية محددة بواسطة الآليات البلاغية، من هنا كان لابد من الوقوف على تقنيات الخطاب الحجاجي البلاغي، لمعرفة قيمتها الحجاجية والمتمثلة في الروابط الحجاجية البلاغية، والنظر في كيفية توظيف مستويات الخطاب البلاغي بأنواعه، باعتبار أنّ الخطاب النبوي دلائل على نبوته وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

١_ مفهوم الحجاج:

الحَجُّ في اللغة القصدُ حَجَّ إلينا فلانٌ أي قَدِمَ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً قصده وحَجَجْتُ فلاناً واعتَمَدْتُه أي قصدته ورجلٌ محجوجٌ أي مقصود، والحُجَّة البُرْهان وقيل الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم[١].

والملاحظ هنا أن لفظ الحجاج من الحجة منطوق يقدمه المتكلم يخدم منطوقا آخر، يكون على شكل قول أو فقرة أو نص أو سلوك غير لفظي، وما يربط بينهما هي التقنيات الحجاجية أو العلاقة الحجاجية، تترك حرية للمرسل إليه الترجيح ما بين خيارات قبوله أو رفضه.

نفهم من ذلك أن الحجاج تقديم الحجج والأدلة المؤدية نتيجة معينة، ومفهوم مصطلح الحجاج في العربية لا تختلف دلالته في اللغات الأجنبية عما هو مفهوم عندنا، إذ أن لفظة Argument بمعنى الاعتراض أو طرح موقف مصاحب بحجج تؤيد وجهة النظر في اللغة الفرنسية.

إذا الحجاج إنتاج سلسلة أفعال كلامية مترابطة فيما بينها، مكونة وحدة موضوعية بعضها بمثابة حجج تستنتج منها نتائج.

٢_ مستويات الخطاب في الحديث النبوي الشريف ومسوغات توظيفه:

وبما أن الخطاب سلسلة أفعال كلامية معبرة عن قصد معين يريده المتكلم، وبمعنى آخر ما هي أسباب لجوء المخاطِب إلى توظيف أساليب متعددة للخطاب؟ عبر مستويات اللغة(Niveau de langage)، ووضع أطراف الخطاب في المكانة المستحقة من عملية الإبداع، عبر الاستعمالات التعبيرية المتعددة؟

هذه بعض الأسئلة حول تنوع العناصر السياقية وتعدد الاستعمالات اللغوية والبلاغية، وما يراعيه المرسل في خطابه، تعد المركز لجعل الخطاب يتناسب ومنزلة المرسل إليه، هنا يكمن دور الخطاب الحجاجي البلاغي ووظيفته، في جعل المعنى لا يتوقف عند حدود اللفظ أو الشكل اللغوي، بل يتعدى إلى الاستعمال اللغوي، وفي هذا المبحث أربعة مستويات للخطاب تمثل تقنيات حجاجية في الحديث النبوي:

مستوى الخطاب الحجاجي التعليمي(سلطة المرسل):

مستوى الخطاب الحجاجي التضامني في الحديث النبوي الشريف:

مستوى الخطاب الحجاجي الانجازي التلميحي في الحديث النبوي الشريف:

مستوى الخطاب الحجاجي الإقناعي في الحديث النبوي الشريف:

٢_١: مستوى الخطاب الحجاجي التعليمي(سلطة المرسل):

---

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت،الطبعة الأولى، مادة (حجج).

تبين المواضيع التي أسست فيها البلاغة لأساليب الخطاب في الحديث النبوي الشريف، أنه خطاب ذا بلاغة أمر ونهي، وهاذين الأسلوبين الأكثر حضورا في أحاديث المصطفى، يمثلان بنية حجاجية قوية لإيصال الفكرة للقارئ، وبما أن الخطاب مجموعة كلمات ذات تصور ومفهوم خاص لدى المتكلم، تحيل إلى مدلول معين، تحقيقا لقصده، وامتثال المرسل إليه ولما يريده، إذ همُّ المخاطِب تبليغ المخاطَب محتوى الخطاب، ويكون ذلك بالضغط على المرسل إليه وتوجيهه للقيام بفعل مستقبلي، أي بأسلوب تعليمي يحمل طابع النصح والتحذير، باستعمال أدوات خاصة تتضمن بطبيعتها ذلك، ولهذا الاستعمال التعليمي وظيفة خاصة، لكونها موجِّهَةً للخطاب معبرة عن قصد المرسل، والمحققة لهدفه المتمثل في إنجاز أفعال بعد لحظة التلفظ سواء أمر أو نهي، قد يكون الغرض منه لصالح المرسل أو المرسل إليه، فإن كان الغرض من الاستعمال التعليمي هو منفعة المرسل، ففعل التوجيه هنا (واجب) الطاعة، أما إذا كانت المنفعة لصالح المرسل إليه، حكمها هنا الاختيار بالقيام بالفعل أو تركه، يعرف بـ (الندب)[1].

ومن الواضح أن محاولة الضغط على المخاطَب وتوجيهه للقيام بفعل، تقنية حجاجية مهمة يُحَددُ من خلالها مقدار العلاقة بين طرفي الخطاب، كخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا أَوْ يُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا »[2]، نلاحظ في هذا الحديث أنّه مبني على أفعال الكلام المباشرة وهي أفعال التّوجيه المتمثلة في الأمر، خطاب تعليمي إرشادي اتسم بالوضوح والتعبير عن قصد هو نصحهم، باستعمال فعل الأمر بَادِرُوا فكان وضوح التوجيه باستعمال صيغة الأمر حقق هدف الخطاب، في توجيه المرسل إليه بضرورة المبادرة إلى الأعمال الصالحة، ويوجه قواته للالتزام بذلك، وهي أفعال كلام الغاية منها حمل السامع على فعل ما أمر به، فتن متواصلة لا فاصل بين فتنة وأخرى، إغواؤها شديد لا يقوى عليها إلا القليل.

وإن تعدّدت النماذج الخطابية الحجاجية في الحديث النّبوي في هذا السياق، منها القائمة على توظيف المرسل في خطابه ألفاظا دالة على النهي، إلى درجة أن دلالة النهي ينتجها الخطاب اللغوي، الدال على الامتناع، كاستعمال بنية حجاجية هي حرف (لا) الذي يسبق الفعل المضارع، كما في قوله صلى الله عليه وسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:قال النبي صلى الله عليه و سلم «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[3]، فالمرسل وظف خطاباً معينا ومحدداً ذا سمات تعليمية دون غيره، وهذه المعرفة المتعلقة بالخطاب بينت اصرار المرسل على تنفيذ قصده، هو تحذيرهم عن سب صحابته، مؤشرا تداولي على أن النهي تأكيدا لمعرفة المرسل

---

(1) يعرف في دراسات أصول الفقه" ما ليس بأمر"، ينظر موسوعة مصطلحات أصول الفقه،د/رفيق العجم، ج١٥٩/٢.

(2) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط.دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت الطبعة :ج٧٦/١.

(3) صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي.دار ابن كثير ، اليمامة بيروت ط. الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ج١٠٤/٢.

بالمرسل إليه، لا تسبوا معبرا عن قصده صلى الله عليه وسلم، هو بيان مكانة الصحابة رضي الله عنهم.

وقوله صلى الله عليه وسلم «لا يحلُ لرجل أنْ يعطي العطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية ويرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء ثُم رجع في قيئه»[١]، وفي حديث آخر عن أبي أيوب الأنصاري: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:«لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[٢]، أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفهم المرسل إليه أنه ينهاه عن هذه الأفعال سواء بأمره بعدم ارتكابها، أو تقييد حريته في ممارستها.

وتزداد دقة الحديث النبوي الشريف في توظيف بنية حجاجية أخرى هي (لا) صيغة النهي، مع نون التوكيد كون النهي يحمل طابع التأكيد، ومثله عن أبى ذر قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:«لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[٣]، بمعنى أن صيغة النهي مثله مثل الأمر، يوظفه المرسل لتعليم المرسل إليه وتوجيهه، ويقع على الشاهد والغائب:«اعلم أن الطلب من النهي بمنزلته من الأمر يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر»[٤]، خطاب يشد انتباه السامع، فيتحقق بذلك تماسك الخطاب وانسجامه وذلك لمعرفة المرسل المسبقة بالرسل إليه (لا تسبوا أصحابي)، (لا يحل لرجل أن يهجر أخاه)، (لا يحلُ لرجل أنْ يعطي العطية)،(لا تحقرن)، فهو خطاب خاص موجه للذين يؤمنون به ويصدقونه، وهذا من أولويات قبول الخطاب، ثم يتحول هذا الملفوظ إلى القيام بانجاز فعل سلوكي.

والخطاب لا يقتصر على الإخبار لاقناع المتلقي وتوجيهه، بل للتعبير عن مقاصد المتخاطبين المتعددة، فقد يصدر من المخاطِب عبارات (استفهامية، وأمر)، يتجاوز بها الفعل اللغوي الإنجازي إلى الفعل التأثيري.

كما يعد الاستفهام من الآليات اللغوية التعليمية الحجاجية، يوظّفها المرسل لتوجيه المرسل إليه، يتجسد من خلاله سيطرة المرسل على المرسل إليه، فيسير الخطاب حسب رغبة المرسل، ويتوقف ذلك على نوعية الأسئلة الموظّفة، إذ الأسئلة المستعملة هو ما يخدم قصد المرسل، ذلك أن وظيفة الخطاب اللغوي، دفع المرسل باستعمال الاستفهام، إذ به يبدأ بالحث عن معلومات وينتهي بتقديمها وتوضيحها وتأكيدها، فكان الاستفهام الذي خاطب به الرسول متلقيه في قوله" ألا أدلكم" ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»[١]، خطاب حواري يحمل طابع الاقناع والتوجيه، متبوع بفعل المضارع (أدلكم)، فكان

---

(١)كتاب : صحيح مسلم ٦٤/١١.

(٢) صحيح البخاري، باب الهجرة، ج(/٢٢٥٦

(٣)كتاب : صحيح مسلم ٣٧/٨.

(٤) أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت، بدون(ت/ط)، ج135/2.

(١)كتاب : الجامع الصحيح سنن الترمذي المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ج٧٢/١.

جواب السامع بلفظ(بلى) جواب غرضه طلب المزيد من المعلومات، ليزيل الرسول صلى الله عليه وسلم في الأخير الاستفهام عنهم، وهو خطاب مباشر وفعل لغوي إنجازي تأثيري، ونستطيع أن نقول أنه فعل طلبي، خطابا مباشرا لا يستدعي عمليات ذهنية استدلالية، والدليل على ذلك ردهم الصريح، فهي محددة بواسطة بنية الأقوال الحجاجية.

ويتم من خلال استعمال الاستفهام بتوظيف أدوات معينة ذات طبيعة حجاجية، وسيلة أخرى للحصول على معلومات من المرسل إليه، فعن أبي هريرة: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه)، قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال:(فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»[١]، بدأ الرسول الكريم خطابه باستفهام تقريري (أرأيتم)، هو طلب الجواب من السامع، والاستفهام هنا يجذب انتباهه ويطيل شوقه لمعرفة المزيد من المعلومات بلفظ(ماتقول)، أسلوب ترغيبي أي ما تظن أيها السامع، مشبها المؤمن المواظب على الصلاة بحال المؤمن الذي يمر ببابه نهر، فكانت إجابة المرسل إليه سريعة، خطاب يبين قوة علاقة المرسل بالمتلقي، تصحيحا لعلاقة طرفي الخطاب، وبالمناسبة فقد ضبط علماء أصول الفقه الاستعمال التعليمي ووضعوا له شروطاً، قصد الوقوف وإدراك الحكم الشرعي، فبيّن الغزالي[٢] الأمر والنهي:«وهو قسم من أقسام الكلام [...] وحدّ الأمر أنه القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به، والنهي هو القول المقتضي ترك الفعل»[٣].

كما يُوظِّف النداء لتوجيه المرسل إليه للقيام بفعل وتحفيزه، وهي بنية حجاجية تتّخذ شكل الأفعال التوجيهية، مبدأ أساسياً لتحقيق العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، ويلعب دوراً في تقديم الحجج، وباستعماله يكون للحجة طابع البرهان مثل ما جاء في خطاب الرسول صلى عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[٤]، خطاب فيه نوع من الإكبار والإجلال، يحمل طابع النهي:خطاب استُعْمِل فيه ضمير جماعة المتكلمين، وليس المفرد، وهذا لتحفيز وإعطاء معلومات للمرسل إليه، خطاب يحمل طابع النّصح والإخلاص للنسوة المسلمات، في كل ما قدّمه من معلومات مهمة ودقيقة.

إن الوسائل الحجاجية الموظفة في الحديث النبوي الشريف عبر الاستعمال التعليمي، تحقق الإقناع، فهو خطاب برهاني أو حجاجي يهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه، في دعوة وتوجيه المرسل إليه وتحذيره، وإغرائه لأمر محبوب لديه، كما يعبر عن توجه مرسل الخطاب ورغبته وأمنيته، بجعله يتقبّل ملفوظاً معيّناً أو نتيجة معيّنة، وهو المنهج الأمثل للتواصل، يقوي علاقة التخاطب بين المرسل والمتلقي، القائمة على مبدأ التعاون، وأن المرسل يفرض مسبقاً تعاون المرسل

---

(١)كتاب : صحيح البخاري،ج١/١٩٧.

(٢) أبي أحمد محمد بن محمد الغزالي(450_٥٠٥هـ)(١٠٥٨_١١١١)م/ متكلم وفيلسوف مسلم له دور كبير في الفكر العربي من أشهر كتبه، «إحياء علوم الدين»، «المنقذ من الضلال»، ينظر: معجم أعلام المورد، ص:٣٠١.

(٣) أبي أحمد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تقديم وتعليق، الشيخ إبراهيم محمد رمضان، ط. دار الأرقم بيروت، بدون (ت،ط)،ج738/737/1 .

(٤) صحيح البخاري، باب الهجرة، ج٢/٩٠٧.

إليه لفهم قصده، الذي يغفل ما يتعلق بتهذيب الخطاب، لأن غاية المرسل هي تبليغ ما يريده، وهذا من منطلقات المرسل قصد توجيه المرسل إليه، للقيام بفعل في المستقبل، من خلال الآليات الاقناعية في الحديث، كالإكثار من استعمال الأمر والنهي، والاستفهام والنداء، آليات حجاجية تقوم على حمل المخاطب على استنتاج معان تدعوه للإقناع، مما يبين أن عملية الفهم والإفهام متوقفة على علاقة المرسل بالمستقبل، سواء أكانت إيجابية أو سلبية ليستطيع تفكيك الخطاب، ويؤوّله انطلاقا من علاقته السابقة بالمرسل، وموقفه من الموضوعات التي يتناولها الخطاب، كل ذلك يترك أثره في المتلقي، لمعرفة مقاصد المرسل وأهداف الخطاب.

فسلطة المرسل المتمثلة في الحديث النبوي تجعل من المتلقي يتقبل الخطاب وينقاد له، إذ تتجسد ذاتية المرسل في الخطاب لما يملكه من توظيف لعناصر اللغة من الانزياح والخروج عن المألوف، وما يقوم به من استعمالات صوتية وتركيبات لغوية (نحوية وصرفية بلاغية وعلاقات معجمية) فهي جد متصلة بشخصية المرسل إليه، تتجلى من خلالها براعة المتكلم في توظيف الآليات الحجاجية .

وهنا يظهر لنا كيف أن تركيب الجمل، يتأثر بالعلاقة بين المتحدث والسامع، فيوظف خطابا معينا ذا سمات تعليمية، قائما على عنصر المفاجأة، تكون تحديداً للعلاقة بين أطراف الخطاب، ولما يقوم به المرسل من ضغط على متلقيه للقيام بفعل، انطلاقا من توظيف المعرفة المسبقة،لإرغام المرسل إليه على تنفيذ قصده، وتصحيحا لعلاقة المرسل بالمتلقي، ليحقق التناسب بين لغة الخطاب الشكلية ومعطيات السياق، يعد عاملا حجاجيا بالغ الأهمية، ولنأخذ المثال التالي: عن أبى هريرة قال خاطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:«أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه»[1]، خطاب فيه أمر ونهي، فإذا احتكمنا إلى نظام اللغة ومعطياتها نجده خطاب يفي بالغرض ولا يخرج عن معهود العرب، في توظيف اللغة وتركيب الكلام، ولا من حيث اختيار الألفاظ وحسن استعمالها، الدالة على القصد، لكن الاختلاف هو توظيف الخطاب ومعطيات السياق.

وحسب مبدأ نظام العلاقة بين الطرفين (مخاطِب ومخاطَب)، نستنتج أن سلطة الحديث النبوي تتجلّى في القوة الإنجازية للخطاب من خلال الأدوات الحجاجية البرهانية، طبقاً لمقتضيات السياق، تتّخذ شكل الأفعال التوجيهية من أمر ونهي بالترغيب والترهيب، فترقى بالمعنى الأخلاقي من سياق التعريف والإخبار إلى سياق التوجيه والتكليف، تظهر تنوع استراتجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف، وهنا نستنتج أن من مميزات الأسلوب الحجاجي التعليمي في الحديث النبوي الشريف:

- خطابه لا يستلزم أكثر من قصد ليترك للمرسل إليه فرصة للتأمل.

---

(1) صحيح مسلم،ج٤/١٠٢.

▪ خطاب يتطلب تنفيذ قصد المرسل بإنجاز الفعل العملي في المستقبل، فيتّخذ شكل الأفعال التوجيهية من أمر ونهي.

▪ الوسائل الحجاجية الموظفة في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، غاية تعليمية، فهو خطاب برهاني أو حجاجي يهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه.

٢_٢: مستوى الخطاب الحجاجي التضامني في الحديث النبوي الشريف:

بما أن الاستعمال اللغوي ليس مجرد إبراز لمنطوق لغوي فحسب، فلا يقف عند حدود الإبلاغ والإخبار والأمر والنهي ولكنه يتجاوز ذلك ويتخطاه إلى التضَامن بين المرسل والمرسل إليه دون استعمال سلطة تعليمية كأسلوب الأمر والنهي، وقد كان عليه الصلاة والسلام يدرك أنّ الأقوال والأفعال التي كان يأتي بها، يقدرها بحسب الفائدة التي تدرها على المخاطب، ويؤكد ذلك مبدأ التصديق في أحاديثه أي مطابقة القول للفعل، فتظل هذه الأخيرة أي (العلاقة) مرهونة بقصد المرسل وبهدف الخطاب، يمكن تجسيدها عبر آليات حجاجية لغوية وبلاغية تهدف إلى مشاركة المرسل إليه، والتضامن معه، ومن ثمَّ كيف تسهم مشاركة المتكلم في خطابه الحجاجي التضامني للمتلقي في تماسك الخطاب، لتصبح علاقة الخطاب في نهايتها أفضل مما كانت عليه في بدايتها؟

ومما يؤكد الصفة الحجاجية للخطاب، أن يعبّر المرسل عن قصده بكافة الوسائل فينتج خطاباً مناسباً للسياق، ينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه، وبالتالي قد يحقق المرسل أكثر من قصد، وتارة ينتج خطاباً مطابقاً لشكل اللغة الدلالي، فيكون المعنى موافقا للخطاب ظاهرياً، وأحيانا يميل المرسل إلى أسلوب، مشاركة المرسل إليه في الخطاب ويتضامن معه، يأخذ شكل الخطاب التضامني الحجاجي، أي أن الأشكال الحجاجية التي سوف نعرض بعضها من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام تدلّ على تفّهم الرسول لوضعية المخاطبين، ذلك أن المعنى المراد من الخطاب يتطلب ذلك، مما يبيّن الحضور التام للمرسل إليه أثناء إنتاج الخطاب، ومعرفة المرسل للمرسل إليه معرفة تامة، لذا اهتم علماء التفسير، بما يتصل بظروف التنزيل وملابساته، ونقصد بها زمانه ومكانه أي مراحل تنزيل السورة وأسباب النزول (المخاطبون)، وموضوع الخطاب.

وتأسيساً لهذه العلاقة والممثلة لأسلوب المشاركة والتضامن، وضع (ليتش) نظرية في التأدب في ست قواعد، فأعاد تصنيف الأفعال هي:(اللباقة،السخاء والاستحسان، التواضع، المرافقة، التجانس)، وجعل قاعدة اللباقة هي الرئيسة، والأخرى متفرعة عنها.

نفهم من ذلك ارتكاز الخطاب على قدرة المرسل، والتكيف بمحيطه وإرادته في التعبير عن مقاصده لتحقيق هدفه، إلى قدرة المرسل إليه في فهم الخطاب، بدءا من اختيار المرسل للعلامة اللغوية وما يتناسب والسياق، والممثلة لطاقاته الكامنة، إذ يجب:«أن تتّكئ إنجازاته الخطابية أيضاً على عامل مهم،وهو حصول الإرادة للتلفظ بالخطاب، في السياق المناسب»[١].

وقد سعى الرسول صلى الله عليه وسلم عبر ما يوظّفه من أدوات لغوية وبلاغية، للتقريب بينه وبين

---

(١) ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري:استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط،٢٠٠٤ص: 47.

المرسل إليه، غايته جعل المرسل إليه يميل إلى تقبل الخطاب، خاليا من أيّ أسلوب تعليمي أو إنجازي، وإن كان هذا المفهوم قريباً من الإقناع،

بمعنى أن المرسل يوظف أفعالا كلامية تضمن علاقة أطراف الخطاب، محققة عملية التواصل، وتكون بالمقابل منتجة لأغراض الخطاب، وتحقيقا للمنفعة والقصد، هي في جوهرها تقنيات حجاجية لذا يلجأ المرسل إلى:

- توظيف صيغ معينَّة للخطاب، واستعمال أدوات لغوية وبلاغية تنتمي إلى حقل القرابة الدلالي، مثل: أدوات النداء (يَا عم)، (يا عائشة) ومخاطبة الرسول: (يَا عبد الله)، (يَا عم)، (يَا بلال) (أصحابي)، خطاب تتجسد فيه علاقة التضامن بين المرسل والمرسل إليه لبيان مدى اهتمام المرسل به، فاسْتُعْمِلَت أدواة النداء هنا في موقعها بحرف النداء(يا)، لنداء القريب والبعيد، غير أنها تارة تكون مراعاة لقصد الخطاب، وجذب انتباه المتلقي، وتلبية لمبدأ التضامن، يخرج المتكلم عن معهود العرب، في توظيف الخطاب اللغوي، ففي الضمائر المحدّدة لأطراف الخطاب، هناك ضمير المتكلم وحده، وضمير نحن للمتكلم المعظم نفسه.

والاستعارة في الحديث النبوي الشريف وسيلة بيانية هامة في تجسيد الأفكار وتشخيصها، لا يوظفها إلا لعلمه عليه الصلاة والسلام أنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا، وإيضاحا للمعاني والتعبير عنها بشكل فني جمالي متميز، عن أبي هريرة رضي الله عنه:عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:«لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»[1]، هذه استعارة تمثيلية حجاجية جاءت على شكل المثل، الممدوح هو الكيس الحازم الذي لا يستغفل الحذر، وهو يضرب لمن لا يتعظ من خطئه الأول، ويكرر الإساءة أي الفعل، الذي يؤتى من المكان الذي أتي منه أول مرة، لذلك رجح في حديثه سمة المؤمن الفطن الكيس فوجد أنها أعلى صفات الدهاء، وأدناها من كرر الإساءة، وتكمن حجاجية الاستعارة أكثر في تفاعل طرفي الخطاب وجلب انتباه السامع، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ قطوبى للغرباء»[2]، إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا جعل عليه السلام الإسلام غريبا في أول أمره تشبيها له بالرجل الغريب الذي قلّ أنصاره وبعدت دياره، لأن الإسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره، ثم استقرت قواعده، ثم قال: "وسيعود غريبا"، إلى مثل حاله الأولى في قلة العاملين به والمناصرين له، وهذه استعارة مكنية شخص فيها الإسلام بكائن حي هو الرجل الغريب في أول أمره وآخره، وفي هذا السياق يذكر الدكتور صلاح فضل فيما يتعلق بوظيفة الاستعارة، ودورها في تكثيف دلالات الكلمات وتفاعل بين المصرّح به والملمح إليه، وإنها ليست مجرد عملية لنقل كلمات بقدر ما هي عملية تفاعل وتبادل على مستوى الأفكار، والسياقات المعبّرة عن موهبة وكفاءة المرسل في الإنتاج، والمرسل إليه في الفهم والتأويل[1]، مما بين أهمية الاستعارة لدى

---

(1) صحيح البخاري ،ج٥/٢٢٧١.

(2) سنن الترمذي ، ج٤/١٢٩.

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني تبيروت، الطبعة الأولى، 1425ـ 2004 ، ص:182 وما بعدها.

المرسل وكثرة استعمالها، لكونها الأداة البلاغية الأنسب لما يقتضيه السياق، ولكون المرسل يركّز في توظيفها على المستعار منه، فيكون ذلك بالنسبة للمرسل أهم وسيلة لإقناع المرسل إليه، وتحريك همه وجذب انتباهه، ففي قوله عليه الصلاة والسلام، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»[1]، وظّف المرسل هنا الاستعارة التصريحية، بدأ كلامه بتشويق السامع (أتدرون) سؤال استفهامي، فكان الرد سريعا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، ثم تشوقوا إلى ما سيقوله الرسول صلى الله عليه وسلم عن حقيقة المفلس فجاء بعد هذا التشويق، رده عليه الصلاة والسلام بمفهوم واسع للإفلاس من زاوية أوسع، فهو يخاطب أصحابه بأسلوب فيه إثارة إلى البحث والتفكير، ونجد في تكرار لفظ المفلس كناية عن الشخص المشتوم أو المقذوف كناية عن موصوف، وفي لفظ (طُرح عليه) استعارة تصريحية تبعية، هذا يمثل أن الاستعارة أقوى الآليات اللغوية حجاجية، فتكمن حجاجيتها في طريق إجراء هذه لاستعارة أن يقال: شبهت الخطايا والسيئات بشيء ثقيل كالحمل الذي تحمله الدابة مثلا، ثم استعير لفظ الطرح للحمل الثقيل واشتق منه طرح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فكأن الذنوب تطرح عن ظهر المظلوم إلى ظهر الظالم فتزداد أثقاله ثم يطرح في جهنم.

فالاستعارة إذاً حسب أبي بكر العزاوي، يستعملها «المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جداً، ما دمنا نسلّم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية»[2].

إذا هي ليست فقط عملاً لغوياً، بل أيضا تجسيداً لتصورات المخاطبين، المرتبطة ببنية ثقافية محددة لمجموعة من الأفراد.

وقد منحها الطابع القصدي لما تحمله من بنية منفردة، لجذب انتباه المتلقي،والمحقّقة للاتصال وترابط أجزاء الخطاب، أن أعطت للخطاب لا محدودية للتأويل[3]، مما يظهر أن عملية إنتاج الخطاب عملية مبنية على إقناع المرسل إليه، ومثله عملية الفهم (القراءة) مبنية هي الأخرى على اقتناع القارئ بقصد المرسل، وهذا كله متوقف على خصائص الاستعارة، من حيث البنية والسياق والدلالة.

كما أن للسياق دوره الكبير في تخصيص الإطار العام للاستعارة، لتتضافر مع خصائصها بين المذكور من الخطاب والمغيّب، كما يسهم بدور مهم في التأويل والفهم.

وقد يكون إقناع المرسل إليه من خلال الوظيفة البلاغية للتشبيه والكناية، وهي آلية حجاجية أكثر

---

(1) سنن الترمذي ، ج٤/٣٥.

(2) العزاوي أبو بكر، نحو مقاربة حجاجية، عدد 04، ص:85 إلى 81.

(3) ينظر:صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص:148/147.

قدرة على التأثير والتأثر على مواقف وسلوك مخاطبيه، تقنية حجاجية تقوم على تصوير المعنى، وتقديمه تقديما محسوسا، وذلك عن طريق ربط الصور الحسية بأخرى أشد منها، والبُعد الحجاجي الإقناعي في الحديث النبوي الشريف، وبخاصة التشبيه، يتحقق دوره حسب مقدار الاستعمال، فكانت في الحديث النبوي أكثر إقناعا وتأثيرا، ومثالها قوله عليه الصلاة والسلام عن أبي هريرة أنه قال: «قال الله تبارك وتعالى إذا تقرب عبدي مني شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتاني مشيا أتيت هرولة وإن هرولة سعيت إليه والله أوسع بالمغفرة»[1]، فالرسول الكريم يريد أن يقنع كافة المؤمنين بضرورة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فوظف أسلوب الشرط "إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا"، "وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا"، "وإذا أتاني مشيا أتيتُهُ هرولة"، مصرحا بتقرب العبد إلي ربه شبرا كناية عن التقرب القليل، نفهم من هذا الحديث أهمية التشبيه "وإذا أتاني مشيا أتيتُهُ هرولة: في إقناع المرسل إليه فصوَّر الإنسان متقربا إلى الله كأنما يمشي إليه، مصورا مضاعفة جزاء الله لذلك الإنسان، ومكافأته على تقربه له كأنما يهرول نحوه، مقابل مشيته، وفي ذلك دلالة على مضاعفة الأجر مقابل عمل الخير، وبهذا التصوير البلاغي يفهم المرسل المعنى الخفي، ويقتنع بدعوة المرسل.

كما يسعى المرسل إلى تنويع آلياته الحجاجية البلاغية من خلال التمثيل بالتشبيه[2]،كعقد الصلة بين صورتين، ليحقق حججه والإقناع بما يذهب إليه، وإيصال خطابه وفهمه فهما صحيحاً، فقد يلجا إلى عقد صلة بين شيئين اثنين، ومثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي موسى:«إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ »[3]، بهذه البنية الحجاجية أراد عليه الصلاة والسلام إقناع السامع وطمأنته وتوجيهه ، فعندما نتأمل هذا الحديث نلاحظ أنه خطاب يحمل التأكيد ب(إن) و(ني رأيت) غرضه الاقناع، ثم صاحب خطابه بلفظ (العين) ليذهب كل شك عنه، لصدق دعوته وجدية حديثه لهم، وللاقناع أكثر أعقب قوله"إني رأيت الجيش بعيني" بصورة مرئية" وإني أنا النذير العريان"استعارة تمثيلية، وكانت الغاية من هذا الحديث تحفيز المتلقي وتحميله محاولة إدراك وتصور طاعة الرسول والامتثال لما جاء به في خطابه الحجاجي حيث شبه حاله وهو ينذر قومه بصورة رجل كان على ربيئة قومه وعينا لهم، فأراد إنذار قومه وإعلامهم بهجوم العدو عليهم، فنزع ثوبه وأشار به

---

(1)صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفي سنة ٧٣٩ هـ حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الارنؤوط، ج٣/٩٠.

(2) التمثيل مخالف للتشبيه، فالتشبيه قد يكون في المظهر الأداة،وهذا نوع من الاستعارة، من جهة أن الاستعارة حاصلّة فيه، وإنما تقع التفرقة من جهة أن الوجه الجامع إذا كان منتزعاً من عدّة أمور فهو التمثيل، وإن كان مأخوذا من أمر واحد فهو الاستعارة ،ينظر: كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحي بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوي، حققه ،حمد عبد السلام شاهين،دار الكتب العلمية،بيروت ط١، 1415هـ،1995،ص: 559/558.

(3)صحيح البخاري،ج٦/٢٦٥٦.

إليهم، ثم استعيرت هيئة المشبه به للمشبه، ثم شبه من أطاعه بقوم أطاعوا طليعتهم وصدقوه بما اخبرهم فنجو، فيه تشبيه تمثيلي، وشبه من عصاه بقوم استهانوا بهذا النذير واستخفوا بما قال ففتك بهم العدو تشبيه تمثيلي، يفهم ذلك من خلال الدلالة المنطوية وراء هذا التلفظ، الذي تشير إليه، أراد مرسل الخطاب أن يبين غرضه من ذلك هو إزالة شك المرسل إليه، ويصل إلى إقناعهما وكان ذلك في شكل تمثيل، وقد بيّن عبد القاهر ما للتمثيل من أهمية ودور في أداء المعنى، وكيف يتم توظيفه كأداة لإقناع المرسل إليه، ولما يريد المرسل الوصول إليه، فهو برهان وبيان وحجة «...فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم[...]،وإن كان حجاجاً كان برهانُه أنورَ وسلطانُه أقهر وبيانهُ أبهر»[1]، وتلخيصا لما سبق ذكره، أن للإقناع أدوات عديدة تجعل المرسل يوظّف منها ما يتناسب غرضه ويحدد هدفه.

وقد يعمد عليه الصلاة والسلام إلى الكناية، وهي آلية حجاجية، توظف للوصول بالمرسل إليه من خلال الفعل التكليمي إلى الحديث عن صفة حميدة تميز بها الصحابي الجليل أبي ذر، «فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتْ الْغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»[2]، الخضراء كناية عن موصوف هو السماء، والغبراء كناية عن موصوف هو الأرض، في حين يفهم انه يريد أن يخبر أنه أفضل من غيره لم يتقدمه أحد في الصدق وليس أصدق من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصدق من أبي بكر وعمر ومن أفضل منه، وبهذا يتضح دور هذه الآلية الحجاجية في الفهم والإفهام.

ويوظف المرسل البديع وغايته في ذلك إقناع المرسل إليه، والتركيز على ظاهرة الطباق والمقابلة والسجع بين الألفاظ، من اهتمامات العرب في استعمالها للغة، أن تلجأ إلى توظيف البديع، وتوظيفه ليس من باب الزخرفة والصنعة اللفظية، وقد بيّن ذلك طه عبد الرحمن، أن تلك «الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام تبيّن أن أساليب البيان المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع، إنما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ»[3].

وقد وظّفت آليات متعددة في أقواله عليه الصلاة والسلام، أسهمت بدورها في بناء الخطاب اللغوي الإقناعي، يناسب قصده ويخدم غرضه الإقناعي، لما يقتضيه السياق، إذ قد يكون الحجاج بالمقابلة، مقابلة مجموعة كلمات ضد مجموعة كلمات في المعنى على التوالي، ومثال ذلك ما رواه أنس عن رسول الله أنه قال للأنصار: «إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع»[1]، التقابل هنا بين كلمتي (تكثرون والفزع) و(تقلون والطمع)، فقد تطابقت في هذا الحديث الشريف لفظان متضادان في المعنى، خطاب تم التركيز فيه على توظيف ما يسمى بالطباق بين الألفاظ (الكثرة، و القلة)، (الفزع، والطمع)، بينت من خلالها كيف استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام إقناع المرسل.

---

(1) أو صورة بيانية تعبير يستخدم أحد أساليب البيان (تشبيه، كناية،استعارة، مجاز)، للتعبير عن المعنى المقصود ينظر: أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، ص: ٨٨.

(2)سنن الترمذي، ج٥/٣٣٣.

(3) نقلا من كتاب استراتيجيات الخطاب،ص:498،عن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد بن عبد الله فاس ـالمغرب، العدد9، ص:18.

(1)جامع الأحاديث المؤلف، جلال الدين السيوطي ج٣٣/٢٠٥.

ويسعى المرسل إلى توظيف الطباق لتحقيق شيء في ذاته، وهو إقناع المخاطَب لما يريده، كما في قول صهيب عن رسول الله أنه قال:« عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[1]، وهذا توظيف أوسع للطباق، وهو طباق إيجاب بين (سراء) و(ضراء)، بيَّن من خلالها كيف استطاع عليه الصلاة والسلام بيان حقيقة الإنسان المؤمن فهو على كل حال خير ، في ضراء أو في سراء وإقناعهم مصرحا بالأجر لمن أصابته المصيبة، ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ، وهو الجمع بين معنيين متضادين، أي معنيين متقابلين لذلك يسمى عند بعض البديعيين بالمقابلة وسماه ابن الأثير التناسب بين المعاني وهو ضد التجنيس في الألفاظ لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف في المعنى والطباق هو أن يكون المعنيان متضادين.

كما نجد في هذا الحديث دلالات معينة في الجرس الموسيقي قوله " أن أمره كله خير"جملة تقابلها جملة "ليس ذاك لأحد إلا للمؤمن"، وكذا الجملتان الأخيرتان مثل واضح على التوازن الصوتي والمقابلة التامة تقابل يكسب الصورة وضوحا ذلك أن جمع الشيء إلى ما يخالفه يبرزه ويبين خصائصه، حيث يمكن أن تجسد الإقناع والإفهام.

كما استطاع عليه الصلاة والسلام إقناع متلقيه بتوظيف مفردات إقناعية (حجاجية)، باستعماله المقابلة في تركيب الكلام:فعن أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«إن الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[2]، إذ قابل بسط اليد في الليل والنهار ويتوب مسيء النهار والليل، يريد إقناع المرسل إليه بأهمية التوبة، وأنه صادق فيما يقول، وأنه صادق في حجاجه، إذ استطاع في الأخير أن تغلب حجته فلاقت قبولا لدى السامع، فبسط اليد استعارة في قبول التوبة، لأن في عرف العرب إذا رضي أحدهم الشئ بسط يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه.

ونجد في هذا التقابل توازن صوتي بين طرفي الكلام، ففي الطرف الأول بسط اليد ليتوب مسيء النهار، وفي الطرف الثاني بسط اليد في النهار ليتوب مسيء الليل، هنا تكمن فعالية الموسيقى في التناسب مع ما يقتضيه السياق، فهي من أقوى الآليات الحجاجية، ويظهر ذلك في تركيزها على المرسل إليه، ويقتنع أن الله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن.

وما يلفت النظر في أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، الكلمات المأنوسة والجمل المتناسقة، يعنى بالجرس والإيقاع عناية بالمعنى، فقد يعمد الرسول إلى استعمال السجع للتركيز على جزء الخطاب، تحمل قصد المرسل، فعن عبد الله بن سلام قال، قال رسول الله: «ياأيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[1]، وهذا التناسق الصوتي على

---

(1) سنن أبي داود، ج٣/٣٠١.

(2) صحيح مسلم ، ج٨/١٠٠.

(1) سنن الدارمي المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى،١٤٠٧ تحقيق:فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي،ج١/٤٠٥.

مستوى اللفظ والصوت المفرد والتركيب، هدفه جلب انتباه المرسل إليه، وهذا التناسب الصوتي من قبيل السجع لا تعسف فيه ولا تكلف، ولم يجر اللفظ فيه على المعنى، وإنما جاء تابعا للمعنى، هنا شكل الخطاب اقتضى توظيف الأداة وهي السجع، أوحي لفظ (السلام)، (الطعام)، (الأرحام)، (نيام)، (بسلام)، بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بينها من انسجام في بعض الحروف، وترجع بلاغة هذا الجناس إلى الجرس القوي لتلك الألفاظ لوجود حرف الميم في كل منها، هذا في مقابل الإيحاء في جهة الضد للمعنى السابق، فجاء انتقاء الصوت له اثر كبير في نفس المتلقي بمثابة آلية حجاجية وظفها المتكلم ليكون بذلك الانسجام الصوتي وسيلة حجاجية تمكنه من توصيل المعنى إلى قلب السامع، وفي إيصال الصورة المتفردة لمدلول الحديث الشريف، هو ذكره عليه الصلاة والسلام أسباب السعادة الأخروية من العبادة الخالصة لله تبارك وتعالى والإحسان إلى الناس بالسلام عليهم وإطعامهم الطعام، وهذا الاستعمال اقتضى أولوية للدلالة على قصد المرسل.

وبذلك نجد أن السجع[1] لا يوظف ليكون زينة زخرفية تحسينية، بل الغرض منه الزيادة في المعنى وضوحه فيقتنع به المتلقي، وكل تجنيس في أحاديثه صلى الله عليه وسلم إنما كان مما يقتضيه المعنى، وفي الحديث التالي أنَّ الصحابة نازعُوا جَرِير بْنَ عبد اللّه رضي اللّه عنهم زِمَامه فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «خَلُّوا بَيْن جَرِير والْجَرِير»[2]، هنا لجأ عليه الصلاة والسلام إلى لفظ يفي بما يقتضيه التركيب اللغوي للحديث، تكرار كلمة جرير في الحديث الشريف مرتين متماثلتين، أي دَعُوا لَه زِمَامه، ففي اللفظ تماثلاً تاماً، ولهذا الاستعمال فوائد أولاهما عنت اسم الصحابي والثانية جاءت بمعنى الزمام، وهذا ما يسمى بالجناس التام أو التجنيس الحقيقي كما أطلق عليه ابن الأثير.

ومن الجناس أيضاً ماورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وآله وسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«الظلم ظلمات يوم القيامة»[3]، ويسمى هذا النوع بالجناس المطلق حيث اختلفت لفظتا (الظلم والظلمات) في الحروف والحركات ولكن اللفظ شابه بينهما، فتنبيه الرسول إلى أن الظلم ظلمات يوم القيامة، ليشعر السامع بادرك تلك الصورة التي يريد أن ينقلها إليه، فيجعل العقل يسلم بها ويقرها.

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله»[1]، من جناس الاشتقاق: أسلم وسالمها، وبين: غفار وغفر، وبين: عصية وعصت، إذ ينبه هذا السجع بما يحمله من نغم صوتي الأسماء لقبائل عربية تماثلت باللفظ مع ما أردفها أفعال مختلفة معها في المعنى، شأن ذلك تهيئة النفس لتلقي المعاني، ويتضمن هذا الخطاب درجة حجاجية قويّة، إذ من المسالمة ترك الحرب ويحتمل أن يكون

---

(1)السجع:هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، ومثاله قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:(اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا).

(2) نهاية في غريب الحديث والأثر،أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق : طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي،ج٧٢٩/١..

(3)صحيح البخاري، ج٨٦٤/٢.

(1) صحيح الترمذي، ج٢٥٣/٣.

دعاء وإخباراً، وفيهما من جناس الاشتقاق ما يلذ على السمع لسهولته وهو من الاتفاقات اللطيفة، هنا رسم الحديث النبوي فعل اللعن في ذهن القارئ صورة حية، ويتجسد هذا الوجه من الحجاج، في لعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يهم هنا هو إقناع المرسل إليه باستعمال ألفاظ مسجوعة.

وكما يكون الحجاج بالسجع يمكن أن يكون برد العجز مع الصدر[1]، كما في قوله صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: فالأمير الذى على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسؤولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[2]، خطاب فيه تعميم وتخصيص، وشبه (كلكم راع) أي كلكم مثل الراعي وكلكم مسؤول عن رعيته تشبيه مضمر، ووجه التشبيه حفظ الشيء وحسن التعهد وهو من أنواع الجناس سماه بعضهم (التبديل)، وهو أن تأليف الكلام يأتي بما كان مقدماً في جزئه الأول مؤخراً في الثاني، وما كان مؤخراً في الأول مقدماً في الثاني، فانتهى المعنى بما يوافق مطلع الحديث، إذ عمم أولا ثم خصص ثانيا وقسم الخصوصية إلى جهة الرجل وجهة المرأة وجهة الخادم وجهة النسب ثم عمم آخرا تأكيد البيان الحكم أولا وأخرا وفيه رد العجز على الصدر[3]، هنا تكمن قوّة الخطاب الحجاجية في إقناع المرسل إليه و بمدى استجابة.

ومما يتناسب والسياق والاستعمال البلاغي، نجد المخاطب يسعى إلى توظيف الأشكال البلاغية، كالتكرار والترادف، حيث استطاع من خلالها إقناع المرسل إليه، كما رأينا سابقا في الآليات الحجاجية التشبيه والاستعارة والكناية والسجع، وتعد علاقة التكرار من العلاقات الدلالية المساعدة في استمرار المعنى، تنوع استعماله في الحديث النبوي الشريف، ومثاله قوله عليه الصلاة والسلام عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا غُلامٌ، قَالَ:«فَقَالَ: يَا غُلامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، وَاحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلائِقَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكَهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، أَوْ يَمْنَعُوكَ شَيْئًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكَهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ جَفَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا سَأَلْتَ فَسَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اعْتَصَمْتَ فَأَعْتَصِمْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يَسْرًا»[1]

يتولد الإقناع في هذا الحديث عند المرسل إليه بالحجاج، فأول ما ينص عليه أن ما وقع عليك فلن يمكن دفعه، وما لم يحصل لك فلا يمكن جلبه، وأن الأمر كله بيد الله، فيختار الرسول الكريم الأشكال الحجاجية وما يتناسب ومراعاة لمقام المخاطبين، ثم يقول: "وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ" الصبر

---

(1) رد العجز على الصدر،هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين في اللفظ دون المعنى، في أول الفقرة والآخَر في آخرها.

(2) سنن أبي داود، ج٢٤/٣.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر الطبعة الأولى ، ١٣٥٦ ج٣٨/٥.

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، ج٣٠٧/١.

على طاعة الله وعن معصيته، وقوله: "وَاعْلَمْ أَن الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ" قرب الفرج وانكشاف الشدة، دليل على الحضور القوي لتقنيات الحجاج البلاغية، الغرض منه التوكل على الله، وهنا تكمن أهمية الحجاج فيما يولده من إقناع لدى المرسل إليه، فوظف ما يخدم غرضه والمتمثل في الحديث، ملاطفته عليه الصلاة وسلم لصحابته، "يَا غُلام إني أُعَلِمُكَ كَلِماتٍ"، وحفظ الله حفظه الله لقوله:" احفَظ الله يَحفَظكَ"، ومن أضاع الله ضيعه ولا يحفظه، والاستعانة بالله، النصر جزاء الصبر، تفريج الكربات وإزالة الشدائد مقرون بالكرب، اليسر بعد العسر، محققا بذلك المعنى العام المراد من ذلك.

وبعد هذا العرض وكما اتَّضح لنا من خلال هذه النماذج، نلاحظ أنّ الوسائل الحجاجية الموجودة فى بعض الأحاديث ليست بغرض الإقناع فقط بل غاية حجاجية، بإمكان المرسل إرسال خطابه على الوجه الصحيح، اختيار وتوظيف الألفاظ وما يتناسب ومنزلة المرسل إليه، ومساعدة هذا الأخير في معرفة وإنتاج تأويلات انطلاقا من المعرفة المشتركة، استراتيجية إقناعية تجسد مبدأ الحوار، ليحقق بذلك الحديث التواصل من جيل إلى جيل.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث بدا لنا أنّ الخطاب في الحديث النبوي ومن خلال أنماط الحجج التي رأيناها أنه خطاب يهدف إلى:

- أن تقنيات الحجاجي البلاغي تتنوع حسب استراتجيات الحديث النبوي الشريف تختلف من حديث لآخر (تعليمي تضامني تلميحي اقناعي)، محققا بذلك فعل الصّورة الحجاجية، بواسطة قوى أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات وما تحقّقه بدورها من آثار ونتائج.
- أن الاختلاف في مستويات التّلقّي يؤكّد الصفة الحجاجية للخطاب الحجاجي، فهو خطاب موجه لكافة الناس في الزمان والمكان، ويهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه.
- بيان دور الآليات الحجاجية البلاغية في الحديث النبوي الشريف، لإيصال الفكرة إلى القارئ، تمكنه من النفوذ إلى الخطاب.
- دراسة مظاهر المعاني البلاغية في الحديث النبوي يظهر تنوع استراتجيات الخطاب في الحديث النبوي من خطاب تعليمي إلى تضامني ثم تلميحي واقناعي.
- تنوع تقنيات الحجاج البلاغي في الحديث النبوي، مراعاة لخصائص مقامية معينة، وحسب طبيعة المخاطبين، وحسب مستوياتهم المختلفة، يجسد التفاعل بالمقام ويحدد شكل الخطاب.
- خطاب يفهم وينسجم ومستوى مخاطبيه، يفهم مقامهم وأحوال سامعيه، ومستوياتهم المعرفية والإدراكية، فهم مطالبون بانجازه.
- مساعدة القارئ لممارسة عملية الفهم، وإقامة علاقة مع النص، وإعادة فهمه من جديد، وهذا من صميم العملية الحجاجية.

إلى هنا نكون قد المحنا إلى أهم تقنيات الحجاج البلاغي في الحديث النبوي الشريف، وقد رأينا إلى أي مدى كان أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم حجة ووسيلة لتمكين الحقيقة في نفوس البشر.

٢٤. أحاديث الإيمان: دراسة تحليلية

د. سعد بن فلاح العريفي

جامعة الملك سعود بالرياض- الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فإن علم الحديث النبوي من أشرف العلوم الشرعية وأرفعها منزلة، وأعلاها مكانة وذلك لتعلقه بسنة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي قرينة القرآن الكريم، إذ هي وحي من الله تعالى، كما قال الله تعالى:{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[النجم:٣-٤].

فكلامه – صلى الله عليه وسلم- حق وقوله صدق، إذ هو الصادق المصدوق– صلى الله عليه وسلم- كما قال عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر، يتكلم في الغضب. فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما خرج مني إلا حق)[1].

وقد أهتم العلماء قديما وحديثا بدراسة سنة النبي –صلى الله عليه وسلم –سواء في ذلك ما يتعلق بعلم الرواية وتمييز صحيح الأحاديث من ضعيفها، أو ما يتعلق بعلم الدراية وتحليل الأحاديث وشرحها وبيانها كما هو معلوم لمن تتبع ذلك في أمهات كتب السنة وشروحها الكثيرة.

ولا تزال الجامعات الإسلامية والعربية تواصل الاهتمام بدراسة السنة النبوية وعلومها المختلفة عن طريق تدريس السنة وإقامة المؤتمرات والندوات المشتملة على البحوث المتخصصة في خدمة هذا الفن.

ولعل هذه الندوة التي نحن بصددها، والمقامة بقسم اللغة العربية، جامعة كيرالا، ترفاندرام، الهند، هي أحد هذه الجهود المباركة في خدمة السنة النبوية حيث كان موضوعها في صميم هذا الفن وهو"لغة وفلسفة وتدريس الحديث النبوي"، وقد طرح تحته محاور عدة تتعلق بتدريس الحديث وعلومه المختلفة.

وقد أحببت أن أشارك في هذه الندوة المباركة ببحث يتعلق ببعض محاورها، وذلك بدراسة الأحاديث المتعلقة بمسمى الإيمان وتفسيره في الأحاديث النبوية، وقد جعلت ذلك بعنوان "أحاديث الإيمان دراسة تحليلية ".

ولا شك في أهمية البحث في مثل هذا الموضوع المتعلق بالإيمان والذي هو من أهم مواضيع العقيدة الإسلامية، وقد اخترت نماذج من أحاديث الإيمان طلباً للاختصار بما يتناسب وحجم هذا

---

[1] - رواه أحمد في مسنده :(٥٧/١١) رقم :(٦٥١٠) ، وأبو داود في سننه :(٣٤٢/٢)رقم :(٣٦٤٨) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة :(٤٥/٤)رقم :(١٥٣٢) .

المؤتمر.وهدفي من هذا البحث: بيان الفهم الصحيح لأحاديث الإيمان الواردة في أمهات كتب السنة النبوية، ومناقشة بعض المفاهيم الخاطئة لتلك الأحاديث النبوية.

- **خطة البحث:**يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.
  - **المقدمة:** وفيها بيان أهمية الموضوع وخطة البحث.
  - **التمهيد:** أحاديث الإيمان في كتب السنة.

المبحث الأول: أحاديث الإيمان في مفهوم أهل السنة والجماعة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأحاديث الواردة في تفسير الإيمان

المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الثالث: الأحاديث الواردة في نفي الإيمان عمن وقع في بعض المعاصي.

المبحث الثاني: أحاديث الإيمان في مفهوم الفرق الإسلامية.وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أحاديث الإيمان في مفهوم فرقة الوعيدية.

المطلب الثاني: أحاديث الإيمان في مفهوم فرقة المرجئة.

- **الخاتمة**: وفيها أهم نتائج البحث.

التمهيد

أحاديث الإيمان في كتب السنة النبوية

السنة النبوية هي وحي من الله تعالى – كما تقدم – أمرنا الله تعالى بالإيمان بها، والعمل بما دلت عليه، كما قال تعالى: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}** [الحشر: ٧] وعن المقدام بن معد يكرب -أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)[١].

وأحاديث الإيمان هي جزء من السنة النبوية جمعها أئمة السنة في مؤلفاتهم وأفردوا لها كتباً وأبوابا خاصة ضمنوها جملة من الأحاديث الواردة في مسائل الإيمان، كما فعل الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه حيث جعل " كتاب الإيمان " هو الكتاب الثاني في صحيحه بعد كتاب:" بدء الوحي " ضمنه جملة من أحاديث الإيمان في أبواب كثيرة بلغت أربعين باباً، اشتملت على أبواب في تفسير الإيمان وفي زيادته ونقصانه، ونحو ذلك من المسائل المتعلقة بالإيمان[٢].

وكذا فعل الإمام مسلم- رحمه الله - في صحيحه حيث جعل كتاب الإيمان بعد هو أول كتاب في صحيحه بعد المقدمة، وضمنه كثيرا من الأحاديث في أبواب كثيرة تزيد على تسعين باباً، كلها تتعلق بالإيمان ومسائله المتنوعة[٣].

وقد درج على ذلك عامة من جمع أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – من أصحاب السنن

---

[١] - رواه أحمد في مسنده :(٤١٠/٢٨) رقم :(١٧١٧٤) .

[٢] - انظر: فتح الباري لابن حجر:(١ /٤٥) .

[٣] - انظر: شرح صحيح مسلم :(٢١٦/١٦) .

والمصنفات على اختلاف طرقهم في التصنيف، كما هو ظاهر لمن تأمل في مصنفاتهم الكثيرة [1].

وقد روى أولئك الأئمة أحاديث الإيمان وغيرها من أحاديث العقيدة، واعتقدوا ما دلت عليه من مسائل الاعتقاد، واحتجوا بها في الرد على المخالفين من أصحاب البدع، ولم يفرق أئمة السنة بين تلك الأحاديث وغيرها من الأحاديث المتعلقة بالأحكام، كما أنهم لم يفرقوا في ذلك بين المتواتر والآحاد، بل تلقوا تلك الأحاديث كلها بالقبول والإيمان والتصديق، وأنزلوا ذلك كله منزلة واحدة من حيث التطبيق والعمل.

وقد رد أئمة السنة على كل من خالف هذا المنهج القويم من المعتزلة ومن سار على نهجهم من أهل الكلام الذين جعلوا العقل هو الأصل في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، ثم طعنوا بسبب ذلك في الأحاديث الصحيحة، ومنعوا من الاستدلال بها، بحجة مخالفتها للعقل – عندهم - وأنها أخبار آحاد لا تفيد العلم، فلا يحتج بها على العقائد.

قال الإمام أبو المظفر السَّمعاني -رحمه الله-: (وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الآحاد لا يفيد العلم بحال ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به؛ شيء اخترعته القدرية والمعتزلة؛ وكان قصدهم منه ردَّ الأخبار... فإذا قُلنا أنَّ خَبَر الواحِد لا يجوز أن يوجِبَ العلم؛ حملنا أمر الأمة في نقل الأخبار على الخطأ) [2].

وقال الإمام ابن تيمية – رحمه الله – في معرض كلامه عن المعتزلة وموقفهم من العقل: (فاضطروا لهذا المعنى لرد الشرع المنقول واعتلوا للأحاديث بأنها أخبار آحاد وأخبار الآحاد لا توجب العلم مع أن ظاهر القرآن معارض لها) [3]. والحاصل أن أحاديث الإيمان قد اهتم بها أئمة السنة النبوية وأفردوها بكتب وأبواب خاصة – كما تقدم – ولم يفرقوا في روايتهم للأحاديث بين الأحاديث الصحيحة في ذلك، سواء في ذلك المتواتر أو الآحاد.

المبحث الأول

أحاديث الإيمان في مفهوم أهل السنة والجماعة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأحاديث الواردة في تفسير الإيمان.

المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الثالث: الأحاديث الواردة في نفي الإيمان عمن وقع في بعض المعاصي.

المطلب الأول

الأحاديث الواردة في تفسير الإيمان

ورد في تفسير الإيمان وبيان المراد به عدة أحاديث، كلها تدل على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد،

---

[1] -انظر: سنن الترمذي :(٥ /٢٧) وصحيح ابن خزيمة :(١/ ٢٦١) ومصنف عبد الرزاق : (١١/ ٢٥٧) .

[2] - - نقله عنه الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة: (٢/٢١٥).

[3] - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية :(١/٣٦١) .

ولعلي أن أشير إلى بعض تلك الأحاديث الواردة في بيان ذلك وبيان كلام العلماء في شرحها وتحليل معانيها، فمن تلك الأحاديث:

١- قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث جبريل:(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره...) [١].

٢- قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث وفد عبد القيس: (آمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم...) [٢].

- **التحليل والشرح:**

هذان الحديثان يدلان بمجموعهما على تفسير الإيمان، وبيان معناه حيث فهم منهما أئمة أهل السنة، أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، ففي حديث جبريل – عليه السلام -فسر النبي – صلى الله عليه وسلم –بالأعمال الباطنة وهي اعتقاد القلب بهذه الأركان المذكورة في الحديث، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وفي حديث وفد عبد القيس فسر الإيمان بالأعمال الظاهرة من القول والعمل، فالقول يتعلق باللسان بأن ينطق بالشهادين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والعمل يكون بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ونحوهما من الأعمال.

وبهذا يتضح تفسير الإيمان وأنه اعتقاد وقول وعمل، فاعتقاد القلب مرتبط بقول اللسان وعمل الجوارح، وذلك أنه إذا اعتقد بقلبه خضع وانقاد فظهر ذلك على قوله وعمله.

وهذا المعنى هو الذي عليه سلف هذه الأمة من الصحابة –رضي الله عنهم – فمن بعدهم، كما قال الإمام البغوي: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء. السنة على أن الأعمال من الإيمان.. وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة) [٣]. وروى اللالكائي عن الإمام البخاري قوله: (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص) [٤]

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي في تعليقه على حديث وفد عبد القيس:(ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق مع العلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود) [٥].

---

[١] - رواه البخاري في كتاب الإيمان ، الفتح : (١١٤/١) ومسلم في كتاب الإيمان ، شرح النووي :(١/ ١٥٠) .

[٢] - رواه البخاري في كتاب التوحيد ، الفتح: (٥٢٧/١٣) ومسلم في كتاب الإيمان ، شرح النووي (٤٨/١) .

[٣] - شرح السنة للبغوي :(١/ ٣٩) .

[٤]- شرح أصول أهل السنة : (١ /١٧٣) .

[٥] - شرح العقيدة الطحاوية :(٢ /٢٢٢) .

والحاصل أن هذا المعنى هو ما عليه سلف الأمة من الصحابة – رضي الله عنهم – فمن بعدهم من السلف، وهو ظاهر في اتفاق أئمة السلف على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وقد أخذوا ذلك من ما تقدم من حديث جبريل – عليه السلام – وحديث وفد عبد القيس وما في معناهما من الأحاديث.

المطلب الثاني

الأحاديث الواردة في زيادة الإيمان ونقصانه

ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أحاديث كثيرة تدل على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعات وينقص بفعل المعاصي، وسأشير في هذا المطلب إلى نماذج من تلك الأحاديث الصريحة في ذلك، ثم اتبع ذلك بتحليلها وذكر كلام العلماء في ذلك، وفيما يلي ذكر أهم تلك الأحاديث:

١- قوله – صلى الله عليه وسلم -: في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه –: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) [١].

٢- قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث النساء الطويل:(ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى يا رسول الله، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى قال: " فذلك من نقصان دينها) [٢].

- **التحليل والشرح:** هذان الحديثان نص في زيادة الإيمان ونقصانه، حيث جعل الإيمان في حديث أبي هريرة شعباً متفاوته، لها أعلى وأدنى، فمنها ما يزول الإيمان بزواله، ومنها مالا يزول بزوالها، والناس متفاوتون في تطبيق هذه الشعب قوة وضعفا وزيادة ونقصانا، و الحديث الآخر نص صريح في نقص الإيمان وذلك في قوله: (فذلك من نقصان دينها).

قال الإمام ابن منده:(وللإيمان أول وآخر فأوله الإقرار وآخره إماطة الأذى عن الطريق كما قال المصطفى صلى الله عليه و سلم والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له والمراقبة لله في السر والعلانية وترك اعتقاد المعاصي فمنها قيل يزيد وينقص) [٣].

وقال الإمام الخطابي في شرحه لحديث الشعب:(وفي هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها، كالصلاة الشرعية، لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها) [٤].

وقال الإمام البغوي: وقالوا -أي أهل السنة-: (إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة، وينقص

---

[١]- رواه البخاري في كتاب الإيمان ، الفتح : (٥١/١) ومسلم في كتاب الإيمان ، شرح النووي : (٦/٢) .

[٢]- رواه البخاري في كتاب الحيض ، الفتح :(٣٤٥/١)، ومسلم في كتاب الإيمان ، شرح النووي : (٦٦/٢) .

[٣]- الإيمان، لابن منده :(١/ ٢٠٠) .

[٤]- معالم السنن :(٥٦/٥) .

بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء الحديث بالنقصان في وصف النساء) [١].

والحاصل أن هذين الحديثين وما في معناهما من الأحاديث صريحة في الدلالة على زيادة الإيمان ونقصانه، فضلاً عن الآيات القرآنية الصريحة في ذلك.

المطلب الثالث

الأحاديث الواردة في نفي الإيمان عمن وقع في بعض المعاصي

ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أحاديث كثيرة تدل على نفي الإيمان لمن فعل بعض الذنوب والمعاصي، وسأشير في هذا المطلب إلى نماذج من تلك الأحاديث الصريحة في ذلك، ثم اتبع ذلك بتحليلها وذكر كلام العلماء في شرحها، وفيما يلي ذكر أهم تلك الأحاديث:

١- قوله -صلى الله عليه وسلم-في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) [٢].

٢- وقوله -صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[٣].

– **التحليل والشرح:**

فهذان الحديثان وما في معناهما من الأحاديث، تدل عند أهل السنة والجماعة على نفي الإيمان المطلق عمن صدر منه مثل هذه الأفعال، ولا يفهم من ذلك أنه ينتفي عنه مطلق الإيمان، ففرق بين نفي الإيمان المطلق ونفي مطلق الإيمان، إذ أن نفي الإيمان المطلق لا يؤدي بصاحبه إلى الكفر، وإنما يؤدي إلى نقص الإيمان وعدم كماله، وأما نفي مطلق الإيمان فيؤدي بصاحبه إلى الكفر والخروج من الإسلام.

قال الإمام المروزي:(فالذي صح عندنا في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " وما روي عنه من الأخبار مما يشبه هذا أن معنى ذلك كله أن من فعل تلك الأفعال لا يكون مؤمنا مستكمل الإيمان لأنه قد ترك بعض الإيمان نفى عنه الإيمان، يريد به الإيمان الكامل ولا جائز أن يكون معناه غير ذا) [٤]

وقال الإمام ابن تيمية في معرض كلامه على الحديث المتقدم:

(ويقول – أي أهل السنة -: هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم) [٥].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في معرض كلامه عن قبح فاحشة الزنا:

(ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي أنه قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فسلبه اسم الإيمان المطلق وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان) [٦].

---

[١] - شرح السنة:(١/ ٣٩) .

[٢] - رواه البخاري في كتاب المظالم ، الفتح :(٥٨/١٢) ومسلم في كتاب الإيمان ، شرح النووي:(٤١/٢)

[٣] - رواه البخاري في كتاب الإيمان ، الفتح:(٥٩/١) ومسلم في كتاب الإيمان ،شرح النووي: (٢٣/١).

[٤] - تعظيم قدر الصلاة ،للمروزي :(٥٧٦/٢) .

[٥] - مجموع الفتاوى :(١٠٠/٣) .

[٦]- روضة المحبين :(ص ٣٦٠) .

والحاصل أن مفهوم هذين الحديثين ونحوهما من الأحاديث هو ما فهمه أئمة السلف ممن تقدم النقل عنهم، وهو ما عليه عموم العلماء، من أن المنفي في الأحاديث هو الإيمان الكامل، لا مطلق الإيمان.

المبحث الثاني

أحاديث الإيمان في مفهوم الفرق الإسلامية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أحاديث الإيمان في مفهوم فرقة الوعيدية.

المطلب الثاني: أحاديث الإيمان في مفهوم فرقة المرجئة.

المطلب الأول

أحاديث الإيمان في مفهوم فرقة الوعيدية

يختلف مفهوم أحاديث الإيمان عند فرقة الوعيدية[١] عن مفهومها المتقدم عند أهل السنة والجماعة، حيث يتمسك الوعيدية بأحاديث الإيمان المتعلقة بالوعد والوعيد في الاستدلال على مذهبهم في الحكم على أهل الكبائر بالخلود في النار، ولعلي أن أذكر أهم تلك الأحاديث وتحليلهم لها وذلك كما يلي:

١- قوله -صلى الله عليه وسلم-في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه -: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) [٢].

٢- قوله – صلى الله عليه وسلم -:(لا يدخل الجنة نمام) [٣].

- التحليل والشرح:

هذان الحديثان وما في معناهما من الأحاديث، تدل عند الوعيدية على نفي مطلق الإيمان عن صاحب الكبيرة، ثم أن الوعيدية اختلفوا في إطلاق لفظ الكفر عليه فالخوارج يرون أنه يخرج من الإيمان إلى الكفر، وأما المعتزلة فيخرجونه من الإيمان ولا يدخلونه في الكفر، وإنما يجعلونه في منزلة بين منزلتين، وأما في الآخرة فتتفقان على أنه خلوده في النار إذا مات ولم يتب.

قال القاضي عبد الجبار في كلامه على بعض نصوص الوعيد: (والذي يدل على أن الفاسق يخلد في النار ويعذب فيها أبداً ما ذكرناه من عمومات الوعيد، فإنها تدل على أن الفاسق يفعل به ما يستحقه من العقوبة، تدل على أنه يخلد، إذ ما من آية من هذه الآيات التي مرت إلا وفيها ذكر الخلود والتأبيد أو ما يجري مجراها) [٤].

المناقشة:

---

[١] - الوعيدية : هم الخوارج والمعتزلة ، وسموا بذلك لقولهم بوجوب نصوص الوعيد ،وتخليد من مات مصراً من أصحاب الكبائر في النار وحرمانهم من دخول الجنة. انظر: مقالات الإسلاميين :(١/ ٢٠٤) .

[٢] - تقدم تخريجه .

[٣]- رواه البخاري في كتاب الأدب :الفتح :(١٠/٣٩٤) .

[٤]- شرح الأصول الخمسة :(ص ٦٦٦) .

استدلال الوعيدية بأحاديث الوعيد المتقدمة على مذهبهم في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا والآخرة، مردود بما يلي:

- - تمسك الوعيدية بنصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد والرجاء، وهم في ذلك على الضد من المرجئة، فكل منهما يتضح بقوله فساد قول الآخر، وأهل السنة جمعوا بين نصوص الوعد والوعيد وأعملوها جميعاً كما تقدم.
- أن الوعيد بنفي الإيمان الوارد في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – لا يراد به نفي مطلق الإيمان الذي يؤدي بصاحبه إلى الكفر، وإنما يراد به نفي الإيمان المطلق، وقد تقدم بيان ذلك في المبحث الأول.
- من المعلوم أن إخلاف الوعيد مما يمدح عليه، بخلاف إخلاف الوعد فإنه بلا شك يذم صاحبه، ففرق بين الوعد والوعيد.

قال الإمام ابن القيم:(والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد ولا يجوز عليه خلف الوعد والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة وإسقاط وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه والوعد حق عليه أوجبه على نفسه والله لا يخلف الميعاد) [1].

- ومما يرد ما ذهبوا إليه من خلود أصحاب الكبائر في النار النصوص الواردة في الشفاعة لأهل الكبائر في خروجهم من النار، وهذه الأحاديث صريحة في ذلك، وقد رواها عدد كثير بلغ حدّ التواتر.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في تعداد أنواع الشفاعة:(النوع الثامن: شفاعته في أَهل الكبائر من أمته، ممَّن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الْأحاديث. وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلًا مِنهم بصحة الأحاديث، وعنادًا ممن علم ذلك واستمر على بدعته) [2].

المطلب الثاني

أحاديث الإيمان في مفهوم فرقة المرجئة

يختلف مفهوم أحاديث الإيمان عند فرقة المرجئة[3] عن مفهومها المتقدم عند أهل السنة والجماعة، وعند الوعيدية، حيث يتمسك المرجئة بأحاديث الإيمان المتعلقة بالرجاء في الاستدلال على مذهبهم في القول بعدم تأثير الكبائر والذنوب على الإيمان، ولعلي أن أذكر أهم تلك الأحاديث وتحليلهم لها وذلك كما يلي:

١- قوله – صلى الله عليه وسلم -: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) [1].

---

[1] - مدارج السالكين :(٣٠٢/١) .

[2]- شرح العقيدة الطحاوية :(٢/ ٧٠) .

[3] - المرجئة : هم فرق متعددة ، يجمعهم القول بإرجاء الأعمال عن مسمى الإيمان ، فلا يدخلون العمل في مسمى الإيمان ، ثم منهم من يجعل الإيمان مجرد المعرفة ، ومنهم من يجعله مجرد التصديق ، ومن أشهر فرقهم الغالية الجهمية . انظر:مقالات الإسلاميين :(١٣٦/١) .

[1] - رواه أحمد في مسنده :(٣٦/ ٣٦٣) رقم :(٢٢٠٣٤) ، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح :(٥٠٩/١) .

٢- حديث الجارية، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أتشهدين أن لاإله إلا الله)؟، فقالت نعم، قال:(أتشهدين أني رسول الله)؟، قالت نعم، قال:(أتؤمنين بالبعث بعد الموت)؟، قالت: نعم، قال:(أعتقها فإنها مؤمنة)[١].

- **التحليل والشرح:**
- هذان الحديثان من الأحاديث التي تمسك بها المرجئة في إرجاء العمل عن مسمى الإيمان، والقول بعدم تأثير الكبائر في الإيمان، إذ الإيمان عندهم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ثم إن المرجئة ليست على درجة واحدة في ذلك، بل منهم من غلى في ذلك فذهب إلى أن الإيمان هو مجرد المعرفة كما هو قول الجهمية، ومنهم من ذهب إلى أنه مجرد التصديق كما هو قول الأشاعرة.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري:(اختلفت المرجئة في الإيمان ما هو وهم اثنتا عشرة فرقة: فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط... وهذا قول يحكى عن جهم بن صفوان، وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح)[٢].

وقال الإمام ابن تيمية:(والمرجئة ثلاثة أصناف الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم فى كتابه وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم ومنهم من لا يدخلها فى الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذى نصره هو- أي الأشعري - وأكثر أصحابه و القول الثاني من يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية و الثالث تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم)[٣].

والحاصل أن المرجئة بفرقها المتعددة، فهموا مما تقدم من أحاديث الرجاء، القول بخروج الأعمال عن مسمى الإيمان، والقول بعدم تأثير الذنوب في مسمى الإيمان، ونحو ذلك من أقوالهم المتقدمة.

-المناقشة والرد:

أن ما ذكره المرجئة من القول بان الإيمان مجرد المعرفة أو مجرد التصديق وانه لا يزيد ولا ينقص مردود بما يلي:

- ما تقدم من الأحاديث التي ذكرها أهل السنة في التصريح بدخول الأعمال في مسمى الإيمان كحديث جبريل –عليه السلام - وحديث وفد عبد القيس، وغير ذلك مما تقدم كالأحاديث الصريحة في زيادة الإيمان ونقصانه.
- أن المرجئة تمسكوا بنصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد، وهم على الضد من الوعيدية، فكل منهما يتضح به فساد قول الآخر، وأهل السنة جمعوا بين نصوص الوعد والوعيد وأعملوها جميعاً.

---

[١] - رواه أحمد في مسنده :(٤٦٥/٢٩) .وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح :(٢ / ٢٥٠) .

[٢] - مقالات الإسلاميين : : (١٣٦/١) .

[٣] - مجموع الفتاوى :(١٩٥/٧) .

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في كلامه على أحاديث الوعد والوعيد:(وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص. لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة! وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة -: تبين لك فساد القولين! ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى) [(١)].

قال الإمام ابن تيمية بعد كلامه المتقدم عن فرق المرجئة:(وهؤلاء غلطوا من وجوه:

أحدها: ظنهم أن الإيمان الذى فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد... الوجه الثاني:من غلط المرجئة ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة. الثالث:ظنهم أن الإيمان الذى في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر....

قلت وأما إحتجاجهم بقوله للأمة اعتقها فإنها مؤمنة فهو من حججهم المشهورة وبه إحتج ابن كلاب وكان يقول الإيمان هو التصديق والقول جميعا فكان قوله أقرب من قول جهم وأتباعه وهذا لا حجة فيه لأن الإيمان الظاهر الذى تجرى عليه الأحكام فى الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذى يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة فان المنافقين الذين قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين...) [(٢)].

والحاصل أن هذين الحديثين وما في معناهما من الأحاديث لا تدل على ما ذهب إليه المرجئة من القول بان الإيمان مجرد المعرفة أو مجرد التصديق وانه لا يزيد ولا ينقص، وأن فهم هذه الأحاديث متوقف على الجمع بينها وبين أحاديث الوعيد.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، ، وبعد، فقد خلصت في هذا البحث إلى نتائج علمية، أهمها ما يلي:

١- عناية أئمة السنة في مصنفاتهم بأحاديث الإيمان، حيث أفردوا لها ضمن كتب الصحاح والسنن كتبا وأبوابا خاصة، كما صنع الأمام البخاري – رحمه الله – وغيره من الأئمة.

٢- بيان تعريف الإيمان الوارد في الأحاديث، كما في حديث جبريل – عليه السلام – وحديث وفد عبد القيس.

٣- أن الإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، كما ورد ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – في شعب الإيمان، وفي غيره من الأحاديث المتقدمة.

٤- توضيح الفهم الصحيح للأحاديث الواردة في نفي الإيمان، وأن ذلك لا يراد به نفي مطلق الإيمان،

[(١)] - شرح العقيدة الطحاوية :(٢ / ٢٥٨) .

[(٢)] -مجموع الفتاوى :(٧ / ٢٠٤) .

وإنما نفي الكمال.

٥- الرد على شبهات فرق الوعيدية في تمسكهم بأحاديث الوعيد، وقولهم بخروج صاحب الكبيرة من مطلق الإيمان، والجواب عن تلك الشبه بالجمع بين أحاديث الوعيد، والأحاديث الأخرى.

٦- الرد على شبهات فرق المرجئة في تمسكهم بأحاديث الرجاء والوعد، وقولهم بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وأن الإيمان شيء واحد لايزيد ولا ينقص، وذلك بالجمع بين أحاديث الوعد وأحاديث الوعيد.

والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

١- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني [دار الكتاب العربي . بيروت].

٢- : مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق:شعيب الأرنؤوط وآخرون [مؤسسة الرسالة، ط ٢ ١٤٢٠هـ].

٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني [مكتبة المعارف، الرياض].

٤- شرح النووي على صحيح مسلم [دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٢، ١٣٩٢].

٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني [دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ].

٦- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، [دار إحياء التراث العربي – بيروت].

١. ٧-صحيح ابن خزيمة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط [مؤسسة الرسالة - بيروت١٤١٤ هـ].

٧- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣].

٨- الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق:محمد ربيع ومحمد أبو رحيم، [دار الراية، الرياض، ١٤١٩ هـ].

٩- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ط الأولى، ١٣٩٢هـ].

١٠-شرح السنة للإمام البغوى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخر، [المكتب الإسلامي، دمشق ط الثانية، ١٤٠٣هـ].

١١-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان [دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢هـ].

١٢-شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، [وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف - المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٨ هـ].

١٣-الإيمان، لابن منده، تحقيق: د. علي الفقيهي، [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٦].

١٤-تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، [مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٦].

١٥-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقق: أنور الباز وآخر، [دار الوفاء ط ٣، ١٤٢٦هـ]

١٦-روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم الجوزية، [دار الكتب العلمية، بيروت].
١٧-مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ].
١٨-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، [المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١ هـ].
١٩-مشكاة المصابيح للتبريزي، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥]

٢٥. الاحتجاج بالحديث النبوي في التقعيد النحوي

الدكتور عادل فتحي رياض
(جامعة الإمارات العربية المتحدة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد خير الأنام، وبعد فإن كلامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصحُ الكلام بعد كلام الله – تبارك وتعالى- فكلامه بيان للقرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤)، وقال سبحانه: ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم:٤)

ومع هذا فقد يتعجب الباحث عندما يرى المتقدمين من النحاة لا يكثرون من الاحتجاج به، وإذا أكثر نحوى متأخر من الاستشهاد به صودم بمن يبدعه ويصمه بأنه قد خالف سنن الأقدمين.

وقد كتب في هذا الموضوع مؤلفات عدة، ونوقشت أكثر من رسالة علمية، ونشرت بحوث كثيرة في دوريات محكمة، وأهمها:

. "السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث" و" الحديث النبوي في النحو العربي" كلاهما للدكتور محمود فجال.

. "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف" للدكتورة خديجة الحديثى.

. "النحاة والحديث النبوى" للدكتور حسن موسى الشاعر.

."الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية" للدكتور محمد ضاري حمادي.

. "تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف" للدكتور فخر الدين قباوة.

. "دور الحديث النبوي في التقعيد النحوي" للدكتور محمد أحمد العمروسي.

وقد آثرت أن أناقش مسائل هذا البحث في أربعة محاور، هي:

الأول: تعريفُ "الحديث النبوي"، وعنايةُ المحدثين بروايته.

الثاني: المانعون من الاحتجاج وحجتُهم.

الثالث: مناقشة حجج المانعين من الاستشهاد.

الرابع: ضوابطُ الاحتجاجِ بالحديث.

المحور الأول: تعريف "الحديث النبوي" وعناية المحدثين بروايته.

الحديث النبوي: هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة.[١] وقد اعتنى المحدِّثون بالرواية والإسناد أشد عناية، وتشددوا في نقل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[٢].

---

(١) انظر "مقدمة في علوم الحديث" لابن الصلاح (ص ٢٢)، و"مختصره" لابن كثير (ص ٦٤)، و "نزهة النظر" لابن حجر (ص ٤٨-٤٩)، و "التوضيح الأبهر" للسخاوي (ص ٦٢).

(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/١٣٠).

وقال أيوب السَّختيانيُّ: أرأيت رجلاً لا تأمَنُه على دينه، كيف تأمنه على الحديث ؟![1]. وغالي بعضهم في نقد الرواة؛ تعظيماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنُقِلَ عن شعبة بن الحجاج أنه قال: لَأَنْ يزني الرجلُ خيرٌ من أن يَرْوي عن أبان بن أبي عيَّاش.[2]

وكان كلام النبي صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليهم من الأهل والولد والناس أجمعين، فنُقِلَ عن أبن داود السَّجستاني أنه قال: ابنى عبد الله كذاب.[3] ووضعوا شروطاً إذا تحققت علمنا صحةَ نسبةِ الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: الحديث الصحيح هو ما رواه العدل، التام الضبط (الثقة) عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شذوذ ولا علة.[4]

ونظم البيقونيَ[5] تلك الشروطَ فقال:

أَوَّلُها الصَّحِيحُ وَهْوَ مَا اتَّصَلْ ... إسْنَادُه ولَمْ يَشُذَّ أَوْيُعَلْ

يَرْويه عَدْلٌ ضَابِطٌ عَنْ مِثْلِهِ ... مُعْتَمَدٌ في ضَبْطِهِ ونَقْلِهِ

وتحرَّى المحدثون لفظَ الرسول – عليه الصلاة والسلام- امتثالاً لقوله: "نَضَّر اللهُ امرأ سَمِعَ مِنَّا شيئاً فبلَّغه كما سَمِعَه"[6] فقال ابن الصلاح: وثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم علَّم البراء بن عازب دعاء النوم فقال فيه: "آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت".

قال البراء: فردّدْتُهُنَّ لأستذكرَهُنَّ فقلت: (و رسولك الذي أرسلت) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قل: "ونبيِّك الذي أرسلت"[7] قال ابن الصلاح: وعليه – أي: المحدث – أن لا يروى ما سمعه إلى على اللفظ الذي سمعه من غير تغيير.[8]

وقال الأصمعي:إن أخوفَ ما أخافُ على طالب العلم، إذا لم يعرف النحو؛ أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَذَبَ عليَّ فليتبوأْ مَقْعَدَه من النارِ"؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فمهما رويتَ عنه ولحنتَ فيه كذبتَ عليه. قلت – القائل ابن الصلاح-: فحق على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص به من شَيْنِ اللحن والتحريف ومعرتهما.[9]

إنَّ هذا التشددَ في رواية الحديثِ غرضُه صيانةُ لفظ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَن رخص من أهلِ العلم في الروايةِ بالمعنى وضع قيداً مُهِمّاً؛ فقالوا: فإن لم يكن عالماً عارفاً بالألفاظ ومقاصدِها، خبيراً بما يُحيل معانيَها، بصيراً بمقادير التفاوت بينها، فلا خلاف أنه لا يجوز له ذلك.[10]

وسيأتي مزيدٌ من الكلام عن عناية المحدثين بالحديث النبوي الشريف عند الرد على شبهة

---

(١) السابق (١/١٦٠).

(٢) ميزان الاعتدال (١/١٠).

(٣) السابق (٣/١٤٧).

(٤) "مقدمة ابن الصلاح" (ص ٧-٨)، و"مختصره" لابن كثير (ص ٢١).

(٥) "المنظومة البيقونية مع شرحها" (ص ٥).

(٦) رواه الترمذي برقم (٢٦٥٧) من حديث ابن مسعود.

(٧) البخاري برقم (٢٤٧) ومسلم برقم (٢٧١٠)

(٨) "المقدمة" (ص ١٠٥).

(٩) السابق (ص ١٠٧ – ١٠٨).

(١٠) السابق (ص ١٠٥).

لحن الرواة في المحور الثالث.

المحور الثاني: المانعون من الاحتجاج بالحديث وحجتهم

إن أبرز المانعين من الاستشهاد بالحديث هم أبو الحسن بن الضائع (ت ٦٨٠)، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١).

قال السيوطي –رحمه الله- في كتابه "همع الهوامع"[١]: وقد بينتُ في كتاب "أصول النحو" من كلام ابنِ الضائع وابن حيان أنه لا يُستدلُّ بالحديث على ما خالف القواعد النحوية؛ لأنه مروي بالمعنى، لا بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم، والأحاديث رواها العجم والمولَّدون، لا من يحسن العربية، فأدَّوْها على قَدْرِ ألسنَتِهم.ا.هـ

ومن كلامه يظهر لنا أن المانع من الاستشهاد يكاد ينحصر في شبهتين، هما: رواية الحديث بالمعنى، وأنَّ أكثرَ الرواةِ أعاجم.

وشاع هاتان الشبهتان حتى جعلهما الأستاذ شوقي ضيف المانعين من استشهاد الخليل بن أحمد بالحديث[٢] –والأمر بخلاف ذلك- قال –حفظه الله-: ويظهر أنه –أي:الخليل- هو الذي ثبَّت فكرةَ عدمِ الاستشهاد بالحديث النبوي، لأن كثيرين من حملتهِ كانوا من الأعاجم، وهم لا يوثق بهم في الفصاحةِ، واللحنُ يدخل على ألسنتهم[٣].ا.هـ

وأما عبارة السيوطي في "الاقتراح" التي أشار إليها آنفاً فهي قوله: "إن غالبَ الأحاديث مرويٌّ بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها[٤]، فرووها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظاً"[٥].ا.هـ

هذا ما أيده السيوطي ودافع عنه، وكرره في كتبه، وأما الذين سبقوه بهذا القول، فإن ابن الضائع يقول في "شرح الجمل": تجويزُ الروايةِ بالمعنى هو السبب عندي في تركِ الأئمة –كسيبويه وغيره- الاستشهادَ على إثبات اللغة بالحديث.

ثم قال: ولولا تصريحُ العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث؛ لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلامَ النبي صلى الله عليه وسلم[٦].ا.هـ

فالمانع الوحيد من الاستشهاد عند ابن الضائع هو الرواية بالمعنى، وجاء بعده أبو حيان الأندلسي، والمتتبع لكلامه يرى أنه يمنع الاستشهاد بالحديث لأمور ثلاثة:

الأول: عدم استشهاد المتقدمين من النحاة به.

يقول –رحمه الله- مستنكراً على ابن مالك توسعَه في الاستشهاد بالحديث-: قد أكثر المصنف

---

(١) (١٠٥/١).

(٢) وذكر ذلك أيضاً عن سيبويه (المدارس النحوية ص ٨٠)، وعن أبي حيان (ص ٣٢٢).

(٣) السابق (ص ٤٧).

(٤) بل كان التدوين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم انتشر في أواخر القرن الأول في عهد عمر بن عبد العزيز، كما سيأتي في المحور الثالث.

(٥) "الاقتراح" (ص ١٩)

(٦) السابق (ص ٢٠-٢١)، و "خزانة الأدب" (١٠/١).

من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقةَ غيَره.ا.هـ[1]

والأمر الثاني والثالث عنده بمنزلة العلة للأول، فيقول:

إنما ترك العلماءُ ذلك لعدم وثوقِهم أن ذلك لفظُ الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان ذلك لأمرين، أحدهِما: أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى. ثم ذكر –رحمه الله- اختلاف روايات حديث "زوجتُكَهَا بما معك من القرآن"، "ملكتُكَها بما معك"، "خذها بما معك".

قال: فنعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظْ بجميع هذه الألفاظ، بل لا نجزم بأنه قال بعضَها؛ إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ فأتتْ الرواةُ بالمرادف، ولم تأت بلفظه.ا.هـ

كذا قال، والأمر بخلاف ذلك، وعند اختلاف الروايات نحتكم إلى أهل الحديث لنعلم أصحَّ الألفاظ نسبةً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث قال فيه الحافظ أبو الحسن الدار قطني: الصواب رواية من روى "زوجتكما" وهم أكثر وأحفظ.[2]

والمانع الثالث من الاستشهاد عند أبي حيان هو أنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون.

انتهى كلامه –رحمه الله- ولم يذكر لنا مثالاً واحداً على لحن الرواة في الحديث.

المحور الثالث: مناقشة حجج المانعين من الاستشهاد

أما الحجة الأولى، وهي أن المتقدمين من النحاة لم يستشهدوا بالحديث، فقد رده عبدالقادر البغدادي "بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدمُ صحة الاستدلال به، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط ألفاظه"[3] ومع ذلك فقد وُجِدَ من المتقدمين من احتج بالحديث على صحة قاعدته أو مذهبه كأبي عمرو بن العلاء، الذي يرجح أن يقال لآخر يوم من الشهر: "سَرَر" لا "سِرَار" ويحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه: "هل صمتَ من سَرَرِ هذا الشهر شيئاً؟"[4]

وكذلك الخليل بن أحمد، إذ يذكر في كتابه "العين" جموعَ "رضيع" فيقول: وعلى "رُضَّع" قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لولا بهائم رُتَّعُ، وأطفالٌ رُضَّعُ، ومَشَايخُ رُكَّعُ لَصُبَّ عليكم العذابُ صَبًّا"[5]

واستشهد سيبويه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة من كتابه –وإن لم يصرح بنسبتها إليه صلى الله عليه وسلم- ومنها ما هو مقطوع بصحته كحديث: "كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه"[6] فقد استشهد به في باب "ما يكون فيه هو

---

(١) انظر "الاقتراح" للسيوطي (ص ١٩) وما بعدها.

(٢) انظر "شرح صحيح مسلم" للنووي (٣٠٥/٩)

(٣) "خزانة الأدب" (٩/١).

(٤) رواه مسلم برقم (١١٦١) ، وانظر "إعراب ثلاثين سورة" لابن خالويه (ص٢١)

(٥) "العين" (٣١٥/١) والحديث ضعيف رواه الطبراني والبيهقي وضعفه كما في "تخريج الإحياء" (٢٠٤/١)

(٦) رواه البخاري برقم (١٣٨٥).

وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلاً"[١]

وكحديث "ما من أيام أحبَّ إلى الله فيها الصومُ منه في عشر ذي الحجة"[٢] استشهد به في باب "ما يكون من الأسماء صفة"[٣]

وكذلك الفراء في كتابه "معاني القرآن"[٤] فإنه احتج على رفع الاسم على تقدير إضمار مبتدأ بحديث دعاء السفر: "تائبون أيبون لربنا حامدون"[٥]، لكنه اختلف عن سيبويه بتصرحه بنسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

واحتج ابن قتيبة بحديث "ارجعن مأزورات غير مأجورات" على حدوث التغيير في الكلمات بحذف أو تخفيف أو إبدال لغرض التجانس والتناسب، وقال: ولو أفردوا لقالوا: "موزورات"[٦]

واحتج المبرد بحديث: "ما من أيام أحبَّ إلى الله فيها الصومُ..." على رفع اسم التفضيل للفاعل الظاهر[٧].

وبعد هؤلاء اطرد الاحتجاج بالحديث في كتب النحاة "فكان ابن خالويه (ت٣٧٠ هـ) يستشهد به، وكذلك ابن جني (ت٣٩٢ هـ) ، ثم كان الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) يكثر منه، واتخذه أصلاً من الأصول للاستشهاد به على قواعد النحو وأحكامه".[٨]

ولعل سببَ عدمِ الاستكثار من الحديث في كتبهم ترجع إلى "تحرجهم من الوقوع في تبعة المدخول منه، والمكذوب على الرسول صلى الله عليه وسلم"[٩] لأنهم لم يتقنوا علم الحديث فيميزوا الضعيفَ من الصحيح.

والتخصصُ يَحْبِسُ صاحبَه في قُمْقُمِ فَنَّهِ.

أما الشبهة الثانية للمانعين من الاستشهاد، فهي قولهم: الكثير من الأحاديث مروى بالمعنى.

كذاك قالوا، وهو إطلاق غير مرضي، وقد تقدم في الفصل الأول تشددُ المحدثين في رواية الحديث، بل كان منهم من لا يكتب الحديث حتى يسمعه من الراوي ثلاث مرات؛ ليتثبت من ضبطه، كزائدة بن قدامة (وهو ثقة من رجال الكتب الستة).

وربما سأل سائل: وما تفسير اختلاف روايات الحديث؟

الجواب: أن سببَ هذا الاختلاف قد يرجع إلى واحد من الأمور الآتية:

الأول: مخالفة الراوي لمن هو أوثق منه أو أكثر عدداً.

---

(١) الكتاب (٣٩٦/١)، وانظر "لغة الشعر"لأستاذنا الدكتور محمد حماسة (ص ٢٧).

(٢) رواه الترمذي برقم (٧٥٨).

(٣) الكتاب (٢٣٢/١)

(٤) (٤٠٢/٢).

(٥) رواه البخاري برقم (٣٠٨٦)

(٦) "ابن قتيبة اللغوي" (ص ١٧٨)، وخديجة الحديثي (ص ٨٨). والحديث في "تاريخ بغداد" برقم (٢٩٩٧)

(٧) "المقتضب" (٢٥٠/٣).

(٨) لغة الشعر (ص ٢٩).

(٩) السابق (ص ٣٢).

وحينئذ تُقدَّم رواية الجماعة على الواحد، أو رواية الثقة على مَنْ دونه.

الثاني: أن تتعدد المواطن التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها الحديث، فيقوله في كل موطن بلفظ، وهذا جائز عقلاً.

الثالث: اختلاف أحوال السامع، فقد يسأل سائل عن أفضل الأعمال، فيقول: الصدقة. ويسأله آخر، فيقول: الصلاة. ومن أمثلة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

"أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده ثم الجهاد".[١]

وقوله: "أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها.[٢]

وقوله: " أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين".[٣]

الرابع: أن يتحد المجلس ويحفظ صاحبي الحديث كله، وآخر يحفظ بعضه، فيروى كلٌ ما حفظ بلفظ النبي صلى الله عليه وسلم- وهو الأصل- أو بلفظه العربي الفصيح.

ويجاب أيضاً على شبهة الرواية بالمعنى بأن يقال: "إن الأصل الرواية باللفظ، وعلى فرض وقوع رواية بعض الأحاديث بالمعنى؛ فالراوي عربي فصيح محتج بكلامه في اللغة".[٤]

ثم إن التدوين كان منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء غير القرآن خشية أن يختلط به، فقال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه".[٥] ثم أجمع العلماء على أن هذا النهي منسوخ بأمر النبي صلى الله عليه وسلم –عندما طلب منه أحد صحابته واسمه: أبو شاه كتابة خطبة الوداع- فقال: اكتبوا لأبي شاه.[٦]

واستفاضت الكتابة بين الصحابة، فكان علي بن أبي طالب عنده صحيفة كتبها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم في الفرائض والديات، وكتاب أبي بكر لأنس بن مالك في الزكاة عندما وجهه إلى البحرين.[٧]

وثبت في "صحيح البخاري"[٨] أن معاوية بن أبي سفيان أرسل إلى المغيرة بن شعبة: أن اكتب إليَّ ما سمعتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقولُ خلف الصلاة، فكتب له ذلك.

وقال أبو هريرة: ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منى إلا عبدَ الله ابن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب.[٩]

وبعد هذا كله من العجيب أن يُحتجَّ بقولِ أعرابيٍّ، ويُتركَ كلامُ أفصح العرب صلى الله عليه

---

(١) انظر "مجمع الزوائد" للهيثمي (٣/٢١٠)

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٢٦)

(٣) رواه البخاري برقم (٧٥٣٤)

(٤) "خزانة الأدب" (١/١٤)، و"في أصول النحو" (ص ٥٠-٥١) بتصرف.

(٥) رواه مسلم (٣٠٠٤).

(٦) رواه البخاري (٢٤٣٤) و مسلم (١٣٥٥).

(٧) انظر "شرح مسلم للنووي" (٩/١٨٣)، (١٨/١٧٦).

(٨) رقم (٦٦١٥)

(٩) "تهذيب الأسماء واللغات" (٢/٢٨٢).

وسلم، وربما تعمد هذا الأعرابي الكذب كما روى الأصمعي عن يونس بن حبيب أنه قال: قال لي رؤبة: حتامَ تسألني عن هذه الخزعبلات، وأزخرفها لك؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك؟[١]

وأعجب منه أن السيوطي –وهو من أهل الحديث – ينقل في الاقتراح"[٢] عن ابن الأنباري أنه منع مجئ (أن) في خبر (كاد) قال: وأما حديث "كاد الفقر أن يكون كفراً" فإنه من تغييرات الرواة.ا.هـ كذا قال يرحمه الله ونقله السيوطي ولم يعلق عليه، والرد عليه من وجهين:

أولاً: هذا الحديث ضعيف جداً، رواه أبو نعيم في "الحلية"[٣] وفي إسناده يزيد الرقاشي – الراوي عن أنس – فالحديث لا ننسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لضعف حفظ يزيد، وإن كان من التابعين الذي يحتج بكلامهم.

ثانياً: مجئ (أن) في خبر (كاد) ثابت عن العرب . وإن كان قليلا . فلا سبيل إلى منعه، ومنه قول عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – في "صحيح البخاري"[٤]: "ما كدت أن أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب".

والخلاصة: "كان ينبغي للنحاة أن يراعوا أن الذين تلقوا هذه الأحاديث تلقياً مباشراً عن الرسول –صلوات الله عليه- كانوا من الصحابة، وهم عرب خلَّص من ذوي الفصاحة والسليقة، فلو أن واحداً منهم خانته ذاكرتُه في خصوص اللفظ؛ لأدى المعنى بألفاظ فصيحة من عنده.

وعلى الرغم من ذلك نرى النحاة يقيمون نحوهم على الشعر، وهو لغة خاصة غيرُ النثر، ويتركون الأحاديث، وهي أقل مخالفةٍ لقواعدهم من الشعر، أضف إلى ذلك أن الراوية بالمعنى... كانت شائعة في الكثير من الشواهد الشعرية التي اعتز بها النحاة، يشهد بذلك تعدد الرواية في الشاهد الواحد، فلماذا تكون الرواية بالمعنى مانعاً من الاحتجاج بالنسبة للحديث دون الشعر؟"[٥]

والحجة الأخيرة لمانعي الاحتجاج بالحديث هي أن اللحن وقع كثيراً فيما روي من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون.

كذا قالوا، ومن المعلوم عند أهل الحديث أن للراوي شروطاً ينبغي أن يتصف بها، وتتوافر فيه، إذا اجتمعت فيه قُبِلَتْ روايتُه واحتُجَّ بها، وإلا فروايته مردودة.

وتلك الشروط يجمعها لنا الإمام الشافعي – رحمه الله – في كتابه "الرسالة"[٦] فيقول: "أن يكون مَنْ حَدَّثَ به ثقةً في دينه، معروفاً بالصدق في حديثه، عاقلاً لما يحدِّث به، عالماً بما يُحيل معاني الحديث من اللفظ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع، لا يحدث به على المعنى؛ لأنه إذا حدَّث به على المعنى وهو غيرُ عالمٍ بما يُحيلُ معناه؛ لم يدرِ لعله يحيلُ الحلالَ إلى الحرامِ، وإذا أدَّاه

---

(١) "نزهة الألباء" (ص ٣٣).

(٢) (ص ٢٢).

(٣) (٥٣/٣) (٢٥٣/٨)

(٤) رقم (٦٤١).

(٥) انظر "الأصول" للاستاذ تمام حسان (ص ١٠٠-١٠١) بتصرف.

(٦) فقرة (١٠٠١).

بحروفهِ فلم يبقَ وجهٌ يُخافُ فيه إحالتهُ الحديث، حافظاً إنْ حدثَ من حفظه، حافظاً[1] لكتابه إن حدث من كتابه، إذا شَرِكَ أهلَ الحفظ في الحديث وافق حديثهم..." إلخ.

إذن فشبهة لحن الرواة مردودة؛ لأن الحفّاظ سيضعفونها – إنْ وُجِدَتْ – ولن يحتج بها. وكون بعض الرواة من الأعاجم لا يقدح فيهم ما دامت تلك الشروطُ موجودةً فيهم، وهل كان سيبويه إلا فارسياً، وابن جني إلا رومياً.

ثم إن الذين يذكرون تلك الشبهة لم يذكروا لنا مثالاً واحداً عليها، ومع ذلك فإن الرواة كانوا يتشددون في اللغة والإعراب، فكان الحسن بن علي الحُلْواني يقول لأصحابه: ما وجدتم في كتابي عن عفَّان لحناً فأعربوه، فإن عفان كان لا يلحن، وقال لنا عفان: ما وجدتم في كتابي عن حماد بن سلمة لحناً فأعربوه، فإن حماداً كان لا يلحن، وقال حماد: ما وجدتم في كتابي عن قتادة لحناً فأعربوه، فإن قتادة كان لا يلحن.[2]

وقال الأعمش: كان هذا العلم عند أقوام كان أحدُهم لأن يخرَّ من السماء أحبَّ إليه من أن يزيد فيه واواً، أو ألفاً، أو ياءً.[3]

لقد كان للحديث حرمتُه الشرعية التي تدفع الرواةَ إلى التشدد في النقل دون لحن أو تحريف، بخلاف الشعر وهو "ليس ديناً ولا عملاً مسنوناً".[4]

المحور الرابع: ضوابط الاحتجاج بالحديث.

لا أدعي هنا أن النحاة يحتجون بالحديث النبوي الشريف لإيراد حكم نحوي لم يُنَصَّ عليه من قبل أو يهدم حكما نحويا آخر، وإنما غاية الأمر أن يوضع الحديث بمنزلة غيره من أدلة السماع؛ فنعتمد عليه عند الترجيح أو الإشارة إلى صحة تركيب قد يتوهم ضعفه، فنقيس عليه وتزداد العربية ثراء.

وتبين مما سبق أن المتقدمين من النحاة استشهدوا بالحديث – على قلة- وجدير بالذكر أن جمهور المتأخرين احتجوا بالحديث الشريف وأكثروا منه، وجعلوه من مصادر التقعيد كابن الطراوة (ت٥٢٨هـ) والزمخشري (ت٥٣٨هـ) والسهيلي (ت٥٨١هـ) وابن خروف (ت٦٠٩هـ) وابن عصفور(ت٦٦٩ هـ) وابن مالك (ت٦٧٢هـ).

بل كان ابن الطراوة يرد على سيبويه بالحديث، كما نقله السهيلي في نتائجه[5] – بعد أن ذكر قول النحويين في امتناع الحال من النكرة – قال: وكان شيخنا أبو الحسين – يعني ابن الطراوة – يرد هذا القول بالقياس والسماع. فذكر استدلاله بالقياس، ثم قوله[6]: وأما السماع ففي الحديث: "صلى خلفه رجال قياماً".

---

(١) كذا، والمشهور عند أهل الحديث أن يقال: ضابطاً.

(٢) "في أصول النحو" (ص ٥٣).

(٣) "الكفاية للخطيب" (ص ١٧٨).

(٤) "لغة الشعر" (ص ٢٦).

(٥) "نتائج الفكر" (ص ٢٣٤).

(٦) أي: قول ابن الطراوة.

وكان يرى – رحمه الله – أن الأحسن وصل الضمير مع الفعل الناسخ خلافاً لسيبويه، ويستدل بالحديث الذي رواه مسلم: "كن أبا خيثمة فكانه"[١]. ويستدل له بما رواه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب – حين هَمَّ بقتل ابن صياد ظناً منه أنه الدجال – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "إن يكنه فلن تسلط عليه"[٢].

وحين يرد ابن الضائع (ت٦٨٠هـ) عليه هذا الاستدلال يقول " وزعم ابن الطراوة أن الأجودَ الوصلُ، وهذا تكذيب لسيبويه[٣].ا.هـ

وهل كان سيبويه – رحمه الله – نبيَّ النحوِ حتى يرد ابن الضائع بمثل هذا الكلام.[٤]

ضوابط اختيار الأحاديث التي يحتج بها:

أول من وضع هذه الضوابط – فيما أعلم – هو الشيخ محمد الخضر حسين، ونشرها بمجلة "مجمع اللغة العربية"[٥] بالقاهرة، وهي:

١ - الأحاديث المتواترة والمشهورة:

وأعترض على هذا الشرط؛ لأن كثيراً من الأحاديث المتفق على صحتها، وتلقاها العلماء بالقبول غير متواترة ولا مشهورة – أعني: الشهرة الاصطلاحية – ومن أظهر الأمثلة على ذلك الحديثُ الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما الأعمال بالنيات.... " الحديث[٦].

فهذا الحديث لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا عمر، ولم يروه عن عمر إلا علقمة بن وقاص الليثي، ولم يروه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التميمي، ولم يروه عن محمد إلا يحيي بن سعيد الأنصاري. فهو حديث صحيح غريب[٧] السند، وليس متواتراً ولا مشهوراً.

٢ – الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

وأعترض على التفريق بين ألفاظ العبادات وألفاظ المعاملات، فإن من ألفاظ أحاديث البيوع والنكاح والحدود والجهاد؛ ألفاظاً فصيحة صحيحة، تناقلها المحدثون ودونوها في كتبهم كحديث: "المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا" وهو في الصحيحين[٨]، وقد استدل به ابن مالك في "شرح التسهيل"[٩] على مجيء المثنى في معنى الجمع. وهذا أمر لا يحتاج إلى كثرة تمثيل؛ فهو بيِّن لمن طالع كتب الحديث.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٦٩)

(٢) رواه البخاري (١٣٥٤) ومسلم (٢٩٣٠)

(٣) انظر: مقدمة محمد إبراهيم البنا لـ "نتائج الفكر" (١٤).

(٤) وأعجب منه السهيلي إذ تبين له وجه الصواب في مسألة –وكانت رأيَ الأخفشِ – تخالف مذهب سيبويه، وما منعه أن يقول به إلا أن سيبويه يقول بخلافه، قال –رحمه الله- ولولا الوحشة من مخالفة الإمام أبي بشر لنصرت قول الأخفش نصراً مؤزراً، وجلوتُ مذهبَه في مِنَصَّةِ التحقيقِ مفسَّراً، ولكنَّ النفسَ إلى نُصرةِ سيبويه أميلُ.ا.هـ [نتائج ص ٢٣٦].

(٥) وسأنقلها من كتاب "لغة الشعر" لأستاذنا الدكتور محمد حماسة (ص ٣١).

(٦) البخاري حديث رقم (١)، ومسلم (١٩٠٧)

(٧) الغرابة عند أهل الحديث تعنى – في الغالب – التفرد.

(٨) البخاري (٢١٠٩) ، ومسلم (١٥٣٢)

(٩) (٦٥/١)

٣ – الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.

٤ – كتب النبي صلى الله عليه زسلم.

٥ – الأحاديث المروية لبيان أنه صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم.

٦ – الأحاديث التي دونها مَنْ نشأ بين العرب الفصحاء.

وهذا الشرط واقع يقيناً من حيث الجانب التطبيقي لرواية المحدثين، فلا داعي لاشتراطه.

٧ – الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل: القاسم بن محمد، ورجاء بن حَيْوَة.

وقد تقدم في الرد على شبهة بالمعنى أن المحدثين لم يرخصوا إلا لمن يوثق بفصاحته ولغته – هذا من حيث الرواية – ومنعوا تغيير شيء من لفظ الحديث في الكتب المدونة منذ عصر الصحابة.

٨ – الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة. قلت: وهذا شرط جيد.

ومن الضوابط التي أضيفها إلى ما سبق:

أنه إذا صح السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وليس الحديث شاذاً ولا معلّلاً، بحيث لا يخالف أحدُ الرواة غيَره من الثقات الذين رَوَوْا الحديثَ نفسَه في شيء من سند الحديثِ أو متنهِ؛ احْتُجَّ به في إثبات القواعد اللغوية.

وإذا تعددت الرواية في الحديث الواحد، واختلفت ألفاظه؛ ننظر إلى أصح الأسانيد، فنحتج بمتنها وندع ما سوى ذلك – إذا خالفت القواعد النحوية – ونقدم ما كان في الصحيحين على غيرهما.

الخاتمة

وبعدُ ففي ختام هذا البحث يحسن إيجاز أهم النتائج التي تستنبط من مسائله ومناقشاته، وهي:

١. كان الحديث الشريف من مصادر التقعيد عند النحاة المتقدمين، ولكنه ليس كالقرآن والشعر كثرةً، ولعل سبب ذلك تحرج النحاة من وعيد من يكذب عليه صلى الله عليه وسلم. ولما تميز الصحيح من الضعيف بدأ الاستشهاد بالحديث يزيد شيئا فشيئا، حتى أفاضه ابن مالك ومن بعده من النحاة المتأخرين.

٢. شبه المانعين من الاستشهاد تتلخص في: جواز رواية الحديث بالمعنى، وأن أكثر رواة الحديث من الأعاجم، وأن المتقدمين لم يستشهدوا به في تقرير القواعد النحوية.

٣. تبين لنا مدى تشدد المحدثين في رواية الحديث صيانة له ولألفاظه.

٤. بعض ضوابط اختيار الأحاديث المحتج به يحتاج إلى مناقشة وإعادة نظر كضابط (التواتر والشهرة) وضابط الاقتصار (أحاديث العبادات)... إلخ

٥. وأوصي دارسي العربية باستقراء دواوين الحديث لاستخراج المزيد من الشواهد على الأحكام النحوية، فتوضع تالية بعد آيات القرآن.

وعلى الجامعات والمراكز البحثية العناية بهذا الباب، وإفراد المؤتمرات والدراسات حوله، وعمل استقراء للتراكيب المميّزة للحديث النبوي الشريف، على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

والحمد لله رب العالمين

أهم المصادر والمراجع

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي،تحقيق: مصطفى النماس،ط مكتبة الخانجي،الأولى ١٩٨٤.
٢. الأصول، تمام حسان، ط.عالم الكتب، ٢٠٠٠
٣. إعراب الحديث النبوى، للعكبرى، تحقيق: عبد الإله نبهان، ط. دار الفكر، دمشق ١٩٧٩.
٤. إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث، السيد رزق الطويل، مجلة الأزهر، ١٩٨٨
٥. تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف، فخر الدين قباوة، دار الملتقى، بحلب.
٦. الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، السعودية ١٩٨٤
٧. الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، محمد ضاري حمادي، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ١٩٨٢
٨. خزانة الأدب، عبدالقادر البغدادي،تحقيق: عبدالسلام هارون،ط. مكتبة الخانجي،القاهرة.
٩. السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث، محمود فجال، السعودية، ١٩٨٦.
١٠. شرح التسهيل، ابن مالك،تحقيق: عبدالرحمن السيد، ومحمد بدوي،ط. دار هجر،الأولى ١٩٩٠
١١. شرح صحيح مسلم، للنووى، ط. مؤسسة قرطبة، الأولى، ١٩٩١
١٢. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك،تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي،ط. دار الكتب العلمية،بيروت.
١٣. عقود الزبرجد، للسيوطى، تحقيق: أحمد عبد الفتاح، وسمير حسين، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧
١٤. فتح المغيث بحكم اللحن فى الحديث، للإفرانى، تحقيق: عبد المجيد خيالى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
١٥. فى أصول النحو، سعيد الأفغانى، ط. المكتب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٧
١٦. فيض نشر الانشراح، ابن الطيب الفاسى، تحقيق: محمود فجال، ط. دار البحوث والدراسات، دبى، ٢٠٠٢
١٧. قضايا الاستشهاد بالحديث في النحو وشواهده في المغني، سهير محمد خليفة، مطبعة السعادة،١٩٨٢
١٨. الكتاب، سيبويه،تحقيق: عبدالسلام هارون،ط. دار الجيل،بيروت،الأولى.
١٩. كتابة الحديث النبوى وجمعه وتدوينه، كمال الدين عبد الغنى، ط. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩
٢٠. لغة الشعر، محمد حماسة، ط. دار الشروق، ١٩٩٦
٢١. المدارس النحوية، شوقي ضيف، ط. دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦
٢٢. معاني القرآن، الفراء،تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار،ط. دار الكتب المصرية،١٩٥٥

٢٣. المقتضب، المبرد،تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة،ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩هـ
٢٤. مقدمة فى علوم الحديث، ابن الصلاح، طبعة مكتبة المتنبي بالقاهرة. و (بشرح البلقينى)، تحقيق عائشة عبد الرحمن، ط. دار المعارف.
٢٥. موقف العيني من الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف من خلال كتابة المقاصد النحوية، محمود محمد العامودى، مجلة كلية التربية الحكومية، ١٩٩٧
٢٦. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، لخديجة الحديثى، ط. وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨١
٢٧. ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، الذهبى، تحقيق: على البجاوى، وفتحية البجاوى، ط. دار الفكر العربى
٢٨. نتائج الفكر، السهيلى، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، جامعة قاريونس، ١٩٧٨
٢٩. النحاة والحديث النبوى، لحسن موسى الشاعر، ط. وزارة الثقافة، الأردن، ١٩٨٠
٣٠. همع الهوامع للسيوطي ط. الكليات الأزهرية،الأولى ١٣٢٧هـ.

٢٦. الحديث النبويّ في لسان العرب لابن منظور

عبد الرزّاق بن عمر
المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بتونس
منسّق فريق اللسانيّات بوحدة البحث في التأويليّة
كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس

المقدّمة:

نسعى في هذا البحث إلى النظر في الحديث النبويّ الشريف باعتباره صنفا من شواهد العربيّة التي تزخر بها المعاجم اللغويّة، وفي ذلك حسب ما نعتقد أهمّية في تفسير بعض الجوانب من مدوّنة اللغويّين القدامى ومنهج تأليفهم. والموضوع في حدّ ذاته يمكن التطرّق إليه بالنظر في كتب فقه اللغة والعديد من المعاجم التي تمثّل بالفعل ثروة تزخر بها المكتبة العربيّة. لكنّ حدود هذا البحث كانت وراء اختيارنا للسان العرب باعتباره عيّنة تمثّل أحسن ما يكون المعاجم العربيّة القديمة. فهذا المعجم أخذ عن خمسة مصادر هي من أمّهات الكتب. يقول ابن منظور (ت. ٧١١هـ) في مقدّمة اللسان: ... نقلت من كلّ أصل مضمونه ولم أبدّل منه شيئا [...] وما تصرّفت فيه بكلام غير ما فيها [في المصادر الخمسة المعتمدة] بالنصّ. وليعلم "من ينقل عن كتابي هذا أنّه ينقل عن هذه الأصول الخمسة.[١] والأصول الخمسة هي: تهذيب اللغة للأزهري (ت.٣٧٠ هـ) والصحاح للجوهري(ت. ٣٩٣ هـ) والمحكم لابن سيدة (ت. ٤٥٨ هـ) والحاشية لابن برّي (ت.٥٨٢ هـ) والنهاية لابن الأثير (ت. ٦٠٦ هـ). والكتاب الأخير من هذه الأصول هو من كتب الحديث النبويّ الشريف.[٢] ولا ريب في أنّ وجوده ضمن مصادر اللسان يقوّي الاعتقاد بتأثير المحدّثين قديما في اللغويّين. والأمر ليس بالغريب عن كتب التراث إذ صرّح البعض من اللغويّين ومنهم السيوطي بمحاكاته في المزهر، لعلوم الحديث في تأليف كتابه وترتيب موادّه.[٣]

ورغم ذلك يبقى تأثير علماء الحديث في المعاجم اللغويّة في حاجة إلى الإجابة عن العديد من الأسئلة لاسيّما في مستويي جمع المادّة ووضعها. فهل يمكن للمعاجم العربيّة القديمة أن تكون قد استفادت بالفعل من مناهج المحدّثين بل ومن الأحاديث النبويّة الشريفة التي توصّلوا إلى إثبات صحّتها؟ وإن كان ذلك كذلك فما هي النتائج التي أدركها واضعو المعاجم وما تأثيرها على اللغة العربيّة؟ هذه الأسئلة وغيرها تدفعنا إلى تقسيم العمل إلى ثلاثة أقسام: قسم أوّل نتناول فيه توارد الحديث النبويّ في لسان العرب وقسم ثانٍ نتحدّث فيه عن الحديث النبويّ في مدوّنة اللسان وقسم ثالث نبحث فيه الحديث بتعريفات اللسان.

١.توارد الحديث النبويّ في لسان العرب

نميّز في هذا البحث بين المعجميّة وهي علم يهتمّ بدراسة معجم اللغة وعناصرها وبين القاموسيّة التي تمثّل ضربا من النشاط مداره صناعة القواميس ووضعها رغم أنّ هذا العمل يحتاج إلى نظريّات لغويّة

---

[١] ابن منظور، مقدّمة اللسان، ص ذ.

[٢] نفسه، ص د.

[٣] السيوطي، المزهر في علوم اللغة، مقدّمة المؤلّف، ص ١، وقد قال: هذا علم شريف [...] حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع.

تساعد في إنجازه. ويقتضي العمل القاموسيّ أن يقوم مؤلّف القاموس بجمع مدوّنة يهتمّ في مرحلة لاحقة بوضعها في شكل كتاب مداخله تكون مشفوعة بتعريفات هي شروح لما تمّ جمعه من رصيد. ولأنّ العمل يحتاج إلى قدر كبير من الإيضاح والدقّة والموضوعيّة، فإنّ القواميس اللغويّة دأبت على تدعيم الشروح واستعمال المفردات بشواهد غالبا ما كانت تؤخذ عند القدامى من القرآن والشعر والأمثال والحديث حسب المواصفات والمناهج والشروط التي ذكرت في الكثير من كتب الحديث وفقه اللغة.[١]

والحديث النبويّ في لسان العرب لم يخرج عن هذا الإطار وهذه الغايات. إذ كان ابن منظور يأتي به في الأصل شاهدا يدعّم دلالة الكلم العربيّة واستعمال العرب للغتهم. لكنّ ما يلاحظ هو أنّ نسبة ممّا ورد في أقوال الرسول تمثّل عناصر معجميّة مركّبة متلازمة المكوّنات[٢] وشّحت اللسان بإضافات جديرة بالاهتمام لأنّ الأصل في هذا القاموس أن يكون الاهتمام فيه بالمفردات لا بالعبارات. فممّا أُثِر عنه من العبارات ولم يسبقه في ذلك أحد على حدّ قول الصحابة والمحدّثين واللغويّين: خضراء الدِّمَن (:المرأة الحسناء في منبت سوء)، في قوله صلّى الله عليه وسلّم: إيّاكم وخضراء الدّمن[٣] وكذلك: مات حَتْفَ أَنْفِه(فجأة أو عن مرض بلا قتل أو ضرب)[٤] وحَمِيَ الوَطِيسُ(: اشتدّت الحرب أو الأمر).[٥] ومن هنا يكون التعامل مع الحديث النبويّ باللسان في حاجة إلى النظر فيه باعتباره من شواهد العربيّة ثمّ من حيث مضمونه اللغويّ الذي أثّر في اللغة وفي مادّة المعاجم اللغويّة على حدّ السّواء. ويكون التطرّق إلى ذلك في مستويي الجمع والوضع لطبيعة تُميّز العمل القاموسيّ.

٢.الحديث النبويّ في مدوّنة اللسان

يمثّل الحديث النبويّ في اللسان صنفا من أصناف كثيرة من الشواهد هي القرآن والشعر والأمثال والأقوال.[٦] وهذه الشواهد ولئن كانت وظيفتها توضيح ما استعمل من الألفاظ وتدعيمه، فإنّها تعدّ جزءا لا يتجزّأ من مدوّنة ابن منظور. بيد أنّ هذه المدوّنة لا تختلف في جوهرها عمّا نجد في مصادر اللسان وقد صرّح ابن منظور نفسه في المقدّمة أنّ الأخذ عن هذا الكتاب هو نقل عن المصادر مثلما ذكرنا سابقا. ولهذا نراه يقتفي أثر السابقين في ضبط موادّ اللغة ونقل شواهدها دون تصرّف يذكر في

---

[١] ينظر في ذلك مثلا: السيوطي، المزهر، في مواطن متفرّقة ولاسيّما: ص ٥٨ وما بعدها.

[٢] نصطلح على هذا الصنف من العناصر المعجميّة المركّبة بالمتلازمات اللفظيّةLes collocations)) وهي كثيرة في اللغة منها اللسنيّات(Les expressions idiomatiques) والأمثال(Les proverbes)... ويعدّ هذا الصنف من العبارات من العناصر المعجميّة إذا ترسّخ في المعجم بكثرة الاستعمال. للتوسّع في الظاهرة ينظر: عبد الرزّاق بن عمر، المتلازمات اللفظيّة في اللغة والقواميس العربيّة، تونس، ديسمبر ٢٠٠٧.

[٣] ابن منظور، مج ٢ ص ٨٤٨/ مج٢ ص ١٠١٦. وينقل السيوطي عن ابن دريد قوله: ومن الألفاظ التي لم تسمع من عربيّ قبله: إيّاكم وخضراء الدّمن (السيوطي، ج١ ص ٣٠٢).

[٤] نفسه، مج١ ص ٥٦٣. ويذكر السيوطي عن الثعالبي في فقه اللغة: إذا مات الإنسان عن غير قتل قيل مات حتف أنفه، وأوّل من تكلّم بذلك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم(السيوطي، ج١ ص٣٠١) ثمّ نقل عن ابن دريد في المجتبى الإثبات نفسه برواية أخرى وبسند ثان: أخبرنا عبد الأوّل بن مريد أحد بني أنف الناقة من بني سعد في إسناد قال: قال عليّ رضي الله عنه: ما سمعت كلمة عربيّة من العرب إلاّ وقد سمعتها من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسمعته يقول مات حتف أنفه وما سمعتها من عربيّ قبله (السيوطي، ج١ ص٣٠٢).

[٥] نفسه، مج٦ ص ٩٤٧. وينقل السيوطي عن ابن دريد إثبات القول عن الرسول (السيوطي، ج١ ص ٣٠٢).

[٦] (٧) انظر في ذلك فهارس اللسان ولاسيّما المجلّد الأوّل في الآيات والحديث والأثر، فهارس لسان العرب، تصنيف وتقديم خليل أحمد عمايرة وإشراف أحمد أبو الهيجاء، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.

مناهج من أخذ عنهم. فقد نقل ما وجد في المصادر عن أيمّة اللغة مثل الليث والخليل وسيبويه وعمّن دوّن اللغة وكان حجّة من أمثال أبي زيد والأصمعي وابن الأعرابيّ وأبي عبيدة، كما أخذ عن ابن الأثير الذي ضمّن كتابه النهاية، ما نَقَلَ أيمّةُ الحديث مثل أبي حنيفة، من مادّة لغويّة وردت في الحديث النبويّ الشريف. ولا ريب في أنّ ما جاء في اللسان بسند المنقول عنه لم يخرج عن المنظومة القديمة التي يتّفق فيها المحدّثون مع اللغويّين لاسيّما في منهج الجمع. فقد كانت دوافع جمع اللغة وشواهدها دينيّة تعليميّة أثرت بطريقة أو بأخرى في حجم تلك المادّة التي كانت منتخبة باعتبار أنّ التحقيق في السند بمقاييس علماء الحديث أدّى إلى صفويّة في الاختيار وإلى تقلّص حجم الموادّ. فلا نجد مثلا بعض الجذور في مداخل هذا المعجم كما لا نجد الكثير من العبارات العربيّة المتواترة التي وردت في مؤلّفات أخرى سابقة.[1]

ومع ذلك يشهد الكثيرون من القدامى والمعاصرين بأنّ مادّة اللسان تُعتبَر من أشمل ما يوجد في المعاجم العربيّة القديمة لاعتماد ابن منظور أهمّ المعاجم التي سبقته ولعدم التزامه أحيانا بكافّة شروط الجمع وتجاوزه الفترة التي حدّدها الروّاد الأوائل من المحدّثين واللغويّين وتدوينه بعض الاستعمالات اللهجيّة المهمّة في وصف العربيّة في بعض الفترات من تاريخها.[2] ومهما كان الأمر فما تضمّنه هذا المعجم من أحاديث نبويّة لم يؤثّر في حجم المادّة فحسب بل أدّى إلى إثراء دلالات الألفاظ

---

[1] ممّا يؤكّد تقلّص حجم المادّة التي جمعها صاحب اللسان ما يلاحظ مثلا في الاختلاف بين جذور اللسان والتاج والصحاح. وهذا الاختلاف يلخّصه الجدول التالي:

المعجم	الثلاثي	الرباعي	الخماسي	المجموع
التاج	٧٥٩٧	٤٠٨١	٣٠٠	١١٩٧٨
اللسان	٦٥٣٨	٢٥٤٨	١٨٧	٩٢٧٣
الصحاح	٤٨١٤	٧٦٦	٣٨	٥٦١٨

وهو جدول أخذناه عن دراسة إحصائيّة لجذور تاج العروس للزبيدي. وهي دراسة قام بها الباحثان علي حلمي موسى وعبد الصبور شاهين، منشورات جامعة الكويت، ١٩٧٣، ص٩. ويدقّق الباحثان المعطيات الإحصائيّة الواردة في الجدول بملاحظات كثيرة منها أنّ بعض جذور الصحاح لم ترد في اللسان رغم أسبقيّة الجوهريّ على ابن منظور في الزمن. ومن هذه الجذور وهي ١٩ جذرا حسب الإحصاء: نجد – دهج – زكل – صخم – صوأ – صوخ – ضبل... ومن الأسباب التي أدّت إلى هذا التفاوت حسب الباحثين أنّ من بين هذه الجذور التسعة عشر مجموعة رواها ابن منظور رباعيّة وهي عند الجوهري ثلاثيّة: دهمج/ دهج – كوكب/ ككب – هرول/ هرل – ضأبل/ ضأل... (ص١٠) أمّا العبارات التي لا نجدها في اللسان فمنها: ركب يافوخ غيره: غلبه وفضله(أساس البلاغة، ص١٨)، واليافوخ: حيث يلتقي عظم مقدّم الرّأس وعظم مؤخّره. والعبارة تختلف عن قول العرب: ركب رأسه أي أصرّ على ما أراد بغير هداية وهي عبارة موجودة في اللسان(مج٢ ص ١٢١٣)، ومن العبارات التي أهملها اللسان: بات على المسطبة: وقع في المتالف وهلك أو جُرّد من كلّ ما يملك(الزمخشري، أساس البلاغة، ص٢٩٥) وكذلك: طالت ذروته: علا شأنه (الزمخشري، ص٢٠٤) وفلان ما يندّي الرّضفة إذا كان بخيلا(الزمخشري، ص٢٣٥)، يكتفي اللسان منها بشرح الرّضفة: الحجارة التي حميت بالشّمس أو النار ومنها يقال: شواء مرضوف أي مشويّ على النار(مج ٢ ص ١١٧٧)... ينظر في ذلك: ع. بن عمر، المتلازمات، ص ١٩٤.

[2] ممّا يؤكّد تجاوز ابن منظور لشروط روّاد جمع اللغة وهي الشروط التي تأثّروا فيها بعلم الحديث كما رأينا، أنّه قد يستشهد بشعراء عاشوا في القرن الثاني للهجرة أو جاؤوا بعدهم. ومن هؤلاء جرير في قوله: قَوْمي تميم هم القوم الذين هُمُ... (مج١ ص ١٦٤) وجميل في قوله: أحبّكَ أن نزلتَ جبال حِسْمى...(مج١ ص ١٥٩) والفرزدق في قوله: وبايعت أقواما وفيت بعهدهم...(مج١ ص ١٥٣). ويدعّم تجاوزه لتلك الشروط جمعه في اللسان بعض الاستعمالات من سجلاّت لغويّة مختلفة نذكر منها المثال التالي: "جاء فلان وفي رأسه خطّة أي في نفسه حاجة وقد عزم عليها، والعامّة تقول: في رأسه خُطية وكلام العرب هو الأوّل(مج٢ ص ٤٥٩) والموقف الصفويّ واضح كما لا يخفى من خلال قوله: والعامّة تقول وكذلك: وكلام العرب هو الأوّل.

بمعانٍ إسلاميّة جديدة منها حُرْمةُ الحَرَم وحُرْمة الإحرام وحُرمة الشهر الحرام في قوله صلّى الله عليه وسلّم في حديث الحديبيّة: لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حُرُمات الله إلاّ أعطيتهم إيّاها وفي حديث الصلاة: تحريمها التكبير وفي قوله: ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خَلْق السماوات والأرض، السَّنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حُرُمٌ[1]، كما أضاف إلى اللغة العربيّة رصيدا جديدا من الألفاظ والعبارات التي لم تكن معروفة قبل ظهور الإسلام بدلالاتها الواردة في الحديث. فممّا أضيف من الألفاظ: الجُلْهُمة(:جانب الوادي)[2] والصَّير(:شقّ الباب) والزَمّارة(: الزّانية)...[3] ومن العبارات عدا ما ذكرنا سابقا (خضراء الدّمن ومات حتف أنفه وحمي الوطيس)، قوله: فرسٌ بَحْر(: لا ينقطع عدوه)[4] ولا يَنْتطِحُ فيها عَنْزَان(:لا يلتقي فيها اثنان)[5] ويبقى النظر في علاقة هذا المعجم بالحديث النبويّ رغم ما ذُكِر، في حاجة إلى النظر في وضع تلك الشواهد بتعريفات هذا المعجم.

٣.الحديث النبويّ في تعريفات اللسان

يؤتى بالتعريف في المعاجم اللغويّة عادة لتحديد العناصر المعجميّة وتوضيح معانيها وتدقيق دلالاتها تدقيقا إحاليّا أو منطقيّا وتدعيم ذلك بتقديم مجموعة من المعلومات المتميّزة صوتيّا وصرفيّا ونحويّا لضبط الاستعمال وإثباته. فالقصد من التعريف شرح الكلمة بما يمكّن من تمثّلها دلاليّا واجتماعيّا وثقافيّا. ولذلك تختلف طرقه في المعاجم وتتنوّع. فيكون بالمرادف وبالضدّ وبالإحالة وبالشّاهد وبالصّورة وبما نجد مفصّلا في الكتب والبحوث المهتمّة بالقواميس اللغويّة.[6]

---

[1] ابن منظور، مج١ ص ٦١٦. ويمكن تأكيد الإضافة بالتحقيق في ألفاظ إسلاميّة كثيرة من قبيل: الكفر والمؤمن والمسلم والمنافق... ويؤكّد ذلك ما نجد في المزهر للسيوطي: وعلى هذا سائر أبواب الفقه، فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فيه اسمان: لغويّ وشرعيّ ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثمّ جاء الإسلام به. السيوطي، ج١ ص ٢٩٥ وما بعدها.

[2] يذكر ابن منظور الكلمة في حديث أبي سفيان وقد أخّره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الإذن وأدخل غيره من الناس قبله فقال: ما كدتَ تأذن لي حتّى تأذن لحجارة الجلهمتين، وينقل عن أبي عبيد قوله: ولم أسمع بالجلهمة إلاّ في هذا الحديث(ابن منظور، مج١ ص ٤٩١). وللرواية ما يؤكّدها في المزهر للسيوطي (ج١ ص٣٠٣).

[3] يذكر ابن منظور أنّ الصّير: شِقّ الباب وقد ورد في الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: من اطّلع من صير باب فقد دَمَر وفي رواية: من نظر في صير باب... قال أبو عبيد: لم يسمع هذا الحرف إلاّ في هذا الحديث ويؤكّد صاحب المزهر عن الصحاح نفس الرّواية عن أبي عبيد: الصِّير في الحديث أنّه شقّ الباب ولم يُسمع هذا الحرف. ثمّ يضيف: قال والزمّارة في الحديث أنّها الزّانية. قال أبو عبيد: ولم أسمع هذا الحرف إلاّ في الحديث (ج١ ص ٣٠٢).

[4] في قوله صلّى الله عليه وسلّم في مَنْدوبٍ فرس أبي طلحة وقد ركبه عُريا: إنّي وجدته بحرا. (ابن منظور، مج١ ص ١٦٤). يثبت السيوطي ذلك ويضيف: وأوّل من تكلّم بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (السيوطي، ج١ ص ٣٠١ – ٣٠٢). والعبارة من المجاز الشائع الذي دخل في القواميس اللغويّة.

[5] (٧) يذكر ابن منظور في اللسان: وفي الحديث: لا ينتطح فيها عنزان أي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان، لأنّ النطاح من شأن التيوس والكباش لا العَتود، وهو إشارة إلى قضيّة مخصوصة لا يجري فيها خلف ونزاع (ابن منظور، مج٦ ص ٦٦٠). وينقل السيوطي مؤكّدا نصّ رواية ابن منظور، عن ابن دريد: ومن الألفاظ التي لم تسمع من عربيّ قبله: لا ينتطح فيها عنزان (ج١ ص ٣٠٢).

[6] (٧) من هذه الكتب في العربيّة نذكر كتاب المعجم العربيّ، إشكالات ومقاربات، لمحمّد رشاد الحمزاوي وقد أحصى فيه بعض طرق الشرح: التعريف السيمي وبالشاهد وبالصورة (ط. بيت الحكمة، ص٢٩١ وما بعدها) ومن المجلاّت المختصّة نذكر عددا خاصّا من مجلّة المعجميّة غطّى أعمال ندوة اللقاء العلميّ الدولي الرابع للقاموسيّة في موضوع: التعريف وقضاياه في القاموس، تونس ٢٢ – ٢٤ جوان ٢٠٠٦.

وتتوارد الأحاديث النبويّة في اللسان بنصوص التعريفات لا بالمداخل، دون أن يرتقي الحديث الواحد منها إلى منزلة التعريف لأنّه يمثّل جزء منه فيُتّخَذ شاهدا من شواهد اللغة التي تفيد في شرح دلالة الكلمة وتأكيد استعمالها في لغة العرب.

بيد أنّ توارد الحديث في اللسان بنصّ أكبر منه هو التعريف يطرح العديد من الأسئلة. فهل يمكن لهذا المعجم أن يخفي تصوّرا خاصّا لنمط متميّز من المعاجم الخاصّة بالحديث النبويّ وقد أخذ عن واحد من أهمّها في التراث كما أشرنا في مقدّمة البحث رغم الاختلاف بينهما في الغاية والتأليف؟ أ وتكون تلك الشروح التي قدّمها ابن منظور أمثلة من شروح المحدّثين أم هي شروح لغويّة تميّز اللسان عن غيره من المعاجم بما فيها كتب الحديث؟...

لعلّ الغاية اللغويّة التي تميّز اللسان عن كتب الحديث هي التي كانت وراء اقتضاب سلسلة السند فيما أورده ابن منظور. فلم يزد صاحب اللسان كلّما ساق الحديث عن إشارة سريعة تقدّم المتن ولا تتجاوز قوله: ومن الحديث أو ومنه الحديثُ أو وفي الحديث. وقد يضيف إلى الأمثلة المذكورة أحيانا بعض الإشارات التي تخصّ موضوع الحديث أو ظروف قوله، كأن يقول مثلا: وفي حديث سبق الحدث في الصلاة[١] أو: وفي حديث الأعرابيّ الذي جاء يسأل عن شرائع الإسلام[٢] أو وفي حديث دعاء السفر.[٣] ورغم هذه الإضافات المفيدة المهمّة، يندر أن نجد ضبطا لرواة الحديث ونقلته[٤]. فلا نتمكّن في الغالب من التقدّم في دراسة السند ونقده أو تصنيف الحديث ومراجعته إلاّ أن نصرف الاهتمام إلى نصّ المتن فنقرأه من الداخل قراءة لا يسعنا منها في هذا المقام سوى النظر في الجانب اللغويّ وقد حصرنا أهداف هذا المقال في ما له علاقة بالقاموسيّة دون الإلمام بمختلف المجالات العلميّة والمعرفيّة الأخرى.

وتعريف المدخل الواحد في اللسان قد يتضمّن أكثر من حديث. إذ بلغ المجموع في تعريف دمن مثلا: ٦ أحاديث نبويّة شريفة (ح)[٥] وفي خفا ١١ ح[٦] وفي قلب ١٣ ح...[٧] ويرجع ذلك إلى ما نعتقد أنّه من ثوابت ابن منظور وهو الذي سعى في معجمه إلى الالتزام بخدمة اللغة وتوظيف شواهدها عند الاقتضاء، في شرح دلالة الألفاظ وإثبات توارد الكلم العربيّة. فالشاهد من الحديث يستمدّ قيمته من شخص الرسول ومن فصاحته. وما قَصْدُ صاحب اللسان من اقتفاء أثر سابقيه في نقل العربيّة بشواهدها إلاّ

---

[١] ابن منظور، مج١ ص ١٥٥.

[٢] نفسه، مج١ ص ١٢.

[٣] نفسه، مج٥ ص ١٤٥.

[٤] قد نجد أحيانا مع بعض الأحاديث وهي قليلة جدّا في اللسان، شيئا من الإحالة على سند من أخذ عنه ابن منظور من أصحاب المعاجم التي اعتمدها في مدوّنته: وروى الأزهري بإسناده عن حذيفة بن أسيد: يخرج الدجّال في خفقة من الدّين...(مج ٢ ص ٨٦٩) أو نجد الحديث بدون إشارة إلى أنه من الأحاديث النبويّة إلاّ بذكر المصدر: وفي النهاية: إن وُقِي كبّة النار...(مج ٥ ص ١٤٤). والطريقتان في إخراج الحديث لا تكفيان حسب اعتقادنا في نقده وتصنيفه ودراسته ولا تتضاربان مع ما ذهبنا إليه في نفس الفقرة.

[٥] ابن منظور، مج ٢ ص ١٠١٦.

[٦] نفسه، مج ٢ ص ص ٨٧٠ – ٨٧١.

[٧] نفسه، مج ٥ ص ص ١٤٤ – ١٤٦.

"حفظ أصول اللغة النبويّة التي عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنّة". ولهذا حرص كلّ الحرص في عمله على أداء الأمانة واجتناب التصرّف في المادّة، مثلما جاء في مقدّمة اللسان.[١]

وبناء على ذلك، نجد في اللسان أحيانا دقّة وصرامة في تقديم الأحاديث وتوظيفها. فقد يرد الحديث الواحد بروايات مختلفة مثلما هو الشأن في حديث المسيح الدجّال مثلا: وروى الأزهريّ بإسناده عن حذيفة بن أسيد قال: يخرج الدجّال في خَفْقة من الدين[...] وفي رواية جابر: وإدبار من العلم[٢]. وقد يرد الحديث الواحد كذلك في أكثر من تعريف إذا احتاج صاحب اللسان إلى تدعيم شرح كلمتين أو أكثر في موطنين مختلفين من الكتاب. فالحديث: إياكم وخضراء الدمن ورد في تعريفي خضر ودمن[٣]... كما يمكن أن يوظَّف الحديثُ في إثبات استعمال اللفظ وتأكيد تواردِه في اللغة: جاؤوا قَضَّهم وقَضيضَهم (:بجمعهم لم يدعوا وراءهم شيئا ولا أحدا)، وفي الحديث يؤتَى بالدنيا بقضِّها وقَضيضها (:بكلّ ما فيها)...القضّ: الحصى الكبار والقضيض الحصى الصغار، ومنه الحديث: دخلت الجنّةَ أمّةٌ بقضّها وقضيضها...[٤]

أمّا ترتيب الأحاديث في اللسان فما نظنّ أنّه كان مقصودا لذاته لأنّ المقياس الظّاهر أن يقع التدرّج بالشواهد حسب ترتيب الكلمات المدعّمة في التعريف دون النظر بالضرورة إلى رأس الشاهد وأوّله. والعيّنة من الأحاديث التي أخذنا من مدخل خفق[٥] توضّح ذلك:

أ- كانت رؤوسهم تخفق خفقة أو خفقتين

ب- كانوا ينتظرون العِشاء حتّى تخفق رؤوسهم

ت- أيّما سَريّة غزت فأخفقت كان لها أجرها مرّتين

ث- إنّه ليسمع خَفْق نعالهم حين يولّون عنه

ج- (وفي الحديث) أنّ ميكائيل منكباه يحكّان الخافقين(: طرفي السماء) + وفي النهاية: منكبا إسرافيل يحكّان الخافقين

ح- يخرج الدجّال في خفقة من الدِّين... + وفي رواية جابر: وإدبار من العلم

فالأحاديث الثلاثة الأولى مثّلت شواهد لفعلين مستعملين هما: خفق وأخفق وقد قدّم في الترتيب المجرّد على المزيد. في حين مثّلت البقيّة مجموعة وظّفها ابن منظور في تدعيم ما استعمل من مشتقّات الفعل خفق: المصدر أوّلا ثمّ الصفة ثمّ المرّة. وما يلاحظ في تقديمه المشتقّات الفعليّة على الاسميّة في ترتيبه ذاك قد يكون مبنيّا على موقف مبدئيّ في قضيّة خلافيّة مدارها اشتقاق الفعل والمصدر أيّهما يكون من الآخر؟

---

[١] نفسه، مج ١، المقدّمة، ص ذ.

[٢] نفسه، مج٢ ص ٨٦٩. ومن الأمثلة الأخرى في نفس التعريف ما أورده من الحديث في وصف ميكائيل: منكباه يحكّان الخافقين(: يعني طرفي السّماء) وقد أشفعه برواية أخرى عن ابن الأثير: منكبا إسرافيل يحكّان الخافقين.

[٣] نفسه، خضر: مج ٢ ص ٨٤٨ ودمن: مج٢ ص ١٠١٦.

[٤] نفسه، مج ٥ ص ١١٠.

[٥] نفسه، مج٢ ص ص ٨٦٨ – ٨٧٠.

ولئن كان الاختيار هو المنهج المعتمد في اتّخاذ الحديث شاهدا فإنّ الاستطراد لا يقلّ قيمة عنه لأنّه المنهج الذي توخّاه ابن منظور في تذليل صعوبة ما استشكل من الأحاديث وشرح دلالاتها ومضامينها. فقد يكون الاستطراد لغاية دينيّة وقد يكون لغاية لغويّة نستدلّ عليهما بما ذيّل به المؤلّف حديث الأعرابيّ الذي جاء يسأل عن شرائع الإسلام فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أفلح وأبيه إن صدق. ينتهي نصّ الحديث فيستطرد صاحب اللسان بقول ابن الأثير: هذه كلمة جارية على ألسن العرب تستعملها كثيرا في خطابها وتريد بها التأكيد وقد نهى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يحلف الرّجل بأبيه...[1]. وفي الجزء الأوّل من كلام ابن الأثير إشارتان إلى تواتر استعمال العبارة في اللغة وتدقيق دلالتها بينما نجد في جملتها الأخيرة حكما شرعيّا فيه تحريم القسم بغير الله.

ودراسة الأحكام الشرعيّة انطلاقا من الأحاديث النبويّة في المعاجم اللغويّة مفيدة جدّا لما في تلك المعاجم من حرص على الدقّة في توضيح دلالة الألفاظ وما يترتّب عن ذلك من إصابة في فهم الأحكام والمقاصد. لكنّ الاهتمام بالمسائل اللغويّة لا يقلّ عنها شأنا خاصّة ونحن نسعى في هذا المقال إلى النظر في خصوصيّة اللسان وما يميّزه عن غيره من المعاجم في الجوانب اللغويّة التي رافقت الأحاديث. وفي توضيح هذا يمكن أن نعتمد ممّا تقدّم، العيّنة التالية: إيّاكم وخضراء الدمن. واختيارنا لهذه العيّنة تبرّره أسباب كثيرة منها أنّ في الحديث إضافة نوعيّة إلى اللغة متمثّلة في المتلازمة اللفظيّة: خضراء الدمن. ومنها أنّ الحديث ورد بتعريفين متفرّقين من اللسان. ومنها أنّ نصّ الحديث في التعريفين كان مصاحبا بملاحظات لغويّة قيّمة وإن كان النصّ في التعريف الأوّل يختلف بعض الشيء عمّا في التعريف الثاني.[2] والمقارنة بين ما صاحب نصّ الحديث في التعريفين يفضي إلى الملاحظات التالية:

---

[1] نفسه، مج ١ ص ١٢. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ ابن منظور قد يكتفي بتقديم الحديث دون شرح وقد يقتصر على تذييله بملاحظات لغويّة أو بإضافات خاصّة ببعض القواعد والأحكام الشرعيّة. ومن ذلك نذكر العيّنة التالية: وفي حديث سبق الحدث في الصلاة: فليأخذ بأنفه يخرج، قال ابن الأثير: إنّما أمره بذلك ليوهم المصلّين أنّ به رُعافا، قال: وهذا نوع من الأدب في ستر العورة وإخفاء القبيح والكناية بالأحسن عن الأقبح. قال ولا يدخل في باب الكذب والرّياء وإنّما هو من باب التجمّل والحياء وطلب السلامة من الناس (مج ١ ص ١١٥).

[2] النصّ الأوّل: وقوله صلّى الله عليه وسلّم: إيّاكم وخضراء الدّمن. قيل وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: المرأة الحسناء في منبت السّوء. شبّهها بالشجرة الناضرة في دمنة البَعَر وأكلها داء وكلّ ما ينبت في الدّمنة وإن كان ناضرا لا يكون ثامرا. قال أبو عبيد: أراد فساد النسب إذا خيف أن تكون لغير رشدة. وأصل الدِّمَن ما تدمّنه الإبل و الغنم من أبعارها وأبوالها. فربّما نبت فيها النبات الحسن الناضر وأصله في دمنة قذرة. يقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: فمنظرها حسن أنيق ومنبتها فاسد. قال زُفَر بن الحرث: وقد ينبت المرعى على دمن الثّرى# وتبقى حزازات النّفوس كما هيا. ضربه مثلا للذي تظهر مودّته وقلبه نغِل بالعداوة وضرب الشجرة التي تنبت في المزبلة فتجيء خضرة ناضرة ومنبتها خبيث قذر مثلا للمرأة الجميلة الوجه اللئيمة المنصب(مج٢ ص ٨٤٨)

النصّ الثاني: وفي الحديث أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: إيّاكم وخضراء الدّمن. قيل وما ذاك؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء. شبّه المرأة بما ينبت في الدّمن من الكلإ يرى له غضارة وهو وبيء المرعى منتن الأصل. قال زُفَر بن الحرث: وقد ينبت المرعى على دمن الثّرى# وتبقى حزازات النّفوس كما هيا. والدّمنة الحقد المدمّن للصدر والجمع دِمَن. وقيل لا يكون الحقد دمنة حتّى يأتي عليه الدّهر وقد دمن عليه. ودمنت على فلان أي ضغنت. وقال أبو عبيد في تفسير الحديث: أراد فساد النسب إذا خيف أن تكون لغير رشدة. وإنّما جعلها خضراء الدّمن تشبيها بالبقلة الناضرة في دمنة البعر. وأصل الدّمن ما تدمّنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها أي تلبّده في مرابضها. فربّما نبت فيها النبات الحسن النضير. وأصله من دمنة. يقول: فمنظرها أنيق حسن ومنه الحديث: فينبتون نبات الدّمن في السّيل. قال ابن الأثير: هكذا جاء في رواية بكسر الدّال وسكون الميم. يريد البعر لسرعة ما ينبت فيه. ومنه الحديث: فأتينا على جُدْجُد متدمِّن أي بئر حولها الدّمنة. وفي حديث النخعيّ: كان لا يرى بأسا بالصّلاة في دمنة الغنم(مج ٢ ص ١٠١٦).

يتّفق التعريفان في تقديم شاهد من الحديث النبويّ هو نصّ ذو بنية مركّبة:

الحديث: إيّاكم وخضراء الدّمن، وشرحه من الداخل عن طريق الاستطراد: ...المرأة الحسناء في منبت السّوء. كما يتّفق التعريفان في المنهج المتوخّى وقد استطرد ابن منظور إلى ذكر نصّ الحديث مذيّلا بشرح المجاز الذي قام عليه المعنى الاصطلاحيّ المقصود من العبارة: تشبيه المرأة بالشجرة أو البقلة... وفي هذا تدقيق مهمّ لأصل العبارة ومنبعها: "وأصله من دمنة"/"وأصل الدّمن ما تدمّنه الإبل و الغنم من أبعارها وأبوالها"، ثمّ بإشارة إلى شرح أبي عبيد وهو من نقلة الحديث دون ذكر المصدر (كتاب الغريب المصنّف)، ثمّ بتقديم شاهد شعريّ تدعيما لاستعمال مكوّن من مكوّنات المتلازمة: خضراء الدّمن، هو قول زُفر بن الحرث: وقد ينبت المرعى على دمن الثّرى # وتبقى حزازات النفوس كما هيا.

أمّا أوجه الاختلاف فأبرزها يظهر في إضافة مصدر ثان بالتعريف الثاني هو النهاية لابن الأثير وقد ترتّب عن ذكره تدعيم ما استطرد إليه ابن منظور من شروح بشاهدين من الحديث هما: "فأتينا على جُدجُد متدمّن" و" كان لا يرى بأسا بالصلاة في دمنة الغنم". يضاف إلى ذلك ما يلاحَظ من اعتناء خاصّ بشرح بعض مشتقّات دمن شرحا تعدّدت طرقه. فمنه بالمرادف: الدمنة: الحقد ومنه بالتأويل: وقيل لا يكون الحقد دمنة حتّى يأتي عليه الدهر، ومنه بالاشتقاق والتصريف: الدمنة والجمع دِمَن، وقد دمن عليه ودمنت على فلان(أي ضغنت)، ومنه بإثبات التوارد في الاستعمال: (الدِّمْن) هكذا جاء في رواية بكسر الدال وسكون الميم...

ولو نظرنا إلى التعريفين بصورة تأليفيّة لرأينا كيف أنّ ابن منظور جمع في كتابه بين شرح المفردات وشرح العبارات. بل وتجاوز ذلك إلى الاعتناء بشواهد اللغة التي منها الحديث النبويّ نقلا وشرحا وتأويلا. فالظاهر أنّ سمة نظرته إلى اللغة ذرّية ولم يخرج في هذا عن القدامى من اللغويّين والمحدّثين ولكنّ المتأمّل كذلك إلى محاور الشرح بالتعريفين يمكن أن يجد بعض الطرافة والإضافة إلى المعاجم اللغويّة القديمة.

فالاعتناء بالمتلازمات اللفظيّة وشواهد اللغة لذاتها، جمعا ووضعا في اللسان وما يترتّب عن ذلك من تصوّر مفترض لمعاجم عربيّة خاصّة بهذه العناصر[1] قد لا نبالغ إن قلنا إنّه من المميّزات التي تكسب اللسان منزلة فريدة في القاموسيّة العربيّة. إذ يتجاوز تقديمُ الشاهد أحيانا مجرّدَ النقل إلى شرح لغة مكوّناته وعباراته شرحا يلفت الانتباه بتعدّد محاوره. فقد يهتمّ صاحب اللسان بالمعاني الاصطلاحيّة لبعض العبارات الواردة في الشاهد ويذلّل صعوبة فهمها بتدقيق معانيها الحرفيّة الظاهرة وتوضيح أصولها وما بنيت عليه من مجاز. وقد يعتني بمكوّنات العبارة الواحدة فيقدّم المرادف والاشتقاق والتوارد بإثبات الاستعمال في شواهد اللغة من الشعر والحديث مثلما رأينا في ما تقدّم...

٤.الخاتمة

تناولنا في هذا البحث الحديث النبويّ الشريف باعتباره من شواهد العربيّة التي اهتمّ بها اللسان اهتماما خاصّا في مستويي جمع المادّة ووضعها. وتبيّن لنا أنّ نقل هذا النوع من الشواهد وتوظيفه لم

[1] ينظر في ذلك على سبيل المثال: توارد المتلازمات اللفظيّة في القواميس: لسان العرب لابن منظور نموذجا، في ع. بن عمر، المتلازمات، ص ١٨٩ وما بعدها.

يخرجا كثيرا عن المنظومة القديمة لاسيّما في اتّباع منهج اللغويّين والمحدّثين. فكان اختيار الموادّ اللغويّة بشواهدها صفويّا أثّر تأثيرا بيّنا في حجم ما جُمِع من رصيد بصرف النظر عمّا أضافه ابن منظور في ما قدّم من دلالات إسلاميّة جديدة لم تكن موجودة في الجاهليّة وما سجّله من بعض الاستعمالات اللهجيّة المهمّة في وصف العربيّة في فترات من تاريخها. لكنّ ما يلفت الانتباه في الكتاب هو استطراد صاحبه في الكثير من الأحيان إلى شرح تلك الشواهد من الحديث النبويّ شرحا مقصودا لذاته ومعالجة ما تضمّنته من عبارات معالجة قاموسيّة مفيدة بمحاورها المتعدّدة، في تقديم مادّة ثريّة قد تساعد في إنجاز معاجم أثليّة وتاريخيّة ما تزال المكتبة العربيّة في حاجة إليها. ورغم ذلك تبقى كلّ هذه الملاحظات في حاجة إلى التدقيق والإثراء بدراسات أخرى تتناول بقيّة الشواهد من القرآن والأمثال والشعر.

المصادر والمراجع

- **أبو الهيجاء** (أحمد) **وعمايرة** (خليل أحمد)، فهارس لسان العرب، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.
- **ابن عمر** (عبد الرزّاق)، المتلازمات اللفظيّة في اللغة والقواميس العربيّة، مجمّع الأطرش لنشر الكتاب المختصّ وتوزيعه، تونس، ديسمبر، ٢٠٠٧.
- **ابن منظور** (محمّد بن مكرم بن علي)، لسان العرب المحيط، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٨٨.
- **حلمي موسى** (علي) و **شاهين** (عبد الصبور)، دراسة إحصائيّة لجذور تاج العروس للزبيدي، منشورات جامعة الكويت، ١٩٧٣.
- **الحمزاوي** (محمّد رشاد)، المعجم العربيّ: إشكالات ومقاربات، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ١٩٩١.
- **الزمخشري** (جار الله أبو القاسم محمود)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.
- **السيوطي** (عبد الرحمان جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر، دار الجيل، بيروت، د. ت.

٢٧. منظومة الكون بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

أ.د/ أحمد عبد القادر الشاذلي
(كلية الآداب – جامعة المنوفية – مصر)

منظومة الكون هي تلك المنظومة القائمة على نظام دقيق يؤكد على أن خالق هذه المنظومة اله قادر مبدع، كل من ينظر إليها ويتأملها ويتدبرها لابد أن يؤمن بأنها من صنع اله واحد أحد، فتبارك الله أحسن الخالقين.

منظومة الكون تتضمن السموات والأرضين وما بينهما، من شموس ونجوم وكواكب ودروب ومجرات وأقمار وأجرام وما على الأرض من بحار وأنهار وجبال وهضاب وصحاري وسهول وقارات وجزر وأشجار وفلك وحيوان وإنسان.

وما تحت الأرض من براكين وزلازل ومعادن وأوتاد لجبال راسيات ومنصهرات وطبقات.

فإذا ما اخبر الحق سبحانه وتعالى عن مكنونات هذه المنظومة فإنما هي دعوة للإنسان بما وهبه الرحمن من عقل وحواس للنظر و التأمل و التدبر في هذه المخلوقات لإدراك كنه هذا الكون، وأنه لابد من انه لكل مصنوع صانع ولكل مخلوق خالق.

والإيمان بالله وبالوحدانية هو أساس كل الأديان السماوية، والإسلام يؤكد على هذا الأصل الذي هو أصل لكل فرع، والإيمان بالله وبالوحدانية لا يأتي إلا بالعقل الذي وهبه الله للإنسان لكي يتدبر في كونه.

وجاء القرآن الكريم المنزل من رب العالمين ليدعو الإنسان إلى النظر في الكون والمخلوقات، قال تعالى : " إن في خلق السموات والأرض لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار" وقال تعالى : " والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها " الشمس والقمر والسماء والأرض من مخلوقات هذه المنظومة والنظر في كل أية يثبت أنها آية من آيات الله ومعجزة لمن وهبه الله العقل.

فالسماء بناء والأرض بيضاء قال تعالى " تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور " (الملك).

السموات طباقا، ومن الأرض مثلهن أي طباقا، وما كان لأحد أن يعرف أن السموات والأرض طبقات إلا بإخبار الحق سبحانه وتعالى.

وجاء عن رسول الله صلى عليه وسلم أنه قال (من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين) أو (من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع ارضين) أو كما قال صلى الله عليه وسلم (من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين) فإن الأرض سبع طبقات، وقد أكد العلم الحديث أن الأرض سبع طبقات هي النواة وهى صلبة جدا يحيط بها طبقة

سائلة ذات درجة حرارة عالية محيطة بها ثلاث طبقات ثم غلاف صخري ملتهب ثم القشرة الأرضية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا) " رواه أبو داود " وقد أكد العلماء أن الحمم التي تخرج من الطبقة الثالثة للأرض فيما يسمى بنطاق الضعف الأرضي تحتوي على ماء، وأثبت العلم أن تحت النار ماء فالحقيقة العلمية الثابتة هي وجود نار تحت أي بحر وتحت هذه النار ماء يقدر بأضعاف ما يوجد في البحار وهنا نجد اجتماع الماء والنار دون أن يطفئ أحدهما الآخر وهذا يؤكد ما نشاهده في أعماق البحار فالمواد المنصهرة لا تبخر ماء البحر ولا البحر يطفئ النار. فمن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العلم إنه الحق سبحانه وتعالى.

الإسراء والمعراج ومنظومة الكون

عندما ذكر النبي صلي الله عليه وسلم ما حدث له من إسرائه ليلا الى المسجد الأقصى ثم عروجه إلى السموات العلا كذبه المشركون وصدقه المسلمون وكان تكذيب المشركين قائم على عدم إمكانية تحقيق هذا الإسراء وهم يضربون أكباد الإبل شهرا حتى يصلون إلى تلك البلاد فما بالك بالعروج إلى السموات العلا والوصول إلى سدرة المنتهى ! أما المسلمون صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم استنادا إلى إيمانهم بالله وشهادتهم بالوحدانية وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فان هذا الإيمان المطلق قد دفعهم إلى التصديق حتى وإن لم يتأكدوا من ذلك بعقولهم، ولكن العلم الحديث أثبت إمكانية حدوث الإسراء والمعراج قال تعالى " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا " (الإسراء) ثم جاءت بعض التفاصيل في سورة النجم في قوله تعالى " والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى " وقال تعالى " ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى " (النجم ١-١٨).

وحكى النبي صلى الله عليه وسلم قصة الإسراء والمعراج كاملة، وجاء العلم الحديث يؤكد إمكانية حدوث ذلك فإنه بناء على حركة الكون فإن لكل جسم مادي حركة دائمة مستمرة لا تتوقف إلا بفناء الكون، فالإلكترون يدور حول الذرة في مدار خاص، والأرض تدور حول الشمس والقمر يدور حول الأرض والشمس والأرض والقمر كل واحد منهم يدور حول نفسه والنجوم تدور حول نفسها وحول المجرة، والمجرة تدور حول نفسها بسرعة فالكون يدور قال تعالى " والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " (يس ٣٨-٤٠)

وقال تعالى " وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون "(الأنبياء ٣٣) فإذا كانت الأرض تدور حول الشمس كل ٣٦٥ يوم تقريبا وتدور الشمس حول نفسها كل ٩٧ يوما تقريبا وتدور حول المجرة في كل ٢٢٥ مليون سنة وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون، والكون مؤلف من طول وعرض وارتفاع وزمان، والزمان غير ثابت. قال تعالى في سورة المعارج " سأل سائل

بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " (المعارج ١-٥) وقال تعالى " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون " (السجدة ٥) وقد اكتشف سرعة الضوء التي تؤكد ان هناك سرعة يتوقف عندها الزمن فالملائكة والروح تقطع المسافة في لحظات كما يقطع الضوء المسافات وذلك بسبب سرعتها الخارقة، وتنتقل الملائكة بين النجوم ولا يمر عليها زمن وهنا نفسر إسراء ومعراج النبي صلى الله عليه وسلم فقد عُرج به إلى السماء، وعاد خلال لحظات حيث كان فراشه لا يزال دافئا فإذا كان اليوم عند الله بألف سنة مما على الأرض فإن المسافة التي يقطعها الملائكة خلال يوم واحد تعادل سرعة الضوء.

إن الإسراء والمعراج من معجزات هذا النبي الأمي الذي جاء بالقرآن الكرم، وتكلم في منظومة الكون التي لم يكتشف منها اليوم إلا القليل.

الكسوف والخسوف

الكسوف للشمس والخسوف للقمر من آيات الله قال الحق سبحانه وتعالى " والنجم إذا هوى " وكان القدماء يفسرون ظاهرة الكسوف بالاعتقاد في أن الشمس عندما تنكسف إنما لموت إنسان عظيم أو أنها تنذر بشؤم يؤدي إلى خسران مبين، وكان العرب قديما يظنون هذا الظن، وعندما مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عيه وسلم حدث كسوف للشمس فظن المسلمون أن ما حدث للشمس بسبب موت إبراهيم، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تبارك وتعالى لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته " (رواه البخاري ومسلم).

الكسوف ظاهرة ناتجة عن مرور القمر بين الأرض والشمس فيحجب أشعة الشمس فلا تسقط على الأرض ويحدث الكسوف، والخسوف ظاهرة ناتجة عن وقوع الأرض بين الشمس والقمر وقد ورد الكسوف والخسوف في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف قبل أن يتعرف العلماء على هذه الظواهر بل أن العلماء استطاعوا أن يحددوا وقت حدوثها تبعا للنظام الدقيق الذي وضعه الحق سبحانه وتعالى لمنظومة هذا الكون.

العلاقة بين اللون والحرارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة " (رواه الترمذي).

فقد ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النار بحرارتها لها درجات ودرجات الحرارة مرتبطة بلونها فاللون الأحمر هو أول الألوان وأقل حرارة والأبيض يليه والأسود هو أعلى درجات الحرارة وقد قال الحق سبحانه وتعالى " هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية " (الغاشية ١-٤) وحامية تدل على شدة الحرارة وتدل على تغير الألوان، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيد على أن اللون الأبيض هو منتصف الألوان أو معادل في منتصف

ألوان الطيف، كما أكد على أن هناك علاقة بين الحرارة واللون وهو ما لم يتوصل إليه العلماء إلا في العصر الحديث.

لقد وضع العلماء أرقاما ودرجات للألوان فاللون الأحمر يبلغ طول موجة اللون ٧٠٠ نانو متر والبنفسجي طول موجته ٤٠٠ نانو متر ولذلك وجدوا أن النجوم تتغير ألوانها تبعا لدرجة حرارتها فالنجم الذي لونه أحمر درجة حرارته ٤٠٠٠ كلفن والنجم الذي لونه أبيض درجة حرارته ١٠ آلاف درجة والنجوم التي حرارتها أكثر من ذلك زرقاء قائمة إذن هناك تدرج للألوان تبعا لدرجة الحرارة وهذا تأكيد لما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان اللون الأبيض لونا مركزيا يطلق عليه " توازن اللون الأبيض " فإن اللون الأسود هو آخر الألوان ظهوراً حيث نجد العلماء قد توصلوا إلى الثقب الأسود الناجم عن انفجار نجم كانت درجة حرارته عالية جدا وهذا ما قاله الحق سبحانه وتعلى في قوله " والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب " فالنجم الثاقب الذي أحدث الثقب الأسود يمثل المرحلة النهائية من عمر النجوم العالية الحرارة ويمثل المرحلة النهائية من ألوان النجوم، واللون الأسود هو آخر الألوان الحرارية.

فكيف علم النبي صلى الله عليه وسلم بتدرج الألوان وعلاقتها بالحرارة، إنه الحق سبحانه وتعالى " علمه شديد القوى ".

حماية منظومة الكون

منظومة الكون منظومة متكاملة متماسكة مترابطة تسير وفق قوانين إلهية منظمة، فإذا ما سعى الإنسان للحفاظ عليها وحمايتها وفقا لما أراده الحق سبحانه وتعالى عاش الإنسان في كنف هذا الكون سعيدا وإذا ما أهمل وتكبر وتجبر وسعى في خرابه فلن ينال إلا التعاسة والمعاناة.

والإنسان مكلف بحماية الأرض وما عليها قال تعالى " كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين " (البقرة ٦٠) وقال تعالى " ولا تفسدوا في الأرض " (الأعراف ٨٥) وقال تعالى " ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين " (القصص ٧٧) وقال تعالى " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " (البقرة ٢٠٥).

إذا الإنسان مكلف بألا يسعى في إفساد الكون طبقا لما جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله " من أحيا أرضا ميتة فهي له " (الترمذي) وقال صلى الله عليه وسلم " لا يغرس المسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شئ إلا كانت له صدقة " (مسلم).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أو من دعا لحماية الأرض وأول من أنشأ محمية طبيعية حين منع قطع الشجر وقتل الحيوان في المدينة، وحمى كل ناحية من المدينة على بعد اثنى عشر ميلا " لا يخبط شجره (لا ينزع) ولا يعضد (يقطع) إلا ما يساق به الجمل " (أبو داود) وأمر في المدينة ألا ينفر صيدها ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف الرجل بعيره (أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اني أحرم ما بين لابتي المدينة : أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها، وقال عن واد الطائف " إن صيده وعضاهه حرام " (أبو دواد) إذن الإنسان مطالب بحماية الأرض وما عليها.

إن الإسلام يقوم على مبادئ أكدها القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة تؤكد على حماية الكون.

قال تعالى " لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير " (المائدة ١٢٠) وبناء على هذه القاعدة فإن مخلوقات الله جميعا متساوية في حقوقها، ولذا فإن حمايتها ومنع الإساءة إليها أو الإضرار بها من صحيح الاعتقاد، والإضرار بأي من مخلوقات الله سواء أكانت حية أو جامدة فهي ذنب يجازى عليه فاعله، والاعتقاد بالوحدانية يوجب على الإنسان الاعتقاد في احترام حقوق الآخر وحماية الأرض وما عليها وما فيها.

والإنسان يتمتع بوضع متميز بين المخلوقات فقد اصطفاه الحق سبحانه وتعالى وحمله المسئولية، قال تعالى " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر " وقال تعالى " ولقد عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا ".

فالإنسان مسئول عن حماية الأرض وعمارتها والإسلام ينظم الاستفادة من الموارد التي منحها الله لعباده فالناس شركاء في ثلاث " الماء والكلأ والنار " ودعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى اعتبار الأرض مكانا مقدسا يجب حمايته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ".

فالأرض كلها مسجد وطاهرة فهي مقدسة معظمة، والمسلم يتيمم بترابها إذا لم يجد ماء. وطالب رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أحيا أرضا ميتة فله أجر " وكل من زرع أرضا قاحلة صارت له.والإنسان مكلف بالمحافظة على الماء قال تعالى " وجعلنا من الماء كل شئ حي " (الأنبياء ٣٠) وقال تعالى " أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون " (الواقعة ٦٨-٧٠).

الإسلام يدعو للحفاظ على موارد المياه وينهى عن تلويثها بأي شكل من الأشكال.

كما أن الإسلام يحافظ على الحيوان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قتل عصفورا فما فوقها بغير حقها سأل الله عز وجل عنها يوم القيامة " واهتم الإسلام بالخيل والإبل " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة ". فقد أكد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ضرورة الحفاظ على الكون وحمايته لصالح البشرية.

منظومة السموات

السموات جمع سماء والسموات سبع والسموات نظام متكامل مترابط وليس مجرد فضاء خال أو فارغ من المادة، قال تعالى " الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن " (الطلاق) والسموات مرفوعات بلا عمد ترونها، وترونها تعني أن هناك أعمدة فعلا ولكننا لا نراها وقد اكتشف العلماء نظريات الجاذبية ونظريات الطرد المركزي. قال تعالى " خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم " (لقمان).

فالسموات يمتلأن بالأثير والأثير مادة شفافة كالهواء وليس هواء وذراته أدق من الهواء، ولكنها لا ترى ولا تلمس، وتخترق الفراغ وتتخلل الأجسام ولولا هذا الأثير الذي اكتشفه العلماء حديثا ما دارت

الكواكب في أفلاكها وما حملت الأجرام السماوية قال تعالى " وكل في فلك يسبحون " (يسن) والسباحة لا تكون إلا في وسط مناسب من ماء أو هواء أو غاز أو غير ذلك من مواد لم نتوصل إليها بعد، ولذلك كان الأثير هو تلك المادة التي هي أعمدة تحمل السموات قال تعالى "والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون" (الذاريات) وقال تعالى "والله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم" (غافر) والسماء بناء يتضمن طبقات غازية وأثيرية يدور فيها الكوكب والنيازك والشهب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد" والنجوم وذهابها وانكدارها وطمسها وانفجارها وزوالها وتحولها إلى دخان من أسرار نشأة الكون، فمن علم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. إنه الحق سبحانه وتعالى وما ينطق عن الهوى.

يأتي الحديث النبوي الشريف ليفسر أحيانا بعض الظاهر الكونية كما يؤكد على حقيقة ما ورد في القرآن الكريم ومن ذلك ما نراه وما أكده العلم الحديث من أن هناك رماد يسقط من السماء إلى الأرض كل يوم يقدر بأربعين ألف طن يوميا وهو رماد من النيازك التي تدور حول الأرض ويسقط بعضها ويتفتت قطعا صغيرة، وجد العلماء منها قطعة تزن ٣٦ طنا بمتحف بنيو يورك وأخرى وجدت في سيبريا (قرب قتوفارا).

وقد ورد ذكر هذه النيازك والشهب في آي القرآن الكريم في قوله تعالى " إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (سبأ) وقال تعالى " وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولون سحاب مركوم " (الطور) والكسف هي النيازك والفرق بين النيازك والشهب أن الأولى باردة والثانية مشتعلة بسبب وجود عناصر قابلة للاشتعال كالكبريت والفسفور والصوديوم والماغنسيوم وهي تشتعل عند ملامستها لأجرام أو مواد أخرى وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، قال تعالى " إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب " (الصافات) وقال تعالى " وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا " (الجن).

الخلاصة

منظومة الكون بما فيها من سموات وأرضين، وما يجري بها من شموس ونجوم وكواكب وأقمار ونيازك وشهب وما يحدث فيها من ظواهر كالكسوف والخسوف والليل والنهار والصيف والشتاء والخريف والربيع والجزر والمد والحركة والسكون والرياح والأمطار والزلازل والبراكين كل هذه الظواهر تسير وفق ترتيب الهي بلا خلل، وخلقها وفق هذا النظام الدقيق ورد تفصيله في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولم يكن هناك تفسير لتلك الإشارات الربانية أو تفسير لتلك الأقوال النبوية إلا في عصور متأخرة بل إن بعضها لم يصل الإنسان بعد إلى تفسيره.

فإذا كان المسلمون الأول قد آمنوا بالله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم دون أن يعرفوا أو يفسروا كل ما فسره العلم الحديث، فما بال البشر الآن وقد برز للعيان تفسير لكثير من مكنونات الخلق الذي يؤكد أن لهذه المخلوقات خالق وهو الله، فتبارك الله أحسن الخالقين.

٢٨. الحديث النبوي في رواية المحدثين واحتجاج اللغويين والنحويين: دراسة وصفية نقدية

أ.د. عبدالرزاق عبد الرحمن السعدي

(جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن - عمان)

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

مقدمة في ملخص البحث:

إن قضية الاحتجاج بالحديث النبوي لإثبات قاعدة لغوية أو تقرير حكم نحوي أو صرفي- قضية شغلت بال العلماء اللغويين عموماً، والنحويين خصوصاً، من القدماء والمحدثين، فمنهم من يحتجّ به مطلقاً، ومنهم من يرفض ذلك مطلقاً، ومنهم من يحتجّ به بشروط وضوابط، ولكل فريق دليله، وهذه القضية ترتبط ارتباطاً وثيقاً برواية الحديث النبوي، والمسالك التي انتهجها المحدثون ورواة الحديث في نقد متن الحديث وسنده؛ لذا فإن هذا الموضوع يأخذ ثلاثة مسارات في هذا البحث:

١- توضيح المصادر التي اعتمدها العلماء في تقعيد القواعد العربية، وما جرى من خلافٍ في اعتبار الحديث النبوي واحداً من مصادرها.

٢- توضيح بعض القضايا من علوم الحديث ومصطلحاته التي يتعلق بها موضوع الاحتجاج اللغوي.

٣- بيان نماذج من الاحتجاج بالحديث النبوي والاستشهاد به للقواعد اللغوية.

متى وضعت قواعد اللغة العربية ؟:

لم يكن للعرب القدامى قبل الإسلام وفي صدر الإسلام الأوَّلِ قواعدُ يضبطون بها لغتهم؛ -على أرجح الأقوال-[١] لأنهم لم يكونوا بحاجة إليها، إذ كانوا يتكلمون العربية الفصحى بفطرتهم وسلامة سليقتهم العربية، مع اختصاص كُلّ قبيلة عربية بلهجتها الخاصة بها، لكنَّ العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم كانت لغتهم السائدة، التي يفهمونها ويتحدثون بها، دون لحن أو لكنة، لذلك أدركوا عظمة إعجاز القرآن الكريم، الذي نزل بتراكيب لغوية عجزوا عن أن يأتوا بمثلها جملة وتفصيلا.

ولما اختلط العربُ بغيرهم من أهل اللغات الأخرى (الأعاجم) إثر الفتوحات الإسلامية، وسكنوا بلادهم وعايشوهم، إذ أنّ الإسلام آخى بين المسلمين دون نظر إلى لغةٍ أو لهجةٍ، فاندمج العرب مع غير العرب في الأخذ والعطاء والأفكار والأخلاق والأعراف، -حصل تأثر وتأثير في الجانب اللغوي، فكما أن غيرَ العرب كانوا مُلزَمين بتعلم العربية وبخاصة ما يهم شؤون دينهم، كذلك تأثرَ العربُ بألسنة الأعاجم، فبدأت بوادر اللحن تظهر على ألسنة بعض أبناء العربية، وتنبه أولو البصيرة منهم إلى أن الأمر ليس هيّناً؛ لأنه سيؤدي إلى إفساد اللغة، وضياع العصبية من جهة، وإلى التفريط في صيانة الدين من جهة أخرى؛ لأن سلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن والحديث الشريف، وأن الضعف في العربية تضييع لهذا الفهم.[٢]

---

١ هناك من ذهب إلى أن قواعد العربية قديمة أبلتها الأيام وجدّدها الإسلام منهم ابن فارس اللغوي في كتابه الصاحبي.

٢ الخصائص، لابن جني: ٨/٢. المزهر، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي:٢/ ٣٩٧. في أصول النحو، سعيد الأفغاني: ٦-٧. معجم الأدباء،

لذا انبرى ثلة مباركة من هذه الأمة؛ لتدوين اللغة وجمعها واستنباط قواعد النحو وتصنيفها، وكان ذلك بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتوجيهه الصادر إلى أبي الأسود الدؤلي -على أشهر الأقوال-[1]، إذ كلفه بوضع قواعد النحو والإعراب والصرف وما إلى ذلك، وكان وضع القواعد قائماً على السماع والقياس، أما القياس فموضوعه واسعٌ تكلم عنه علماء أصول النحو، ومجاله في غير هذا البحث.

وأما السماع فنتحدث عنه باختصار لأنه يلامس بحثنا هذا، والسماع كما قال السيوطي: (السماع وأعني به ما ثبت في كلامِ مَنْ يوثقُ بفصاحته)[2] وبذلك يكون السماع استقراء كلام العرب، وسبر مفرداتهم وتراكيبهم؛ لبناء القاعدة عليها، وهذا معنى الاحتجاج، الذي يراد به إثبات صحة القاعدة من خلال دليل نقلي صحيحِ السندِ إلى عربيٍّ فصيح سليم السليقة.[3]

ومن هنا اختطَّ أهلُ العربية منهجاً، يعالجون به استفحال داء اللحن، فوضعوا شروطاً وضوابط للكلام العربي الذي يحتجون به، وكانت تلك الشروط سبباً لإسقاط كلامِ كثير من العرب فلا يحتج به حتى لو كان في زمن الجاهلية.[4]

أقسام السماع:

كما أسلفنا فإنّ السماع يعدُّ واحداً من الأسس التي تبنى عليها القاعدة اللغوية، ثم يأتي من بعده القياس والإجماع والاستصحاب، كما هو معلوم في كتب أصول النحو، وعلوم اللغة، ويدخل في المسموع من كلام العرب الأنواع الآتية:

١- القرآن الكريم.
٢- القراءات القرآنية.
٣- الحديث النبوي.
٤- الكلام العربي نثراً وشعراً.

أولاً- القرآن الكريم:

وهو كلام الله المنزل الذي أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم عن أن يأتوا بشيءٍ مثله، فكما هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، فإنه أيضاً هو المصدر الأول والأعلى على الإطلاق لقواعد اللغة العربية، وقد أجمع العلماء على أن القاعدة اللغوية التي تُبنى على نصٍ قرآنيٍّ تُعدُّ قاعدةً رصينةً غير قابلة للنقض، قال الفراء: (الكتاب –أي: القرآن- أعربُ وأقوى في الحجة من الشعر)[5].

ثانياً- القراءات القرآنية:

لياقوت:٦٧/١. الأضداد، لابي بكر بن الأنباري: ٢٤٤. الأدب المفرد، للبخاري: ٢٢٧.

[1] هناك أقوال أخرى في أول مَن وضع النحو العربي، فقيل: عمر بن الخطاب، وقيل غير ذلك.

[2] الإصباح في شرح الاقتراح للسيوطي، تأليف د. محمود فجال: ٦٧. فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، لابن الطيب الفاسي: ١١٤/١.

[3] ارتقاء السيادة في علم أصول النحو للشاوي: ٣٥. أصول النحو، للأفغاني:٦.

[4] المصدر السابق: ص١٥.

[5] نظرية نحو القرآن، د. أحمد مكي الأنصاري: ٤٢. الإصباح في شرح الاقتراح، د. محمود فجال: ٦٧.

احتجّ اللغويون والنحويون لقواعد اللغة العربية بالقراءات القرآنية المتواترة والآحادية والشاذة، قال السيوطي: (وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه)[1].

ثالثاً- الحديث النبوي:

وهو أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة التي روت أفعاله وأحواله، وما وقع في زمنه صلى الله عليه وسلم، وقد تتضمنُ كتب الحديث أقوالَ بعض التابعين كالزهري وهشام بن عروة وعمر بن عبدالعزيز.

والاحتجاج به لقواعد اللغة العربية أمرٌ مختلف فيه، وهو موضوع بحثنا هذا وسنتكلم عن ذلك بالتفصيل.

رابعاً- الكلام العربي نثراً وشعراً:

نقل الرواة كلاماً عربياً منظوماً ومنثوراً قالته العرب من أهل المدر والوبر من القدماء والمحدثين، فتصدى علماء العربية لهذا المروي بالمتابعة والنقد وأجمعوا على أنه لا يحتج لقواعد العربية إلا بقول من يوثق بفصاحته وسلامة عربيته[2]، وهذا يدعو إلى تفصيل القول في تحديد الكلام الذي يحتج به زماناً ومكاناً وأحوالاً:

أولاً- زمان الاحتجاج:

احتج العلماء لتقعيد القواعد اللغوية والنحوية بأقوال عرب الجاهلية، وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري ممن سكن منهم الحضر، وأما أهل البادية فقد استمر العلماء يدونون لغاتهم حتى فسدت سلائقهم العربية في القرن الرابع الهجري.[3]

وصنفوا الشعراء إلى أربعة أصناف بحسب الترتيب الزمني وهم:

١- الشعراء الجاهليون: الذين لم يدركوا الإسلام، كامرئ القيس والأعشى وغيرهما، والإجماع قائم على الاحتجاج والاستشهاد بشعرهم.

٢- الشعراء المخضرمون: الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، مثل لبيد وحسّان، ولا خلاف في الاحتجاج بشعرهم.

٣- الشعراء الإسلاميون: الذين لم يدركوا شيئاً من الجاهلية قبل الإسلام، ويقال لهم: (المتقدِّمون)، مثل جرير والفرزدق، وهناك خلاف في الاحتجاج بشعرهم، والصحيح جواز الاحتجاج به[4].

٤- الشعراء المولدون: الذين جاؤوا بعد منتصف القرن الثاني الهجري إلى زماننا، ويقال لهم: (المحدَثون)، وأولهم بشار بن برد (ت ١٦٧هـ)،[5] ثم أبو نؤاس وغيرهما، وقد جرى خلاف في الاستشهاد

---

[1] المحتسب لابن جني: ١٠٦/١. الاقتراح للسيوطي مع شرحه الاصباح: ٦٨.

[2] الاقتراح للسيوطي: ٩٤.

[3] المصدر السابق: ٩٩-١٢٢. الخزانة، للبغدادي: ٢٣٠/٣.

[4] المصدرين السابقين.

[5] المصدرين السابقين.

بشعرهم، والصحيح عدم الاستشهاد به، وذكر السيوطي الإجماع على ذلك، وبعضهم يرى جواز الاستشهاد به؛[1] مستدلين باستشهاد سيبويه بشعر بشار بن برد في الكتاب، وقيل: إن سيبويه استشهد بشعره خوفاً من لسانه، وممن اختار الجواز الزمخشري إذ استشهد في أوائل تفسير سورة البقرة ببيت من شعر أبي تمام الطائي (ت ٢٣١هـ)[2]، كما اختاره الرضي الاستراباذي في شرح الكافية إذ استشهد أيضاً بشعر أبي تمام، وكان آخرَ من يحتج بشعره بالإجماع إبراهيمُ بنَ هَرْمَةَ (ت ١٧٦هـ) الذي ختم به الأصمعيُّ الشعرَ[3].

ثانيا- مكان الاحتجاج:

والمقصود به القبائل التي اختلفت درجاتها في الاحتجاج بحسب قربها أو بعدها من الاختلاط بالأمم الأخرى المجاورة لأراضي العرب فكان التفصيل الآتي:

١- كلام القبائل في قلب الجزيرة العربية يستشهد به ويحتج للقاعدة اللغوية، مثل كلام قريش، وقيس، وتميم، وأسد، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم، وكانت قريش أجود العرب لغةً، وأصفاهم كلاماً، وأفصحهم حديثاً[4].

٢- كلام القبائل العربية التي على السواحل، أو في جوار الأعاجم، فهؤلاء لا يستشهد بكلامهم، كلخم، وجذام، وقضاعة، وغسان، وتغلب، وغيرهم، وقد احتج بعض العلماء بكلام بعضهم مثل ابن مالك.

٣- كلام أهل الحضر، لا يؤخذ ولا يستشهد به لقواعد اللغة، وبخاصة حاضرة الحجاز لاختلاطهم بغيرهم وفساد ألسنتهم[5].

ثالثا- أحوال الاحتجاج:

ويعنى به أحوال العرب الذين يصح الاحتجاج بكلامهم، فأفضل أحوالهم ما كان أعمق في البادية وألصق بعيشتها؛ للوثوق من سلامة لغتهم وعدم تطرق الفساد إليها.

ولهذا أسقط العلماء الاحتجاج بشعر أمية بن أبي الصلت، وعدي بن زيد العبادي، وحتى الأعشى عند بعضهم؛ لمخالطتهم الأجانب، وتأثر لغتهم بهذه المخالطة، مع أن هؤلاء شعراء جاهليون.

وقد احتج العلماء بكلام الإمام الشافعي الذي عاش في منتصف القرن الثاني الهجري وتوفي في مطلع القرن الثالث سنة (٢٠٤هـ)، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل: (كلام الشافعي في اللغة حجة)[6] لسلامة نشأته، وتقلبه في البيئات العربية السليمة.

احتجاج اللغويين والنحويين بالحديث النبوي الشريف:

---

[1] المصدرين السابقين.

[2] الاقتراح للسيوطي: ١٢١. الاعلام للزركلي: ١٦٥/٢.

[3] البداية والنهاية، لابن كثير: ١٦٩/١٠. الاقتراح، للسيوطي: ١٢٣.

[4] المغني في النحو، لابن فلاح: ٥١/١. الاقتراح، للسيوطي: ٩٠-٩٢.

[5] المصدرين السابقين.

[6] الاقتراح، للسيوطي: ٩٥.

معلوم أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم وجعله عربياً، ولم تَعْهَدْ ولن تَعْهَدَ اللغةُ العربيةُ في تاريخها شيئاً يتقدم على القرآن بياناً وبلاغةً وإعجازاً، فهو كلام رب العالمين، وهو أرقى وأمتن نص تعتمد عليه العربية في صياغة قواعدها وقوانينها الإعرابية والاشتقاقية على الإطلاق.

والمنهج الحق يقتضي أن يأتي الحديثُ النبويُّ بعد القرآن الكريم في الاحتجاج به، متقدماً على سائر كلام العرب نثره وشعره[١]، فليس بعد القرآن كلامٌ عربيٌّ أبلغُ من الكلام النبوي، ولا أفصح من ألفاظه ومفرداته وتراكيبه، ولا أصح ولا أقوم من معانيه ودلالاته؛ ذلك لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم مُبلِّغ عن ربه، كما قال تعالى: {وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى} (النجم: ٣-٤)، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أفصح العرب على الإطلاق، لأنه من قريش وهي أفصح قبائل العرب بالاتفاق، وقد ولد عليه الصلاة والسلام ونشأ في مكة وهي موطن قريش، كما أنه عليه الصلاة والسلام استُرضِع في بني سعد بن بكر وهم أهل بادية عربية نقية، وبذلك يكون صلى الله عليه وسلم قد جمع أسباب كمال الفصاحة والبيان وطلاقة اللسان من أطرافها، وكان القرآنُ الكريمُ زادَه الأعظم الذي منحه مرتبة بلاغية عالية فآتاه جوامع الكلم حتى صار أسلوبه تالياً لاسلوب القرآن في الإبداع والإفصاح، وهو صلى الله عليه وسلم القائل: (أنا أعربكم، أنا من قريش، ولساني لسانُ بني سعد بن بكر)[٢].

لكن ذلك لم يكن، ولم يحصل في تاريخ العربية كما ينبغي لتقعيد القواعد وتأسيس علوم العربية على ضوء الحديث[٣]، ولم يعتمد علماء النحو الأوائل نصوص الحديث شاهداً لقوانينهم النحوية.

فقد انصرف اللغويون والنحويون المتقدمون إلى ما يُروى لهم من أشعار العرب انصرافاً استغرق جهودهم في اثبات البيت الشعري وقائله ولغته وما فيه من أحكام لغوية ونحوية، ولم يبق للاحتجاج بالحديث النبوي شيءٌ، ولم ينتشر ذكر الحديث في كتبهم اللغوية والنحوية لعدم احتجاجهم به، وتبرز شحة الاحتجاج بالحديث في كتب النحو والصرف أكثر من علوم العربية الأخرى التي نجد فيها حضوراً للحديث النبوي كما في معاجم اللغة[٤].

غير أن العلماء لم يعللوا إغفالهم الاستدلال بالحديث، بل بقي لديهم الأمر مسكوتاً عنه، إلى أن جاء علي بن محمد أبو الحسن الإشبيلي المعروف بابن الضائع (ت ٦٨٦هـ)، فأثار هذه القضية، ووضعها على بساط البحث، وبيّن أسباب إحجام النحويين عن الاستشهاد بالحديث، وبذلك يكون ابن الضائع أول من نبه إلى هذا الموضوع، ثم صرح بأن أول من أكثر من الاستشهاد بالحديث النبوي هو علي بن محمد المعروف بابن خرّوف (ت ٦٠٩هـ)، ثم جاء من بعده ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، فأكثر من الاستشهاد بالحديث في كتبه النحوية، وبخاصةٍ كتاب (التسهيل)[٥]، وعللوا ذلك بعلل لا تقوى على ردّ

---

[١] موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، د. خديجة الحديثي: ٥.

٢ رواه ابن سعد عن يحيى بن زيد السعدي مرسلاً، وقد رمز السيوطي لهذا الحديث بأنه صحيح. الجامع الصغير للسيوطي: ١٦١/١.

[٣] الاقتراح، للسيوطي: ٧٤. ارتقاء السيادة في أصول النحو، للشاوي: ٤٧. في أصول النحو، للأفغاني: ٤٦.

[٤] موقف النحاة، د. خديجة الحديثي: ٦. القرارات النحوية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٦٧٨.

[٥] الاقتراح للسيوطي: ٨٦. موقف النحاة، د. خديجة الحديثي: ١٧.

الحديث وعدم الاحتجاج به، بل إن العلل التي ذكروها في منع الاحتجاج بالحديث موجودة بصورة أقوى فيما احتجوا به من شعر العرب ونثرهم.

وبناءً على ذلك فإن علماء العربية وأئمتها تباينت آراؤهم في صحة الاحتجاج بالحديث النبوي لإثبات قواعد اللغة العربية، لكنهم أجمعوا دون خلاف على أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أفصح العرب منطقاً وأبلغهم كلاماً، وأن الحديث النبوي يأتي بعد كلام الله ولا يتقدمه شيئ سواه في باب الاحتجاج إذا ثبت بصورة قاطعة أنه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم[١].

أما ما لم يثبت بصورة جازمة أنه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فإن العلماء انقسموا في الاحتجاج بما يروى من تلك الأحاديث النبوية على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: المانعون مطلقاً:

ذهب لفيف من العلماء البصريين والكوفيين إلى ترك الاحتجاج للغة بالحديث النبوي؛ لعدم وثوقهم بإن المرويَّ لفظُ الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم تنقل كما سمعت منه صلى الله عليه وسلم، وإنما رويت بالمعنى، ولو وثقوا بذلك لجرى الحديث مجرى القرآن في اثبات القواعد الكلية لقضايا اللغة العربية.[٢]

وهذا ما عليه أغلبُ العلماء القدامى من أئمة اللغة والنحو، ويظهر ذلك في مؤلفاتهم، فهذا كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) الذي يُعَدُّ المرجعَ الأول في النحو والصرف واللغة يخلو من الأحاديث إلا ثمانية أحاديث كما أحصاها محقق الكتاب (عبد السلام هارون)، وقد ذُكِرَتْ بطريقةٍ لا تُوحي بأنها أحاديث[٣].

وهذا المقتضب للمبرد (ت ٢٨٥هـ) لا نجد فيه حضوراً كبيراً للاستشهاد بالحديث إلا قليلاً، ونجد الفراء في كتابه (معاني القرآن) يذكر خمسةً وثلاثين حديثاً فقط، أوردها تفسيراً للآيات أو توضيحاً للكلمات اللغوية، وليس لإثبات قاعدة لغوية أو نحوية، وهكذا المصادر الأخرى المتقدمة مثل كتب أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) الذي كان من أشد العلماء مبالغة في رفض الاحتجاج بالحديث، وأكثرهم إنكاراً على مخالفيه، ففي شرحه (التسهيل) أنكر غير مرة على شيخه ابن مالك كثرةَ استشهاده بالحديث، وادعى أن المتأخرين من نحاة الأقاليم تابعوا المتقدمين في عدم الاحتجاج بالحديث، قال أبو حيان: (إن الواضعين الأوليين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، وعيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وسيبويه (ت ١٨٠هـ) من أئمة البصريين، والكسائي (ت ١٨٣هـ)، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، وعلي بن المبارك الأحمر (ت ٢٠٦هـ)، وهشام الضرير (ت ٢٠٩هـ) من أئمة الكوفيين،لم يحتجوا بالحديث وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين).[٤]

---

[١] الاقتراح، للسيوطي: ٧٤.

[٢] الخزانة، للبغدادي: ٩/١. في أصول النحو، للأفغاني، ص٤٧.

[٣] الاقتراح، للسيوطي: ٧٦-٧٧.

[٤] الاقتراح، للسيوطي: ٧٥-٧٧. همع الهوامع، للسيوطي: ١٠٥/١.

وهذا الادعاء مردود على أبي حيان، فإن كتب النحويين من نحاة الأندلس وغيرهم مملوءة بالاستشهاد بالحديث، مثل الشريف الصقلي، والشريف الغرناطي في شرحيهما كتاب سيبويه، وابن الحجاج في شرح المقرب، وابن الخباز في شرح ألفية ابن معطي، وكذلك علي الشلوبيني في كثير من مسائله، وكذا السيرافي والصفار في شرحيهما كتاب سيبويه[١]، وقال ابن الطيب: (بل رأيت الاستشهاد بالحديث في كلام أبي حيان نفسه)[٢]، وكان من قبله أبو الحسن الضائع (ت ٦٨٦هـ) في شرح الجمل، وتابعهما الجلال السيوطي (ت ٩١١هـ)، وقد قدم هؤلاء المانعون أسباباً وأحاجيّ غير مقنعة؛ لأنها أسبابٌ تنطبق على الشعر ورواته، فلماذا أبيحت في الشعر وحرّمت في الحديث؟ وفيما يأتي أبرز تلك الأسباب والحجج:

أولا: نقل الحديث بالمعنى: إن بعض أهل الحديث جوّزوا نقله بالمعنى على تفصيل في ذلك سنذكره[٣]، وبهذا التجويز فإن الاحتمال قائم على أن لفظ الحديث كلَّه أو بعضَه سيكون من كلام الراوي[٤]، فتجد القصةَ الواحدةَ التي جرت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قد نقلت بألفاظ مختلفة، ويضربون لذلك مثلاً بحديث سهل بن سعد: أنّ امرأة عرضتْ نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له رجلٌ: يا رسول الله زوجنيها، فقال: (ما عندك)؟ قال: ما عندي شيءٌ، قال: (اذهب والتمس ولو خاتماً من حديد)، فذهب ثم رجع فقال: لا، والله ما وجدت شيئاً، ولا خاتماً من حديد... فقال له: (ماذا معك من القرآن)؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا -لسور يعددها- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَمْكَنَّاكَهَا بما معك من القرآن)،[٥] وفي رواية أخرى: (مَلَّكْتُكَهَا بما معك من القرآن)، وفي رواية أخرى: (خُذها بما معك من القرآن).

ويرى المانعون: أن هذه الروايات تترك عندهم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يتلفظ بجميع هذه الألفاظ، ولا يجزمون بأنه قال بعضها؛ إذ يحتمل أنه قال لفظاً آخر مرادفاً لهذه الألفاظ، فأتتْ رواةُ الحديث بالمرادف، ولم تأت بلفظه إذ المعنى المطلوب حاصل، ولا سيما مع تقادم السماع، وعدم ضبطه بالكتابة والاتكال على الحفظ، والضابط منهم من ضبط المعنى، وأما ضبط اللفظ فبعيد جداً، ولا سيما في الأحاديث الطوال، ولو وثق المانعون أن نص الحديث من كلامه صلى الله عليه وسلم لأجروه مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية به[٦].

ثانيا: وقوع اللحن في الحديث: وقع اللحنُ في عدد من الأحاديث المروية، وذلك لأنَّ كثيراً من الرواة كانوا من غير العرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بالفطرة، ويتعلمون العربية صناعةً

---

[١] في أصول النحو، للأفغاني: ٥٤.

[٢] مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠٧/٣، بحث السيد محمد الخضر حسين.

[٣] تدريب الراوي، للسيوطي: ٩٨/٢.

[٤] فيض الانشراح، لابن الطيب الفاسي: ٤٤٩/١.

[٥] صحيح البخاري، الكتاب (٦٧)، الباب (١٤) و(١٣) و(٣٥). التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح، ١٢٠/٢، ((كتاب النكاح)). الخزانة، للبغدادي: ١١/١.

[٦] الخزانة، للبغدادي: ١٠/١-١١.

فيدرسون النحو والصرف واللغة، لذا وقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ذلك.[1]

ثالثاً: عدم تدوين الحديث عند سماعه: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يدونون ما يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآناً كان أو حديثاً فنهاهم عليه الصلاة والسلام عن كتابة شيءٌ غير القرآن حتى لا يختلط مع القرآن كلام آخر، ومضى الأمر على هذا الحال ولم يدون الحديث تدويناً حقيقياً إلا في المائة الثانية للهجرة كما سنذكره، وهذا قد يكون مدعاة لاستبدال بعض الرواة الألفاظ والتراكيب بمرادفها مع أداء المعنى نفسه[2]، وكثيراً ما يحصل ذلك في الأحاديث الطوال؛ لأن ضبط اللفظ بعيدٌ جداً، وقد قال سفيان الثوري: (إن قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني، إنما هو المعنى)[3].

رابعاً: وقوع غير الفصيح في الحديث: فقد وقع ذلك في بعض الأحاديث وهو من كلام الرواة، لأنه من المعلوم يقيناً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينطق بأفصح ما في اللغة العربية؛ فهو أفصح العرب ولا يقع منه كلامٌ غير فصيح.

المذهب الثاني: المجوزون مطلقاً:

جاء المتأخرون من علماء العربية، يستدركون ما فات المتقدمين، فإنّ العالِم من الأوائل يعلمُ روايات محدودة، وخيرهم من صنف في مفردات اللغة في موضوع واحد كالأصمعي مثلاً.

أما المتأخرون فقد جاؤوا طبقة بعد طبقة، ووصل إلى كلّ طبقة ما صنفه السابقون، فكانت إحاطتهم أوسعَ، ولذلك أُلِفَتْ المعاجمُ المتأخرةُ المحيطة بكل ما اطلع عليه أصحابها من تصانيف ونصوص قد غاب معظمها عن الأولين[4].

ولذلك نجد ما لدى المتأخرين من ثروة نحوية أو لغوية أو حديثية تفوق ما لدى المتقدمين، ولو كانت هذه الثروة عند المتقدمين لعضوا عليها بالنواجذ، ولغيروا كثيراً من قواعدهم التي وضعوها مع شحة المورد من النصوص والآثار، ولأنكروا على المانعين جمودهم وضيق نظرتهم، وإن من استشهد من المتقدمين بقليل من الحديث لو تأخر به الزمن إلى العهد الذي ظهرت فيه ثمرات علماء الحديث، وما قرروه من رواية ودراية، لاحتجوا بالقرآن والحديث، ولما التفتوا إلى شعر أو كلام آخر.

وهذا ما نلمسه في معاجم اللغة المتأخرة مثل: [التهذيب للأزهري] و[الصحاح للجوهري] و[المخصص لابن سيده] و[المجمل ومقاييس اللغة لابن فارس] و[الفائق للزمخشري]، ثم جاء ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) فأكثر من الاستدلال بالأحاديث النبوية والاستشهاد بها على اثبات القواعد الكلية في اللغة العربية، وكان كتابه [التسهيل] مليئاً بالأحاديث مما ضاق به شارحه وتلميذه (أبو حيان) ذرعاً غير مرة، حتى إنه قال في إحدى المرات: (والمصنف -أي: ابن مالك- قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر

---

[1] الخزانة، للبغدادي: ١١/١. في أصول النحو، للأفغاني، ص٤٨.

[2] الخزانة، للبغدادي: ١١/١.

[3] المصدر نفسه.

[4] في أصول النحو، للأفغاني: ٤٩.

متعقباً بزعمه على النحويين، وما أمعن النظر في ذلك، ولا صحب من له التمييز) اهـ كلام أبي حيان.[1]

أما ابن هشام (ت ٧٦١هـ) -وهو تلميذ أبي حيان- فإنه يخالف شيخه فيما ذهب إليه، ويكثر من الاحتجاج بالحديث للمسائل اللغوية والنحوية في مصنفاته، وبخاصة الأحاديث الصحيحة التي أخرجها البخاري ومسلم، حتى قالوا فيه: (كان كثير المخالفة لأبي حيان، شديد الانحراف عنه).[2]

ومن العلماء الذين استشهدوا بالحديث النبوي، ابن بري (ت ٥٨٢هـ)، وابن خَرُّوف (ت ٦٠٩هـ)، والرضي الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ)،[3] فقد استشهد بخمسين حديثاً، بواقع أربعة وعشرين حديثاً في الجزء الأول، وستة وعشرين حديثاً في الجزء الثاني، وعدّ عمل الرضي هذا عملاً غير مألوف، وتحدياً للأوائل من علماء البصرة والكوفة، يقول البغدادي: (والصواب جواز الاحتجاج بالحديث النحوي في ضبط ألفاظه، ونلحق به ما روي عن الصحابة وأهل البيت)[4]، ومن المعاصرين الذين ذهبوا هذا المذهب علماء كثيرون منهم المرحوم طه الراوي، فقد ذهب إلى الاحتجاج بما صح من الأحاديث دون قيد ولا شرط.[5]

المذهب الثالث: المجوزون بقيود:

هناك عدد من العلماء ذهبوا مذهباً آخر، ووقفوا متوسطين بين المانعين والمجوزين في قضية الاحتجاج بالحديث النبوي؛ لاثبات القواعد الكلية في اللغة العربية، فلم يجوّزوا الاحتجاج بالحديث مطلقاً، ولم يمنعوه مطلقاً، وإنما أجازوه بقيود وشروط، ينبغي أن تتوفر في الحديث المروي؛ ليكون دليلاً وحجة على تقعيد القواعد اللغوية.[6]

ومن أبرز علماء هذا الفريق الإمامُ الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) الذي أوضح هذه القيودَ في شرحه على ألفية ابن مالك فقال: (لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنا، ويتركون الأحاديث الصحيحة لأنها تنقل بالمعنى، وتختلف رواياتها وألفاظها، بخلاف كلام العرب وشعرهم، فإن رواته اعتنوا بألفاظه لما يُبنى عليها من النحو، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب، وكذا القرآن ووجوه القراءات، وأما الحديث النبوي فعلى قسمين:

أ- قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان.

ب- وقسم عُرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصودٍ خاص، كالأحاديث التي قُصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم، ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر، والأمثال النبوية، فهذا يصح الاستشهاد به في العربية، وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضروري الذي لابد منه، وبنى الكلام على الحديث مطلقاً، ولا أعرف له سلفاً إلا ابن خرُّوف، فإنه أتى بأحاديث في بعض المسائل، حتى قال ابن الضائع:

---

[1] الاقتراح، للسيوطي، ص١٩-٢١.

[2] بغية الوعاه، للسيوطي: ٢٩٣.

[3] إعراب الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، د. محمد أحمد قاسم: ١٠-١٢.

[4] الخزانة، للبغدادي: ١/٩-١٠.

[5] في أصول النحو، للأفغاني: ٥٤.

[6] الخزانة، للبغدادي: ١/١٢.

(لا أعرف هل يأتي بها مستدلاً أم هي لمجرد التمثيل)، والحق أن ابن مالك غير مصيب في هذا، فكأنه بناه على امتناع نقل الأحاديث بالمعنى، وهو ضعيفٌ).[1]

ومن الذين ذهبوا مذهب الشاطبي جلالُ الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)[2] في كتابه الاقتراح الذي قال فيه: (وأما كلامهُ صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادرٌ جداً، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلّةٍ أيضاً، فإن غالب الأحاديث مرويٌّ بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويّاً على أوجه شتى، بعبارات مختلفة، ومن ثَمَّ أُنكرَ على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث)[3]، لكننا نجد السيوطي يشير في آخر كلامه إلى تأييد ما ذهب إليه ابن الضائع وأبو حيان، وكأنه في هذا يشير إلى تردده في جواز الاستشهاد بالحديث[4].

ومن العلماء المتأخرين الذين ذهبوا هذا المذهب السيد محمد الخضر حسين، فقد عالج موضوع الاحتجاج بالحديث لقضايا اللغة العربية معالجة مقبولة ومفيدة فقرر ما يأتي:

إن هناك من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلافُ بالاحتجاج به في اللغة والقواعد، وهي ستة أنواع:[5]

النوع الأول: ما روي بقصد الاستدلال على كمال فصاحته عليه الصلاة والسلام، فهذا يحتج به دون تردد، ومن أمثلة ذلك الأحاديث الآتية:

قوله عليه الصلاة والسلام: (حمي الوطيس)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (مات حتف أنفه)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (الظلم ظلمات يوم القيامة)، وغيرها من الأحاديث المشتملة على محاسن البيان، مثل حديث: (ارجعن مأزورات غير مأجورات)[6]، وحديث: (إن الله لا يَملُّ حتى تَملّوا)، ومثل هذه الأحاديث لابد أن تروى بلفظها، لبيان بلاغتها وفصاحتها.

النوع الثاني: الأحاديث المروية بألفاظ العبادة، والمتكررة يومياً في حياة المسلمين، مثل: ألفاظ القنوت، والتحيات، وعددٍ من الأذكار والأدعية التي كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات خاصة، وهذه أمور توقيفية تنقل بنصها.

النوع الثالث: الأحاديث التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بها كلَّ قومٍ من العرب بلهجتهم العربية، فإنها أحاديث مروية بلفظها.

النوع الرابع: الأحاديث التي رُويت بطُرقٍ متعددةٍ، واتحدتْ ألفاظ كلِّ تلك الروايات، مما يدل على أن الرواة لم يتصرفوا في ألفاظها وإنما نقلوها بنص ألفاظها.

النوع الخامس: الأحاديثُ التي دوِّنت وقام على تدوينها من نشأ في بيئةٍ عربية فصيحة لم ينتشر

---

[1] المصدر السابق: ٥/١.

[2] المصدر السابق: ١٣/١.

[3] الاقتراح، للسيوطي: ٧٤.

[4] موقف النحاة، د. خديجة الحديثي: ٢٦.

[5] في أصول النحو، للأفغاني: ٥٥.

٦ ذكر السيوطي أن هذا الحديث صحيحٌ أخرجه ابن ماجه عن أنس. الجامع الصغير، للسيوطي: ٦٤/١

فيها فسادُ اللغة، مثلُ مالك بن أنس (ت ٨٠هـ)، وعبد الملك بن جريج (ت ١٥٠هـ)، والإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ).

النوع السادس: الأحاديثُ التي رواها قوم عُرِفَ من أحوالهم أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى، مثل: ابن سيرين، والقاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة، وعلي بن المديني، وهذا هو الغالب على رجال الحديث، ولذا تعلموا العربية لصيانة ألفاظ القرآن والحديث من التحريف مع حسن فهمهما، قال الأصمعي: (إنَّ أخوفَ ما أخافُ على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قَولِ النبي صلى الله عليه وسلم: (من كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فمهما رَويتُ عنه ولحَنتُ فيه كَذَبْتَ عليه) اهـ.

والأصمعيُّ هذا كان يتقي أن يفسر القرآنَ وحديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مبالغةً منه في التحري والورع مع جلالة قدره في اللغة العربية.[1]

ويواصل السيد محمد الخضر حسين حديثه عن الاحتجاج بالحديث بعد أن ذكر الأنواع الستة: بأنه لا ينبغي الاختلافُ في عدمِ الاحتجاج بالأحاديث التي لم تدون في الصدر الأول، وإنما تروى في بعض كتب المتأخرين، فهي أحاديث من وجهة نظره لا يحتج بها.

أما الأحاديثُ التي يصح أن تختلف الانظارُ في الاستشهاد بها فهي الأحاديث التي دونت في الصدر الأول، ولم تكن من الأنواع الستة المذكورة آنفاً.

وهذه الأحاديث المدونة في الصدر الأول نوعان: حديثٌ يَرِدُ لفظُهُ على وجه واحد، وحديث اختلفت الرواية في بعض ألفاظه.

أما الحديث الذي ورد على وجه واحد، فالظاهرُ صحةُ الاحتجاج به، نظراً إلى أن الأصلَ الروايةُ باللفظِ، وإلى تشديدهم في الرواية بالمعنى، ويضاف إلى هذا كله عدد من يوجد في السند من الرواة الذين لا يحتج بأقوالهم، فقد يكونُ بين البخاري ومن يحتج بأقواله واحد أو اثنان وأقصاهم ثلاثة.

ومَثَلُ هذا النوع: أن الحريري أنكر على الناس قولهم قبل الزوال: (سهرنا البارحة) قال: وإنما يقال: (سهرنا الليلةَ)، ويقال بعد الزوال: (سهرنا البارحة) اهـ.

وهناك حديث شاهد على صحة ما يقوله الناس، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصبح قال: (هلْ رأى أحدٌ منكم البارحةَ رؤيا؟)، وحديث آخر وهو: (وان من المجاهرة أَنْ يعملَ الرجلُ بالليل عملاً ثم يصبح -وقد ستره الله- فيقول: عملتُ البارحة كذا).

وعلى هذا فيصح أن يقول القائل متحدثاً عن الليلة الماضية قبل الزوال: (سهرنا البارحة)، أو (وقع البارحةَ كذا).

وأما الأحاديث التي اختلفت فيها الرواية فنجيز الاستشهادَ بما جاء في رواية مشهورة لم يغمزها أحد من المحدثين: بأنها وَهْمٌ من الرواي، مثل: (قام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلاً) أي منتصباً، والمعروف في كلام العرب إنما هو (ماثل) كما في لسان العرب.

---

[1] انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر: ١/٤٨١-٤٨٢.

وأما ما يجيئ في رواية شاذة، أو في رواية يقولُ فيها بعض المحدثين: إنها غلط من الرواي فنقف دون الاستشهاد بها، مثل: (إنَّ كلماتِه بلغتْ ناعوس البحر) وفي بقية الروايات: (قاموسَ البحر)، وناعوس غير معروفة عند العرب.

مناقشة أدلة المانعين:

تصدى العلماءُ الذين جوّزوا الاحتجاج بالحديث النبوي لإثبات قواعد اللغة العربية، بالرد على العلماء الذين منعوا ذلك، ومناقشةِ آرائهم وفيما يأتي عرضٌ ملخص لذلك:

مناقشة المانع الأول: وهو تجويز الرواية بالمعنى:

ردَّ العلماء المجوزون على هذا المانع، بأن الأصل أن تكونَ الروايةُ باللفظ، وأن تجويز رواية الحديث بالمعنى مجردُ احتمالٍ عقليٍّ فحسب، لا يقينٌ بالوقوع، وإذا افتُرِضَ وقوعه، فإنّ الذي غَيَّر لفظاً بلفظٍ آخر يحمل المعنى نفسه، هو رَاوٍ عربيٌ مطبوعٌ على العربية بفطرته، ويحتج بكلامه في اللغة، في ظل دقة علماء الحديث في تحري ضبط ألفاظ الحديث، بحيث إذا حصل من الرواي شك أو تردد في كلمة أثبتوها روايةً للحديث، ودوّنوها بكل دقة وأمانة، كما في حديث: (وهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم [أو قال: على مناخرهم] إلا حصائدُ ألسنتهم؟).[1]

ثم إنه لو سلمنا أن الأحاديث نقلت بالمعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك لا يشكل حاجزاً ولا يثبت مانعاً من الاحتجاج بالحديث لأن النقل بالمعنى إنما كان في صدر الإسلام الأول قبل تدوين الكتب وقبل فساد اللغة في الألسن.

وغاية ما يحصل في متن الحديث تَبديلُ لفظٍ فصيحٍ بلفظٍ فصيحٍ من راوٍ فصيحٍ يصح الاحتجاج به، ولا فرق حينئذ بين نص وآخر، ومن هنا منع علماء الحديث رواية الحديث بالمعنى على من يجهل ألفاظَ العربية ومقاصدها وأجازوها لمن كان خبيراً بها وبما يحيل معانيها.[2]

ثم إن النقل بالمعنى ليس شيئاً مقصوراً على الأحاديث فحسب، بل نجده في نصوص الشعر والخطب والأمثال، بالإضافة إلى ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاق من مثل ابن دأب وابن الأحمر والكلبيِّ وأمثالهم[3].

وقد وجدنا في رواة الشعر أيضاً رواةً أعاجم، ثم إن المسلمين في القرن الأول الهجري كانوا أحرص على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت من روايته.

وقد قيض الله لأحاديث رسوله من الجهابذة النقاد مَنْ نفى عنه ما كان فيه من شبهة الوضع والانتحال، وهذه العناية لم ينلها شعر ولا نثر آخر غير الحديث النبويّ.

ثم إن هناك عدداً كثيراً من الرواة، صحابةً وتابعين دوّنوا الأحاديثَ، فمن الصحابة عبدالله بن عمرو بن العاص الذي كتب الحديث في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك عبدالله بن

---

[1] الاربعين النوويه، للنووي: الحديث رقم: ٢٩. ويراجع أمثلة أخرى في كتاب: علوم الحديث ومصطلحه، ٧٧-٧٩.

[2] تدريب الراوي، للسيوطي: ٩٨/٢. الخزانة، للبغدادي: ٩/١.

[3] الخزانة، للبغدادي: ٩/١.

عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد الساعدي[1].

ثم جاء عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١هـ) فكتب إلى الآفاق أن: (انْظروا ما كان من حديث رسول الله أو سنته فاكتبوه)، ثم كتب الزهري (ت ١٢٤هـ) أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا فعل ابن أبي عَرُوبَة (ت ١٥٦هـ) والربيعُ بن صبيح (ت ١٦٠هـ)، حتى شاع تدوين الحديث في طبقات العلماء الذين جاؤوا بعد هؤلاء.

إن مدونات الطبقة الأولى كافية في غلبة الظن بأنَّ ما دوّن فيها من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، وإذا حصل إبدال لفظةٍ بلفظةٍ مرادفةٍ فإنما أبدله عربيٌّ فصيح يُحتج به، وما حصل من غلط في بعض الروايات أو تصحيف فقليل ونزر يسير، على خلاف ما وقع في الشعر والنثر من كلام العرب، الذي كَثُرَ فيه التحريف والتصحيف والغلط، فكثير من الشعر العربي روي بروايات مختلفة، بل إن بعضها موضوع مكذوب كما فصلته كتب تاريخ الأدب العربي[2].

قال الخليل بن أحمد: (إن النحاريرَ ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت).[3]

فكيف يُجوّز هؤلاءِ الاحتجاج بالشعر والنثر العربيين مع غثه وسمينه وصحيحه وموضوعه وقويه وضعيفه؟ ولا يحتجون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم عليه القاعدة اللغوية والنحوية؟ هذا من حيث المتن، وأما من ناحية السند، فإن المجيزين والمانعين يعلمون ما في روايات الحديث من ضبط ودقة وتحرٍ منقطع النظير،[4] حتى قال الأعمش: (كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم؛ لَإن يخر من السماء أحبُ إليه من أن يزيد فيه واواً، أو ألفاً، أو دالاً).[5]

<u>مناقشة المانع الثاني: وهو وقوع اللحن في بعض الأحاديث:</u>

إن الأحاديثَ التي وقع فيها لحن قليلةٌ جداً، واللحن الذي وقع في هذه الأحاديث القليلة قليل جداً أيضاً، وهي قلّة لا يُبنى عليها حكم يؤدي إلى إهمال الحديث لدى الاحتجاج لقواعد اللغة، لأنَّ دقة الرواة والمحدثين في نقل الحديث واثبات نصه جعل العلماء يتنبهون إلى أيِّ لحنٍ فيتركونه ولا يحتجون به، ويشددون النكير على من يلحن، ويجعلونه آثماً يدخل النار، قال السيد جمال الدين القاسمي أحد أعلام الشام (ت ١٣٣٢هـ): (من قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يعلم أنه يلحن فيه، سواء أكان في أدائه أم في إعرابه، يدخلُ في هذا الوعيد الشديد -يعني قولَ النبي صلى الله عليه وسلم: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)- لأنه بلحنه كاذب عليه) اهـ.[6]

فالأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آلافٌ مؤلفة وكثرةٌ كاثرة، ومعظمها جاءت على درجة عالية من الصحة اللغوية والدقة في التركيب، فهل وقوع لحنٍ هنا أو هناك في بعض

---

[1] في أصول النحو، للأفغاني: ٥١.

[2] المصدر السابق.

[3] الصاحبي، لابن فارس اللغوي: ٣٠.

[4] المصدر السابق.

[5] الكفاية، ١٧٨. في أصول النحو، للأفغاني:

[6] قواعد التحديث من فن مصطلح الحديث، للقاسمي: ١٥٦.

الأحاديث يمنع من الاحتجاج بالحديث؟، فكيف بمن يلحن في القرآن؟ هل يصح أن نُسقط الاحتجاج به لحصول لحنٍ فيه من بعض الناس؟

وحتى الذين جوّزوا رواية الحديث بالمعنى، ينكرون أمر اللحن في الحديث، يقول الأوزاعي: (أعربوا الحديث فإن القوم كانوا عُرباً)،[١] ويقول أيضاً: (لا بأس بإصلاح اللحن في الحديث)،[٢] وقال حماد بن سلمة: (من لحن في حديثي فليس يحدث عني)،[٣] وكان بعض رواة الحديث ينسبون اللحن إلى انفسهم وينبهون المتلقين إلى تصحيح ما يجدونه من لحن.

بل كان اللحن في الحديث باعثاً لسيبويه (ت ١٨٠هـ) -وهو أعجمي الأصل- على تعلم اللغة العربية حين ألفت حماد ابن سلمة (ت ١٦٩هـ) نظر تلميذه سيبويه إلى لحنٍ في نطق الحديث النبوي؛ إذ قرأ سيبويه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من أحدٍ من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبو الدرداء)، فقال حماد: لحنت يا سيبويه الصحيح: (ليس أبا الدرداء)، فقال سيبويه: لا جرم لأطلبنّ علماً لا تلحنني فيه أبداً، فطلب النحو[٤].

وعن الحسن بن علي الحلواني قال: (ما وجدتم في كتابي عن عفان لحناً فأعربوه، فإن عفان كان لا يلحن، وقال لنا عفان: ما وجدتم في كتابي عن حماد بن سلمة لحناً فأعربوه فإن حماداً لا يلحن. وقال حماد: ما وجدتم في كتابي عن قتادة لحناً فأعربوه، فإن قتادة كان لا يلحن)[٥]، فهذه سلسلة في التوثيق اللغوي المتين.

وأما دعوى المانعين بوجود أعاجم في رواة الحديث فلا يقوم دليلاً على منع الاحتجاج بالحديث لأنَّ ذلك سوف يسري على القرآن الكريم، الذي حفظه كثيرٌ من القراء الأعاجم، ونقلوه إلى من بعدهم، وكذلك يسري على الشعر والنثر الذَينِ كان في نقلهما أعاجم، ثم إن هؤلاء ساكنوا العرب وأتقنوا لغتهم وعرفوا أساليبهم وأسرار كلامهم.

يقول طه الراوي: (والقول بأن رواةَ الحديث أعاجمُ ليس بشيء، لأن ذلك يقال في رواة الشعر والنثر اللذَينِ يُحتج بهما، فإنّ فيهم الكثير من الأعاجم، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثاً يُعتَدُّ به يمكن أن يوضع في صف [حماد الراوية] الذي كان يكذب، ويلحن، ويكسر، ومع ذلك لم يتورع الكوفيون وأتباعهم عن الاحتجاج بما يرويه، ولكنهم تحرجوا في الاحتجاج بالحديث... ثم لا أدري لِمَ تَرفَّعَ النحويونَ عما ارتضاه اللغويون من الانتفاع بهذا الشأن، والاستقاء من ينبوعه الفياض بالعذب الزلال، فأصبحَ رَبْعُ اللغة به خصيبا، بقدر ما صار رَبْعُ النحو جديبا:

وكان حالُهما في الحكم واحدةً لو احتكمنا من الدنيا إلى حكمِ).[٦]

مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

---

[١] في أصول النحو، للأفغاني: ٥٣.

[٢] المصدر السابق.

[٣] المصدر السابق.

[٤] أخبار النحويين البصريين: ٣٤.

[٥] في أصول النحو، للأفغاني: ٥٣. ألف باء، للبلوي: ٤٤/١.

[٦] نظرة في النحو، مجلة المجمع العالمي العربي بدمشق، ٣٢٥/١٤-٣٢٧.

وسّع المجمعُ الرقعة المكانية الجغرافية والمدة الزمنية، فقد قرر أن الذين يُحتج بشعرهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري، وأهلُ البدو إلى أواسط أو أواخر القرن الرابع الهجري، وحجته في ذلك أن لغةَ العرب ظلّت سليمة في بواديهم حتى نهاية القرن الرابع الهجري وفي حواضرهم حتى نهاية القرن الثاني الهجري،[1] وعلى هذا الرأي فيجوز الاحتجاج بالإضافة إلى من ذكرنا بشعر البحتري (ت ٢٨٤هـ)، وفيما يلي نص قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة:[2]

١- لا يُحتجُّ في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصحاح الست فما قبلها.

٢- يُحتجُّ بالحديث المدّون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي:

أ- الأحاديث المتواترة والمشهورة.

ب-الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

ج-الأحاديث التي تعدُّ من جوامع الكلم.

د- كتب النبي صلى الله عليه وسلم.

هـ-الأحاديث المروية لبيان أنه كان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم.

و- الأحاديث التي دونها من نشأ بين العرب الفصحاء.

ز- الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل: القاسم بن محمد، ورجاء بن حيوه، وابن سيرين.

ح-الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة.

وإذا دققنا فيما استشهد به بعض النحويين من الأحاديث كابن عقيل في شرح ألفية ابن مالك، نجد أن شروط المجمع هذا متحققة فيها[3]، فقد احتج ابن عقيل في شرحه هذا لاثبات صحة القاعدة النحوية بعشرين حديثاً، مخالفاً مذهب القدامى؛ ممهداً الطريق أمام سلوك نهج جديد سليم في التعامل مع الشاهد النحوي الذي لم ينل حقه من العناية في الدرس النحوي، ولعل ما فعله الرضي وابن عقيل يعدّ سبقاً لما قرره مجمع اللغة العربية في القاهرة في هذا المجال.

مقارنة بين الاستشهاد بالشعر وغيره:

طغى الاستشهاد بالشعر العربي على غيره من الكلام العربي في كتب النحو واللغة فعلى سبيل المثال نجد سيبويه (ت ١٨٠هـ) قد احتج بألف وخمسين بيتاً من الشعر ذكر أسماء بعض قائليها وأهمل ذكر أكثرهم.

---

[1] اعراب الشواهد، ٧.

[2] منشور في: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٣، ص٧، محضر الجلسة الخامسة والثلاثين من دور الانعقاد الرابع. وراجع: القرارات النحوية والصرفية، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٦٨٠-٦٨٢.

[3] اعراب الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية في شرح ابن عقيل، د. محمد أحمد قاسم: ٦.

حتى جاء تلميذه الجَرْمي (ت ٢٢٥هـ) فذكر أسماء قائلي ألف شاهد شعري منها، وبقي خمسون شاهداً بلا نسبة إلى قائل، حتى اشتهرت عند النحويين والغويين بأبيات سيبويه الخمسين مجهولة القائل.

وبذلك خالف سيبويه قاعدة [لا يجوزُ الاحتجاج بشعرٍ أو نثر لا يعرف قائله مخافة أنْ يكون ذلك الكلامُ مصنوعاً أو لمولَّد أو لمن لا يوثق بكلامه.[١]

وهنا سؤال يطرح نفسه: ما الأسباب التي أدت إلى تقديم الشواهد الشعرية على غيرها؟ فيكون الجواب إن ذلك حصل للأسباب الآتية:[٢]

١- تدوين الشعر في وقت مبكر.

٢- سهُولة حفظ الشعر واستظهاره واستحضاره.

إن هذه الاسباب تعد مسوغات لتقديم الشعر وهي أسباب غير مقنعة.

فالسبب الأول: يدحضه جمع القرآن وتدوينه في زمن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والقرآن أعلى لغة وفصاحة وأبعد من أن يرقى إليه شك بخلاف ما حصل للشعر الجاهلي من شكوك وطعون قديمة وحديثة، ثم أن الشعر يحتضن الضرورات المخالفة لفصيح الكلام فكيف يتقدم الشعر على الشواهد القرآنية والحديثية؟.

والسبب الثاني: يرد عليه بأن سهولة الحفظ أمر نسبي، فيمكن للنثر الجاهلي أو غيره أن يكون عسير الحفظ صعب الاستظهار، لكنّ هذا لا يصح في القرآن لأنه كلام الخالق، حمل بلاغة النص وسمّو القصد، وحفظُه عبادةٌ يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى.

وقد رأينا بعض الشعراء الجاهليين قد دخلوا الإسلام وأصبحوا مخضرمين فانصرفوا عن رواية الشعر وقوله إلى حفظ القرآن كما حدث للشاعر لبيد بن ربيعة العامري مع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.[٣]

تدوين الحديث:

سبق القول بأن عدداً من العلماء أجازوا الاحتجاج للقاعدة اللغوية بالحديث النبوي الذي دوِّن في كتب الصحاح وما قبلها، وهذا يدعونا إلى ذكر نبذة عن تدوين الحديث النبوي.

فقد بدأ نزول القرآن الكريم بأول آية نزلت في مكة: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} (العلق: ١) واستمر نزوله منجماً في مكة والمدينة، حتى آخر آية منه، قُبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكلما نزلت آية استوعبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لفظاً ومعنى، وبلغها لأصحابه نصاً ومضموناً وذلك بأمر من ربه تبارك وتعالى.

وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم كلامٌ من صياغته، وألفاظٌ من اختياره، وجمل من تركيبه، مع أن معناها من الله تعالى، وكان يوجه الأمة بكلامه فيشرحُ نصاً قرآنياً، أو يوضح آية، أو يخصص

---

[١] اعراب الشواهد: ٧. والخزانة، للبغدادي: ١٥/١.

[٢] انظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، لمحمد المختار ولد أبّاه: ٧٢٨.

[٣] اعراب الشواهد، ص٧. ومراجعة: الشعر والشعراء، لابن قتيبه، ٢٧٥/١.

عاماً، أو يقيد مطلقاً، أو يبين مبهماً، أو يعلل حكماً، أو غير ذلك من لوازم التشريع، وهو ما سماه علماء السنة: [الحديث النبوي الشريف] الذي يعد جزءاً من السنة النبوية المكونة من أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم[١].

وقد أجاز النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه كتابة ما ينزل من القرآن، ونهاهم عن كتابة غير القرآن مدة تنزيله، حتى يبقى القرآنُ محفوظاً في الصدور مدوناً في السطور دون أن يختلط به شيئ آخر من كلام البشر، وقد همَّ بعضُ الصحابة بكتابة ما ينطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير القرآن؛ حرصاً على ضبطه والإفادة منه غير أنه عليه الصلاة والسلام نهاهم نهياً صريحاً، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٢]، وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أفراد الصحابة إذناً خاصاً بكتابة بعض الأحاديث، حين نزل معظم الوحي، وأمن اختلاط القرآن بغيره[٣]، وبهذا حفظ المسلمون في عصر النبوه السنةَ في صدورهم دون أن تدون في صحفٍ أو كتب، واستمر الوضع هكذا في عصر الخلفاء الراشدين وكبار التابعين، ومضت السنة الهجرية الأولى ورواة السنة إما صحابيٌّ عدلٌ ضابطٌ، وإما تابعيٌّ كبيرٌ تقةٌ صادقٌ إلا ما كان قليلاً من وقوع النسيان والخطأ والوهم[٤].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث، فقال: (ما هذا الذي تكتبوه)؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك، قال: (أكتاباً غير كتاب الله تريدون؟! ما أضلَّ الأممَ من قبلكم إلا ما اكتسبوا من الكتب مع كتاب الله ...ألخ.[٥]

وروى عروة بن الزبير أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمرُ يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم اللهُ له، فقال: (إني كنتُ أردتُ أن أكتبَ السنن، وإني ذكرتُ قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله تعالى، وإني والله لا أُلبِسُ كتابَ الله بشيء أبداً).[٦]

وعن قرظةَ بن كعب قال: خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار [موضع قرب المدينة] فتوضأ ثم قال: أتدرون لِمَ مَشَيتُ معكم؟ قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيتَ معنا، قال: إنكم تأتون أهلَ قرية لهم دويٌّ بالقرآن كدويّ النحل، فلا تبدؤوهم بالأحاديث فيشغلونكم، جرّدوا القرآنَ، وأقلوا الروايةَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وامضوا وأنا

---

[١] تدريب الراوي، للسيوطي: ٣/١.

[٢] صحيح مسلم: الحديث رقم ٣. الوسيط، لابي شهبة: ٥١.

[٣] معرفة أنواع الحديث، لابن الصلاح: ٢٩٢. تدريب الراوي، للسيوطي: ٣/١. علوم الحديث، د. صبحي الصالح: ٢١-٢٢. مصطلح الحديث ورجاله، د. حسن الأهدل: ٥٤.

[٤] المصادر السابقة.

[٥] تقييد العلم، للخطيب البغدادي: ٣٣.

[٦] تقييد العلم، للخطيب البغدادي: ٤٩.

شريككم، فلما قدِمَ قَريظة، قالوا: حدِّثْنا، قال: نهانا ابن الخطاب.[1]

ولستُ بصدد مناقشة كتابة الحديث إباحة أو حظراً، وإنما الهدف من هذا السياق الاشارة إلى عدم كتابة الحديث وتدوينه في هذا العصر، لئلا يضاهى بكتاب الله أو أن يشتغل عن القرآن بسواه،[2] وإنما جاء تدوين الحديث لاحقاً على تفصيل ذكر في علوم الحديث، ملخصه: أنه في أوائل المائة الثانية الهجرية في عصر أواسط التابعين وجِدَ من رواة الحديث مَنْ يرويه مرسلاً ومنقطعاً، ومَنْ كثر خطؤه، وازداد هذا الأمر في عصر صغار التابعين بعد الخمسين والمائة، بسبب ظهور الفرق وتعدد الثقافات، ووجود كذّابين يدعون من خلال وضع الأحاديث إلى بدعة معينة أو مذهبٍ مخصوص.

فنهض المخلصون من علماء هذه الأمة واجتهدو بوضع ضوابط الجرح والتعديل ونقد الأسانيد، مثل شُعبة، ومالك، ومعمر، وابن المبارك، وابن عيينة، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، وغيرهم[3].

ثم تلاهم علماء المائة الثالثة، مثل أحمد بن حنبل وطبقته، ومن بعدهم تلاميذهم كالبخاري، ومسلم، وأبي زرعة، وأبي حاتم، ثم تلاميذهم كالترمذي، والنسائي، إلى آخر عصر الرواية بآخر المائة الثالثة، فألفت أنواع المؤلفات في أحوال الإسناد وأنواع علوم الحديث.

ومن المؤكد أن بعض الصحابة كتبوا طائفةً من الأحاديث بناءً على إذنٍ خاصٍ من النبي صلى الله عليه وسلم استثناءً من النهي العام، وأما الآخرون فقد حفظوا الأحاديث في الصدور لا في السطور[4].

وكانت هناك صحف دون فيها الحديث كصحيفة سعد بن عبادة الأنصاري، وصحيفة سمرة بن جندب، وصحيفة جابر بن عبدالله، وصحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص، اشتملت على ألف حديث كما يقول ابن الأثير[5]، هذا بالإضافة إلى الصحيفة التي دونت في عصره عليه الصلاة والسلام وفيها دستور الدولة، وفيها حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة[6].

ولما جاء عهد الخليفة الورع التقي عمر بن عبدالعزيز (ت ١١٠هـ) أصدر أمراً رسمياً بالشروع في تدوين الحديث، مستنداً إلى آراء العلماء الذين أباحوا تدوينه؛ خوفاً على الحديث النبوي من الضياع أو الاختلاط، وكتب إلى علماء الأمصار يأمرهم بتدوين الحديث، وكان أول من استجاب له في حياته حقق له غايته عالم الحجاز والشام، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني (ت ١٢٤هـ)، فدون له في ذلك كتاباً، وبعث عمر إلى كل أرضٍ دفتراً من دفاتره[7].

وبذلك استقرت فكرة تدوين الحديث على الرغم من وجود معارضين وكارهين للتدوين، وكانت ميزة التدوين في هذا العصر أن الحديث كان في الغالب ممزوجاً بفتاوى الصحابة والتابعين كما هو

---

[1] سنن ابن ماجة، باب: التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٢/١. المستدرك، لأبي عبدالله الحاكم: ١٨٣/١.

[2] تقييد العلم، للخطيب البغدادي: ٥٧.

[3] تدريب الراوي، للسيوطي: ٦٥/٢-٧٠.

[4] علوم الحديث، د. صبحي الصالح: ١٩-٢٣.

[5] المصدر السابق: ٢٣-٢٧.

[6] المصدر السابق: ٣٠.

[7] المصدر السابق: ٤٤-٤٦.

واضحٌ في موطأ الإمام مالك (ت ١٧٩هـ)[١].

وفي عصر أتباع التابعين ممن كانوا على رأس المئتين ألف العلماء المسانيد خاليةً من فتاوى الصحابة والتابعين ومقصورة على السنة النبوية وحدها، وأول تلك المسانيد مسند أبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، وأوسع تلك المسانيد مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، وفي هذا العصر دونت السنة الصحيحة وحدها مرتبة على الأبواب، فكانت الكتب الستة الصحيحة، للبخاري ومسلم والترمذي وأبي داوود وابن ماجه والنسائي[٢].

ثم جاء المتأخرون عن عصر الرواية فقاموا بالشرح والاختصار للكتب الصحيحة المشهورة، فأبو عبدالله الحميدي (ت ٤٤٨هـ) جمع الصحيحين على ترتيب المسانيد، ثم أبو السعادات مبارك ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) جمع الكتب الستة بترتيب الأبواب، ثم نور الدين علي الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) جمع ما زاد على الكتب الستة من مدونات الحديث المشهورة في كتابه مجمع الزوائد، ثم جاء السيوطي (ت ٩١١هـ) فجمع الكتب الستة والمسانيد العشرة وغيرها في كتابه (الجامع الكبير).

قال الدكتور صبحي الصالح: (وهكذا مرَّ الحديث النبوي بمراحل طويلة حتى وصل إلينا محرراً مضبوطاً)[٣].

نقد الحديث متناً وسنداً:

جاءت عنايةُ العلماءِ المسلمين بالحديث النبوي عنايةً منقطعةَ النظير؛ للحفاظ على المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فقاموا بالتدقيق والتحقيق في كل ما يُنقلُ إليهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ هذا الجهدُ مسارين واتجاهين: اتجاهٍ نحو نقلة الحديث المعبر عنه برواة الحديث الذين يتكون منهم سند الحديث، واتجاهٍ نحو نصّ الحديث المعبَّرِ عنه بمتن الحديث.

وقد نشأتْ ضَوابطُ نقد الحديث في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، وبالتحديد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم رضوان الله، ثم تطورت ونضجت تلك الضوابط في العصور التالية على يد المخلصين من علماء هذه الأمة، فأصبحت علوماً مدونة وفنوناً متعددة، وقواعد منضبطة وأحكاماً صارمة، فكان علمُ الحديث دراية ورواية، وعلمُ مصطلح الحديث، وعلمُ الرجال (الجرح والتعديل)، وعلم الوفيات، وعلم الكنى والألقاب، وعلم الموضوع والمصنوع، وما إلى ذلك من علوم السنة المطهرة.

وقد استُعْمِلَتْ وسائلُ متعددة في نقد الحديث؛ بغيةَ الوصول إلى تنقية السنة النبوية من كل دخيل موضوعٍ ليس منها، وما كان منها فهو على مراتب متفاوتة من دقة النقل وسلامة النص، فكان الحديثُ الصحيح لذاته ولغيره، والحديثُ الحسن لذاته ولغيره، وكان الحديث الضعيف، وما إلى ذلك، من الموضوع والمنكر والشاذ وغيرها من مصطلخات الحديث، مما يبرهن على أن الحديث النبوي المنقول إلينا نال اهتماماً وتدقيقاً رفيعاً لم ينله شعر عربيٌّ موزونٌ، ولا كلام عربي منثورٌ مما صاغه

---

[١] مصطلح الحديث ورجاله، د. حسن الأهذل: ٥٩-٦٠.

[٢] المصدر السابق: ٦٠-٦٥.

[٣] علوم الحديث، د. صبحي الصالح: ٤٩.

العرب قبل الإسلام وبعده.

ويمكن أن نذكر بعض النماذج على ما قلناه، فقد مارس عدد من الصحابة رضي الله عنهم، نقد متون الحديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم باستخدام طرق متعددة منها طريقة العرض على القرآن الكريم، وكانت السيدة عائشة أم المؤمنين، وعمرُ بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم من المبرّزين في ذلك.

ففي حديث عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)، قالت عائشة: (يرحم الله عمر، لا والله ما حدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اللهَ يعذبُ المؤمن ببكاء أحد، ولكن قال: (إنّ الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه)، حسبكم القرآن: {ألا تزر وازرةٌ وزرَ أُخرى} (النجم: ٣٨)) رواه البخاري،[١] ومسلم.[٢]

والقدر الذي نستشهد له هنا، عرضُ الحديث على القرآن، وجعلُه مقياساً نقدياً لردّ الحديث أو قبوله، أما من حيث الحكم الفقهي فللعلماء في ذلك مقال ليس محله هنا.

وقد كان أول من أفرد صنيع عائشة بالتصنيف أبو منصور البغدادي (ت ٤٠٦هـ) في كتابه (استدراك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها)، ثم الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه (الاجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة)، لكن لا يستلزمُ رَدُّ أحدِ الصحابةِ حديثاً مَّا صحةَ هذا النقد، بل يُرَدُّ عليه، وأحياناً يكون الرَّد أقوى دلالة.[٣]

وحديثُ فاطمةَ بنتِ قيس:[٤] (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل لها سكنى ولا نفقة) ردّه عمر رضي الله عنه قائلاً: (لا نترك كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقولِ امرأةٍ لا ندري لعلها حفِظتْ أو نسِيتْ، لها السكنى والنفقةُ، قال الله تعالى: {لا تخرجوهنَّ من بيوتهن ولا يخرجنَ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة}(الطلاق: ١)).

وحديث معقل بن سنان الأشجعيّ: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قَضَى في بَرْوَع بنت واشق أنّ لها مهرَ المثل ولها الميراث وعليها العدة)[٥]، قال علي رضي الله عنه: (لا نقبلُ قولَ أعرابي بوَّال على عقبيه فيما يخالف كتاب الله وسنة نبيه)[٦] ويقصد أنَّ من مات قبل أن يدخل بزوجته، وقبل أن يُسميَ لها مهراً فلا مهر لها.

ومهما قيل من تأويلات وتفسيرات لهذا النقد الحديثي، فإن الذي نخلص منه أن بعض

---

[١] الجامع الصحيح، للبخاري: ٣٩٦/١-٣٩٧، كتاب الجنائز، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يعذب الميت ببكاء أهله عليه)).

[٢] صحيح مسلم: ٦٤١/٢-٦٤٢، باب: ((الميت يعذب ببكاء أهله)) واللفظ له.

[٣] منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه، لمحمد مصطفى الأعظمي: ٧٧. ومنهج أم المؤمنين عائشة في نقد المتن، لمحمد شكوري أمرير: ١٣-٢١.

[٤] صحيح مسلم: كتاب الطلاق، باب: المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، ١١٤/٢.

[٥] رواه ابو داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة:

سنن أبي داوود: كتاب النكاح، باب: فيمن تزوج ولم يُسمِّ صداقاً حتى مات: ٦٤٣/١. وسنن الترمذي: باب: ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها: ٤٥٠/٣. وسنن النسائي: باب: إباحة التزويج بغير صداق: ١٢١/٦. وسنن ابن ماجة: باب: الرجل يتزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك: ٦٠٩/١.

[٦] توثيق السنة في القرن الثاني الهجري، لعبدالمجيد محمود: ٣٨.

الصحابة كانت لهم ممارسات نقدية لبعض متون الحديث، ولهذا الموضوع دراسات معاصرة تحاول نقد متون السنة والتركيز عليها.

كما أن البذور الأولى للإسناد نشأتْ في عهد الصحابة رضي الله عنهم، فقد جاءتْ جملةٌ من الأحاديث فيها صحابةٌ روى بعضُهم عن بعض،[١] وقد روى مسلم أحاديث من ذلك جمعها النووي في جزء، ونبه إليها في شرحه صحيحَ مسلم،[٢] وقد استقر في علم الحديث مصطلح (رواية الأقران) ومرسل الصحابي،[٣] وقد تنبه إلى دراسة مواقف الصحابة ونقدهم للسنة باحثون معاصرون في دراسات معاصرة، تُثبتُ حرصَ الصحابةِ على توثيق السنة ونقلها بغاية من الدقة والأمانة،[٤] وفي هذا يقول البراءُ بن عازب: (مَا كُلُّ الحديثِ سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين في رعاية الإبل، وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعُهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم، وكانوا يُشدِّدون على مَن يسمعون منه)،[٥] ويقول ابن سيرين: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنةُ قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فيُنظَرُ إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ويُنظَرُ إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم).[٦]

وقد اشتهر عن الزهري (ت ١٢٤هـ) أنَّه أَوَّلُ من نشر الإسناد، واشتد نكيره على من يُحدِّثُ بلا إسناد، وقيل: أول من فتش عن الإسناد عامرُ الشعبي (ت ١٠٠هـ) ثم ابن سيرين (ت ١١٠هـ).

ومع وجود بذورِ نقدِ الإسناد، فإنه لم يكن موجهاً في الغالب إلى الأشخاص بقدر ما هو موجهٌ إلى المتن، ومع إقرارهم بالرواية بالمعنى إلا أنهم كانوا يدققون في نص الحديث ومتنه.

قال مكحول: دخلت على واثلة بن الأسقع فقلنا: يا أبا الأسقع حدثنا حديثاً سمعتَهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه وَهْمٌ ولا نِسيان، فقال: هَلْ قرأَ أحدٌ منكم الليلةَ من القرآن شيئاً؟ قالوا: نعم، قال: فهل زدتم ألفاً، أو واواً، أو شيئاً؟ فقلتُ: إنا نزيدُ وننقص، وما نحن بأولئك في الحفظ، فقال: هذا القرآن بين أظهركم وأنتم تدرسونه بالليل والنهار، فكيف ونحن نحدث بحديث سمعناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّةً أو مرتين؟! إذا حدَّثتكم على معناه فحسبكم).[٧]

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مُقِلِّينَ في رواية الحديث حرصاً منهم على أن لا يقعوا في أخطاء في نقله، وقد حبس عمر رضي الله عنه جماعةً من الصحابة وقال: (أكثرتم الحديث عن رسول

---

[١] المنهاج شرح صحيح مسلم، الإمام محي الدين بن شرف النووي: ١٨/٢.

[٢] المصدر السابق: ١٨/٢.

[٣] توثيق السنة في القرن الثاني الهجري: أسسه واتجاهاته، لرفعت فوزي عبدالمطلب: ٣٨. السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، لجيهان رفعت فوزي: ٨٣.

[٤] العالي الرتبة في شرح نظم النخبة، للعلامة الشمني: ٢٦٨.

[٥] معرفة علوم الحديث، لأبي عبدالله الحاكم: ١٤.

[٦] صحيح مسلم: باب: بيان أن الاسناد من الدين: ١٢/١.

[٧] الكفاية في الرواية، للخطيب: ٢٣٩-٢٤٠.

الله صلى الله عليه وسلم).[1] وقال ابن عباس: (إن الناس ركبوا الصعب والذلول في رواية الحديث).[2]

وقال الشعبي -وهو تابعي-: (كره الصالحون الأولون الإكثار من الحديث، ولو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما حدَّثتُ إلا بما أجمع عليه أهل الحديث)،[3] وكان عليٌّ رضي الله عنه يستحلفُ من يُحدثه،[4] وقال أبو الزناد -من التابعين-: (أدركتُ بالمدينةِ مائةً أو قريباً من المائة ما يؤخذ عن أحدٍ منهم، وهم ثقاتٌ، يقال: ليس من أهله)[5].

غير أنه مع انقضاء عصر الصحابة كثرت الرواية، وكَتَبَ كثيرٌ من التابعين صُحفاً مثل: سعيد بن المسيب، والشعبي،والحسن البصري،وسعيد بن جبير، وقتادة، وغيرهم، وقد كان هؤلاءِ التابعونَ حلقةَ وصلٍ بين الصحابة في القرن الأوَّلِ والمصنفين الأوائل في بداية القرن الثاني.[6]

ومع كثرة الرواية وتدوينِ الصحف لا نجدُ استمراراً لمسلك الصحابة السابق في نقد المتون؛ إذ توجه الناقدون إلى نقد الرجال، وانصرفوا إلى تمحيص الإسناد، باستثناء ابراهيم النخعي الذي كان يترك بعضَ أحاديث أبي هريرة مقتدياً في ذلك بما فعله الصحابة متبعاً مسلكهم وكان يقول: (يأخذون من حديث أبي هريرة ويَدَعون).[7]

كما ردّ النخعيُّ حديثَ فاطمةَ بنتِ قيسٍ، وحديثَ الشاهدِ واليمين،[8] لأنَّه يراها تعارض القرآن.

<u>رواية الحديث بلفظه ومعناه:</u>

رواية الحديث تعني أداءه وتبليغه مسنداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك يكون على نوعين:[9]

<u>النوع الأول</u>: روايةٌ باللفظ المسموع من النبي صلى الله عليه وسلم، بدون تغيير في الألفاظ ولا تقديمٍ ولا تأخير، ولا زيادةٍ ولا نقصان، وبذلك يكون الحديث محكماً بلفظه ومعناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا خلاف بين أهل العلم في أن هذا هو الأصل في رواية الحديث النبوي، وحينئذٍ يكون الاستدلال به للقاعد اللغوية أو النحوية استدلالاً صحيحاً قوياً، لأنه نصٌ يأتي بالدرجة الثانية بعد كتاب الله المجيد، وعلى هذا جاءت أكثر الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم كالأحاديث المتواترة، والأحاديث المتعبد بتلاوتها كأحاديث الأذكار والأدعية والتشهد ونحوها، وما كان من جوامع كلمه، والأحاديث المتعلقة بالأمور التوقيفية كأسماء الله وصفاته وتحديد العبادات كمَاً وكيفاً.

<u>النوع الثاني</u>: روايةٌ بالمعنى الذي اشتمل عليه اللفظ النبوي، دون التقيد بالألفاظ المسموعة

---

[1] المدخل إلى معرفة كتاب الاكليل، لأبي عبدالله الحاكم: ١١٦.

[2] صحيح مسلم: المقدمة باب: النهي عن الرواية عن الضعفاء: ١٢/١.

[3] تذكرة الحفاظ، لمحمد أحمد الذهبي: ٨٣/١. الفصول في الأصول، لأبي بكر الجصاص: ١٣٢/٣.

[4] المدخل إلى معرفة كتاب الاكليل، للحاكم: ١١٧.

[5] المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي: ٤٠٧.

[6] توثيق السنة، لرفعت فوزي: ٦٠.

[7] الفصول، للجصاص: ١٢٧/٣.

[8] توثيق السنة، لفوزي عبدالمطلب: ٥٩-٦٠.

[9] الرسالة، للإمام الشافعي: ٢١٣.

منه صلى الله عليه وسلم، وهذا النوع لا يلجأ إليه راوي الحديث إلا إذا غاب اللفظ عن ذهنه ولم يتأكد منه، وهو رخصةٌ تقدر بقدرها، وليس أصلاً يتبع في الرواية، أو يلتزم في الأداء، وليس هو مما اتفق أهل العلم على جوازه، فهناك من منع الرواية بالمعنى مطلقاً، وحرّموا ذلك تحوطاً لما قد يقع في تغير بعض ألفاظه من أخطاء في المقصود من الحديث، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يرد على الراوي إذا قدم أو أخر بين لفظين أو غيّر في المعنى، وكان ابن مسعود وأبو الدرداء وأنس رضي الله عنهم إذا رووّا حديثاً يقولون: (أو نحو هذا)، (أو شبه هذا)، (أو قريباً منه)، (أو كما قال صلى الله عليه وسلم).

ومن التابعين المتشددين محمد بن سيرين وجماعة معه، أوجبوا أن تكون رواية الحديث كرواية القرآن.

لكنّ جمهور العلماء من المحدثين والفقهاء سلفاً وخلفاً جوّزوا رواية الحديث بالمعنى إذا تحققت الشروط الآتية:

١- أن يكون الراوي عالماً باللغة العربية، وبلهجات العرب ووجوه خطابها، بصيراً بالمعاني والفقه، لا يلحن ولا يغير المعاني، عالماً بما يحيل المعنى، وعارفاً بالألفاظ ومدلولاتها، وبالمترادف من الألفاظ، ونحو ذلك وهذا ما عليه العمل في الأحاديث الصحاح وغيرها، فإن الواقعة تكون واحدة وتجيء بألفاظ متعددة من وجوه مختلفة متباينة، وهذا أمر واقع لا مفرّ منه، فإن اختلاف طرق الأحاديث الصحيحة وألفاظها دليل على وقوع رواية الحديث بالمعنى، وأنه هو السائد آنذاك، ولا خلاف في أنه لا يجوز رواية الحديث بالمعنى إذا كان راوي الحديث غير عالم بما يحيل المعنى عند استعمال الألفاظ[١].

٢- أن لا يكون الحديث من جوامع الكلم لأن كلامه صلى الله عليه وسلم في ذلك أفصح الكلام البشري فلا يعدل عنه إلى غيره.

٣- أن لا يكون الحديث بألفاظ متعبد بها كالأذكار والأدعية المأثورة لأن هذه لا تجوز روايتها بالمعنى.

فإذا تحققت هذه الشروط سوغ الجمهور للمحدث أن يأتي بمعنى الحديث دون لفظه؛ لأنه حينئذ يتحرز بالفهم عن تغيير المعاني وإزالة أحكامها، وهو في مأمن من الزلل والخطأ بل إن بعض العلماء أوجب على هذا الصنف من الرواة أداء الحديث بالمعنى إذا لم يحضره اللفظ الأصلي، لأنه تحمل اللفظ والمعنى وقد عجز عن أداء أحدهما، فيجب روايته بمعناه، وممن أوجب ذلك الإمام الماوردي، لأنه يرى أن عدم أدائه بمعناه قد يكون كتماناً للأحكام، أما إذا لم ينس لفظ الحديث فلا يجوز له أن يورده بمعناه، لأن في كلامه صلى الله عليه وسلم من الفصاحة ما ليس في غيره.

وحتى لا يستغل موضوع جواز رواية الحديث بالمعنى لمنع الاستدلال به لقواعد اللغة العربية، لابد أن نقرر الأمور الآتية:

١- إن الرواية بالمعنى لا تشمل ألفاظ الحديث كلها، وإنما غالباً ما تكون بتبديل كلمةٍ أو كلمتين أو ثلاث كلمات بمرادفاتها، وليس أكثر من ذلك.

٢- إن رواة الحديث من الصحابة والتابعين كانوا حريصين أشد الحرص على رواية الحديث

---

[١] معرفة أنواع الحديث، لابن الصلاح: ٢١٢.

بألفاظه كاملةً، وإذا اضطروا إلى تبديل كلمة أو كلمتين، ذكروا بعد الرواية ألفاظاً تفيد التحوط واحترام نص الحديث.

٣- إن معظم رواة الحديث من الصحابة والتابعين كانوا عرباً خلّصاً أهلَ فصاحةٍ وبلاغة، وكانوا على علمٍ بمواقع الخطاب ومحامل الكلام، بالإضافة إلى ما هم عليه من الأمانة والورع والتقوى.

٤- إن الخلاف المذكور في حكم رواية الحديث بالمعنى يجري في غير ما تضمنته كتب الحديث المدونة، والتي استقر أمرها، وتم نقدها سنداً ومتناً؛ لأن الأحاديث المدونة في الكتب المعتبرة ثابتةٌ ليس لأحدٍ أن يغيرها أو يبدل في ألفاظها، وأن الرواية بالمعنى جاءت لرفع الحرج والمشقة عن راوي الحديث، وهذا غير موجود في الأحاديث المدونة في بطون الكتب، ولا يملك أحدٌ تغيير تصنيف غيره، كما ذكر ذلك الإمام ابن الصلاح.

نتائج البحث ورأي الباحث:

بعد هذا التجوال في ميادين المصادر الحديثية واللغوية والتاريخية، يقرر الباحث ابتداءً أن الحديث النبوي مصدرٌ مهمٌ من مصادر تقعيد وتأسيس قواعد اللغة العربية، نحواً وصرفاً وبلاغةً ولغةً، وينبغي الاعتماد عليه في اللغة مصدراً ثانياً بعد كتاب الله المجيد.

ويقرر الباحث أن منع الاحتجاج بالحديث النبوي يُعدُّ تضحيةً كبرى بالحديث الشريف، وهدراً كبيراً لنصوصه العربية الفصيحة البليغة، وحجراً على مصدرٍ عظيمٍ من مصادر الدرس اللغوي والنحوي، وتضييقاً على منابع هذه اللغة العظيمة الواسعة الرحبة، وذلك للأسباب الآتية:

١- إن من يمارس اللغة العربية ويطلع على أسرارها وجمال مفرداتها وتراكيبها، ثم يقرأ الحديث النبوي يجده على منزلةٍ رفيعةٍ من البلاغة وجودة الأسلوب وحسن التركيب بدرجة يعلو مستواها عن النصوص المنقولة عن العرب من شعرٍ أو نثر، وليس من حق أحدٍ أن يُعرضَ عن الاحتجاج بالحديث.

٢- لم نعثر على القول بمنع الاحتجاج بالحديث -لا تصريحاً ولا تلميحاً- لواحدٍ من قدامى النحويين واللغويين الذين كانوا أئمةً في هذا الميدان، كالخليل وسيبويه والمبرد والأخفش والكسائي والفراء وثعلب وغيرهم، سوى أنهم كانوا مقلين من الاستشهاد بالحديث النبوي في مصنفاتهم، لعدم انشغالهم برواية الحديث ونقد سنده، وربما كان ذلك ورعاً واحتياطاً منهم حتى لا يقعوا في خطأ بالحديث، قد يؤدي إلى الكذب المنهي عنه والمتوعد عليه بمقعدٍ في النار، لأن الوضع في الحديث كثر وتزايد بحيث صعب على هؤلاء النحاة الأوائل أن يميزوا بين ما هو للرسول صلى الله عليه وسلم، وما هو ليس له، وهم ليسوا من أهل الاختصاص في هذا الشأن فالتجؤوا إلى النصوص الشعرية والنثرية بعد القرآن، لأنه لا محذور من روايتها والاستشهاد بها من الناحية الشرعية، فقد كان الأصمعي يتجنب رواية الحديث خوفاً من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

لذا اختار اللغويون السلامة في دينهم ورعاً فتحولوا إلى الاستشهاد بالشعر، فشعبة بن الحجاج مثلاً من أكبر أئمة الحديث لكنه كان يميل أحياناً إلى رواية شيء من الشعر١، فنسبة منع الاحتجاج

---

[١] علوم الحديث، د. صبحي الصالح: ٣٢٥.

[١] المصدر السابق: ٣٢٦.

بالحديث إلى هؤلاء اللغويين والنحويين الأوائل دعوى لا سند لها.

٣- إن الأحاديث النبوية دونت واستقرت في مصنفات معلومة جرى عليها تحقيقٌ وتمحيصٌ وتدقيق، يجعل نص الحديث على درجة عالية من التوثيق لم يصل إليها نصٌ عربي آخر من شعر أو نثر باستثناء القرآن الكريم.

٤- إن أول من أثار موضوع الإحتجاج بالحديث النبوي وتولى مناقشته ببيان الآراء والأسباب هو ابن الضائع (ت ٦٨٦هـ)، وهو إشبيلي من أهل الأندلس، ونسب إلى ابن خرّوف (ت ٦٠٩هـ)، أنه كان يستشهد بالحديث النبوي كثيراً، وهو من أهل الأندلس أيضاً[١]، ثم جاء تلميذ ابن الضائع وهو أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، مؤيداً ما ذهب إليه شيخه راداً على ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) استشهاده بالحديث بكثرة، من هذا كله ندرك أن هذا الموضوع أثير في القرن السابع الهجري، أي: بعد تدوين الحديث واستقراره في المصنفات، مما دعا اللغويين والنحويين المتأخرين إلى الاحتجاج به؛ لأن درجة الثقة بنصه وسنده أصبحت مؤكدة، على عكس ما كان عليه اللغويون والنحويون الأوائل قبل تدوين الحديث، ولو قدر لهم أن يطلعوا على ما جرى للحديث من عناية وتوثيق لما وسعهم إلا الاحتجاج به.

٥- إن الذين رووا الحديث من الصحابة والتابعين وتابعيهم كان معظمهم من العرب الأصليين الذين يدخلون ضمن عصر الاحتجاج، ولغتهم يحتج بها لقواعد اللغة العربية، فإذا ما حصل تبديل كلمة بكلمة أخرى في نص الحديث فإن النص يبقى ضمن حدود الاحتجاج زماناً ومكاناً.

وأما إذا كان راوي الحديث أعجمياً فإن عجمته لا تؤثر على نص الحديث بسبب حرصهم على نقل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصه، ولأنهم مارسوا اللغة العربية حتى أصبحوا من أهلها، وربما امتازوا على أهلها ضبطاً وإتقاناً وحفظاً، وخير شاهدٍ على هذا أننا نجد كثيراً من أئمة اللغة والنحو من غير العرب، فسيبويه إمام النحو العربي فارسي الأصل، وابن الحاجب مؤلف كتابي الكافية في النحو والشافية في الصرف من أصل كردي، وهكذا غيرهما، فلا يقدح في متن الحديث كون أحد رواته من أصل أعجمي.

٦- إن تعدد صيغ نص الحديث قد يكون من الراوي كما أسلفنا، وقد يكون من مصدره وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يكرر توجيهاته أكثر من مرة، ليستوعبها السامعون، وكان يعيد ما يقوله في أكثر من مناسبة في أزمنة وأمكنة متفاوتة، فربما غيّر لفظةً مكان لفظةٍ أو جملةً مكان جملةٍ، والمعنى واحد فينقلها كل راوٍ كما سمعها.

٧- إن وقوع لحنٍ أو خطأ من بعض الرواة في نص الحديث لا يلغي الاحتجاج به، وإلا لأوقفنا الاحتجاج بالقرآن الذي يلحنُ في قراءته بعض قرائه، فاللحن حاصلٌ من راوي الحديث لا من مصدره الأول، ويظهر هذا اللحن للمتخصص بصورةٍ جليةٍ واضحة.

<u>نماذج من الاستشهاد بالحديث لقضايا اللغة:</u>

١- حديث[١] (يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حُفالةٌ كحفالة الشعير أو التمر لا يُباليهم الله

---

[١] فيض الانشراح، لابن الطيب الفاسي: ٥٠٤/١. موقف النحاة، د. خديجة الحديثي: ١٦.

[١] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١٩٣/٤. والبخاري: ٦٣/٥ في كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية: عن مرداس الأسلمي. وفي

بالةً)، استشهد به النحويون على تأويل الحال المعرف بالنكرة، فقوله: (الأولَ فالأولَ) حالٌ بتأويل مرتبين، لأن شرط الحال أن يكون نكرة، ويجوز رفع الأول على الصفة أو البدل[1].

٢- حديث[2] (يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار، يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)، استشهد به النحويون على جواز إلحاق علامة الجمع بالعامل إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً مجموعاً، وهي لغة بني الحارث، وهم القائلون: (أكلوني البراغيثُ)، ونسبت أيضاً إلى طيئ وإلى قبيلة أزد شَنوءةَ، فلم يقل: (أكلني البراغيث)، وهو موضوعٌ خلافيٌ بين النحويين[3].

٣- حديث[4] (من صمت نجا)، استشهد به النحويون على جواز الابتداء بكلمات الشرط، وهي (مَنْ) لما فيها من فائدةٍ، وهي تعيين النجاة بالصامت على وجه العموم، فمن: اسم شرط مبتدأ، وصمت: شرطها، ونجا: جوابها سد مسد الخبر، مع أن المقرر في علم النحو أنه لا يجوز الابتداء بالنكرات إلا لفائدة ومنها هذا الحديث.

المقترحات والتوصيات:

إن قضية الاحتجاج بالحديث النبوي لقواعد اللغة العربية تدعو إلى تقديم المقترحات والتوصيات الآتية:

١- إقرار مواد دراسية في المؤسسات الأكاديمية تُعنى بلغة الحديث نحواً وصرفاً وبلاغةً.

٢- اهتمام الجهات المعنية بدراسة الحديث بالجانب اللغوي في الأحاديث النبوية وربطها بلغة العرب والقواعد المقررة في ضبط اللغة.

٣- تعميق البحث العلمي في موضوع الاحتجاج بالحديث النبوي من خلال كتب اللغة والنحو والصرف والبلاغة، وتعضيد ذلك بالكلام العربي القديم الموثوق به.

٤- عقد ندوات ومؤتمرات تخصصية في لغة الأحاديث النبوية وعلاقة الاحتجاج بها بنقد الأحاديث سنداً ومتناً.

٥- تنظيم مسابقات تشجيعية للمبدعين في دراسة الحديث النبوي دراسة لغوية تأصيلية مرتبطة بلغة القرآن والمأثور العربي شعراً ونثراً.

مصادر البحث:

صحيح البخاري أيضاً، في كتاب: الرقائق، باب: ذهاب الصالحين: ١٧٤/٧. وهناك تفاوت في بعض ألفاظه.

[1] شرح الكافية، للرضي: ٢٠٣/١. تخريج احاديث الرضي في شرح الكافية للبغدادي: ١١٢.

[2] الحديث أخرجه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، وفي كتاب التوحيد، وفي كتاب بدء الخلق. ورواه مسلم في كتاب: الصلاة. فتح الباري، لابن حجر: ٣٤/٢-٣٥. الموطأ، للإمام مالك: ١٧٠/١. سنن النسائي بشرح السيوطي: ٢٤٠/١. حلية الأولياء، لابي نعيم: ٣٢٥/٧.

[3] الخصائص، لابن جني: ١٩٤/٢. شرح المفصل، لابن يعيش: ٨٩/٣. همع الهوامع، للسيوطي: ٢٥٧/٢. شرح الأشموني: ٤٨/٢. شرح قطر الندى، لابن هشام: ٢٤٢. تخريج أحاديث الرضي في شرح الكافية، للبغدادي: ٧٢.

[4] أخرج هذا الحديث الطبراني في معجمه الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان، والإمام أحمد في مسنده، وأخرجه الترمذي عن عبدالله عمرو بن العاص، وقال: ((هذا حديثٌ لا نعرفه إلا من حديث ابن لَهِيعَةَ)). انظر: مسند الإمام أحمد: ١٥٩/٢. سنن الترمذي: ٧٠/٤، أبواب القيامة. فيض القدير، للمناوي: ١٧١/٦.

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البسي، بترتيب علاء الدين علي بن بليان الفارسي، تحقيق: شعيب الإرناؤط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
٢- الأدب المفرد، للإمام البخاري، المطبعة السلفية بمصر، ١٣٧٥هـ.
٣- ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، الشيخ يحيى الشاوي المغربي الجزائري (ت ١٠٩٦هـ)، تحقيق: د. عبدالرزاق السعدي، ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م، دار الأنبار، العراق.
٤- الاصباح في شرح الاقتراح، د. محمود فجال، ط١، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، دار القلم دمشق.
٥- الأضداد، لأبي بكر بن الأنباري، طبع في الكويت.
٦- اعراب الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في شرح ابن عقيل، د. محمد أحمد قاسم، ط١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان.
٧- الاعلام، خير الدين الزركلي، ط٤، دار العلم للملايين سنة ١٩٧٩م.
٨- الاقتراح في أصول النحو وجدله، لأبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، ومعه [الاصباح في شرح الاقتراح]، للدكتور محمود فجال، ط١، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، دار القلم دمشق.
٩- البداية والنهاية، لابن كثير، ط١، ١٣٥١هـ، مطبعة السعادة بمصر.
١٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي.
١١- تاريخ دمشق، لابن عساكر، مخطوطة المكتبة الظاهرية.
١٢- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد أبّاه، دار التقريب-بيروت، سنة ٢٠٠١م.
١٣- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح.
١٤- تخريج أحاديث الرضي في شرح الكافية، عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: د. محمود فجال، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، نادي المنطقة الشرقية بالدمام السعودية.
١٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ط٢، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
١٦- تذكرة الحفاظ، محمد أحمد الذهبي، دار احياء التراث-بيروت.
١٧- تقييد العلم، للخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف العش، ط٢، ١٩٧٤، دار إحياء السنة النبوية.
١٨- توثيق السنة في القرن الثاني الهجري، عبدالمجيد محمود، ط١، ١٩٨١م، مكتبة الخانجي بمصر.
١٩- توثيق السنة في القرن الثاني الهجري: أسسه واتجاهاته، جيهان رفعت فوزي، ط١، ٢٠٠١م، مكتبة الخانجي بمصر.
٢٠- الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، ط١، ١٤٠٠هـ، المكتبة السلفية-القاهرة.
٢١- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: فؤاد عبدالباقي، بيروت-إحياء التراث العربي.
٢٢- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٣- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: منير بعلبكي، بيروت- دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.
٢٤- حلية الأولياء، لأبي نعيم، مطبعة السعادة، ١٣٥١هـ.
٢٥- خزانة الأدب ولب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، مكتبة الخانجي القاهرة.
٢٦- الخصائص، لابني جني، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.
٢٧- الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، ١٩٧٨م.
٢٨- سنن أبي داود، تحقيق: محي الدين عبدالحميد، بيروت-دار الفكر.
٢٩- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت-دار إحياء التراث.
٣٠- سنن الترمذي- الجزء الرابع، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت عن طبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، سنة ١٣٥٦هـ.
٣١- سنن ابن ماجه، تحقيق: فؤاد عبدالباقي، بيروت-دار الفكر.
٣٢- سنن النسائي، تعليق: عبدالفتاح أبو غده، ط١، ١٩٨٦م، حلب-مكتبة المطبوعات الإسلامية.
٣٣- سنن النسائي بشرح السيوطي، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ، القاهرة.
٣٤- السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، جيهان رفعت فوزي، ط١، ٢٠٠١م، مكتبة الخانجي-القاهرة.
٣٥- شرح قطر الندى وبل الصدى، لجمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري، تحقيق: يوسف البقاعي، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت.
٣٦- شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، مصورة عن الطبعة القديمة.
٣٧- الصاحبي، لابن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيس البابي الحلبي.
٣٨- العالي الرتبة في شرح نظم النخبة، للعلامة الشمني، تحقيق: معتز الخطيب، ط١، ٢٠٠٤م، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت.
٣٩- علوم الحديث ومصطلحاته عرض ودراسة، د. صبحي الصالح، عن الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م، دار العلم للملايين-بيروت.
٤٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للعلامة ابن حجر العسقلاني، تصوير عن الطبعة السلفية.
٤١- الفصول في الأصول، أبو بكر الجصّاص، تحقيق: عجيل جاسم النشمي، ط٢، سنة ١٩٩٤م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٤٢- في أصول النحو، سعد الأفغاني، طبع سنة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، المكتبة الإسلامية-بيروت.
٤٣- فيض القدير، للمناوي، طبعة مصطفى محمد القاهرة، ١٣٥٦هـ.
٤٤- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، لالإمام اللغوي المحدث أبي عبدالله محمد بن الطيب

الفاسي. وهو شرح الاقتراح في أصول النحو للسيوطي، تحقيق: د. محمود فجال، ط١، سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث- دبي.
٤٥- القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة،خالد بن سعود بن فارس العصيمي، ط١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، دار التدمرية-السعودية.
٤٦- قواعد التحديث من فن مصطلح الحديث، للقاسمي، مطبعة ابن زيدون- دمشق، ١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م.
٤٧- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، عالم الكتب.
٤٨- الكفاية في علم الرواية، للخطيب، تعليق: أحمد عمر هاشم، ط٢، ١٩٨٦م، دار الكتاب العربي- بيروت.
٤٩- نظرية نحو القرآن، د. أحمد مكي الأنصاري، ط١، ١٤٠٥هـ، دار القبلة- مكة المكرمة.
٥٠- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، لابي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية- بيروت.
٥١- المحدث الفاصل بين الرواي والواعي، للرامهرمزي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر بيروت، ١٩٧١م.
٥٢- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٤، ص٧، محضر الجلسة الخامسة والثلاثين من دور الانعقاد الرابع.
٥٣- المدخل إلى معرفة كتاب الاكليل، أبو عبدالله الحاكم، تحقيق: معتز الخطيب، ط١، ٢٠٠١م، دار الفيحاء- دمشق.
٥٤- المزهر، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ط٢، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.
٥٥- المستدرك، لابي عبدالله الحاكم.
٥٦- مسند الإمام أحمد، ط٢، ١٣٩٨هـ، المكتبة الإسلامية- بيروت.
٥٧- مصطلح الحديث ورجاله، د. حسن محمد مقيولي الأهدل، ط٣، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، صنعاء.
٥٨- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار المأمون- مصر، ١٣٥٥هـ.
٥٩- معرفة أنوع علم الحديث، للإمام الحافظ ابي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. عبداللطيف هميم وماهر ياسين، ط١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية- بيروت.
٦٠- معرفة علوم الحديث، أبو عبدالله الحاكم، تحقيق: معظم حسين، مكتبة المتنبي بالقاهرة.
٦١- المغني في النحو، للشيخ منصور بن فلاح النحوي (ت ٦٨٠هـ)، تحقيق: د. عبدالرزاق السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد، ١٩٩٩م.
٦٢- المقتضب، لابي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب.

٦٣- المنهاج شرح صحيح مسلم، للإمام محي الدين بن شرف النواوي، ط٢، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٦٤- منهج أم المؤمنين عائشة في نقد المتن، محمد شكور أمرير، بحث مقدم للملتقى العالمي الأول حول نقد المتن الحديثي، الأردن- المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٤م، ص١٣-٢١.
٦٥- منهج النقد عن المحدثين نشأته وتاريخه، محمد مصطفى الأعظمي، ط٣، ص٧٧، ١٩٩٠م، مكتبة الكوثر- السعودية.
٦٦- الموطأ، للإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٠هـ.
٦٧- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، د. خديجة الحديثي، وزارة الثقافة- العراق، سنة ١٩٨١م.
٦٨- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، د. الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة، دار الفكر العربي- القاهرة.
٦٩- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٩. علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة

د. نورة بنت عبد الله بن متعب الشهري
(قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن – كلية الآداب)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وهو القائل ﴿وَلَا يَأْتُونَك بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاك بِالْحَقِّ وَأَحْسَن تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد:

فلا أحد أعلم من الخلق بمراد الله من رسوله، وهو أول وأعظم من فهم القرآن الكريم، وأعظم من فسر هذا الكتاب الخالد،كما أنه ﷺلم يقدم تفسيره للقرآن في أقوال منطوقة - أحاديث نبوية - فحسب، ولكنه قدم هذا التفسير وذلك الفهم من خلال حياته العملية والدعوية كلها، فكانت حياته كلها

ترجمة فعلية حية للقرآن الكريم، فقد كان ﷺكما قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: (كان خُلُقه القرآن)[١]،وقد تكفل الله بحفظ القرآن فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩]، وتكفل لنبيه ﷺ أن يجمع القرآن في صدره، وأن يتولى بيانه للناس فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[القيامة: ١٨ . ١٩]، وكلَّف نبيه ﷺ ببيان ما أنزله الله من القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وفي هذا البحث سأتطرق بإذن الله لبيان ذلك من خلال مبحثين، وخاتمة.

وأما المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم، والسنة المطهرة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة.

وأما الخاتمة فأجمل فيها ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

نسأل الله العلي القدير أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم، والسنة المطهرة

تعريف القرآن لغة:

اتفق أهل العلم رحمهم الله على أن لفظ "قرآن" اسم وليس بفعل ولا حرف، لكنهم اختلفوا فيه من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز، ومن جهة كونه مصدراً أو وصفاً، على أقوال عدة، تُجمَلُ فيما يأتي[٢]:

---

[١] خلق أفعال العباد للبخاري ٨٧/١، وفي "الأدب المفرد" ١١٥/١برقم ٣٠٨، مسند أحمد ٩١/٦، ١٦٣، ٢١٦، و الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٤/١ .

[٢] معجم مقاييس اللغة ٣٩٦/٢، لسان العرب ١٢٨/١-١٣١، المصباح المنير ٢٥٩، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي١٣٧, البرهان في علوم

القول الأول: إنه "اسم علم غير منقول" وُضِعَ من أول الأمر عَلَماً على الكلام المنزل على محمدﷺ، وهو اسم جامد غير مهموز، مثل التوراة والإنجيل.

وهذا القول مروى عن جماعة من العلماء منهم: الإمام الشافعى وابن كثير وغيرهما رحمهم الله جميعاً[١].

القولان الثانى والثالث: هم القائلون بأن لفظ القرآن "مهموز"[٢]، فقد اختلفوا على رأيين:

١- أن القرآن: مصدر "قرأ" بمعنى: "تلا" كالرجحان والغفران، ثم نقل من المصدر وجُعل اسماً للكلام المنزل على نبينا محمد ﷺ.

ويشهد له قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[القيامة: ١٧- ١٨]. أى: قراءته. ومن القائلين بهذا القول: "اللحيانى[٣]"[٤].

٢- أن القرآن: وصف على وزن فُعلان مشتق من "القَرْء" بمعنى الجمع، ومنه: قَرَأَ الماء في الحوض إذا جمعه، "وَقَرأْتُ الشيء قُرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض"[٥].

قال ابن الأثير رحمه الله: "وسُمِّيَ القُرآن قُرْآناً لِأَنَّهُ جَمع القِصَص، والأمْر وَالنَّهْيَ، والوْعد وَالْوَعِيدَ، والآياتِ والسُّوَر بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَهُوَ مَصْدَرٌ كالغُفْران والكُفْران"[٦].ومن القائلين بهذا القول: "الزجاج"[٧].

القولان الرابع والخامس: هم القائلون بأن لفظ القرآن "غير مهموز" لكنهم اختلفوا في أصل اشتقاقه على قولين:

١- أنه مشتق من "قَرنْتُ الشيء بالشيء" إذا ضَمَمْت أحدهما إلى الآخر، ومنه سُمِّيَ الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران. ومن القائلين بهذا القول: "الأشعري"[٨].

٢- أنه مشتق من "القرائن" جمع قرينة؛ لأن آياته يصدق بعضها بعضاً، ويُشبه بعضها بعض. ومن القائلين بهذا القول: "الفراء"[٩].

ويظهر -والله أعلم-أنَّ أرجح هذه الأقوال هو القول الثاني؛ لِقُربِ اشتقاقه من كلمة القرآن لفظاً ومعنى.

<u>تعريف القرآن اصطلاحاً:</u>

يقول الدكتور فهد الرومي: للعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل ولعل أقربها

القرآن ٢٧٨/١، المفردات في غريب القرآن ٤٠٠، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٠/٤-٣١.

[١] تاريخ بغداد لخطيب البغدادي ٦٢/٢

[٢] معنى مهموز: أن الهمزة في لفظ "القرآن" أصلية، من: "قرأ".

[٣] هو علي بن المبارك اللِّحيانى (أبو الحسن) من بني لحيان، وقيل سُمي به لعظم لحيته، النحوي من كبار أهل اللغة، ومن مشايخه: الكسائى، ومن تلامذته: القاسم بن سلام، ومن أشهر مصنفاته "النوادر"، توفى في حدود (٢١٠هـ). "انظر: معجم المؤلفين ٤٩٠/٢".

[٤] الإتقان في علوم القرآن (١٣٧).

[٥] لسان العرب (١٢٨/١).

[٦] النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٠/٤).

[٧] البرهان في علوم القرآن (٢٧٨/١).

[٨] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[٩] الإتقان في علوم القرآن (١٣٧).

تعريفهم للقرآن بأنه: ((كلام الله تعالى المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته))[1]
وغاية العلماء من ذكر هذه القيود بشكل عام، هي تحديد المُعَرَّفِ، بحيث يكون التعريف دالاً عليه دلالة واضحة، مانعاً من دخول غيره فيه.

شرح القيود في تعريف "القرآن الكريم":

القيد الأول: (القرآن: كلامُ الله): فيخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

القيد الثاني: (المُنَزَّلُ): خرج به ما استأثر الله بعلمه، أو تكلم به إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر، فمِن كلام الله ما ينزله إلى البشر، ومنه ما يستأثر بعلمه.

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧].

القيد الثالث: (محمد ﷺ): خرج به المنزل على غيره من الأنبياء، كالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام ،والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام ،والزبور المنزل على داود عليه السلام، والصحف المنزلة على إبراهيم عليه السلام.

القيد الخامس: (المُتَعَبَّدُ بتلاوته): فتخرج بذلك الأحاديث القدسية. ونريد بالمتعبد بتلاوته أمرين:

الأول: أنه المقروء في الصلاة، والذي لا تصح الصلاة إلا به، لقوله ﷺ (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)[2].

الثاني: أن الثواب على تلاوته لا يعادله ثواب، أي تلاوة لغيره، فقد ورد في فضل تلاوة القرآن من النصوص ما يميزها عن غيرها، فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺقال: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)[3]، وليس هذا الثواب لغير التعبد بتلاوة القرآن الكريم.

<u>تعريف السنة لغة:</u>

١-السنة بمعنى دين الله تعالى، الذي هو أمره ونهيه وسائر أحكامه[4]، قال الراغب: وسنة الله قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته[5].

٢- و السنة بمعنى الأمة. نقله القرطبي عن المفضل، و أنشد:

ما عاين الناس من فضل كفضلهم * ولا رأوا مثلهم في سالف السنن[6].

٣- و السنة بمعنى الطبيعة[7]. قال في اللسان، والسنة: الطبيعة، وبه فسر بعضهم قول الأعشى:

---

[1] دراسات في علوم القرآن الكريم ص٢٣

[2] صحيح البخاري برقم ٧٠٩٥، وصحيح مسلم برقم ٣٩٣ .

[3] سنن الترمذي برقم ٢٩١٠وقال : "حديث حسن صحيح" .

[4] القاموس المحيط (٤:٢٣٩)، المعجم الوسيط (٢٥٦/١).

[5] المفردات ص ٢٤٥.

[6] انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١٦/٤).

[7] الطبيعة: السجية، مأخوذة من " الطبع " وهو: أن يصور الشيء بصورة ما. كطبع السكة والدراهم، فإن ذلك نقش النفس بصورة ما،

كريماً شمائله من بني * معاوية الأكرمين السُّنن[1].

٤- و السنة بمعنى الدوام. نقله الشوكاني عن الكسائي[2].

٥- و السنة بمعنى العادة. قال الزمخشري في تفسير قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣]. (سنة الأولين): إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم. جعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم، وبين أن عادته - التي هي: الانتقام من مكذبي الرسل - عادة لا يبدلها و لا يحولها "[3] فقد فسر السنة بالعادة.وفرق أبا هلال العسكري:"بين السنة والعادة: بأن العادة: ما يديم الإنسان فعله من قبل نفسه، والسنة تكون على مثال سبق"[4].

قال د.عبد الغني بن عبد الخالق: وبالجملة فمعاني " العادة والطبيعة والطريقة والدوام " متقاربة إن لم تكن متحدة "[5].

واتضح من خلال عرض معنى " السنة " في اللغة أن لا بد من التنبه لأمور هي:

١. أن السنة بمعنى الطريقة والسيرة - حسنة كانت أو سيئة - قد استعملت في لغة العرب قبل الإسلام،ووردت في أشعار الجاهلية كما سبق إيراده.

٢. أن القرآن الكريم والحديث الشريف قد وردت فيهما كلمة " السنة " بمعناها اللغوي السابق.

٣. أن السنة وإن خصصها الإسلام بالطريقة التي نهجها النبي ﷺ في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، فإن ذلك لا يعني أن معناها اللغوي قد بطل أو انعدم، بل بقي استعمالها ولكن في نطاق ضيق.

تعريف السنة اصطلاحاً:

يختلف تعريف السنة في الاصطلاح تبعًا لاختلاف أغراض العلماء من بحوثهم حسب تخصصاتهم المختلفة، وسأكتفي بتعريفها عند المحدثين.

السنة في اصطلاح المحدثين:

للمحدثين تعريفات متعددة للسنة، من هذه التعريفات:

١. هي أقواله ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلقية، وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها. هذا هو المشهور عند جمهور المحدثين، وكأن السنة عندهم خاصة بالحديث المرفوع فقط، أما الموقوف والمقطوع فلا. ولعل سند هؤلاء فيما ذهبوا إليه هو: تسمية النبي ﷺ لكل ما جاء به في مقابلة القرآن بالسنة مثل قوله في خطبته في حجة الوداع: (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله وسنتي)[6]. وعلى هذا القول يحمل تسمية كثير من المحدثين

إما من حيث الخلقة أو من حيث العادة، وهو فيما تنقش به من جهة الخلقة أغلب. انظر: المفردات للراغب ص ٣٠٣ بتصرف.

[1] اللسان ٢١٢٥/١٣

[2] إرشاد الفحول ص ٣٣

[3] الكشاف ٢٤٦/٢.

[4] الفروق اللغوية ص ١٨٧.

[5] حجية السنة ص ٥٠،٥١.

[6] موطأ مالك بلاغًا، كتاب القدر، ص: ٥٦١، قال الزرقاني في شرحه للموطأ (٢٤٦/٤): " إن بلاغه صحيح كما قال ابن عيينة" وقد أسنده

لكتبهم في الحديث باسم السنن مثل: سنن أبي عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ، وسنن الإمام أبي داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، وسنن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ، وسنن ابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٣٧٣هـ، أو سنة ٢٧٥هـ.

٢. وقيل: هي أقواله ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلقية، وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة وأفعالهم. وممن ذهب إلى هذا القول الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه المتوفى سنة ١٥٠هـ، فقد ورد عنه أنه قال: " ما جاءنا عن الصحابة اتبعناهم وما جاءنا عن التابعين زاحمناهم". وقال: (إذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم)[١].

وكأن السنة عند أبي حنيفة مخصوصة بالمرفوع والموقوف فقط، أما ما عداهما من المقطوع فلا، ولعل سنده فيما ذهب إليه قوله ﷺ: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)[٢].

٣. وقيل: هي أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخَلقية والخُلقية وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم. وممن ذهب إلى هذا القول الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين المعروف بالبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، حيث أسمى كتابه - الذي جمع فيه ما جاء عن النبي ﷺوفتاوى الصحابة والتابعين وأفعالهم - بالسنن الكبرى، وكأن السنة عنده تشمل: المرفوع، والموقوف، والمقطوع. ولعله استند فيما ذهب إليه إلى: أن الصحابة خالطوا رسول الله ﷺ، وشاهدوا الوحي والتنزيل، وكذلك خالط التابعون الصحابة وجالسوهم، وسمعوا منهم، فكان قولهم وفعلهم أولى بالقبول من غيرهم، وأصبح داخلاً في مفهوم السنة.

فعلماء الحديث: إنما بحثوا عن رسول الله ﷺالإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق، وشمائل وأخبار، وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكمًا شرعيًا أم لا.

شرح التعريف: يقصد بأقوالهﷺ: كل ما تلفظ به في مختلف الظروف والمناسبات، ويسميه العلماء أيضًا بالسنة القولية، ويجمع فيقال: سنن الأقوال، ومثاله:

١. قول النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٣].

٢. وقوله ﷺ:"إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من

ابن عبد البر في التمهيد من حديث أبي هريرة وحديث عمرو بن عوف، وقال: " هذا حديث مشهور عن النبي ﷺعند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد"، ينظر: (فتح المالك بترتيب التمهيد لابن عبد البر على موطأ مالك (٢٨٢/٩-٢٨٣) ومستدرك الحاكم (رقم ٩٣١) وصححه، ووافقه الذهبي".

[١] أصول السرخسي (٣١٣/١).

[٢] سنن الترمذي برقم ٢٦٧٦ وقال: "حديث حسن صحيح"، وسنن ابن ماجه برقم ٤٢، ومسند أحمد ١٢٦/٤، ١٢٧كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

[٣] صحيح البخاري برقم ١،من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلكِ وأقطع من قطعكِ؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لكِ، قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [النحل: ٤٤].

٣. وقوله ﷺ:" ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"[١]، وغير ذلك.

ويقصد بأفعاله ﷺ: سلوكه وتطبيقه العملي لوحي الله تعالى المنزل عليه، ومثاله:

١. ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺإذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: " سمع الله لمن حمده" حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم: " ربنا ولك الحمد" ثم يكبر حين يهوي، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد الجلوس"[٢].

٢. ما رواه أنس بن مالك قال: " كان النبي ﷺلا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء، وأنه يرفع حتى يرى بياض إبطيه"[٣].

٣. ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: "كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول يخب ثلاثة أطواف، ويمشي أربعة، وأنه كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة"[٤]وغير ذلك.

ويقصد بتقريراته ﷺ:

كل ما صدر عن بعض أصحابه من قول أو فعل, وأقره ﷺ إما بسكوت منه وعدم إنكار، وإما بموافقة وإظهار استحسان. فالإقرار صار من السنة الشريفة بموافقة النبي ﷺ, فهو عليه السلام لا يقر باطلاً ولا يسكت على منكر, فما أقره دلّ على أنه لا حرج فيه, - وذلك كما قال ابن حزم[٥] -: لأن الله – عز وجل – افترض عليه التبليغ وأخبره أنه يعصمه من الناس، وأوجب عليه أن يبين للناس ما نزّل إليهم؛ فمن ادعى أنه عليه السلام علم منكرًا فلم ينكره فقد كفر؛ لأنه جحد أن يكون عليه السلام بلّغ كما أمر، ووصفه بغير ما وصفه ربه تعالى، وكذّبه في قوله عليه السلام: " اللهم هل بلغت"؟ فقال الناس: نعم. فقال: " اللهم اشهد". قال ذلك في حجة الوداع[٦]

ومن أمثلة الإقرار:

١. إقراره ﷺ لأصحابه على اجتهادهم في شأن صلاة العصر في غزوة بني قريظة:

---

[١] صحيح البخاري برقم ٢٥٨٧، وصحيح مسلم برقم ١٣٧ .

[٢] صحيح البخاري برقم ٧٧٠، وصحيح مسلم برقم ٣٩١ .

[٣] صحيح البخاري برقم ٩٨٤، وصحيح مسلم برقم ٨٩٥.

[٤] صحيح البخاري برقم ١٥٣٨، وصحيح مسلم برقم ١٢٦١، ومعنى: خب: أي يرمل، والرمل: الهرولة، يسعى: يسرع، بطن المسيل: أي الوادي الذي بين الصفا والمروة، وهو قبل الوصول إلى الميل الأخضر المعلق بركن المسجد إلى أن يحاذي الميلين الأخضرين المتقابلين اللذين أحدهما بفناء المسجد والآخر بدار العباس.

[٥] الإحكام في أصول الأحكام ١/ ١٤٦.

[٦] صحيح البخاري برقم ٢٤٥٧، وصحيح مسلم برقم ٢٢١.

حين قال لهم: " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"[1].

فقد فهم بعضهم من هذا النهي أنه على حقيقته وأنه تحرم صلاة العصر إلا في بني قريظة، فأخرها إلى هناك حتى خرج وقتها، وفهم البعض الآخر من هذا النهي: أنه ليس على حقيقته وأن المقصود منه الحث على الإسراع، فصلاها في وقتها، ولما علم النبيﷺ بما صنع الفريقان لم يعنف واحدًا منهما ولم ينكره عليه، فكان ذلك منه ﷺ إقرارًا بصواب صنيعهما، وصار ذلك سنة تقريرية عنهﷺ.

٢. ما رواه عمرو بن العاص- رضي الله عنه- قال: " احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمّمت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبيﷺ، فقال: يا عمرو! صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا[2].

٣. ما رواه عروة بن الزبير أن عائشة ﵂قالت: " لقد رأيت رسول الله ﷺ يومًا على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد, ورسول الله ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم"[3]. وقد علق الأستاذ الدكتور أديب صالح على ذلك قائلاً: " فهذا إقرار منه لا يجوز لأحد بعده أن يعتبر اللعب في المسجد بالسلاح – تمرينًا على الحرب واستعدادًا للقتال إن احتيج إلى ذلك – أمرًا مخالفًا للسنة"[4].

ويقصد بصفاته ﷺ الخَلقية: ما يتعلق بذاته وتكوينه، ومن أمثلة ذلك:

١. حديث البراء بن عازب ﵁ قال: " كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير"[5].

٢. حديث البراء أيضًا، قال: " كان النبي ﷺ مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئًا قط أحسن منه"[6].

٣. حديث أنس ﵁، قال: " ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحًا قط أو عرفًا قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ "[7].

ويطرح الدكتور مروان شاهين[8] سؤالاً له وجاهته، ويجيب عنه فيقول – حفظه الله-: "قد يسأل سائل: كيف نعتبر الصفات الخَلقية له صلى الله عليه وسلم من السنة مع أنه لا يمكن الاقتداء بها؛ لأنها من قدر الله تعالى, ونحن لا نتعلم السنة إلا لكي نقتدي برسولنا ﷺ ونتبعه في هديه كله؟

والجواب من عدة وجوه:

---

[1] صحيح البخاري برقم ٩٠٤، وصحيح مسلم برقم ١٧٧٠.

[2] صحيح البخاري تعليقًا، ١/ ٩٥، وسنن أبو داود برقم ٣٣٤، ومستدرك الحاكم برقم ٦٢٩وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

[3] صحيح البخاري برقم ٤٤٣.

[4] لمحات في أصول الحديث، ص: ٢٩، ٣٠.

[5] صحيح البخاري برقم ٣٣٥٦، وصحيح مسلم برقم ٢٣٤٧ .

[6] صحيح البخاري برقم ٣٣٥٨، وصحيح مسلم برقم ٢٣٤٧ .

[7] صحيح البخاري برقم ٣٣٦٨، وصحيح مسلم برقم ٢٣٣٠ .

[8] تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ١/ ٢١، ٢٢.

أولاً: لكي نعلم الصفاتِ الخَلقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يعقل أن يكون هو رسولنا الذي هدانا الله تعالى به، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور ثم لا نعلم ما هي الهيئة الخَلقية التي أوجده الله تعالى عليها.

ثانيًا: حتى يتأكد لنا أن الله تعالى قد خلقه على أحسن هيئة وأكمل صورة بشرية – كما خلقه أيضًا بريئًا من العيوب الخلقية – حتى تجتمع القلوب حوله، وهذا يعتبر من الأدلة على صدق رسالته ﷺ، لأن الله تعالى قد برأ الأنبياء جميعًا من أيِّ عيب خَلقي.

ثالثًا: لكي يتأكد لنا أن الله تعالى قد أوجده على نفس الهيئة وبنفس الصفات التي ذكرت في الكتب السابقة، وفي هذا دليل واضح على صدق رسالته ﷺ، ولعل ما ورد في كتب السيرة من قصة بحيرا الراهب الذي رأى النبي ﷺ في صباه في الثانية عشرة من عمره أثناء رحلته إلى الشام مع عمه أبي طالب، وعرف بحيرا الراهب أنه النبي المنتظر بجملة من العلامات ذكرت له في الكتب السابقة، من بينها خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ، والخاتم هذا أمر خَلقي عرف به بحيرا أنه ﷺ هو النبي المنتظر.

وقد ذكر القرآن الكريم أن رسول الله ﷺ كان مكتوبًا في التوراة والإنجيل، فقال عزّ من قائل:﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[سورة الأعراف: ١٥٧].

وقد نعى الله تعالى على أهل الكتاب عدم اتباعهم للرسولﷺ مع تأكدهم من صدق رسالته، بل ومعرفتهم به كما يعرفون أبناءهم, ومع ذلك كتموا الحق الواضح الصريح وهم يعلمون، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٦].

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى أن أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم أولاده، ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقيق والإتقان العلمي ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، أي: ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ ﴿وهم يعلمون﴾"[١].

رابعًا: ومن الأسباب التي تجعلنا نعتبر الصفات الخَلقية له ﷺ من السنة أيضًا، ما حاوله بعض أعداء الإسلام من إلصاق بعض الصفات غير الحقيقية به ﷺ. ومعرفتنا بصفاته الخَلقية تجعلنا ندافع عنه ونحن في موقف القوة والثبات لأنه ثبت بكل الأدلة كمال خلقته ﷺ.

خامسًا: نتعلم صفاتِه الخَلقية ونعتبرها من السنة حتى نقتدي بكل ما يمكن الاقتداء به منها، مثل صفة لحيته ﷺ".

ويقصد بصفاته الخُلقية: ما يتعلق بأخلاقه الشريفة ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

١. قول السيدة عائشة ﵂ حين سئلت عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت للسائل: "

[١] تفسير ابن كثير ١/ ١٩٤.

ألست تقرأ القرآن؟ فقال: بلى، قالت: فإن خُلق رسول الله ﷺ القرآن"[1].

٢. ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها"[2].

٣. ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: قال: "لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا"[3].

هذه بعض أخلاقه ﷺ، ولقد وصل رسول الله ﷺ إلى درجة الكمال البشري فاتصف بكل صفات هذا الكمال البشري، ووجدت فيه كل صفة على أعلى درجاتها وكمال هيئتها. وامتدحه رب العزة قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤].

ويقصد بسائر أخباره: ما صدر عنه ﷺ في كل أحواله، حركة وسكوناً، ويقظة ومناماً، سواءً كان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

أما حركاته: فهي وسائل تربوية: يقصد من ورائها شد انتباه المتلقي، ولفت نظره إلى أهمية ما يلقى عليه، ومن الأمثلة على ذلك:

١- قولهﷺ (التقوى ها هنا، وأشار إلى صدره ثلاثاً)[4]. فهذه الحركة المتمثلة في الإشارة أفادتنا أن محل التقوى هو القلب.

٢- قوله ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، قال الراوي: وكان متكئاً فجلس، ثم قال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور ثلاثاً، حتى قلنا: ليته سكت)[5].

فتغيير النبي ﷺ من وضعه وحركته أفاد خطورة ما جاء بعدها حتى يحذره القوم، ويقدرونه قدره.

٣- قول عبد الله بن مسعود: خط رسول اللهﷺ خطا مستقيمًا، ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيماً، وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها إلا عليه شيطان يدعو إليه) ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[6]. [سورة الأنعام: ١٥٣].

٤- وعن ابن مسعود أيضاً قال: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: (هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به – أو قد أحاط به -، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا)[7]. ففي هذين الحديثين استخدم رسول الله ﷺ الرسم كوسيلة إيضاح لإيصال ما يريده إلى ذهن أصحابه، وهذا ما يأخذ به علماء التربية اليوم في التعليم والتلقي، وقد سبقهم إليه رسول الله ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

---

[1] صحيح مسلم، وهو جزء من حديث طويل برقم ٧٤٦.

[2] صحيح البخاري برقم ٣٣٦٩، وصحيح مسلم برقم ٢٣٢٠ .

[3] صحيح البخاري برقم ٣٣٦٦، وصحيح مسلم برقم٢٣٢١ .

[4] صحيح مسلم، جزء من حديث طويل برقم ٢٥٦٤ .

[5] صحيح البخاري برقم (٢٥١١) و صحيح مسلم برقم (٨٧).

[6] مسند الإمام أحمد ٤٦٥/١، ومستدرك الحاكم برقم ٢٩٣٨وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[7] صحيح البخاري برقم ٦٠٥٤.

المبحث الثاني: علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة

أوكل الله تعالى إلى رسوله ﷺ مهمة بيان ما في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فالله تعالى قد فوض رسوله ﷺ في بيان القرآن الكريم للناس، وذلك بنص الآية السابقة، ومن هنا نستطيع القول، بأن علاقة القرآن الكريم هي علاقة البيان، أي أن السنة المطهرة تبين للناس ما جاء في القرآن الكريم.

يقول الشيخ فهد الرومي: (لم يكن الرسول ﷺيطنب في تفسير الآية أو يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته ولا ثمرة في إدراكه، فكان جل تفسيره بياناً لمجمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق، أو بياناً لمعنى لفظ أو متعلقه)[1] فقد اقتصر ﷺعلى بيان المعاني الضرورية التي لا تحتمل التأخير، أو التي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريقه،وترك ما سوى ذلك للأمة ليعملوا عقولهم في التدبر والتفكر، **ويدل على ذلك:**ما روي عن أبي جحيفة ﷺ قال: قلت لعلي ﷺ:هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلا في القرآن،وما في هذه الصحيفة ؟ قلت: وما في الصحيفة قال:العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر)[2].

فالقرآن والسنة يحتاج كل منهما للآخر لمعرفة الأحكام الشرعية، قال البيهقي: «ومعنى احتياج القرآن إلى السنة أنها مبينة له ومفصلة لمجملاته؛ لأن فيه لوَ جَازته كنوزًا تحتاج إلى من يعرف خفايا خباياها فيبررها، وذلك هو المنزل عليه ?، وهو معنى كون السنة قاضية عليه، وليس القرآن مبينًا للسنة ولا قاضيًا عليها»[3]

وسنذكر بعض الأمثلة عن كيفية علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة : - عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل،أحب فلاناً فينوه بها جبريل في حملة العرش، فيحبه أهل العرش،فيسمع أهل السماء السابعة لغط أهل العرش،وذكر الحديث وقال فإنما يسرناه بلسانك،﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧] وقال النبي ﷺ: (كل ميسر لما خلق له)[4]

- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب تحتها مائة عام اقرأوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾)[5][الواقعة:٣٠]

- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)[1].

---

[1] بحوث في أصول التفسير: ص١٩ .

[2] صحيح البخاري برقم٢٨٨٢

[3] مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٤٤.

[4] خلق أفعال العباد للبخاري ٧٠/١

[5] صحيح البخاري برقم٤٥٩٩.

[1] صحيح مسلم برقم١٩١٧.

- عن أبي سعيد الخدري ﷺقال: قال رسول الله ﷺ يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك، وسعديك يا رب فيقول له هل بلّغت، فيقول: نعم، فيقال لأمته هل بلّغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول: من شهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون انه قد بلّغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] والوسط قال: العدل[١]

- عن ابن مسعود ﷺقال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢]شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟ قال ﷺ: «ليس ذلك، إنما هو الشرك؛ ألم تسمعوا ما:﴿قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.﴾[لقمان: ١٣])[٢]

- فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[الأنعام:٥٩] فقال: الغيب خمسة﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾)[٣] [لقمان:٣٤]. ففسر الآية من سورة الأنعام بالآية من سورة لقمان، كما نرى وهو أسلوب اتبعه الرسول لما فيه من توضيح وتبيان للمسلمين لألفاظ ومعاني القرآن الكريم.

- عن ابن مسعود ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)[٤]، فهذا الحديث يصلح لتفسير قوله تعالى:﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[الفجر: ٢٣].

- عن عائشة ﷺقالت: (ما صلى النبي ﷺصلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)، وفي رواية قالت: (يتأول القرآن)، أي قوله تعالى:﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣])[٥].

-عن أبي سعيد بن المعلى ﷺقال:كنت أصلي فدعاني النبي فلم أجبه فقال:ألم يقل الله ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت: يارسول الله إنك قلت لأعلمنك سورة في القرآن قال: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)[٦]

-تفسيره ﷺ للغيبة في قوله تعالى﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾[الحجرات:١٢]حيث قال:

(أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا:الله ورسوله أعلم،قال:ذكرك أخاك بما يكره قيل:أفرأيت إن كان في أخي ما

---

[١] صحيح البخاري برقم٤٢١٧.

[٢] صحيح البخاري برقم ٣٢٤٥.

[٣] صحيح البخاري برقم٤٣٥١.

[٤] صحيح مسلم برقم٢٨٤٢.

[٥] صحيح البخاري برقم٤٦٨٣.

[٦] صحيح البخاري برقم٤٢٠٤.

أقول، قال: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته،وإن لم يكن فيه فقد بهته)[1]

- تفسيره لقوله تعالى﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[يس: ٣٨] عن أبي ذر قال:كنت مع النبي في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى:﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾)[2][يس: ٣٨]

-استخدامه ﷺ للتشبيهات البلاغية والتي تقرب معنى الآية لذهن القارئ ومن ذلك:بيانه لـ(سدرة المنتهى) في قوله تعالى ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٢-١٦] من حديث مالك بن صعصعة ﷺ قصة المعراج وفيه (ثم رفعت لي سدرة المنتهى[3]،فإذا نبقها مثل قلال هجر[4]، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى)[5].

-حديث: "إنما الأعمال بالنيات"[6] كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الاسراء:١٨]إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ [الاسراء:١٩].

وقوله:﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]و﴿مَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة:٨٩].

-قوله ﷺ:"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[7] في قوله تعالى: ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[الذاريات:٢٤]. وقوله:﴿والْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء:٣٦].

-قوله ﷺ: "رأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به"[8] من مفهوم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[النحل:١٢٣].

-قوله ﷺ: "إن الله لا ينام"[9] في قوله: ﴿سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥].

- قوله ﷺ: "الصلوات الخمس كفارات لما بينهن"[10]،و"رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما"[11] في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام:١٦٠].

- قال ﷺ في الصوم:"لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك"[1].

---

[1] صحيح مسلم برقم٢٥٨٩ .

[2] صحيح البخاري برقم ٤٥٢٤.

[3] تاج العروس ١٥٧/٤٠ وهو مفتعل من النهاية، أي ينتهى ويبلغ بالوصول إليها فلا يتجاوز .

[4] لسان العرب ٥٦٥/١١ (القلال :هو إناء للعرب كالجرة الكبيرة،وهجر : قرية قريبة من المدينة وليست هجر البحرين، وكانت تعمل بها القلال).

[5] صحيح البخاري برقم٣٠٣٥ و برقم٣٦٧٤ .

[6] صحيح البخاري برقم ١.

[7] صحيح البخاري برقم ٥٦٧٢، وصحيح مسلم برقم ٧٤ .

[8] صحيح البخاري برقم ٣٢٥٤، وصحيح مسلم برقم ١٦٨ .

[9] صحيح مسلم برقم ١٧٩ .

[10] صحيح مسلم برقم ٢٣٣.

[11] صحيح مسلم برقم ٤٩٨.

[1] صحيح البخاري برقم ١٧٩٥، وصحيح مسلم برقم ١١٥١ .

أشار إلى سر في الصيام وهو حسن عاقبته لقوله تعالى:﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٨٤].

-قوله ﷺ وقد رأى أعقابهم تلوح لم يصبها الماء: "ويل للأعقاب من النار"[١] في مفهوم﴿فَاغْسِلُوا﴾في معنى قوله تعالى عليه السلام: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤].وغسل هو قدميه وعمهما غسلا.

-قوله ﷺ: "إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه وخرج من كل خطيئة نظر إليها بعينيه"[٢]. من قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[المائدة:٦].أي من ذنوبكم﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦]..

-قوله ﷺ: "أنتم الغر المحجلون يوم القيامة"[٣] في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[الحديد:١٢].

-وقوله ﷺ: "حلت له شفاعتي يوم القيامة"[٤] في قوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

-وقوله ﷺ: "دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك وكل به كلما دعا لأخيه بشيء قال الملك: آمين "[٥] "ولك بمثله" في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].إلى أخر السورة هذا دعاء من يأتي به لنفسه ولجماعة المسلمين بظهر الغيب تقول الملائكة في السماء آمين وقد قال تعالى: "ولعبدي ما سأل"[٦].

-ومن الأمر بمجاهدة المشركين والمنافقين قوله ﷺ: "تخرج الأرض أفلاذ كبدها ويحسر الفرات عن جبل من ذهب"[٧] في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[الزلزلة:٢].وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[النمل:٢٥].

-قوله ﷺ: "حتى تعود أرض العرب مروجا"[٨] في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [يونس:٢٤].وذلك يكون عند إتمام كلمة الحق:﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ [محمد:٣٨].

-قوله ﷺفي مثل الدنيا: "إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها"[٩] في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى*أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[العلق:٦-٧]وقوله:﴿إِنَّمَاالْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾[الحديد:٢٠].

-وقوله ﷺ: "تسحروا فإن في السحور بركة"[١] من آثار قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

---

[١] صحيح البخاري برقم ٦٠، وصحيح مسلم برقم ٢٤١ .

[٢] صحيح مسلم برقم ٢٤٤.

[٣] صحيح البخاري برقم ١٣٦، وصحيح مسلم برقم ٢٤٦ .

[٤] صحيح البخاري برقم ٥٨٩ .

[٥] صحيح مسلم برقم ٢٧٣٣ .

[٦] صحيح مسلم برقم ٣٩٥ .

[٧] صحيح البخاري برقم ٦٧٠٢، وصحيح مسلم برقم ٢٨٩٤.

[٨] صحيح مسلم برقم ١٥٧ .

[٩] صحيح البخاري برقم ١٣٩٦، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٢.

[١] صحيح البخاري برقم ١٨٢٣، وصحيح مسلم برقم ١١٥١.

الأَبْيَضُ﴾ [البقرة:١٨٧].

-وقوله ﷺ: "إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا فقد أفطر الصائم"[١] في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧].

-وقوله ﷺ: "إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني"[٢] في معنى قوله حكاية عن خليله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩].

وقوله ﷺفي حديث الصعب بن جثامة:"إنا لم نرده عليك إلا أنّا حُرُم"[٣] في مفهوم قوله تعالى: ﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة:٩٥].

-قوله ﷺ: "يبعث كل عبد على ما مات عليه"[٤] في قوله تعالى: ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية:٢١].

-قوله ﷺ: "إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب من كان منهم ثم يبعثون على أعمالهم"[٥] في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾[الأنفال:٢٥].

-وقوله ﷺ: "من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"[٦] في قوله تعالى:﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾[النساء:٨٥].ومع قوله:﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[النحل:٢٥].وقوله:﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣].

-وقوله ﷺفي جواب من سأله أي الصدقة أعظم؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم"[٧] في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[الواقعة:٨٣].وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾[إبراهيم:٣١].

-وقوله ﷺ:"اليد العليا خير من اليد السفلى"[٨] في قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد:٣٨].وقد جاء أن اليد السفلى الآخذة والعليا هو المعطية وشاهده قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [الحديد:١١].

-قوله ﷺ: "من يرد الله به خيرا يفقهه"[٩] في قوله تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣].إلى قوله: ﴿لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].وقوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥].وقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤]. ووصف

---

[١] صحيح البخاري برقم ١٨٣٩، وصحيح مسلم برقم ١١٠١.

[٢] صحيح البخاري برقم ١٨٦٤، وصحيح مسلم برقم ١١٠٣.

[٣] صحيح مسلم برقم ١١٩٥.

[٤] صحيح مسلم برقم ٢٨٧٨.

[٥] صحيح البخاري برقم ٦٦٩١، وصحيح مسلم برقم ٢٨٧٩.

[٦] صحيح مسلم برقم ١٠١٧.

[٧] صحيح البخاري برقم ١٣٥٣، وصحيح مسلم برقم ١٠٣٢.

[٨] صحيح البخاري برقم ١٣٦١، وصحيح مسلم برقم ١٠٣٤.

[٩] صحيح البخاري برقم ٧١، وصحيح مسلم برقم ١٠٣٧.

من لم يفهم عن المخلوقات بقوله: ﴿لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]. وقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً. وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء:٤٥-٤٦].

- استخدامه ﷺ في تفسيره الوسائل التعليمية[١].

-بيان القصص الواردة في القرآن كما في قصة موسى والخضر فلا يمكن فهم القصة بدون ما روي عن النبي في ذلك.

وبالجملة فالقرآن كله لم ينزله تعالى إلا ليفهّمه ويُعلم ويفهّم، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون والذين يعلمون والذين يفقهون والذين يتفكرون ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب.

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ علي بإتمام هذا البحث، وقد خرجت بحمد الله تعالى بجملة من الفوائد والنتائج؛ رأيت أن أجملها في النقاط الآتية:

١- أول وأعظم من فهم القرآن الكريم، وفسره المصطفى ﷺ، فالسنَّةُ تُوضح القرآنَ وتُبَيِّنُه وتَدُلُّ عليه، وتُعَبِّرُ عنه.

٢- يُعدُّ موضوع علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة من الموضوعات المهمة التي لم تحظَ بعناية كبيرة في مجال الدراسات الحديثية؛ إذ لم يتطرق له الأوائل ولا الأواخر بتصنيف مستقل؛لذا فإن هذا البحث يُعدُّ نافذة جديدة في مجال الدراسات الحديثية، والذي أسأل الله تعالى بمنِّه وفضله أن ينفع به.

٣- المتأمل في بعض كتب التفسير يجد أن بعض المفسرين، لا يفرق بين الصحيح والضعيف، والشاذ والمعلل، فمن فسر القرآن بكل ما يروى من الأحاديث دون تمييز، فقد قال على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بغير علم، لذا وجب على طلاب علم الحديث تخريج الأحاديث والحكم عليها.

٤- الواجبَ على المسلِمِ أن يَأخُذَ الأحاديثَ الثابتةَ الصحيحةَ، وأن يَتَقَبَّلَها ويَعْمَلَ بها ولا يَرُدَّ منها شيئاً، ويَعتقدَ أنها مِن اللهِ تعالى.

٥- لا فرق بين القرآن والسنة من حيث ثبوت الأحكام بها، والاستدلال بها في فروع الشريعة وأصولها، إذا ثبتت السنة عند أهلها بالطريقة المعروفة عندهم.

الاقتراحات والتوصيات:

١-أدعو إلى الاهتمام بتوضيح علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة في جميع مجالات التعليم والتوجيه والتربية ؛ لإنشاء الأجيال على فهم كتاب الله بسنة المصطفى ﷺ إلى جانب كتاب الله.

٢- لا يزال موضوع علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة بحاجة إلى البحوث والدراسات العلمية؛ لتكتمل أطرافه.

---

[١] سبق الكلام عنها في المبحث الأول في شرح تعريف السنة عند اصطلاح المحدثين (سائر أخباره - حركاته).

أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما جهلنا، وأن يرزقنا العمل بما علمنا،فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن عجزي وقلة علمي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أهم المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. المصنف،أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني،المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي

٣. حجية السنة، للدكتور عبد الغني عبد الخالق، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني،تحقق: سامي بن العربي الأثري.

٥. أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر، دار المعرفة – بيروت.

٦. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.

٧. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث - القاهرة - ١٤٠٤، الطبعة: الأولى.

٨. الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،تحقيق وتعليق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية بالقاهرة, سنة ١٣٧٥ هـ

٩. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم

١٠. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير , اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

١١. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون

١٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،١٤٢٧ – ٢٠٠٦،الطبعة: الأولى.

١٣. السنة فى مواجهة أعدائها، للدكتور طه حبيشى، مكتبة رشوان بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٤. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد ، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي،الطبعة: الأولى ١٤٢١ – ٢٠٠١.

١٥. الفروق اللغوية،أبي هلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم و الثقافة.

١٦. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٧. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة

الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
١٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
١٩. المخصص، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهم جفال.
٢٠. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٢١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
٢٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٢٣. المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
٢٤. النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، خرج أحاديثه وعلق عليه صلاح عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٥. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي، مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ.
٢٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين
٢٧. تاريخ بغداد،الخطيب البغدادي،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى ١٤١٧ - ١٩٩٧ م،دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٨. تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير، للدكتور مروان محمد شاهين، مكتب فوزى الشيمى للطباعة بطنطا، بيروت.
٢٩. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل،محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م
٣٠. دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي،الطبعة الرابعة عشر (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
٣١. سنن أبي داود،سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي،دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
٣٢. سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي
٣٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

٣٤. فتح المالك بترتيب التمهيد لابن عبد البر على موطأ الإمام مالك، ابن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧،لبنان.
٣٥. لسان العرب،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
٣٦. لمحات في أصول الحديث، محمد أديب صالح، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٧. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.
٣٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – مصر.
٣٩. معجم المؤلفين، لعمر كحالة، دار إحياء التراث العربى بيروت.
٤٠. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
٤١. مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة، جلال الدين السيوطي، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٧ هـ.
٤٢. موطأ الإمام مالك، اسم المؤلف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - مصر -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٠. لغة الحديث النبويّ بين التخريج الإعرابيّ والتقنين النحويّ الدماميني في كتابه "مصابيح الجامع" أنموذجا

د. حسن خميس الملخ
(قسم اللغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة - جامعة آل البيت- الأردن)

كانَ من المألوف في مُواضعات البحث العلميّ أنْ تنشأَ الحِوارات العلميّة حولَ الاستدلال بالحديث النبويّ الشريف لبناء منظومة النحو العربيّ مع بداية تشكّله العمليّ في القرن الثاني الهجريّ، كما سارَ الأمر مع الاستدلال بالشعر والقرآن وقراءاته والأمثال والأقوال السَّيّارة؛ ذلك أنَّ النحاةَ الأوائل تطارحوا الرأي في الشعر الجائز الاحتجاج به، فأجمعوا على جواز الاحتجاج بالشعر الجاهليّ الموثوق بصحته، كشعر امرئ القيسِ، وزهير بن أبي سُلمى، والأعشى، وأضرابهم، كما أجمعوا على جواز الاحتجاج بشعر الشعراء المخضَرمين الذين عاشوا في الجاهليّة، ثم أدركوا الإسلام كحسّان بن ثابت، وكعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة رضي الله عنهم.

ثمّ اختلفَ بعضُ نحاة القرن الثاني الهجريّ قبل الخليل وسيبويه في الاحتجاج بشعر الشعراء الإسلاميّين في صدر الإسلام والدولة الأموية وبداية ظهور الدولة العباسيّة إلى حدود منتصف القرن الثاني الهجريّ، فكانَ عبدالله بن أبي إسحق الحضرميّ المتوفّى سنة ١١٧هـ يُلحِّن الفرزدقَ في بعضِ شعره ويُخطِّئه[(١)]، كما كان أبو عمرو بن العلاء المتوفَّى سنة ١٥٤هـ لا يحتجّ بشعر الإسلاميّين، قال الأصمعيّ: "جلستُ إلى أبي عمرو عشرَ حِجَج، فما سمعته يحتجّ ببيت إسلاميّ"[(٢)].

ولعلَّ السبب كما تلمَّسَه عبد القادر البغداديّ يعود إلى أنَّ بعضَ الشعراء الإسلاميّين كانوا معاصرين لابن أبي إسحق وأبي عمرو، كالأخطل وجرير والفرزدق، والمعاصرة حِجاب، ذلك أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيديّ وسيبويه ومن جاء بعدهما حسموا الأمر بجواز الاحتجاج بشعر الإسلاميّين حتى منتصف القرن الثاني الهجريّ عندَ وفاة ذِي الرّمة.

أمَّا الشعراء المحدَثون المولَّدون المشهود لهم بالفصاحة وإجادة العربيّة من لَدُن بشّار بن بُرد حتى العصور المتأخرة كأبي تمّام والبحتري والمتنبيّ وأبي فراس الحمدانيّ وأبي العلاء المعريّ؛ فلا يُحتجّ بشعرهم في النحو والصرف، وإن وَرَد شيءٌ منه في تضاعيف كتب النحو فهو على سبيل التمثيل أو التنبيه على نكتة نحويّة أو صرفيّة، كما في تعليقات ابن هشام على بعضِ أشعار المتنبيّ في كتابه "مُغني

---

(١) يُنظَر: ابن سلاّم الجُمَحيّ، أبو عبدالله محمد، طبقات فحول الشعراء، شرح وتحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٠م، ج ١، ص ١٦-١٨. وأبو الطيّب الحلبيّ، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويّين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٣١-٣٢.

(٢) يُنظَر: عبد القادر البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨١م، ج ١، ص ٦.

اللبيب عن كتب الأعاريب"[١].

أمَّا القرآن الكريم وقراءاته فهو حجّة مُطلقة في النحو والصرف واللغة، لأنَّ سَماع القرآن الكريم لا يكون إلا باللفظ الذي قرأه الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، فيكون نقلُه حجّةً مُطلقةً اعتماداً على توثيق النقل بالسماع، وإن اختلفت القراءات في الوجوه اليسيرة المعروفة في علم القراءات حتى إنَّ النحاة لا يردُّون القراءة متواترةً أو شاذّة ما دام النقلُ باللفظِ مأموناً، وإن صدَر عن بعضِهم رَدٌّ؛ فمرجعُه عدم توثيق سَند القراءة؛ فعدَم توثيق السنَدِ علّةٌ معتبرة في الاحتجاج بالقراءات، وإن لم يُصرِّح بها النحويّ؛ لهذا قال ابنُ بابَشاذ: "والقرآن العظيم في أعلى رُتَبِ البيان، منه ما يأتي على أقيسةِ النحويّين، وهو الأكثر، ومنه ما يأتي على غير أقيستِهم، وكُلٌّ مُسَلَّمٌ مُتَّبَعٌ كالنصّ الذي يرتفعُ معه حُكم القياسِ، فلا يجوزُ العدولُ إلى القياسِ مع وجودِه"[٢]، ونصَّ السيوطيّ على إجماع النحاةِ على الاحتجاج بالقراءة المتواترة والشاذّة[٣].

وأمّا كلام العرب وأمثالهم فيأخذانِ حُكمَ الشعر في الاحتجاج حتى منتصف القرن الثاني الهجريّ إجماعاً، وحتى نهاية القرن الرابع الهجريّ لمن بقيَ من الأعراب على فصاحته عندَ بعضِ اللغويّين كابن جنّي، لكنَّ هذا الامتدادَ الزمانيّ غيرُ مؤثِّر في الصورة العامة لقوانين النحو والصرف؛ ذلكَ أنَّهما استقرّا إلى حَدٍّ كبير عندَ المنجَز الضخم لسيبويه المتوفَّى في حدود سنة ١٧٩هـ في كتابه "الكتاب".

وهذه المصادر للاحتجاج النحويّ ليستْ على سَويّة واحدة من حيث القيمة والأهميّة والتراتُب المنهجيّ؛ لأنَّ النحوَ في مجمَله تقنينٌ للعربيّة يهدفُ أوّلَ ما يهدفُ إلى أمرين مهمّين:

أوّلهما: حفظ اللغة العربيّة سليمة فصيحة صحيحة متوائمة مع النصّ القرآنيّ.

وثانيهما: إثبات صوابيّة التركيب القرآنيّ، بمعنى: تقديم الإثبات العلميّ على صِحّة التركيب النحويّ للنصّ القرآنيّ؛ ليكونَ سَنداً تاريخيّاً وعلميّاً يشهَدُ بصحة العلاقات النحويّة بين كلمات القرآن الكريم.

ولتحقيق هذين الهدفين معاً تصبحُ المادة اللغويّة السابقة على النصّ القرآنيّ تاريخيّاً مزدوجةَ الفائدة والقيمة، فهي شاهِد عَدْل على صِحّة العلاقات النحويّة في القرآن الكريم، كما أنَّها شاهد عَدْل على صحّة تقنينات النحاة للعربيّة نحواً وصرفاً؛ لهذا كان الشعرُ الجاهليّ، وهو معظم مادة الاحتجاج من العصر الجاهليّ، أهمَّ وثيقةٍ في الحُجّيّة النحويّة، يليه القرآن الكريمُ وقراءاته، أمَّا الشعر العربيّ حتى منتصف القرن الثاني الهجريّ؛ فيتأخّر في الأهميّة عن الشعر الجاهليّ والقرآن الكريم، وأمّا كلام العرب وأمثالهم فلا يأخذان حجما كبيرا في الاحتجاج النحويّ؛ ذلكَ أنَّ الشعرَ محميٌّ بالوزن العَروضيّ،

---

[١] أوردَ ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" أكثر من عشرين بيتاً من شعر المتنبيّ، نبّه على ما فيها من ملاحِظ نحويّة أو صرفيّة. يُنظر: ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدين عبدالله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وضع حواشيه: حسن حمد، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨م، فهارس الأعلام، ج ٣، ص ٢٤٨.

[٢] ابن بابَشاذ، طاهر بن أحمد، شرح المقدِّمة المحسبة، تحقيق: خالد عبد الكريم، الكويت، ١٩٧٦م، ج ٢، ص ٤٣٤.

[٣] يُنظَر: السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: أحمد سليم الحمصي ومحمد أحمد قاسم، ط ١، جروس برس، لبنان، ١٩٨٨م، ص ٣٦.

فيمكنُ الاطمئنان إلى نقله باللفظِ بعدَ نفي ما يمكنُ أن يتسرّب إليه احتمال الوضع والافتعال؛ لأنَّ النحاة لا يبنونَ قواعدَ العربيّة العامّة إلا على الثابت نقلُه باللفظ[1].

وأوّليّة الشعر الجاهليّ في الحُجيّة النحويّة تُبرِّئُ النحاة تبرئةً قاطعة من تهمة صُنع قوانين للعربيّة غير مستندة إلى النصوص الماقبليّة التي سبقت في الاستعمال الحيّ قوانينهم وتقنيناتهم؛ كما تشهد لهم بأنَّهم لم يتصرّفوا في إعراب النصّ القرآنيّ وإن تعدّدت قراءاته؛ لهذا زخرت كتبُ التفسير كتفسير الطبريّ بالشواهد الشعريّة من العصر الجاهليّ.

ولو توقّف النحاةُ في الاحتجاج عند نصوص العصر الجاهليّ وحدَه لما كانَ خطأً منهجيّاً، ولكنَّهم تبيّنوا أنَّ اللغة العربيّة لم تفسد بمجيء الإسلام، إذ بدأ اللحنُ يدخلُ إليها بعد توسّع انتشار الإسلام بين غير العربِ، ولا سيّما بعد القرن الثاني الهجريّ، فاتخذوا من النقاء اللغويّ مِعياراً لتحديد نهاية عصر الاحتجاج بمنتصف القرن الثاني الهجريّ مع استمرار الاحتجاج بكلام الأعراب في البوادي حتى القرن الرابع الهجريّ، وكان لافتاً ازورار النحاة المتقدّمين عن الاحتجاج بالحديث النبويّ الشريف.

ومع بَدء تدريس النحو العربيّ في حواضر العالم الإسلاميّ في القرن الثاني الهجريّ، صارَ صَوغ الكلامِ في العربيّة مستنِدا إلى مهارة استظهار قواعد النحو وإتقان تطبيقها، فأصبحَ المنجَزُ الكلاميّ في الأدب ونحوه وليدَ قواعدِ النحو لا السليقةِ والطبع؛ لهذا كانَ الواجبُ طيَّ صفحة موادّ الاحتجاج النحويّ بعد عدة أجيال، فليسَ مقبولا في العلم أن يصبحَ ما كانَ ممتنعاً غيرَ جائز لأجيال عديدة جائزاً بتصريح من نحويّ متأخّر استندَ إلى بيت شعر مجهول قائلُه أو فيه نظر، على حَدّ عبارة أهل الحديث، مُتناسيا أنَّه إذا أجاز ما كان ممنوعاً فقد طعن في كلِّ المُخرَجات التعليميّة للنحو العربيّ؛ هذا إذا كانت النصوص صحيحة، ولم تكن متأوّلة أو مجهولة في ظِل تصدّر ابن مالك رحمه الله قائمةَ النحاة المحتجين بأشعار مجهولة القائل، أو غير معروفة، أو شاذّة لا يصحّ القياس عليها؛ لهذا رمى الشاطبيُّ ابنَ مالك بالضعف في إدراك أبعاد تقنين المسموع[2].

وقد نجح النحاة في إيقاف نموّ بعض الظواهر اللغويّة التي وصفت بالقلة والشذوذ، فلا نكاد نقع على أمثلة لها في شعر المتأخِّرين ونثرهم كـ(إن) العاملة عمَلَ (ليسَ)، و(لن) الجازمة، واسم المفعول المتَمَّم من الفعل الأجوف، نحو (مَدْيُون) بدل (مَدِين)، والجرّ بـ(لعلَّ ومتى) وما إلى ذلك من الظواهر الشّاذّة، وقد انعكسَ أثر هذا التصنيف إيجابيّاً على وَحدة اللغة العربيّة وتماسكها عبر القرون.

الشاهِدُ بين اللغة والنحو:

ثمة مسألة علميّة على قَدر كبير من الأهميّة، مؤدّاها أنَّ شيئاً من الوهم قد سبّبَ سوءاً في الفهْم للشاهِد في العربيّة؛ ذلك أنَّ للشاهد جانبين:

الجانب الأوّل يتمثّل في الدلالة اللغويّة لألفاظ الشاهد على مستوى البنية والتركيب الدلاليّ

---

[1] يُنظَر: في فلسفة الكم، حسن خميس الملخ، الحجاج في الدرس النحويّ، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج ٤٠، العدد ٢، ٢٠١١م، ص ١٢٦-١٢٨.

[2] يُنظَر: الشاطبيّ، إبراهيم بن موسى، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، باعتناء معهد البحوث العلميّة ومركز إحياء التراث في جامعة أمّ القرى، ط ١، المملكة العربيّة السعوديّة، ج 3، ص ٤٠٥.

كالتراكيب الكنائيّة.

والجانب الثاني يتمثّل في البنى الصرفيّة الاسميّة والفعليّة في الشاهد، ثمّ العلاقات النحويّة بين كلمات الشاهد على مستوى الجملة النواة، والجملة الممتدة.

وهذان الجانبان يمثّلان نوعَي الشاهد في العربيّة:

١- الشاهد الدلاليّ:

الشاهِدُ الدلاليّ شاهدٌ على معنى الكلمة أو التركيب في سياق لغويّ عربيّ، وهذا المعنى مشروط بسلامة الكلمة والتركيب من المخالفات الصرفيّة والصوتيّة والنحويّة، وليسَ مشروطاً بحدٍّ زمانيّ؛ ذلكَ أنَّ المعاني تتزايد وتتوالد وتُستحدَث وتتغاير وتتوسّع وتتخصَّص ويطرأ عليها التطوّر الطبيعيّ بمؤثّرات ألوان الحياة المتباينة، بل إنَّ كلمات تولَد وأخرى تموت، وثالثة تدخل في دور الخمول الاستعماليّ، ورابعة تدخل دورة نشاط في الاستعمال؛ فالشاهدُ الدلاليّ شاهِدٌ على المعنى ليسَ غيرَ، وكلُّ معنى جديدٍ لأيّ كلمة أو تركيب شاهدُه استعمالُه الأوّل، فالاستعمالُ الأوّل شهادةُ ميلادٍ للمعنى لا لمخلوق جديد يختلف عن سلالة الكلمات اللغويّةِ، فكلمةُ "انتفاضة" صارت في الثمانينات من القرن المنصرم تحمل دلالة ثورة الحجارة عندَما استعملها الإعلام العربيّ في وصف حركة رفض الشعب الفلسطينيّ للاحتلال الإسرائيليّ لبلده، ومقاومته بالحجر، وهذه الدلالةُ دلالةٌ حديثة لم يُشِر إليها المعجمُ العربيّ القديمُ ولا الحديثُ، وهي دلالةٌ مقبولة في العربيّة، ولا تحتاج إلى أيّ سنَدٍ من أدب عصر الاحتجاج النحويّ، لأنَّها لم تخرج عن مُواضَعات علم الصرف في العربيّة، فالكلمة في الأصل مصدر للفعل "انتفَضَ".

والتركيب الكِنائيّ "فلانٌ خارج التغطية" وافِدٌ في دلالته من عالم الاتصالات الحديثة، فهو كناية عن صفة عدم الاستيعاب أو التواصل، لكنَّه في هيئته النحويّة تركيب إسناديّ لا يخرج عن مواضعات قوانين الجملة الاسميّة في نحو اللغة العربيّة.

والتركيب الوصفيّ "الرأي العام" في جملة من نحو: "الرأيُ العام يصنعُ قراراتِ الدول" يشير إلى معنى جديد وافد إلى العربيّة من عالم الإعلام بالدلالة على اتفاق أغلبيّة ما على اتخاذ موقفٍ ما من موضوع ما، وهذه الدلالة لا تحتاجُ إلى سند من المسموع القديم، بل يكفيها شهادةُ النحو له بعدم الخروج على قوانينه.

وعلى هَدي هذا التصوّر زخرَ المعجمُ العربيّ بشواهد دلاليّة من خارج عصر الاحتجاج، وتجاوَز إلى حدٍّ ما موقِفَ النحاة من الحديث النبويّ، ففي لسان العرب وحدَه عددٌ ضخم من الأحاديث النبويّة يفوق عددَ الأحاديث النبويّة في صحيح البخاري؛ إذ اشتمل أحاديثَ كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، وغيره؛ لأنَّ الحديث النبويّ في الدلالة والفصاحة حجّةٌ مطلقة إن كانَ مقبولا في متنه مهما تعدّدت الروايات؛ إذ أضاف الإسلامُ دلالاتٍ كثيرةً إلى اللغة العربيّة، معظمُها من الحديث النبويّ الشريف؛ فمادّته ضخمة كبيرة إذا ما قِيست من ناحية الحجم فقط، ولله المثَل الأعلى، بحجم المادةِ اللغويّة للقرآن الكريم وقراءاته، عدا أنَّ الحديثَ النبويّ روي بالمعنى أحيانا، خاصةً في مرحلة ما قبل التدوين، وهذه الروايات مقبولة دلاليّا؛ لأنَّها صادرة عن الصحابة رضوان الله عليهم، وهم في معظمهم

من العرب المحتجّ بلغتهم؛ لهذا أيَّدَ مجمعُ اللغة العربيّة في القاهرة سنة ١٩٣٦م رأيَ الشيخ محمد الخضر حسين في بحثه عن "الاستشهاد بالحديث في اللغة"[١] في جواز الاستدلال بالحديث النبويّ الشريف على فصاحة الرسول صلّى الله عليه وسلَّم في الكلمة المفردة والتركيب النحويّ[٢]، وعدّه شاهدا في مواضع خاصة[٣]، وهذا التأييد غير الصريح أو الواضح ليسَ حلًّا علميّا لإشكاليّة الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف؛ لأنَّه مبنيّ على الخلط بين مستويين من مستويات اللغة لا يجوزُ في القرارات العلميّة الخلطُ بينهما، وهما المستوى الدلاليّ المعجميّ، والمستوى الصرفيّ التركيبيّ، وهذا الخلطُ قد يكون قد تسرَّب من خلط الشيخ محمد الخضر حسين بين المستويين في بحثه؛ لأنَّه أنتجَ خِطاباً معرفيّاً مستنداً إلى الموروث المتداول في هذه القضية لا إلى التصنيف العلميّ لمنهجيّات البحث العلميّ في مثل هذه القضايا المعرفيّة المهمة.

٢- الشاهد الصرفيّ والنحويّ:

الشاهدُ في الصرف والنحو ليسَ شاهدا على المعنى فحسب، بل هو شاهد على ضبْط المباني الصرفيّة والتراكيب النحويّة، وعليه تُبنى قوانين العربيّة في الصرف والنحو؛ لهذا لا يجوزُ أن يتسرَّب إليه الخطأ في النقل أو الرواية حتى لا تكونَ القوانينُ المنتجة بوساطته فاسدة علميّاً؛ لهذا كان من مواصفاته ضرورة الثقة بنقله لفظا ومعنى وسندا وزمانا ومكانا، وهو ما يعبّر عنه بعدالة الشاهد التي يستمدّها من زمنه، وطريق وصوله، ومكان قائله، وثبوته بلفظه الأول من غير تعديل أو تحريف أو تصحيف، فالعلاقاتُ النحويّة علاقاتٌ بينَ الألفاظ في الأصل يُدرَك المعنى بتضامّها لاحقاً، لهذا لم يقعْ جمهورُ النحاة في فخّ الاحتجاج بالحديث النبويّ الشريف مع أنَّ قائلَه أفصحُ العرب قاطبةً؛ إذ أجازَ المحدِّثون رواية الحديث بالمعنى؛ لأنَّهم ينقلون المعاني، قال الشاطبيّ عن أئمة الحديث: "المقصود الأعظم عندهم فيه إنَّما هو المعنى لتلقّي الأحكام الشرعيّة لا اللفظ ... لأنَّ المعاني إذا سلمت في النقل فلا مبالاة بمجرّد الألفاظ إلا من باب الأَوْلى"[٤].

وعمَلُ النحاةِ خطيرٌ جِدُّ خطير، فلو قنّنوا قانوناً نحويّاً واحداً اتكاءً على عدة شواهد، ولتكن من الأحاديث النبويّة ليسَ غير، ثم ظهَرَ أنَّ في هذه الأحاديث افتعالاً أو تدليسَ متن، أو تغيير موضع الشاهد؛ لكان قانونُهم خطأ يفتحُ البابَ أمام الشكّ في قوانينهم كلِّها، وما تسرَّبَ إليه الاحتمالُ بطلَ به الاستدلالُ، فعدم احتجاج جمهور النحاةِ بالأحاديث من بابِ سَدّ الذرائع وحفظِ مقاصدِ النحو، وهو "من جملة تحرّي النحاةِ في المحافظة على القواعد اللسانيّة"[٥].

الاستدلال بالحديث النبويّ بين المعنى واللفظ:

يُروى أنَّ ما أثبته الإمام البخاريّ رحمه الله في صحيحه لا يمثّل إلا النزْرَ اليسير ممّا كان يحفظه

---

[١] يُنظَر: محمد الخضر حسين، الاستشهاد بالحديث في اللغة، مجلة مجمع اللغة العربيّة الملكيّ، القاهرة، ج ٣، ١٩٣٦م، ص ١٩٧-٢١٠.

[٢] يُنظَر: المرجع السابق نفسه، ج ٣، ص ٢٠٨.

[٣] جاء القرارُ ضبابيّا غير واضح الدلالة والمراد، فانتقده بعضُ الباحثين. يُنظر: عفاف حسانين، في أدلة النحو، ط ١، المكتبة الأكاديميّة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٧٧-٧٨.

[٤] الشاطبيّ، المقاصد الشافية في شرح الحلاصة الكافية، ج ٣، ص ٤٠١-٤٠٢.

[٥] يُنظَر: المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٤٠٢.

من الأحاديث النبويّة، وهذا يعني أنَّ صحيحَ البخاريّ يمثِّل موقِفاً علميّا من رواية الحديث النبويّ، يدلّ بوضوح على أنَّ ما أثبته في صحيحه هو ما اطمأنَّ إلى صحّته، كما يدلّ على أنَّه لم يطمئنَّ الاطمئنانَ التامّ إلى الجزء الأكبر ممّا كانَ يحفظه من الأحاديث النبويّة، وهذا دليلٌ على المنهجيّة العلميّة الصارمةِ في التوثيق التي كان الإمام البخاريّ يتحرّاها في مَيْز الأحاديث النبويّة التي كانَ يحفظها، وهو دليلٌ كافٍ لاستبعاد النحاة الأوائل الاستدلالَ بالحديث النبويّ في تقنين قواعد النحو والصرف؛ لأنَّه ابتداءً ليسَ شاهِداً على النصّ القرآنيّ بسبب التزامن النسبيّ بينهما، كما أنَّ توثيقَه متأخّر عن بَدء مشروع تقنين العربيّة في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه نهايةَ العقد الرابع من الهجرة، الأمر الذي يعني أنَّ المحدِّثين لم يضعوا بين أيدي النحاة آنذاك الأحاديثَ النبويّة الموثوقَ بنسبتها إلى الرسول صلَّى الله عليه وسلّم لفظاً ومعنى.

وكيفَ دارَ الأمرُ، فللحديث جانبان: جانبُ المعنى، وجانب اللفظ.

أمّا جانبُ المعنى، فيقع فيه الحديثُ النبويّ ضمن الشاهدِ الدلاليّ الذي لا يؤسَّسُ عليه سوى تحقيق المعنى الدلاليّ للفظة أو التركيب، وهو في هذا الجانب حجّةٌ لغويّة إن غلبَ على الظّنّ نسبتُه إلى الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، وعلى هذا الجانب يُحمَلُ قولُ الدماميني في الدفاع عن استدلال ابن مالكٍ بالحديث النبويّ: "اليقينُ ليسَ بمطلوبٍ في هذا الباب، وإنَّما المطلوبُ غلبةُ الظنّ الذي هو مَناطُ الأحكام الشرعيّة، وكذا ما يتوقّفُ عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب، فالظّنُّ في ذلك كافٍ، ولا يخفى أنَّه يغلبُ على الظنّ أنَّ ذلك المنقولَ المحتجَّ به لم يُبَدَّل؛ لأنَّ الأصلَ عدمُ التبديل، لا سيّما والتشديد في الضبط والتحرّي في نقل الأحاديث شائعٌ بين النَّقَلة والمحدِّثين، ومن يقولُ منهم بجواز النقل بالمعنى إنَّما هو بمعنى التجويز العقليّ الذي لا ينافي وقوعَ نقيضِه، فلذلك تراهم يتحرّون في الضبط ويتشدّدون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى، فيغلب على الظنّ من هذا كلّه أنَّها لم تُبَدَّل، ويكون احتمالُ التبديل فيها مرجوحاً، فيُلغى، ولا يقدح في صحّة الاستدلال بها"[١].

فكلامُ الدماميني ينافي ما عليه العمل في استنباط قوانين العربيّة في النحو والصرف، فالظنّ وحدَه كافٍ لاستبعاد النصّ، من ذلك أنَّ النحاةَ استبعدوا الاستشهاد بلاميةِ العرب للشنفرى[٢] على ما فيها من علوّ في الفصاحةِ والبيان بسبب الظنّ في نَحْل خلَفٍ الأحمر لها على الشنفرى[٣]، وهذا يعني أنَّ الدماميني رحمه الله انزلقَ إلى الوقوع في المأزق المنهجيّ الذي وقعَ فيه ابنُ مالك قبله عندَما غابَ عنه أنَّ عدمَ الاستشهاد بالحديث النبويّ إنَّما يتوجّه إلى النحو والصرف لا إلى الدلالةِ والمعجم، فما قاله الدماميني شَرْح وافٍ كافٍ لمنهجيّة الاستدلال في اللغة والدلالة عند علماء المعجمات، وهي منهجيّةٌ

---

[١] الدماميني، بدر الدين محمد بن أبي بكر، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد عبد الرحمن المفدى، ط ١، الرياض، ١٩٨٩م، ج ٤، ص ٢٤١-٢٤٢.

[٢] فحسب تخريج المعجم المفصَّل في شواهد اللغة العربيّة كان الورود الأول لأول أبيات لامية العرب في مظانّ النحو عند العينيّ في المقاصد النحويّة، ثمّ السيوطيّ في الأشباه والنظائر، ثم البغداديّ في خزانة الأدب، وكلّها مصادر متأخرة بعد القرن السادس الهجريّ. يُنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصَّل في شواهد اللغة العربيّة، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٦، ص ٣٥٠.

[٣] يُنظر: السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، تحقيق: حسن خميس الملخ، وسهى فتحي نعجة، ط ١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٥م، ج ١، ص ٢٨١.

مُباينةٌ مباينةً تامّة لمنهجيّة الاستدلال في الصرف والنحو.

وأمَّا جانبُ اللفظ؛ فلا يقعُ فيه الحديثُ النبويّ في مرتبة عالية من الحُجيّة في النحو والصرف، بل هو خارج دائرة الاستشهاد المقبول، وما ذكره البغداديّ[1] من اختلاف النحاةِ ثلاثَ شُعَبٍ في الاستدلال على القواعد النحويّة والصرفيّة من الحديث النبويّ الشريف: شعبة المجوِّزين كابن خروف وابن مالك والدماميني، وشعبة المانعين: كابن الضائع وأبي حيّان، وشعبة المتوسِّطين كالشاطبيّ، يحتاجُ إلى رَجْع نظر، وأيّ نظرٍ، لأنَّ القضيةَ لم تبرزْ إلا بعدَ ثلاثة قرون على الأقل من الممارسةِ التاريخيّة للنحو العربيّ المستنبطِ من المصادر الأخرى، ولأنَّ النحاةَ المجوِّزين والمتوسّطين على جلالة قدرهم لا يمثّلون جمهورَ نحاة العربيّة، ولأنَّ بحْثَ القضيةِ لم يكن من باب الحرص على تقنين العربيّة أو تيسير تعليم صرفها ونحوها، بل كانَ من باب مكانةِ الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وهي المكانةُ العالية الرفيعة، لكنَّ النحو والصرف مدخلُهما الحرص على العربيّة لا على مكانة صاحب نصّ الاحتجاج، ولهذا لم يكن ثمة ضَيْرٌ في الاحتجاج بشعر امرئ القيس مع أنَّه حاملُ لواء الشعراء إلى النار، كما في الحديث.

ولا يصحّ أن يُنْسَبَ النحاةُ المتقدِّمون إلى شيء من التقليل من قيمة الحديث النبويّ، أو الجهل به؛ ذلكَ أنَّ جمهور النحاة المتقدِّمين من البصريّين والكوفيّين كانوا من المحدّثين الذين لهم اطّلاع على الحديث، ولهم ذكر في كتب رجاله، كأبي الأسود الدؤليّ، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائيّ، ويونس بن حبيب، والفرّاء، والمازنيّ، وأبي العباس ثعلب، والزجّاجيّ، وغيرهم[2].

فالازورارُ عن الاستشهاد بالحديث النبويّ لم يكن إلا خَشية من بناء قاعدة نحويّة على حديث نبويّ أو أكثر، ثم يأتي من المحدِّثين أنفسِهم من ينقضُ القاعدة برواية جديدة، أو بتضعيف للحديث، أو بإثبات علة قادحة به من جهة المتن أو السند، لهذا كان الازورارُ عن الاستشهاد بالحديث تحوُّطا واحترازاً وبُعدَ نظر بعدَ أنَّ أثبت علماءُ الحديث إمكانيةَ رواية الحديث بالمعنى، قال سُفيان الثوريّ: "إنْ قُلتُ لكم إنِّي أحدِّثُكم كما سمعتُ؛ فلا تصدِّقوني، إنَّما هو المعنى"[3].

وقد دار بيني وبين الأستاذ الدكتور علي حسين البواب، وهو محقِّقٌ معروفٌ عندَ أهل الحديث عدا أنَّه متخصِّص بالنحو والصرف، حديثٌ عن موقف النحاةِ من الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف، فقال: إنَّه بعدَ خبرته الطويلة بالعمل في كتبِ الحديث صارَ على يقين بأنَّ النحاةَ كانوا على حقّ في الازورار عن الاستشهادِ بالحديث النبويّ؛ فقَلَّ أن يثبتَ حديثٌ على رواية واحدة.

مأزق ابن مالك:

---

[1] يُنظر كتابه: خزانة الأدب، ج ١، ص ٩-١٥.

[2] يُنظر الذهبيّ، محمد بن أحمد، سِيَر أعلام النبلاء، مجموعة محقّقين، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٤، ص ٨٢، ج ٦، ص ٤٠٧، ج ٧، ص ٢٠٠، ٤٣٠، ج ٨، ص ١٩٢، ٣٥١، ج ٩، ص ١٣١، ج ١٠، ص ١١٩، ج ١٢، ص ٢٧٠، ج ١٤، ص ٥، ج ١٥، ص ٤٧٦.

[3] يُنظر البغداديّ، خزانة الأدب، ج ١، ص ١١.

جاءَ ابنُ مالك إلى الدنيا في القرن السابع الهجريّ فملأ دنيا النحو، وشغلَ الناسَ؛ ذلك أنَّه شخصيّةٌ استثنائيّة فريدةٌ بين النحاة، أوتي موهبةَ الحفظ والنظم مع ذكاءٍ حادّ، وفطنة ظاهرة، وبَرَزَ في القراءات وعللها، والحديثِ النبويّ ومشكلاته النحويّة والصرفيّة، كما برزَ في النحو والصرف والشعر التعليميّ[١].

وقد دفعه اهتمامُه بالحديث النبويّ إلى تأليف كتابه المعروف: "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" في سياق حلّ المشكلاتِ النحويّة والصرفيّة في كتابِ الجامع الصحيح للإمام البخاريّ[٢]، وهو السياق الذي قادَه إلى تعضيدِ بعض الأحاديثِ بالشواهد أو التخريجات، ولعلَّ هذه التجربة العلميّة هي التي دفعته إلى التوسَّع في إيراد الحديث النبويّ في كتبه قَصْدَ الدفاع عن مشكلاتها النحويّة في موقعها من مسائل النحو، فهل هذا الإيرادُ استشهادٌ بالحديث النبويّ؟

قد تكون الإجابةُ بالإثبات، كما قد تكون بالنفي، وهي في الحالتين ليستْ مناطَ التنظير النحويّ؛ فالسؤالُ الحقيقيّ يأخذُ الشكل الآتي: هل نتجَ عن إيراد ابن مالك رحمه الله للأحاديث النبويّة الشريفة في كُتبه تقعيدٌ جديدٌ لبعضِ مسائل العربيّة؟ الإجابةُ التي نطمئنُّ إليها لا تبتعد عن النفي المطلَق؛ ذلك أنَّ إضافة أيِّ قاعدة جديدة في القرن السابع الهجريّ بناءً على نصٍّ من القرن الأوّل الهجريّ يشير إلى أنَّ النحاة قد عطّلوا تركيبا صحيحا من تراكيب العربيّة ستة قرون، وهو أمرٌ لا يصحُّ على جمهور النحاة؛ فيكونُ ابنُ مالك قد أوردَ ما أورده من الأحاديث لحلّ مشكلاتها، ثمّ التعضيدِ بها كما يفعل المحدِّثون في المتابعات عن إيرادِ الأحاديث الضعيفة وما دونها، وقد أشارَ إلى هذا سراجُ الدين البُلْقينيّ في ردّه على استشكال الدماميني مسألةَ الاستدلال بالحديث النبويّ في النحو، فقال: "ابنُ مالك يجدُ الشواهدَ من كلام العرب لذلك الحديثِ، فيأتي به كالاعتضاد، لا لإثباتِ قاعدة نحويّة بمجرّد ذلك"[٣]، وهذا الصنيع لا ضيرَ فيه حتى إنَّ البُلْقينيّ استحسنه ورآه راجحاً[٤].

وثمة مسألةٌ أخرى في مأزق ابن مالك، مفادُها أنَّ النحوَ في عصر ابن مالك قد تجاوزَ مرحلة الشّكّ في قوانينه منذ قرون، بعدما صارَ أداةَ تعليم العربيّة، فكان المبتغى أن تتراجعَ أهميّةُ الشواهد، لتبرزَ محلّها النصوصُ اللغويّة ذاتُ المضامين المقبولة في المجتمع، وأهمّها آيات القرآن الكريم وأحاديثُ الرسول صلّى الله عليه وسلّم، والشعر الجميلُ، من غير أن يعني هذا أنْ إيرادَها على سبيل الاحتجاج، لأنَّه في مثل هذا السياق وسيلةٌ تعليميّة، لا أكثر ولا أقلّ، وهي الوسيلةُ التي ما يزالُ بعضُ المشتغلين بتدريس العربيّة يفضّلونها عند تدريس مسائل النحو لطلبتهم في المراحل التعليميّة المختلفة.

والسؤالُ المنهجيّ الذي تشكّلت أبعاده ممّا مضى مؤدّاه: إلى أيِّ مدى يمكنُ عَدُّ إيرادِ الحديث

---

[١] يُنظر في ترجمته وأخباره: السيوطيّ، تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، ج ٢، ص ٧٥٢-٧٥٥.

[٢] ينظر في قصة تأليف ابن مالك جمال الدين محمد بن عبدالله كتابه: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، دراسة طه محسن، محقّق الكتاب، ص ١١. وخالد سعد شعبان، أصول النحو عند ابن مالك، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٨٧-٨٨.

[٣] الاستدلال بالأحاديث النبويّة الشريفة على إثبات القواعد النحويّة، مكاتبة بين بدر الدين الدماميني وسراج الدين البُلْقينيّ، تحقيق: رياض حسن الخوّام، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٩.

[٤] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ص ٢٩.

النبويّ في النحو تخريجا له، وتوضيحاً لمشكلته النحويّة، أو استثمارا لقيمته الدينيّة في التعليم؟. لعلَّ البدءَ بتقديم تعريفٍ لمصطلح الشاهد، والمثال، والتخريج، يفتحُ بابَ اتخاذِ بدر الدين الدماميني مثالا على المباحثة النحويّة للحديث النبويّ الشريف.

فالشاهدُ هو النصّ الجزئيّ الذي يُذكَر لإثباتِ القاعدة[١]، فهو مقدَّمٌ عليها، وسابقٌ لها بالتمثّل بالفعل أو بالقوة، أو بهما معا.

وأمّا المثال فهو النصّ الجزئيّ الذي يُذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهْم المستفيد ولو بمثال جَعْليّ[٢]، يصوغُه المعلِّمُ على قَدِّ القاعدة المراد تعليمُها به للإيضاح المجرّد. فكلُّ ما يصلحُ شاهداً يصلحُ مِثالا من غير عكْسٍ كُلّيّ، كما يقول الألوسيّ[٣]، ولهذا لا ينبغي عَدُّ اللجوء إلى الآيات، أو أبيات الشعر الجاهليّ استشهاداً، بل هو تمثيلٌ؛ لأنَّ الهدَف من إيراده عارِضٌ تعليميّ، وإن كان لا يُخفي حقيقةَ عَدّه شاهداً في سياق آخر.

وأمّا التخريجُ فهو التماسُ وجه الصواب النحويّ والصرفيّ في نصٍّ لا يتطرّقُ إليه احتمالُ الخطأ لثبوت فصاحة قائله، كما في التخريج الإعرابيّ لشعر أبي تمّام والمتنبيّ والمعريّ وغيرهم، بل كما في التخريج الإعرابيّ لنصّ ألفية ابن مالك، فإعرابها تخريجٌ لها، وهذا التخريج ليسَ محدَّدا بزمن معيّن، فيمكن تحريجُ المشكلات النحويّة في شعر أحمد شوقي، أو حافظ إبراهيم، أو نزار قبّاني، وغيرهم ممن عرفوا بالفصاحة.

واللافت أنَّ التخريجَ الإعرابيّ للحديث النبويّ قد تأخّر إلى القرن السابع الهجريّ مع أنَّ تخريجَ شعر المتنبيّ بدأ في حياته قُبيلَ منتصفِ القرن الرابع الهجريّ؛ لأنَّ التخريجَ شكلٌ من أشكال الدفاع عن النصّ، تمَسّ الحاجةُ إليه عندَما يُتَهَمُ النصُّ بالانحراف اللغويّ، فسِهامُ النقد النحويّ صُوِّبتْ إلى شعر المتنبيّ وهو حيّ، فاحتاجَ أنصارُه إلى الدفاع عنه بتخريج شعره تخريجا نحويّاً ينفي عنه صفة الخطأ، على حين لم يوجَّه هذا النقدُ إلى الحديث النبويّ الشريف تقديراً لمكانته التشريعيّة، وإيماناً بفصاحة الرسول صلّى الله عليه وسلَّم؛ لأنَّ الذي فتح بابَ التخريج النحويّ والصرفيّ للحديث النبويّ ليسَ النقد، بل الخَشيةُ من سوء الظنّ بعدما تراجعَتْ درجةُ التمكّن من العربيّة بعد العصر العباسيّ لأسباب تاريخيّة معروفة؛ فيبدو أنَّ ابنَ مالك كان يقصد بعنوان كتابه "شواهد التوضيح والتصحيح" توضيحَ الغامض المُلبِس، وتصحيحَ فَهْم ما شاعَ فهمُه على وجهه غير الصحيح نحويّاً أو صرفيّاً.

وعلى مفهوم التخريج يُحمَل ما جاء من الأحاديث النبويّة عرَضاً أو قَصْداً في تضاعيف كتب النحو؛ إذ لم تأتِ في سياق تأسيس التقنين النحويّ أو الصرفيّ لقاعدة ما[٤]، وشاعَ هذا التخريجُ في

---

[١] الألوسيّ، محمود شكري، اتحاف الأمجاد في ما يصحّ به الاستشهاد، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوريّ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٢م، ص ٦٠.

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ٦٠.

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ٦١.

[٤] أحسنت خديجة الحديثي في تتبّع مجيء الحديث النبويّ في كتب النحاة، والوقوف على مواضع الاستدلال به، وهي مواضع لا تُحمل عند جمهور النحاة إلا على إرادة التمثيل أو التخريج من لدن سيبويه في القرن الثاني الهجريّ حتى أبي البركات الأنباريّ في القرن السادس الهجريّ، وقد سمّتهم نحاةَ ما قبل الاحتجاج بالحديث النبويّ مع أنّها أثبت مجيء عشرات الأحاديث النبويّة في كتبهم على إرادة المعنى أو

العصور المتأخرة حتى كانَ الحُذّاقُ من النحويّين يصرّحون بمصطلح التخريج، فأكّدَ الدماميْنيُّ تخريجَ ابن هشام الأنصاريّ لحديث الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم تخريجا نحويّاً يثبت صوابيّته بقوله في حاشية المغني: "وخُرِّجَ الحديثُ (إنَّ قعرَ جهنمَ سبعينَ خريفاً) على أنَّ القعرَ مصدرُ قعرتَ البئر إذا بلغتَ بالخطاب قعرَها، وسبعين متعلّق بالخبر المحذوف لا خبر، إي: إنَّ بلوغَ قعرها يكون سبعين خريفا، وقد يُستَشكَلُ تخريجُ الحديث على هذا برواية الرفع، لأنَّه قد ظهرَ بها أنَّ القعرَ اسمُ عين لا مصدر، ويُجاب بأنَّ كونَه اسمَ عين على رواية الرفع لا يمنعُ من جعله مصدرا على رواية النصب، قلتُ: وعلى كلّ تقدير فلا يقدح التخريجُ المذكور في نقل صاحب هذا القول إنَّ نصب الجزأين بها لغةٌ لبعض العرب"[1].

حيرة الدماميْنيّ بين ابن مالك وابن هشام:

الدماميْنيّ[2] بدر الدين محمَّد بن أبي بكر بن عمرَ القرشيّ المخزوميّ المالكيّ النحويّ الأديب، وُلِدَ في الإسكندريّة من مصر في حدود سنة ٧٦٤هـ، وفيها نشأ وترعرعَ واشتدَّ عوده في العلم، قبل أن ينتقل إلى القاهرة ليتابعَ تعليمه، ويستقرَّ فيها مدرِّسا للنحو في الجامع الأزهر، وممارِسا لقضاء المالكيّة غيرَ مرّة، ثمّ اتجه إلى التجارة، فأثرى، ثم خسر، فعسُرت حاله حتى لقيَ من المهانة ما جعله يغادرُ إلى اليمن في حدود سنة ٨١٩هـ، وبعدها بسنة واحدة استقرَّ في الهندِ مَحوطاً بالاحترام والتقدير والتعظيم، حتى مات سنة ٨٢٧هـ على الراجح، وقيل: إنَّه ماتَ مسموماً.

وحيرةُ الدماميْنيّ لا تظهر في تقلّبات حياته فحسب، بل تمتدُّ إلى دراساته النحويّة التي تميَّز بها؛ إذ غلَبَ عليه النحوُ، لكنَّه وقعَ بين إمامين كبيرين في النحو، يجمعُ بينهما علمُ العربيّة، وتفرّقُ بينهما درجةُ التمكّن من دراية أصول النحو في التقنين، أوّلهما: ابن مالك الأندلسيّ صاحب الألفيّة، الذي فتح في جدار السماع النحويّ بابَ الاستشهاد بالحديث النبويّ على مِصراعيه، كما قيل. وثانيهما: ابن هشام الأنصاريّ صاحب مغني اللبيب الذي كانَ متوازناً في دراساته النحويّة بين التقيّد بمواضعات تقنين العربيّة، وحلّ ما في بعض النصوص من مشكلات نحويّة، كما في بعضِ شعر المتنبيّ، وبعضِ الأحاديث، من غير أن يقودَه هذا العملُ إلى القول الصريح بالاستشهاد بالحديث النبويّ وحدَه من غير ضمائم من الشعر الجاهليّ، أو القرآن الكريم، وكلام العرب.

وسبب حيرة الدماميْنيّ أنَّه تميّزَ بكتابين معروفين في النحو:

أحدهما: تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، وهو شرح لكتاب ابن مالك "تسهيل الفوائد".

التمثيل أو التخريج أو المتابعة والتعضيد. يُنظر كتابها: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص ٣١-١٨١.

[1] الدماميْنيّ، بدر الدين محمد بن أبي بكر، شرح الدماميْنيّ على مغني اللبيب، صححه وعلَّقَ عليه: أحمد عزّو عناية، ط ١، مؤسسة التاريخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠٧م، ج ١، ص ١٥١-١٥٢.

[2] يُنظَر في ترجمته وأخباره: السخاويّ، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٧، ص ١٨٥-١٨٧. والسيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ج ١، ص ٦٦-٦٧. وابن العماد الحنبليّ، أبو الفلاح عبد الحيّ، شذرات الذهب في أخبار من ذَهب، ط ٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٩، ص ٢٦٣-٢٦٣. وثمة دراسة مطبوعة عن حياته وآثاره ومنهجه للدكتور: محمَّد عبد الرحمن المفدى، بعنوان: الدماميْنيّ: حياته وآثاره ومنهجه في كتابه: تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، ط ١، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٩٨٢م، ص ٥٣-١٩٥.

وثانيهما: تحفة الغريب في شرح مُغني اللبيب، وهو حاشيتان على المغني، الأولى يمنيّة، وهي الصغرى، ولعلَّها المطبوعة باسم "شرح الدماميني على مغني اللبيب"، ويُقال إنَّه رجع عنها. وأمَّا الثانية فهنديّة، وهي الكبرى المعروفة بـ"تحفة الغريب".

ففي شرحه تسهيلَ ابن مالك مالَ إلى رأيه في الاستشهاد بالحديث النبويّ، ودافعَ عنه[١] مستدِلا بأنَّ تدوينَ الأحاديث وقع في الصدر الأول من تاريخ الإسلام قبلَ فساد اللغة، وما في الحديث من روايات فهو تبديل لفظٍ يصحّ الاحتجاج به بلفظٍ آخر يصحّ الاحتجاج به[٢]، وهذه الحجةُ واهية لأنَّ القوانين لا تُبنى على تعدّد الروايات، وما في الشواهد الشعريّة من رواياتٍ محمولٌ على التعضيد للثابت بالاتفاق، ويبدو أنَّ الدماميني استشعرَ هذا الضعف في الاحتجاج بالأحاديث النبويّة، فكتب إلى البُلْقينيّ يسأله عن الموضوع، لكنَّه لم يظفر منه بمَقنَع صريح[٣]، كما يبدو أنَّ هذا الكتابَ سابقٌ على كتاب تحفة الغريب.

وفي شرحه مغني ابن هشام الأنصاريّ يعودُ إليه توازنُه العلميّ بسبب نضوج تجربته في تدريس النحو ومُدراسته في مصر والشام واليمن والهند، فيتحوّلُ اهتمامُه من الاحتجاج بالحديث النبويّ إلى تخريج الحديث النبويّ الشريف، وقد ظهر هذا التوازن في كتابه "مصابيح الجامع" وهو شرح للجامع الصحيح للإمام البخاريّ رحمه الله، ألّفه في المرحلة الأخيرة من حياته، وجعله برسم الإهداءِ إلى السلطان أبي الفتح أحمد شاه في بلاد الهند[٤]، وذكرَ في تضاعيف الكتاب خبراً عن مُراسلةٍ علميّة مع ابن حجر في سنة ٧٩٨هـ[٥].

وقد يكون للبيئة التي درَّسَ فيها خارجَ مصر أثر في هذا التوازن، ففي الأحاديث النبويّة ما يستأهل الوقوفُ عنده من قضايا النحو والصرف واللهجات قَصْدَ تخريجه، وتبيين انسلاكه في سلْك العربيّة، لا قصْدَ تحويله إلى مادة احتجاج؛ ذلك أنَّ النحوَ قد نضج قبل بروز هذه المسألة، بل نضج واحترق في القِدر الموروثة، ولم يبقَ فيه مجالٌ للتجديد إلا في قِدر جديدة، أيْ: برؤية جديدة تفيد من المنجزات اللسانيّة الحديثة من غير إفراط أو تفريط.

تخريج الحديث النبويّ في كتاب "مصابيح الجامع":

يبدو أنَّ كتابَ مصابيح الجامع من الكتب التي ألّفها الدماميني في المرحلة الأخيرة من حياته، فهو يُحيل فيه على حاشيته على المغني[٦]، قال في مسألة اختلاف النحاة في تكرار الكلمة مرتين: الأولى نكرة والثانية معرفة بين اعتبار الثانية بتغليب التعريف، أو اعتبار الأولى بتغليب التنكير، والاختلاف في معنى

---

[١] ينظر كتابه: تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، ج ٤، ص ٢٤٠-٢٤٣.

[٢] ينظَر: المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ٢٤٣.

[٣] يُنظر المكاتبة بينهما بعنوان: الاستدلال بالأحاديث النبويّة الشريفة على إثبات القواعد النحويّة، ص ٢٦-٢٩.

[٤] يُنظر: الدماميني، بدر الدين محمد بن أبي بكر، مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاريّ المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه، تحقيق: نور الدين طالب، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ط ١، قطر،٢٠٠٩م، ج ١، ص ٨-١٠.

[٥] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ١٩٦.

[٦] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٦، ص ١١٧.

أل التعريف، كقوله تعالى: "أن يُصلِحا بينهما صُلحاً والصُّلح خير"[١]. "وقد أشبعتُ الكلامَ على ذلك في حاشية المغني، فمن أحبَّ الوقوفَ على ذلك، فليُراجعها"[٢]. وفي كتابه المطبوع على المغني ما يدلّ على صدق كلامه، فقد شرح المسألة، وبيَّنَ الخلافَ فيها مع ترجيح بقاء أل التعريف للعهد[٣].

وكتاب "مصابيح الجامع" كما في ذيل اسمه "شرح الجامع الصحيح للإمام البخاريّ المشتمِل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه"[٤]، فهو من شروح صحيح البخاريّ، وقد غلبَ على الدماميني فيه الاهتمام باللغة والنحو، قال السخاويّ في وصفه: "جُلّه في الإعراب ونحوه"[٥]، وهو وصف علميٌّ دقيقٌ؛ ذلك أنَّ الدماميني اعتنى بضبط أسماء رجال الحديث، وتمييز المتشابه من الأسامي، وتفسير معاني بعض المفردات وتخريج الكلمات الملبِسة أو غير الشائعة في صورتها النحويّة تخريجاً دالا على سلامة سَبكها النحويّ وَفْقَ قوانين العربيّة مع التنبيه على أوجه التخريج المحتمَلة قوّةً وضعفاً، ولا سيّما في تعقّباته واعتراضاته على الزركشيّ في كتابه "التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح"[٦]؛ لهذا ابتعدَ عن تخريج الواضحات في الإعراب، بل أخذَ على الزركشيّ تخريجَها، فانتقدَه قائلا: "الأَوْلى الانصرافُ عن بيان مثل هذه الأمور الواضحة؛ إذ لا سببَ يقتضي خلافَ ذلك"[٧]، وهذا يؤكّدُ أنَّ الكتابَ دفاعٌ نحويّ عن لغة الحديث النبويّ الشريف، ينفي عن المحدِّثين تهمة تغيير الألفاظ مع المحافظة على المعنى، كما ينفي عن بعضهم تهمة الضعف في إدراك سَنَن العربيّة في النحو والصرف.

قال في خطبة الكتاب: "فدونكَها مصابيحَ تحسدُها الثريّا، وتبدو لمجتلي محاسنِها مُشرِقةَ المحيّا، تحتوي على غريبٍ رأيته أهلاً لأنْ يأنسَ بتفسيره، وإعرابٍ تفتقرُ أعجازُ الكلمات إلى صدوره، وفائدةٍ بيانيّة يشهد الذوق السليم بحلاوة مجانيها، ويُدهَشُ أهل البيان لبديع معانيها، ودليل يحتمله متن الحديث، وفَرع غريب قلَّ من ذكره من قديم وحديث، وتنبيهٍ طالما كانت العيونُ عنه وَسِنة، ونُكتٍ هي في وجه هذا التأليف حسنة، إلى غير ذلك من مباحثَ تمرُّ حلوةَ الجنى، وفوائدَ يصبحُ مالكُها في غنى عن العَنا"[٨].

فلسفة التخريج النحويّ عند الدماميني في مصابيح الجامع:

انطلقَ الدماميني في تخريجه النحويّ لمشكلات الحديث النبويّ في صحيح البخاريّ من ثلاثة منطلقات علميّة منهجيّة:

الأوّل: إيمانه بوجودِ استشكال نحويّ في بعض مواضع الحديث الشريف، جعل بعضَ الناسِ

---

[١] سورة النساء، ١٢٨.

[٢] الدماميني، مصابيح الجامع، ج ٦، ص ١١٧.

[٣] يُنظر: الدماميني، شرح الدماميني على مغني اللبيب، ج ١، ص ٢٠٠-٢٠١.

[٤] ظهر هذا التذييل في العنوان على الطبعة القطريّة التي تعتمدها الدراسة.

[٥] السخاويّ، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٨٦.

[٦] أفردَ علي سلطان الحكمي هذه التعقّبات بدراسة ضافية، فلتراجع كاملة. تعقّبات العلامة بدر الدين الدماميني في كتابه "مصابيح الجامع الصحيح" على الإمام بدر الدين الزركشيّ في كتابه "التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح": توجيه وعرض، دار البخاري، ط ١، المملكة العربيّة السعودية، ١٩٩٥م.

[٧] يُنظر: الدماميني، مصابيح الجامع، ج ٣، ص ٤٥٣.

[٨] المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٧-٨.

يسرعون إلى تخطئة الرواية بمجرّد الرأي، فقال: "ما أسرعَ الناسَ إلى الطعنِ في الروايات بمُجرَّد الآراء"[١]! وهذا يعني أنَّ الدماميني يرى الحديثَ بوصفه من عصر الاحتجاج مقدَّماً على قواعد النحاة خالَفَها أو وافقَها، فالنصُّ قبلَ التقعيد؛ لهذا لا يصحّ للقانون المستخرَج باجتهادِ النحويّ أن يصبحَ حَكَماً على نصٍّ سابق عليه، كما أنَّ العربيّة حمّالةُ أوجه؛ لهذا قد يخفى وجهُ الصواب في بعض المواضع، فلا يكون خفاؤه مقتضياً للطعن فيه، فكأنَّ الدماميني يُلمِحُ إلى فكرةٍ أعمق، وأكثر خطورة؛ مؤدّاها أنَّه لا يجوزُ في التصويب أو التخطيء الركونُ إلى غير أهل الاختصاص والاطلاع من النحاة؛ لهذا ردَّ تخطئةَ الزركشيّ لأحد الأحاديث بقوله: "الرواية هذه صحيحة، ولها وجهٌ صحيح، فالقطعُ بخطئها خطأ"[٢]. وردَّ عدمَ إجازة ابن الأثير روايةَ إثباتِ حرف العلّة عند الجزم بحجة مقاييس النحو بقوله: "فيه إساءةٌ ظاهرة"[٣]. وردَّ طعْنَ ابن أبي الربيع في حديث الرسول صلّى الله عليه وسلَّم: "لولا قومُك حديثٌ عهدُهم ..." بإثبات الخبر بعد لولا الامتناعيّة، فقال: "وأتحقَّقُ الآن أنّي وقعتُ في كلام ابن أبي الربيع في شرْح الإيضاح[٤] على ما معناه أنَّه تتبّعَ طُرُقَ هذا الحديث، فلم يجدَ فيه إثبات الخبر. وهذا يردُّ عليه"[٥]. قال ابن أبي الربيع: "الرواية الصحيحة في الحديث: "لولا حِدثانُ قومِك بالكفر" كذا رواه مالك في موطَّئِه، وهذه الرواية لم أرَها في الصِّحاح، فيبعد الأخذُ بها"[٦]، وبما أنَّ الرواية التي أنكرَها ابن أبي الربيع واردةٌ في الصحيح الجامع للبخاري، فقد سقط توجيهُ ابن أبي الربيع، وهو يدلّ على أنَّ بعضَ النحاة قالوا بالحديث النبويّ الشريف من غير التحقّق من الرواية.

الثاني: إيمانه بأنَّ الرسولَ صلّى الله عليه وسلَّم كان يعرف لغة جميع العرب، فقد صحّحَ لغة أكلوني البراغيث التي يسميها ابن مالك "لغة يتعاقبون فيكم ملائكة" بقوله: "وكانَ عليه السلام يعرفُ لغة جميع العرب"[٧]، وهذا الإيمان يصلح تُكَأة في تخريج ما جاء من الحديث النبويّ على لغات العرب المحتجّ بها، وغير المحتجّ بها، وهو إيمانٌ صحيح من الناحية العلميّة؛ ليسَ لأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رسول فحَسب، بل لأنَّ الطبيعيّ أن يعرفَ بعضُ العرب لغةَ بعضهم بعضاً بسبب التواصل أولاً، وعدمِ وجود اختلافات جوهريّة بين لهجات العرب حتى إنَّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يستشكلوا شيئا ممّا قاله الرسول عليه الصلاة والسلام بغير لغة قريش، الأمر الذي يدلّ على أنَّهم كانوا يعرفون هذه اللغات أيضا.

الثالث: إيمانه بأنَّ الرواية تثبتُ بالسماع والنقل لا بالاحتمال، فلا يجوزُ افتراضُ روايةٍ ما

---

[١] المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣٦٩.

[٢] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٢١٨-٢١٩.

[٣] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٨٠.

[٤] وقعت على هذا الكلام في كتاب البسيط في شرح جمل الزجّاجيّ لابن أبي الربيع، فلعلَّ الدماميني سها، أو أن يكون لابن أبي الربيع كتاب في شرح الإيضاح، وكيف دار الأمر فما تحقّقه الدماميني موجود في كتاب البسيط، وهذا يدلّ على قوّة حفظه. يُنظر: ابن أبي الربيع، عبيدالله بن أحمد، البسيط في شرح جمل الزجّاجيّ، تحقيق: عيّاد الثبيتي، ط ١، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٥٩٤-٥٩٥.

[٥] يُنظر: الدماميني، مصابيح الجامع، ج 1، ص ٢٦٩-٢٧٠.

[٦] ابن أبي الربيع، البسيط في شرح جمل الزجّاجيّ، ج ١، ص ٥٩٤-٥٩٥.

[٧] يُنظر: الدماميني، مصابيح الجامع، ج ٢، ص ٢٣٢.

لحديثٍ ما، ثم مناقشةُ ذلك الافتراض، لأنَّ الروايةَ نصٌّ يثبت بالنقل وحدَه، لهذا ردَّ الدماميني تجويزَ الزركشيّ نصب كلمة جاء الحديث برفعها، فقال: "الشأن في الرواية"[1]. ففي حديث: "...فأتى بالألفِ دينارٍ..." وجَّه ابنُ مالك دخول أل التعريف على اسمٍ مجرورٍ وراءها بثلاثة أوجه، منها: أن يكونَ أصلُه: "بالألفِ الدينارِ"، ثم حُذِفت ألفُ التعريف من كلمة "دينار" من الخطّ لصيرورتها بالإدغام دالاً، فكُتِبَ الحديثُ على اللفظ. فرَدَّ الدماميني بقوله: "الرواية بتنوين "دينار"، ولو ثبتَت برواية معتبرة تعيَّنَ هذا الوجه، وكثيراً ما يعتمدُ هو وغيره التوجيه باعتبار الخطّ، ويُلغونَ تحقيق الرواية"[2]؛ لأنَّ عملَ النحويّ في حلّ متشابه الحديث نحويّاً وإعرابيّاً تخريجٌ للنصّ على روايته، وليسَ تعديداً للأوجه الممكنة في الرواية، فلا اجتهادَ في النصّ.

الرابع: إيمانه بأنَّ مذاهب النحاة حجّة في التخريج؛ لأنَّ التخريج لا يُشترَط فيه التقيّد بمذهبٍ واحدٍ، فقد خرّجَ حديثا على مذهب الكوفيّين، ثمّ عقَّبَ بقوله: "ومن ذا الذي أوجبَ اتّباعَ المذهب البصريّ وإلغاء المذهب الكوفيّ حتى يُقال بأنَّ هذه الرواية لا وجه لها"[3]. وهذا يدلّ على تحرّر الدماميني من العصبيّة النحويّة، وانفتاحِه على الآراء كلّها؛ فصحّةُ الرواية مقدّمةٌ على تأويلات النحاة وخلافاتهم.

أساليبُ تخريج الحديث النبويّ في مصابيح الجامع:

أ- **الحمْل على لغات العرب:**

من وسائل الدعوة الناجحة أن يخاطِبَ الداعي المدعوّين بلغتهم ولهجتهم؛ ليكونَ في كلامه أقربَ لهم، وليظهرَ لهم احترامَه للهجتهم، وعدم تعصُّبه للهجته الأصليّة؛ لهذا شاعَ في الأحاديث النبويّة حِرصُ الرسول صلَّى الله عليه وسلّم على مُخاطبة وفود العربِ بلهجتهم أحياناً؛ لأنَّ الداعي في خطابه إلى بني قومِه يتجاوزُ القبيلة إلى مفهوم الأمّة، فينتقِلُ من مستوى اللهجة الخاصّة إلى مستوى اللسان الجامع، وهذا اللسانُ، يمتازُ أوّل ما يمتازُ، بخاصيّة احتواءِ اللهجات بالدلالات أوّلاً، وببعض الأنماط التصريفيّة والتركيبيّة ثانياً شرْطَ أن تبقى في دائرة التواصل اللغويّ السليم، كما في فهم العربيّ اللهجات العربيّة المحيطة ببيئته الجغرافيّة، وقدرته التلقائيّة على فهْم اللهجات الأخرى عندما يتواصل مع أهلِها الناطقين بها من العرب؛ لهذا يُحمَل الحديثُ النبويّ على لسان العربِ لا على لهجة قريش وحدَها التي كانَ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم أخذها عن أهله وتكلَّم بها معهم، مع أنَّ لهجة قُريشٍ نفسَها ائتلافٌ لهجيّ ارتقى بها إلى مستوى قريبٍ من مفهوم اللسان الجامع.

ويمكن أن ينضافَ إلى ثبوت معرفة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم لهجات العرب أنَّ بعضَ رواة الحديث من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن تبعهم كانوا يرون الأحاديث أحيانا بلهجتهم من غير أن يعترضَ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم عليهم، فيكون عدمُ اعتراضِه تقريراً لصحة روايتهم للحديث بلهجتهم الخاصّة بهم، وهذا الضَّرْبُ من تغيير الروايات يسمَّى بالترجمة الداخليّة التي تتمُّ طواعيةً من لهجةٍ إلى أخرى ضمن لسان لغويّ واحدٍ يجمعُ بينَ اللهجتين.

---

[1] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ٣٧٣.

[2] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ١٧٥-١٧٧.

[3] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٦، ص ٢٤٠-٢٤١.

فعن أبي هُريرةَ أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: "يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعونَ في صلاةِ الفجْر وصلاة العصر، ..."[١]. جاء قوله: "يتعاقبون فيكم ملائكةٌ" على لغة "أكلوني البراغيث"[٢] التي كان ابنُ مالك يسمّيها لغة "يتعاقبون فيكم" استناداً إلى هذا الحديث، كأنَّه أرادَ التبيه على وجودها في الحديث النبويّ، واستبدال اسمها باسمٍ لائقٍ في معناه، وهي لغة قبيلة طيّيء، وقيل أزد شنوءة[٣]؛ وقيل لغة يمنيّة قديمة لقبيلة الحارث بن كعب[٤]، قال المراديّ: "ولا يُقبَلُ قولُ من أنكرَها"[٥] رفضاً للتطابق في الدلالة العدديّة بين الفعل وفاعله إفراد وتثنيةً وجمعاً، وهذه اللغة ما تزال مستعملة عند بعضِ العرب حتى الآن، وللنحويّين في تخريجها أقوال معروفة[٦]، يروق لي منها تخريجُ الضمير على مقتضاه تأويلا على محلّ الرفع، وتخريجُ الاسم بعده على البدَل؛ مُراعاة لسياق الكلام، فكأنَّه تفسيرٌ للضمير المبهم، كما في قولنا:

- رأيتُه زيداً.

بإبدال "زيدا" من ضمير الهاء المتصل بالفعل على سبيل تفسير المبهم.

وخرَّجَ الدماميني على هذه اللغة حديث: "وكُنَّ نساءٌ يبعثْنَ إلى عائشة ..."[٧]، فقال: على لغة "يتعاقبون فيكم ملائكةٌ"[٨]. كما خرَّجَ عليها ما جاء في حديث الاستشفاع عن طريق أسباط عن منصور: "... اللهُمَّ حَوالينا ولا علينا. فانحدرَتِ السحابةُ عن رأسه، فسُقوا الناسُ حولَهم"[٩]. قال الدماميني: "بالرفع على البدَل من الضمير، أو فاعل على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة"[١٠]. والبدَل لا يُخرِجها عن لغة أكلوني البراغيث في التخريجين مع التنبّه إلى أنَّ الفعل مبنيّ للمجهول، وهذا يعني أنَّ هذه اللهجة ليست خاصّةً بالمبنيّ للمعلوم.

وفي الحديث الذي رواه ابن عبّاس عن قصة مُراجعةِ حفصةَ بنتِ عمرَ رضيَ الله عنهما رسول الله، وقوله لها: "إنَّكَ لتُراجعينَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى يظلَّ يومَه غضبانَ؟ ..."[١١] رويّ بمنع صرفِ كلمة "غضبان" وصرفها، فردَّ الزركشيّ الصرف، لكنَّ الدماميني أقرَّ الرواية، وخرّجَ الصرف على أنَّه لغة، فقال: "إنَّ بني أسد يقولون في مؤّنث غضبان: غضبانة، فلعلَّه اعتبرَ هذه اللغة في الحديث،

---

[١] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٢٣١-٢٣٢.

[٢] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٢٣٢.

[٣] يُنظر: المراديّ، الحسن بن قاسم، توضيح المقاصد بشرح ألفيّة ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط ١، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٥٨٧.

[٤] يُنظر: محمد خير حلواني، النحو الميسَّر، ط ١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٦٣-٣٦٤.

[٥] يُنظر: المراديّ، توضيح المقاصد بشرح ألفيّة ابن مالك، ج ٢، ص ٥٨٧.

[٦] يُنظَر: أبو حيّان الأندلسيّ، أثير الدين محمد بن يوسف، ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.ج ٢، ص ٧٣٩-٧٤٠.

[٧] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٢، ص ٢٧.

[٨] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٢٧.

[٩] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٦١.

[١٠] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٦٢.

[١١] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج٨، ص ٤٦٠.

فصرَف"[١]. لأنَّ الصفة التي على وزن "فعلان" إذا كان مؤنثُها على وزن "فعلانة" تصرَفُ، وهي لغة بني أسد كما ذكر الدماميني[٢].

وفي باب الخصومة حدَّث الأشعث عن أبي عبد الرحمن قوله للرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: "يا رسول الله، إذنْ يحلفَ، ..."[٣] بنصب "يحلف"، وفي رواية ذكرها ابن خروف النحويّ: بالرفع[٤]، وجّهها الزركشيُّ ووافقه الدماميني على أنَّها لغة لبعضِ العرب[٥]. قال المراديّ: "وبعضُ العرب يُلغي "إذن" مع استيفاء الشروط، وهي لُغيّة نادرة، حكاها عيسى وسيبويه، ولا يُقبَلُ قولُ من أنكرَها"[٦].

وفي حديث قصة ابن صيّاد أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال له: "اخسأْ، فلن تعدوَ قَدْرَكَ. ..."[٧]، وفي رواية: "فلن تعدُ"[٨] بحذف الواو. قال الدماميني: "جاء على لغة من يجزم بـ"لن"[٩]. قال المالقيّ: "واعلمْ أنَّ من العرب من يجزم بـ"لن" تشبيهاً لها بـ"لم" لأنَّها للنفي مثلها، وأنَّ النون أخت الميم في اللغة"[١٠].

وخرَّجَ عدم حذف حرف العلة من الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية في قوله صلَّى الله عليه وسلّم: "لا يُصلي أحدُكم في الثوب الواحد، ليسَ على عاتقيه شيءٌ"[١١] بقوله: "النهي المراد ليسَ محمولا على التحريم، فقد ثبت أنَّه عليه السلام صلّى في ثوب واحد كانَ أحدُ طرفيه على بعضِ نسائه وهي نائمةٌ، والثوبُ الواحد لا يتّسعُ طرفُه لأن يأتزِرَ به، ويجعل على عاتقيه منه شيئا، قاله الخطّابيّ"[١٢]، فيكون قد حمل لا على النفي لا النهي، قال: "لا نافية"[١٣].

ومع وجاهة ما ذهبَ إليه الدماميني من تخريج نحويّ مؤيَّد بدليل فقهيّ إلا أنَّ للنهيِ وجها قويّاً على لغة من لا يحذفُ حرفَ العلّة من الفعل المضارع المجزوم[١٤].

وفي حديث هشام عن أبيه: "دخلَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ عامَ الفتح من كَداء، وكانَ عُروةُ يدخل

---

[١] المصدر السابق نفسه، ج ٨، ص ٤٦١.

[٢] يُنظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة "غضب".

[٣] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٥، ص ٢٥٧.

[٤] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ٢٥٧-٢٥٨.

[٥] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ٢٥٧-٢٥٨.

[٦] المراديّ، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٦٣.

[٧] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٣، ص ٢٨٣.

[٨] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٢٨٥.

[٩] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٢٨٥.

[١٠] المالقيّ، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، ط ٢، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٣٥٧.

[١١] مصابيح الجامع، ج ٢، ص ٨٠.

[١٢] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٨١.

[١٣] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٨١.

[١٤] يُنظر: ابن النحّاس، بهاء الدين محمد بن إبراهيم، التعليقة على المقرَّب، تحقيق: جميل عبدالله عويضة، ط ١، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٠٤م، ص ٧٤-٧٥.

منهما كِلَيْهما، وأكثر ما يدخل من كَداء أقربُهما إلى منزله"[١]. وفي رواية: "وكان عروةُ يدخلُ منهما كلاهما"[٢] خرَّجها الدماميني بقوله: "على لغة من أعربَه بالحركات المقدّرة على الألف في جميع الحالات" يقصد معاملة المثنى وملحقِه معاملةَ الاسم المقصور في اللغة التي يسمّيها النحاةُ لغةَ القصر.

وقد يقعُ في الحديث النبويّ ما يسمّى بتداخل اللهجات، فعن جابر بن عبدالله رضيَ اللهُ عنهما أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال له: "... احثُه. فحثوْتُ حَثية، ..."[٣] قال الدماميني: "أخِذَ الفعل "حثا" من لغة، والمصدر من لغةٍ أخرى، وكذا فعلوا في تداخل اللغتين من كلمتين"[٤].

ب- **الحمْل على جوازات بعضِ النحويّين:**

يُقصَدُ بالحمْل على جوازات بعضِ النحويّين ما أجازه مذهبٌ نحويٌّ كالمذهب الكوفيّ وحدَه، أو ما أجازه نحويٌّ، أو بعضُ النحاة من غير الاحتكام إلى مذهبٍ نحويٍّ محدَّد. فقد وقع في رواية القابسيّ من حديث ابن عبّاس: "انفِروا ثُباتٍ" استعمال الألف في كلمة "ثبات"، فرواها: "ثباتاً"، فردَّها الزركشيّ؛ لأنَّ جمع المؤنَّث السالم لا يُخْتَمُ بالألف[٥]، وردَّ عليه الدماميني بقبول الراوية وتخريجها على جوازات بعضِ النحاة، فقال: "مذهبُ الكوفيّين جوازُ إعرابه في حالة النصبِ بالفتح مُطلقاً، وجوَّزه قومٌ في محذوف اللام"[٦].

وخرَّجَ قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "إنَّما مثَلُكم واليهودِ والنصارى ..."[٧] بجرّ كلمة "اليهود" بقوله: "هكذا بالجرِّ عطفاً على الضمير المخفوضِ بدون إعادة الخافض، وهو ممنوع عندَ البصريّين إلا يونسَ وقُطرباً والأخفشَ والكوفيّين قاطبة على الجواز، والحديث ممّا يشهد لهم"[٨]، فالحديثُ تقويةٌ لمذهب المجيزين العطفَ على الضمير المجرور من غير إعادة الجارّ؛ ذلك أنَّ جمهورَ النحاة من المانعين حصروه بالضرورة[٩]، وهذا يعني أنَّ الخلافَ ليسَ في استعمال هذا النمط من التراكيب في العربيّة، بل الخلافُ في حدود القياس عليه، ولهذا جاء الحديث النبويّ تعضيداً لعدم حصره بالضرورة ونحوها.

ت- **الحمل على الشاذَ والضعيف:**

للشاذَ في النحو العربيّ تأليفاً ومُدارسةَ وتدريساً سبعةُ معانٍ[١]، أهمّها الشذوذ النظريّ الذي يتمثّلُ

---

[١] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٤، ص ٩٨.

[٢] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ٩٨.

[٣] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٧، ص ١٢-١٣.

[٤] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٧، ص ١٣.

[٥] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ٦، ص ٢٤٠.

[٦] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٦، ص ٢٤٠. والسيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٧٧.

[٧] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٥، ص ١٥٣.

[٨] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ١٥٣-١٥٤.

[٩] يُنظر: الرّضيّ الأستراباذيّ، محمد بن الحسن، شرح الرضيّ على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، طبعة جامعة قاريونس، ليبيا، ١٩٧٨م، ج ١، ص ٥٢٢. وج٢، ص ٣٣٦.

[١] يُنظر فيها دراستنا: الشاذّ النحويّ بين البحث العلميّ والتدريس التربويّ، مجلة مقاربات، العدد الثاني، المملكة المغربيّة، ٢٠٠٨م، ص ١٠-٢٤.

بمخالفة الشائع حتى لو كانَ أصلاً مهجوراً، وحُكمُ الشاذّ أنَّه استعمالٌ صحيحٌ فصيحٌ في زمانه لكنَّ القياسَ عليه ممتنعٌ بعدَ زمانه، فلا تُبنى عليه القواعدُ والقوانين، فعلّة شذوذه ليسَ في صحّته وثبوته، بل بالقياس عليه، أو التجريدِ منه لعلَلٍ تعليميّة منهجيّة يومئ إليها النحاةُ في كتبِهم أحياناً.

والضعيفُ عند النحاة من الاستعمالات اللغويّة العربيّة ليسَ خطأ، بل هو من باب المقبول الصحيح؛ فالعلّة فيه مستوى المقبوليّة، لا مجرَّد الصحّة والصوابيّة، ولهذا يمكن أن يقع الشاذّ والضعيفُ في النصوص الفصيحة.

فعن سالم بن عبدالله، قال: سمعتُ أبا هريرةَ يقول: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: كلُّ أمّتي مُعافًى إلا المجاهرين، ..."[١] وفي رواية: "إلا المجاهرون" بالرفع[٢]. خرَّجه ابنُ مالك على أنَّه مبتدأ محذوفُ الخبر؛ أي: لكن المجاهرون بالمعاصي لا يُعافَوْنَ، وقال: ولا يعرف أكثرُ البصريّين المتأخرين في هذا النوع إلا النصبَ، وقد أغفلوا ورودُه مرفوعا بالابتداء ثابتَ الخبر، نحو: "فأحرموا كلُّهم إلا أبو قتادةَ لم يُحرِمْ"[٣].

وتخريجُ ابن مالك مقبولٌ في صناعة الإعراب، وإن كانَ ثمة تخريجٌ آخر، مؤّداه حمل الرفع على صفة المغايرة في النصب، فيكون مرفوعا كما في قوله تعالى: "كلُّ لاشيءٍ هالكٌ إلا وجهُه"[٤]. لكنَّ المشكلة ليسَ في التخريج، بل في رجاحة القياس على الحديث ونحوه؛ لهذا ازوَرَّ النحاةُ عن إجازة رفع ما بعد الاستثناء التام الموجب قَصْدَ تعليم اللغة العربيّة من غير تعارضٍ بين تراكيبها؛ لهذا عقَّبَ الدماميني على ابن مالك بقوله: "فتح هذا الباب الذي فتحه ابنُ مالك يؤدي إلى جواز الرفع في كلِّ مستثنى من كلام تامّ موجب، مثل: قامَ القومُ إلا زيدٌ؛ إذ يكون الواقعُ بعد إلا مرفوعا بالابتداء، والخبر محذوف، وهو مقدَّر بنفي الحكم السابق، وينقلبُ كلّ استثناء متصلٍ منقطِعا بهذا الاعتبار، ومثله غير مستقيم على ما لا يخفى"[٥].

وفي قول عمر رضيَ الله عنه للرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: "يا رسول الله، إنَّ أبا بكر رجلٌ أسيف، وإنَّه متى يقمْ مقامَك لا يُسمِعُ الناسَ، ..."[٦]. قال الدماميني: لا خفاء في أنَّ متى شرطيّة، فحقُّها جزمُ المضارع بعدها. قال ابنُ مالك: لكنَّها أهملت هنا حملا على إذا، وهي رواية الإمام أحمد في المسند، وقد جاء مثله في الشعر، وحُكِمَ بشذوذه"[٧].

وفي حديثه صلَّى الله عليه وسلَّم: "صلاةُ الرجلِ في الجماعةِ تُضَعَّفُ على صلاته في بيته، وفي سوقه،

---

[١] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٩، ص ٣٣١-٣٣٢.

[٢] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٩، ص ٣٣٢.

[٣] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٩، ص ٣٣٢. ويُنظر في تفصيل ابن مالك للمسألة كتابه: شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٩٤-٩٧.

[٤] سورة القصص، ٨٨.

[٥] الدماميني، مصابيح الجامع، ج ٩، ص ٣٣٢-٣٣٣.

[٦] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٣٣٤.

[٧] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٣٣٤-٣٣٥. وينظر تفصيل الخلاف في تخريج مجيء جواب الشرط مرفوعا والفعل مجزوما عند: المراديّ، توضح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج ٣، ص ١٢٨٠-١٢٨١.

خمسا وعشرين ضِعفا، ..."[١] وقد روِيَ بالجرّ على على تقدير الباء، أي: بخمسٍ وعشرين، مثل: أشارتْ كُليبٍ، وهو شاذّ، كذا وجّهه ابنُ مالك[٢]. وفي حديث عمر رضيَ الله عنه: "... إنّي كنتُ وجارٌ لي ..."[٣] فقد جاءت الرواية بالرفع، فخرَّجها الدماميني بقوله: "بالرفع عطفا على الضمير المرفوع المتصل بدون فاصل، وهو قليل"[٤].

ث- **الإقرار بجواز التوقّف:**

ظاهرةُ إقرار الرواية مع التوّقف عن تخريجها مظهرٌ مهمٌّ من مظاهر الموضوعيّة العلميّة عند الدماميني، فكلمةُ لا أدري نصفُ العلم، لهذا عندما حارَ في تخريج رواية رفع كلمةِ "مئة" من حديث أبي مسعود رضيَ الله عنه عندما قال: "... وإنَّ لبعضِهم اليومَ لمئةُ ألف"[٥]. قال: "وهو مُشكِل"[٦]، ولكي لا يبادرَ إليه من يخرّجُ الحديثَ على إضمار اسم إنَّ، والجملة بعدها خبر مقدّم مبتدؤه كلمة مئة، قال: "يمنعُ منه اقتران المبتدأ بلام الابتداء، وهي مانعةٌ من تقدّم الخبر على المبتدأ المقرون بها، ودعوى زيادتها ضعيف جداً، فتأمّله"[٧].

ويمكنُ تخريجُ الحديث على إضمار اسم إنَّ، وجعل شبهِ الجملة متعلقة بخبرها، ونصب "اليوم" على الظرف؛ وحمل "مئة" على الابتداء باعتبار اللام للابتداء والخبر محذوف جوازاً يدُلُّ عليه سياقُ الكلام، كأنَّه: ولمئةُ ألف مُدٍّ بالتحامل والتحمّل خيرٌ من القعود عن العمل وعدمِ الصدقة؛ لأنَّ الحديث: "كانَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا أمرَنا بالصدقة، انطلق أحدُنا إلى السوق، فتحامَلَ، فيصيب المدّ، وإنَّ لبعضِهم اليوم لمئةُ ألفٍ". والله أعلم.

الخاتمة:

توصّلت الدراسةُ إلى عدّة نتائج، منها:

١- أنَّ الشعرَ الجاهليّ أعلى مراتب الحُجيّة في النحو العربيّ؛ لأنَّه الأقدم تاريخيّا، فيصلح حجةً على كلِّ ما بعده.

٢- أنَّ الشاهدَ في العربيّة نوعان: شاهدٌ دلاليّ، وشاهدٌ نحويّ.

٣- أنَّ الحديثَ النبويّ شاهدٌ دلاليّ بالإجماع عندَ اللغويّين ما دام يغلبُ على الظنّ عدم تغيير روايته.

٤- أنَّ الشاهدَ النحويّ يشترطُ فيه اتفاقُ اللفظ والمعنى وعدمُ احتمال الشكّ.

٥- أنَّ ازورارَ جمهورِ النحاة عن الاحتجاج بالحديث النبويّ من باب التحوّط العلميّ خوفَ ظهور من يقدح في الرواية.

---

[١] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٢، ص ٢٩٧.

[٢] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٢٩٧. وابن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٥٣-١٥٤.

[٣] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٥، ص ٣٧٠-٣٧٣.

[٤] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ٣٧٣. وينظر تفصيل المسألة عندَ الشاطبيّ في: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ج ٥، ص ١٥٣-١٥٥.

[٥] يُنظر: مصابيح الجامع، ج ٣، ص ٣٥٦.

[٦] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٣٥٦.

[٧] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٣٥٦-٣٥٧.

٦- أنَّ ظهورَ إشكاليّة الاحتجاج بالحديث النبويّ جاء بعدَ استقرار النحو العربيّ بقرون، فلا يعدُّ ذا دلالةٍ مهمّة في التقنين النحويّ.

٧- أنَّ الدماميني وقعَ في حَيرة علميّة بين ابن مالك وابن هشام لاشتغاله ببعضِ كتب كلٍّ منها.

٨- أنَّ الدماميني يقدِّمُ روايةَ الحديث على تقنينات النحاة، وينأى عن افتراض ما لم يثبت بالرواية من نصّ الحديث النبويّ الشريف.

٩- أنَّ الدماميني تميَّزَ بالأمانة وبالموضوعيّة العلميّة في تأويلاته النحويّة في كتابه مصابيح الجامع.

١٠- أنَّ صنيعَ الدماميني في كتابه مصابيح الجامع من باب التخريج، وحلّ المشكلات النحويّة.

١١- أنَّ الحديثَ النبويّ مادّةٌ تعليميّة ممتازةٌ لتعليم النحو العربيّ بسبب ما فيه من قيم دينيّة، وفصاحةٍ لغويّة.

إذن؛ لا يعدو أن يكون عملُ الدماميني في كتابه مصابيح الجامع تخريجاً لمشكل الإعراب في الحديث النبويّ الشريف، وليسَ استدلالاً به لإقامة قاعدة نحويّة، لكنَّه يصلحُ في المتابعات والتعاضيد؛ لما اشتملت عليه الأحاديث النبويّة من قيم صالحة لكلِّ زمان ومكان بأسلوبٍ أدبيٍّ سامٍ فصيح.

٣١. قراءة بيانية في حديث الإخلاص أو النية

د. جميل محمد حسين بن عطا

(مساعد عميد كلية الآداب، جامعة الزرقاء- الزرقاء، الأردن)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الرحمن، علم القران، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، النبي الأمي محمد بن عبد الله، الذي أوتي جوامع الكلم، وجرت على لسانه الحكم، وعلى آله وصحبه والتابعين ذوي الأقدار والقيم، الذين حفظوا العربية إلى يومنا، فسارت بين الأمم، يحرسها كتاب الله الكريم، وحديث نبيه العظيم، وصدق الله القائل "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون"[١] والقائل " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[٢] وصدق نبيه القائل :ليست العربية لي بدين ولا قوم بل هي لسان"، أو كما قال، وبعد: "فهذا بحث في مجال البيان النبوي، عنونت له بـ:"قراءة بيانية في حديث الإخلاص أو النية"، قصرته على حديث واحد، لكنه من الأهمية بمكان، وجعلت البحث في مهاد ومبحثين وخاتمة، أما المهاد فاشتمل على المقدمة، وأهمية الحديث موضوع البحث، وسبب اختياري له، وأسئلة البحث، وأهميته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

وفي المبحث الأول عرضت لمجموعة من الأنماط والأساليب البيانية التي استخدمها النبي _صلى الله عليه وسلم_ في هذا الحديث، مبيناً أهميتها وقيمتها في خدمة موضوع الحديث وفكرته، مورداً آراء بعض الباحثين والدارسين وشرّاح الحديث، ومبديا رأيي قدر استطاعتي وفهمي.

وفي المبحث الثاني عرضت للسمات الفنية أو البيانية في الحديث على مستوى الأفكار والمعاني، والعبارة والتعبير، والخيال والتصوير، والعاطفة.

أما الخاتمة فقد عرضت فيها لأهم النتائج التي توصلت إليها من قراءة الحديث قراءة بيانية، وأهم التوصيات التي يوصي بها الباحث، لإغناء هذا اللون من الدراسات اللغوية. وفي النهاية أوردت ثبتاً بأهم المصادر والمراجع التي استعنت بها. ولم أتطرق في الحديث للقضايا والأحكام الفقهية، على أهميتها، لأن المجال ليس مجالها، كما أنني لا أدعي لنفسي ما لا أحسن. ولا بد من الإشارة إلى أن الباحث لا يقصد بالبيان معناه الاصطلاحي عند البلاغيين المتأخرين الذي يشمل التشبيه والمجاز والكناية، بل يقصد طريقة التعبير فإن أصبت فمن الله وبتوفيقه، وإن أخطأت فمن ذا الذي لا يخطئ؟

وحسبي أنني قد حاولت، سائلا المولى _عز وجل_أن تكون أعمالنا وأقوالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، وان تكون نياتنا صالحة لتصلح أعمالنا وتقبل.

سبب اختيار حديث الإخلاص موضوعاً للبحث:

---

[١]- سورة يوسف الآية (٢)

[٢]- سورة الحجر: الآية (٩).

لقد بلغ اهتمام العلماء بهذا الحديث شأواً بعيدا لأهميته، حتى قلّ أن يخلو كتاب لأحدهم من هذا الحديث، يصدّر به كتابه، أو يستفتح به مصنفه، أو يبدأ به قوله، أو يحث العلماء وطلبة العلم على ذلك. كقول بعضهم:"من أراد أن يصنّف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث"، وقول أخر "كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديمه أمام كل شيء يُبْتدأ أو يُنْشأ من أمور الدين، لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها"، وقول ثالث:"جرت عادة العلماء الابتداء به في أوائل الدروس والمصنفات، حثًّا للطالب على إخلاص نيته في طلب العلم، وبه صدّر البخاري صحيحه، وأقامه مقام الخطبة له، إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل"[١]

هذا وقد أفاض العلماء في تقدير هذا الحديث، فجعله بعضهم نصف الإسلام، وعدّه بعضهم[٢] تلث الإسلام أو العلم، وبعضهم[٣] عدّه أحد أربعة أحاديث عليها مدار الأحاديث المسندة وعددها أربعة آلاف. فهو يعدل ربع الحديث كله عندهم.

وقد أفرد هذا الحديث بالشرح عدد من العلماء، مثل ابن تيمية والسيوطي[٤]،كما أنه اشتهر وانتشر حتى صار كالمتواتر، وإن كان من حديث الآحاد. وحديث هذا شأنه جدير بالاهتمام سابقا ولاحقاً، لبيان ما فيه من أسرار بيانية وأساليب بلاغية، حملت تلك المعاني والأفكار العظيمة، فكان أن اتجهت لدراسة هذا الحديث دراسة بيانية، علماً بأنني أدرّس مواد البلاغة العربية و، " البيان النبوي"ٍلطلبة اللغة العربية في جامعة الزرقاء، وللحديث النبوي مكانة تالية لمكانة القرآن الكريم لا في التشريع والأحكام فقط، بل في اللغة والبيان.

ولمَّا لم أجد دراسة متخصصة للحديث من هذا الجانب، عزمت النية على القيام بذلك، وكان لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كيرالا في الهند فضل كبير، حينما أعلن عن تنظيم ندوة عالمية للحديث النبوي: لغته، وفلسفته، ودراساته، مما شجعني على الكتابة في هذا الموضوع، ومراسلة القائمين على الندوة بذلك، فوافقوا مشكورين، وقبلوا بحثي مبدئياً، آملاً أن أكون عند حسن الظن.

أسئلة البحث:

طرح الباحث مجموعة من الأسئلة، سيجيب عنها في ثنايا البحث، مثل:

١- ما المقصود بالقراءة البيانية لحديث الإخلاص؟
٢- ما أهمية حديث الإخلاص؟
٣- ما موضوع الحديث؟ وما فكرته الرئيسة؟
٤- ما الأساليب والأنماط اللغوية التي اتبعها النبي _صلى الله عليه وسلم_ للتعبير عن أفكاره ومعانيه في هذا الحديث؟

---

[١]- أبو صفية، عبد الوهاب، شرح الأربعين النووية في ثوب جديد، الطبعة التالتة (١٤١٦هـ،١٩٩٥م)، نقلا عن الأذكار للنووي،ونيل المرام شرح عمدة الأحكام لمجموعة من العلماء.

[٢]- هما الإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل.

[٣]-هو أبو داود، وينظر في ذلك أبو صفية، مصدر سابق، ص ١٧، نقلاً عن جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي.

[٤]-أبو صفية: مصدر سابق ص ١٨.

٥- ما مدى ملاءمة هذه الأساليب والأنماط اللغوية للموضوع؟
٦- ما أهم السمات البيانية التي ميزت أسلوب الحديث؟
٧- ما مدى تأثر الحديث موضوع الدرس بالقرآن الكريم لفظاً ومعنى؟

منهجية البحث:

يقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي، حيث يستعرض الباحث نص الحديث بأنماطه وأساليبه، ويدرسه من الداخل، مستعيناً بعد الله، بما أوتي من علم بسيط، وخبرة متواضعة، وممارسة عملية، ومستفيداً من آراء السابقين في دراساتهم وبحوثهم، ومستنبطاً الأحكام والنتائج، وقد عمد الباحث إلى تلخيص الأساليب اللغوية والسمات البيانية للحديث في جداول، تسهل على الناظر فيها ولم يحفل الباحث بروايات الحديث والاختلافات اليسيرة بينها، بل اعتمد الرواية المشهورة، إذ قد تغنيه عن قراءة البحث كاملاً.

الدراسات السابقة :

على الرغم من أهمية حديث الإخلاص وكثرة دورانه في الكتب والمصنفات، ووفرة الشروح اللغوية له، في كتب السنة، ومصنفات الأحاديث، إلا أنني لم أجد فيما أعلم دراسة مستقلة متخصصة لهذا الحديث، ويكفي أن أشير هنا إلى كتب السنة المختلفة وشروحها، وما فيها من شرح لهذا الحديث.

ولكنني قد أفدت من دراسات بيانية حديثة في مجال الحديث النبوي، مثل: "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" للرافعي، "والبيان النبوي" للبيومي، و"الحديث الشريف من الوجهة البلاغية" لكمال عز الدين، فضلاً عن الكتب العامة مثل: "شرح الأربعين النووية في ثوب جديد" لأبي صفية،"والبيان في شرح الأربعين النووية" للبيطار. و"الحديث النبوي الشريف" لشرف القضاة، إضافة إلى ما هو منشور على بعض المواقع الإلكترونية من دروس ومحاضرات وأسئلة حول هذا الحديث.

حديث الإخلاص :

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب _رضي الله تعالى عنه_ قال: سمعت رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ مانوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"[١]

رواه الشيخان في صحيحيهما

صحيح البخاري ٩/١ رقم الحديث (١)

وصحيح مسلم ١٥١٥/٣ رقم الحديث (١٩٠٧)

المبحث الأول

من الأنماط والأساليب البيانية في حديث الإخلاص أو النيّة

ورد في حديث النيّة مجموعة من الأنماط والأساليب البيانية اللافته للنظر من حيث تناسبها مع الموضوع، وانسجامها فيما بينها، وتناسقها مع المعنى، ومن هذه الأنماط والأساليب: أسلوب الجملة

[١]- للحديث روايات أخرى لا داعي لذكرها ، وينظرن في ذلك أبو حنيفة ، ومرجع سابق ، صـ١٦ ، نقلاً عن جامع العلوم

الاسمية، والأسلوب الخبري، وأسلوب التوكيد، وأسلوب القصر، وأسلوب التقديم والتأخير، وأسلوب الشرط، وأسلوب الوصل، والإيجاز، والإطناب، والإظهار، والإضمار، والمقابلة.

وفيما يأتي عرض لهذه الأساليب في الحديث :

أولاً : أسلوب الجملة الأسمية:

معلوم أن الجملة الاسمية في اللغة العربية تفيد ثبوت الحكم واستقراره ودوامه؛ وهي لذلك تفيد توكيد الحكم وتقويته، بخلاف الجملة الفعلية التي تفيد الحدوث، وقد تفيد التجدد مع الحدوث بقرائن.

وإذا أنعمنا النظر في حديث النيّة وجدناه مبنياً على التعبير بالجملة الاسمية، من بدايته حتى نهايته، حيث اشتمل على ثماني جمل كلّها اسمية تراوحت بين الجمل الرئيسة والفرعية، أما نمط الجملة الفعلية في الحديث فقد انحصر في جمل فرعية، كما سيتّضح من تحليل جمل الحديث تالياُ :

أ- **الجملة الأولى: "إنما الأعمال بالنيات":**

وقعت هذه الجملة في بداية الحديث، لتقرّر حكماً مطلقاً ثابتاً مستقراً دائماً، يؤكده القرآن الكريم من قبل، وتعضده أحاديث نبوية في المعنى نفسه؛ فالله _تعالى _ يقول : وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء" [١] ويقول – سبحانه- : " وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " [٢]. ويؤكد النبي- صلى الله عليه وسلم – فيما أن "الله لا يقبل العمل إلاّ ما كان خالصاً" [٣]، ويبشّر المصطفى – عليه الصلاة والسلام – أمته" بالتمكين والرفعة، ومن عمل منهم عمل الأخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب" [٤].

وما يلفت النظر في هذه الجملة أن المبتدأ فيها جاء بصيغة الجمع " أعمال" ليشمل أعمال الإنسان جميعها بلا استثناء، أما خبر المبتدأ " المسند" فقد جاء شبه جملة جارّاً ومجروراً " بالنيات"، وجاء الاسم المجرور بصيغة الجمع كذلك " نيات" مقترناً بـ "أل" الاستغراقية أيضاً، للغاية نفسها التي ذكرت في المبتدأ أو المسند إليه، وهذا كلّه مما يزيد من ثبات الحكم في هذه الجملة، واستقراره، ودوامه. وغنيّ عن البيان أن الإسناد في هذه الجملة بسيط، حيث تم معناها بإسناد واحد فقط.

ولعل شرح مفردات هذه الجملة يؤكد ما ذهب إليه الباحث، فالأعمال: جمع عمل، ويشمل ما تفعله القلوب والألسن والجوارح، والنيات: جمع نيّة، وهي في اللغة: القصد والعزيمة، وفي الاصطلاح: القصد للعمل أو الباعث عليه تقرباً إلى الله. وطلباً لمرضاته وثوابه، والنية محلّها القلب، فهي عمل قلبي ولاتعلّق لها بالجوارح، وهكذا فإن "الأعمال" تشمل ما في القلب من الأعمال، كالتوكل والإنابة، والخشية... وما

---

[١] - سورة البينة : الآية (٥) .

[٢] - سورة البقرة : الآية (٢٦٥).

[٣] - رواه النسائي .

[٤] - رواه أحمد .

ينطق به اللسان، وهو كثير، ولابدانيه شيء من عمل الجوارح، وما تقترفه الجوارح كاليد، والرجل، والعين، والأذن....

ب- **الجملة الثانية : " لكل امرىء ما نوى" :**

هذه الجملة اسمية مركبة، حيث ورد المسند إليه الأول " المبتدأ " فيها اسماً موصولاً "ما"، وقد اتصلت به جملة فعلية "نوى" تممت معناه، والمسند فيها الفعل " نوى" والمسند إليه " الفاعل" ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على "امرئ". أما المسند "الخبر" للمسند إليه الأول " ما" في الجملة الرئيسة فقد جاء شبه جملة(جارّاً ومجروراً) "لكلّ"، أو اسماً مقدراً تعلق به الجار والمجرور، وبذلك تكون هذه الجملة قد اشتملت على إسنادين لتمام معناها: أحدهما جملة اسمية، وهي الجملة الرئيسة، والثاني جملة فعلية " نوى" وهي جملة فرعية.

وقد دّلت الجملة بصيغتها الاسمية على ثبات الحكم فيها واستمراره، وهو ثبوت نسبة المسند إلى المسند إليه.

ج- الجملة الثالثة "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله":

وهي جملة شرطية مركبة الإسناد، فيها جملة فعل الشرط " كانت هجرته إلى الله ورسوله" وجملة جواب الشرط: " هجرته إلى الله ورسوله " وجاء المسند إليه فيها اسم الشرط "من"، والمسند جماع جملتي الشرط وجوابه، والمسند إليه هنا يفيد التعميم، فأيما شخص كانت هجرته إلى الله ورسوله، فحكمه أن هجرته لله ورسوله دون تقييد بزمان أو مكان، فتثبت بذلك نسبة المسند إلى المسند إليه، وتدوم وتستمرّ.

د – **الجملتان الرابعة والخامسة : " هجرته إلى الله ورسوله" [1] و" هجرته إلى الله ورسوله"**: الأولى جملة فعل الشرط والثانية جوابه، وكل منهما جملة اسمية، تكرر فيهما المسند والمسند إليه أنفسهما، وثبت في كلتيهما نسبة المسند إلى المسند إليه على الدوام وباستمرار، حكماً قاطعاً لا انقطاع له، ولا تغيير عليه.

هـ - الجملة السادسة: "ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه" هذه جملة شرطية أخرى، وهي عكس الأولى في المعنى، ولكنها مثلها في الإسناد فيها، حيث جاء المسند إليه اسم شرط "من"، وهو يفيد التعميم كذلك، والمسند جماع جملتي الشرط وجوابه: " هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها"، و" هجرته إلى ما هاجر إليه" وبذلك تكون نسبة المسند إلى المسند إليه ثابتة ومطردة، لا يحدّها زمان، ولا ينقضها مكان.

و- الجملة السابعة "كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها[2]:

هذه جملة اسمية، المسند فيها شبه الجملة "لدنيا"، والمسند إليه "هجرته" وهي جملة فعل الشرط، وقد أفادت بصيغتها الاسمية ثبوت نسبة المسند إلى المسند إليه، ودوام هذا الحكم واستمراره، مع

---

[1] - على اعتبار أن " كان " ناقصة، وهو الأرجح، وقد تكون تامة، فتكون الجملة فعلية.

[2] - هذا على اعتبار أن " كان" في الجملة ناقصة لا تامة ، وهو الأرجح كذلك.

ملاحظة أن هذه الجملة اشتملت على جملتين فعليتين هما: "يصيبها" و" ينكحها"، وجاءت كل منهما صفة أو نعتاً لاسم نكرة قبلها: "دنيا" و"امرأة "، مما يعزز حكم الجملة الاسمية في الثبات والاستمرار.

ز- الجملة الثامنة: " هجرته إلى ما هاجر إليه " :

وهذه جملة جواب الشرط، وهي جملة اسمية كسابقتها، المسند إليه فيها هو " هجرته"، والمسند شبه الجملة الجار والمجرور " إلى ما "، والحكم فيها ثابت مطرد بثبوت نسبة المسند إلى المسند إليه ودوامها، كما يلاحظ وجود جملة فعلية في هذه الجملة هي جملة صلة الموصول " هاجر إليه"، مما جعل جملة جواب الشرط جملة مركبة وفي ذلك تأكيد لثبات الحكم واستمراره.

أنماط الجملة في الحديث

ويمكن تلخيصه وفق الآتي:

الجدول رقم (١): نمط الجملة الاسمية في الحديث

الرقم	الجملة	نوعه اسمية/ أم فعلية	نوع الإسناد مركب أم بسيط	المسند إليه	المسند
١-	إنما الأعمال بالنيات	اسمية	بسيط	الأعمال	بالنيات
٢-	إنما لكل امرئ ما نوى	اسمية	مركب	مانوى	لكل امرئ
٣-	نوى	فعلية	بسيط	الضمير المستتر "هو"	نوى
٤-	من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله	اسمية	مركبة	اسم الشرط "من"	جملتا فعل الشرط وجوابه
٥-	من كانت هجرته إلى الله ورسوله/ فعل الشرط	اسمية	بسيط	هجرته	إلى الله ورسوله
٦-	هجرته إلى الله ورسوله/جواب الشرط	اسمية	بسيط	هجرته	إلى الله ورسوله
٧-	من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه	اسمية	مركب	اسم الشرط "من"	جملتا فعل الشرط وجوابه
٨-	كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها	اسمية	بسيط	هجرته	لدنيا أو امرأة
٩-	يصيبها	فعلية	بسيط	الضمير	يصيبها

				المستتر "هو"	
١٠-	ينكحها	فعلية	بسيط	الضمير المستتر "هو"	ينكحها
١١-	هجرته إلى ما هاجر إليه	اسمية	مركب	هجرته	إلى ما هاجر إليه
١٢-	هاجر إليه	فعلية	بسيط	الضمير المستتر "هو"	هاجر

ثانياً: أسلوب الجملة الخبرية :

من طبيعة الجملة الخبرية مثبتة كانت أم منفية، أنها تقريرية، أي أنها تفيد الحكم بمضمونها مباشرة، فلا تترك مجالاً للشك أو التساؤل، على الرغم من تعريف البلاغيين المتأخرين لها على أنها " الجملة التي تحتمل الصدق أو الكذب لذاتها".

ولعلّ هذا الأسلوب التقريري أكثر ملاءمة لنقل المعلومة وتثبيتها لدى المتلقي، لا سيما في سياق التعليم والتوجيه، والوعظ والإرشاد، وإعطاء معلومة جديدة، ليس للمتلقي سابق علم بها أو معرفة.

وإذا استعرضنا جمل الحديث وجدناها كلّها من هذا النوع من الكلام، أعني الكلام الخبري، وليس ثمّة جملة إنشائية واحدة. فالرسول-صلى الله عليه وسلم- يخبر أمته بأمر خطير، فينقل عن ربّه- عزوجل- أن عمل الإنسان في الدنيا مرهون بالنية من عبادات وأعمال دنيوية منوط بنيته، عمل القلب، واللسان، والجارحة، وما يترتب عليه من مصير: ثواباً أو عقاباً، وما يكون عليه الحال من القبول أو الرفض، والإحباط أو الإهمال مرهون بالنية. كيف لا والمخبر هو المصطفى- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم_ الحريص على مصلحة كل فرد في الأمة ومصيره، ناقلاً عن ربه، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور غيره ؟! الذي " يعلم السّر وأخفى" [١] " وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير" [٢].

وقد تنوعت أضرب الخبر في الحديث بين الابتدائي والطلبي والإنكاري، فحين يتعلّق الأمر بالنيةٌ في العمل، وبقبول العمل أو رفضه، والمحاسبة أو الجزاء عليه: ثواباً أو عقاباً، ذلك كله لله –عز وجل- لا غير، فيكون التوكيد بأداة من أدوات التوكيد أو أكثر، إضافة إلى التعبير بالجملة الاسمية، كما في قوله- صلى الله عليه وسلم-: "إنما الأعمال بالنيات"، وقوله: "إنما لكل امرئ ما نوى"، حيث أكدّ الأولى بـ "إنما"، والثانية بها، وبالقصر بطريق تقديم ما حقه التأخير "لكل امرئ ما نوى".

أما حينما يتعلق الأمر بما يعرفه الإنسان من نفسه، فكان النبي – صلى الله عليه وسلم- يكتفي بنمط الجملة الاسمية دون توكيد، كما في قوله –عليه الصلاة والسلام-: " فمن كانت هجرته

[١] - سورة طه: الآية (٧) .

[٢] - سورة البقرة :الآية (٢٨٤).

لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"، لعلم الإنسان اليقيني بتثبيته في عمله وقصده منه من جهة، ولكون هذه الأخبار نتائج مؤكدة لمقدمات سابقة من جهة ثانية.

وواضح أن الأخبار كلها في الحديث جاءت للتبصير والتحذير، ولبيان المنزلة بين المنازل، وفي ذلك وعظ وإرشاد كذلك، كما أن فيه ترغيباً وترهيباً، ووعداً ووعيداً. وقد سيقت هذه المعاني كلّها بنمط الجملة الخبرية التقريرية المباشرة، فكانت أكثر وقعاً وتأثيراً في عقل المتلقي ووجدانه.

والجدول الآتي (الجدول رقم (٢)) يبيّن أضرب الخبر في الحديث أو أنواعه.

الجدول رقم (٢) : أضرب الخبر/ أنواعه

الرقم	الجملة الخبرية	ضرب الخبر	ملاحظات
١-	إنما الأعمال بالنيات	طلبي	مؤكد بمؤكد واحد "إنما"
٢-	إنما لكل امرىء ما نوى	إنكاري	مؤكد بمؤكد " إنما"، والقصر بطريق تقديم ماحقه التأخير
٣-	من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله	ابتدائي	خالٍ من أدوات التوكيد
٤-	من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجرإليه	ابتدائي	خالٍ من أدوات التوكيد

مع ملاحظة أن الجمل الفرعية التي جاءت في سياق أسلوب الشرط (٤،٣) في الجدول أعلاه كلّها من ضرب الخبر الابتدائي لخلو كل منها من أي مؤكّد، وأن بعضها بنمط الجملة الاسمية، مثل " هجرته إلى الله ورسوله"، و"كانت هجرته لدنيا" و"هجرته إلى ما هاجر إليه"، وبعضها بنمط الجملة الفعلية، مثل "يصيبها" و"ينكحها" و"هاجر إليه".

أما الجدول رقم (٣) فيبين معاني الخبر أو أغراضه في الحديث

الجدول رقم (٣): معاني الخبر / أغراضه

الرقم	الجملة الخبرية	المعنى /الغرض البلاغي	ملاحظات
١-	إنما الأعمال بالنيات	فائدة الخبر	وفيه من بعد ذلك تبصير وإرشاد
٢-	إنما لكل امرىء ما نوى	فائدة الخبر	وفيه تذكير ووعظ
٣-	من كانت هجرته إلى الله ورسوله	بيان المنزلة	وفيه مدح وتعظيم وإغراء وترغيب ووعد
٤-	من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما	بيان المنزلة	وفيه ذم وتحقير وتحذير وترهيب ووعيد

	هاجرإليه		

ثالثاً: نمط التوكيد في الحديث :

سبق أن بيّن الباحث أنّ الحديث موضوع الدرس قد اعتمد نمط الجملة الاسمية الخبرية أسلوباً للتعبير، وأن هذا النمط من الجمل بحدّ ذاته يفيد التوكيد، وزيادة في التوكيد فقد اشتمل الحديث على أساليب وأدوات توكيد أخرى تقوي الحكم وتثبته فعل: إنّ، أسلوب القصر إنما وبتقديم ما حقه التأخير، والتكرار اللفظي، والفعل الماضي، ويمكن إجمال ذلك في الجدول رقم (٤) :

الجدول(٤): أساليب التوكيد وأدواته

الرقم المتسلسل	الجملة	أسلوب التوكيد	أداة التوكيد	الملاحظات
١-	إنما الأعمال بالنيات	القصربـ"إنما"	إنّ	
٢-	إنما لكل امرىء ما نوى	القصربـ "إنما" وبـ" تقديم التأخير.	إنّ	حيث قدم المسند "لكل امرىء" على المسند إليه "ما" في الجملة بغرض القصر.
٣-	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى	تكرار لفظ "إنما" وتكرار المعنى في الجملتين.		الأرجح أن الجملتين لا تكرار بينهما فالأولى كالسبب والثانية نتيجة.
٤-	كانت هجرته إلى الله ورسوله	التعبير بالفعل الماضي"كان"		
٥-	كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها	التعبير بالفعل الماضي " كان"		
٦-	هاجر إليه	التعبير بالفعل الماضي " هاجر"		

يتضح من الجدول السابق أن الحديث – على وجازته وقصره- مفعم بالتوكيد بالأساليب والأدوات المختلفة، ويأتي ذلك كله خدمة للموضوع، وتثبيتاً للفكرة والمعنى، في سياق التعليم والتوجيه، والنصح والإرشاد.

رابعاً: أسلوب القصر في الحديث:

القصر لغة: الحبْس والمنْع، واصطلاحاً : هو تخصيص شيء بشيء دون غيره من الأشياء بطريقة من طرق القصر الاصطلاحية، وللقصْر أربع طرق اصطلاحية، هي :

١- النفي والاستثناء.

٢-إنما.

٣-تقديم ماحقه التأخير.

٤-العطف بـ" بل" و"لا" و"لكن".

وطريقة النفي والاستثناء هي أم الطرق، والطرق الأخرى جميعها تؤول إلى هذه الطريق.

ويكتسب أسلوب القصر أهميته من كونه موجزاً، إذ يسدّ مسدّ جملتين في تأدية المعنى المراد، ومن كونه يفيد تقوية المعنى وتوكيده.

وقد ورد في الحديث – على وجازته- طريقان من طرق القصْر هما" "إنّما" مكررة وتقديم ما حقه التأخير.

أ- **القصر بـ " إنما"** : وقد ورد منه في الحديث جملتان في مطلعه، هما: " إنّما الأعمال بالنيات"، و" إنما لكل امرىء ما نوى ".

١- **"إنما الأعمال بالنيات"** : هذه جملة اسمية كما سبق، دخلت عليها "إن" الناسخة، التي اتصلت بها " ما " الكافة، فصارت – كما يقول النحويون- " إنّما" كافة ومكفوفة، أي أن "ما" كفت " إن" عن عملها المعروف في الجملة الاسمية، مع استمرار عملها في التوكيد أما عند البلاغيين و" إنما" ذات شأن أسلوب خطير؛ حيث اكتسبت " إنّ" بدخول "ما " عليها إفادة معنى القصْر، فالناظر في عبارة الحديث "إنما الأعمال بالنيات" يدرك فرقاً هائلاً في الدلالة بينها وبين قولنا :" الأعمال بالنيات"، وليست الأعمال بشيء آخر، وهاتان جملتان: الأولى مثبتة، والثانية منفية، وهما بمعنى واحد، مع اختلاف الصيغة إثباتاً ونفياً، وكون الجملتين بمعنى واحد فقد عدّت الثانية بمثابة التوكيد للأولى، مما أكسب حكم نسبة المسند " بالنيات" إلى المسند إليه " الأعمال" قوة، بدلاً من هذه الإطالة والتكرار في المعنى، جاءت عبارة الحديث مختصرة في جملة واحدة بإسناد بسيط، مع دلالتها التامة على المعنى المقصود نفسه، وذلك هو الإيجاز، وتلك هي البلاغة إذ البلاغة هي الإيجاز كما يقول البلاغيون، حيث قصرت " الأعمال" في العبارة النبوية على كونها بالنيات، سواء كان ذلك الحكم باعتبار القبول أو الرفض، أو باعتبار الحساب بالثواب أو العقاب، من قبل قصر الموصوف على الصفة باعتبار الطرفين: المقصور والمقصور عليه، ومن قبيل القصر الإضافي باعتبار الحقيقة والواقع، أما باعتبار حال المتلقي، فيصلح أن يكون القصر هنا قصر قلب أو تعيين أو إفراد تبعاً، للحال التي يكون عليها المتلقي أو المخاطب: مضاددة لما يعتقده المبدع أو المتكلم، أو تردداً وتشككاً في الحكم فلا يستطيع الجزم بشيء، أو اعتقاداً للشراكة فيه بين عدة أطراف.

ولعل من المفيد الإشارة إلى أن " أل" في " الأعمال" استغراقية، وهي بذلك تفيد معنى القصر، والتوكيد، كذاك، وإن لم تكن من طرق القصر الاصطلاحية.

ليس هذا فقط، بل إن تخصيص الأعمال بالنيات، دون غيرها من الأشياء يكسب الحكم مرّة التوكيد، مما يؤدي إلى حصر المقصور بأفراده في المقصود

عليه دون أن يتجاوزه إلى شيء آخر غيره، فلا يصحّ الحكم إلى الأعمال إلاّ بالنيات، وهذه مزية أخرى لأسلوب القصر تضاف إلى مزيته الأولى " الإيجاز".

ويبقى أن نتنبه إلى دلالة أخرى تفيدها " إنما" في التركيب، فهي تفيد التعريض، وهو من البلاغة كذلك، ومعناه الإيماء إلى المعنى من بعيد، ولا يفهم ذلك إلاّ من السياق، وفي ذلك ما فيه من الإشارة الخفية واللمحة الذكية للمعنى، حيث يخلص المبدع نفسه وغيره من الإحراج مما يقصد ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو كنتم في أنفسكم ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً * واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه* واعلموا أن الله غفور رحيم ".[1]

وهكذا فقد حقق أسلوب القصر في الحديث ثلاث مزايا عظيمة :

الإيجاز، والتوكيد، والتعريض.

١- **<u>" إنما لكل امرئ ما نوى " :</u>**

وهذه الجملة اسمية أخرى، طرأ على نظمها متغيران، الأول تقديم المسند " لكل امرئ " على المسند إليه الذي تعاوره فيها طريقان " إنّما"، وتقديم ما حقه التأخير"، حيث قصر في الجملة " مانوى" على " لكل امرئ"، فالمقصود عليه هو الاسم الموصول "ما" والمقصورعليه وهو شبه الجملة الجار والمجرور " لكل"، فخصّ الشيء الذي نواه الإنسان، أو عاقبته وحسابه به، من قبيل قصر الموصوف على الصفة إضافة لا حقيقة..

وقد سدت هذه الجملة مسدّ جملتين، فهي بمثابة قولنا: ما نواه المرء له. وما نواه المرء ليس لأحد ؛ فاتصفت عبارة الحديث بالإيجاز، فضلاً عما فيها من تقوية الحكم وتوكيد المعنى، وعما فيها من تعريض، على غرار ما ورد بيانه وتوضيحه في الجملة الأولى " إنّما الأعمال بالنيات".

وإذا كان الإسناد في الجملة الأولى بسيطاً، فإنه في هذه الجملة مركب، بورود جملة الصلة والموصول " التي اتصلت بـ"ما"، وتممت معناها بجملة فعلية، المسند فيها هو الفعل"نوى" والمسند إليه ضمير مستتر عائد على " امرئ"، تقديره "هو"، وهذه الجملة ليست من القيود أو الفضلات في هذا السياق، كونها صلة الموصول كما أسلفنا.

ب- **<u>القصر بتقديم ما حقّه التأخير.</u>**

وقد ورد منه في الحديث جملة واحدة هي: " لكل امرئ مانوى"، حيث تقدم المسند إليه، كما سبق بيانه، لإفادة معنى القصر، فما ينويه الإنسان حسابه عليه لا على غيره، ولا يتعداه إلى سواه، فإن خيراً فخير حيث يثاب عليه، وإن شراًّ فسر حيث يعاقب عليه. ولو جاء نظم الجملة بالترتيب الطبيعي للجملة الاسمية : المسند إليه فالمسند، هكذا: " ما نواه كل امرئ له "، لضاع معنى القصر أولاً، لأن الجملة بهذا الترتيب الطبيعي تفيد أن ما نواه الإنسان تكون عاقبته له وربما لغيره، بخلاف الترتيب النبوي الذي أفاد قصر الشيء الذي ينويه كل إنسان على نفسه، ولا يتعداه إلى غيره من قبيل قصر الموصوف على الصفة، فضلاً عما يصوّر النظم الطبيعي للجملة من ركاكة وضعف، وإطالة لا طائل

[1]- سورة البقرة : الآية (٢٣٥).

تحتها على عكس ما حققته الجملة بترتيبها في الحديث من إيجاز، وتوكيد، ورقة وسلاسة، وحسن نظم، ولك أن تتصور الجملة كاملة بترتيبها الطبيعي "إنما ما نواه كل امرئ له" فيصدمك هذا الترتيب بعقابيله الصوتية، فيثقل على لسانك حين تقرؤه، ويصك أذنيك حين تسمعه، ويلتبس عليك فهمه، فلا تسبغه، فأين هذا من ذاك؟! بل أين الثرى من الثريّا ؟!

وما يستوقفنا في نظم هذه الجملة الحديثية ومفرداتها اللام في " لكّل" التي تفيد الملكية والمصاحبة، والالتصاق، فكأنما عاقبة نّية المرء تكون له على سبيل التملك، فهي ملازمة له ومصاحبة بل ملتصقة به.

والجدول رقم (٥) يلخص أنماط القصر في الحديث

الجدول رقم (٥) : أنماط القصر في الحديث

الرقم	عبارة القصر	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه	نوع القصر باعتبار الطرفين
١-	"إنّما الأعمال بالنيات"	إنما	الأعمال	بالنيات	موصوف على صفة
٢-	"وإنما لكل امرئ مانوى"	إنما	ما نوى	لكل امرئ	موصوف على صفة
٣-	"لكل امرئ ما نوى "	تقديم ما حقه التأخير	مانوى	لكل امرئ	موصوف على صفة

خامساً : التقديم والتأخير

يقصد بالتقديم والتأخير هنا ترتيب عناصر الكلام في الجملة أو الجمل، تبعاً لترتيبها في ذهن المبدع، وفقاً للمعاني والأغراض التي يريدها، على أن يكون ذلك كله متوافقاً مع قواعد النحو، كما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني الذي عبّر عن ذلك بـ " النظم"، وقصد به "تآخي مفردات الكلم وفق معاني النحو" [١].

فالترتيب الطبيعي للجملة الاسمية مثلاً أن يتقدم المسند إليه على فالمسند وأن يتقدم كل منهما على متعلقاته أو معمولاته والعكس في الجملة الفعلية. حيث يتقدم المسند على المسند إليه، ويتقدم كل منهما على متعلقاته أو معمولاته. وقد يحدث انزياح أو اختلاف في هذا الترتيب الطبيعي، لغرض بلاغي بقصده المبدع، ولا خَيْر في ذلك مادام الأمر موافقاً لمعاني النحو. وكلا الوضعين في ترتيب عناصر الكلام مقصود بلاغياً.

[١] - الجرجاني، عبد القاهر – دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد رشيد رضا، الطبعة الخامسة (١٣٧٢هـ)، دار المنار:مصر، ص٢٧٤ وما بعد .

وهناك نوع آخر من التقديم والتأخير يتعلق بالمعاني لا بالألفاظ والمفردات داخل التركيب، وهو شأن بلاغي مهم أيضاً.

ونجد في حديث النية أمثلة لنوعي التقديم والتأخير المذكورين.

أ- **التقديم والتأخير بين عناصر التركيب: ومن أمثلته في الحديث :**

١- **" إنما لكل امرئ ما نوى.**

حيث تقدم في هذه الجملة الاسمية المسند " لكل امرئ " على المسند إليه " مانوى" كما سبق، بغرض القصْر، أي تخصيص المسند إليه، بالمسند والترتيب الطبيعي لهذه الجملة، إنما ما نواه كل امرئ له " ولكن شتان بين هذا الترتيب وذاك كما أسلفنا، على الرغم من كون هذا هو الأصل. إلا أن هذا الأصل لا يحقق ما قصده النبي – صلى الله عليه وسلم- والله أعلم فصار الترتيب الذي جاء عليه التركيب في الحديث لازماً، اقتضاه المعنى. وصار التقديم، بناءً على ذلك هو الأصل، فهو تقديم لا على نية التأخير كما يقول البلاغيون، وإن كان ذلك جائزاً نحوياً لا واجباً، فإن هذا الترتيب بتقديم المسند على المسند إليه واجب ولا يجوز العدول عنه إلى الأصل، لأن الأصل لا يحقق ما في ذهن المبدع، ولا يخدم الغرض، فضلاً عن أنه لا يؤدي المعنى.

هذا هو النظم الذي تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز"، وأقام له شأناً كبيراً، لأهميته، حيث يكون الاعتبار في الكلام وفي اختيار الألفاظ، ووضعها في مواضعها من الجملة أو التركيب، بتقديم هذه اللفظة أو تأخير تلك، وهذا هو مصدر الحسن والجمال في الكلام، وهذا هو مناط القبول والرفض، والمعوّل عليه في التقديم والتأخير.

٢- **" إنما الأعمال بالنيات " :**

جاء الترتيب في هذه الجملة الاسمية على الأصل، حيث تقدم المسند إليه " الأعمال" على المسند " بالنيات"، بخلاف الجملة السابقة، وهذا الترتيب الأصلي بحد ذاته مقصود كذلك، حيث أريد قصر المسند إليه على المسند، وتخصيصه به دون غيره.

ولما كانت النيات خافيه مستقرة، والأعمال ظاهرة واضحة، فقد قدمت الأعمال على النيات في الجملة، لصعوبة إدراك النيات أو استحالة ذلك عليه، فالنيات لا يعلمها إلا الله، ولا يمكن الاستدلال عليها حتى بالأعمال إلا من قبيل الظن والتخمين،كما في الأثر: " فهلّا شققت عن صدره"، فقدم الواضح البين على غير الواضح هنا، وهذا من قبيل ترتيب المعاني لا المفردات أو الألفاظ، كما سيأتي.

وفي هذه العبارة يتناسق نوعا الترتيب: ترتيب الألفاظ وترتيب المعاني، ويتناسبان، مع نمط الجملة الاسمية، ومع ما فيها من جمع وتعريف، لتأدية غرض أراده الرسول- عليه الصلاة والسلام- بعبارة موجزة بليغة، وهذا لا يتأتى لبشر إلاّ لنبي أوتي جوامع الكلم، فكان أفصح العرب بيد أنه من قريش.

ب- **ترتيب المعاني: وما ورد منه في الحديث ما يأتي :**

١- **" إنما الأعمال بالنيات" :**

حيث تقدم لفظ " الأعمال" على " النيات"، من قبيل تقديم الواضح على غير الواضح، وهذا أمر منطقي في عرض الأشياء، لا سيما في سياق التعليم والوعظ والإرشاد، حيث يحقق ذلك مبدأ تربوياً مهما

يقتضي بالبدء بالواضح المفهوم والانتقال منه إلى الغامض، والبدء بالمحسوس والانتقال منه إلى المعقول أو المجرد، أو من المادي إلى المعنوي أو الذهني.

٢- **" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " :**

بدأ النبي- صلى الله عليه وسلم- بجملة " إنما الأعمال بالنيات " وثنى بـ " إنما لكل امرئ ما نوى"، حيث حدّد في الأولى المعيار الذي تقاس به الأعمال، سواء في الحكم عليها بقبولها أو رفضها، أو في المجازاة عليها بالثواب أو العقاب، وحدد في الثانية نصيب الإنسان وفق نيته، فكانت الاولى بمثابة السبب، والثانية بمثابة النتيجة، وهذا الأمر منطقي.

هذا من جهة. ومن جهة ثانية، فإن الجملة الأولى عامة، والثانية أخص منها، فقدمت الاولى على الثانية، مراعاة لمبدأ تربوي مهم أيضاً، وهو البدء بالعام، والانتقال إلى الخاص، حيث روعي في ترتيب الجملتين تقديم العام على الخاص.

ومن جهة ثالثة فإن الجملة الأولى أعطت حكماً نظرياً قاعديا، ثم جاءت الثانية مثالاً وتطبيقاً عليه، فيكون قد روعي في ترتيب الجملتين مبدأ منطقي آخر، وهو تقديم النظرية أو المبدأ على المثال.

وهكذا تضافرت هذه الأغراض كلها في ترتيب الجملتين لتقديم صورة ناصعة في الفصاحة، بل هي آية في البلاغة.

٣- **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله" :**

جاءت هذه الجملة وكذا التي بعدها، تمثيلاً على ما سبق في الجملتين " إنما الأعمال بالنيات" و" وإنما لكل امرئ ما نوى "، والقاعدة تسبق المثال، والتفصيل يأتي بعد الإجمال، حيث كانت الجملتان الاوليان بمثابة القاعدة للآخريين: الثالثة والرابعة.

والأوليان مجملتان بالقياس إلى الأخريين. فاجتمع هنا تقديم القاعدة أو النظرية على المثال، والعام على الخاص أو المجمل على المفصّل، أو المبهم على الواضح، وفي ذلك منتهى الدقة، وغاية الترتيب.

٤- " ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ":

تأخرت هذه الجملة عن التي قبلها، وعطفت عليها، وقد روعي في ترتيب هاتين الجملتين أمر مهم ومعنى سام، فالهجرة إلى الله ورسوله هي الأمر المعتبر والأشرف، وهي الأهم من غيرها، أما الهجرة للدنيا بمظاهرها المختلفة فليست ذات بال بالقياس إلى سابقتها، حتى وإن كانت لأمر مشروع، أو عمل حلال، أو هدف مباح، فقدمت الأولى على الثانية من باب تقديم الأهم على المهم، وروعي شرف العمل وسمّوه في التقديم والتأخير.

وهذا غاية في التهذيب، والنصح، والإرشاد، والدعوة إلى التعلق بالأهداف السامية، والغايات النبيلة، وللآخرة خير ذلك من الاولى، " ولسوف يعطيك ربك فترضى" [١].

وكلتا الجملتين السابقتين (٥،٤) بأسلوب الشرط الذي لابد فيه من فعل الشرط وجوابه مع الأداة، ذكراً أو تقديراً وقد روعي في ترتيب كلتا الجملتين الأصل في أسلوب الشرط، حيث تقدم فعل

---

[١] - سورة الضحى : الآيتان (٥،٤) .

الشرط على جوابه، ففي الأولى تقدمت جملة فعل الشرط " كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها " على جملة الجواب " فهجرته إلى ما هاجر إليه"، مراعاة لمنطق الأشياء، فالسبب مقدم على المسبب أو النتيجة.

وهكذا يأتي ترتيب الكلام في هذا الحديث محكماً، ونظمه مرصوفاً، وحبكته متقنة، حتى إذا ذهبت تقدم أو تؤخر، اتضح لك الخلل فيما تحاول، والعبث فيما تقصد.

الجدول رقم (٦) : التقديم والتأخير في الحديث

الرقم	الجملة	نوع التقديم لفظي/معنوي	المقدم	المؤخر	الغرض
١-	الأعمال بالنيات	لفظي معنوي	(المسند إليه) الأعمال	(المسند) النيات	الفصر السببية
٢-	لكل امرئ ما نوى	لفظي	لكل امرئ (المسند)	مانوى (المسندإليه)	القصر
٣-	من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله	لفظي معنوي	(فعل الشرط) الهجرة إلى الله ورسوله	(جواب الشرط) الهجرة لدنيا يصيبها أو امرأة	مراعاة للأصل الأفضلية
٤-	ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه	لفظي لفظي	(فعل الشرط) دنيا	(جواب الشرط) امرأة	مراعاة اللأصل البدء بالعام

سادساً: أسلوب الشرط:

استخدام النبي – صلى الله عليه وسلم- أسلوب الشرط مرتين في الحديث، بقوله: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"، وقوله "ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" مستعملاً اسم الشرط "من" في كلتا الجملتين، ومعتمداً على نمط الجملة الاسمية في الشرط والجزاء في كلتيهما كذلك.

ولعل أسلوب الشرط هو الأنسب في سياق الحديث، فرهن الأعمال بالنيات، قبولاً ورفضاً، ثواباً وعقاباً، ورهن كل امرئ بما نوى: إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر، هو بمثابة الشرط في المعنى، لأن الإخلاص في النية يترتب عليها قبول العمل، والعكس بالعكس، ولأن كل امرئ مجازى بنيّته، وفيما يأتي تفصيل لنمطي الشرط في الحديث:

أ- **"من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"**

بني أسلوب الشرط في هذه الجملة على اسم الشرط "من" وجملة فعل الشرط "كانت هجرته إلى الله ورسوله"، وجملة جواب الشرط " هجرته إلى الله ورسوله"، واسم الشرط "من" اسم عام،ينضوي تحته كل فرد من أفراد جنسه، وهذا يناسب التعميم والشمولية في مطلع الحديث" إنما الأعمال بالنيات، وإنّما لكل امرئ ما نوى" فهناك انسجام بين دلالة الجمع في الأعمال والنيات، ولكل امرئ ما نوى، وبين دلالة اسم الشرط هذا، وبينه وبين دلالة الاسم الموصول "ما" في عبارة "ما نوى".

أما جملة فعل الشرط "كانت هجرته إلى الله ورسوله" ففيها من التوكيد لتحقق وقوعه ما يكفي، من التعبير بالفعل الماضي " كان"، والجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستقرار والدوام، ومثلها جملة الشرط التي جاءت بصيغة جملة فعل الشرط ومعناها، مقترنة بفاء الجزاء.

ب_ " **من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه":-**

بني أسلوب الشرط في هذه الجملة على غرار بناء الجملة السابقة، مع اختلاف يسير لموافقة السياق العام في الحديث، حيث استخدم اسم الشرط "من" بالدلالة نفسها، وجاءت جملة فعل الشرط بصيغة الجملة الاسمية، مع بعض الإضافات، وكذلك الحال في جملة جواب الشرط، مع اللجوء إلى الإضمار بدل الإظهار كما سيأتي بيان ذلك لاحقاً واستخدام الاسم الموصول "ما" وفيه إبهام وعموم.

وقد جاء نمط الشرط في الحديث نتيجة منطقية، وتطوراً طبيعياً للمقدمات السليمة التي بدأ بها، ومنسجماً مع فكرة الحديث الرئيسة وموضوعه الأساسي، بأسلوب فيه مقابلة وموازنة بين الجمل، واختيار موفق للألفاظ، ومرادفة بين الإظهار والإضمار، وبرهنته على صحة الفكرة وقوتها

وسلامتها، مما يؤدي إلى الإقناع والإمتاع، ويدعو المتلقّي إلى إخلاص النية، وتمحيض القصد، وتسديد التوجه كي يقبل عمله، ويثاب عليه، لا إن يحبط، ويعاقب عليه، وإن أجهد نفسه فيه،"من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"[1] جهاداً كان ذلك العمل أم علما، أم فقه، فمن قاتل لتكون كلمة هي العليا فهو في سبيل الله.

والجدول رقم (٧) يوضح نمط الشرط في الحديث

الجدول رقم (٧): أسلوب الشرط في الحديث

الرقم	أسلوب الشرط	أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط
١	من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله	من	كانت هجرته إلى الله ورسوله	هجرته إلى الله ورسوله
٢	من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما	من	كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها	هجرته إلى ما هاجر إليه

[1] سورة الزلزلة : الآيتان (٧،٨).

	هاجر إليه			

سابعاً: أسلوب الوصل في الحديث:

الوصل لغة: الربط، واصطلاحاً هو العطف بين الجمل بحرف العطف الواو، والوصل بحث بلاغي مهم، حتى جعل بعضهم البلاغة معرفة الوصل من الفصل، لدقة مسلكه، إذ الفصل في الاصطلاح هو عكس الوصل، أي ترك العطف بين الجمل بحرف العطف الواو، وقد يختلط الأمر على المرء، فيصل حيث يجب الفصل، أو يفصل حيث يجب الوصل، فيفسد المعنى، بل قد يؤدي إلى عكس ما يريد المبدع دون قصد، كما في القصة المشهورة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حينما لقي إعرابياً يحمل ثوبا، فسأله أبو بكر أتبيع هذا الثوب؟ فأجاب الأعرابي: لا جزاك الله خيراً، فنبهه أبو بكر قائلاً: لا تقل هكذا، بل قل : لا وشكراً، والبون شاسع بين العبارتين، فهما على طرفي نقيض في دلالتيهما، والسبب في ذلك الواو ذكراً وحذفاً بين الجملتين : "لا" و" جزاك الله خيراً".

وفي الحديث موضعان للوصل هما:

أ- **<u>إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"</u>**

فقد عطفت الجملة الثانية" إنما لكل امرئ ما نوى على الجملة الأولى" إنما الأعمال بالنيات" لاتفاق الجملتين في الصيغة الخبرية، ووجود مناسبة معنوية بينهما تسوّغ هذا العطف أو الوصل، وهي السببية، إذ أن الجملة الأولى سبب في الثانية، فلما كانت الأعمال يحكم عليها بالقبول أو الرفض، والثواب والعقاب، فقد تقرر أن لكل امرئ ما نوى من حسن نية أو سوئها.

وهذا الوضع بين الجملتين بالوصل يرجح أن الجملة الثانية ليست تكراراً للأولى، بل هي غيرها، بخلاف ما يراه بعض شرّاح الحديث، ومن المعلوم أن العطف يكون بين متغايرين، لا متحدّين أو المتصلين يكون بمثابة شيء واحد، والشيء لا يعطف على نفسه، لذا لو لم يوصل بين الجملتين لظن أن الثانية هي عين الأولى أو بيان لها، أو بدل منها أو تفسير لها، وليس الأمر كذلك؛ فسبحان الله الذي أدّب نبيه فأحسن تأديبه، وعلمه فأحسن تعليمه.

ب_" **<u>فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"</u>**

هاتان جملتان شرطيتان، وكل منهما اشتملت على اسم الشرط وفعل الشرط وجوابه، وقد عطفت الثانية" من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" على الجملة الأولى:"من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله" بحرف العطف الواو، هذا موضع يجب فيه الوصل بين الجملتين هكذا؛ لاتفاقهما في الصيغة الخبرية ونمط الشرط، ووجود مسوغ للوصل بينهما أو امرأة ينكحها ضد من كانت هجرته إلى الله ورسوله، ومن ثم فإن عاقبة الثاني عكس عاقبة الأول، لذا كان الو صل بين الجملتين واجباً، وعكس ذلك يكون من القول، برّئ النبي- صلى الله عليه وسلم- منه وهذّب فكان أفصح العرب لاحقاً، وقد حُقّ لأبي بكر – رضي الله عنه- وهو الفهّامة النسابة، أن يندهش لفصاحة النبي ويتعجب من بلاغته.

ويمكن تلخيص نمط الوصل في الحديث بالجدول رقم (٨)

الجدول رقم (٨) : نمط الوصل في الحديث

الرقم	الجمل الموصولة	السبب
١-	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى	اتفاق الجملتين الخبرية، مع وجود مسوغ للوصول، السببية
٢-	ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه	اتفاق الجملتين في الصيغة الخبرية، مع وجود مسّوغ للوصل " التضاد في المعنى"

ثامناً: الإيجاز والإطناب:

الإيجاز تأدية المعنى الكثير باللفظ القليل، والإطناب تأدية المعنى القليل باللفظ الكثير، وذلك لغرض بلاغي، وكلا الأسلوبين بليغ في موضعه، حتى قبل: البلاغة هي الإيجاز، كما قيل: البلاغة هي الإطناب.

وقد اشتمل الحديث على هذا وذاك بلا تناقض، بل في انسجام تام، وتناسق وتكامل، إذ لكل مقام مقال، وفيما يأتي بيان لذلك:

أ. **الإيجاز:**

قيل في هذا الحديث إنه ثلث العلم، وإنه يدخل في سبعين باباً من الفقه، وإنه أحد أصول الإسلام الثلاثة، وإنه أحد أربعة الأحاديث التي عليها مدار الأحاديث المسندة وعددها أربعة آلاف[١].

ولئن كانت أقوال العلماء هذه _ مهما اعتراها من مبالغة_ تشير إلى أهمية هذا الحديث ومكانته، فإنّها تدلّ دلالة واضحة على الإيجاز فيه، فأي حديث هذا يؤدّي ثلث العلم، ويدخل في سبعين باباً من الفقه، ويكون أحد أصول الإسلام الثلاثة، ويغني عن ألف حديث أو أكثر، بألفاظ قليلة، وتراكيب يسيرة؟! إنّه من جوامع الكلم حقاً! وممّا أوتيه النبي _صلّى الله عليه وسلم_ مع القرآن العظيم! وسيحاول الباحث فيما يأتي مقاربة القول في ذلك.

١. **"إنما الأعمال بالنيات":**

جملة بسيطة، قوامها بضع كلمات، لكنها غزيرة المعنى، سامية الفكرة، بما انطوت عليه من نظم عجيب، جمع أعمال الإنسان كلّها من قلبية وقولية وفعلية في كلمة واحدة "الأعمال"، جاءت بصيغة الجمع، ومعرّفة بـ "أل" الاستغراقية، أو العهدية في رأي بعض شرّاح الحديث[٢]، لتشمل كل عمل يجترحه الإنسان، أويهم به، أو يتلفظ به، وهيهات أن يحصى ذلك الإنسان، إلا أن يكون من الملك الديان، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرّة، ولا يغيب عنه شيء، "إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وأثارهم وكل شيء في إمام مبين" [٣].

---

[١] . ينظر في ذلك كتاب جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ج١، ص١٢.

[٢] - يميل الباحث إلى الاعتقاد بأن المقصود بالأعمال ليس مقصوراً على العبادات، وأن " أل" فيها تفيد الاستغراق .

[٣] - سورة يس : الآية (١٢) .

ومن ثم تقصر هذه الأعمال كلّها، بقضها وقضيضها، وكبيرها وصغيرها، عظيمها وحقيرها على " النيات" بصيغة الجمع، لتناسب صيغة " الأعمال " بالجمع كذلك، أو " النيّة" بالإفراد – في بعض روايات الحديث لتعمم جنس النيّة، حيث تكون " أل " التعريف فيها للجنس، ومسبوقة بالباء التي قد تكون للمصاحبة أو الالتصاق أو السببية أو لذلك كلّه، ولا يكتفي النظم باختيار صيغة الجمع، و"أل" الاستغراقية، أو العهدية، أو الجنسية، لشمول أفراد الجنس فتثبت وتنفي، كي لا يندّ من أفراد الجنس شيء، ولا يخرج عن الحكم المبرم المحكم، والمصير المحتوم.

" إنما " تلك التي جمعت فأوعت، وضمت فحفظت، تفيد مع القصر التوكيد وتقوية الحكم، كما تفيد التعريض، إضافة إلى دلالة الجملة الاسمية نفسها على التوكيد، وإفادتها الثبات والاستقرار والدوام.

هذا هو إيجاز القصر، حيث تكون الجملة قصيرة بذاتها ومفرداتها، دون أن يحذف منها شيء، لكن المعنى فيها يزيد على اللفظ، وحسبك من جملة الحديث هذه غزارة معنى، وقلة مفردات بلا حذف[1]، وقد اشتهرت هذه العبارة على ألسن الناس، وشاعت بينهم، وسارت سيرورة عظيمة، لما فيها من سمو المعاني والأفكار، وسهولة الألفاظ ووضوحها.

وإن لم يكن الإيجاز في الجملة من قبيل إيجاز القصر، فهو من قبيل إيجاز الحذف، على تقدير بعض الشّراح، حيث يقدّر بعضهم محذوفاً قبل " الأعمال" تقديره "صحّة" أو " قبول" أو " سلامة" أو " جزاء"، كما يقدر بعض النحويين محذوفاً تعلق به الجار والمجرور " بالنيات"، والتقدير " معتبرة" أو " مجازاة" أو " مقدّرة ".

ولما كانت العبارة واضحة ومفهومة بلا تقدير محذوف، فعدم التقدير أولى؛ تبعاً لقواعد النظم، ومعاني النحو.

وفي حال القول بالحذف في العبارة، واللجوء إلى التقدير، فإن المحذوف قليل جداً، والسياق دال عليه، فحذفه أولى من ذكره، كما يقرر علماء البلاغة في حالات الذكر والحذف، لئلا يؤّدي ذكر المحذوف إلى ركاكة في الأسلوب، أو سماجة في التركيب، أو تضييق لواسع، أو تقييد لمطلق يتطلبه السياق.

ويبقى الأمر، مع هذا وذاك، قائماً على الإيجاز، بالحذف كان أم بالقصر، وتبقى هذه العبارة من جوامع الكلم، ومن نتائج القريحة النبوية المؤيّدة بالوحي.

٢- " إنما لكل امرئ ما نوى "[2]:

ما قيل عن الجملة الأولى من الإيجاز بالقصر أو الحذف، يمكن أن يقال عن هذه الجملة الاسمية، مع التذكير باجتماع طريقي " إنما " وتقديم ما حقّه التأخير": " لكل امرئ ما نوى" في هذه الجملة الاسمية، حيث تقدم المسند على المسند إليه، لإفادة معنى القصر، وتوكيد الحكم بصورة أقوى، وتكثير للمعنى مع قلة الألفاظ، وإحاطة للحكم بما اشتمل عليه نظم هذه الجملة كذلك، إضافة إلى ما سبق، من

---

[1] - يميل الباحث إلى أن الجملة لم يحذف منها شيء، وذلك أجدر بدلالتها الشاملة للتقديرات المختلفة في حال القول بالحذف .

[2] - يرى بعض شرّاح الحديث أن هذه الجملة تكرار للتي قبلها، وليس الأمر كذلك .

إفادة العموم بـ "كل" والاسم الموصول الذي يفيد الإطلاق على العموم " ما"، وصلته التي جاءت جملة فعلية فعلها ماضٍ "نوى"، وأضمر فيها

الفاعل " هو" العائد على " امرئ"، وحذف منها المفعول به إيجازاً، والتقدير " نوى عمله" أو " نواه"، واقتران لفظ العموم " كل" بحرف الجر اللام الذي يفيد التملك أو الملكية، للإسهام في ثبات الحكم واستمراه، وإشراك لهذه الجملة مع التي قبلها في حكم السببية.

فصار الكلام يشد بعضه بعضاً، في رصف عجيب، ونظم غريب، مع غنى في المعنى، وسمّو في الفكرة، بألفاظ قليلة، لكنها غير مقصّره أو مخلة، وحسبك هذا البيان بياناً.

٣- " فهجرته إلى ماهاجر إليه ":

لقد اختصرت جملة جواب الشرط هذه، ما سبق في جملة فعل الشرط نفسه، من " دنيا " يصيبها أو "أمرأة" ينكحها " – اختصرته في كلمة واحدة هي اسم الموصول " ما "؛ فالدنيا بعامة بصورها وأشكالها ومفاتنها وملاذها أياً كانت، والمرأة فيها بخاصة بصفاتها وأخلاقها وأثرها – كل ذلك عُبّر عنه في الجملة بكلمة عامة مبهمة " ما "، لكنها واضحة الدلالة على المقصود الذي لا يحيط بذكره كتب وأسفار، ولا روايات وأخبار، حيث جاء الجزاء من جنس العمل، بعبارة موجزة لم تبلغ مفرداتها عدد أصابع اليدين، مع تقدير محذوف تعلق به، وخبر المبتدأ أو المسند " إلى ما هاجر إليه "، إذ قد يكون تقدير الجملة " فهجرته صائرة أو موكولة " إلى ماهاجر إليه ".

ولا يخفى ما في الجملة من إيجاز بالقصر والحذف، دون إخلال بالمعنى، بل إننا نكاد نحسّ بالجزاء الأوفى لذاك الذي تغرّه الدنيا، فينغمس فيها طوال حياته، ظاناً دوام تلك الحال، فسرعان ما يأتي الجزاء مختصراً، من نبيّ عالم بالمآل "ما ضل صاحبكم وما غو"، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، علّمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى[١].

وتكاد هذه الجملة تحصر أفراد جنس الهجرة إلى الدنيا، على كثرتها وتنوّعها، بـ "ما".

ب. الإطناب:

يراوح الحديث بين الإيجاز، الصفة العامة له، والإطناب حيثما اقتضى المقام هذا أو ذاك؛ فالبلاغة مطابقة الكلام المقتضى الحال مع فصاحته.

ويعرض الباحث فيما يأتي بعض صور الإطناب في الحديث:

١. "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله":

تكرر في الحديث جملة "هجرته إلى الله ورسوله"، حيث وردت في فعل الشرط وجوابه، فاتّحد فعل الشرط وجزاؤه.

وقد يُظَنّ للوهلة الأولى أن هذا تكرار لا داعي له، وأنه يمكن الاستغناء عنه في جواب الشرط، لوروده في فعله، ويشار إليه بأحد أسماء الإشارة، أو بموصول وصلته، كما في الجملة الأخيرة من الحديث: "هجرته إلى ما هاجر إليه".

---

[١]. سورة النجم: الآيات (٢-٦).

ولكن هيهات؛ فشتان بين هذا وذاك! فقد كرر النبي _صلى الله عليه وسلم_ لما في ذلك من تأكيد على إخلاص النية لله في الفعل والجزاء، وللتلذذ بذكر الله ورسوله، والتشرف في استحضارهما بالقلب واللسان، ولتشريف الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بإضافته إلى ضمير الله في " رسوله" مكرّراً، ولبيان الجزاء الأوفى على الإخلاص، وتعظيم منزلة المخلص فأنىّ تتحقق هذه المعاني الجليلة لو لم يكن التكرار.

٢. "**ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه":**

في الجملة مظهران من مظاهر الإطناب: تمثّل الأول في إتباع كل من كلمتي " دنيا" و" امرأة" جملة " يصيبها" و"ينكحها" على التوالي، لتكون كل منهما صفة للنكرة قبلها. وقد يخطر بالبال أنه لا داعي لهذه الصفة في كلّ، إذ يمكن الاستغناء عن الجملتين، والاقتصار على الكلمتين نكرتيين، أو معرفتين، لا خلاف، قياساً على ما في جملة الشرط السابقة " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله..."، حيث ذكر " الله ورسوله" مجردين من أي وصف، ولكن هذا لا يصلح بلاغياً، إن جاز نحوياً؛ فالبلاغة اقتضت في هذا السياق وصف كلمة " دنيا" بجملة " يصيبها"، وكلمة " امرأة " بجملة "ينكحها"، فكان ذلك من قبيل الإطناب، حيث يوحي جملة " يصيبها بمعنى الكسب الحلال، والإصابة والصواب في الكسب الدنيوي، كما توحى كلمة "ينكحها"، بمعنى الزواج المشروع، فيكون ذلك من باب تتميم المعنى والاحتراس فيه، حتى لا تفهم الألفاظ على خلاف مايريد المبدع، وهذا غرض بلاغي مهم، فالهجرة إذا كانت لغير الله ورسوله، أيا كان العمل، فأمر صاحبها موكول إلى نيته غير الخالصة لله ورسوله، حتى لو كانت لعمل صالح ومشروع، " واتّبع فيما آتاك الله الدار الآخرة "، وأحسن كما أحسن الله إليك[١].

والجدول رقم (٩) يلخص أنماط الإيجاز والإطناب في الحديث

الجدول رقم (٩) : الإيجاز والإطناب في الحديث

الرقم	الجملة	الأسلوب إيجاز أم إطناب	مظهره / شكله
١-	إنما الأعمال بالنيات	إيجاز قصر إيجاز حذف	- صيغة الجمع " الأعمال"،وطريق القصر بـ " إنما"، وقِصَر العبارة دون حذف، وتقدير المحذوف قبل " الأعمال"، قيل: "صحة" أو " قبول" أو " مجازاة". -تقدير خبر محذوف أو مسند تعلق به الجار والمجرور" بالنيات".
٢-	إنما لكل امرئ ما نوى	إيجاز قصر	قِصَر العبارة. القَصْر بـ " إنما"، وبتقديم ما حقه التأخير. ورود بعض ألفاظ العموم، مثل : " كل"

[١] - سورة القصص: الآية (٧٧) .

		إيجاز حذف	و"ما". حذف المفعول به من جملة " نوى "
٣-	"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، " فهجرته إلى الله ورسوله "	إطناب	تكرار لفظ " هجرته إلى الله ورسوله "
٤-	ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها	إطناب	التتميم والاحتراس بإيراد جملة "يصيبها" صفة ل " دنيا"،وجملة "ينكحها" صفة لـ "امرأة"
٥-	هجرته إلى ما هاجر إليه	إيجاز قصر	التعبير بالاسم الموصول " ما" كناية عن الدنيا والمرأة.

تاسعاً: الإظهار والإضمار:

الإظهار هو التعبير بالاسم الظاهر في موضع التعبير عنه بالضمير والإضمار هو التعبير بالضمير في موضع يمكن التعبير عنه بالاسم الظاهر.

ولايكون هذا وذاك إلا لغرض بلاغي يفهم من السياق، وقد ورد في الحديث نمط لكل من هذين الأسلوبين.

أ- **الإظهار في موضع الإضمار**: ورد في قول النبي "صلى الله عليه وسلم":

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله" في موضع كان يمكن التعبير عنه بالإضمار إيجازاً، لأن اللفظ سبق ذكره في فعل الشرط. ولكن لما كان الجزاء من جنس العمل أو الفعل، فقد اشتمل الفعل على أشرف الألفاظ " الله ورسوله"، مما اقتضى إعادة هذا اللفظ للتبرك والتلذذ، وللتشرف بالتلفظ به، ولأظهار حسن الجزاء وإبراز شرفه، وبيان منزلة صاحبه، فهذا المهاجر في كنف الله ورسوله، وكأنما هوفي حضرة الله ورسوله دائماً، وقديماً قيل: " من أحب شيئاً أكثر من ذكره"، وأي شيء أحب إلى المؤمن من ذكر الله ورسوله؟!

إذا كان التعبير في هذا الموضع بالإظهار، ولو جاء بالإضمار لغات الخير كله " الله ورسوله"، ولأدى ذلك إلى انتقاص البركة والرفعة والشرف والشعور بالطمأنينة"، الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب " [١]

ب- **الإضمار في موضع الإظهار:**

ورد في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: " فهجرته إلى ما هاجر إليه"، حيث كان من المتوقع إعادة لفظ " دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها "، قياساً على ما سبق في أسلوب الشرط الأول، حيث أعيد ذكر " الله ورسوله"، ولكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أضمر بدلاً من الإظهار، تحقيراً

[١] - سورة الرعد : الآية (٢٨) .

لشأن المهاجر إليه هنا " دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها " فالدنيا مهما أبدت من زينة لصاحبها المفتون بها، وكيفما بدت جميلة جذابة، فهي حقيرة، لا تساوي جناح بعوضة، ولو كانت تساوي جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء، والدنيا متاع، وخير متاعها المرأة، لا سيما إن كانت زوجة صالحة، بل إن المرأة الصالحة خير ما استفاد المرء بعد تقوى الله – عز وجل – والمرأة نصف دين الرجل، والنساء شقائق الرجال، ولكن ذلك كله وغيره لايقدم ولايؤخر في قيمة الدنيا، مقابل الآخرة، أو مقابل " الله ورسوله"، فاستحقت بما فيها مفاتن ومحاسن وبما فيها من حلائل، التحقير والاستبعاد بالإضمار، وعدم إظهارها على القلب أو ترددها على اللسان، وإن كان كسبها حلالاً وصواباً، أو كانت المرأة حليلة ويكتمل بها دين الرجل، وتنشأ الأسرة.

واختصاراً لما تقدم، يمكن بيان اسلوبي الإظهار والإضمار في الحديث بالجدول رقم (١٠).

الجدول رقم (١٠) : الإظهار والإضمار في الحديث

الرقم المتسلسل	الجملة	الحالة إظهار أم إضمار	ملاحظات
١-	فهجرته إلى الله ورسوله	إظهار	أعيد ذكر " الله ورسوله" بالاسم الظاهر.
٢-	فهجرته إلى ما هاجر إليه	إضمار	أضمر الكلام عن الدنيا والمرأة، حيث لم يعد ذكرهما، بل أشير إليهما بعبارة " ما هاجر إليه"

عاشرا - المقابلة :

المقابلة فن بديعي يعني أن يأتي في الكلام جملتان متضادتان في المعنى، حيث تشتمل كل منهما على مفردات متضادة أو متقابلة، فالمقابلة بين الجمل، والطباق بين المفردات، وما يعنينا في هذا المقام هو المقابلة بين الجملتين الآتيتين في قول الرسول _صلى الله عليه وسلم_ :

"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

فقد قابل _صلى الله عليه وسلم_ بين قوله: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"، وقوله: "ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"، فجملة فعل الشرط الأول "من كانت هجرته إلى الله ورسوله" تقابلها جملة فعل الشرط الثاني: "من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها"، وفعل الهجرة واحد في الجملتين؛ إذ كلا المهاجرين يهاجر، ويبذل جهداً، ولكن الغاية لكليهما مختلفة، والهدف لكليهما مغاير، ونية الثاني تعاكس نية الأول، والدنيا الدانية أو الدنيّة مخلوقة، وهي متاع زائل، والمرأة خير متاعها، ومظهر محبب من مظاهرها، وقد "حببّ إليّ من دنياكم الطيب والنساء "، ولكنها كالدنيا، ولكن أين هما من الله الخالق، ورسوله أشرف

الخلق؟! بل أين الهالك الفاني من الحي الذي لا يموت القيوم الباقي، ومن رسوله صاحب الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفعية، والمقام المحمود، والكوثر؟! فكيف يكدّ الإنسان ويتعب ولا يكون قلبه معلقاً بالأعلى؟! بل كيف يرضى عاقل لنفسه المنزلة الدنيا على ما يبذل من جهد؟! "فما لكم كيف تحكمون"[1] "اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير"[2]؟!

وقد وفرت هذه المقابلة فرصة لمعرفة الفضائل والمنازل، والوقوف على المراتب والدرجات، وإدراك المصائر والمآلات، وبضدها تعرف الأشياء وتتمايز، وذلك كله يدفع ذا العقل السليم، إلى سلوك الطريق القويم، بنية خالصة لله رب العرش العظيم، حتى يقبل عمله وينجح مسعاه، وتكون هجرته إلى الله ورسوله. والجدول رقم (١١) يلخص أسلوب المقابلة في الحديث.

الجدول رقم (١١): أسلوب المقابلة في الحديث

الرقم	الجملة	الجهة المقابلة	التقابل
١.	من كانت هجرته إلى الله ورسوله	من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها	الله ورسوله مقابل: دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها
٢.	هجرته إلى الله ورسوله	هجرته إلى ما هاجر إليه	الله ورسوله مقابل: ما هاجر إليه من الدنيا

وتلخيصاً لما سبق من القول في السمات الفنية للحديث يمكن إجمال ذلك في الجدول الآتي:

الجدول رقم (١٢): السمات الفنية للحديث

الرقم	المجمل	السمة الفنية ومظهرها
أولاً	الأفكار والمعاني	- السمو والعمق. - الجدة والطرافة. - التحديد والوضوح. - التسلسل والترابط.
ثانياً	العبارة والتعبير	- إنتقاء الألفاظ. - سهولة التراكيب وسلاستها. - حسن التقسيم وصحته. - الموازنة بين الجمل. - الرقة والعذوبة.

[1]. سورة يونس: الآية(٣٥).

[2]. سورة البقرة: الآية(٦١).

		- الموسيقى والإيقاع. - الإيجاز وحسن الإشارة
ثالثاً	الخيال والتصوير	- الخيال الكلي بتصوير الهيئات والأحوال. - الحيوية في نقل المشاهد والمواقف. - التصوير الجزئي. - المجاز المرسل. - الأستعارة. - التعريف.

المبحث الثاني

السمات الفنية في الحديث

بعد هذا التطواف في ثنايا الحديث، يحسن بالباحث أن يقف عند بعض السمات الفنية التي يمكن استنباطها من الحديث نفسه، وهي من الكثرة بحيث لا يحاط بها،ومن العظمة بحيث لاتدرك كلها، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، لاسيما ونحن مع كلام أفصح العرب، ذاك النبي العربي الأمي الذي أعطي جوامع الكلم، وأوتي القرآن ومثله معه، ولعل حديث الإخلاص أو النية أنموذج واضح للبيان النبوي، ومثال صريح للإعجاز البشري في الكلام، ورحم الله شيخ العربية وآدابها، مصطفى صادق الرافعي، إذ يقول واصفا البلاغة النبوية" هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة، ألفاظ النبوَّة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه... محكمة الفصول... محذوفة الفضول... وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره (صلى الله عليه وسلم)[١].

ويرجع الرافعي[٢] هذه البلاغة النبوية الفائقة المتميزة إلى أمرين:

١- التوفيق الإلهي، والإلهام الرباني، حتى لا يعيا بقوم إن وردوا عليه، ولا يحصر أن سألوه، ولا يكون في كل قبيل إلَّا منهم، لتكون الحجة به أظهر، والبرهان على رسالته أوضح، وليعلم أن ذلك له خاصة من دون العرب.

٢- الفطرة الخاصة المميزة التي فطر الله عليا نبيه، بما فيها من فضائل خلقية وخلقية، كقوة الفطرة واستمرارها وتمكنها، وصفاء الحسِّن، ونفاذ البصيرة، واستقامة الأمر كله "وليس في العرب قاطبة من جمع الله فيه هذه الصفات، وأعطاه الخالص منها، وخصه بجملتها، وأسلس له مآخذها، وأخلص له أسبابها"، فضلاً عما للنشأة اللغوية من شأن، وما للطبيعة والمخالطة والمحاكاة من أثر، وما لسمو الفطرة وقوتها من دور في اكتساب المنطق واللغة، وكأنما وضع النبي (صلى الله وعليه وسلم) يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه".

---

[١] - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الطبعة الثانية، مطبعة الاستقامة بالقاهرة (١٩٦٥) ص ٣١٢.

[٢] - ينظر الرافعي، مصدر سابق، ص٣١٦- ص ٣١٩.

ويمكن اختصار القول فيما ورد من بلاغة نبوية في الحديث موضوع الدرس في عدة نقاط، تتمحور حول فكر الحديث، وعبارته، وما فيه من تصوير، وعاطفة، وهذا يكفي لمعرفة سمات أسلوب النبي _صلى الله عليه وسلم_ في هذا الحديث، لأن عناصر الأسلوب كما حددها النقد المعاصر- ثلاثة، هي: الفكرة والصورة والعبارة، أما العاطفة فقاسم مشترك بينها"[1].

وفيما يأتي أهم السمات البيانية في هذا الحديث:

أولا في الأفكار والمعاني:

ليس الأدب مجرد كلام يرصف، أو مفردات تؤلّف، بل هو شكل ومضمون، لفظ ومعنى، صورة ومحتوى، فإذا خلا الكلام من فكرة سامية، ومعنى طريف، كان مجرد ألفاظ منمقة لا قيمة لها، وهياكل فارغة لا أثر لها في المتلقّين، وسماعها لا يكاد يجاوز الآذان، ولا تعدو أن تكون جعجعة لا طِحن فيها، وبهرجة لا وزن لها، والكلام البليغ غايته الإقناع، ووسيلته الإمتاع، وهما صفتان متلازمتان للأدب الملتزم بقضايا الإنسان، والذي هو تعبير صادق وجميل عن انفعال الإنسان بالكون من حوله.

لذا فإن الفكرة أو المعنى هو أساس في العمل الأدبي، وتقدّر الفكرة فيه بقدر ما فيها من قوة، وجدة، وتحديد، وتسلسل، ولهذه الصفات حظٌّ كبير، ونصيب وافر في حديث الإخلاص، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- سمو الفكرة وقوتها:

موضوع الحديث وفكرته الرئيسة الإخلاص في النية والعمل، والتوجه إلى الله_عز وجل_ في كل شيء، والقصد إليه في العبادات والطاعات والمباحات. وأي فكرة تداني هذه الفكرة التي تربط الإنسان بخالقه، وتأُطره على منهج النبي_ صلى الله عليه وسلم_ وتجعله ينظر دائما إلى الأمام، ويتطلع إلى المستقبل، ويسعى إلى الهدف الأسمى، ويجعل الدنيا مزرعة للأخرى، ويرنو إلى الملأ الأعلى، والمقام الأسنى، فتصفو نفسه، وتخلص نيته، ويطهر قلبه، وتزكو روحه، ويصلح عمله، ويفرّ إلى الله، فيهجر المعاصي والآثام، ويكون في حفظ الله ورعايته، وبصحبة النبي –صلى الله عليه وسلم- ومعيته؟!، وشتان بين مُخْلِد إلى الأرض ملتصق بالدنيا ومتاعها، وبين متعلق بالأخرى، محب لله ورسوله، ساع لنيل الدرجات العلا، بما أضمر ونوى، وبما عمل وسعى!.

ومع سموّ هذه الفكرة قوة، ففي حين كان العرب يصطرعون لأتفه الأسباب، ويحتربون على حطام الدنيا وفتاتها، من ماء وكلاء، أو سمعة زائفة، وشهرة كاذبة، ويتوجهون إلى الأصنام والأوهام يقدسونها ويسْتشيرونها، جاء نبي الإسلام _عليه أفضل الصلاة والسلام_ ودعا بحديثه هذا إلى الترفع عن ذلك، وإخلاص النية والعمل لله الواحد الأحد، خالق الأشياء كلها ومدبرها، وموجها لبصائر والأبصار إلى ما فيه سعادة الإنسان في الدارين، وعزته ومنعته.

ب_ جدة الفكرة وطرافتها:

---

[1]- البيومي، محمد رجب، البيان النبوي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) ص ٢١٦.

لم يكن العرب قبل الإسلام أمة موحدة حتى في عبادتهم، بل كانوا يتخذون أصنامهم وسيلة تقربهم إلى الله، ومقولتهم في ذلك: "مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"[١]، فكانت عقيدتهم فاسدة، ونواياهم غير سليمة، وعبادتهم مشوهة، فلم يكونوا يعرفون الدين الحق، حتى جاء الإسلام فصحّح العقيدة، وخلّص النية، "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة"[٢] ولما كان الأمر كذلك فإن فكرة الإخلاص في النية والعمل التي تضمنها الحديث فكرة جديدة تماماً، أُلهمها الرسول _عليه أفضل الصلاة والسلام_ من ربه، واستمدها من القرآن، ولذلك كان عجب الكفار من هذا الأمر التوحيدي الذي ألغى التعدد، وأقر الوحدانية والتفرّد، "أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب"، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يراد"[٣]

فلا شك أن قرن العمل بالنية أمر جديد، ومجازاة كلٍّ يوم القيامة بما نوى في الدنيا، كذلك أمر جديد، والربط بين صلاح النية وحسنها وبين حسن المآل والمصير أمر جديد، والربط كذلك بين فساد النية وسوئها، وبين سوء المصير والمآل أمر جديد.

ج- تحديد الفكرة ووضوحها:

فكرة الحديث واضحة لا تشوبها شائبة، ومحددة المعالم لا يخالطها شيء، ولا تلتبس بشيء، ويجعل الدكتور محمد رجب البيومي صفة تحديد المعاني " من سمات المفكر المطمئن الذي يجيل النظر طويلا في الأشياء والخواطر، ليقرن النظير إلى النظير، ويجمع بين الأمور المتقاربة في أحكام تتشابه على قدر ما بينها من الاتفاق"[٤].

فالفكرة العامة في الإخلاص في النية والعمل، وهناك أفكار جزئيه أخرى، وهي

١- المرء يجازى بما ينوي.

٢- الهجرة الخالصة لله ورسوله جزؤها القرب من الله ورسوله.

٣- الهجرة إلى غير الله جزاؤها من جنسها، وتزيد صاحبها بعدا من الله.

وهذه جميعها أفكار واضحة ومحددة، وهي بسيطة لا تلتبس على أحد؛ لأن رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _ حدد الفكرة العامة والتفصيلية بدقة متناهية، فتنماز الفكرة عن الأخرى، ولكنها في الوقت نفسه تتحد مع غيرها وتتكامل، لترسم حدود الموضوع العام، والفكرة الرئيسية، بمنتهى الوضوح، ووحدة الموضوع.

د- تسلسل الأفكار:

بدأ الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بفكرة عامة "إخلاص النية"، وأتبعها بفكرة الجزاء على النية، منتقلا من العام إلى الخاص، ومن السبب إلى النتيجة، انتقالاً منطقياً، وانتقل من التنظير إلى التمثيل،

---

[١] - سورة الزمر: الآية (٣).

[٢] - سورة البينة: الآية (٥).

[٣] - سورة ص: الآيتان (٦,٥)

[٤] - البيان النبوي، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

أو إعطاء المثل في نهاية الحديث، كي تزداد الفكرة وضوحاً، وتقوى في ذهن الملتقّي وتثبت بصورة أكيدة، لاتتزعزع ولا تهتز؛ لأن النسق النبوي في اطراده المتسلسل، وتلاحقه المتتابع لا يحتاج إلى تعقيب، فهو من وضوحه الساطع بحيث تغمره أشعة الشمس بأمواج الضياء"[١].

وليس أدل على سمو أفكار الحديث، وقوتها، وسلامتها، وجدتها، وطرافتها، وتحديدها، ووضوحها، وتسلسلها _ليس أدل على ذلك من سيرورة هذا الحديث_ لاسيما مطلعه" إنما الإعمال بالنيات" وهذا يكشف من جهة أخرى عن حسن مطلع الحديث. أو براعة الاستهلال، وسلامة العرض، وحسن الختام، فلا اضطراب ولا تخلخل، بل إن النص مترابط في معانيه، ومتماسك في مبانيه، فيبدو الكلام آخذاً بعضه برقاب بعض، مرتباً ترتيباً رائقاً، ومنسقاً تنسيقاً فائقاً، فلا تستطيع التقديم أو التأخير، ولا التبديل أو التغيير.

ثانياً: في العبارة والتعبير:

يقول الدكتور محمد رجب البيومي واصفاً تعبير النبي _صلى الله عليه وسلم_ وعبارته: "كان بيان محمد _صلى الله عليه وسلم_ سهل المأخذ، قريب المتناول، موجز العبارة"[٢]، وإذا تذكرنا أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ داعية ومعلم، أدركنا مدى حاجة أسلوب مَن هذه مهمته إلى صفات الوضوح والسهولة والإيجاز، لاسيما أنه _صلى الله عليه وسلم_ يعلم أن من سمعه سيبلّغ عنه، وصدقت عائشة أم المؤمنين _رضي الله عنه_ حين قالت :"ما كان رسول الله يسرد كسردكم ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل، يحفظه من جلس إليه"[٣]، وفي رواية : "كان رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه"، وفيما يأتي إجمال لبعض سمات التعبير النبوي :

أ- **الألفاظ المنتقاة:**

وهذه صفة تجري على لسان رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ لما فطره الله عليه، وبحكم تكوينه ونشأته، ومن مظاهر الألفاظ المنتقاة في هذا الحديث:

١- كلمة "الأعمال" وتقابلها كلمة "النيات" حيث وردت كلتا الكلمتين بالجمع وبالتعريف الاستغراقي أو الجنسي أو العهدي، لإفادة العموم والشمول، لاسيما كلمة "الأعمال" حيث تستوعب الأعمال كلها من أفعال وأقوال وهم نفسي، كما أنها تشمل العبادات وغيرها، وهي كلمة سهلة ومأنوسة وواضحة.

٢- كلمة "امرئ": تشمل الذكر والأنثى، وقد أعطت دلالة عامة لاسيما باقتران لفظ "كل" بها، كما أنها توحي بالمروءة.

٣- كلمة "دنيا": فهي _على بساطتها_ جمعت مظاهر الدنيا وأشكالها المختلفة، وقد أفادها ذلك التنكير، مع ما فيها من دلالة على الدنو والدناءة، وقلة الشأن، وهذا مناسب تماماً للسياق.

٤- كلمة "يصيبها" دلت على معنى الكسب الحلال، وصواب السعي إليه، ومشروعيته.

---

[١]- البيومي ، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

[٢]- البيومي، مصدر سابق ، ص ٢٤٧.

[٣]- المصدر السابق، والصفحة نفسها.

٥- "امرأة" وقد ذكرت المرأة هنا لأهميتها من الدنيا، فهي خير متاعها، ولكونها خير ما يستفيد المؤمن بعد تقوى الله _عز وجل_ وهي النصف الثاني للرجل، وعليها تبنى الأسرة، وبهما تنهض، وما أيس الشيطان من ابن ادم من شيء إلا أتاه من قبل امرأة".

٦- "ينكحها": لا يكون النكاح إلا بدخول الرجل بالمرأة دخولا شرعياً، ومن هنا يتبين لنا أهمية الكلمة ومدى مناسبتها للكشف عن سلامة القصد من المرأة، ومع ذلك فإن الهجرة بنية النكاح، دون أن يكون ذلك لله، لا تكون معتبرة أو مقبولة، ومن باب أولى أن تكون الهجرة بنية كسب دنيوي آخر كذلك.

ب_ وضوح التراكيب وسلامة النظم:

وقد اتضح ذلك عند الحديث عن أنماط الجملة الاسمية، والأسلوب الخبري والتوكيد، وأسلوب القصر، والتقديم والتأخير، والشرط، والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمقابلة، كما بينا في المبحث الأول، حيث روعي في ذلك كله معاني النحو والبلاغة، والسلامة اللغوية، بيسر وبسهولة ووضوح، حتى يظن الناظر أو السامع للوهلة الأولى أنه يستطيع الإتيان بمثل ذلك، ولكنه يرتد كسيرا.

وليست السهولة رديفة السذاجة أو الابتذال، كما أن السهولة لا تمنع التعمق في الفكرة، وسداد الرأي والنظرة، بل إنها الرقة التي تتناسب والموضوع، وتتناسق في السياق، فما أعظم قول النبي _صلى الله عليه وسلم _ :" إنما الأعمال بالنيات"! وما أعظم قوله :" وإنما لكل امرئ ما نوى "! فألفاظ العبارتين ظروف شفافة، ناطقة بمعانيها بلا غموض أو غرابة، وصائبة مقاصدها بلا التباس أو حيرة، ولذلك ذهبت هاتان العبارتان مذهب الأمثال، وسارتا بين الناس سيرورة واسعة، ناهيك عما فيهما من كناية أو تعريض عند التمثل بهما في سياقات مماثلة[١].

ج_ العفوية والبعد عن التكلف:

لقد ذم رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ المتشدّفين والمتفيهقين، كما نفى الله عن نبيه _صلى الله عليه وسلم _ ذلك "وما أنا من المتكلفين"[٢]، لذلك كان حديث رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ ينساب انسياباً، يخرج من القلب، فيدخل الآذان بلا استئذان، ويستقر في القلب، وما ورد في حديثه_عليه الصلاة والسلام_ من ألوان البديع فإنما جاء عفو الخاطر، واقتضاه المقام.

ففي الحديث موضوع الدرس نجد المقابلة، مثلاً في نهايته بين نموذجين للمهاجرين: أحدهما لله ولرسوله، والثاني لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، ولما كان الحديث عن الأعمال وقبولها، أو احتسابها بالنيات، فقد اقتضى المقام المقابلة بين هذين النموذجين بعبارات سهلة واضحة، ونظم متين دون أن يحس المتلقي أي أثر للتكلف.

وهذا أمر بدهي لصاحب رسالة يحرص على إيصالها واضحة، وتأديتها كاملة، همه الصدق في القول، والإخلاص في العمل، وهو أمر مفهوم لنبي أعده الله واصطفاه لحمل أمانة ثقيلة، وتبليغ رسالة خطيرة،

---

[١]- تذكر بعض الروايات أن الرسول _صلى الله عليه وسلم_قال هذا الحديث جواب عن سؤال من سأل عن مهاجر أم قيس، ولم يثبت ذلك.

[٢]- سورة ص آية ٨٦.

وهو أمر طبيعي لامرئ نشأ هذه النشأة السليمة في قريش، وبني سعد، حيث اجتمعت الفطرة القويمة، والنشأة السليمة، والمهمة العظيمة في شخص النبي (صلى الله عليه وسلم).

٣_ حسن التقسيم وصحته:

من الأمور الخاصة بالعبارة والتعبير حسن التقسيم، ويعني ذكر متعدد وإضافة ما لكل إليه على التعيين[١]، وقد ورد منه في الحديث موضوع البحث قول النبي _صلى الله عليه وسلم_:"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" بعد قوله: " وإنما لكل امرئ ما نوى"[٢]، حيث قسم الهجرة والنية_ وهي متعدد_ إلى قسمين:

هجرة خالصة لله ورسوله، وهجرة لغرض دنيوي، وقد عبر عن ذلك بأسلوب يتسم بتوازن الجمل وتساويها، إضافة إلى ما فيها من المقابلة قد سبقت الإشارة إليها، وهذه الصفة في الكلام تدل على سلامة العقل، وصحة التفكير، ورجاحة الرأي، وذلك مما يزين اللفظ، ويقوي المعنى، ويثبته في الأذهان، ويركزه في العقول، وما يجعل التقسيم قبولاً مع حسنه وصحته، فالمهاجر لا يكون إلاّ أحد اثنين ذكرهما الرسول _عليه الصلاة والسلام – فإما إلى الله ورسوله وإما إلى الدنيا ومباهجها، ومن ثم يكون الجزاء قسمين كالعمل.

٤-الموسيقى وحسن الإيقاع :

قد يتوافر للنثر موسيقى وإيقاع كما في الشعر، وإن لم يكن في النثر وزن وقافية، ويتأتى ذلك من الموازنة بين الجمل، والمساواة بينها، بما تشتمل عليه من موسيقى داخلية وخارجية، ففي الحديث أربع جمل أساسية، كل اثنتين منها على نسق واحد، وبينهما موازنة، فالجملة الأولى "إنما الأعمال بالنيات " على نسق الثانية "وإنما لكل امرئ مانوى". والثالثة "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله" على نسق الرابعة "ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليها".

وذلك النسق يترك للمتلقي فرصة للتأمل، كما أن هذا التوازن والتقابل يسهل الحفظ على من أراد، ولا ننسى في خضم ذلك انسياب الألفاظ ورقتها، وسلاسة العبارات والتراكيب وسهولتها، وتآلف الحروف والأصوات، وحسن الازدواج بين الجمل، الأساسية منها والفرعية، وانظر كم يترك قوله: " لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها " من أثر في النفس؟

وقد تكرر في الحديث بعض المفردات من قبيل رد الأعجاز على الصدور، أي إعادة لفظة بعينها أو ببعض مشتقاتها في ثنايا الجملة أو في آخرها، وكانت قد ذكرت في بدايته، مثل "النيات" و"نوى"، و"هجرته" و"هاجر"، وفي ذلك توزيع لفظي وصوتي، وتناسق معنوي، يزيد المتلقي إمتاعاً.

ج- في الصورة والتصوير:

---

[١]- الحملاوي، الشيخ أحمد ، زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة السابعة (١٣٩١هـ، ١٩٧١م).

[٢]- يمكن عدّ هذا من قبيل التفصيل بعد الإجمال، فيدخل في أسلوب الإطناب.

يمتاز الأدب بجمال التعبير، إضافة إلى صدق العاطفة، فيكون أوقع في النفس، وأشد في التأثير، مما يأسر اللب، ويملك القلب، فلا يجيد المتلقي عن الإقتناع بفكرة المبدع، والانجذاب إليه، والميل معه.

ويقوم جمال التعبير أو التصوير في الكلام على ما فيه من خيال كلي وجزئي، ويقصد بالخيال الكلي تصوير الحالة أو الهيئة، ونقلها إلى المتلقي واضحة جلية، بعبارة متأنقة حسنة النظم، أما الخيال الجزئي فهو ما يشتمل عليه الكلام من تشبيهات واستعارات ومجازات مرسلة وعقلية وكنايات، ولا يقصد بالخيال هنا الوهم أو الكذب والاختلاق، بل القدرة على عرض الواقع بصورة مؤثرة، تبدو جديدة للمتلقي، وكأنه يراها أول مرة، وقد يخلو الكلام من الصور الجزئية، ولكنه لا يعدم الخيال الكلي أو الصور الكلية، بحسن التنظيم والترتيب، وجودة العرض.

وقد توافر لحديث الإخلاص القدر المناسب من الخيال الكلي لخدمة الفكرة، وإيضاح المعنى، وتوصيله بدقة، فهاهي النية، وهي أمر خفي تنعكس على العمل، صحة وكمالاً، ورفضاً وقبولاً، وثوابا وعقاباً، وهاهو ما نواه كل شخص يتمثل عاقبة له ماثلة بين يديه، وها هو المهاجر في سبيل الله ولنيل رضاه ينتهي به المطاف إلى الحضرة الإلهية، والصحبة النبوية، فينجح مسعاه، ويرتقي سلم المجد، ويتسلم من النجاح ذراه، فتراه يحلق في آفاق الرضا الإلهي، ويتقلب في النعيم الرباني، مع الأنبياء والصديقين.

وعلى الجانب الآخر نجد صورة ذلك المهاجر للدنيا بمفاتنها، يغرق في أوحالها، ويعلق في حبالها، فلا يستطيع الارتقاء، بل كلما نهض خبا، وحيثما سار كبا، فيهوي في مهاوي الردى، ويسقط عائداً لما بدا، فلا ترى له قامة، ولا ترتفع له هامة.

وشتان بين هاتين الصورتين المتقابلتين، فمن يعدل لله ورسوله بدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها إلا من سفه نفسه ؟!

ولانعدم في الحديث بعض الخيال الجزئي الذي تمثل في بعض الصور البيانية، كالمجاز المرسل الذي علاقته السببية في لفظ "ما نوى"، حيث ذكر الشيء الذي نواه المرء، وأراد نتيجته أو عاقبته، فذكر السبب وأريد المسبب، وكالمجاز المرسل الذي علاقته الكلية في لفظ "دنيا" حيث ذكرت الدنيا، وأريد بعضها، كما دل عليه لفظ امرأة بعد ذلك، فذكر الكل وأريد الجزء، ويمكن توجيه لفظ "دنيا" هنا كذلك على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبهت الدنيا بغرض مادي يمكن تحصيله أو كسبه، فحُذِف المشبه به وذُكِر شيء من لوازمه" يصيبها" على سبيل الاستعارة المكنية، ولا ننسى ما في التعبير بـ"إنما" من معنى التعريض كما أشرنا سابقاً.

ويتمم ما ذكر من سمات فنية للحديث عاطفة صادقة، لا تشوبها شائبة، ومشاعر إنسانية نبيلة، تتمثل في الحرص الشديد على سعادة الإنسان في الدارين، وإحساس عميق بالمسؤولية الملقاة على عاتق النبي _صلى الله عليه وسلم_ في الدعوة إلى الخير، والترغيب فيه، والتحريض عليه، والتنفير من الشر، والترهيب من عواقبه، والتحذير من الوقوع فيه. وهكذا تتضافر هذه الظواهر الفنية في مجالات الفكرة والعبارة والصورة والعاطفة، لإنتاج هذا النص الممتع المقنع.

***ما يرشد إليه الحديث:[1]**

في الحديث مجموعة من القيم التي يمكن إبرازها كما يأتي :

١- النية سبب صلاح العمل أو إفسادة، فلتكن نية المرء صالحة، ليكون عمله صالحاً.

٢- الإخلاص في النيّة كله - تعالى – أمر واجب في أعمال العبد كلها.

٣- النيّة وسيلة للتفريق بين العادة والعبادة، وبها يصبح كل عمل عبادة.

٤- نية المؤمن خير من عملة، لذا فإن المرء يؤجر حسب نيته، فنيه بلاعمل خير من عمل يلاقيه.

٥- ضرورة مراقبة الإنسان نفسه في كل عمل يعمله وأثناءه، للتأكد من الإخلاص فيه.

٦- التحذير فتنة الدنيا بعامة والمرأة بخاصة.

٧- الحرص على تطبيق الشريعة وحفظ الدين ونشره، ولو اقتضى ذلك الهجرة إلى مكان آخر.

٨- إعراض القلوب عن الدنيا ومفاتنها، مع الحرص على العمل الحلال والكسب المشروع.

٩- الإخلاص أحد جناحي العمل المقبول، وموافقته للشر

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة مع حديث الإخلاص والنية، للوقوف على أهم الأنماط والأساليب البيانية المتبعة فيه، وعلى أهم السمات والخصائص الفنية، لتلك الأنماط والأساليب، توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي قد لا تكون جديدة، ولكنها تنضم إلى جهود سابقة، وتستنهض همم الباحثين لإجراء مزيد من الدراسات المماثلة، وتطوير أدوات هذه الدراسة وتحسينها خدمة لكتاب الله، وحديث نبيه، واللسان العربي.

وكما بدأت أختم، فآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين في ذكرى مولده الكريم[2]، وفي كل وقت وحين.

النتائج والتوصيات :

أولاً: النتائج

١. استحقّ حديث الإخلاص هذه المنزلة الرفيعة والمنزلة العالية، والقيمة السنيّة، بنظمه وبيانه، وشكله ومضمونه، ولفظه ومعناه، وبما اشتمل عليه من فرائد معنوية وفوائد لغوية.

٢. الحديث -على وجازته -مكتنز بالأفكار السامية، والمعاني النبيلة، والقيم العالية المربّبة.

٣. اشتمل الحديث على مجموعة من الأساليب البيانية الراقية التي جاءت مناسبة للمعاني والافكار، ومتناسقة فيما بينها.

٤. الحديث سديد المعنى، محكم المبنى، مع سهولة في العبارة، وبساطة في الصورة، وواقعية في النظرة، ونقاوة في العاطفة.

٥. الحديث من جوامع الكلم.

---

[1] - ينظر كتاب " البيان في شرح الأربعين النووية" – لخالد البيطار، الطبعة الأولى " ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م " مكتبة المنار / الزرقاء / الأردن . وكتاب " شرح الأربعين النووية " لأبي صفية ، مرجع سابق ،ص ٢٠-٢١ .

[2] وافق الفراغ من البحث حلول ذكرى المولد النبوي(١٢ ربيع الأول ١٤٣٣هـ) صلى الله عليه وسلم.

٦. أسلوب الحديث سهل ممتنع.
٧. أفاد الحديث من القرآن الكريم في المعنى والمبنى، ولاغرو في ذلك فالقرآن هو الأستاذ الأول للنبي (صلى الله عليه وسلم).

ثانياً: التوصيات

يوصى الباحث بما يأتي خدمة للغة العربية، والحديث النبوي، والقرآن الكريم:

١. إجراء مزيد من البحوث والدراسات المتخصصة حول لغة الحديث النبوي.
٢. ربط الدراسات اللغوية بالحديث النبوي الشريف والقرآن الكريم.
٣. توظيف المعارف اللغوية في فهم الأحاديث النبوية وتوجيه معانيها.
٤. إدخال مادة " البيان النبوي" في الخطط الدراسية لأقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات العربية والإسلامية.
٥. مبادرة إحدى الجامعات الإسلامية والمؤسسات الأكاديمية والعلمية الأخرى إلى إصدار دورية علمية محكمة متخصصة في " البيان النبوي".
٦. الإفادة من وسائل الاتصال والتواصل الحديثة في نشر المزيد من أساليب البيان النبوي.
٧. إنشاء موقع إلكتروني باسم "البيان النبوي"، تتبناه إحدى الجامعات أو الهيئات الإسلامية ذات العلاقة، وتشرف عليه هيئة متخصصة.
٨. الاستشهاد بالحديث النبوي الصحيح في اللغة وآدابها، وإفساح المجال للبيان النبوي، في الكتب والمناهج المدرسية، وكذا في المقررات الدراسية، بدور العلم ومؤسسات التعليم في العالم الإسلامي.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب السنة :

أ- صحيح البخاري
ب- صحيح المسلم
ت- مسند الإمام أحمد
ث- سنن أبي داود
ج- مسند ابن ماجه
ح- سنن النسائي

ثالثاً: مصادر ومراجع أخرى :

١- البيطار، خالد – البيان في شرح الأربعين النووية، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن.
٢- البيومي، محمد رجب – البيان النبوي، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.

٣- الجرجاني، الشيخ عبد القاهر- دلائل الإعجاز، الطبعة الخامسة (١٣٧٢هـ) دار المنار، مصر.
٤- الحملاوي، الشيخ أحمد- زهر الربيع في البيان والمعاني والبديع، الطبعة السابقة (١٣٩١هـ=١٩٧١م) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٥- الرافعي، مصطفى صادق- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- الطبعة الثانية، مطبعة الاشتقاق بالقاهرة(١٩٦٥م).
٦- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر- مفتاح العلوم (ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
٧- أبو صفيه، عبد الوهاب رشيد صالح، شرح الأربعين النووية في ثوب جديد، الطبعة الثالثة(١٩٩٥م= ١٤١٦هـ)، دار البشير – عمان.
٨- صنوبر، إبراهيم محمود- من أحاديث رسول الله(جمع وتحقيق)، من منشورات قسم المطبوعات التربوية، وزراة التربية والتعليم (١٩٦٧م=١٣٨٧هـ)، مطبعة الجيش العربي، الأردن.
٩- عز الدين، كمال – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، دار اقرأ، بيروت، لبنان.
١٠-فنسنك، ازي – مفتاح كنوز السنّة (ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي)، مطبعة معارف لاهو، (١٣٩٧هـ=١٩٧٧).
١١- القضاه، شرف – الحديث النبوي لطلبة كليات المجتمع، مطابع الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، عمان (١٤١٠هـ=١٩٨٩م).
١٢-المنذري، الحافظ – الترغيب والترهيب.
١٣-ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل عمر بن مكرم-لسان العرب، طبعة جديدة محققة ومشكولة، دار المعارف – مصر.
١٤-النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف – رياض الصالحين،دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).

رابعاً: مواقع إلكترونية

أ- على قوقل:
١- منتديات عربكو التكنولوجي.
٢- منتديات مشكاه.
ب- على الياهو:
١- مقالات إسلام ويب.
٢- المنتدى الإسلام في العام.
٣- منتدى سفينة النصح.
٤- منتديات الدكتور طارق السويدان.

٣٢. الألفاظ الدالة على الرحمة في الحديث النبوي: دراسة دلالية سياقية

الدكتور كمال أحمد المقابلة

(أستاذ مساعد، جامعة آل البيت/ مركز اللغات)

الملخص:

جاء الرسولُ صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمين، وقد بدت مظاهرُ رحمتِه عليه الصلاة والسلام في أقواله وفي أفعاله، وتذهب الدراسةُ إلى تحسُّسِ مواطنِ الانسجامِ والتطابقِ بين أقوالِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم وبين أفعالِه من خلالِ دراسةٍ دلاليةٍ سياقيةٍ استعمل فيها عليه السلام الألفاظَ الدالّةَ على الرَّحمة، حيث استعمل لفظَ الرَّحمةِ في سياقٍ، واستعمل لفظَ الرَّأفةِ في سياقٍ آخر، واستعمل لفظَ الشَّفقةِ في سياقٍ ثالثٍ، لذا جاءت الدّراسة في ثلاثة مباحث تبين دلالات ألفاظ الرّحمة في سياقاتها المختلفة، وخلُصت الدراسةُ إلى جملةٍ من النتائجِ أهمُها: وجود علاقة دلالية بين الألفاظ الدّالّة على الرَّحمة وبين السِّياقِ الذي قيلت فيه.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد؛

فإن من رحمة الله تعالى بخلقه أن أرسل إليهم نبيا يتصف بالرحمة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]. فالرسول ﷺ جاء رحمة للإنس والجن، رحمة للأعداء والأصحاب، رحمة للكافر والمسلم، للكبير والصغير... وهو الذي علم الناس دروس الأخلاق الفاضلة، وأكسبهم الصفات المحمودة، لينقلهم من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام.

ومظاهر رحمته ﷺ في حياته كثيرة، إن على مستوى السلوك والأفعال، وإن على مستوى الألفاظ والأقوال.

ولما كانت مظاهر رحمته ﷺ معلومة في فعله وفي سلوكه، وظهرت جلية في سيرته العطرة، ارتأى الباحث أن يدرس مظاهر الرحمة النبوية في قوله ﷺ، في محاولة لبيان جوانب التطابق والانسجام بين ما فعله ﷺ وبين ما قاله في مجال الرحمة. حيث اتبع الباحث منهج الاستقراء والوصف والتحليل والمقارنة وصولا إلى النتائج.

وقد قصرت بحثي على ألفاظ ثلاثة من الألفاظ الدالة على الرحمة في الحديث النبوي متتبعا الصحيح منه مع تخريج الأحاديث وتوثيقها، لذا وقع البحث في مقدّمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ مباحثٍ، وخاتمةٍ، سيعرض التّمهيدُ لخصائص البيان النبوي، وجاء المبحث الأوّل بعنوان: الرحمة، ويشتمل على ثلاثة مطالب. أما المبحث الثّاني فجاء بعنوان: الرَّأفة، ويشتمل على ثلاثة مطالب، ويتناول المبحث الثّالث لفظ الشّفقة، ويشتمل على ثلاثة مطالب، أما الخاتمة فسأجمل فيها أهم النتائج التي ستتوصل إليها الدّراسة. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

تمهيد: خصائص البيان النبوي:

يُمثِّلُ الحديثُ النبويُّ المصدرَ الثاني للتشريع الإسلاميّ بعد القرآن الكريم، ولما كان القرآنُ

الكريمُ أكثرَ النّصوصِ العربية فصاحةً وبياناً؛ فما من شكٍّ أن الحديثَ النبويَّ يقع في المَرتبةِ الثانيةِ بعد القرآن في الفصاحة والبيان. فالرَّسولُ ﷺ أفصحُ العرب كما أخبر عن نفسه عليه السلام. ونحن في هذه الدراسة لسنا بصدد إثباتِ فصاحةِ النبي عليه الصلاة والسلام، فهذا أمر لا يختلف فيه اثنان، لكنَّ البحثَ يهدفُ إلى عرضِ جملةٍ من خصائصِ البيان النبويِّ لتعلُّقها بمضمون الدِّراسةِ، التي تسعى لإبرازِ القيمةِ الدّلالية للحديثِ النّبوي بصورةٍ عامّة، وبخاصّة في مجال استعمالِ الألفاظِ الدّالةِ على الرحمةِ ومناسبتها للسّياق الذي قِيلت فيه.

وقد ذكر علماء اللغة والبلاغة خصائص البيان النبوي وفصّلوا القول فيها، رأيت أن أنقل نصَّين لعالِمَين متخصصين، أحدهما من المتقدمين، وثانيهما من المتأخرين: أما الأول فهو الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، حيث قال: "**ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى، من كلامه ﷺ**"[(١)].

فانظر إلى تدقيقه في الوصف، فالمنفعةُ في كلام الرسول ﷺ عامَّةٌ، واللَّفظُ مُقتَصَدٌ لا إطالة فيه ولا فضول، ووزن كلامه ﷺ معتدل، ومذهبه جميل، ومطلبه كريم، ووقعه عند المتلقي حسن لا نفور فيه، ومخرجه سهل، ومعناه فصيح، أي دالّ وبيّن، واضح لا غموض فيه، ومجمل حديثه ﷺ واضح، ومغزاه مفهوم لا رمز فيه.

أما النصُّ الثاني فهو لمصطفى صادق الرَّافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، حيث يقول: "**إنك إذا نظرت إلى الكلام النبوي من جهة الصناعة اللغوية رأيته: مُسَدَّدَ اللفظِ مُحكَمَ الوضعِ جَزْلَ التَّركيبِ، مُتناسِبَ الأجزاءِ في تأليفِ الكلماتِ، فَخْمَ الجملةِ، واضحَ الصِّلةِ بَيِّنَ اللَّفظِ ومعناه واللَّفظُ وضريبُة في التَّأليفِ والنَّسَقِ، ثم لا ترى فيه حرفاً مُضطَرِباً، ولا لفظةً مُستدْعَاةً لمعناها أو مُستكْرَهةً عليه، ولا كلمةً غيرُها أتمُّ منها أداءً للمعنى وتأتيّاً لسرِّه في الاستعمالِ**"[(٢)].

ولم يبتعد الرَّافعي كثيرا عما أورده الجاحظ، فهو متفق معه في سلامة اللفظ وقوة العبارة وفصاحة المعنى، وتناسب الكلمات، وحسن وقع ذلك كله في نفس المتلقي. وهذا ما لاحظته الدراسة علي العينة المدروسة من أحاديث الرسول ﷺ فيما يتعلّق بالألفاظ الدَّالَّة على الرحمة.

<u>المبحث الأولً: الرحمة:</u> وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: دلالة الرّحمة:

- **لغةً:** مشتقة من الفعل (رَحِمَ)، قال ابن فارس: "الرّاءُ والحاءُ والميمُ أصلٌ واحدٌ يدلّ على الرّقّة والعطف والرّأفة، يُقال: رحمه يرحمه إذا رقَّ لهُ وتعطّف عليه"[(٣)].وجاء في لسان العرب: "الرّحمة: الرّقّة والتّعطف. والرّحمة: المغفرة"[(٤)].

---

(١) البيان والتبيين: ٢/١٧-١٨، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر. بدون تاريخ.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٤٤-٣٤٥. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ٢٠٠٠م.

(٣) ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (رَحِمَ) : ٢/٨٤٩.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة (رَحِمَ).

وقال ابن دريد: "رَحِمته رَحْمة ٍ ورُحْمة ٍ ورُحما ٍ ومَرْحمةً: كلّها بمعنىً واحد"[١].

- **اصطلاحاً:** رقَّةٌ وحنوّ يجده الإنسان في نفسه عند رؤية مبتلىً، أو صغير، أو ضعيف يحمله على الإحسان له، واللطف والرّفق به والسّعي في كشف ما به"[٢].

فالرحمة قدرة متعلّقة بإيصال الخير للآخر، والآخر قد يكون صغيراً أو ضَعيفاً أو مبتلىً.

وقد ذكر صاحبُ اللّسان بأنّ الرّحمة تكون من القوي إلى الضّعيف بالتعطّف عليه[٣]، لقوله تعالى:﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[البلد: ١٧].

والرّحمة تقتضي الإحسانَ إلى المرحوم، وتُستعمل تارةً في الرّقّة المجرّدة، وتارةً في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، وذلك مع الباري[٤].

فالرّحمة إذاً اسمٌ جامعٌ يشمل العطف والنعمة والإحسان.

المطلب الثّاني: القيمة الدّلالية لمصطلح الرحمة:

إذا أنعمنا النظر فيما تقدّم من تعريف للرّحمة نجدُ أنّها عاطفة مُشرقة، وفضيلةٌ محمودة، وخليقة جامعةٌ لأوصافٍ عديدة كالرأفة والرّقّة، والحنان والمودّة، والرّفق والشفقة. وجميعها أخلاقٌ دعا الإسلام إلى التَحلي بها.

ومع أنّ الرّحمة تمتاز عن مترادفاتها بعموم الدّلالة إلا أنّها اكتسبت ميزاتٍ أخرى، فهي موجّهة من القويّ إلى الضعيف، وتتّصل بالرِّزقِ وتقتضي الإحسانَ إلى المرحوم[٥] وتتَّصفُ بالاستمرارِ والتَّجدُّدِ وعدمِ الانقطاعِ[٦]، والرّحمةُ فيها سَعَة كما قال ابن جنيّ[٧]. فلا بُدّ للراحم أن يكون رقيق القلب[٨][١٠]، والرّحمة تتنافى مع القسوة، فقد يُنعَت قاسي القلب بالشفيق أو الرّقيق في ظرفٍ ما، ولكن لا يُمكن أن يُنعَتَ بالرّحيم.

وذكر العسقلاني: "أنّ الرّحمة بين الناس تكون بسبب أخوّة الإيمان لا بسبب شيءٍ آخر"[٩]، وقال في معرض تعليقه على حديث "الرحمة مائة جزء": الرّحمة رحمتان: رحمة من صفة الذات، وهي لا تتعدّد، ورحمة من صفة الفعل، وهي التي تتعدّد"[١٠].

ونجدُ ذلك في قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) ابن دريد: الجمهرة، ٢/ ١٤٤، مكتبة الثّقافة الدينية، شارع بور سعيد.

(٢) المناوي: فيض القدير: ٦/ ٤٢٢، ويُنظر: فرح آل طه: الرفق بالحيوان في الإسلام ص٣٥، دار وائل، ط١، عمان/ ٢٠٠٣ م.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة (رَحِمَ).

(٤) الرّاغب الأصفهاني: المفردات...، ويُنظر: عبد الحميد السيّد: الأفعال في القرآن الكريم ص٥٦٠، دار الحامد، ط١، عمان، ٢٠٠٧م.

(٥) يُنظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة (رَحِمَ).

(٦) الزمخشريّ: الكشاف: ١/١٦-١٧: تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ط٣، ٢٠٠٣ م. ويُنظر: أيّوب الكفوي: الكليّات: تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري: ٢/٣٧٠ وزارة الثقافة دمشق/ ط٢/ ١٩٨٢م.

(٧) يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (رَحِمَ).

(٨) يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (رَحِمَ).

(٩) يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (رَحِمَ).

(١٠) أبو حيّان الأندلسي: البحر المحيط.

المطلب الثّالث: الدّلالة السّياقية للفظِ الرحمةِ في الحديثِ النّبويّ:

للرّحمة مجالات عِدّة في حياة الإنسان، فتكون من الله لعبادِه، أو بين عباده بعضهم يرحم بعضاً.

قال ابن منظور: "الرّحمة في بني آدم رّقة القلب وعطفه، ورحمة الله عطفه وإحسانه ورزقه"[(١)].

وتكون الرّحمة من الله لعباده في إرادة الخير لهم، ومنحهم الثواب على صالح الأعمال والعفو عن الزلة، وكشف الكرب، وقضاء الحاجة والنجاة من العذاب[(٢)].

وتكون الرّحمة أيضاً بين الخلق؛ فتكون من الآباء بالأبناء، وأثرها التقبيل والمعانقة، كما صنع الرسول ﷺ بالحسن عندما أنكر عليه الأقرع بن حابس، وقال له: "إنّ لي عشرة من الأبناء ما قبّلتُ واحداً منهم". فردّ عليه ﷺ بقوله: "من لا يَرحم لا يُرحَم"[(٣)].

ورحمة الوالد للولد هي شفقته وتعطّفه عليه وجلب المنفعة إليه ودفع المضّرة عنه.

والرّحمة تكون بالأبناء بالتأديب والتربية وإجابة الرّغائب- ما دامت في سبيل المصلحة.

وتكون بالآباء والأمهات وأثرها القول الكريم، وصنع الجميل، وطاعة في غير معصية، وخدمة صادقة: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[الإسراء: ٢٤].

وتكون بالأقرباء، وأثرها برّ وصلة وزيارة ومودّة، وسعي في مصلحة ودفع لمضرّة[(٤)].

والرحمة تكون بين الزوج وزوجته، وأثرها عشرة بالمعروف وإخلاص متبادل.

وتكون بأهل دينك ترشدهم إلى الخير، وتُعلّمهم ما تعلمت، وتأخذ بهم عن اللمم، وتعمل لعزّهم ودفع المذلّة عنهم.

وتكون بالناس جميعاً، فتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لها.

وتكون بالحيوان فتقدم له أكله وشربه وتداوي جرحه ولا تكلّفه عسيراً ولا تحملّه ثقيلاً[(٥)].[(٦)].

فإن كانت الرّحمة خليقتك رحمك الناس ورحمك الرحمن الرحيم "فارحم ترحم، وكن للناس يكونوا لك، وتخلّق بخلق الله يرفع شأنك، والله لا يضيع أجر المحسنين"[(٧)].

الرّحمن والرّحيم:

ذكر أهل اللغة والتفسير بأنّ (الرّحمن) يدّل على رحمة كثيرة لكنها منقطعة، أمّا (الرحيم) فتدّلُ على رحمة كثيرة متّصلة؛ ذلك أن (رحمان) على زنة فعلان، وهي للصّفات المكتسبة مثل عطشان، غضبان، سكران.

أمّا (رحيم) فعلى زنة (فعيل) التي تستعمل للصفات الغريزيّة مثل: كريم، شريف، عزيز[(١)].

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري،كتاب الأدب/ باب الرّحمة: ١/٤٤٠.

(٢) محمد الخولي: الأدب النبوي: ص١٦٨.

(٣) محمد الخولي: الأدب النبوي: ص١٦٨.

(٤) محمد الخولي: الأدب النبوي: ص١٦٩.

(٥) أيوب الكفوي: الكليّات: ص٣٧١ + ص٣٧٢، سابق.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، مادة (رَحِمَ).

(٧) ابن دريد: جمهرة اللغة، ٢/١٤٤، سابق.

(١) أيوب الكفوي: الكليّات: ص٣٧١ + ص٣٧٢، سابق.

من هنا اتّصف الله بأنّه رحمنٌ رحيم فرحمته منقطعة عن الفاسقين ومتّصلة بالمؤمنين، وقال بعضهم: "الرّحمن خاصٌ بالله والرّحيم لله ولعباده"[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾[الإسراء: ١١٠].

وقال آخرون: "الرّحمن للرفق، والرّحيم للعطف على خلقه بالرّزق"[2].

وقال فريق: "الرّحمن عامٌ بجميع خلقه يرحمهم بالرّزق والمعاش والحياة، أمّا (الرّحيم) فهو رفيقٌ بالمؤمنين خاصّة يستر عليهم ذنوبهم في العاجل، ويرحمهم في الآجل"[3].

واستناداً إلى ما تقدّم فإن (الرحيم) أبلغ من (الرّحمن) وأمدح منها؛ لأن الصفات الغريزية أقوى في الدلالة من الصفات المكتسبة.

أمّا في الحديث النبوي:

فقد ورد لفظ (رَحِمَ) ومشتقاته في مواضع عديدة، مما يؤكّد ملازمة هذه الصفة الحميدة لشخص الرسول ﷺ ولدعوته، فرحمته ﷺ نالها أعداؤه قَبْلَ أصحابه، وأحسّ بها الحيوان قبل الإنسان، وهذا ليس بغريبٍ على نبيّ خاطبه الباري عزّ وجلّ في كتابه الحكيم بقوله:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

فكانت حياته ﷺ رحمةً، ومماته رحمةً لقوله ﷺ: "حياتي خيرٌ لكم، وموتي خيرٌ لكم"[4].

كما قال عن نفسه ﷺ: "أنا رسول الرّحمة".

وهو رحيم ﷺ بالبشريّة قاطبةً: بالإنس والجنّ، بالمؤمن والكافر "طالت رحمته المؤمن بهدايته، وطالت رحمته المنافق بأمانه من القتل، وطالت رحمته الكافر بتأخير عذابه...وشملت رحمته الناس في الابتداء والانتهاء، في الدنيا والعقبى"[5].

وبعد استقراء الأحاديث النبوية التي شملت على لفظ (رحم) ومشتقاتها، لاحظت الدراسة أنّ لفظ الرّحمة في الحديث النبويّ يدلّ على أحد ثلاثة أشياء:

- الرّحمة على عمومها، في دلالاتها ومجالاتها، وفق ما وُضِعَت له في أصل اللغة.
- والرّحمة في مجال الرزق وما يتعلّق به.
- والرحمة بالصغير والضعيف.

وتفصيل ذلك في البنود الآتية:

البند الأول: دلالة لفظ الرّحمة على العموم والسّعَة:

أشارت الدّراسة في مقدّمتها إلى أنّ لفظ (الرّحمة) يمتاز عن مترادفاته بالعموم والشمول

---

(١) رواه البزّار بإسناد صحيح والحارث بن أبي أسامة في مسنده، ويُنظر: وهبة الزحيلي: شمائل المصطفى.

(٢) وهبة الزحيلي: شمائل المصطفى: ص٢١، دار الفكر، دمشق، ص١٩، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٦.

(٣) رواه أبو هريرة، وذكره مسلم في صحيحه، رقم: (٢٥٩٩).

(٤) رواه أبو سعيد الخدري، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (١٨٤).

(٥) رواه جرير بن عبد الله، وأخرجه الترمذي في سننه، رقم: (١٩٢٢) ، وقال حسن صحيح.

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل- باب رحمة الصبيان، ١٨٠٩/٤، حديث رقم (٢٣١٩).

والسّعَة والاستمراريّة.

ومن الأحاديث التي اشتملت على لفظ الرّحمة بدلالته على العموم والسّعَة قوله ﷺ: "قيل يا رسول الله! ادعُ على المشركين. قال: إنّي لم أ بعث لعَّاناً وإنما بُعثتُ رحمة"[١].

فكلمة رحمة في الحديث تدلّ على عموم الرّحمة وشمولها فهي تطال المشركين، حيث حرص الرسول ﷺ على أن لا يدعو عليهم بالشّر لاشتمالهم برحمة النبي محمد ﷺ.

ومنها قوله ﷺ: "يُدْخِلُ اللهُ أهلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ. يدخل من يشاء برحمته. ويدخل أهل النّار النّار"[٢]. فاستعمال الرسول ﷺ الاسم الموصول (مَن) مع الرّحمة يؤكد دلالة العموم لكلمة (الرّحمة).

ومنها قوله ﷺ: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله"[٣]. فواضح أن الرّحمة هنا موّجهة لجميع النّاس.

ومن مؤشرات العموم في الحديث النبوي، قوله ﷺ: (مَن) الاسم الموصول يدلّ على العموم وكذلك كلمة (النّاس) التي تدلّ على عموم النّاس.

وقد ذكر العسقلاني أنّ "الرّحمة بين الناس بسبب أخوّة الإيمان لا بسبب شيء آخر"[٤]، ويؤكد هذا قوله ﷺ: "يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته. ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه"[٥].

ومما يؤكّدُ دلالة العُمومِ في استعمال الرسول للفظ الرّحمة قوله ﷺ للأقرع بن حابس الذي أنكر على الرسول تقبيل الحسن بن عليّ، فقال له ﷺ: "مَن لا يَرحم لا يُرحم"[٦]. فواضح أن الرحمة هنا تحمل دلالة العموم بقرينة الاسم الموصول (مَنْ) ومن ثم الفعل المبني للمعلوم الذي لم يُذكر مفعوله، وبعد الفعل المبني للمجهول الذي لم يُسمَّ مفعوله أيضاً.

ومنها أيضاً قوله ﷺ: "إنّ لله مائة رحمة. أنزل منها رحمةً واحدة بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامّ، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون"[٧]. فالرّحمة غريزة فطرية أودعها الله قلوب النّاس حتى الجنّ والبهائم، ليتراحموا فيما بينهم. والمقصود بالرحمة الواحدة المذكورة في الحديث الشريف هذه الغريزية بمعنى جنس الرّحمة أو نوعها، وهذا لا يدلّ على التقليل، وإن كانت رحمة الله هي الأوسع والأعظم.

وقد ذكر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث "أنّ الرحمة رحمتان: رحمة من صفة الذات وهي التي لا تتعدد، ورحمة من صفة الفعل وهي التي تتعدّد"[١].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب: ٤٥٢/١٠-٤٥٥,٢٧

(٢) رواه أبو سعيد الخدري، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (١٨٤).

(٣) رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٥٩٩٧).

(٤) رواه أبو هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٧٥٢) ، كما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٦٩).

(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب: ٤٥٢/١٠-٤٥٥.

(٦) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ٧٠/١، تحقيق: محمد جبل وطارق محمد، دار الصحابة للتراث، طنطا/ ط١/ ١٩٩٥م.

(٧) رواه أبو مالك الأشجعي، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٦٩٧).

(١) رواه أبو مالك الأشجعي، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٦٩٧).

ومثل ذلك قال القرطبيّ، وزاد بأنّ رحمة الله يمكن أن تكون ذاتيّة ويمكن أن تكون فعليّة"[1]، فالذاتيّة ما اتّصف به من رحمة والفعليّة ما طالب عباده وخلقه.

ومن خلال ما تقدّم يتبيّن لنا أنّ الرحمة صفة جامعة تدلّ على العموم في مجالاتها والشمول بجميع المخلوقات من إنس وجنّ وحيوان، كما أنّها تشتمل على مرادفاتها من بابها كالرّأفة والشفقة والحنان والعطف...

وفي جميع أحوالها فإنها تقتضي تحقيق المصلحة للمرحوم وترجو زيادة الخير له. ولا شكّ أنّها تهدف إلى التّوسع في تحقيق المصلحة واستمرار الخير وديمومته على المرحوم.

البند الثاني: دلالة الرّحمة على الرّزق:

وردت لفظة (رَحِمَ) ومشتقاتها في الحديث النبويّ بمعنى الرّزق وما يتّصل به من أسباب المعاش، أو مقترنة بالرّزق وما يدلّ عليه. وبما أن الإنسان المسلم يُرزق في الدنيا كغيره من خلق الله في حياته ومعاشه، وبما أنّ من يدخل الجنّة مِن خلق الله سيرزق فيها أيضاً؛ فإنّ الحديث عبّر عن هاتين الحالتين:

الرّزق في الدنيا والرزق في الآخرة. وبما أنّ (الرّحمة) تدلّ على الرّزق في جانب من استعمالاتها في الحديث النبويّ، ارتأت الدراسة تقسيم هذا المطلب إلى قسمين:

الأول: دلالة الرّحمة على الرّزق في الدّنيا:

وقد ورد ذلك في أحاديث عدّة أهمها قوله ﷺ للرجل الذي قال له: يا رسول الله! كيف أقول حين أسأل ربّي؟ قال: "قل اللهم اغفر لي وارحمني، وعافني وارزقني"[2].

فمعلومٌ في العربيّة أنّ من معاني (سأل): طلب مالاً أو طعاماً. وجاء البيان النبويّ في إجابة الصحابيّ بأن قرن عليه الصلاة والسلام بين الرّحمة والرّزق دلالةً على أنّ الله سبحانه إنما يرحم عباده برزقه إيّاهم.

وكان من عادة الرسول ﷺ عندما يُعلّم أصحابه الدّعاء أن يقرن بين الرّحمة والرّزق، ومن ذلك قوله في تعليم من أسلم: "اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني"[3]. ومن باب الجمع بين الرّحمة والرّزق حديث الرّجل الذي جاء إلى رسول الله يسأله طعاماً، فأرسل ﷺ إلى نسائه فلم يجد عندهنّ شيئاً فقال ﷺ: "ألا رجلٌ يُضيّفه هذه الليلة، يرحمه الله"[4]. فقام رجلٌ من الأنصار فقدّم له قوت عياله، وهو الذي نزل بحقّه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩].

ولكن انظر إلى البيان النبوي كيف استعمل (الرّحمة) بقوله: (يرحمه الله) في مقابل الطعام والرّزق (يضيّفه). وكأنّه ﷺ يدعو لمن يُكرم هذا الرّجل بالرّزق.

وقد استعمل الحديث النبوي (الرّحمة) مقترنة مع الصدقة، والصدقة باب من أبواب الرّزق،

---

(١) رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٤٨٩٩).

(٢) رواه أبو هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (١٠١٤).

(٣) الراوي علقمة البلوي، ذكره البخاري في التاريخ الكبير: ٤٠/٧.

(٤) رواه عبد الله بن مسعود، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٤٣٣٦).

من ذلك قوله ﷺ: "ما تصدّق أحدٌ بصدقة من طيب... إلا أخذها الرّحمن بيمينه، وإن كانت ثمرة، فتربو في كفّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل"[1]. فانظر إلى حرص الرسول ﷺ على استعمال اسم (الرّحمن) لله دون غيره؛ ذلك أنّ سياق الحديث يتعلّق بالصدقة، والصدقة رزق، بل الصدقة باب من أبواب البركة والنّماء في الرّزق.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: "رحم الله عَمْراً" فقال الرّاوي: من عمرو يا رسول الله، قال: عمرو بن العاص، قالوا: ما باله؟ قال ذكرته، كنت إذا نَدَبْتُ النّاسَ للصَّدقةِ جاء من الصّدقةِ بأكثر مما أقول"[2]. حيث دعا له بالرّحمة دون غيرها؛ أي بالرّزق لأنّه قام بعملٍ من مُتعلقاته وهو الصّدقة، وحديث الرسول ﷺ: "ما نقص مالٌ من صدقة" معروف. ومنه قوله ﷺ بعد قسمة حُنين: "رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"[3]، وجاء الحديث في سياق اتّهامه ﷺ بمجافاة العدل في قسمة الغنائم، والغنائم رزق، فاستعمل الرسول ﷺ كلمة الرّحمة في الدّعاء لموسى عليه السلام.

ومن دلالات (الرّحمة) على الرّزق قوله ﷺ: "إذا كان رمضان فتحت أبواب الرّحمة"[4]، وكأنّي به ﷺ أراد أن يقول: فتحت أبواب الرّزق؛ ذلك أنّ رمضان بابٌ من أبواب البركة والنماء في الرّزق.

ومن دلالة الرّحمة على الرّزق اقترانها بالماء، وقد كثر هذا في الحديث النبويّ، ومنه قوله ﷺ: "يرحم الله أمّ إسماعيل لولا أنّها عجلت لكان زمزم عيناً معيناً"[5]، فدعاء الرسول ﷺ لها بالرّحمة جاء مقترناً بماء زمزم وهو مما يقتات به المسلم.

وكثيراً ما نجد الرسول ﷺ يقرن بين الرّحمة والمطر، ومن ذلك قوله:"... فأمّا من قال: مُطرنا برحمة الله، وبرزق الله، وبفضل الله فهو مؤمن بي، كافر بالكواكب"[6].

فانظر إلى هذا البيان النبويّ في الربط بين الرّحمة والمطر، بل إنّه ﷺ كان يصف المطر بقوله: "رحمة"[7]. وكان ﷺ إذا استسقى قال: "اللهم اسقِ عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميّت".

وكأنّي به عليه الصلاة والسلام أراد أن يقول: وانشر رزقك؛ لأنّ الرحمة في هذا السّياق لا تدلّ على الرّزق لاقترانها بسقاية العباد والبهائم وإحياء البلد الميّت. ويعضد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾[البقرة:٢٢] فالماء رزق للعباد.

وهناك الكثير من الآيات التي تربط بين الماء والرّزق بوصفهما رحمةً من الله.

ومن الأحاديث التي قرنت بين الرّحمة والرّزق على عمومه قوله ﷺ: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه... ثمّ ليقل: باسمك ربّي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها

---

(١) رواه أبو هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (١٠٧٩).

(٢) رواه عبد الله بن عبّاس، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٣٣٦٢) + (٢٣٦٨).

(٣) رواه زيد الجُهني، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٤١٤٧).

(٤) روته عائشة، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٨٩٩).

(٥) رواه أبو هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٧١٤).

(٦) رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٤٨٥٠).

(٧) رواه أبو سعيد الخدري، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٦٥٢٠).

فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، وفي رواية: فإن أحييت نفسي فارحمها"[1].

فانظر كيف قرَنَ الحديث النبويّ بين الرّحمة والحياة مما يؤكد أنّ الرّحمة هنا ما هي إلا الرّزق الذي هو قِوامُ الحياةِ.

الثاني: دلالة (الرّحمة) على الرّزق في الآخرة:

ورد الرّبطُ بين الرّحمةِ وما أُعِدَّ للمسلمِ من نُزُلٍ في الجنّة في الحديث النبويّ، من ذلك قوله ﷺ فيما يرويه عن ربّه في حديث حجاج الجنّة والنّار: "قال الله تبارك وتعالى للجنّة: أنت رحمتي، أَرحمُ بكِ مَن أشاءُ من عبادي"[2]. ورحمة الله بعباده في الجنّة تكون برزقه إيّاهم؛ ذلك أنّ أهمّ ما ينصرف إليه الذهن عند ذكر الجنّة هو الرّزق الذي أعدّه الله لهم فيها.

ومن ذلك قوله ﷺ: "تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدة يتكفؤها الجبّار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السّفر، نُزلاً لأهل الجنّة"[3]. فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرّحمن عليك يا أبا القاسم.

فسكوت الرسول ﷺ عن استعمال الرجل اليهوديّ لاسم (الرّحمن) دلالة على موافقته على ذلك وإقراره منه نصيحة استعمال هذا الاسم دون غيره في هذا السّياق. وبما أن الاقتران تحقق بين الرّحمة وكون الأرض خبزةً يوم القيامة فإنّ هذا ليؤكد دلالة الرّحمة على الرّزق في الآخرة وبخاصة أنّ الرسول ﷺ خَتَم حديثه بقوله "نُزلاً لأهل الجنّة" والنّزل هو الطّعام الذي يعدّ للضيف، وما أهل الجنّة إلا ضيوفٌ على الرّحمن.

قد يقول قائل لماذا استعمل الرسول ﷺ اسم الجبار مع الفعل (يتكفؤها) فنقول: للدلالة على الشدّة، والقوّة، والعظمة؛ لأنّ الأرضَ لا يقوى على حملِها بيدٍ واحدةٍ إلا خالقُها جلّ جلالُه.

ومن الأحاديث التي قرنَت بين الرّحمة والرّزق في الآخرة قوله ﷺ: "مَن أحبّ لقاء الله، أحبّ الله لقاءه. ومَن كره لقاء الله، كره الله لقاءه، فقلت (الرّاوي عائشة): يا نبيّ الله! أكراهيّة الموت؟ فكلنا يكره الموت. فقال: ليس كذلك. ولكنّ المؤمن إذا بشّر برحمة الله ورضوانه وجّنته، أحبّ لقاء الله، فأحبّ الله لقائه، وإنّ الكافر إذا بشّر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقائه"[4].

فالمتأمّل في بيان الرسول ﷺ لمعنى حبّ اللقاء يلاحظ أنّ الذي يُرغّب المؤمن بلقاء ربّه إنّما هي الرّحمة التي أعدّها الله لعباده في الجنّة، وما هذه الرّحمة إلّا الرّزق الذي وَعَد الله به عبادَه المؤمنين في الجنّة.

البند الثالث: اقتران دلالة الرّحمة بالصغير:

كان للصّغار مكانةٌ خاصّةً في حياة الرسول ﷺ، وقد كثُرت الأحاديث النبويّة التي تدعو إلى العناية بهم ورعايتهم؛ ومن بين التّوجيهات التي أرشدنا إليها المصطفى ﷺ لرعاية الصّغار معاملته

---

(١) روته عائشة، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٦٨٤).

(٢) عفيف طبّارة: الحكمة النبويّة، ص٥٦، دار العلم للملايين، بيروت/ ١٩٨٤ م.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٣١٦).

(٤) رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٥٩٩٧).

برحمة ولين؛ فالصّغير بحاجةٍ إلى الرّحمة للعناية به كي ينشأ مواطناً صالحاً "وبقدر ما نعاملُ الصّغيرَ معاملةً فيها رحمةٌ وعطفٌ، نُسهم في تنشئته مواطناً صالحاً"[١].

من هنا استنكر الرسول ﷺ تصرّف مَن يُعامل الصّغار بقسوة؛ لذا قال عنه أنس بن مالك ﷺ: "ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ"[٢].

ومن الأحاديث النبويّة التي قرنت بين الرّحمة والصغير قوله ﷺ: "مَن لا يَرحم لا يُرحم"[٣]. وذلك في حواره مع الأقرع بن حابس الذي أنكر على الرّسول ﷺ تقبيل الحسن بن عليّ، وقال للرسول: إنّ لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً[٤]. فَنَظَرَ إليه الرسولُ ﷺ وقال له: "مَن لا يَرحم لا يُرحم".

فواضحٌ أنّ كلمة الرّحمة جاءت في سياق الرّحمة بالصغير، وفي رواية عائشة رضي الله عنها أنّ الرسول ﷺ قال له: "أو أملك أن نَزَعَ الله من قلبك الرّحمة"[٥]، والنصّ يؤكّد أنّها الرّحمة بالصغار.

ويتجلّى البيان النبويّ في الرّبط بين الرّحمة والصّغار في حديث عمر بن الخطاب عن المرأة التي وجدت ابنها في السبي فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: "أترون هذه طارحةً ولدها في النّار؟ قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[٦]. فانظر كيف ربط الرسول ﷺ بين رحمة الله بعباده ورحمة الأم بابنها، وكيف اختار الرسول ﷺ كلمة (أرحم) في هذا السّياق الذي يؤكد أكثر صفة تمثلتها المرأة لابنها وهي الرّحمة وبخاصّة أنها ضمّته إلى بطنها في أجواء قاسية ما بعد المعركة[٧].

ومن الأحاديث التي تدخل في هذا السّياق ما ورد عن الرسول ﷺ مع إحدى بناته عندما دعته إلى ابنها في الموت، فقال النبيّ ﷺ ومعه سعد بن عُبادة ومعاذ بن جبل، فَدُفِعَ إليه الصبيّ ونفسه تقعقعُ كأنّها شنّ[٨]، ففاضت عيناه، فقال له سعد: يا رسول الله ما هذا؟! فقال: "هذه رحمةٌ جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله مِن عبادِه الرّحماء"[١].

فقوله ﷺ: "إنّما يرحم الله من عباده الرّحماء" يشير إلى أنّها الرّحمة بالصّغير والعطف عليه والحزن له؛ لأنّه ﷺ صَدَر عن عاطفة تجاه هذا الصغير الذي توّفي، وتكون النتيجة رحمةٌ مِن الله بمن

---

(١) رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٥٩٩٧).

(٢) روته عائشة رضي الله عنها، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٥٩٩٨).

(٣) رواه عمر بن الخطاب، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٥٩٩٩)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٥٤).

(٤) هذه الحادثة وقعت بعد غزوة حُنين وفي وادي حُنين.

(٥) القعقعة: صوت الشيء اليابس إذا تحرك، والشنّ: القِربة الخَلِقة اليابسة، يُنظر: فتح الباري للعسقلاني: ٣/ ١٨٥.

(٦) رواه أسامة بن زيد، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد: ٢٦٨٦/٦، حديث رقم (٦٩٤٢). وباب عيادة الصبيان ٢١٤١/٥، حديث رقم (٥٣٣١). وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب البكاء على الميّت، ٦٣٥/٢، حديث رقم (٩٢٣).

(٧) رواه أبو زيد المدني، وأخرجه البخاري في التاريخ الصغير، رقم ٦٤/٢، وأخرجه الترمذي برواية جد عمرو بن شعيب، رقم (١٩٢٠) وقال حسن صحيح.

(٨) رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٦٠٠٠).

(١) رواه أبو هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٧٥٢).

يرحم الصّغار.

وقريبٌ من هذا قوله ﷺ: "ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف شرف كبيرنا"[١]. فظاهر السّياق يحثّ على رحمة الصغير.

ولم يقف الحديث النبويّ في الرّبط بين الرّحمة والصغار عند الإنسان بل تجاوزه إلى الحيوان، ففي حديث (جعل الله الرّحمة في مائة جزء) قال ﷺ: "حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه"[٢] ، وفي رواية: "وبها تعطف الوحش على ولدها"[٣] .

وعطف الوحش على ولدها رحمتها إيّاه.

وبهذا نكون قد أتينا على آخر هذا الباب فيما ورد في الحديث النبويّ من ألفاظ (الرّحمة) ودلالاتها، حيث بيّنت الدراسة دلالة الرّحمة على العطف بعمومه على الخلق وفي مختلف المجالات.

وقد بيّنت الدِّراسةُ أنّ الرّحمةَ تدلّ على الرّزقِ خاصة، وتقترن به، وهذا أسلوب مألوف عند العرب حيث يجمعون بين لفظين مُشتقين من أصلٍ واحد وإن كان المعنى واحداً، كقول الشاعر: "... مَتَى أدْنُ منه يَناَ عنّي ويَبعُدُ "[٤].

كما أشارت الدراسة في هذا المبحث إلى علاقة الرّحمة بالصّغار في الحديث النبويّ، وَسَعَت إلى كشف مقوّمات البيان النبوي في استعماله كلمة (الرّحمة) من خلال السّياق الذي جاءت فيه.

<u>المبحث الثاني: الرأفة:</u> وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: دلالة الرأفة:

- **لغةً:** مِن رَأفَ بمعنى رَحِمَ، نقول: رؤُفت بالرّجل ورأفتُ به[٥]. وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: الرّاء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدلّ على رّقة ورحمة، وهي الرّأفة[٦]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[النّور: ٢]. وقال الشّاعر[٧]:

نطيع ُ نبيّنا ونطيع ربّاً هو الرّحمن كان بنا رؤوفاً

وقال ابن دريد في الجمهرة: رأفت بالرّجل أرأَف وأرؤُف رأفاً ورأفةً فأنا رؤوفٌ به: إذا تعطفت عليه[١].

- **اصطلاحاً:** هي دماثةُ الخُلقِ، وسماحةٌ، ولطفٌ، ورفقٌ، ودَعَةٌ، وترأَفَ عليه أو به رحمه وعطف عليه[٢]. فالرّأفة نوعٌ من الرّحمة خاصٌ، وهي نعمةٌ ولذةٌ في جميع الوجوه[٣]. والرّأفة إشفاقٌ وتوّجعٌ وميلُ

---

(١) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/٧٠، سابق.

(٢) رواه أبو هريرة، ينظر صحيح البخاري حديث رقم (٦٠٠٠).

(٣) يُنظر صحيح مسلم حديث رقم (٢٧٥٢).

(٤) البيت من معلقة طرفة بن العبد وصدره (فما لي أراني وابن عمّي مالكا...)

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة (رأف).

(٦٥) ابن فارس: مقاييس اللغة: ٢/ ٤٧١.

(٦٦) الشاعر هو كعب بن مالك الأنصاري، يُنظر مقاييس اللغة: ٢/ ٤٧١، اللسان (رأف).

(٦٧) ابن دريد: جمهرة اللغة: ٣/ ٢٥١، سابق.

(٦٨) ريتهارت دوري: تكملة المعاجم العربية: ٥/ ٥٤، ترجمة محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة العراقية/ بغداد/ ١٩٨٢.

(٦٩) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٧٣، سابق.

طبعٍ، وتعطّفٌ من أجل المرؤوف به عن تحمّل العبء مع حُبّ وودّ في نفس الرّاحم له[١].

وقال ابن منظور: الرّأفة أرقّ من الرّحمة، ولا تكاد تقع في الكراهة، أمّا الرّحمة فقد تقع في الكراهة لمصلحة[٢].

المطلب الثّاني: القيمة الدلالية للفظ الرّأفة:

لاحظنا من خلال تعريف الرّأفة لغة واصطلاحاً أنّها ضربٌ من الرّحمة.

ولكن هل الرّأفة هي الرّحمة؟

بالطبع لا. ودليل ذلك أنّ القرآن الكريم جمع بينهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨] والقرآن لا ترادف فيه، وقد أُثر عن علي بن أبي طالب ﷺ أنّه قال: "الرّحمة في الكَبِد، والرّأفة في الطّحال"[٣] مما يؤكد أنّ لكلّ صفةٍ مكاناً مسؤولاً عنها في جسم الإنسان، فلابدّ من ميزة دلالية لكلمة (الرّأفة)، فما هي؟

ذكر صاحب اللسان بأنّ الرّأفة أرقّ من الرّحمة[٤]. وقال القرطبيّ: "الرّأفة أشدّ من الرّحمة وأكثرُ منها"[٥].

وقال الأحفش: "تعطّفٌ برقّة"[٦]، وقال الفرّاء: "شدّة الرّحمة"[٧]. وقال الخطّابي: "الرّأفة فعل ما لا كراهة فيه مما فيه المصلحة"[٨]. وقال عمرو بن العلاء: "الرّأفة أكبر من الرّحمة"[٩]. وقال ابن الحصّار: "الرّأفة صفة شاملة لاستصلاح العباد والرّفق بهم في تربيتهم جملةً وتفصيلاً، والنّظر لهم بما هم عليه من الضّعف والحاجة والمسكنة والفقر"[١٠]. فالرّأفة إذاً درجةٌ عاليةٌ من الرّحمة وتقتضي المصلحة بالمرؤوف به، ولا تقع في كراهةٍ، بل يرافقها لذة.

أمّا الرّحمة فقد تكون مؤلمة في الحال ويكون في عقباها لذة، ومثال ذلك: حديث مرض الطاعون الذي روته عائشة-رضي الله عنها- حيث استعمل ﷺ كلمة (الرّحمة) بالمؤمنين ولم يقل الرّأفة؛ ذلك أنّ المرض مؤلمٌ عند حلوله، ولكنّ عاقبته للصابرين والمحتسبين مثل أجر الشهيد كما جاء في الحديث النبويّ[١].

وقال القرطبي: "صفة الرّأفة إذا انسدلت على مخلوق لم يلحق به مكروه، ونقول لمن أصابه بلاءٌ في الدّنيا وفي ضمنه خير في الأخرى: إنّ الله قد رحمه بهذا البلاء. ونقول لمن أصابه عافية في الدّنيا

---

(٧٠) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٧٣، سابق.

(٧١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (رأف).

(٧٢) [صحيح الأدب المفرد للألباني/٤٢٥].

(٧٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة (رأف).

(٧٤) القرطبي: الجامع لاحكام القرآن: ٢/ ١٠٦

(٧٥) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٧٣.

(٧٦) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٧٣.

(٧٧) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٧٣.

(٧٨) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٧٣.

(٧٩) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٧٣.

(٨٠) روته عائشة وأخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٧٤).

وفي ضمنها خيرٌ في الأخرى، واتصلت له العافية أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً: إنّ الله قد رَأفَ به"[١].

لذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٤٣/ الحج: ٦٥]. فالرّحمة تكون ببلاء وبدونه، أمّا الرّأفة فإنّها تقع في البلاء ولا تقع في الكراهة إنّما ترافقها اللذة والإمتاع والمصلحة.

والرّأفة والرّحمة بينهما تقاربٌ دلاليٌ حيث يشتركان في الدّلالة على العطف والإحسان، إلا أنّ اسم (الرّحيم) اسم جامع يشمل العطف كما يشمل النّعمة والإحسان. و(الرؤوف) أخصّ من (الرّحيم)؛ لأنّه يدلّ على الرّحمة القويّة التي تعطى لمن يستحقّها"[٢].

المطلب الثالث: الدلالة السّياقيّة للفظ الرّأفة في الحديث النبوي:

ونفصّلها في البنود الآتية:

البند الأول: الرّأفة شدّة الرّحمة:

ذكرنا فيما تقدّم أنّ الرّأفة ضَرْبٌ من الرّحمة، وأنّ الرّأفة شدّةُ الرّحمة، فهي مرحلة دقيقة في الرّحمة، من هنا وجدنا الحديث النبويّ استعمل الرّأفة بهذه الدلالة، قارنا إيّاها بالرّحمة، نجد ذلك في قوله ﷺ: "إنّ الله عزّ وجلّ يقول: أنا الله لا إله إلا أنا، مالك الملك، ومالكُ الملوك، قلوب الملوك بيدي وإنّ العباد إذا أطاعوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالرّأفة والرّحمة وإذا عصوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالسّخط والنقمة"[٣].

فهناك رحمةٌ يحتاجها العباد، وهناك رأفةٌ هي أشدّ من الرّحمة وأكثر عناية بهم، وهم أكثر حاجة لها من الرّحمة.

ومن ذلك حديث شقّ الصّدر، عندما سأل أبو هريرة رسولَ الله ﷺ عما رأى من أمر النبوّة (أي من علاماتها) فاستوى رسول الله ﷺ وقال: " لقد سألْتَ أبا هريرة، إنّي لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا برجل يقول: أهو هو، قال: نعم. فاستقبلاني بوجوه لم أرها على أحدٍ قط فأقبلا إليّ يمشيان حتى أَخَذَ كلُّ واحدٍ منهما بعَضُدي لا أجد لأخذهما مسّاً فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه، فأضجعاني بلا قصد ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له: أخرج الغلّ والحسَدَ فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثمّ نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرّأفة والرّحمة، فإذا مثل الذي أَخْرَجَ يشبه الفضّة ثم هزّ إبهام رجلي اليمنى فقال: اغدُ، اسْلَم، فرجعت بهما أغدو رقّةً على الصّغير ورحمةً للكبير"[١].

وإذا تأملنا الحديث نجده كلّه ممتلئٌ بالرّأفة والرّحمة بدءاً بخطاب الرسول ﷺ لأبي هريرة وندائه له بكنيته، ثمّ حوار الملكين معاً، ووصف الرسول ﷺ لجمال وجههما ورقّة روحيهما وأناقة ثيابهما، ورقّة معاملتهما له ﷺ (بلا قصر ولا هصر)، وفلقهما صدره برفق وبلا دم ولا وجع.

ثم أخرجا منه الغلَّ والحسدَ وهما مقابل الرّأفة والرّحمة، فالغلُّ شدّة الحسدِ والرّأفة شدّة

---

(٨١) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٧٣، سابق.

(٨٢) محمد داوود: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص ٢٧٤، دار غريب القاهرة/ ٢٠٠٨، ويُنظر: التحرير والتنوير: ٢/ ٢٥.

(٨٣) رواه أبو الدرداء، وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٤٤١، وقال: غريب من حديث مالك.

(٨٤) رواه أبي بن كعب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٤/ ٦٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢٥.

الرّحمة، والغلّ من مقدمات الحسد، والرّأفة من مقدمات الرّحمة، ثمَّ انظر إلى آخر الحديث، وهو ثمرة هذه الحادثة، وهو الغاية الأسمى من إيداع الرّأفة والرّحمة في شخص الرّسول ﷺ وفي جوفه تطبيق هاتين الصفتين في التعامل مع الآخرين وليس الاتّصاف بهما فحسب، فقد ختم الرسول ﷺ حديثه بقوله: " فرجعت بهما أغدو رقّةً على الصغير ورحمةً للكبير".

فالرّقة على الصغير هي أثرُ الرّأفة، والرّحمة على الكبير هي أثر الرّحمة.

ونخلص من هذا إلى أنّ الرّأفة معاملة خاصّة، ورحمةٌ مُركّزة يحتاجها الصّغار، أما الكبار فيكفيهم منّا الرّحمة. ثمّ لاحظ أنّ الرّأفة تقدمت على الرّحمة في الحديث النبوي؛ لأنّ الرّأفة خاصة بالمؤمنين وبالصّغار أمّا الرّحمة فهي عامّة بالنّاس وبالكبار.

البند الثاني: الرّأفة بالأقارب: (الأهل/ العشيرة):

تستعمل الرأفة للخاصّ كالمؤمنين والأطفال، ولكنها تستعمل أيضاً في العموم إذا كانوا من الأهل وذوي القُربى، ومن ذلك ما جاء في حديث فتح مكّة بعد أن أمَرَ الرسول ﷺ الأنصار بقتل أوباش مكّة في الوادي لمواجهتهم لهم، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أُبيدت خضراءُ قريش، لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن"، فقالت الأنصار: أمّا الرّجل فقد أخذته رأفةٌ بعشيرته، ورغبةٌ في قريته. ونزل وحيٌ على رسول الله ﷺ، فقال: "قلتم أمّا الرّجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته ألا فما اسمي إذاً (ثلاث مرات) أنا محمدٌ عبد الله ورسوله"[(١)].

فالنّاظر في الحديث يجد أنّ الأنصار استعملوا كلمة الرّأفة منسوبة لأبي سفيان عندما رقَّ لأقربائه وأهل عشيرته، ثمّ أعادها الرسول ﷺ بعدما أوحي إليه، وهذه الرّحمة جاءت في سياق الدلالة على العشيرة وذوي القربى، أي على عموم أقاربه من أهل مكّة، واستنكار الرسول ﷺ لكلام الأنصار لدفع الاتهام عنه ﷺ بأنّ فعله في فتح مكّة مخالفٌ لمبدأ الرّأفة، ودعوته في الأساس قائمة على مبدأ الرّأفة والرّحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وفي كل الأحوال فإنّ الرّأفة حالة خاصة من الرّحمة تستعمل لعموم الأهل والقربى كما تستعمل لرحمة الطفل والمؤمن خاصّة.

ويتّصل بهذا قوله ﷺ: "أرأف أمتي بأمتي أبو بكر"[(٢)]. لشدّة رفقه رضي الله عنه بعامّة المسلمين، وكأنهم من ألاحامه وذوي قرباه.

البند الثّالث: الرّأفة بالزوج:

استعمل الرّسول ﷺ كلمة الرّأفة في تعامل المرأة مع زوجها، وذلك في قوله ﷺ: "خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبلَ نساءُ قريشٍ أحناه على ولده في صغره، وأرأفه بزوج على قلّة ذات يده، ثمّ قال أبو هريرة وقد علم رسول الله ﷺ أن ابنة عمران لم تركب الإبل"[(١)].

---

(٨٥) رواه أبو هريرة، وذكره مسلم في صحيحه، رقم (١٧٨٠).

(٨٦) صححه الألباني في صحيح الجامع (٨٦٨) برواية عبدالله بن عمر، وذكره البيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٢١٠ برواية أنس.

(٨٧) رواه أبو هريرة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/ ٢٧٤، وابن كثير في البداية والنهاية: ٢/٥٥.

والشاهد في الحديث قوله ﷺ "وأرأفه بزوج على قلّة ذات يده" وذلك في سياق ثنائه على نساء قريش ونعته ﷺ لهنّ بأنهن خير نساء ركبن الإبل، وفي هذا استثناء لمريم ابنة عمران؛ لأنها لم تركب الإبل كما جاء في ذيل الحديث، ولكن انظر استعماله ﷺ لكلمة (الرّأفة) حيث استعملت مع حالة خاصّة وهي قلّة ذات اليد، فالزوج في هذه الحالة لا يكون بحاجة رحمة زوجته إنما هو بحاجة إلى ما هو أشدُ من الرّحمة وهو الرّأفة حيث تبذل الزوجة جهداً أكبر في عطفها مع زوجها ورقتها له بالصبر والتّحمل، والتخفيف من متطلبات الحياة وبخاصّة ما كان خارجاً عن أساسيات العيش. وقد لاحظ ﷺ أنّ هذه الصفة متوّفرة في نساء قريش، وذكر الإبل لأنّهنّ يشتركن بهذه الصّفة مع بقيّة النساء باستثناء مريم ابنة عمران لحنوّها على ابنها سيدنا عيسى عليه السلام.

المبحث الثالثً: الرّفق: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الرّفق:

- **لغةً:** ضدّ العنف، نقول: رفق بالأمر وله عليه[١]. وقال ابن فارس: "الرّاء والفاء والقاف: أصلٌ واحد، يدلّ على موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عنف"[٢].

وقال ابن دريد: "الرّفق ضد الخرق والصعوبة، رَفَقَ يرفقُ رفقاً فهو رفيق بكذا ورافق: حَسَنُ الصّنيع به مع اللطف. وأرْفقُه أُوصِلَ إليه رفقاً"[٣].

- **اصطلاحاً:** الرّفق أثرٌ من آثار الرّحمة، ولازمٌ من لوازمها، ومظهرٌ دالٌ على وجودها؛ فالرّحمة تحمل على الرفق وتتسبّب في حصوله"[٤]. وذكر صاحب اللسان أنّ: "الرفق لطفٌ ولين الجانب ولطافة الفعل، والرّفق العون والمنفعةُ، ومرافق الدّار توابعها المُعينة على إقامتها من مُغتَسلٍ، وكَنيفٍ، وحَوْشٍ، ونحوه. والرّفاق: حبل تُشدّ به النّاقة يعين صاحبها عليها فلا تهرب. والرّفيق: الصاحب في السّفر خاصّة فهو يعين رفيقه الآخر ﴿وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾[النساء: ٦٩]، والرّفقة تكون في مجلس واحد ومسير واحد، فإذا تفرّقوا ذهب اسم الرّفقة"[٥].

وذكر ابن فارس أنّ الرّفق "يدعو إلى راحة وموافقة، ومرفق الإنسان سمّي كذلك؛ لأنّ الإنسان يستريح في الاتّكاء عليه.

والرّفقة: جماعةٌ ترافقها في سفرك وفيها دلالةٌ على الموافقة"[١]. ودليل ذلك رضاك وقبولك السّفر معهم.

وجاء في تكملة المعاجم العربيّة: "رَفقَ به وعليه: ساعده، وحماه، وصاحَبَه وتلّطف معه، وانتفع

---

(٨٨) ابن منظور (٧١١ هـ): لسان العرب مادة (رفق)، ٥/ ٢٧٣ دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٩٩.

(٨٩) أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ): مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ٢/ ٤١٨، دار الفكر ١٩٧٩.

(٩٠) ابن دريد (٣٢١ هـ): جمهرة اللغة، ٢/ ٣٩٨، مكتبة الثقافة الدينية، شارع بورسعيد.

(٩١) فرح آل طه: الرفق بالحيوان في الإسلام، ص٣٥، دار وائل/ ط ١/ عمان/ ٢٠٠٣.

(٩٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (رفق): ٥/ ٢٧٣ - ٢٧٥.

(٩٣) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤١٨، سابق.

به واستعان به"[١].

المطلب الثاني: القيمة الدلالية للفظ الرّفق:

ذكرنا بأنّ الرّفق أثرٌ من آثار الرّحمة، وعليه لابدّ من وجود دلالات مُميّزة للرّفق عن الرّحمة، وبالنظر في مفهوم الرّفق لغة واصطلاحاً نلاحظ أنّ الرفقَ تطبيقٌ عمليٌّ للرّحمة يتّسم بلين الجانب، ولطافة الفعل، كما أنّ الرّفقَ يقتضي العونَ، والمنفعةَ، والمساعدةَ، والحماية، ومنه مَرافقُ الدّارِ، ورِفاقُ النّاقةِ، والرّفيق في السّفر، ومنه الرِّفقُ بالمريضِ، والتّلطفُ معه، قال ﷺ: "أنت الرّفيق والله الطبيب"، ومرفق الإنسان، ومنه: ارتَفَقَ: أي تَوكَّأَ على مِرْفَقِ يدِهِ، قال أعشى بأهله:

فبتّ مرتفقاً والعينُ ساهرةٌ كأنّ نومي اليوم عليّ محجوزُ

وقال تعالى: ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾[الكهف: ٣١] أي مُتكأً.

ولكنّ أهم ما يميّز كلمة الرّفق أنّها تستعمل للدلالة على اللطف واللين مع الآخرين في حالة سَفر، لأنّ لطف المعاملة أكثرُ ما يَحتاجُ إليه المسافرُ، وسنرى تفصيلَ ذلك في الحديث النبويِّ في المبحثِ القادمِ إن شاءَ اللهُ.

المطلب الثالث: الدَّلالة السِّياقية للفظ الرّفق في الحديث النبوي:

وردت كلمة الرّفق في الحديث النبوي في أحاديث كثيرة، وبعد استقراء الأحاديث التي استعملت هذه الكلمة وجدناها موّزعة في ثلاثة معانٍ، وجعلناها في ثلاثة بنود:

البند الأول: الرّفق في لطافة الفعل ولين المعاملة:

ومنه قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها:" يا عائشة إنّ الله رفيق يحبّ الرّفق في الأمر كله"[٢]، وذلك في سياق روّها على اليهود الذين ألقوا السّلام على الرسول ﷺ بقولهم: السام عليكم، فقالت لهم: بل عليكم السام واللعنة.

والسام هو الموت ومع أنّ الرّسول ﷺ فقه كلامهم بهذه الدلالة إلاّ أنّه طلب من عائشة رضي الله عنها معاملتهم برفق ولين؛ لأنهم ليسوا بقدوة للمسلمين. وفي رواية أخرى: أنه قال لها ﷺ بعد ذلك: "وإياكِ والعنف والفحش" فجعل العنف والفحش مقابلاً للرفق.

ويتصل بهذا قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها أيضاً: " يا عائشة ارفقي، إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرّفق"[٣].

وقوله: "من يُحرم الرّفق يُحرم الخير"[١]، فقد ربط بين الرّفق وجلب الخير والمنفعة، ومن ذلك قوله: "يا عائشة! إنّ الله رفيق يحبّ الرّفق، ويعطي على الرّفق ما لا يُعطي على العنف"[٢] وفي رواية "يحبّ الرّفق ويعين عليه" ومنه قوله ﷺ لأبي أيّوب الأنصاريّ عندما أسكنه في بيته: "السّفَلُ أرفق"[٣]،

---

(٩٤) ريتهارت دوري: تكملة المعاجم العربية، ٥/ ١٧٨، ترجمة محمد سليم النّعيمي، سابق.

(٩٥) روته عائشة وذكره البخاري في صحيحه، رقم (٦٩٢٧).

(٩٦) روته عائشة وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢.

(٩٧) رواه جرير بن عبد الله، وذكره مسلم في صحيحه رقم (٢٥٩٢)

(٩٨) روته عائشة وذكره مسلم في صحيحه رقم (٢٥٩٣)

(٩٩) رواه أبو أيوب الأنصاري، وذكره مسلم في صحيحه، رقم (٢٠٥٣).

أي سكني في الدّور الأول يحقق الرّفق بي وبالصّحابة وبِكَ يا أبا أيّوب.

ومنه ما جاء في وصفه ﷺ: "لا يَخْبِطُ ولا يَعْضُدُ حِمَىً ولكن يَهُشُّ برِفْقٍ"[١]، أي لا يخبط بعصاه ولا يقطع نباتاً محميّاً لأحد ولكن كان يهشّ على النبات والزّرع بلطف ولين مما يدلّ على لطافة فعله ولين معاملته ﷺ حتى مع النباتات.

ومنه قوله ﷺ في دعوة الصحابة لمعاملة (وائل بن حجر): "ارفقوا به فإنّه حديث عهد بالمُلك"[٢].

البند الثّاني: الرّفق في السّفر:

ذكرنا فيما تقدّم بأنّ من أهمّ ما يميّز كلمة الرّفق أنّها تُستعمل في الغالب في موضع السّفَر، وقد كثُر استعمالها في هذا الموضع في الحديث النبوي، سواءً في دلالتها على الرّفق في المعاملة أثناء السّفر، أو في دلالتها على الرّفقة (مجموعة المسافرين) في السّفر، وسيكون بيان ذلك في الآتي:

أولا: الدلالة على لطف المعاملة:

من ذلك أنّه كان ﷺ في مسير له، فحدا الحادي، فقال النبي ﷺ: "ارفق يا أنجشة- ويحك - بالقوارير"[٣]. فلاحظ أنّه ﷺ كان في مسير أي في سفر واستعمل كلمة الرّفق بالقوارير أي النّساء اللاتي كُنَّ في الهوادج على ظهور الإبل، فغنّى الحادي (قائد الإبل) فأسرعت الإبل في السّير، فطلب الرسول ﷺ منه أن يتلّطف في قيادة الإبل حتى لا تتأذى النّساء، ولاحظ وصفه للنّساء بالقوارير دلالة على رقّتهن وعدم احتمالهنّ السّير العنيف.

وفي قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: "يا عائشة ارفقي فإنّ الرّفق لا يكون في شيء إلّا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه"[٤]. وبعد النّظر في هذا الحديث في سياقه المقاميّ نجد أنّ الرسول ﷺ أراد البداوة مرّة فأرسل إلى ناقة مُحَرَّمةٍ من إبل الصدقة، فركبت عائشة رضي الله عنها وكانت في النّاقة صعوبة فجعلت تُرَدِّدُها[٥] أي تهمزها وتُعنّفُها فطلب منها رسول الله ﷺ معاملة النّاقة برفق، والحال في سفر.

ويتّصل بهذا قوله ﷺ: "إنّ الله رفيق يحب الرّفق ويرضاه ويُعين عليه ما لا يُعين على العنف، فإذا كانت الأرض جدبة فانجوا عليها بنقيّها"[١].

فالرّسول ﷺ يحضّ صحابته على الرّفق بالدّواب في حالة السّفر.

وقد فسّر الرسول ﷺ جوانب الرّفق في معاملة الدّواب حيث أخبرَ أنّها عجماء لا تتّكلم ولا تستطيع التّعبير عن مُرادها، ثم طلب منهم أن ينزلوها منازلها أي يعطوها حقّها فإذا نزلوا بأرضٍ

---

(١٠٠) رواه جابر بن عبد الله، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال: ١/ ٤٤٥.

(١٠١) رواه وائل بن حجر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٣٧٦.

(١٠٢) رواه أنس بن مالك، وذكره البخاري في صحيحه رقم (٦٢٠٩).

(١٠٣) روته عائشة، وذكره مسلم في صحيحه رقم (٢٥٩٤).

(١٠٤) رواه شُريح، وذكره أبو داود في سننه رقم (٢٤٧٨).

(١٠٥) رواه خالد بن سعدان، وذكره ابن عبد البر في التمهيد: ٢٤/ ١٥٦، وذكره أيضاً في الاستذكار: ٧/ ٥٤٤.

مُعشبة منحوها فرصة الطعام "فانجوا عليها بنقيّها".

وقد ارتبطت كلمة الرّفق مع الحيوان في لغة العرب فنجدهم دائماً يقولون (الرّفق بالحيوان) ليس الرّحمة ولا الرّأفة ولا العطف؛ ذلك أنّ الحيوان يكون أكثر ملازمةً للإنسان في حال السّفر فارتباط الرّفق بالحيوان نابع من السّفر، لأنّه أكثر ما يكون محتاجاً إليه من الإنسان في السّفر لين المعاملة.

ومن الرّفق في السّفر، قوله ﷺ: "إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تُبغّض إلى نفسك عبادة الله فإنّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى"[١] فالحديث يُشبِّه من يرتبط بالدِّينِ بالموغلِ في السّفرِ، فإذا كان شديداً على ركوبته أهلكها وهلَكَ، فما عليه إلا الرّفقُ حتى يُحققَ هدفَه.

ومن دلالة الرّفق على لطف المعاملة في السّفر ما جاء في الحضّ على الرّفق بالمتوفّى سواءً عند احتضاره أو عند دفنه، من ذلك قوله ﷺ لملك الموت عند رأس رجل من الأنصار: "يا ملك الموت ارْفُق بصاحبي فإنّه مؤمن، فقال ملك الموت: طِب نفساً وقرّ عيناً واعلم أنّي بكلّ مؤمنٍ رفيق"[٢] فرأفة النبي ﷺ ورحمته بصاحبه هو ما دفعه إلى أن يطلب من ملك الموت الرّفق به عند قبض روحه، ولكن كيف نربط ذلك بالسّفر؟

أقول: إنّ الموت سفرٌ من الدّنيا إلى الآخرة، أو السّفر في الدّنيا فهو الانتقال من مكان إلى آخر ومن حال إلى غيره، فالموت سفرٌ مجازيّ.

ويتّصل بهذا قول ابن عبّاس في جنازة ميمونة رضي الله عنها عندما توّفيت بِسَرَفٍ، قال: هذه زوجة النبي ﷺ فإذا رفعتم نعشها فلا تُزعزعوا ولا تُزلزلوا وارفقوا". فاستعمل ﷺ الرّفق مقابل الزّعزعة والزّلزلة.

ثانيا: الدّلالة على الرّفقة في السّفر:

ذكرنا بأنّ الرّفيق بمعنى الصّاحب مشتقّة في أصلها من (الرّفق)، وما كان ذلك إلا لحاجة المسافرين في صُحْبتهم إلى الرّفق ولين الجانب. وقد عبّر الحديث النبوي عن هذه الدلالة في أحاديث عدّة، منها:

قوله ﷺ: "إنّي لأَعرِفُ أصواتَ رِفْقَةِ الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلَهم من أصواتِهم بالقرآنِ بالليل، وإن كنتُ لمْ أرَ منازلَهم حينَ نزلوا بالنّهار"[٣].

فالرّسول ﷺ استعمل كلمة (رفقة) للدلالة على جماعة الأصحاب في السّفر، ودليلُ ذلك قوله ﷺ: (منازلهم في الليل)، وقوله: (لمْ أرَ منازلهم حين نزلوا بالنّهار).

مما يدلّ على أنّ القومَ في سفرٍ وتبدلِ حالٍ في الليلِ والنّهارِ.

ومنها قوله ﷺ لذؤيب الخزاعي في شأن النّاقة: "فانحرها، ثمّ اغمس نعلها في دمها ثمّ اضرب به

---

(١٠٦) رواه جابر بن عبد الله وذكره الدار قطني في المقاصد الحسنة رقم (٤٥٨) والبيهقي في شُعب الإيمان: ٣/ ١٤٢٤.

(١٠٧) رواه الخزرج والد الحارث، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/ ٣٢٨.

(١٠٨) رواه أبو موسى الأشعري، وذكره البخاري في صحيحه، رقم (٤٢٣٢) ، وذكره مسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٩).

صفحتها، ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك"[١] فواضحٌ أنّ القومَ كانوا في حالة سفر.

ومنها قوله ﷺ: "لا تصحب الملائكة رفقةً فيها كلب ولا جرس"[٢] والرّفقة هنا تكون في سفر بقرينة قوله (تصحب).

ومنها حديث أبي هريرة: "كنّا مع رسول الله ﷺ في سَفَر فبصر يرفقه كثيراً بين المغرب والعشاء"[٣].

وظاهر الحديث يربط بين الرّفقة والسّفر.

البند الثّالث: الرّفق بمعنى العون والمساعدة:

ذكرنا في تعريف الرّفق أنّ مجالاته العون والمنفعة والمساعدة، وقد تجلّى هذا المعنى في الحديث النبوي في مواطن عدّة، منها؛ أنّ رسول الله ﷺ سمع صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدُهما يستوضعُ الآخرَ ويسترفقُه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: "أين المُتألِّي على الله لا يفعل المعروف"، فقال: أنا يا رسول الله، وله أيّ ذلك أحب[٤]. فأحدُ الرّجلين استرفق الآخرَ: أي طلب منه العونَ والمساعدةَ ولما سمعه رسولُ الله ﷺ وصفه بالمُتألِّي على الله وطلبَ منه مساعدةَ صاحبِه.

ومن ذلك حديث عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول في بيتي هذا: "اللهم! مَن ولي من أمر أمتي شيئاً فَشَقّ عليهم فاشقق عليه. ومَن ولي من أمر أمتي شيئاً فَرَفَقَ بهم فارفق به"[٥]. فالرّفق هنا وإنْ كان يحمل دلالةَ المعاملةِ بلطفٍ إلا أنّه يدّلُّ أكثر على مساعدةِ الرّعية وعونِهم في أمورِ حياتِهم.

ويتّصل بهذا حديث معاذ بن جبل، قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: "إذا قدِمت عليهم فعلّمهم كتاب الله وأحسن أدبهم وعلّمهم الأخلاق الصّالحة وأَنْفِذْ فيهم أمرَ اللهِ وأَنْزِل النّاس منازلَهم من الخيرِ والشّرِّ ولا تُحابينَ في أمرِ اللهِ وأدِّ إليهم الأمانةَ في كلِّ قليلٍ وكثيرٍ، وعليك بالرّفقِ والعِفَّةِ في غيرِ ترك للحقِّ حتى يقولَ الجاهلُ: قد ترك من حقّ الله"[٦].

فالرّفق هنا يحمل دلالة العون والمساعدة؛ ذلك أنّه ارتبط بالعفو، ثمّ أُعقِبَ بقوله ﷺ: في غير تركٍ للحقِّ، فالمساعدةُ مشروطةٌ بأمورِ الدنيا دون هضمِ حقوقٍ لأحد.

ولمعاذ رضي الله عنه حديثٌ آخر في استعمال الرّفق بمعنى المساعدة، حيث كان أدان بدينٍ على عهد رسول الله ﷺ، حتى أحاط ذلك بمالِه، وكان معاذ من جُلساءِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال معاذ: يا رسولَ الله ما جعلتُ في نفسي حين أسلمتُ أنْ أبخلَ بمالٍ ملكتُه وإنّي أنفقتُ مالي في أمر الإسلامِ فأبقى ذلك عليّ دَيْناً عظيماً فادعو غرمائي فأسترفقْهم، فإن أرفقوني فسبيل ذلك، وإن أَبَوا فاجعلني لهم من مالي،

---

(١٠٩) رواه ذؤيب الخزامي، وذكره مسلم في صحيحه رقم (١٣٢٦).

(١١٠) رواه أبو هريرة، وذكره مسلم في صحيحه، رقم (٢١١٣).

(١١١) رواه أبو هريرة، وذكره ابن عديّ في الكامل في الضعفاء رقم ٤/ ٣٣٤.

(١١٢) روته عائشة، وذكره البخاري في صحيحه رقم (٢٧٠٥).

(١١٣) روته عائشة، وذكره مسلم في صحيحه رقم (١٨٢٨).

(١١٤) رواه معاذ بن جبل، وذكره الخطيب البغدادي في أوهام الجمع والتفريق: ٢/ ٣٤٤.

فدعا رسول الله ﷺ غرماءَه فعرض عليهم أن يرفُقُوا به، فقالوا: نحن نحبُّ أموالَنا، فدفع إليهم رسولُ الله ﷺ مالَ معاذٍ كلَّه"[١].

فواضح من سياق الحديث أنّ قول معاذ ﷺ (فأسترفقهم): أي أطلب عونَهم ومساعدتَهم برضاهم. وقوله أيضا: فإن أرفقوني: أي فإن أعانوني وساعدوني.

قد يقول قائل هذا الكلام لمعاذ ﷺ ليس للرسول ﷺ، فأقول هذا من السُنّة التقريرية فمعاذ يتكلم والرسول يسمع ولم يُعدّل في حديث معاذ ﷺ مما يؤكد صحتّه وموافقة الرسول ﷺ عليه.

أمّا في آخر الحديث فقد عرض الرسول ﷺ على أصحاب الأموال أن يرفقوا بمعاذ ﷺ أي أن يساعدوه فأبوا.

ومن استعمالات الرسول ﷺ لكلمة الرّفق بمعنى العون والمساعدة قوله للطُّفيلِ بنِ عَمرو الدّوسي عندما أسلم وعاد إلى قومه فلم يتمّكن من إقناعهم جميعا ً بالإسلام فعاد إلى الرسول ﷺ وقال: يا رسول الله لقد غلبني على دوس الزّنا فادع الله عليهم فقال ﷺ: "اللهم اهدِ دوساً، ارجع إلى قومِك فادعُهُم وارْفُقْ بهم"[٢].

فطلب الرسول ﷺ من الطفيل أن يعود إلى قومه ويرفق بهم يدلّ على معاملتهم بلين دون قسوة، ومن ثمّ عونهم ومساعدتهم وعدم التّخلي عنهم وبخاصة أنّه كان سيّدَهم وشريفَهم والمُطاعَ فيهم.

ونخلص من هذا الباب إلى أنّ الرّفق يكون من السيّد أو الحاكم لرعيته بالعون والمساعدة بعد أن يكون يلين الجانب واللطف في المعاملة.

وبعد: فهذه ألفاظ ثلاثة استعملها الرسول صلى الله عليه وسلو في أحاديث مختلفة، وفي سياقات متعدّدة، جميعها تلتقي في حقلٍ دلالي واحد هو (الرّحمة)، ولكنه اتّضح من خلال دراستها دراسة دلالية وفق السّياقات المختلفة التي أطّرتها، اتّضح أن الألفاظ الثلاثة: الرحمة، الرّأفة، الرفق، أخذ كلُّ لفظ خصوصيته متأثرا بالسياق الذي استُعمِل فيه، وسنبين جوانب هذه الخصوصية من خلال النتائج التي توصّلت إليها الدّراسة.

النتائج:

توصّلت الدّراسة إلى جملة من النتائج أهمّها:

- اتّسم البيان النّبوي بقوّة العبارة، وتناسب الكلمات، والاقتصاد باللفظ، وعموم المنفعة، وحسن الوقع عند المتلقي؛ لفصاحة معناه، ووضوح مغزاه، وسهولة مخرجه.
- امتاز لفظ الرّحمة في حقله الدّلالي بأنّه اختصّ برحمة القوي للضعيف، وبأنّه يتّصل بالرزق في الدّنيا والآخرة، فضلا عن أنّه يقتضي الإحسان للمرحوم.
- تمتاز الرّحمة بالسّعة، وتتنافى مع القسوة، وتتصف بالاستمرار والتّجدد وعدم الانقطاع.

---

(١١٥) رواه كعب بن مالك، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/ ١٤٦.

(١١٦) رواه محمد بن إسحق، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٣/ ٩٧.

- وظّف الحديث النبوي لفظ الرّحمة وفق إطاره اللغوي والاصطلاحي، وكان أكثر بيانا، حيث جاء مُعبّرا عن العموم، والرّزق، والإحسان إلى المرحوم.
- تمتاز الرّأفة بأنّه نوع خاصٌّ من الرّحمة، وهي أرقُّ منها، والرّأفة لا تكاد تقع في الكراهة على خلاف الرحمة التي قد تقع الكراهة لمصلحة.
- استعمل الحديث النبوي الرّأفة قارنا إياها بالرّحمة مما يؤكّد تمايزهما في الدّلالة، وقد أكّد الاستعمال النّبوي على أنَّ الرّأفة أشدّ من الرحمة وأخصّ منها، كما جاء في حديث شقّ الصّدر.
- بيّن الحديث النبوي أن دلالة الرّأفة تتعلّق بالأهل والأقارب، وذوي الأرحام أكثر من مترادفاتها في حقلها الدّلالي.
- الرّفق أثر من آثار الرّحمة، ومظهر من مظاهرها، والرّفق يتّسم بلين الجانب، ولطافة الفعل، ويقتضي العون والحماية وبخاصة في أحوال السّفر؛ لأنّ ذلك أكثر ما يحتاجه المسافر.

عبّر الحديث النّبوي عن دلالة الرّفق ةفق المقاييس اللغوية والاصطلاحية، حيث استُعملت في الحديث النّبوي للدلالة على لطافة الفعل، ولين المعاملة، وبخاصة في أحوال السّفر، ومن ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: " ياأنجشة - ويحك - ارفق بالقوارير ".

٣٣. جهود المستشرقين في الفهرسة اللغوية للقرآن والحديث: عرض وتقويم

د. عبد العزيز بن حميد الحميد

(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، السعودية)

توطئة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يأتي هذا البحث كاشفاً بعضاً من جهود المستشرقين في فهرسة مصدري التشريع في الإسلام؛ القرآن الكريم والحديث الشريف، ومع أن الندوة متجهة في أغلب محاورها إلى الحديث الشريف، لكني آثرت الربط بين القرآن والحديث في بحثي للصلة الوثيقة بينهما.

ولأهمية الفهرسة اللغوية للكتب العلمية لتسهيل مراجعتها فقد أولاها المستشرقون عناية كبيرة - مع ملاحظة سبق المسلمين إليها في عصور ماضية- وهو ما دفع بعض العلماء العرب إلى الاعتراف بأهمية أعمال المستشرقين في ميدان الفهرسة في العصر الحديث، ومنهم الشيخ أحمد شاكر رحمة الله فقد قال مثنياً على أعمالهم:" وممّا امتازت به مطبوعات المستشرقين أنْ عُنوا بوضع الفهارس المرشدة للقارئ أتمّ عناية، في أغلب أحيانهم، وتفنّنوا في أنواعها، مرتّبةً على حروف المعجم ... وهذا عمل قيّم جليل، لا يدرك خطره وفائدته، إلاّ من ابتُلي بالعناء في البحث والمراجعة، وعجز أو وصل إلى ما يريد البحث عنه"[(١)].

لأهمية هذه الأعمال يجدر بنا معرفتها ودراستها ثم الحكم عليها، والاستفادة من مناهجهم، وملاحظة جوانب الضعف فيها، ثم البناء على تلك الأعمال للوصول إلى أعمال أكثر جودةً منها.

فيما يلي دراسة للفهرسة اللغوية ومناهج المستشرقين فيها مع دراسة تطبيقية على ثلاثة من أعمالهم.

الفهرسة اللغويّة :

تأتي الفهرسة اللغويّة في مكانة كبيرة بين الأعمال المعجميّة، فهي نوع من الصناعة المعجميّة، تحمل منهجاً مختاراً، يسير عليه المفهرس ليبلغ به الهدف من عمله، لكنّه يختلف في بعض جوانبه عن صناعة المعجم اللغويّ.

إنْ كانت صناعةُ معجمٍ تحتاج إلى ثروة لفظيّة، يختار منها المؤلّف ما يصلح لمعجمه، فيكون جمع المادّة عنصراً أساسيّاً فيها، فإنّ صناعةَ فهرسٍ لغويّ تحتاج إلى القدرة على الاختيار من مادّةٍ موجودةٍ لدى المؤلّف في كتابٍ أو عدّة كتب، وتتمثّل أهميَّة العمل في وضع منهج واضح لاختيار كلمات الفهرس وِفْق الغرض منه.

والاختلاف بين صناعة المعجم والفهرسة ليس كبيراً، فهما يشتركان في الحاجة إلى المادّة اللغويّة، والمداخل، والترتيب، أمّا الشرح فلا يحتاج الفهرس إليه في أغلب أحواله، ويمكننا بهذا وضع أسسٍ للفهرسة، مع الاختصار في ذكرها دون الحاجة إلى شرح وتفصيل، ثم يأتي التفصيل عنها في دراسة:

---

(١) ينظر: تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك- أحمد شاكر ص ٤١ ، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، مكتبة السنة، القاهرة.

(نجوم الفرقان في أطراف القرآن)، و (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ)، و (مفتاح كنوز السنة).

أسس الفهرسة :

من الاطّلاع على الفهارس اللغويّة نتعرّف أسس الفهرسة، وكما استنبطنا أسس الصناعة المعجميّة من أعمال المستشرقين نستنبط أسس الفهرسة من أعمالهم، فمن فهارسهم المدروسة هنا نلحظ الأسس التالية :

الأوّل : المادّة :

ويكون بتمييز الكلمات ذوات الأهميَّة للفهرس لجمعها لتكون مادّته، وبحسب نوع الفهرس يكون نوع الكلمات المفهرسة، والفهارس أنواع كثيرة، مثل : الكلمات اللغويّة، الأعلام، الحيوان.

وما يعنينا هنا الفهرسة اللغويّة التي تتناول فهرسة الألفاظ اللغويّة في كتابٍ واحدٍ، أو عدّةِ كتبٍ، أو ألفاظ صنفٍ محدّدٍ من أصناف الكلام، كالشعر في عصرٍ محدّدٍ أو غيره ممّا يقبل الفهرسة.

الثاني : المداخل

ويكون باختيار المداخل التي تقع تحتها الكلمات الأخرى، والمدخل إما أنْ يكون جذرَ المادّة، أو يكون كلمةً كاملةً بحروفها الأصليّة والزائدة، بحسب المنهج المتّبع في الفهرس.

الثالث : الترتيب

ويكون بترتيب المداخل ترتيباً محدّداً يرتضيه المؤلّف ويسير عليه، وقد تكون المداخل هي الكلمات المفهرسة، دون ذكر مشتقاتها، أمّا إذا كانت المداخل من الموادّ الأصليّة فتأتي المشتقّات تحتها مرتّبة على ترتيب معيّن.

والفهرسة عريقة في العربيّة، حيث كان للعرب جهود كثيرة في الفهرسة في شتّى أنواعها : للأعلام والحيوانات والنباتات والمواضع واللغة.

لكنّ الذي يعنينا هنا جهود المستشرقين ومناهجهم فيها، لكونها جهداً يضاف على أعمالهم المعجميّة الأخرى.

ولكي تتّضح معالم مناهجهم في الفهرسة أقدّم دراسةً لثلاثةٍ من معاجمهم في الفهرسة : ونجوم الفرقان في أطراف القرآن، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ومفتاح كنوز السنة.

لعلّ هذا المختصر عن أسس الفهرسة لديهم أعطى صورةً واضحةً عنها، وفيما يلي من الصفحات أقدّم دراساتٍ عميقةً لأهمّ فهارسهم اللغويّة وهي: (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)، و (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ) و (مفتاح كنوز السنة).

نجوم الفرقان في أطراف القرآن[1] **- المستشرق الألماني جوستاف فلوجل** Gustav Flugel

---

(1) طبع المعجم للمرّة الأولى عام ١٨٤٢م، ثمّ أعيد طبعه في ليبزج عام ١٨٩٨م، وهي النسخة التي اعتمدت عليها في دراستي، والمؤلّف مستشرق ألماني درس اللغات الشرقية في جامعة ليبزج، ودرس على الفرنسي سلفستر دي ساسي في باريس، وقام برحلات علمية عديدة في بلاد أوربيّة. ينظر: موسوعة المستشرقين ص ٢٨٥ وما بعدها.

يُعدّ فلوجل (١٨٢٠–١٨٧٠) من كبار المستشرقين الألمان، وفهرسه اللغويّ لألفاظ القرآن الكريم من أقدم الفهارس اللغويّة للمستشرقين، فقد نشره في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، بينما صدر أوّل جزء من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في عام ١٩٣٦م، فبين المعجمين قرابة القرن، وهو دليل على قيمة معجم فلوجل، لسبقه غيره من المعاجم المفهرسة.

قال محمّد فؤاد عبد الباقي في مقدّمة (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)[١] معترفاً بسبق فلوجل في هذا الميدان :" وإذْ كان خير ما أُلّف وأكثره استيعاباً في هذا الفنّ، دون منازع ولا معارض، هو كتاب (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) لمؤلّفه المستشرق فلوجل الألماني، الذي طبع لأوّل مرّة عام ١٨٤٢ ميلاديّة، فقد اعتضدت به وجعلته أساساً لمعجمي "، وإقرار محمّد فؤاد عبد الباقي بقيمة هذا المعجم يدلّ على أنّه نهج نهجاً جديداً في الفهرسة اللغويّة، وبخاصّة للقرآن الكريم، واعترافه دليل على مدى ما استفاده منه في منهجه، وإنْ كان صوّب كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها فلوجل.

ولمعجم فلوجل شهرة واسعة بين المستشرقين، فتعداده للآيات – مع ما فيه من الأخطاء – هو المشهور لديهم، لعدم الاتّفاق على تعداد واحد في العالم الإسلامي في وقته، وممّن نبّه إلى شهرة تعداد فلوجل بين المستشرقين المستشرق الألماني برجستراسر[٢].

المداخل :

جعل الفعل الماضي مدخلاً أساسيّاً إذا كانت الكلمة قد اشتُقّ منها، وإنْ لم يُشتقّ منها لكونها اسماً أو حرفاً جعل صورتها التي وردت بها مدخلاً.

ورتّب المداخل على الترتيب الألفبائيّ المعروف، لكنه قدّم المضعّف العين واللام في بداية المادّة، على طريقة عدد من المستشرقين[٣]، ومن الأمثلة عليه من معجم فلوجل :

قدّم (دَكَّ) على (دَكَرَ)	ص ٦٨
= (رَقَّ) على (رَقَبَ)	ص ٨٣
= (لَجَّ) على (لَجَأ)	ص ١٧٢
= (جَدَّ) على (جَدَث)	ص ٤٢
= (بَرَّ) على (بَرَأ)	ص ٢٨
= (جَلَّ) على (جَلَب)	ص ٤٤
= (سَلَّ) ثمّ (سَلْسَل) على (سَلَب)	ص ٩٤
= (غَرَّ) على (غَرَب)	ص ١٣٥
= (قَرَّ) على (قَرَأ)	ص ١٥٠

ومن الاطّلاع على المعجم يمكننا تصنيف مداخله على نوعين :

◆ **الأفعال** : جعل المدخل بصيغة الماضي إنْ جاء منه فعل، مثل :

---

(١) طبعته دار الكتب المصريّة عام ١٣٦٤هـ القاهرة ص (هـ).

(٢) ينظر : أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١٨

(٣) سلك هذا المسلك واضعو (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي).**Error! Reference source not found.**

أَبَلَ، أَتى	ص ١
أَبْلَسَ، بَكِمَ	ص ٣٣
جَدَّ	ص ٤٢
جَزا	ص ٤٣
جابَ	ص ٤٧
رَفْرَفَ	ص ٨٣
زاجَ، زَمْهَرَ	ص ٨٧
قَرْطَسَ	ص ١٥١
لَحَدَ	ص ١٧٢

◆ **غير الأفعال**: وهي الكلمات التي لم يشتقّ منها، سواء الأسماء والحروف، مثل :

إبريق، إبرهيم	ص ١
بَكّة	ص ٣٣
جَدَث	ص ٤٢
جهنّم	ص ٤٧
زنجبيل	ص ٨٧
صَخْر	ص ١٠٧
قِسْطاس	ص ١٥٢
قِطْمير	ص ١٥٣
مَهْما	ص ١٨٧
هَلْ، هلمّ	ص ٢٠٥

الكلمات تحت المداخل:

وضع تحت المداخل الكلمات الواردة في القرآن على صورتها التي وردت فيه، دون ذكر الآية أو جزء منها، وهو ممّا زاد من صعوبة معرفة الآية المقصودة، حيث ذكر أمام الكلمة رقم السورة متبوعاً برقم الآية أو الآيات الواردة فيها تلك الكلمة.

لكنه رقّم الآيات دون اعتمادٍ على علم واضح فيها، فقد طبع مصحفاً لأجل عمله في المعجم، واعتمد على ترقيمه الذي وضعه لنفسه، وعنوان طبعته للقرآن الكريم: Corani textus arabicis [1].

ونبّه محمّد فؤاد عبد الباقي إلى الاختلاف في آلاف المواضع بين ترقيم فلوجل للآيات والترقيم الذي رُقّمت به الآيات في مصحف الملك فؤاد الأوّل.

---

(1) الطبعة الأولى في ليبزج ١٨٣٤، والثانية عام ١٨٤٢م، والثالثة عام ١٨٥٨م، وصارت هذه الطبعة هي المعتمدة عند المستشرقين في ترقيم الآيات. ينظر: موسوعة المستشرقين ٢٨٦

وعند ذكره الكلمات تحت المداخل فرّق بين صورها المختلفة، من حيث الإفراد والتثنية والجمع، واتصالها بالضمائر المتنوّعة إنْ كانت أسماء، وتصريفات الفعل المختلفة مع الضمائر المختلفة، أي بإيراد الكلمات على كلّ الصور التي وردت عليها والتفرقة بينها.

أمثلة على المداخل وما تحتها من الكلمات :

أورد هنا أمثلة على مداخل أساسيّة والكلمات التي تحتها، كما وردت في معجم فلوجل للاطّلاع على نموذج من المعجم :

المثال الأوّل من باب الألف :

أَبَّ / وأبّاً

أَبَدَ / أَبَداً

إبريق / وأباريق

إبرهيمُ / إبرهيمَ، بإبرهيمَ، لإبرهيمَ، وإبرهيمَ، إبرهيمَ، وإبرهيمَ.

أَبَقَ /

أَبَلَ / الإبْلِ، الإبِلِ، أبابيل.

أَبٌ / أبِي، لأَبِي، أَبا، أباً، أبَتِ، أبوكِ، أبوهما، وأبونا، أبوهم، لأبيهِ، وأبيهِ، أبينا، أبيكم، أبيهم، أباهُ، أبانا، أباكم، أباهم، أبواهُ، أبَوَيكَ، أبَوَيه، ولإبَوَيه، أبَوَيكم، آباؤنا، وآباؤنا، أَوَآباؤنا، آباءكم، وآباؤكم، آباؤهم [وضع الهمزة على السطر في الكلمات الثلاث الأخيرة]، آبائي [وضع الهمزة على السطر]، آبائكَ، آبائنا، بآبائنا، آبائكم، آبائهم، لآبائهم، آبائهنّ، آباءَنا، آباءَكم، آباءَهم، وآباءَهم. ص ١

المثال الثاني من باب الجيم :

جَذَّ / جُذاذاً، مجذوذ.

جَذَعَ / جِذْعٍ، بجِذْعٍ، جُذُوعٍ.

جَذا / جَذْوَةٍ.

جَرَّ / يجُرُّهُ.

جَرَحَ / جَرَحْتم، اجْتَرحوا، والجُروحَ، الجَوارِحِ.

جَرَدَ / جرادٌ، والجرادَ.

جَرَزَ / الجُرُزِ، جُرُزاً.

جَرَعَ / يتَجَرّعُهُ.

جَرَفَ / جُرُفٍ.

جَرَمَ / يَجْرِمنّكم، أجْرموا، أجْرمْنا، تُجرمون، جَرَمَ، إجرامي، المُجْرم، مُجْرماً، مُجْرمون، المُجْرمون، مُجْرمين، المُجْرمين، بالمُجْرمين، كالمُجْرمين، مُجْرميها. ص ٤٢–٤٣

من الأمثلة الماضية يتبيّن ما يلي :

◆ قدّم الأفعال على الأسماء، مثل تقديمه (جرحتم، اجترحوا) على (والجروح، الجوارح) في مادّة (جرح)، وكذا في مادّة (جرم) قدّم الأفعال على الأسماء.

◆ رتّب كل نوع من الأفعال والأسماء، فقدّم (جرحتم) الثلاثي على (اجترحوا) الخماسي، وقدّم (يجرمنّكم) الثلاثي على (أجرموا ...) الرباعي في الأفعال، وفي الأسماء قدّم (جرم) الثلاثي على مصدر الرباعي (إجرامي)، ثمّ اسم الفاعل من الرباعي (المجرم)، ثمّ جمعه بصور مختلفة، فهو قدّم الاسم المفرد ثمّ المثنى ثمّ الجمع.

ولإيضاح طريقته في ترتيب الكلمات التي تحت المداخل من الأفعال والأسماء، أورد هذه الأمثلة :

◆ في مادّة (جابَ) ذكر تحتها الصورة الوحيدة الواردة بصيغة الماضي (جابوا).

وذكر بعدها الرباعي مدخلاً فرعيّاً مع أنّه لمعنى آخر، فذكر الماضي ثمّ المضارع ثمّ الأمر مبنيّاً للمعلوم، ثمّ ذكر ماضي المبنيّ للمجهول، على النحو التالي : (أَجَبْتم، يُجيبُ، تُجبْ، أُجِيبُ، نُجبْ، أجيبوا، أُجيبتْ، أُجِبتمْ).

ثم ذكر السداسي (استجاب) بصوره المختلفة، الماضي والمضارع والأمر، مع الضمائر المختلفة.

ثم ذكر الاسم (جواب) ثمّ اسم الفاعل (مجيب) وجمعه. ص٤٧

◆ في مادّة (دخل) ذكر تحتها الماضي بصوره العديدة (دَخَل، دَخَلَتْ، دَخَلْتَ، دخلوا، دَخَلْتم، دَخَلَه، دَخَلوه، دَخَلتموه).

ثم ذكر المضارع أيضاً : (يدخل، لتدخُلُنّ، يدخلون، سيدخلون، وليَدخلوا، تدخلوا، يدخُلنّها، يدخلونها، يدخلوها، تدخلوها، ندخلَها).

ثم ذكر الأمر : (ادخلِ، ادخلي، ادخلا، ادخلوا، ادخلوها).

ثم ماضي المبنيّ للمجهول : (دُخِلَتْ).

ثم الرباعي مثل الثلاثي، ثمّ الأسماء ...

◆ في مادة (صبَرَ) ذكر الماضي الثلاثي مجرداً، ثمّ متّصلاً بالضمائر (صبروا، فصبروا، وصبروا، صبرتم، صَبَرْنا)، ثمّ المضارع مجرداً (ويَصبرْ، تَصبرُ) ثمّ متصلاً بالضمائر : (يصبروا، أتَصْبرون، تصبروا، نصبرَ، ولنصبرنّ) ثمّ الأمر (اصبرْ، فاصبرْ، واصبرْ، اصبروا، فاصبروا، واصبروا).

ثم جاء أمر الرباعي (وصابروا)، ثمّ أفعل التعجب (أَصْبَرَهم)، ثمّ أمر الخماسي (واصْطبرْ).

ثم المصدر (فصَبْرٌ، بالصبرِ، صبراً، صبرُكَ)، ثمّ اسم الفاعل للمذكر بحالاته المتعدّدة (صابراً، صابرون، الصابرون، الصابرين، والصابرين، للصابرين)، ثمّ اسم الفاعل للمؤنث (صابرة، والصابرات)، ثمّ صيغة المبالغة (صبّارٍ).

وهو هنا قدّم المذكر على المؤنث، ووضع أفعل التعجّب (أصبرهم) بين أمر الرباعي وأمر الخماسي، مع أنّه ماضٍ. ص ١٠٦

ويتّضح من الأمثلة السابقة ما يلي :

◆ البدء بالأفعال قبل الأسماء.

◆ ترتيب الأفعال على النحو التالي : الماضي، المضارع، الأمر، الثلاثيّة أوّلاً، ثمّ الرباعيّة، وهكذا، المبنيّة للمعلوم، ثمّ المبني للمجهول بتصريفاته.

◆ التفرقة بين الصور اللفظيّة للكلمة، فلا يكتفي بالتفرقة بين الصيغ الصرفيّة للكلمة كالماضي والمضارع والأمر، وإنما يفرّق بين الماضي بحسب اتّصال الضمائر وحروف العطف ونحوها، فلا يدمج بينها كما يفعل العرب، وإنما يجعل كل صورة على حدة، وإنْ كان الفارق بينها حرف عطف.

وممّا يُحمد للمؤلّف ما ظهر به من جَلَد في استقصاء مواضع الكلمة المفهرسة، وإنْ كانت الكلمة لا أهميَّة لها لكونها كثيرة الورود أو ضميراً أو حرفاً ونحوه، ومن الأمثلة عليه ما يلي :

◆ استقصى مواضع (في) مجرّدة فبلغت قرابة الألف موضع بأرقام آياتها، ثمّ مواضع اتّصالها بحروف العطف ونحوها، وهو دليل على جلده. ص١٤٥– ١٤٧

◆ استقصى مواضع (على) كاستقصائه المواضع السابقة. ص١٣٠– ١٣١

المآخذ على المعجم :

لا يشكّ منصف في قيمة عمل فلوجل، فقد تميّز عمله من بين المعاجم المفهرسة، وسبق كثيراً من العرب إلى هذا العمل، ولكونه أعجمياً فإنّ الوقوع في الزلل ليس غريباً، وبالأخصّ لكونه عملاً يعتمد على معرفة أصول الكلمات، فهو لم يرتّب الكلمات على صورتها التي هي عليها – كمعاجم اللغات الغربيّة – بل على أصلها الاشتقاقيّ، وهو ما سار عليه العرب.

وفيما يخصّ أصول الموادّ فإنّ الوقوع في الخطأ لم يسلم منه بعض العرب، للحاجة إلى معرفة الحروف الأصليّة والزائدة، لكي توضع الكلمة في موضعها الصحيح، ولذا فمن الاطّلاع على المعجم تتبيّن بعض المآخذ التي تخصّ هذا الجانب :

▣ **لم يفرّق بين الموادّ بالنظر إلى معانيها**، ولذا رتّبها بالنظر إلى المجرّد والمزيد دون فصل بين المعاني المختلفة، والذي جعله مأخذاً هو وضعه الفعل الماضي الثلاثي مدخلاً أساسيّاً، ووضعه الفعل الرباعي تحته، وكأنّه من مشتقاته، وكان الصحيح وضع مشتقات الثلاثي من أسماء وأفعال متوالية، مع التفرقة بين كل معنى وآخر، بل كان الأولى وضع مدخل خاصّ بالماضي الرباعي قياساً على الثلاثي، أو جعل الجذر الأصلي هو المدخل الأساسي، لكي يصحّ وضع جميع الصيغ تحته.

من الأمثلة على هذا المأخذ ما يلي :

◆ عدم تفريقه بين مادتين : (جابوا) بمعنى قطعوا، وتصريفات (أجابَ) من الإجابة، فذكرها جميعاً تحت (جابَ)، دون التفرقة بينها، وهو موهم أنّها راجعة إلى معنى واحد، والذي ألجأه إلى هذا وضعه المواد تحت الفعل الماضي، ولو أنّه جعل المصدر مدخلاً لكانت كلها تحت الواويّ (جوب)، فالأولى (جابوا) من (جابَ) الثلاثيّ، والثانية (أجابَ) رباعيّة.

◆ ذكر تحت (سَفَحَ) اسم المفعول (مسفوحاً) من الثلاثي (سُفِحَ)، ثمّ اسم الفاعل (مسافِحين، مسافِحاتٍ) من الرباعي (سافَحَ)، مع الاختلاف بين معنى الثلاثي والرباعي. ص ٩٣

◆ ذكر تحت (سَفَرَ) ماضي الرباعي (أسْفَرَ)، ثمّ الاسم الثلاثي (سَفَرٍ، وسفراً، سَفَرِنا) ثمّ جمعه (أسفارِنا، أسفاراً)، ثمّ (سَفَرَة) جمع (سافِر) أي كاتب، ثمّ اسم الفاعل (مُسْفِرَة). ص ٩٣

وهو هنا جمع بين ثلاثة معانٍ : السفر، والكتابة، والإشراق، دون أيّ تفرقة بينها.

◆ ذكر تحت (ساقَ) ماضي الثلاثي ثمّ المضارع بصوره العديدة، ثمّ الاسم (الساق) بحالاته المختلفة، ثمّ (الأسواق) جمع (سُوق)، ثمّ (سائق) اسم فاعل الثلاثي، ثمّ (المساق) من الثلاثي. ص ٩٨

فجمع هنا بين عدّة معانٍ : السَوْق، وساق الإنسان، والسُوْق، دون تفرقة بينها.

◆ تحت (سَبَّ) ذكر المضارع (فيسبّوا، تَسبّوا)، ثمّ ذكر الاسم (بسَبَبٍ، سَبَباً، الأسبابُ، الأسبابِ، أسبابَ، الأسبابَ). ص ٨٩

وجليّ هنا أنّ المعنيين ليس بينهما صلة، ولم يبيّن هذا الاختلاف.

▣ **مخالفته منهجه في ترتيب بعض المشتقات**، مثل الفعل الماضي ثمّ المضارع ثمّ الأمر، ومن الأمثلة عليه ما يلي :

◆ تحت (سَرَى) ذكر مضارع الثلاثي (يَسْرِ)، ثمّ أمر الرباعي (أَسْرِ، فأَسْرِ)، ثمّ ماضي الرباعي (أسْرى)، ثمّ الاسم (سَرِيّاً). ص ٩٣

وخالف منهجه هنا في تقديمه الأمر على الماضي، ولعله توهّم أنّ الأمر للثلاثي، لعدم تفريقه بين همزة الوصل لأمر الثلاثي (اسْرِ)، وهمزة القطع لأمر الرباعي (أَسْرِ).

▣ **وضع بعض الكلمات في مداخل غير مداخلها**، بسبب عدم معرفته الحروف الأصول من الزوائد، ومن الأمثلة عليه ما يلي[1] :

◆ وضع (مُؤصَدَة) تحت (أَصَدَ) ص ٩

لتوهّمه أنّ الهمزة أصليّة أخطأ في موقعها، والصحيح أنّ موضعها (وَصَدَ).

◆ وضع (فاسْتَبَقوا) تحت (بَقِيَ) ص ٣٣

والصحيح أنّها فعل خماسي من (سَبَقَ)، فموضعها (سَبَق).

◆ وضع (الأتْقى، أتْقاكم) تحت (تَقَى) ص ٣٨

فلتوهّمه أصالة التاء أخطأ في أصلها، والصحيح وضعها تحت (وَقى).

◆ وضع (كالجَوابِ) تحت (جابَ) ص ٤٧

توهّم أنّ الكلمة من (جابَ) من الجواب أي الإجابة، والصحيح أنّها جمع (جابِيَة)، فكان موضعها الصحيح تحت (جَبَى).

◆ وضع (المَخاضُ) تحت (خاضَ) ص ٦٤

وهي من المخض، فالميم أصليّة، فموضعها الصحيح تحت (مخض).

◆ وضع (ادّكَرَ، مُدّكِر) تحت (دَكَرَ) ص ٦٨

---

(1) أغلب المآخذ عن الخطأ في وضع الألفاظ في موضعها سبقني إليها محمّد فؤاد عبد الباقي رحمه الله، فقد ذكر أنه راجع معجم فلوجل كلمة كلمة، بالاستعانة بعدد من العلماء، فجمع الكلمات التي أخطأ فلوجل في مواضعها، لكنه عند ذكره تلك الألفاظ ذكر الجذر الثلاثي الذي أوردها فلوجل تحته، والجذر الصحيح الذي يجب أن توضع تحته، مع أن فلوجل لم يذكر الجذر الثلاثي مدخلاً وإنما ذكر الماضي الثلاثي – كما سبق ذكره –، ولذا فحينما آخذ محمّد عبد الباقي فلوجل على الخلط بين الواوي واليائي فإنه ذكر الجذرين الواوي واليائي، لبيان الجذر الذي أخطأ فلوجل في وضع الكلمة تحته، والجذر الصحيح الذي هو موضعها، وكان الأولى محاكمة فلوجل على منهجه الذي سلكه وارتضاه في معجمه. ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص (و، ز).

وهما من (ذَكَرَ) على وزن (افْتَعَل، مُفْتَعِل)، ولكن قُلبت الذال مع تاء الافتعال دالاً، فبسبب جهله هذه القاعدة الصرفيّة أخطأ في هذا الموضع، وكان الصحيح وضعهما تحت (ذكر).

◆ وضع (مَرْضى، المَرْضى) تحت (رَضِيَ) ص ٨٣

فبسبب توهّمه أنّ الميم زائدة أخطأ في موقعهما، فوضعهما مع (مَرْضِيّاً...)، وكان الصحيح وضعهما تحت (مَرِض).

◆ وضع (وَقَرْنَ) تحت (قَرَنَ) ص ١٥١

فبسبب عدم معرفته زيادة النون لكونها للنسوة أخطأ في موضعها، والصحيح أنّ موضعها تحت (قَرّ).

◆ وضع (مَهْلِكَ) تحت (مَهَلَ) ص ١٨٧

بسبب توهّمه زيادة الكاف وأصالة الميم، والصحيح أنّ الميم زائدة والكاف أصليّة، فهي مشتقّة من (هَلَكَ)، فالصحيح وضعها تحتها.

◆ وضع (وَأَهْلَكَ) تحت (هَلَكَ) ص ٢٠٥

فقد توهّم أنّها فعل ماضٍ رباعي، والصحيح أنّها (أَهْل) مضافة إلى كاف المخاطب، ووردت هنا مع واو العطف في موضعين في القرآن الكريم، وذكر قبلها (أَهْلَكَ) بدون واو في موضعين في القرآن فعلاً ماضياً رباعيّاً، ولذا فلتطابق الصورة فيهما توهّم أنّ (وأهلك) فعل رباعي.

◆ وضع عدداً من الكلمات في غير موضعها الصحيح، حيث خلط بين القاف والفاء، فقرأ بعضها بالقاف وهي بالفاء، وقرأ بعضها بالفاء وهي بالقاف، وسبب وقوعه في الخطأ قراءته القاف فاءً، وعكسها، لتقارب رسمهما، ومن الأمثلة عليه :

وضع (ليزْلِقُونكَ) بالفاء تحت (زلف) ص ٨٧

وضع (زَلَقاً) بالفاء تحت (زلف) ص ٨٧

وضع (إلْحافاً) بالقاف تحت (لحق) ص ١٧٢

▣ **سبق بيان أنّ فلوجل جعل الماضي مدخلاً أساسيّاً**، وذكر تحته مشتقات الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي من الأسماء والأفعال، وكان اتّخاذه الماضي مدخلاً سبباً في عدّة مآخذ عليه:

كان الأولى أنْ يكون المدخل هو الجذر الثلاثي، لكونه الأصلَ للمزيد من المشتقات الرباعيّة والخماسيّة والسداسيّة، فلا يصحّ منه أنْ يكون الماضي الثلاثي أصلاً للرباعي وما بعده، فماضي الثلاثي أصل للمشتقات الثلاثيّة، فكان الأولى – على منهجه – وضع ماضي الرباعي مدخلاً للمشتقات الرباعيّة، وكذا الخماسي والسداسي.

وترتّب على منهجه السابق أنْ التزم في الفعل الأجوف أنْ يذكر الماضي مرّتين، مرّة للواوي ومرّة لليائي، وهو ما يحدث لبساً عند المطّلع، وتسبّب بوقوعه في بعض الأخطاء، كوضع الكلمة في الواوي وهي في اليائي، أو عكسه، ولو أنّه جعل الجذر مدخلاً لسلم من هذه الأخطاء، ومن المواضع التي ذكر فيها مدخلين للواوي واليائي :

◆ ذكر (عارَ) الواوي، ثم ذكر اليائي مستقلاً. ص ١٣٤

والفرق بينهما يتّضح في المضارع والمصدر.

◆ ذكر (سارَ) الواوي ص ٩٨، ثم ذكر اليائي ص ٩٩

◆ ذكر (طارَ) الواوي ص ١١٦، ثم اليائي ص ١١٧

ولسلوكه هذا النهج فقد أخطأ في وضع كثير من الألفاظ بين الواوي واليائي، فقد كان اتّحادهما في صورة الماضي سبباً في وقوع الخلط بينهما، ومن صور الخلط ما يلي :

◆ ذكر (زالَتْ) اليائيّة الناقصة تحت (زال) الواويّة التامّة.ص٨٧–٨٨

◆ ذكر (سائِبَة) تحت (سابَ) الواوي، والصحيح أنّها يائيّة، ولكنه لم يذكر مدخلاً لليائي لأنّه لم يضع إلاّ هذه الكلمة تحت المدخل. ص ٩٨

◆ ذكر (طائِفٌ) تحت (طافَ) اليائي، والصحيح وضعها تحت الواوي.ص ١١٧–١١٨

◆ ذكر (عِيْداً) تحت (عادَ) اليائي، والصحيح وضعها تحت الواوي. ص ١٣٤

◆ ذكر (وأعانَهُ) تحت (عانَ) اليائي، والصحيح وضعها تحت الواوي. ص ١٣٤–١٣٥

◆ ذكر (قائلون) تحت (قال). ص ١٥٧

ولم يذكر إلاّ صورة واحدة جمع تحتها الواوي واليائي، وهو خلل في منهجه الذي سار عليه بوضع مدخلين، و (قائلون) يائيّة من (قال يقيل)، فكان الأولى – على منهجه – فصلها عن (قال يقول).

من تلك المآخذ يظهر أنّ علم فلوجل بأصول الألفاظ العربيّة ضعيف، فقد جَهِل معرفة أصول ألفاظٍ مشهورةٍ في اللغة، وهو دليل على أنّ تفوّقه في عمله لم يأتِ من إجادته العلم بالألفاظ وأصولها، وإنما ما سلكه من منهج الفهرسة اللغويّة، وقد كانت ألفاظ القرآن الكريم بحاجة إلى فهرس يجمعها، فكان عمل فلوجل من الأعمال القليلة التي لَبّتْ هذه الحاجة.

وفي دراستنا هذا النموذج اطّلاعٌ على أحد جهود المستشرقين، وهو جهدٌ كبيرٌ تميّز بدقّته وعمقه في جوانب مع عدم خلوّه من الأخطاء، ولا غرابة فيه فهذا العمل تناول الألفاظ اللغويّة تناولاً ينظر إلى أصولها، ولكونه أعجميّاً يزول كثيرٌ من العجب لأنّه صنّف في غير لغته، ويبقى بعد ذلك الجهد الكبير المشهود في معجمه.

مداخل المعجم :

جعل مداخله غير مجرّدة من الزوائد وإنما بتمامها، ووضعها من عنده بحسب موضوع الحديث المشار إليه، ولذا فلا وجود للحديث أو جزء منه، بل هي مداخل موضوعة وتحتها مداخل فرعيّة غير مرتّبة , وتحتها الإشارة إلى مواضع الحديث في الكتب.

أمّا عن نوعها فلم يلتزم بنوع معيّن من الكلمات، ولذا جاءت أنواعاً، أذكر بعضاً منها، محاولاً تصنيفها تحت عدّة أنواع، منها :

◆ **أعلام**، مثل :

آدم عليه السلام	ص ١	ابن خطل ص ١٠
أبراهام	ص ٧	ابن صياد ص ١٠
جبريل	ص ١٠٩	أبو أيوب ص ١١
زينب بنت خزيمة	ص ٢٢٦	مدائن صالح ص ٤٦٠

الله	ص ٥٧	ذات السلاسل ص ٢٠٠
الفِجار	ص ٣٨١	عبد المطلب بن هاشم ص ٣٢٩

◆ **معرّف بالألف واللام** : (يسقطهما في الترتيب)

(مفردات) : الأرض	ص ٣٢	الحُبّ ص ١٣٩
الريق	ص ٢١٧	اللباس ص ٤٢٣
(جموع) : الآنية	ص ٢	الصفوف ص ٢٦٦
الخياطون	ص ١٨٣	الفرائض ص ٣٨٤
(مصادر) : الأكل	ص ٥٦	العقوبة ص ٣٤٩
الإحرام	ص ٢٢	الدعاء ص ١٨٨
السعي	ص ٢٣٨	الحمدلة ص ١٦٣
البسملة	ص ٧٧	

ترتيب المداخل :

رتّب فنسنك معجمه على ترتيب خاصّ مخالفاً (المعجم المفهرس) في بعض المسائل، ويمكننا ذكر أهم أسس ترتيبه المداخل :

◆ رتّب المداخل ترتيباً ألفبائيّاً.

◆ أغفل الألف واللام في الترتيب، ورتّب الكلمات على ما بعدهما من حروف.

◆ راعى ما يضاف إلى الأعلام مثل (أبو) و (أمّ) و (ابن)، فأدخلها في الترتيب، وللتمثيل عليه أورد بعض الأمثلة :

▪ وضع (ابن) في الألف والباء بعد (إبليس)، فجاء بعده (ابن آدم)، (ابن أمّ مكتوم)، (ابن خطل)، (ابن صيّاد)، (ابن عباس)، (أُبْنى) ... ص ١٠–١١

▪ وضع (أبو) في الألف والباء بعد (الأبواء)، فجاء بعده (أبو أيوب)، (أبو بكر)، (أبو جهل)، (أبو حازم) ... ص ١١–١٥

▪ وضع (أم) في الألف والميم بعد (الأمراء والسلاطين)، فجاء بعده (أمّ سلمة)، (أمّ سليم)، (أمّ عمارة)، (أم كلثوم بنت النبيّ صلى الله عليه وسلم) ... ص ٦١–٦٢

◆ لم يسلك مسلك المستشرقين في تقديم مضعّف العين واللام في بداية المادّة، بل وضعه في مكانه الصحيح، مع أنّه سلك في المعجم المفهرس مسلكهم، وقد يكون السبب في طريقته هنا أنّ مداخله أسماء ليست أفعالاً، وللتمثيل عليه أورد بعضها :

▪ وضع (العقيقة) بعد (العقل)، ثمّ (العقوبة). ص ٣٤٧–٣٤٩

▪ وضع (فكّ الرقبة) قبل (الفكر) في بداية الفاء والكاف، وهو بهذا قدّم المضعف على غيره، والذي يظهر لي أنّه نظر إلى صورة الكلمة وهي الفاء والكاف والراء في (فك الرقبة). ص ٣٨٥

◆ لم يسلك طريقاً واضحاً في المداخل، من حيث لزومها صورة واحدة في الإفراد والجمع، فقد تأتي بعضها مفردة وبعضها جمعاً دون سبب مقنع، ومن أمثلته :

▪ وضع (المساجد) بالجمع، مع أنّ العناوين الفرعيّة بالإفراد. ص ٤٦٧

ولكنه وضع بعد المدخل السابق بعناوينه الفرعيّة (المسجد الأقصى)، (المسجد الحرام)، (المسجد النبوي). ص ٤٧١

▪ وضع (المسلمون) بالجمع، وعناوينه بالجمع والمفرد. ص ٤٧٢

مثال من المعجم :

لكي تتّضح طريقته في ترتيب المداخل أورد مدخلاً مع موضوعاته الفرعيّة، ثمّ عدّة مداخل مجرّدة، لتكون مثالاً واضحاً من المعجم :

بدأ الكتاب بـ (آدم عليه السلام) ثمّ ذكر موضوعاتٍ تحته، وتحت كلّ موضوع أحاديثه بأرقامها ومواضعها، وموضوعاته على النحو التالي :

احتجاج آدم وموسى.

آدم في السماء الأولى.

ما كان من عذب الأرض في خلقه وما كان من مالحها.

كيف صنع الله بطينته.

في يوم جمعة خُلق آدم وأسكن الجنة وأهبط منها.

طول قامته.

لا تقتل نفس ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأوّل كفل من دمها.

خلقه من قبضة قبضها الله من جميع الأرض.

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم.

هبة آدم لداود أربعين عاماً من عمره.

تسليم آدم على الملائكة وتسليمهم عليه.

هبوطه من الجنة واجتماعه بحواء وحجه إلى مكّة ونسكه.

الشجرة التي أكل منها هي الكرم.

آدم أوّل الأنبياء.

بناؤه المحراب بمكّة.

خبر أولاده.

وفاته ودفنه.

وبعد موضوع (آدم عليه السلام) بموضوعاته الفرعيّة، يأتي ما يليه من الموضوعات، وتحت كلّ موضوع موضوعات فرعيّة، وسأسرد عدداً من الموضوعات التالية للموضوع السابق دون ذكر ما تحتها من موضوعات فرعيّة :

آدمي	آل محمّد ص
آمنة	آمين
الآنية	الأئمة

الأب	الأبدال – انظر: بدل
أبراهام – هو إبراهيم	إبراهيم الخليل عليه السلام
إبراهيم بن النبي ص	أبرهة الأشرم
الإبل	إبليس

وهكذا تتوالى الموضوعات، ويتّضح أنّها من وضع المؤلّف، وليست من كلمات الحديث كما في المعجم المفهرس[1].

قال أحمد محمّد شاكر في تعريفه بالكتاب :" وقد رتّب الأستاذ فنسنك كتابه على المعاني والمسائل العلميّة والأعلام التاريخيّة، وقسّم كلّ معنى أو ترجمة إلى الموضوعات التفصيليّة المتعلقة بذلك، ثمّ رتّب عناوين الكتاب على حروف المعجم، واجتهد في جمع ما يتعلق بكلّ مسألة من الأحاديث والآثار الواردة في هذه الكتب "[2].

خاتمة

ما مضى من الدراسة كشف بعض مناهج المستشرقين في الفهرسة اللغوية للقرآن الكريم والحديث الشريف، ويمكن الخروج من دراسة الكتب الثلاثة فيها بعدد من النتائج أجملها فيما يلي:

- دراسة مناهج الفهرسة اللغويّة لدى المستشرقين عرّفتنا بطرقهم في اختيار مداخل الفهرسة، ومناهج ترتيبها، ومعالجتهم للألفاظ العربيّة وترتيبها، ومعرفة أصولها والحروف الزوائد فيها.
- عرفنا من دراسة أعمالهم ما وقعوا فيه من الأخطاء الناتج أكثرها من عجمتهم وجهلهم بأصول العربية.
- من أبرز ما يميّز تلك الأعمال اتكاؤها على مناهج علميّة هي في مجملها تسعى إلى ضمان السير على خطى واضحة في البحث العلمي، ومع سبق علماء المسلمين إلى بعض ملامح تلك المناهج لكنّ المستشرقين اعتنوا بتطبيقها في أعمالهم الحديثة، وهو ما ميّزها عن العديد من أعمال العرب في بدايات الحركة العلمية في العصر الحديث.
- لأهمية اللغة العربية تأتي أهمية النظرة اللغوية عند الحكم على الأعمال العلمية المتصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وقد تبيّن من البحث أنّ الضعف في اللغة يؤدّي إلى أخطاء علمية.
- عند دراسة أعمال المستشرقين المتصلة بالنصوص العربية – والقرآن والحديث منها- تأتي أهمية النظرة العميقة لإبصار جوانب الإجادة للاستفادة منها، وجوانب الضعف لتجنّبها، مع الحاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية المعمّقة للكشف عن المزيد منها.

لعل فيما سبق ما يسدّ حاجةً قائمةً إلى الدراسات العلمية المنصفة لأعمال المستشرقين للنصوص الشرعية. أسأل الله عزّ وجلّ أنْ ينفع بهذا الجهد القليل، وأنْ يكون إسهاماً يسيراً في حقّ العربيّة علينا، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصادر البحث

---

(1) ينظر عن المداخل السابقة : مفتاح كنوز السنة ص ١–٨، ط مركز النشر في مكتب الإعلام الإسلامي – صفر ١٤٠٤هـ.

(2) السابق ص (غ).

١. أصول نقد النصوص ونشر الكتب – برجستراسر - دار المريخ للنشر – الرياض عام ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م .
٢. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي – د. سعد المرصفي، ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، دار القلم للنشر والتوزيع – الكويت .
٣. تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك- أحمد شاكر، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، مكتبة السنة، القاهرة.
٤. سنن أبي داود – كتاب السنة، رقم الحديث (٤٦٨٢) الجزء (٤) ص ٢٢٠، راجعه محمّد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستنبول – تركيا.
٥. صحيح البخاري بشرح الكرماني – الجزء (٤) كتاب الصلاة ص ١٠٣، ط الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار إحياء التراث العربيّ – بيروت.
٦. صحيح مسلم بشرح النووي – الجزء (٦) ص ١٣٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٧. كتاب الموطأ – مالك بن أنس ص ٢٤٤، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٨. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي – فنسنك وآخرون – سبعة أجزاء - مكتبة بريل – ليدن ١٩٣٦-١٩٦٩م .
٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصريّة ١٣٦٤هـ القاهرة.
١٠. مفتاح كنوز السنة – فنسنك – ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، ط مركز النشر في مكتب الإعلام الإسلامي – صفر ١٤٠٤هـ .
١١. موسوعة المستشرقين – د. عبد الرحمن بدوي، ط الثانية ١٩٨٩م – دار العلم للملايين – بيروت.
١٢. بحث (ترجمة المقدمات الفرنسية للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي- د. أحمد الطيب) مجلة مركز بحوث السنة والسيرة – العدد (١) ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ص ٢٣٩–٢٩٥

٣٤. أسلوب النهي في الحديث النبوي الشريف دراسة نحوية دلالية

د. علي بن فايز أبوهاشم الشهري

(عميد كلية العلوم والآداب في بلقرن، جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية)

مقدمة

قرر النحويون أن الحديث النبوي هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم للتقعيد النحوي، وإن لم يلتزم النحويون الأوائل عمليا بهذا التقرير، فنجد استشهادهم بالحديث النبوي في التقعيد النحوي قليلا، ولا يمكن بحال أن يضاهيَ اعتمادهم على الشعر، ومع ذلك يظل الحديث النبوي الشريف مقصدا لدارسي اللغة العربية والباحثين فيها، لكونه مصدرا خصبا يحوي مادة لغوية ثرية، تمثل المقام الرفيع في الفصاحة والبيان، يدركها من كانت له فطرة لغوية سليمة، أو أوتي ذوقا رفيعا.

وقد اشتمل البحث على دراسة أسلوب النهي دراسة نحوية ودلالية، ونعلم أنَّ "الدرس الحديث ينزع إلى عدم التفرقة بين الجانب النحوي والجانب الدلالي، إذ أصبحت الدلالة جزءا من النظرية النحوية".[١]

والدراسة الدلالية لا تعتمد على تراكيبَ محددةِ الدَلالة، بل لا بد من تأثير السياق، مثل وجود عناصر لغوية سابقة أو لاحقة، في تحديد دلالة الجملة، والحديث النبوي مليء بالسياقات اللغوية التي تسهم في تحديد دلالة الجملة، فقد تأتى سابقةٌ أو لاحقةٌ تصرف دَلالة التركيب عما هو معهود له.

لذا قصدت الحديث النبوي الشريف مجالا لتطبيق هذه الدراسة، فاخترت عددا من أحاديث المصطفى الصحيحة، المشتملة على أساليب النهي؛ بهدف الكشف عن هذا الأسلوب في أقواله صلى الله عليه وسلم، وقد اقتصرت في اختياراتي على الصحيحين، صحيح البخاري وصحيح مسلم.

ويحوي هذا البحث مبحثين ، أولهما في الكلام على النهي وصيغته وما يتعلق بها من أحكام، وقد حاولت في هذا المبحث أن أستشهد ببعض الأحاديث النبوية على ما قرره النحويون من قواعد في هذا الباب.

وثانيهما في الكلام على نظام جملة النهي في الحديث النبوي الشريف، تناولته في نمطين هما: النهي المؤكد، والنهي غير المؤكد، مع ذكر الصور المتعددة لكل نمط منهما، وتحليل هذه الصور الواردة في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم.

ويقوم التحليل على بيان نظام تركيب جملة النهي، مع الكشف عن الوظيفة السياقية، الشكلية والدلالية، وتحديد الموقع السياقي لجملة النهي، مع الإشارة إلى الظواهر السياقية المصاحبة للنهي، التي تؤثر فيه أو تتأثر به لفظياً أو دلالياً.

واشتملت خاتمة البحث على أبرز النتائج التي أفرزتها الدراسة.

المبحث الأول

تعريف النهي:

---

(١) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: ٤٥.

معناه في اللغة: المنع، ومنه سُمِّي العقل نُهْيَة؛ لأنَّه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب ويمنعه[١]، والنَّهي من أنواع الإنشاء الطلبي، وهو ضد الأمر.

ويُعرِّفه النحويون بأنَّه: طلب الكفِّ عن الفعل، أو الامتناعُ عنه على وجه الاستعلاء والإلزام[٢].

ويُقسم النهي إلى قسمين:

أ-النهي الحقيقي: وهو النهي الصادر من الأعلى مرتبة إلى الأدنى، نحو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ)[٣] ، وقوله تعالى: (فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)[٤]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً)[٥].

ب-النهي المجازي: وهو خروج النهي من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي ليفيد غرضا من الأغراض منها:

١-الالتماس: وهو النَّهي الصادر بين مرتبتين متساويتين، كقول الشاعر[٦]:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتأتيَ مِثْلَهُ عَارٌ علَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

٢-الدعاء: وهو صدور النهي من الأدنى إلى الأعلى نحو قوله تعالى: **(رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)**[٧] ، وقول الشاعر[٨]:

إلهي لا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بالَّذي قَدْ كانَ مِنِّي

وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ(لا الناهية) الجازمة.

وتختص (لا) الناهية بالدخول على الفعل المضارع فتجزمه[٩]، قال تعالى: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ

---

(١) القاموس المحيط: نهي، ولسان العرب: نهي.

(٢) مغني اللبيب: ٣٢١، وعلم المعاني، عبدالعزيز عتيق: ٩٠.

(٣) الحُجُرات:١١.

(٤) الشعراء:٢١٣.

(٥) آل عمران:١٣٠.

(٦) ينسب لأبي الأسود الدؤلي ولحسان بن ثابت وللأخطل.

انظر: ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٣٠، وكتاب سيبويه: ٤٢/٣، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي: ١٨٨/٢.

(٧) البقرة:٢٨٦.

(٨) ينسب لأبي العتاهية كما في "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص": ٢٩٧/٢.

وهناك معان أخرى يذكرها البلاغيون، منها:

التهديد والتحذير، نحو قوله تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) [آل عمران:٢٨]. وقوله تعالى: (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا)[الإسراء:٣١].

الإرشاد، نحو قوله تعالى: (ولا تمش في الأرض مرحا) [الإسراء:٣٦].

الدوام، نحو قوله تعالى: (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) [إبراهيم:٤٢].

بيان العاقبة، نحو قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)[آل عمران:١٦٩].

التيئيس، نحو قوله تعالى: (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) [التوبة:٦٦].

التمني، مثل: يا ليلة الأنس لا تنقضي.

الكراهة، مثل: لا تلتفت وأنت في الصلاة.

الائتناس، نحو قوله تعالى: (لا تحزن إن الله معنا)[التوبة:٤٠].

التحقير، نحو قول الشاعر: دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

(٩) علل النحويون جزمها بالحمل على فعل الأمر، لأنه ضد النهي، والشيء يحمل على ضده، كما يحمل على نظيره، والأمر مبني على الوقف فجعل نظيرا له في اللفظ. أسرار العربية: ١٧٢، ومفتاح العلوم:٣٢٣.

أَخْطَأْنَا)[١].

وتسمى (لا) الطلبية[٢]، وتجزم المضارع بشرطين : أولهما عدم وجود فاصل بينها وبين الفعل، وثانيهما ألا تسبقها إنْ الشرطية أو إحدى أخواتها من أدوات الشرط، فإنْ سُبقت أصبحت نافية غير جازمة[٣].

ولا يُفصل بينها وبين مجزومها إلا بالفضلة، نحو: لا اليوم تضرب زيدا، وهو قليل، وخصه بعضهم بالضرورة الشعرية، نحو قول الشاعر:

وقالوا أخانا لا تخشعْ لظالم عزيز ولا ذا حقَ قومك تظلم[٤]

و(لا) الناهية أصل بنفسها على الراجح[٥].

وتدخل كثيرا على المضارع المبني للمعلوم للمخاطب، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء)[٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا)"[٧].

وعلى المبني للمعلوم للغائب[٨]، نحو قوله تعالى: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ)[٩]. وقوله تعالى: (لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)[١٠]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا يَزِيدَنَّ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبَنَّ عَلَى خِطْبَتِهِ وَلَا تَسْأَلْ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَكْفِئَ إِنَاءَهَا"[١١].

وتدخل (لا) الناهية على الفعل المبني للمجهول سواء أكان لمتكلم أو غائب أو مخاطب، نحو: لا أُخْرَجْ، ولا تُخْرَجْ، ولا يُخْرَجْ زيد، وتدخل كثيرا على المبني للمعلوم للمخاطب ، لأنَّ المنهي غيرُ المتكلم، وهو الفاعل المحذوف النائب عنه ضمير المتكلم[١٢].

ودخولها على المبني للمعلوم للمتكلم قليل[١٣]، نحو قوله صلى الله عليه وسلم:" لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لاَ نَدْرِى مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ

---

(١) لقمان:١٣.

(٢) الجنى الداني :٣٠٠، ورصف المباني: ٣٣٩، ومغني اللبيب: ٣٢٣.

(٣) النحو الوافي: ٤٠٩/٤.

(٤) شرح الكافية الشافية ١٥٧٨/٣، وشرح الأشموني:١٠/٤، وهمع الهوامع: ٥٦،٧١/٢.

(٥) من النحويين من زعم أن أصلها لام الأمر زيد عليها ألف، فانفتحت اللام لأجلها، ويرى السهيلي أنها (لا) النافية، وأنَّ الجزم في الفعل بلام الأمر مضمرة قبلها، وحذفت كراهة اجتماع لامين في اللفظ.

مغني اللبيب ٢٤٨/١، وارتشاف الضرب ١٨٥٧/٤-١٨٥٨، ، والجنى الداني ٣٠٠،وشرح الأشموني: ٥٧٤/٣، وهمع الهوامع: ٥٦/٢.

(٦) الممتحنة:١.

(٧) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٤١٢٥).

(٨) البحر المحيط: ١١٢/٥.

(٩) التوبة:١٢٠.

(١٠) آل عمران:٢٨.

(١١) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٢٥٢٢).

(١٢) شرح الأشموني: ٩/٤.

(١٣) التسهيل: ٢٣٥، وشرح التسهيل: ٦٢/٤، والبحر المحيط ٤٤/٤.

اتَّبَعْنَاهُ"[١].

وهو من الجواز بالنَّهي عن الفعل المقصود به في الحقيقة إلى ما يلزمه، نحو: لا أَرَيَنَّكَ هَهُنَا – قال الرضي: "وقد جاء في المتكلم قليلا وذلك كقولهم: لا أَرَيَنَّكَ هَهُنا؛ لأنَّ المنهيّ في الحقيقة هو المخاطب، أي: لا تَكُنْ هَهُنا حتى لا أَراك"[٢].

فالمعنى في الحديث المتقدم نهي المخاطبين عن ذلك الفعل حتى لا يراهم على تلك الحالة.

ومن ذلك قول النابغة الذبياني[٣]:

لا أَعْرِفَنْ رَبْرَباً حُوْراً مَدَامِعُها مُرَدَّفَاتٍ عَلَى أعْقَابِ أكْوَارِ

وقول الشاعر[٤]:

إذا ما خَرَجْنَا مِنْ دِمَشْقَ فَلا نَعُدْ لَهَا أَبَداً ما دَامَ فِيْهَا الجُرَاضِمُ

ويضعف دخولها على المبني للمعلوم للغائب، نحو: لا يَخْرُجْ زيد.

وتُخَلِّصُ لا (الناهية) الفعل المضارع للاستقبال، فإن قلت: لا تَفْعَل الآن، فعلى معنى تقريب المستقبل إلى الحال[٥].

وجوَّز ابن عصفور وأبو الحسن الأُبَّذي حذفَ الفعل بعدها إذا دل عليه دليل وتبعته (لا)، نحو: اضرب زيداً إنْ أساء وإنْ لا فلا، أي: فلا تَضْرِبْهُ[٦]، ومن شواهد الحديث النبوي على ذلك ما ورد في حديث الراهب، من قوله صلى الله عليه وسلم: "قَالُوا نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ"[٧].

قال ابن مالك: "في قول جريج: (لا إلا من طين) شاهد على حذف المجزوم بـ(لا) التي للنهي، فإنَّ مراده: لا تبنوها إلا من طين"[٨].

ويختلف معنى لا الناهية بحسب ما توجه إليه، فإنْ كان الطلب موجها من أعلى درجة إلى أدنى درجة سميت بالناهية، وإن كان موجها من الأدنى إلى من هو أعلى سميت دعائية[٩].

وتُسْتَعْمَل (لا) الناهية في الدعاء كثيراً، قال سيبويه:"واعلم أنّ هذه اللام و(لا) في الدعاء بمنزلتهما في الأمر والنهي، وذلك كقولك: "لا يَقْطَعِ اللهُ يَمِينَك، وَلْيَجْزِكَ خيرا"[١٠].

ومن الشواهد من الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم:"اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ

---

(١) سنن أبي داود ٤٦٠٠.

(٢) شرح الكافية للرضي: ٨٩/٤، ارتشاف الضرب: ١٨٥٨/٤.

(٣) ديوانه: ١٢٣، وينظر أوضح المسالك: ١٩٨/٤، وحاشية الصبان: ٤/٤.

(٤) ينسب للوليد بن عقبة وللفرزدق، شرح التسهيل٦٣/٤، ومغني اللبيب: ٢٤٧.

(٥) مغني اللبيب: ٣٢٣، ورصف المباني: ٢٦٨.

(٦) المقرب: ٣٠٣-٣٠٤، وهمع الهوامع: ٤٤٥/٢.

(٧) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٣١٨١).

(٨) شواهد التوضيح والتصحيح: ١٩٧.

(٩) رصف المباني: ٢٦٩، والنحو الوافي ٤٠٨/٤.

(١٠) الكتاب ٤٠٨/١ بولاق.

عَلَى أَعْقَابِهِمْ[١].

ويجوز دخول (لا) التي للدعاء على الماضي ويكون معناه إذ ذاك الاستقبال، نحو: لا غفر الله لزيد ولا رحمه، قال الشاعر:

ألا لا بارَكَ اللهُ في سُهَيْلٍ إذا ما اللهُ بَارَكَ في الرِّجالِ[٢]

ومثل قولهم: لا خيبك الله، ولا رحم الكافر[٣].

وإحالة لا الناهية لسياق الجملة إلى زمن المستقبل غالبا ما يكون قريبا من الحال، ولذلك فهي تدل على المستقبل البسيط[٤].

قد يتوجه النهي في اللفظ إلى شيء ويكون المراد نهي المخاطب عن طريق المجاز من باب ذكر المسبب وإرادة السبب نحو قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ)[٥] "، فقد نهى الشيطان، والمراد نهي المخاطبين عن الإصغاء إلى الشيطان.

ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ الْعِشَاءِ فَإِنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعِشَاءُ وَإِنَّهَا تُعْتِمُ بِحِلَابِ الْإِبِلِ"[٦].

فالنهي في الحديث حقيقة موجه إلى المخاطبين، وليس إلى الأعراب.

وتحتمل (لا) في بعض المواضع أنْ تكون ناهية وأنْ تكون نافية.

فإذا ولي أنْ الصالحة للتفسير مضارع معه (لا) جاز رفعه على تقدير (لا) نافية، وجزمه على تقديرها ناهية، وتكون أنْ مفسرةً، ونصبُه على تقدير لا نافيةً وأنْ مصدريةً[٧]، نحو قوله تعالى: **(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا)**[٨].

ومنه ما ورد في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي"[٩].

ففي قوله: "لا تطوفي"، يجوز نصب الفعل على تقدير لا نافية، وجزمه على تقديرها ناهية.

ويشار هنا إلى أنَّ الأدوات النحوية لا تحمل معنى في ذاتها، وإنما يتحدد معناها في إطار الجملة الواردة فيها، والسياق هو ما يبين المعاني المجازية لها.

وقد ترد لا الناهية في سياقات تخرجها عن معناها الحقيقي الموضوعة له، ولا يمكن التعرف على

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم: (١٢١٣)، وصحيح مسلم، الحديث رقم:(٣٠٧٦).

(٢) رصف المباني ٢٧٠، الخصائص: ١٣٤/٣، الممتع: ٦١١.

(٣) نتائج الفكر: ١٤٥، ورصف المباني: ٩٢.

(٤) الدلالة الزمنية في الجملة العربية، علي جابر المنصوري، الدار العلمية الدولية، ط١، عمان الأردن، ٢٠٠٢م، ص٩٤.

(٥) الأعراف:٢٧.

(٦) صحيح مسلم، الحديث رقم: (١٠١٩). قال السيوطي: "الأعراب يسمونها العتمة لكونهم يعتمون بحلاب الإبل أي يؤخرونه إلى شدة الظلام وإنما اسمها في كتاب الله العشاء في قوله تعالى: (ومن بعد صلاة العشاء)[النور:٥٨]". شرح صحيح مسلم: ٢٨٧/٢.

(٧) مغني اللبيب ٢٤٨/١، وارتشاف الضرب ١٨٥٧/٤-١٨٥٨، ، والجنى الداني٣٠٠. وانظر معاني القرآن للفراء: ٣٦٤/١، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ٣٤٩/١، والتبيان للعكبري:٥٤٨/١.

(٨) الأنعام:١٥١.

(٩) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٢٩٣).

المعنى المراد منها وهي بمعزل عن السياق[1].

نظام جملة النهي في الحديث النبوي

ويقصد به التركيب النحوي ، ولا يخلو من : (لا الناهية + الفعل المضارع)، ولهذا النظام نمطان رئيسان، ولكل نمط صور متعددة، يحاول البحث اكتشافها من خلال نصوص الحديث النبوي الشريف، وبيان تغير دلالة النهي في الصور المختلفة.

النمط الأول لجملة النهي: النهي المؤكد وله صور:

١- لا الناهية + الفعل المضارع اللازم.

مثال: النهي للغائب المعلوم، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يَبُوْلَنَّ أَحَدُكُمْ في الماءِ الدَّائِمِ الَّذِي لا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فيه"[2].

لا الناهية + يَبُوْلَنَّ (فعل مضارع لازم للغائب مؤكَّد بالنون الثَّقيلة) + فاعل (اسم ظاهر معرفة) +جار ومجرور.

الأثر الإعرابي لأداة النهي هنا هو الجزم للفعل المضارع، وهذا الأثر ليس ظاهرا، لأن الفعل جاء مبنيا على الفتح لاتصال نون التوكيد به.

الدلالة الزمنية هنا على المستقبل، والزمن المقصود هو المستقبل القريب، يضاف إلى ذلك أنَّ نون التوكيد الثقيلة، قد لحقت المضارع مع لا الناهية فخلصته للاستقبال، لأنَّها إنما تتصل بالمضارع فتُؤكِّد وقوعه مستقبلا.

والوظيفة السياقية للجملة هنا هي التأسيس لمعنى النهي، وفيما يتعلق بالموقع السياقي لجملة النهي في هذا الحديث فقد جاءت جملة النهي استفتاحية، بُدِئَ بها الكلام.

والظاهرة السياقية المصاحبة المؤثرة في هذا النمط هي نون التوكيد، ولها تأثير في الإعراب وفي الدلالة، أما تأثيرها الإعرابي فهي سبب بناء الفعل المضارع على الفتح، وأما التأثير في الدلالة فهي توكيد النهي وتقويته.

أمثلة أخرى على النهي للغائب المعلوم:

- قال صلى الله عليه وسلم: "لا يَتْفُلَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا عَنْ يَمِيْنِهِ"[3].

لا الناهية + فعل مضارع لازم مبني على الفتح + نون التوكيد الثقيلة + فاعل (اسم ظاهر) + ظرف مكان... + واو العطف + لا الناهية + فعل مضارع مقدر كما في الجملة الأولى

- وقال صلى الله عليه وسلم: " لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ وَلَا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ"[4].

لا الناهية + فعل مضارع لازم + نون التوكيد الثقيلة + فاعل (اسم ظاهر نكرة) + جار ومجرور.

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يَبْقَيَنَّ في الْمَسْجِدِ بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أَبِي بَكْرٍ"[1].

---

(١) دراسات في أسرار اللغة ، أحمد حامد: ٥ .

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٢٣٢).

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٣٩٥).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٧٨٤)، وصحيح مسلم، الحديث رقم:(٢٣٩١).

نلحظ أنَّ النهي هنا لغير العاقل، وهو قوله : "باب"، والنهي في الحقيقة موجه للمخاطبين، بألاّ يُبْقوا باباً غيرَ بابِ أبي بَكْرٍ رضي الله عنه[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: " أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"[٣].

لا الناهية + فعل مضارع لازم + فاعل (ضمير متصل)

سبقت جملة النهي بأداة التنبيه ألا، وفي ذلك دلالة على خطر المنهي عنه.

٢- لا الناهية + الفعل المضارع المتعدي.

مثال: النهي للمتكلم المعلوم، قال صلى الله عليه وسلم:"لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي ..."[٤].

لا الناهية + فعل مضارع متعد مبني على الفتح + فاعل (ضمير مستتر للمتكلم) + مفعول به + ظرف زمان.

جاء النهي هنا للمتكلم وهذا قليل، نهى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أن يراهم على تلك الحالة، والمراد هنا نهيهم عن تلك الحالة على سبيل المبالغة.

مثال: نهي المخاطب المعلوم، قال صلى الله عليه وسلم: " لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا "[٥].

نهي الغائب المعلوم، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ أَوْ أَحَدَاً مِنْكُمْ أَذَانُ بِلالٍ مِنْ سَحُوْرِهِ"[٦].

النهي هنا في الحقيقة للمخاطبين.

- ومن أمثلة نهي المخاطب المعلوم:

ما ورد في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال:"لا تَقْضِيَنَّ ولا تَفْصِلَنَّ إلا بما تعلم، فإنْ أشكل عليك أمرٌ فقف حتى تَبَيَّنَه أو تكتب إليَّ فيه"[٧].

لا الناهية + فعل مضارع لازم + نون التوكيد الثقيلة + فاعل (ضمير مستتر للمخاطب) + واو العطف + لا الناهية + فعل مضارع لازم + نون التوكيد الثقيلة + فاعل (ضمير مستتر للمخاطب) + أداة الاستثناء (إلا). في هذا الحديث جملتان للنهي، الأولى قوله: "لا تقضين"، ووظيفتها السياقية التأسيس للنهي، وموقعها السياقي بدء الكلام، فهي استفتاحية، والثانية قوله: "ولا تفصلنّ"، وظيفتها السياقية تأكيد النهي، وموقعها السياقي بعد واو العطف، فهي جملة معطوفة.

---

(١) صحيح البخاري: الحديث رقم: (٤٤٦).

(٢) قال العيني في عمدة القاري (حديث٦٦٤) :"... بابٌ مرفوعا على أنَّه فاعل، ولا يُقال: كيف نهى الباب عن البقاء وهو غير مكلف؟، لأنَّا نقول: إنَّه كناية؛ لأنَّ عدم البقاء لازم للنهي عن الإبقاء، فكأنَّه قال: لا يبقيه أحد، حتى لا يبقى، وذلك كما يُقال: لا أَرَيَنَّكَ هَهُنا، أي: لا تقعد عندي حتى لا أراك".

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم:(٤٠٥٤).

(٤) صحيح البخاري، الحديث رقم :(٢٨٤٤).

(٥) صحيح البخاري، الحديث رقم : (٣٦٢١).

(٦) صحيح البخاري، الحديث رقم : (٥٨٦).

(٧) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٥٠).

وصاحب النهيَ في الحديث الاستثناءُ بإلا، والاستثناء مفرغ، وهنا يُقَدَّر المستثنى منه بالعموم، والتقدير: لا تقضي شيئا، أيّ شيء، والاستثناء يوجب النهي عن المستثنى منه، ويخرج المستثنى من هذا النهي.

النمط الثاني: النهي غير المؤكد وله صور:

١- لا الناهية + الفعل المضارع اللازم:

قال صلى الله عليه وسلم: " لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجْ النَّارَ"[١].

النهي هنا للمخاطبين، وهو للعموم، جاء بعد لا الناهية فعل مضارع لازم، والفاعل ضمير متصل، وصاحب جملة النهي جملة تبين عاقبة من لا يمتثل لهذا النهي.

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"[٢].

وفي حديث الرجل الذي يُخيَّل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا يَنْفَتِلْ أَوْ لَا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا"[٣].

لا الناهية + الفعل المضارع اللازم + الفاعل (ضمير مستتر).

النهي هنا للمفرد الغائب، وهو نهي لكل من تنطبق عليه هذه الحالة، وصاحب النهي هنا حتى التي بمعنى إلا؛ أي: لا ينصرف إلا أن يجد صوتا أو ريحا.

٢- لا الناهية + الفعل المضارع المتعدي:

مثال: النهي للمخاطب المعلوم، وهو الأكثر ورودا، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلَالَ وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ"[٤].

لا الناهية + فعل مضارع لازم مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة + فاعل (ضمير متصل) + واو العطف + لا الناهية + فعل مضارع لازم + فاعل (ضمير متصل).

جملة النهي الأولى مؤسسة للنهي، استفتاحية بدئ بها الكلام، وجملة النهي الثانية مؤكدة للنهي معطوفة على الأولى، والنهي هنا ليس مطلقا لكنه مقيد، فأجل النهي مرتبط برؤية الهلال.

وقال صلى الله عليه وسلم:" لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ"[٥].

لا الناهية + فعل مضارع متعد مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به.

وقال صلى الله عليه وسلم:" وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ"[٦].

لا الناهية(مسبوقة بالفاء) + فعل مضارع متعد + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به أول + مفعول به

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم: (١٠٣)، وصحيح مسلم، الحديث رقم: (٢).

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم: (١١٨)، وصحيح مسلم، الحديث رقم: (٩٨).

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم: (١٣٤).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٧٧٣).

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٣٩٧)، وصحيح مسلم، الحديث رقم: (٤٦١٠).

(٦) صحيح مسلم، الحديث رقم:(٨٢٧).

ثان.

نلحظ في هذا الحديث أن جملة النهي قد سُبقت بأداة التنبيه (ألا)، ثم أعقبت جملةَ النهي جملةٌ مؤكدة للنهي، عبر فيها عن النهي بلفظه الصريح، مع التوكيد بإنَّ (إني أنهاكم عن ذلك)، وهذه الظواهر السياقية المصاحبة لها دلالتها على أهمية المنهي عنه وعظيم خطره.

ومن أمثلة النهي للغائب المعلوم، ما ورد في حديث أم سلمة من قوله صلى الله عليه وسلم في شأن المخنثين: "لَا يَدْخُلَنَّ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُنَّ"[١].

الفاعل هنا للغائب، لكن النهي للمخاطبات، والمعنى: لا يكن منكن سماح فيدخلوا عليكن.

مجيء المضارع على صورة المرفوع بعد لا الناهية

جاء الفعل المضارع بعد لا الناهية على صورة المرفوع في عدد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :"لَا تَشْتَرِي وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ"[٢].

ويقرر اللغويون أنَّ "لا" النافية، قد تفيد النهي -دون أنْ تجزم- إفادة أقوى من إفادة "لا" الناهية، وقد جاء ذلك في الحديث الشريف كما في الحديث السابق ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ"[٣].

قال النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: "هكذا هو في جميع النسخ: لا يشيرُ، بالياء بعد الشين، وهو صحيح، وهو نهي بلفظ الخبر، كقوله تعالى: (لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ)[٤] ، وقد قدمنا مرات أنَّ هذا أبلغ من لفظ النهي"[٥].

قال عباس حسن معلقا: "لأن معنى النهي هو: طلب الكف عن شيء...، فهو محض طلب مجرد؛ لا يفيد بذاته أنّ الكف سيتحقق أو لا يتحقق، بخلاف النفي؛ ففيه قطع بعدم حصول الشيء، وجزمٌ بأنَّ المعنى لا سبيل إلى تحققه؛ لثقة المتكلم أنّ السامعين والمخاطبين لن يخالفوا ما يقرره"[٦].

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ"[٧].

قال النووي: "وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (فلا يؤذي جاره) فكذا وقع في الأصول (يؤذي) بالياء في آخره، وروينا في غير مسلم (فلا يؤذ) بحذفها، وهما صحيحان، فحذفها للنهي، وإثباتها على أنه خبر يراد به النهي، فيكون أبلغ، ومنه قوله تعالى: (لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ)[١] ، على قراءة من

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٥٤٣٧).

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم: (١٣٩٥).

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٦٥٤٥)، وصحيح مسلم، الحديث رقم: (٤٧٤٢).

(٤) البقرة : ٢٣٣.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم: ١٦/١٧٠.

(٦) النحو الوافي : ٤/٤١٢.

(٧) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٤٧٨٧)، وصحيح مسلم، الحديث رقم: (٦٨).

(١) البقرة : ٢٣٣.

رفع، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يبيع أحدكم على بيع أخيه"، ونظائره كثيرة"[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَلَا تَلَقَّوْا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بِهَا إِلَى السُّوقِ"[٢].

مجيء الفعل المضارع بعد لا النافية على صورة المجزوم

ورد المضارع بعد لا النافية على صورة المجزوم في عدد من الأحاديث، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ"[٣].

وأشير هنا إلى أن الكوفيين لم يشترطوا للجزم بـ"لا" أن تكون طلبية؛ ويصححون الجزم بعد "لا" النافية ؛ ولكن بشرط أنْ يصح وقوع "كي" التعليلية قبلها مع استقامة المعنى؛ حكى الفراء عن بعض العرب قولهم: "ربطت الفرس لا ينفلت"، بجزم المضارع وبرفعه، فالجزم على توهم وتقدير جملة شرطية؛ أي: لأني إنْ لم أربطه ينفلتْ، وما اشترطوه متحقق هنا فيمكن وضع: "كي" قبل: "لا" من غير أنْ يفسد المعنى، بأنْ يقال: ربطت الفرس كي لا ينفلت[٤]، وقد تحقق الشرط في هذا الحديث فيصح وقوع "كي" التعليلية قبل "لا" دون أن يختل المعنى.

وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا يَأْتِ ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ وَلَكِنْ يُلْقِيهِ الْقَدَرُ وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ"[٥].

قال ابن حجر: "لا يأت، بغير ياء وليس بلحن؛ لأنه قد سمع نظيره من كلام العرب"[٦].

مجيء (لا) محتملة للناهية وللنافية

- قال صلى الله عليه وسلم: "لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ"[٧].
- وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَئُونَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ".[٨]
- وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا".[٩]
- وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ".[١]

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم: ٢٠/٢.

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٢٠٢٠).

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم: (١١١).

(٤) يرى عباس حسن أن من الخير اليوم عدم الأخذ بهذه اللغة، وعدم القياس على القليل الوارد بها؛ منعا لفوضى التعبير، وما يترتب عليه -بغير داع- من اضطراب الفهم واختلافه. النحو الوافي : ٤١٢/٤.

(٥) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٦١١٩).

(٦) فتح الباري ٥٧٨/١١.

(٧) صحيح البخاري، الحديث رقم: (١٩٩٥).

(٨) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٢٥٦٩)، وصحيح مسلم، حديث رقم: (٣٣٠٦).

(٩) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٤٨٣٩).

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٦٣٤٢).

- وقال صلى الله عليه وسلم: لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا قَالَ أَنْ تَسْكُتَ".[١]

في الأحاديث السابقة جاءت لا محتملة للناهية وللنافية، ويختلف إعراب الفعل بحسب تقدير لا، فإن قدرت ناهية جزم الفعل بعدها، وإن قدرت نافية رفع، والمعنى المفهوم منها في الحالين هو النهي، ومجيء النهي على صورة الخبر أبلغ كما ذكر آنفا.

مجيء لا النافية بمعنى الناهية

- قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي فَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ".[٢]
- وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ."[٣]
- وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا يُصَلِّي أَحَدُكُمْ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى عَاتِقَيْهِ شَيْءٌ"[٤]
- وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ".[٥]
- وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ لِيُحْفِهِمَا جَمِيعًا أَوْ لِيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا".[٦]

في الأحاديث السابقة جاءت لا نافية، بمعنى الناهية، ولا يمكن تقديرها ناهية لأن الفعل المضارع جاء بعدها مرفوعا، ولا يمكن تقدير الجزم فيه، فالجزم يغير شكل الفعل، بحذف حرف، بخلاف ما رأينا في الأفعال المذكورة في الأحاديث التي جاءت فيها لا محتملة للنافية وللناهية.

الخاتمة

ورد أسلوب النهي في كلام النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الأحاديث المروية في صحيحي البخاري ومسلم في مواضع كثيرة، وفي الغالب لا يخرج معنى النهي عن أحد أمرين: التحريم أو التنزيه.

ولعل أبرز ثمرة لهذا البحث ما لحظته من ثراء لغوي غير محدود في الحديث النبوي الشريف، وجاءت المسائل المتناولة في البحث في أسلوب النهي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم متوافقة مع قواعد النحو المقررة، بل إنَّ في الحديث ما يغني عن غيره في باب الاستشهاد لبعض قواعد النحو.

وقد وجد البحث اتساعا في الوظيفة السياقية لأسلوب النهي في الحديث النبوي، فليست وظيفة (لا) الناهية مقصورة على العمل الشكلي في الفعل بعدها، بل إن الوظيفة الأبرز لها هي التأثير الدلالي في السياقات التي وردت فيها، وتبين من البحث أن الظواهر السياقية المصاحبة للنهي لها تأثير دلالي

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٤٧٤١)، وصحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٤٣).

(٢) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٢٢٥٤).

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٤٧٩٣).

(٤) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٣٤٦)، وصحيح مسلم، حديث رقم: (٨٠١).

(٥) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٥٧٩٨)، وصحيح مسلم، حديث رقم: (٤٠٤٤).

(٦) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٥٤٠٨).

واضح.

المصادر والمراجع:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبوحيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ.
- أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق فخر صالح قدارة، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٧٩م.
- البحر المحيط في التفسير، أبوحيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.
- البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري، تحقيق طه عبدالحميد طه، القاهرة، ١٤٠٠هـ.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ط١، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٧٩م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن أم قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٥، ١٩٩٥.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان، ط الحلبي، القاهرة، د. ت.
- الخصائص، أبوالفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية، علي جابر المنصوري، الدار العلمية الدولية، ط١، عمان الأردن، ٢٠٠٢م.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٣٨٤هـ.
- ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبدالساتر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- رصف المباني في حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط الحلبي، القاهرة، د.ت.
- شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، تحقيق محمد الريح هاشم، ط١، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٦هـ.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد الأشموني، ط الحلبي، القاهرة، د.ت.
- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق عبدالرحمن السيد وبدوي المختون، ط١، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٠م.

- شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق عادل عبدالموجود ومحمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- شرح صحيح مسلم للسيوطي
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ت.
- صحيح البخاري، ط٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ، بيروت، د. ت.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ط١، الحلبي، القاهرة، ١٩٧٢م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالعزيز بن باز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٣ ، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٣هـ -لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.
- معاني القرآن، أبوزكريا الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور. د.ت.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت ١٣٦٧هـ، ١٩٤٧م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ط٢، الحلبي، القاهرة، ١٩٩٠.
- المقرب لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق عادل عبدالموجود وعلي وعوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ
- نتائج الفكر في النحو، أبوالقاسم عبدالرحمن السهيلي، تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- النحو الوافي، عباس حسن، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق، ط١،٢٠٠٠.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٥. جهود المحدثين في تأويل مختلف الحديث

د. محمد بن عبد العزيز الجمعان
(أستاذ السنة وعلومها المساعد في جامعة طيبة)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [١]، يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[٢]، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً[٣].

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ ، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَ الأمورِ محدثاتُها ، وكلَ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَ ضلالةٍ في النارِ.

إن السنة النبوية مصدر من مصادر التشريع التي تكفل الله بحفظها وصيانتها عن كل عيب ونقص وزلل، كيف لا؛ وهي وحي الله إلى نبيه محمد ﷺ، قال الله تعالى: **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** [٤].

فهي مبرأة من كل عيب، خالية من أي نقص، منزهة عن التناقض والاضطراب، فلا نجد في السنة النبوية الصحيحة ما يناقض بعضه بعضاً بل كل ما جاء في السنة النبوية فهو متماثل، يؤيد بعضه بعضاً، قال تعالى: **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** [٥]، وهذا وإن كان مراداً به كتاب الله على وجه الخصوص، إلا أن السنة النبوية داخلة في عموم ذلك؛ لكونها وحياً من عند الله ﷻ، عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ، بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه، وقال: (**اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ**)[٦].

إلا إنه قد يرد في السنة النبوية ما قد يظنه بعضهم تعارضاً، وإن كان في حقيقة الأمر متوافق غير متعارض، وقد استغل أعداء الإسلام منذ القدم هذا الأمر كمدخل لهم للطعن في الإسلام عامة، وفي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

(٤) سورة النجم، الآية: (٣-٤).

(٥) سورة النساء، الآية: (٨٢).

(٦) أخرجه أحمد: ١٩٢/٢، وأبو داود، رقم: (٣٦٤٦)، والدارمي، رقم: (٤٨٤)، وإسناده صحيح.

السنة النبوية خاصة، فأخذوا يشككون في السنة النبوية، ومدى صحتها، وثبوتها، ومصداقيتها بأنواع من الشبه الزائفة، وبدءوا يضربون الأحاديث بعضها ببعض بقصد إظهار تناقضها، والوصول إلى عدم حجيتها.

فانبرى لهم علماء كبار من المحدثين والفقهاء وسائر أئمة الإسلام للدفاع عن هذه الشبه الواهية، وبيان زيفها، وتهالكها، وبينوا ما يدفع هذا الاختلاف الظاهري بين أحاديث المصطفى ﷺ، سواء أكان ذلك بالتوفيق بين الأحاديث، أو الترجيح بأي من المرجحات المعتبرة في هذا الباب.

واجتهد علماء المسلمين في هذا الباب، وتطور العمل في هذا الشأن خلال حركة تدوين علوم السنة، فأفرد المحدثون أبواباً في كتبهم للتوفيق بين الأحاديث، وأفرد المصنفون في علوم السنة أبواباً في تأصيل وتقعيد هذا العلم، وأسموه (مختلف الحديث)، كما أفرد بعض أهل العلم كتباً مستقلة في هذا العلم، للجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب، وبيان أصول وقواعد هذا العلم.

وكان أول من أفرد هذا العلم بالتصنيف الإمام محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، وهذا يدلك على اهتمام العلماء بهذا الفن في وقت مبكر من زمن التدوين للسنة وعلومها.

ثم تتابع العلماء على التأليف والتصنيف في هذا العلم؛ لبيان أصوله وقواعده، وذكر الأحاديث التي توهم الاختلاف، حتى تطور شأن هذا العلم، وتعددت المؤلفات فيه.

أهمية مختلف الحديث:

تبرز أهمية هذا الموضوع من جهة كونه دفاعاً عن السنة النبوية مما ألصقه بها المغرضون من التناقض والاضطراب المتوهم بين أفرادها.

كما أن فيه تجلية لبعض ما قد يقع لبعض المسلمين من توهم الاختلاف الواقع بين الأحاديث، سوء تلك المتعلقة بالأحكام الفقهية، مما يورده بعض الفقهاء أثناء سياق الاختلاف في مسألة من مسائل الفقه، أو غيرها من أحاديث العقائد والتفسير وأمثالها.

كما أن فيه بيان لأسباب توهم وقوع الاختلاف بين الأحاديث، وإيضاح المراد من الأحاديث مما يدفع توهم التعارض بينها، وإزالة اللبس في ذلك.

هدف هذه الدراسة

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لإبراز دور المحدثين في دفع ما يوهم الاختلاف بين الأحاديث النبوية، وبيان أصول وقواعد هذا العلم التي اجتهد المحدثون في وضعها؛ لرفع توهم التعارض بين أقوال النبي ﷺ، ودراسة مؤلفاتهم في هذا الباب، وبيان جهودهم التي قاموا بها في تلك المصنفات.

خطة البحث:

وقد رتبت هذه البحث على النحو التالي:

مقدمة: ذكرت فيها أهمية مختلف الحديث، وهدف البحث وخطته.

المبحث الأول: تعريف مختلف الحديث.

المبحث الثاني: نشأة علم مختلف الحديث.

المبحث الثالث: تدوين مختلف الحديث.

المبحث الرابع: جهود المحدثين في وضع قواعد دفع التعارض بين مختلف الحديث.

المبحث الخامس: دراسة أهم المصنفات في مختلف الحديث، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كتاب اختلاف الحديث.

المطلب الثاني: كتاب تأويل مختلف الحديث.

المطلب الثالث: شرح مشكل الآثار.

الخاتمة: ذكرت فيها نتائج البحث.

المراجع.

الفهرس.

وبعد :

فهذا جهد المقل تعبت فيه أشهراً عدة، ولم آل فيه جهداً، أسال الله أن يجعله خالصاً لوجه الكريم، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي، ورحم الله من نظر فيه فاغتفر قليل الزلل في كثير الصواب .

المبحث الأول

تعريف مختلف الحديث

أولاً: التعريف اللغوي:

الاختلاف في اللغة مصدر اختلف، والاختلاف هو المضادة، وقد خالفه مخالفة، وخلافاً إذا ضاده وعارضه، وتخالف الأمران: لم يتفقا، وكل ما لم يتساو فقد تخالف، واختلف [(١)].

والمختلَف والمختلِف بفتح اللام وكسرها، فعلى الأول يكون اسم مفعول، وعلى الثاني يكون اسم فاعل، ومنه قول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ **مُخْتَلِفًا** أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ **مُخْتَلِفٌ** أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ **مُخْتَلِفٌ** أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [(٢)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ **مُخْتَلِفٍ**﴾ [(٣)] أي: "مضطرب، لا يلتئم ولا يجتمع" [(٤)].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

والمقصود به في مصطلح الحديث: علم يبحث في التوفيق بين الأحاديث المقبولة المتعارضة ظاهراً، أو الترجيح بينها [(٥)].

ومن هنا فكل ما يأتي في هذه الدراسة من لفظ المختلف، أو المتضاد فالمقصود به في الظاهر، لا في حقيقة الأمر.

---

(١) انظر: مادة (خلف): لسان العرب،: ٩٠/٩، القاموس المحيط: ١٠٧٦/٢، تاج العروس: ٢٧٩/٢٣.

(٢) سورة فاطر: ٢٧-٢٨.

(٣) سورة الذاريات: ٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٣٥٩/٤.

(٥) انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص: ٢٧١، نخبة الفكر، ص١٠٣، فتح المغيث: ٦٦/٤.

وشرطه: صحة الأحاديث المتعارضة، فأما إذا لم يصح أحد الحديثين المتعارضين فلا اختلاف حينئذ؛ لسقوط الضعيف منها، ولذا ذكرت في التعريف لفظ: "المقبولة"؛ ليخرج بذلك ما لم يصح من الأحاديث التي تخالف الأحاديث الصحيحة فإنها حينئذ لا تُعد معَارِضة لها لسقوط شرط الصحة.

الفرق بين مختلف الحديث ومشكل الحديث:

وأما مشكل الحديث، فهل هو بمعنى مختلف الحديث، أم هو غيره؟

فيقال جواباً عن ذلك: أن مشكل الحديث هو أعم وأشمل من مختلف الحديث؛ لأن مشكل الحديث يشمل عدة أنواع، منها:

١- الأحاديث المتعارضة فيما بينها في الظاهر.
٢- الأحاديث التي تعارض القرآن في الظاهر.
٣- الأحاديث التي تعارض صريح العقل في الظاهر.
٤- كما يشكل أنواعاً أخرى غير هذه.

بينما مختلف الحديث لا يشمل إلا النوع الأول منها، ومن خلال ذلك يتضح أن مشكل الحديث أعم وأشمل من المختلف.

قال الدكتور عبد المجيد محمود: (وأما مشكل الحديث أو الآثار فهو أعم من اختلاف الحديث، ومن الناسخ والمنسوخ؛ لأن الإشكال .وهو الالتباس والخفاء. قد يكون ناشئاً من ورود حديث يناقض حديثاً آخر من حيث الظاهر، أو من حيث الحقيقة ونفس الأمر، وقد ينشأ الإشكال من مخالفة الحديث للعقل، أو للقرآن، أو للغة)[١].

الفرق بين مختلف الحديث والناسخ والمنسوخ:

وأما الناسخ والمنسوخ فهو أخص من مختلف الحديث، إذ إن من طرق دفع الاختلاف بين الأحاديث أن يجعل المتأخر ناسخاً للمتقدم .في حال معرفة تاريخهما.، إلا أن الناسخ والمنسوخ أصبح نوعاً وعلماً مستقلاً بذاته، وقد ألفت فيه مؤلفات مستقلة.

قال السخاوي: (وكان الأنسب عدم الفصل بينه . يعني مختلف الحديث. وبين الناسخ والمنسوخ، فكل ناسخ ومنسوخ مختلف، ولا عكس)[٢].

المبحث الثاني

نشأة علم مختلف الحديث

ظهر هذا العلم في زمن مبكر شأنه شأن سائر العلوم الإسلامية، فقد نشأ هذا العلم في زمن النبي ﷺ علي يد الصحابة ﷺ ، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك.

ويوضح ذلك ما حدث بعد غزوة الأحزاب عندما أمر النبي ﷺ الصحابة ﷺ بالتوجه إلى بني قريظة، ففي الصحيحين . واللفظ لمسلم . عن أنس ﷺ قال: (نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف من الأحزاب: (أن

(١) أبو جعفر الطحاوي وأثره في الحديث: ٢٦٠.

(٢) فتح المغيث: ٦٦/٤.

لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة)، فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة، وقال: آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت، قال: فما عنف واحداً من الفريقين)[٣].

ففي هذه الواقعة فهم بعض الصحابة من نهي النبي ﷺ عن الصلاة إلا في بني قريظة إن ذلك دال على تأخير الصلاة حتى الوصول إلى بني قريظة وإن خرج وقت الصلاة.

وهذا الفهم يعارض عموم الأحاديث التي أمر فيها بأداء الصلاة لوقتها، كحديث ابن مسعود في الصحيحين قال:(سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله .تعالى.؟ قال: (**الصلاة على وقتها**) [٤].

وحديث عبادة بن الصامت، قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**خمس صلوات افترضهن الله ﷻ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه**) [٥].

ففي واقعة الأحزاب أتى الصحابة توجيه نبوي كريم لهم بأن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة، والطريق إلى بني قريظة طويل، فلما كانوا في الطريق ولم يصلوا إلى بني قريظة، وخشي أصحاب النبي ﷺ خروج وقت الصلاة، ورأوا أن هذا التوجيه يخالف في ظاهره ما سبق من أمر النبي ﷺ لهم بأداء الصلاة في وقتها، فانقسم الصحابة ﷺ إلى فريقين في دفع هذا الاختلاف الظاهري:

فأما الفريق الأول: فذهبوا إلى ترجيح الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة على وقتها، وحملوا هذا الحديث على الحض على سرعة المضي إلى بني قريظة دون أن يلزم من ذلك تأخير الصلاة عن وقتها، ولذا فقد صلوا في الطريق مخافة فوات الوقت.

وأما الفريق الثاني: فذهبوا إلى العمل بظاهر هذا الحديث، وإن أدى ذلك إلى تأخير الصلاة عن وقتها، وجعلوا هذا الخطاب من الخاص الذي يخص به عموم الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة في وقتها، فلم يصلوا الظهر إلا في بني قريظة، وإن خرج وقت الصلاة.

وقد صوب النبي ﷺ عمل الفريقين، ولم يعنف أياً منهما، فدل هذا على صحة مسلك الفريقين في دفع التعارض عن الأحاديث النبوية، واعتبار هذين المسلكين في رفع التعارض المتوهم بين الأحاديث النبوية، وهما مسلك الترجيح، ومسلك التوفيق.

وقد استمر الصحابة والتابعون من بعدهم في دفع التعارض المتوهم بين الأحاديث النبوية بطرق شتى من التوفيق أو الترجيح دون أن يدون ذلك العلم في المصنفات، شأنه شأن سائر العلوم التي كانت تُتناقل شفاهاً في العصور الأولى من الإسلام، حتى جاء عصر التدوين للسنة النبوية، فدون هذا العلم في الكتب كما دون سائر علوم الحديث النبوي، ووضعت قواعده، وبينت مسالكه، وصنفت المؤلفات المستقلة في هذا العلم.

---

(٣) أخرجه البخاري، رقم: (٩٠٤)، ومسلم، رقم: (١٧٧٠)، واللفظ له، وفي لفظ البخاري قال: (العصر) بدل (الظهر).

(٤) أخرجه البخاري، رقم: (٨٥)، ومسلم، رقم: (٥٠٤).

(٥) أخرجه: مالك، رقم: (٢٦٨)، وأبو داود، رقم: (٤٢٥)، وابن ماجه، رقم: (١٤٠١)، والنسائي، رقم: (٤٦١)، وابن حبان، رقم: (١٧٣١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ص: (٢٣٢).

المبحث الثالث

تدوين مختلف الحديث

كان هذا النوع من أنواع علوم الحديث يتناقل عبر العصور شفاهاً كسائر العلوم الإسلامية المختلفة كأصول الفقه ومصطلح الحديث، ثم مع بزوغ حركة التدوين، وانتشار المؤلفات المدونة في الصحف ظهرت بعض المؤلفات التي تهتم بهذا النوع، وقد انقسمت هذه المؤلفات إلى قسمين:

القسم الأول: المؤلفات غير المستقلة.

وهي مؤلفات لم تفرد هذا النوع بالتصنيف، وإنما أشارت إلي شيء منه أثناء إيراد بعض الأحاديث المختلفة، أو أثناء شرح بعض الأحاديث النبوية، أو عند الكلام على مسألة فقهية وردت فيها أحاديث متعارضة.

وهذه المؤلفات كثيرة متنوعة، لا يمكن حصرها؛ فهي متعددة فنجد ذلك في كتب الصحاح والسنن والشروح وكتب الفقهاء وغيرها، كل هذه الكتب تجد فيها إشارة إلى هذا النوع من علوم الحديث، وتتفاوت في ذكر ذلك كثرة وقلة.

وهذه الكتب غير مقصودة في هذه الدراسة؛ لصعوبة حصرها، وعدها، فضلاً عن دراستها، وبيان مناهج مؤلفيها.

ومن أكثر من له عناية بذلك الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة، صاحب الصحيح، وقد نقل عنه ابن الصلاح وغيره قوله: (لا أعرف أنه روي عن النبي ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، فمن كان عنده فليأتني لأؤلف بينهما)[1].

القسم الثاني: المؤلفات المستقلة.

وهي مؤلفات صنفت استقلالاً في هذا النوع، وسأذكر في هذا المقام ما توصلت إلى معرفته من المصنفات المطبوعة وغير المطبوعة، وأسماء العلماء الذين ذكر أنهم ألفوا في هذا النوع، ولا نعرف أسماء مؤلفاتهم، ولم نقف عليها.

ثم أعقب ذلك بدراسة مفصلة على ما وقفت عليه من تلك المؤلفات.

فمن المؤلفات في هذا النوع:

١- اختلاف الحديث، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، وهو أول من صنف استقلالاً في هذا الموضوع، وستأتي دراسة مفصلة عن كتابه في المبحث الرابع.

٢- تأويل مختلف الحديث، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٣هـ، وستأتي دراسة مفصلة عن كتابه في المبحث الرابع.

٣- مشكل الآثار، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، المتوفى سنة ٣٢١هـ، وستأتي دراسة مفصلة عن كتابه في المبحث الرابع.

---

(١) مقدمة ابن الصلاح، ص: (٢٧١).

هذه هي المؤلفات المستقلة التي وقفت عليها في هذا الموضوع، وقد ذكر بعض أهل العلم أسماء بعض من ألف في هذا الموضوع أيضاً إلا أن مؤلفاتهم لم تصل إلينا . فيما نعلم.، ومن أولئك:

١- الإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ، فقد ذكر السخاوي أنه صنف في مختلف الحديث [١]، وكذا الكتاني في الرسالة المستطرفة [٢]، ولم أقف على مصنفه هذا، علماً بأن له كتاب اختلاف الفقهاء، فهل هو ما عناه السخاوي والكتاني؟ أم أنهما يقصدان كتاباً آخر. الله أعلم.

٢- أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي، المتوفى سنة ٣٠٧هـ، ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة [٣]، ولم أقف عليه.

٣- أبو محمد القصري، وهو عبد الجليل بن موسى الأندلسي، المشهور بالقصري، ذكر السخاوي أن له كتاباً في مختلف الحديث [٤]، وسماه عمر كحالة في معجم المؤلفين بـ(تنبيه الأفهام في مشكل أحاديثه ﷺ)[٥]، ولا أعلم أهو خاص بمختلف الحديث، أم أنه يناول مشكل الحديث بعمومه على ما سبق بيانه في الفرق بينهما [٦].

٤- ابن حزم الأندلسي، وهو علي بن أحمد بن حزم الظاهري، المتوفي سنة ٤٥٦هـ، إمام الظاهرية في عصره، ذكر الذهبي [٧] والسخاوي [٨] أن له كتاباً في مختلف الحديث، وسماه الذهبي في السير: (الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها)[٩]، وقال: (يكون عشرة آلاف ورقة لكن لم يتمه)[١٠].

كتب غير داخلة في الدراسة:

١- مشكل الحديث وبيانه:

ألف محمد بن الحسن بن فورك، المتوفى سنة ٤٠٦هـ، كتاباً اسمه: (**مشكل الحديث وبيانه**)، وقد طبع هذا الكتاب قديماً بالهند سنة ١٣٦٢هـ، ثم طبع في حلب سنة ١٤٠٢هـ، نشر دار الوعي، بتحقيق عبد المعطي قلعجي.

وهذا الكتاب غير داخل في هذه الدراسة؛ لأنه لا يبحث في علم مختلف الحديث؛ بل هو متعلق بالأحاديث التي يعتقد المؤلف أنها توهم التشبيه والتجسيم بناء على مذهبه، وهو مذهب الأشاعرة،

---

(١) انظر: فتح المغيث: ٦٦/٤.

(٢) انظر: الرسالة المستطرفة: ١٥٨.

(٣) انظر: الرسالة المستطرفة: ١٥٨.

(٤) انظر: فتح المغيث: ٦٦/٤.

(٥) معجم المؤلفين: ٨٤/٥.

(٦) انظر: ص: ١٠.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء: ١٩٤/١٨.

(٨) فتح المغيث: ٦٦/٤.

(٩) سير أعلام النبلاء: ١٩٤/١٨.

(١٠) سير أعلام النبلاء: ١٩٤/١٨.

فيقوم المؤلف بنفي ذلك التوهم المعتقد.

قال ابن فورك في مقدمة كتابه:(أما بعد: فقد وفقت .أسعدكم الله بمطلوبكم ووفقنا إلى الإتمام بما ابتدأنا به على تحري النصح والصواب. إلى إملاء كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ مما يوهم ظاهرة التشبيه مما يتسلق به الملحدون على الطعن في الدين)[١].

وهذا يدل على أن الكتاب لا يدخل في مختلف الحديث، وإن كان داخلاً في عموم مشكل الحديث على ما سبق في المبحث الأول [٢].

كما أن المؤلف بضاعة مزجاة في الحديث جداً، ولذا تراه أحياناً يتكلف تأويل بعض الأحاديث وهي ضعيفة أو موضوعة، وكان يكفيه بيان درجتها من الصحة والضعف [٣].

٢- مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها:

ألف عبد الله القصيمي (من المعاصرين) كتاباً سماه (مشكلات الأحاديث النبوية)، وقد طبع هذا الكتاب قديماً بلا تاريخ، ولعله طبع في المطابع السعودية، ثم طبع بعد ذلك طبعة حديثة في دار القلم، عام ١٤٠٥هـ في بيروت، مراجعة وتحقيق الشيخ خليل الميس.

وقد يظن البعض أن هذا الكتاب داخل في كتب مختلف الحديث، ولذا ذكرته هنا لبيان موضوعه.

ولبيان موضوعه يمكن القول بأن الكتاب لا يدخل في الكتب المؤلفة في مختلف الحديث، وإنما هو في مشكل الحديث، حيث أن المؤلف يتناول الأحاديث المشكلة في بعض معانيها، أو التي تتعلق بما ظهر من مكتشفات حديثة في هذا العصر.

أو تلك التي يظن أنها تتعارض مع علوم العصر، ومحاولة التدليل على صحتها ببعض العلوم المعاصرة.

قال المؤلف في مقدمة كتابه:(أما بعد فهذا بيان لأحاديث نبوية صحيحة قد أشكلت على كبار العلماء، قد أشكل بعضها طبياً، وبعضها فلكياً، وبعضها علمياً، وبعضها حسياً، وبعضها دينياً)[٤].

ومما ذكره في كتابه [٥] حديث: (**إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء**) المخرج في صحيح البخاري [٦].

وذكر الطعن في هذا الحديث، وأن قوماً أنكروه طبياً، وقالوا: إن الذباب يقع على الأقذار والأوساخ الملوثة بالجراثيم، فكيف فيه دواء،، وهذا ينافي كون النبي ﷺ قد قاله.

ثم شرع في الدفاع عن الحديث وبيان أن ما ذكره النبي ﷺ من أن في أحد جناحي الذباب داء، وفي الأخر دواء قد ثبت بالعلم الحديث، وأثبت الطب صحة ما جاء في الحديث، فليس في حديث النبي ﷺ

---

(١) مشكل الحديث وبيانه، ص: ١٧.

(٢) انظر: ص: ١٠.

(٣) انظر: مقدمة محقق الكتاب، ص: ١٠.

(٤) مشكلات الأحاديث النبوية: ٩ (ط.دار القلم).

(٥) انظر: مشكلات الأحاديث النبوية: ٦٧-٧٢.

(٦) أخرجه: البخاري، رقم: (٣١٤٢) ط. البغا، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء.

ما يعارض العلم.

المبحث الرابع

جهود المحدثين في وضع قواعد دفع التعارض بين مختلف الحديث

اجتهد المحدثون في وضع قواعد دفع التعارض المتوهم بين الأحاديث النبوية، وكان لهم عناية في ذلك، ومن أوائل من وضع تلك القواعد لدفع التعارض الإمام الشافعي في كتابيه "مختلف الحديث"، و"الرسالة"، فقد كان له عناية بالغة بذلك.

وهذا الإمام ابن خزيمة يقول: (لا أعرف أنه روي عن النبي ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، فمن كان عنده فليأتني لأؤلف بينهما)[1].

وقد سلك المحدثون في دفع التعارض المتوهم بين الأحاديث أربعة مسالك:

المسلك الأول: الجمع والتوفيق

ويراد به: حمل الحديثين المتعارضين على معنيين مختلفين، فيعمل بكل منها على وجهه، فيجمع بذلك بينها دون إهمال أي منها، كأن يحمل أحدهما على العموم، والآخر على الخصوص، أو يكون أحدهما مطلقاً، والآخر مقيداً، وغير ذلك.

وذلك أن إعمال الحديثين أولى من إهمالهما أو أحدهما، ولا يمكن إعمالهما إلا بالجمع والتوفيق بينهما، ولا يتأتى هذا إلا بحمل كل واحد منهما على معنى غير ما أريد به الحديث الآخر.

قال الشافعي: (وكلما احتمل حديثان أن يستعملا معاً استعملا معاً، ولم يعطل واحد منهما الآخر)[2].

وبين العلماء في مصنفات علوم الحديث أن أول مسلك يتوجه إلى المحدث عند توهم التعارض بين الأحاديث هو التوفيق والجمع بين النصين المنعارضين، قال ابن الصلاح: (اعلم أن ما يذكر في هذا الباب –يعني مختلف الحديث- ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يمكن الجمع بين الحديثين، ولا يتعذر إبداء وجه ينفي تنافيهما، فيتعين حينئذ المصير إلى ذلك، والقول بهما معاً)[3].

قال الشنقيطي: (المقرر في علم الأصول وعلم الحديث أنه إذا أمكن الجمع بين الحديثين وجب الجمع بينهما إجماعاً، ولا يُرد غير الأقوى منهما بالأقوى; لأنهما صادقان، وليسا بمتعارضين، وإنما أجمع أهل العلم على وجوب الجمع بين الدليلين إن أمكن؛ لأن إعمال الدليلين معاً أولى من إلغاء أحدهما كما لا يخفى)[4].

المسلك الثاني: النسخ

حين لا يمكن الجمع بين الحديثين المختلفين بوجه من أوجه الجمع، ويعرف تاريخها يجعل المتأخر

---

(١) علوم الحديث، ص: (٢٧١).

(٢) اختلاف الحديث، ص: (٦٤).

(٣) علوم الحديث، ص: (٢٧٠).

(٤) أضواء البيان: ٤/٣٦٠.

ناسخاً للمتقدم.

قال الشافعي: (فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف، كما اختلفت القبلة نحو بيت المقدس والبيت الحرام، كان أحدهما ناسخاً، والآخر منسوخاً)[1].

وقال ابن الصلاح: (القسم الثاني: أن يتضادا، بحيث لا يمكن الجمع بينهما، وذلك على ضربين:

أحدهما: أن يظهر كون أحدهما ناسخاً، والآخر منسوخاً، فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ)[2].

المسلك الثالث: الترجيح

وذلك حين يتعذر الجمع بين الأحاديث، ولا يعرف تاريخ المتقدم على المتأخر يصار إلى الترجيح بين الحديثين، قال الشافعي: (ومنها ما لا يخلو من أن يكون أحد الحديثين أشبه بمعنى كتاب الله، أو أشبه بمعنى سنن النبي ﷺ مما سوى الحديثين المختلفين، أو أشبه بالقياس، فأي الأحاديث المختلفة كان هذا فهو أولاهما عندنا أن يصار إليه)[3].

وقال ابن الصلاح: (القسم الثاني: أن يتضادا، بحيث لا يمكن الجمع بينهما، وذلك على ضربين: _فذكر الترجيح كما سبق، ثم قال:_

والثاني: أن لا تقوم دلالة على أن الناسخ أيهما والمنسوخ أيهما، فيفزع حينئذ إلى الترجيح ، ويعمل بالأرجح منهما والأثبت)[4].

المسلك الرابع: التوقف

إذا تعذر الجمع بين الأحاديث، ولم يعرف الناسخ من المنسوخ، ولم يمكن الجمع لم يبق إلا التوقف عن العمل بالحديثين المتعارضين حتى يتبين للعالم أي من الوجوه الثلاثة السابقة، فالتوقف أمر وقتي عندما لا يظهر للعالم مسلك يحمل عليه مختلف الحديث، قال السخاوي: (إن لم يجد المجتهد مرجحاً توقف عن العمل بأحد المتنين حتى يظهر)[5].

قال ابن حجر: (فصار ما ظاهره التعارض واقعاً على هذا الترتيب:

١) الجمع إن أمكن.

٢) فاعتبار الناسخ والمنسوخ.

٣) فالترجيح إن تعين.

٤) ثم التوقف عن العمل بأحد الحديثين.

والتعبير بالتوقف أولى من التعبير بالتساقط؛ لأن خفاء ترجيح أحدهما على الآخر إنما هو بالنسبة

---

(١) اختلاف الحديث، ص: (٦٤).

(٢) علوم الحديث، ص: (٢٧٢).

(٣) اختلاف الحديث، ص: (٦٤).

(٤) علوم الحديث، ص: (٢٧٢).

(٥) فتح المغيث: ٦٩/٤.

للمُعتبر في الحالة الراهنة، مع احتمال أن يظهر لغيره ما خفي عليه، والله أعلم)[1].

المبحث الخامس

دراسة أهم المصنفات في مختلف الحديث

سأخصص هذا المبحث لدراسة أهم المصنفات التي وقفت عليها في مختلف الحديث، وهي ثلاثة كتب مطبوعة، وأما المخطوط فلم أقف على كتاب في مختلف الحديث له نسخ مخطوطة .حسب بحثي المتواضع .

والمصنفات التي سأتناولها في هذا المبحث هي:

١- اختلاف الحديث للشافعي.

٢- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

٣- شرح مشكل الآثار للطحاوي.

وقد سبق الإشارة إلى أن هذا البحث لا يتناول كتابين قد يظن أنهما من كتب مختلف الحديث، ولكن بعد دراستي لهما تبين لي أنهما من كتب مشكل الحديث لا مختلفه على ما سبق بيانه في الفرق بين مختلف الحديث ومشكله، وهذا الكتابان هما:

١- مشكل الحديث وبيانه، لابن فورك.

٢- مشكلات الأحاديث النبوية، للقصيمي.

وقد سبق الكلام على هذين الكتابين، وبيان سبب عدم دخولهما في كتب المختلف في المبحث الثالث.

المطلب الأول

كتاب اختلاف الحديث

أولاً: المؤلف.

اسمه ونسبه:

هو الإمام أبو عبد الله الشافعي[2]، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي المكي، أحد أئمة الإسلام، والفقهاء الأعلام، تبوأ المنزلة الرفيعة بين علماء الإسلام، وشهد له بالفضل والعلم والورع والتقى، أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة.

ولادته ونشأته:

ولد بغزة سنة خمسين ومائة، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين.

قال ابن عبد الحكم: لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر،

---

(١) نزهة النظر، ص: (١٠٩).

(٢) انظر: ترجمته في حلية الأولياء: ٦٣/٩، تاريخ بغداد: ٥٦/٢، سير أعلام النبلاء: ٥/١٠، تذكرة الحفاظ: ٣٦١/١، تهذيب الكمال: ٣٥٥/٢٤، البداية والنهاية: ٢٥١/١٠، طبقات الحفاظ للسيوطي: ١٥٧/١، شذرات الذهب: ٩/٢، وغيرها، وقد صنف في مناقبه مؤلفات مستقلة منها: مناقب الشافعي للبيهقي، ومناقب الشافعي للرازي، وتوالي التأسيس بمعالي ابن إدريس لابن حجر، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٣٤٣/١ فقد عدد كثيراً المؤلفات المصنفة في مناقب الشافعي.

ثم وقع في كل بلد منه شظية، فتأوله المعبرون بأنها تلد عالماً، يخص علمه أهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان [1].

نشا بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول ﷺ، وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته.

شيوخه وتلاميذه:

روى عن: عمه محمد بن علي، وأبي أسامة، وسعيد بن سالم القداح، وابن عيينة، ومالك، وابن علية، وابن أبي فديك، وخلق كثير.

وحدث عنه: ابنه أبو عثمان محمد، والإمام أحمد بن حنبل، وأبو ثور، وأبو عبيد القاسم، والمزني، والربيع بن سليمان المرادي، والربيع بن سليمان الجيزي، ويونس بن عبد الأعلى، وخلق لا يحصون.

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد: (إن الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله ﷺ فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي).

وقال ابن مهدي: (ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها).

وقال هارون بن سعيد الأيلي: (لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي هو من حجارة أنه من خشب لغلب لاقتداره على المناظرة).

وكان الحميدي يقول: (حدثنا سيد الفقهاء الشافعي).

وقال إسماعيل بن يحيى: (سمعت الشافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر).

وقال الربيع بن سليمان: (كان الشافعي يفتي وله خمس عشرة سنة، وكان يحيى الليل إلى أن مات).

وقال أبو ثور: (كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قول الأخيار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة).

وقال الخطيب البغدادي: (الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء) [2].

وقال الحافظ الذهبي: (الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة) [3].

وقال الحافظ المزي: (إمام عصره، وفريد دهره) [4].

وقال السيوطي: (إمام الأئمة، وقدوة الأمة) [1].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد: ٥٨/٢، سير أعلام النبلاء: ١٠/١٠.

(٢) تاريخ بغداد: ٥٦/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٥/١٠.

(٤) تهذيب الكمال: ٣٥٦/٢٤.

مؤلفاته:

له مؤلفات منيفة جليلة منها: كتاب الأم، وكتاب الرسالة وهما كتابان الرسالة القديمة، والجديدة، وكتاب اختلاف الحديث، وغيرها، وقد ذكر له بعض أهل العلم مؤلفات كثيرة تزيد على المائة، بل أحصى له الحسن بن زولاق نحواً من مائتي جزء[٢]، وذكر المروزي إن للشافعي مائة وثلاثة عشر كتاباً[٣]، وعد ياقوت الحموي مائة وسبعة وأربعين كتاباً من كتب الشافعي[٤]، وذكر ابن النديم في الفهرست مائة وستة كتب[٥]، وفي الكتب التي ذكرها ابن النديم ما لم يذكره الحموي، وهي ستة وعشرين كتاباً، فيكون مجموع ما ذكراه مائة وثلاثة وسبعين كتاباً، وكثير من هذه الكتب داخلة ضمن كتاب الأم.

وقد ألف الشافعي غالب كتبه في آخر حياته بمصر، قال الربيع: (أقام الشافعي .بمصر. أربع سنين، فأملى ألفاً وخمسمائة ورقة، وخرج كتاب الأم ألفي ورقة، وكتاب السنن، وأشياء كثيرة في مدة أربع سنين، وكان عليلاً شديد العلة، وربما خرج الدم وهو راكب حتى تمتلئ سراويله وخفه)[٦]، وبسبب هذه العلة مات .رحمه الله.

وقد امتازت مؤلفاته بقوة العبارة، والسبك المحكم لها، وجزالتها، فهي تحتاج إلى قراءة بهدوء وروية، حتى يفهم مقصوده، ورغم ذلك قال الربيع: (لو رأيت الشافعي وحسن بيانه وفصاحته؛ لعجبت، ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته التي كان يتكلم بها معنا في المناظرة لم تقدر على قراءة كتبه؛ لفصاحته، وغرائب ألفاظه، غير أنه كان في تأليفه يوضح للعوام)[٧].

وفاته:

مرض الشافعي بمرض البواسير، وأشتد عليه المرض، ولم ينقطع النزيف عنه، حتى كان الدم يخرج منه وهو راكب حتى تمتلئ سراويله وخفه، فمات لما اشتد عليه النزف في مصر بعد صلاة العشاء في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين من الهجرة عن أربع وخمسين سنة.

ولما مات رآه الربيع في المنام، فقال: (يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال الشافعي: أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر عليَّ اللؤلؤ الرطب)[٨].

ثانياً: الكتاب.

وهو (كتاب اختلاف الحديث)، وهو أول كتاب ألف في هذا الفن، قال العراقي: (أول من تكلم فيه الإمام

---

(١) طبقات الحفاظ: ١٥٧/١.

(٢) انظر: شذرات الذهب: ١٠/٢.

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات: ٥٣/١.

(٤) انظر: معجم الأدباء: ٤٢٣/١٧.

(٥) انظر: الفهرست: ٢٦٤.

(٦) توالي التأسيس، ص: ٨٣.

(٧) سير أعلام النبلاء: ٧٤/١٠.

(٨) صفة الصفوة: ١٤٧/٢.

الشافعي ﷺ في كتابه اختلاف الحديث، ذكر فيه جملة من ذلك ينبه بها على طريق الجمع)[1].

ولعل قصد العراقي من قوله:(أول من تكلم)أي في كتاب مستقل، وإلا فهذا العلم موجود من قبله.

وقال السخاوي:(وأول من تكلم فيه إمامنا الشافعي ﷺ، وله فيه مجلد جليل من جملة كتب الأم)[2].

ولم يكن قصد الشافعي .رحمه الله. استيفاء الكلام على مختلف الحديث؛ بل ذكر ما تيسر له منها، مبيناً طريقة الجمع بينها، قال النووي:(وصنف فيه الإمام الشافعي، ولم يقصد .رحمه الله. استيفاءه بل ذكر جملة ينبه بها على طريقه)[3].

وذكر العراقي[4] أن هذا الكتاب ليس مستقلاً، بل هو جزء من كتاب الأم، وتبعه على ذلك السخاوي[5]، والسيوطي[6].

والأظهر أنه كتاب مستقل عن كتاب الأم ككتاب الرسالة، ويدل على ذلك أمور منها:

١- أن الإمام البيهقي ذكره ككتاب مستقل للشافعي، والبيهقي من أعرف الناس بالشافعي ومؤلفاته، وأعلم من هؤلاء جميعاً بذلك، وهو قد ذكر كتاب اختلاف الحديث ضمن كتب الشافعي التي تجمع الأصول وتدل على الفروع، ثم ذكر كتاب الأم ضمن الكتب المصنفة في الفروع[7].

٢- كما أن ابن النديم قد ذكره ضمن مؤلفات الشافعي ككتاب مستقل[8]، وابن النديم أقدم منهم، منهم، وأكثر معرفة بالمؤلفات، ويظهر ذلك من خلال فهرسته.

٣- كما أن ظاهر كلام النووي في التقريب يدل على أنه كتاب مستقل، فقد قال:(وصنف فيه الإمام الشافعي، ولم يقصد .رحمه الله. استيفاءه)[9]، وظاهر هذا الكلام يدل على أنه كتاب مستقل عن الأم لا جزء منه.

٤- كما أن الناظر في كتاب اختلاف الحديث يظهر له كونه كتاباً مستقلاً؛ لأنه ابتدأه بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم اتبع ذلك بمقدمة طويلة ذكر فيها أصولاً نفيسة في الاحتجاج بالسنة، والنسخ، والتوفيق بين الأحاديث المتعارضة، ثم شرع في مقصوده من ذكر الأحاديث المختلفة، والتوفيق بينها.

أما كتب الأم فإن الشافعي يشرع فيها مباشرة بعد ذكر اسم الكتاب دون مقدمة تذكر، ومن قارن بين كتاب الأم وما فيه وبين كتاب اختلاف الحديث تبين له كون الأخير كتاباً مستقلاً عن كتاب

---

(١) شرح التبصرة والتذكرة، ص: ٣٢٩.

(٢) فتح المغيث: ٦٦/٤.

(٣) التقريب مع التدريب: ٦٥٢/٢.

(٤) انظر: شرح التبصرة والتذكرة، ص: ٣٢٩.

(٥) انظر: فتح المغيث: ٦٦/٤.

(٦) انظر: تدريب الراوي: ٦٥٢/٢.

(٧) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي: ٢٤٦/١.

(٨) انظر: الفهرست: ٢٦٤.

(٩) التقريب مع التدريب: ٦٥٢/٢.

الأم.

قال الشيخ أحمد شاكر: (وزعم السيوطي في التدريب أن الشافعي لم يقصده بالتأليف، وإنما تكلم عليه في كتاب الأم؛ ولكن هذا غير جيد، فإن الشافعي كتب في الأم كثيراً من أبحاث اختلاف الحديث، وألف فيه كتاباً خاصاً بهذا الاسم، وهو مطبوع بهامش الجزء السابع من الأم، وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست ضمن مؤلفات الشافعي ص: (٢٩٥)، وابن النديم من أقدم المؤرخين الذين ذكروا العلوم والمؤلفين، فإنه ألف كتاب الفهرست حوالي سنة ٣٧٧هـ، وقد ذكره ابن حجر في ترجمة الشافعي التي سماها "توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس"، ضمن مؤلفاته التي سردها نقلاً عن البيهقي، ص (٧٨)، والبيهقي من أعلم الناس بالشافعي، وكتبه، وذكره ابن حجر أيضاً في شرح النخبة)[١].

منهج الإمام الشافعي في كتاب اختلاف الحديث:

أولاً: المقدمة:

بدأ الشافعي -رحمه الله- كتابه بمقدمة مطوله افتتحها بحمد الله، والثناء عليه بما هو أهله، ثم ذكر عدة قواعد وأصول مهمة، وتلك الأصول التي ذكرها:

١- حجية السنة، ومنزلتها من القرآن، وأنها تبيان للكتاب يبين فيها الرسول ﷺ عدد ما فرضه الله في كتابه، أو ما كان لفظه عاماً وأراد به الخاص، أو ما كان أمراً وأريد به الإباحة أو الإرشاد، ونحو ذلك.

٢- حجية خبر الآحاد، ووجوب العمل به دون عرضه على القرآن.

٣- أقسام الخبر من عام وخاص، ومتواتر وآحاد.

٤- نزول القرآن بلسان عربي مبين، والسنة مثله في ذلك، وهما جميعاً يحملان على ما يدل عليه لسان العرب من العموم والخصوص ونحوهما، وأنه لا يجوز تأول الخبر إلا على ما يحتمله لسان العرب احتمالاً جائزاً.

٥- ثم ذكر صوراً من التعارض المتوهم بين القرآن والسنة، وبين وجهه، وأطال في الرد على من عمل بالقرآن وحده، وترك ما يخص عمومه، أو يقيد مطلقه من السنة النبوية.

٦- ثم تكلم عن النسخ، وكيفية معرفة الناسخ والمنسوخ، ومتى يحكم على النص بالنسخ.

ثم ختم هذه المقدمة بكلام موجز يبين من خلاله منهجه في التوفيق بين الأحاديث المختلفة، ويمكن بيان هذا المنهج وفق ما يلي:

١- التوفيق بين الأحاديث المتعارضة ما أمكن، وإعمالهما جميعاً؛ لأن إعمال الدليلين أولى من إهمالهما، قال -رحمه الله- مبيناً ذلك: (وكلما احتمل حديثان أن يستعملا معاً استعملا معاً، ولم يعطل واحداً منهما الآخر)[٢].

---

(١) الباعث الحثيث: ١/٤٨٠.

(٢) اختلاف الحديث، ص: ٦٤.

٢- إذا تعارض الدليلان ولم يمكن الجمع بينهما وعرف تاريخهما كان المتأخر ناسخاً للمتقدم، قال .رحمه الله :(فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف كما اختلفت القبلة نحو بيت المقدس والبيت الحرام كان أحدهما ناسخاً، والآخر منسوخاً)[١].

ثم بين .رحمه الله. كيفية معرفة الناسخ والمنسوخ فقال:(ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ إلا بخبر عن رسول الله، أو بقول، أو بوقت يدل على أن أحدهما بعد الآخر، فيعلم أن الآخر هو الناسخ، أو بقول من سمع الحديث، أو العامة كما وصفت)[٢].

٣- إذا لم يعرف التاريخ يصار إلى الترجيح بين الأحاديث المتعارضة بأي من المرجحات المعتبرة، قال .رحمه الله :(ومنها ما لا يخلو من أن يكون أحد الحديثين أشبه بمعنى كتاب الله، أو أشبه بمعنى سنن النبي ﷺ مما سوى الحديثين المختلفين، أو أشبه بالقياس، فأي الأحاديث المختلفة كان هذا فهو أولاهما عندنا أن يصار إليه)[٣].

ثم بين .رحمه الله. بعض ما يرد من الأحاديث ويظنها البعض من المختلف وليست هي منه، إنما هي عام ورد تخصيصه، أو مطلق ورد تقييده، وهذا جار في لسان العرب، ولا يعدونه من التناقض في شيء، قال الشافعي .رحمه الله :(ومنها ما عده بعض من ينظر في العلم مختلفاً..ما جاء جملة وآخر مفسراً، وإذا جعلت الجملة على أنها عامة عليه رُويت بخلاف المفسر)، ثم بين رأيه في مثل هذا فقال .رحمه الله :(وليس هذا اختلافاً؛ إنما هذا مما وصفت من سعة لسان العرب، وأنها تنطق بالشيء منه عاماً تريد به الخاص، وهذان يستعملان معاً)[٤].

ثم بين .رحمه الله. شرط المختلف، وأنه لا يحكم بالاختلاف والتضاد بين الحديثين ما لم يكونا صحيحين ثابتين، فقال .رحمه الله :(وجماع هذا أن لا يقبل إلا حديث ثابت، كما لا يقبل من الشهود إلا من عرفت عدله، فإذا كان الحديث مجهولاً، أو مرغوباً عن من حمله كان كما لم يأت؛ لأنه ليس بثابت)[٥].

ثانياً: أبواب الكتاب:

ثم بعد انتهاء الشافعي .رحمه الله. من ذكر المقدمة، شرع في مقصوده من الكتاب، ويمكن بيان منهجه في بقية الكتاب من خلال النقاط التالية:

١- رتب كتابه على الأبواب، فيسوق في كل باب مجموعة من الأحاديث واحداً تلو الآخر، ثم يبين هل هو من المختلف أم من غير المختلف، وإذا كان من المختلف حاول التوفيق أو الترجيح بينها.

ومن خلال هذا يتبين لنا أن الشافعي .رحمه الله. يذكر في بعض الأبواب أحاديث ليست من

---

(١) اختلاف الحديث، ص: ٦٤.

(٢) اختلاف الحديث، ص: ٦٤.

(٣) اختلاف الحديث، ص: ٦٥.

(٤) اختلاف الحديث، ص: ٦٥.

(٥) اختلاف الحديث، ص: (٦٥).

المختلف عنده؛ ولكن لتوهم البعض أنه من المختلف ذكره، وبين عدم كونه من المختلف، مثال ذلك: ما ذكره في باب القراءة في الصلاة[١]، حيث ذكر بإسناده عن عمرو بن حريث ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في الصبح: **والليل إذا عسعس**[٢]، وحديث زياد بن علاقة عن عمه قال سمعت النبي ﷺ في الصبح يقرأ: **والنخل باسقات**[٣]، وحديث عبد الله بن السائب ﷺ قال صلى لنا رسول الله ﷺ الصبح في مكة فاستفتح **بسورة المؤمنين**..)الحديث[٤].

وهذا لا يعد من المختلف؛ لعدم التعارض بينهما؛ لاحتمال تعدد الوقائع، ولكن لما ظن بعضهم أنه من المختلف المتعارض أورده الشافعي .رحمه الله.، وقال:(وليس نعد شيئاً من هذا اختلافاً؛ لأنه قد صلى الصلوات عمره، فيحفظ الرجل قراءته يوماً، والرجل قراءته يوماً غيره، وقد أباح الله في القرآن بقراءة ما تيسر منه، وسن رسول الله ﷺ أن يقرأ بأم القرآن وما تيسر، فدل على أن اللازم في كل ركعة قراءة أم القرآن، وفي الركعتين الأوليين ما تيسر معها)[٥].

٢- يسوق الأحاديث التي يوردها في الكتاب بإسناده في غالب الكتاب؛ ولكن قد يورد بعض الأحاديث بدون إسناد . وهو قليل.، ومثاله ما ذكره في باب قتل الأسارى والمفادة بهم والمن عليهم، حيث قال:(وأخبرني عدد من أهل العلم من قريش وغيرهم من أهل المغازي أن رسول الله أسر النضر بن الحارث العبدري يوم بدر، وقتله بالبادية، أو بين البادية والأيثل صبراً)[٦]، وقال في باب التيمم:(روي عن عمار أن النبي ﷺ أمره أن ييمم وجهه وكفيه)[٧].

٣- لم يرتب الأبواب وفق ترتيب معين، يسلسل الأبواب المتماثلة، والتي تنضم تحت سلك كتاب ما، ككتاب الطهارة، وإنما يسرد الأبواب حسب ما يتفق له، ولذا نجده يذكر باباً عن القراءة في الصلاة[٨]، ثم عن التشهد[٩]، ثم عن الفطر في السفر[١٠]، ثم يعود فيذكر باباً عن التيمم[١١]، التيمم[١١]، ثم يعود أيضاً للصلاة، فيذكر باباً عن صلاة الإمام جالساً ومن خلفه قياماً[١٢]، وهكذا.

٤- كتابه لا يحتوي إلا على الأحاديث المختلفة في أبواب الفقهية من العبادات والمعاملات، ولا يوجد

---

(١) اختلاف الحديث، ص: (٦٩).
(٢) سورة أخرجه
(٣) سورة أخرجه
(٤) أخرجه
(٥) اختلاف الحديث، ص: (٧٠).
(٦) اختلاف الحديث، ص: (٨٩).
(٧) اختلاف الحديث، ص: (٩٧).
(٨) انظر: اختلاف الحديث، ص: (٦٩).
(٩) انظر: اختلاف الحديث، ص: (٧٠).
(١٠) انظر: اختلاف الحديث، ص: (٧٥).
(١١) انظر: اختلاف الحديث، ص: (٩٥).
(١٢) انظر: اختلاف الحديث، ص: (٩٨).

فيها أحاديث متعلقة العقائد أو التفسير أو الآداب وغيرها مما لا يعد من الأبواب الفقهية.

المطلب الثاني

كتاب تأويل مختلف الحديث

أولاً: المؤلف.

هو الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة [1]، أبو محمد الدينوري، نسبة إلى دينور، وهي بلدة من بلاد الجبل، وقيل: إن أباه مروزي.

روى عن: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد بن عبيد الله الزيادي، وزياد بن يحيى الحساني، وأبي حاتم السجستاني، وغيرهم.

وروى عنه: ابنه القاضي أحمد بن عبد الله، وعبيد الله السكري، وعبيد الله بن أحمد بن بكر، وعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، وغيرهم.

قال الخطيب: (كان ثقة ديناً فاضلاً، وهو صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة)، وقال الذهبي: (العلامة الكبير ذو الفنون)، وقال أيضاً: (صاحب التصانيف، صدوق قليل الرواية)، قال ابن خلكان : (كان فاضلاً ثقة).

تولي قضاء الدينور، وكان عالماً اللغة العربية، وعلومها، وبالأخبار وأيام الناس، قال الذهبي: (والرجل ليس بصاحب حديث وإنما هو من كبار العلماء المشهورين عنده فنون جمة وعلوم مهمة).

له عدة تصانيف، منها:

١- كتاب تأويل مشكل القرآن.
٢- كتاب تأويل مختلف الحديث.
٣- غريب القرآن.
٤- غريب الحديث.
٥- كتاب المعارف.
٦- كتاب أدب الكاتب.
٧- كتاب عيون الأخبار.
٨- كتاب طبقات الشعراء.
٩- كتاب الرؤيا.
١٠- كتاب إعراب القرآن.

وغيرها، وقد عقد الذهبي لمؤلفاته في السير باباً ذكر فيه قريباً من عشرين مؤلفاً.

توفي في شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠هـ، وقيل: في شهر رجب سنة ٢٧٦هـ، وهو الأشهر.

---

(١) انظر: ترجمته في تاريخ بغداد: ١٠/١٧٠، المنتظم: ٥/١٠٢، وفيات الأعيان: ٣/٤٢، تذكرة الحفاظ: ٢/٦٣٣، سير أعلام النبلاء: ١٣/٢٩٦، البداية والنهاية: ١١/٤٨، شذرات الذهب: ٢/١٦٩.

ثانياً: الكتاب.

بدأ كتابه بمقدمة طويلة جداً ابتدأها بذكر سبب تأليفه للكتاب، حيث أتاه كتاب أحدهم يعلمه بمقالات أهل الكلام في ثلب أهل الحديث، وروايتهم المتناقض والكذب، وذكر أنه وجد كلاماً جيداً لابن قتيبة في دفع التناقض عن بعض الأحاديث في كتابه غريب الحديث، وطلب منه تأليف كتاب جامع في ذلك، قال ابن قتيبة . رحمه الله : (أما بعد، . أسعدك الله تعالى بطاعته وحاطك ووفقك للحق برحمته وجعلك من أهله . فإنك كتبت إلي تعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث، وامتهانهم، وإسهابهم في الكتب بذمهم، ورميهم بحمل الكذب، ورواية المتناقض، حتى وقع الاختلاف، وكثرت النحل، وتقطعت العصم، وتعادى المسلمون، وأكفر بعضهم بعضاً، وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث)[1].

ثم ذكر ما كتبه ذلك الرجل من مقالات كثير من أصحاب المذاهب المبتدعة كالخوارج والمرجئة والقدرية والمفوضة وغيرهم، وما احتجوا به من الأحاديث وأطال في ذلك حتى بلغ قريباً من سبع صفحات، ثم قال بعد ذكر مقالاتهم: (هذا ما حكيت من طعنهم على أصحاب الحديث، وشكوت تطاول الأمر بهم على ذلك من غير أن ينضح عنهم ناضح، ويحتج لهذه الأحاديث محتج، أو يتأولها متأول حتى أنسوا بالعيب، ورضوا بالقذف، وصاروا بالإمساك عن الجواب كالمسلمين، وبتلك الأمور معترفين.

وتذكر أنك وجدت في كتابي المؤلف في " غريب الحديث " باباً ذكرت فيه شيئاً من المتناقض عندهم، وتأولته، فأملتَ بذلك أن تجد عندي في جميعه مثل الذي وجدته في تلك من الحجج، وسألتَ أن أتكلف ذلك محتسباً للثواب بمبلغ علمي، ومقدار طاقتي، وأعدتُ ما ذكرتُ في كتبي من هذه الأحاديث؛ ليكون الكتاب تاماً جامعاً للفن الذي قصدوا الطعن به..وأرجو أن لا يطلع ذو النهى مني على تعمد ولا إيثار لهوى ولا ظلم لخصم وعلى الله أتوكل فيم أحاول وبه أستعين)[2].

ثم بعد المقدمة افتتح الكتاب بباب (ذكر أصحاب الكلام وأصحاب الرأي)[3]، خصصه لوصف أهل الكلام، وبيان الفرق بينهم وبين أهل الحديث، فقد قال . رحمه الله : في آخر مقدمته: (وقدمت قبل ذكر الأحاديث وكشف معانيها وصف أصحاب الكلام وأصحاب الحديث بما أعرف به كل فريق)[4].

وقد ذكر في هذا الباب بعضٍ من عقائد أهل الكلام وزيفها، وأبان عن بعض معتقدات أهل الحديث الصحيحة[5]، وأوضح أن الفرق بين الطائفتين عظيم، كما أن المبتدعة مختلفين اختلافاً كبيراً، فيما لا يسوغ الاختلاف فيه، ولا يمكن لهم الاجتماع، فقال . رحمه الله : (ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن، لاتسع لهم العذر عندنا .وإن كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم. كما اتسع لأهل الفقه،

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص: (٥).

(٢) تأويل مختلف الحديث ص: (١٢) باختصار يسير.

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث ص: (١٢).

(٤) تأويل مختلف الحديث ص: (١٢).

(٥) أشار باختصار إلي بعض معتقداتهم ص:١٤-١٥، وقد خصص الباب التالي لهذا الباب في الكلام المفصل عن أصحاب الحديث، والدفاع عنهم، وسيأتي وصف هذا الباب.

ووقعت لهم الأسوة بهم؛ ولكن اختلافهم في التوحيد، وفي صفات الله .تعالى.، وفي قدرته، وفي نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، وعذاب البرزخ، وفي اللوح، وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحي من الله .تعالى.)[١].

كما ذكر أقوال بعض المبتدعة، وخاصة ما يتعلق بآرائهم الفاسدة تجاه السنة النبوية والصحابة ﷺ، فذكرها بالتفصيل وردها واحداً تلو الآخر، وممن ذكر أقوالهم النظام[٢]، وأبو الهذيل العلاف[٣]، وعبيد الله بن الحسن[٤]، والجاحظ[٥]، وغيرهم[٦].

ثم أعقب هذا الباب بباب: (ذكر أصحاب الحديث)[٧]، بين فيه أصلهم العظيم الذي تمسكوا به فاهتدوا وهو سنة النبي ﷺ، وشيء من صفاتهم، وبعض ما طعنه فيهم الطاعنون، ورد تلك الطعون.

ومن تلك الطعون التي ذكرها:

- حملهم الضعيف، وطلبهم الغريب.
- أنه ربما نسي الرجل منهم ما حدث به، وحفظ عنه، فإذا حدث به لم يعرفه، ثم يرويه عن من حدثه به عن نفسه.
- قلة المعرفة لما يحملونه، وكثرة اللحن والتصحيف.
- كتابتهم الحديث عن مخالفيهم، وامتناعهم الكتابة عن مثلهم.

ثم شرع ابن قتيبة .رحمه الله. بعد ختام هذا الباب بما قصده من هذا الكتاب، ويمكن بيان منهجه في بقية الكتاب على النحو التالي:

١- لم يقتصر كتابه على مختلف الحديث، بل أدخل في كتابه مشكل الحديث، وقد ذكر في أول كلامه على الأحاديث المختلفة، أنه سيذكر ثلاثة أنواع[٨]:

أ- الأحاديث التي ادعي عليها التناقض.

ب- الأحاديث التي ادعي أنها تخالف كتاب الله تعالى.

ج- الأحاديث التي ادعي أنه يدفعها النظر وحجة العقل .

كما أنه ذكر أيضاً أنواعاً غير هذه وهي من المشكل كالأحاديث التي ادعي أنها تناقض الإجماع[٩]، أو القياس[١٠]، وغيرهما.

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص: (١٣-١٤).

(٢) ذكر أقواله في الصفحات:١٥-٣٢.

(٣) ذكر أقواله في الصفحات: ٣٢-٣٣.

(٤) ذكر أقواله في الصفحات:٣٣-٣٤.

(٥) ذكر أقواله في الصفحات:٤١-٤٢.

(٦) انظر: تأويل مختلف الحديث ص: ١٥- ٥٠.

(٧) انظر: تأويل مختلف الحديث ص: ٥١.

(٨) انظر: تأويل مختلف الحديث ص: ٥٩.

(٩) انظر: تأويل مختلف الحديث ص: ٦٤.

(١٠) انظر: تأويل مختلف الحديث ص: ٩٨.

٢- لا يلتزم بذكر أسانيد الأحاديث في الغالب، ولكن قد يذكر أسانيد بعض الأحاديث، ومن ذلك ما ذكره عند التوفيق بين حديث عائشة: ما بال رسول الله ﷺ قائماً قط، وحديث حذيفة: أنه بال قائماً، ثم بدأ بالتوفيق بين الحديثين، وذكر في آخر كلامه إسناد حديث حذيفة فقط، فقال: (حدثني محمد بن زياد الزيادي، قال: أنا عيسى بن يونس، قال: أنا الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة قال..)[١].

٣- لم يرتب كتابه على كتب أو أبواب، سوى ما ذكره في أول الكتاب عندما ذكر باب في ذكر أصحاب الكلام، وباب في ذكر أصحاب الحديث، وأما في سائر الكتاب، فهو يسرد الأحاديث متتالية دون تقسيمها على أبواب، ولا يزيد على قوله في بداية الكلام على كل حديث أو حديثين، بقوله:(قالوا: حديث يخالف كتاب الله)، (قال حديثين متناقضين)، وهكذا.

٤- لم يرتب الأحاديث وفق ترتيب معين يجمع شمل الأحاديث المتقاربة المعنى، أو التي تنظم تحت موضوع واحد كالصلاة أو الصيام، ونحوهما.

٥- كما أنه لم يفصل بين مختلف الحديث ومشكله، وقد ذكر في أول شروعه في مقصود الكتاب أن الأحاديث التي سيذكرها على ثلاثة أنواع كما سبق في الفقرة الأولى، إلا أنه لم يفصل كل نوع عن الآخر بل مزجها جميعا، فتجده يذكر حديثين من المختلف، ثم يذكر حديثاً ادعى مخالفته لكتاب، ثم يذكر حديثين من المختلف، ثم حديثاً يدفعه العقل أو غيره، ثم يعود للمختلف وهكذا بلا ترتيب معين.

٦- أغلب الأحاديث التي ذكرها في كتابه هي من المختلف، إذ إنها تبلغ أكثر من نصف الكتاب، وربما تصل إلى ثلثيه بينما بقية الكتاب للأنواع الأخرى مما سبق ذكره في الفقرة الأولى.

والكتاب يحتاج إلى ترتيب وفق منهج معين لتسهل الاستفادة منه؛ لأن الكتاب يصعب الاستفادة منه بهيئته الحالية؛ لعدم ترتيبه، فلو أراد الباحث حديثاً معا لما سهل الاستدلال عليه، ويمكن أن يغني عن ترتيبه وضع فهارس تفصيلية للكتاب، إلا أن هذا أيضاً غير موجود، فسائر طبعات الكتاب . فيما وقفت عليه . غير مزودة بفهارس تفصيلية للأحاديث، والآثار، والأعلام ونحو ذلك.

المطلب الثالث

شرح مشكل الآثار

أولاً: المؤلف.

هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي[٢]، وأمه مزنية، وهي أخت المزني تلميذ تلميذ الإمام الشافعي.

وهو منسوب إلى قرية تسمى (طحا)، بالصعيد الأدنى في مصر.

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص: ٦٣.

(٢) انظر ترجمته: الأنساب: ٢١٨/٨، تاريخ دمشق: ٣١٧/٧، المنتظم: ٢٥٠/٦، وفيات الأعيان: ٧١/١، سير أعلام النبلاء: ٢٧/١٥، تذكرة الحفاظ: ٨٠٨/٣، البداية والنهاية: ١٧٤/١١، شذرات الذهب: ٢٨٨/٢.

ولد سنة ٢٣٩هـ في العصر الذهبي للسنة النبوية التي ظهر فيها كبار المحدثين، وجهابذة الحفاظ، وفيها ظهرت الكتب الستة، وأكثر المصنفات السيارة في علم الحديث، مما كان له الأثر الكبير في غزارة علمه، وتنمية فكره.

وفد نشأ الطحاوي في بيت علم، وفي بيئة شافعية، فقد كان خاله المزني من كبار أصحاب الشافعية، كما أن أمه معدودة من أصحاب الشافعة الذين كانوا يحضرون مجلسه.

وقد تفقه على خاله المزني، وروى عنه كتب الشافعي، وسمع منه مختصره، ثم لما بلغ العشرين من عمره تحول من مذهب الشافعي إلى مذهب أبي حنيفة، ورحل الشام وأفاد من علمائها.

وقد تلقى العلماء عن جميع كبير من العلماء، ومنهم خاله إسماعيل بن يحيى المزني، والربيع بن سليمان، وهما من أجل أصحاب الشافعي، وأبو خازم عبدالحميد بن عبد العزيز السكوني، والقاضي بكار بن قتيبة، والحافظ أبو عبدالرحمن النسائي صاحب السنن، وقد أكثر من الرواية عنه، وأبو زرعة الدمشقي، وغيرهم مما يصعب حصره.

وروى عنه عدة، من أشهرهم: الحافظ الحسين بن أحمد الصفار صاحب المستخرج على صحيح مسلم، والحافظ سليمان بن أحمد الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة، والحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي صاحب الكامل، والحافظ محمد بن جعفر الملقب بغُنْدَر، والحافظ محمد بن القاضي بن زبر الربعي صاحب كتاب الوفيات، وغيرهم من أهل العلم.

وقد صنف مؤلفات منيفة، وكتب سيارة، منها:

١- شرح معاني الآثار.
٢- شرح مكل الآثار.
٣- اختلاف الفقهاء.
٤- سنن الشافعي.
٥- الشروط الكبير.
٦- الشروط الأوسط.
٧- الشروط الصغير.
٨- أحكام القرآن.

وغيرها من المؤلفات.

وفاته: توفي في ذي القعدة سنة ٣٢١هـ، بمصر، بالقرافة الصغرى في تربة بني الأشعث.

ثانياً: الكتاب.

منزلته:

يعد كتاب الطحاوي من أجمع الكتب المؤلفة في باب مختلف الحديث من حيث حجمه وكثرة ما فيه من أحاديث، إذ إن كل واحد من الكتابين السابقين .كتاب الشافعي وابن قتيبة. لا يوازي حجمه عشر كتاب الطحاوي.

كما أنه يتميز عن الكتابين السابقين بشموله إذ أن كتاب الشافعي اختص بالأحاديث الفقهية، كما أن

كتاب ابن قتيبة أكثر من الأحاديث المتعلقة بمسائل الاعتقاد، أما كتاب الطحاوي فهو أعم منهما، ففيه الأحاديث المختلفة سواء أكانت تلك الأحاديث في العقائد أو التفسير أو اللغة أو الفقه أو غيرها.

سبب تأليفه:

ألف أبو جعفر الطحاوي كتابه رغبة في ثواب الله ﷻ لما رأى من خفاء معرفة التوفيق بين بعض مختلف الحديث على كثير من الناس، فرغب في بيانها وحل مشكلها خدمة للسنة النبوية، وتعليماً للناس، قال .رحمه الله: (وإني نظرت في الآثار المروية عنه ﷺالأسانيد المقبولة التي نقلها ذوو التثبت فيها، والأمانة عليها، وحسن الأداء لها، فوجدت فيها أشياء مما يسقط معرفتها والعلم بما فيها عن أكثر الناس، فما قلبي إلى تأملها، وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها، ومن استخراج الأحكام التي فيها، ومن نفي الإحالات عنها، وأن أجعل ذلك على أبواب أذكر في كل باب منها كذلك، ملتمساً ثواب الله ﷻ عليه)[1].

منهجه:

ابتدأ كتابه بمقدمة موجزة ذكر فيها منزلة السنة النبوية، وكونها وحياً من الله ﷻ، والأمر باتباع الرسول ﷺ أمراً ونهياً، وعدم مخالفتها.

ثم ذكر سبب تأليف الكتاب، وعقب ذلك بخطبة الحاجة وأسانيدها.

ثم شرع في مقصوده من تأليف الكتاب، فبدأ يذكر الأبواب واحداً تلو الآخر، ويمكن بيان منهاجه في كتابه من خلال النقاط التاليه:

١- رتب كتابه على الأبواب، حيث يسوق في كل باب الأحاديث المتعارضة، وقد يكونا حديثين أو أكثر.

٢- لم يلتزم ترتيباً معيناً للأبواب التي يذكرها بحيث يضم أبواب الصلاة إلى بعضها، وأبواب الصيام، وهكذا.

(ويمكن أن يعتذر له عن ذلك: أن كتابه هذا ليس مقصوراً على استخراج الأحكام حتى يرتبه على أبواب الفقه، أو أن كثيراً من بحوثه لا يوجد لها نظائر تنظم إليها)[2]، أو (أن كل حديث قائم بنفسه مستقل بمعناه، لا ارتباط له بغيره)[3].

٣- يسوق الأحاديث بأسانيدها،كما أنه يسوق كثيراً من أقوال الصحابة والتابعين بالأسانيد [4].

٤- يورد الأسانيد، ويسرد الطرق والروايات، والاختلاف في الألفاظ.

٥- شمل كتابه الأحاديث المشكلة في أبواب الفقه، والعقائد، والتفسير، والقراءات، والفضائل، وغيرها، ولم يقصره على علم بعينه، فنجده افتتح كتابه بـ(باب ما قد روي عن رسول الله ﷺ

---

(١) شرح مشكل الآثار: (٦/١).

(٢) انظر: مقدمة محقق الكتاب: ٨/١.

(٣) مشكلات الأحاديث النبوية، وبيانها، ص: ٩.

(٤) انظر على سبيل المثال: شرح مشكل الآثار: ١١٠/١، ١١٩، ١٣٢، ٣٠٣-٣٠٥.

في أشد الناس عذاباً يوم القيامة)[1]، ثم (باب بيان ما أشكل علينا مما قد روي عنه عليه السلام من العشر الخواتم من سورة آل عمران)[2]، ثم (باب بيان مشكل ما روي عنه فيما يقال عند المساء مما لا يُضر معه قائله لدغة حُمة حتى يصبح)[3]، ثم بعد عدة أبواب يذكر (باب مشكل ما روي في السبب الذي فيه نزلت: **وهو الذي كف أيديهم عنكم**)[4]، ثم بعد عدة أبواب ذكر (باب بيان مشكل ما روي عنه ﷺ في الأعداد من الزمان التي لو وقفها من مر بين يدي المصلي كانت خيراً له من مروره من بين يديه)[5]، وهكذا فهو لا يسير وفق ترتيب معين، وإنما يذكر ما يشكل من الأحاديث حسب ما اتفق له.

والاستفادة من كتاب الطحاوي فيها شيء من الصعوبة بسبب عدم ترتيبه وضخامة حجم الكتاب، وكثرة الأحاديث التي يوردها، ولذا فهو يحتاج إلى أمرين لتسهيل الاستفادة منه:

الأول: ترتيب الكتاب وفق أسلوب يمكن الباحث من الاستفادة منه، وسهولة الوصول للحديث المراد البحث عنه.

الثاني: اختصار الكتاب، وتهذيبه، فإن في كلام الطحاوي شيء من الإطناب الذي يمكن اختصار بدون فقد المعنى.

وقد اختصر الكتاب أبو الوليد الباجي، المتوفى سنة ٤٧٤هـ، فحذف أسانيده، وقلل طرقه، وهذبه ورتبه، وضم كل نوع إلى نوعه[6]، كما اختصر هذا المختصر أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، وقد طبع الكتاب قديماً بالهند سنة ١٣٦٢هـ، ثم أعادت دار عالم الكتب في بيروت طباعته حديثاً.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد :

فإني أحمد الله الذي لا إله سواه على ما يسر من إتمام هذا البحث، الذي ما كان ليتم لولا فضل الله ورحمته وتيسيره .

وفي هذه الخاتمة سأسوق أهم النتائج التي توصلت لها من خلال بحثي بشيء من الإيجاز:

١- مختلف الحديث هو علم يبحث في عن التوفيق بين الأحاديث المتعارضة ظاهراً، أو الترجيح بينها.

٢- وشرطه: صحة الأحاديث المتعارضة، فأما إذا لم يصح أحد الحديثين المتعارضين فلا اختلاف حينئذ؛ لسقوط الضعيف منها.

٣- ومشكل الحديث هو أعم وأشمل من مختلف الحديث.

٤- وأما الناسخ والمنسوخ فهو أخص من مختلف الحديث.

---

(١) انظر: مشكل الآثار: ١٠/١.

(٢) انظر: مشكل الآثار: ١٤/١.

(٣) انظر: مشكل الآثار: ١٨/١.

(٤) انظر: مشكل الآثار: ٤٩/١.

(٥) انظر: مشكل الآثار: ٨٢/١.

(٦) انظر: نشأة علوم الحديث، وتدوينه، لمحمد عجاج الخطيب، ص: ٢٦١.

٥- ظهر هذا العلم في زمن مبكر شأنه شأن سائر العلوم الإسلامية، فقد نشأ هذا العلم في زمن النبي ﷺ علي يد الصحابة ﷺ ، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك.

٦- إلا أن تدوينه تأخر حتى جاء عصر التدوين للسنة النبوية في أواسط القرن الهجري الثاني، فدون هذا العلم في الكتب كما دون سائر علوم الحديث النبوي، ووضعت قواعده، وبينت مسالكه، وصنفت المؤلفات المستقلة في هذا العلم.

٧- وقد سلك المحدثون في دفع التعارض المتوهم بين الأحاديث أربعة مسالك:

المسلك الأول: الجمع والتوفيق.

المسلك الثاني: النسخ .

المسلك الثالث: الترجيح.

المسلك الرابع: التوقف.

٨- وأول من صنف في مختلف الحديث الإمام محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، في كتابه "اختلاف الحديث".

٩- ثم تتابع التصنيف من بعده، فألف فيه عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٣هـ، وأبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي، المتوفى سنة ٣٠٧هـ، والإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ، والإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، المتوفى سنة ٣٢١هـ،وأبو محمد عبد الجليل بن موسى الأندلسي، المشهور بالقصري، وعلي بن أحمد بن حزم الظاهري، المتوفي سنة ٤٥٦هـ، وغيرهم.

١٠- إلا أنه لم يصلنا إلا القليل منها، ولم يطبع إلا كتاب الشافعي وابن قتيبة، والطحاوي.

١١- امتاز كتاب الشافعي بعدة مميزات منها المقدمة الضافية عن كيفية رفع الاختلاف بين الأحاديث، وشرط الاختلاف، وسوقه الأحاديث بأسانيدها، واقتصاره على أحاديث الفقه، وغير ذلك، إلا أنه لم يرتب كتابه ترتيباً يسهل الاستفادة منه.

١٢- كما امتاز كتاب ابن قتيبة بدفاعه عن أهل الحديث، ورده مقولة أهل الكلام والرأي في القدح بهم، ورفع الإشكال الوارد في كثير من الأحاديث، وتركيزه على جوانب الاعتقاد، إلا أنه لم يرتب كتابه ترتيباً يسهل الاستفادة منه، كما أن باعه في الحديث قليل، ولم يسق الأحاديث بأسانيدها.

١٣- وأما كتاب الطحاوي فقد امتاز بعدة مميزات من أهمها: كبر حجمه، وكثرة الأحاديث التي أوردها، والتي تقارب عشرة أضعاف كل واحد من الكتابين السابقين، كما أنه يسوق الأحاديث بأسانيدها، وهو من أهل الحديث الذين يميزون صحيحه من سقيمه، إلا أنه لم يرتب كتابه ترتيباً يسهل الاستفادة منه كالكتابين السابقين، ولذا يحتاج إلى ترتيب، وشيء من الاختصار والتهذيب.

وختاماً أسأل الله أن يكون عملي خالصاً لوجه الكريم، وأن يجعل ما فيه حجة لي لا علي، وما كان فيه من صواب فهو من الله وحده، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي، ومن الشيطان، واستغفر الله منه .

المراجع

١) القرآن الكريم.

٢) أبو جعفر الطحاوي وأثره في الحديث: لعبد المجيد محمود، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: لعلاء الدين علي بن لبان الفارسي، المتوفى سنة ٧٣٩هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤) اختلاف الحديث: لمحمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، تحقيق أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: لأحمد شاكر، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٧) البداية والنهاية: لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ.

٨) تاج العروس من جواهر القاموس: لأبي الفيض محمد بن محمد الزبيدي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، دار الفكر، بيروت.

٩) تاريخ بغداد: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٠) تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المشهور بابن عساكر، تحقيق عمرو العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

١١) تأويل مختلف الحديث: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

١٣) تذكرة الحفاظ : لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، الدار النظامية، الهند، ١٣٣٤هـ.

١٤) تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٥) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير: لمحي الدين بن شرف النووي، المتوفى سنة : ٦٧٦هـ، (مع تدريب الراوي)، تحقيق نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

١٦) تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي، المتوفى سنة ٧٤٢هـ، تحقيق د. بشار عواد ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
١٨) توالي التأسيس معالي محمد بن إدريس: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٩) الجامع الصحيح المختصر: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، مع فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٢٠) الجامع الصحيح: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، تحقيق : أحمد شاكر، وآخرون، دار الحديث، القاهرة.
٢١) الجامع المسند: لمسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، مع شرح النووي، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ.
٢٣) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: لأبي عبدالله محمد بن أبي الفيض الكتاني، المتوفى ١٣٤٥هـ، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ.
٢٤) سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
٢٥) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، ترقيم : محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت .
٢٦) سنن الترمذي: انظر الجامع الصحيح.
٢٧) سنن الدارمي: لعبدالله بن عبد الرحمن الدارمي، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، تحقيق فواز زمرلي، وخالد السبع، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٢٨) سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، ترقيم عبد الفتاح أبو غدة، دار المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى.
٢٩) سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.
٣٠) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، مكتبة القدس، ١٣٥٠ هـ.
٣١) شرح التبصرة والتذكرة: لأبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٣٢) شرح مشكل الآثار: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك الطحاوي، المتوفى سنة

٣٢١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣٣) صحيح ابن حبان: انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.
٣٤) صحيح البخاري: انظر الجامع الصحيح المختصر.
٣٥) صحيح الترغيب والترهيب: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
٣٦) صحيح مسلم: انظر الجامع المسند.
٣٧) صفة الصفوة: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٣٨) طبقات الحفاظ: لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٩) طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، المتوفى سنة ٧٧١هـ، مطبعة الحسينية، مصر.
٤٠) علوم الحديث: لعثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٤١) الفهرست: لأبي الفرج محمد بن إسحاق الوراق، المشهور بابن النديم، المتوفى سنة ٤٣٨هـ، تحقق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
٤٢) القاموس المحيط: لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المتوفى سنة ٨١٧هـ، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٤٣) لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور، المتوفى سنة ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٤٤) المسند: لأحمد بن محمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١هـ، بيروت، دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٤٥) مشكل الحديث وبيانه: لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٠٦هـ، تحقيق موسى محمد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥هـ.
٤٦) مشكلات الأحاديث النبوية: عبدالله القصيمي، دار القلم، بيروت.
٤٧) معجم الأدباء: لأبي عبد الله ياقوت الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.
٤٨) معجم المؤلفين: لعمر رضا كحاله، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٩) الموطأ: لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، المتوفى سنة ١٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، اسطنبول.
٥٠) نخبة الفكر شرح نزهة النظر: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى.
٥١) نشأة علوم الحديث، وتدوينه، لمحمد عجاج الخطيب، دار الكتب، بيروت.
٥٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي، المتوفى سنة ٦٨١هـ.

٣٦. أدب الحديث النبوي الأردي: دراسة و تقويم

د. محمد ثناء الله الندوي

(القسم العربي، جامعة علي كره، أوترابراديش، الهند)

توطئة

ظهور الإسلام (بالمولد النبوي الكريم عام ٥٧٠م) مثل نقطة تحول أكبر للإنسانية بوجه عام، وكان هذا التحول كبيراً بالنسبة للهند، وذلك لتواصل وتبادل تألفت هيكلتهما سياسياً و اجتماعيا و دينيا و ثقافيا فى شبه الفارة الهندية. الأحداث السياسية من أمثال ظهور أول أسطول مسلم في المياه الهندية عام ٦٣٦ م وفتح ربيع بن زياد الحارثي لمناطق السند (الفهرج) وإنشاء أول دولة إسلامية في السند على أيدي محمد بن قاسم الثقفي عام ٩٢ هجرياً (٧١١ الميلادي) تشكل البنية السفلى لهذا المدلول الجديد[١]، بينما المستوطنات العربية على سواحل الهند الجنوبية وفيها مالك بن دينار ومالك بن حبيب اللذان نزلا مع عائلتهما بمالابار عام ٨٣٣م، ووفود التجار العرب على ديبل وتهانه ومالابار وسرنديب وكارومندال وجزر الهند الأخرى[٢]، والعصر الذهبي للعلاقات التجارية بين الهند وبين العالم العربي بعد القرن السابع الميلادي، وتأسيس الإسلام السياسي في الهند في العهود العربية (٩٢-٣٨٧ هجرياً) والغزنوية (٣٨٧-٥٤٧ هجرياً) والغورية (٥٨٢-٦٠٢ هجرياً) والمملوكية (٦٠٢-٦٨٩ هجرياً) والخلجية (٦٨٩-٧٢٠ هجرياً) والتغلقية (٧٢٠-٨١٥ هجرياً) والمغولية (٩٣٣-١٢٧٣ هجرياً) وغيرها من عهود الدويلات من أمثال الدويلات في بنجالة (٥٩٩-٩٨٤ هجرياً) وجونبور (٧٩٦-٩٠٥ هجرياً) وبيجابور (٨٠٤-٩٣٧ هجرياً) وغجرات (٧٩٩-٩٨٠ هجرياً) وبرهانبور (٨٠١-١٠٠٨ هجرياً) وكرناتك (٧٤٨-٩٣٣ هجرياً) وبيجابور (٨٩٥-١٠٩٦ هجرياً) وكول كنده (٩١٨-١٠٩٨ هجرياً) وأحمد نجر (٨٩٦-١٠٠٤ هجرياً) وكشمير٧١٥-) شكلت البنية العليا لكيان متواصل أساسه الإسلام واللغة العربية (بجنب العناصر التركية والفارسية) ومعطياتها العقيدية ومدلولاتهما الثقافية الحية[٣].

---

[١] أنظر: محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية (دمشق: دار القلم الطبعة الأولى ١٩٨٦م)، ٥٣-٦٠، سيد سليمان الندوي:عرب وهند كي تعلقات (أعظم كره: مطبعة المعارف، ١٩٩٢م)، ص ٧-٢٥، محمد إسماعيل الندوي: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية (بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، دون تاريخ)، القاضي أطهر المباركبوري: رجال السند والهند (بومبائي: المطبعة الحجازية، ١٩٨٥م) القاضي أطهر المباركبوري: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين (سرائي مير: المطبعة الحميدية، ١٩٦٧م)، القاضي أطهر المباركفوري: هندوستان مين عربون كي حكومتين (دلهي: ندوة المصنفين) بدون تاريخ

٢. راجع:جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور الوسطى وأوائل القرون الوسطى ترجمة: السيد يعقوب بكر (القاهرة، ١٩٥٨م)

Majumdar, R.C. (ed.). *The Delhi Sultanate* (Mumbai: Bharatiya Vidya Bhavan, 2006)
M.H. Nainar, *Geographers' Knowledge of South India* (Madras: Madras University, 1942)
Hadi Hasan, *History of Persian Navigation* (London: Methuen, 1928)
Bernard Lewis, *The Arabs in History* (London: Arrow, 1958)

٣. أنظر عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند (دمشق: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م)، عبد الحي الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (حيدرآباد: دائرة المعارف الإسلامية) سيد أبو ظفر الندوي: مختصر تاريخ هند (أعظم كره: مطبعة المعارف الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م)، منهاج سراج: طبقات ناصري (كابل، ١٩٦٤م)، فيروز شاه تغلق:فتوحات فيروز شاهي (علي كره، ١٩٥٤)، محمد علي بن حامد الكوفي: جج نامه (حيدرآباد: مجلس مخطوطات فارسية، ١٩٤٩م)، منشي محمد كاظم: عالمكير نامه (كلكتة، ١٩٦٨م)

Abdul Rashid, *Society and Culture in Medieval India* (Calcutta, 1969: Firma KL Mukhopadyaya)

هذا البعد المتفاقم في هيكله الزماني الممتد إلى أكثر من ألف عام وحجمه الجغرافي الذي يكون شبه قارة استطاع بطبيعة حاله أن يبدع مشهداً عملياً وثقافياً تجري في شرايينها دماء الإسلام والعروبة، وأن يرسم أطيافاً من جمال الشعور والتعبير والتفسير المؤلف في ملايين من الصفحات — نظماً كلامياً ونثراً فى كافة العلوم العربية و الإسلامية، وتشييداً هندسياً، وتأسيسياً اجتماعياً — لا يمكن انتشالها من سياق أرضية وسماوية ترادف الإسلام، إلا وفسدت كيمياؤها واختلت هندستها العامة.

ترجمة الحديث النبوي إلى الأردية و الجهات المعنية بها

لم يغادر المسلم الهندي صغيراً أو كبيراً من كتب الإسلام الأساسية (الحديث والتفسير والسيرة والتراجم والتاريخ وعلم الكلام والفقه والطب والأدب والشعر والنقد) إلا وحاول نقله إلى لغته / لغاته، ففى الحديث النبوي الشريف ترجمت الصحاح الستة بكاملها إلى الأردوية، ولصحيح البخاري ٢٦ ترجمة، وأشهرها الترجمات التي عملها أبو الحسن (لاهور ١٣١٣ هجرية)، ووحيد الزمان الحيدرآبادي (١٣٠٥ هجرية) وأبو داؤود راز (١٣٨٥ هجرية) ولكل من جامع الترمذي وسنن أبي داؤد وسنن النسائي وسنن إبن ماجة ترجمات أردوية عديدة عملها أفاضل هنديون من أمثال فضل أحمد الدلاوري (١٣٠٩ هجرية) وعبد الأول (١٩٥٠م) ووحيد الزمان الحيدرآبادي (١٣٠٥ هجرية)، وعبد الدائم الجلالي (١٣٥٥ هجرية)، كما ترجمت مجموعات أخرى من الأحاديث النبوية الشريفة من أمثال مشكاة المصابيح، ومشارق الأنوار، وشرح معاني الآثار، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام، وسنن الدارمي، ومنتقي الآثار، ومسند الإمام أبي حنيفة، ورياض الصالحين، والشفاء للقاضي عياض، والأدب المفرد للبخاري، ومنبهات إبن حجر العسقلاني، ومؤطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وغيرها من المجموعات. على أن اللغة العربية لم تكن لغة الدولة في الهند إلا في فترة الإمارة العربية في السند بعد الفتح العربي له على أيدي محمد بن قاسم.

كثرت الهيئات والمؤسسات والمدارس الحكومية وغيرها والتي لها مساهمتها القيمة في ميدان الترجمة من العربية في الهند فى العلوم الإسلامية، و منها الأحاديث النبوية الشريفة، و من أشهر الجهات المعنية بالترجمة :دار العلوم بديوبند (أنشئت عام ١٨٦٦م)، ومظاهر العلوم بسهارنبور، ودار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ (أنشئت عام ١٨٩٨م)، الجامعة السلفية ببنارس (أنشئت عام ١٩٦٣)، و جامعة دار السلام بعمر آباد (أنشئت عام ١٩٢٤م)، ولكل منها أبناء هم جزء هام من مسيرة التأليف والترجمة في الهند، وهناك مئات من المدارس الإسلامية الأخرى التي لها خدماتها في هذا المجال[١]. وعرفت

I.H. Quraishi, *The Administration of the Sultanate of Delhi* (New Delhi, 1971: Oriental Books Reprint Corp)
T.W. Beale, *An Oriental Biographical Dictionary* (Calcutta: Asiatic Society, 1881)
Alim T Shuayb, *Arabic, Arwi and Persian in Sarandip and Tamil Nadu* (Madras: Spencer Jonathan, 1993)

[١] أنظر: عبد الحليم الندوي: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية في الهند (مدراس: مطبعة نوري، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م)، أبو الحسنات الندوي: هندوستان كي إسلامي درس كاهين (أعظم كره: مطبعة المعارف، ١٩٧١م)، قمر الدين: هندوستان كي ديني درس كاهين (كل هند سروي)، دلهي، ١٩٩٦م، مناظر أحسن كيلاني: هندوستان مين مسلمانون كا نظام تعليم وتربيت (دلهي: ندوة المصنفين، ١٩٤٤م)

الجامعة السلفية اعتنت بخدماتها فى حقل الحديث النبوي الشريف[1] ، واشتهرت جامعة دار السلام عمر آباد لإسهامها فى خدمة العلوم الإسلامية،[2] و عرفت الجامعات الهندية (مثل جامعة عليكره الإسلامية، وجامعة دلهي، والجامعة الملية الإسلامية بدلهي، والجامعة العثمانية وجامعة سيفل بحيدر آباد، وجامعة كاليكوت، وجامعة كشمير، وغيره) بمساهمتها فى خدمة العلوم العربية و الإسلامية ،و منها ترجمة الأحاديث النبوية الشريفة أو إجرآء دراسات جامعية فيها.

أما المؤسسات والمجاميع الحكومية المعنية بالترجمة فأشهرها: دار الترجمة التي أنشئت عام ١٩١٧م بحيدرآباد، و نشرت ٣٥٦ كتاباً إلى نهاية عام ١٩٤٦م فى مختلف العلوم الإسلامية، بينما كانت ٥٨ كتاباً قيد الطبع و٨٦ كتاباً قيد الترجمة والتأليف.[3]

وفيما يلي سرد للأعمال التي ترجمت إلى الأردوية في موضوع الحديث النبوي الشريف:

ترجمات وشروح الجامع الصحيح للبخاري باللغة الأردوية:

١- أنوار الباري شرح أردو صحيح بخاري، لمولانا أحمد رضا البجنوري.

٢- إيضاح البخاري، لمولانا فخر الدين (١٣ جزءاً، ديوبند: مجلس قاسم المعارف)

٣- بخاري شريف أردو ترجمة، للشيخ عبد الحكيم خان أختر الشاهجهانبوري (ثلاثة أجزاء، دلهي: اعتقاد ببلشنك هاؤس، ١٤٠٣ هجرية)

٤- ترجمه بخاري شريف، لمولانا عبد الدائم الجلالي (ثلاثة أجزاء، دلهي: المطبعة الحميدية، بدون تاريخ)

٥- ترجمه تجريد البخاري: لعبد الدائم الجلالي (دلهي: مكتبة إشاعة العلوم، بدون تاريخ)

٦- ترجمه جامع صحيح بخاري، لولي الله شاه (قاديان،بدون تاريخ)

٧- تسهيل القاري ترجمه أردو صحيح بخاري، للشيخ وحيد الزمان الحيدرآبادي (المطبعة الصديقية، لاهور، ١٣٠٧ للهجرة)

٨- تفهيم البخاري، للشيخ عبد الرؤوف والشيخ ظهور الباري الأعظمي (ثلاثين جزءاً، مكتبة حسان القرآن)

٩- تلخيص بخاري شريف، لمولانا محمد يعقوب القاسمي (سهارنبور: مطبعة طالب، ١٣٩٨ هجرية.

١٠- توفيق الباري، لمولانا عبد الرحمن أبو البقاء (آكره: مطبعة مفيد عام، ١٣٠٦ هجرية)

١١- تيسير الباري مكاتب جزء ترجمه بخاري، للشيخ وحيد الزمان الحيدرآبادي، ثلاثين جزءاً، ٣٥٤٨ ص (المطبعة الأحمدية لاهور، ١٣٢٣ للهجرة)

---

[1] مقتدى حسن الأزهري في مجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٢، العدد ٢-٣، عام ١٩٩١م، مجلة صوت الأمة، العدد ٩, المجلد ٣٢ ونذير أحمد رحماني دهلوي: مطبوعات جامعة سلفية بنارس إيك نظر مين (بنارس، ١٩٩٥م).

[2] راجع: حبيب الله خان: الترجمة العربية في الهند بعد الاستقلال (دلهي: دار سلمان للطباعة والنشر، ١٩٩٧م)، ص ١٠٤-١٠٨.

[3] تفاصيلها في تأليف مجيب الإسلام: دار الترجمة عثمانية كي علمي وأدبي خدمات (دلهي، بدون تاريخ)، وسلطان محي الدين: علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في عهد الآصفجاهية (رسالة دكتوراه مخطوطة، الجامعة العثمانية، حيدرآباد، ١٩٨٧م)

١٢- درس بخاري، لمولانا شبير أحمد عثماني (دابهيل: الجامعة الإسلامية)
١٣- زبدة البخاري أردو ترجمة صحيح بخاري، لمحمد رفيق آغا (كراتشي: مطبعة حاوية، ١٩٦٥م)
١٤- صحيح بخاري أردو ترجمة، للشيخ أمجد علي والشيخ أبو الفتح سبحان محمود (ثلاثة مجلدات، كراتشي بدون تاريخ)
١٥- صحيح بخاري أردو ترجمة، للشيخ داؤود راز (ثلاثين جزءاً، دلهي: مؤسسة نور الإيمان)
١٦- صحيح ومكمل أردو ترجمة بخاري، لمرزا حيرت الدهلوي (ثلاثة أجزاء، المكتبة الحميدية ديوبند بدون تاريخ)
١٧- عين البخاري ترجمه صحيح بخاري، لمحمد هدايت الله اللكنوي (المطبعة الاحتشامية مرادآباد، ١٣٠٥ للهجرة، مجلدان)
١٨- غنية القاري ترجمه ثلاثيات بخاري، لنواب صديق حسن خان (لاهور: المطبعة المحمدية، ١٢٩٢ هجرية)
١٩- فضل الباري ترجمه صحيح البخاري، لمولانا فخر الدين أحمد الحنبلي (خمسة مجلدات، لاهور: تاج الهند، ١٣٠٥ هجرية)
٢٠- فضل الباري ترجمه صحيح بخاري، للشيخ فضل أحمد الأنصاري الدلاوري (مطبعة تاج الهند، لاهور)
٢١- فيض الباري ترجمة بخاري، للشيخ أبي الحسن، ثلاثين جزءاً، طبعت بالمطبعة المحمدية عام ١٣١٣ للهجرة.
٢٢- فيوض الباري في شرح صحيح بخاري، للسيد محمود أحمد الرنوي (ثمانية مجلدات، لاهور: مكتبة رضوان)
٢٣- منح الباري ترجمه صحيح البخاري، لمولانا أبو سعيد بن شيخ عبد الرحيم (لاهور: مطبعة منشي كوبند سهائي)
٢٤- نزهة القاري شرح صحيح بخاري، للشيخ محمد شريف الحق الأمجدي (أربعة مجلدات، كهوسي: دائرة البركات، ١٩٨٤م)
٢٥- نصر الباري ترجمه صحيح بخاري، لمولانا أبو إدريس محمد عبد الغفور (مطبعة نور الإسلام، أمرتسر، ١٣٢٥ للهجرة).

ترجمات وشروح صحيح مسلم:

١- إنعام المنعم ترجمه صحيح مسلم، لمترجم مجهول (أمرتسر: مطبعة القرآن والسنة، ١٣٢٥ هجرية)
٢- تفهيم المسلم، لمولانا فضل الرحمن هلال العثماني (٢٢ جزءاً، ديوبند: المكتبة الهاشمية، بدون تاريخ)
٣- جواهر الحديث من صحيح مسلم، لمولانا قاسم بن خالد بن محمد سعيد الصديقي (أمرتسر: سعيد منزل، ١٩٥٤م)

٤- شرح صحيح مسلم، لمولانا غلام رسول السعيدي (لاهور: فريد بك استال، بدون تاريخ)
٥- صحيح مسلم أردو، لمولانا عبد الدائم الجلالي (أربعة أجزاء، دلهي: المطبعة الحميدية، بدون تاريخ)
٦- صحيح مسلم شريف ترجمه أردو، لمولانا داؤود راز (جزءان، دلهي: إدارة نور الإيمان، ١٣٨٥ هجرية)
٧- المعلم ترجمه صحيح مسلم، لمولانا وحيد الزمان الحيدرآبادي (أربعة أجزاء، لاهور: المطبعة المحمدية، ١٣٠٥ هجرية.

ترجمات وشروح جامع الترمذي وشمائله:

١- أنوار محمدي شرح شمائل ترمذي، لمولانا كرامت علي الجونبوري، (كلكته: المطبعة المحمدية، ١٢٥٢ هجرية) ٤٨٤ ص.
٢- ترجمة جامع ترمذي، لمولانا فضل أحمد الدلاوري (لكناؤ: مطبعة نورلكشور، ١٣٠٩ هجرية)
٣- ترمذي شريف أردو، لمحمد عبد الله (دلهي: المكتبة الربانية، بدون تاريخ)
٤- جائزة الشعوذي ترجمه جامع ترمذي، لمولانا بديع الزمان (دلهي: المطبعة المرتضوية) جزءان، ٨٦٤ ص.
٥- جامع ترمذي أردو، لمولانا سيد نائب حسين (لاهور: غلام علي وأولاده، ١٩٦٣م)
٦- جامع ترمذي، لمولانا محمد صديق سعيدي الهزاروي (لاهور: فريد بك استال، ١٩٨٤م)
٧- خصائل نبوي شرح شمائل ترمذي، لمولانا محمد زكريا السهارنبوري (ديوبند: مركز الآداب، ١٣٦٠ هجرية)
٨- رباني ترمذي شريف، لمترجم مجهول (دلهي: المكتبة الربانية، ١٩٧٣م) جزءان.
٩- شمائل ترمذي مترجم أردو، لمولانا سيد محمد أمير شاه الكيلاني (كراتشي: إدارة تصنيفات إمام أحمد رضا، ١٩٨٦م)
١٠- معارف مدنية شرح جامع ترمذي، لمولانا حسين أحمد المدني، تحقيق طاهر حسين (أمروهة، مرادآباد: مجلس معارف مدينة، بدون تاريخ) ١٢ جزءاً.

ترجمات وشروح سنن أبي داؤود:

١- ترجمة سنن أبي داؤود، لمترجم مجهول (أربعة أجزاء، ١٢٤٦ ص)
٢- ترجمة سنن أبي داؤود، لمولانا عبد الأول (دلهي: المطبعة الحميدية، ١٩٥٠م)
٣- سنن أبي داؤود، لمولانا عبد الحكيم الشاهجهانبوري (لاهور: فريد بك استال، ١٩٨٥م)
٤- سنن أبي داؤود، لمولانا عبد الدائم الجلالي (جزءان، ١١٤٤ ص)
٥- هدى المحمود لترجمة سنن أبي داؤود، لمولانا وحيد الزمان (لاهور: المطبعة الصديقية، ١٢٩٧ هجرية)

ترجمات وشروح للبقية من الصحاح الستة:

١- إبن ماجة أردو، لمولانا عبد الدائم الجلالي (دلهي: المطبعة الحميدية، بدون تاريخ)، ٧٢٠ ص.

٢- أردو ترجمة مؤطا إمام مالك، لنذير الحق (دلهي: مكتبة دار الفرقان)، ٥٣٧ ص.
٣- تنوير الممجد علي مؤطا إمام محمد، لمولانا عطاء الله (لاهور: محمد أشرف الكتبي، بدون تاريخ)، ٤١٠ ص.
٤- رفع العجاجة عن سنن إبن ماجة، لمولانا وحيد الزمان (لاهور: المطبعة الصديقية، ١٣١٠ هجرية، ثلاثة أجزاء)
٥- روض الربي من ترجمة المجتبى (سنن النسائي)، لمولانا وحيد الزمان (لاهور: المطبعة الصديقية، ١٣٠٢ هجرية)
٦- سنن إبن ماجة، لمولانا عبد الحكيم أختر السهارنبوري (لاهور: فريد بك استال، ١٤٠٣ هجرية)
٧- سنن نسائي عربي أردو، لمولانا الحافظ عبد الستار السعيدي (ثلاثة أجزاء، ١٢٧٢ ص، لاهور: المكتبة القادرية، ١٩٨٢م)
٨- كشف الغطا عن المؤطا إمام مالك، لمولانا وحيد الزمان (لاهور المطبعة الصديقية، ١٣٠٩ هجرية) ٦٢٠ ص.
٩- مؤطا إمام مالك مترجم أردو، لمولانا عبد الحكيم أختر الشاهجهانبوري (لاهور: فريد بك استال، ١٩٨٣م)، ٨١٠ ص.
١٠- مؤطا إمام محمد مترجم أردو، لخواجه عبد الوحيد (كراتشي: محمد سعيد وأولاده، بدون تاريخ)، ٤٥٦ ص.
١١- مؤطا إمام محمد مترجم أردو، للحافظ نذير أحمد (دلهي: اعتقاد ببليشنك هاؤس، بدون تاريخ)، ٥٨٤ ص.

ترجمات وشروح مشكوة المصابيح:

١- أنوار المصابيح ترجمة أردو مشكوة المصابيح، لمولانا أبالحسنات سيد عبد الله (حيدرآباد: نيشنل فائن برينتنك، ١٣٧٢ هجرية) ٤٤٢ ص.
٢- أنوار المصابيح ترجمة أردو مشكوة المصابيح، لمولانا عبد السلام البستوي (دلهي: المكتبة المسعودية، ١٣٧٨ هجرية)، ١١ جزءاً، ٤٨٩٨ ص.
٣- ترجمة أشعة اللمعات شرح مشكوة، لمولانا محمد سعيد أحمد النقشبندي (دلهي: اعتقاد ببلشنك هاؤس، ١٩٨٨م)،٣ أجزاء، ٢٥٨٨ ص.
٤- تقرير مشكوة شريف، لمنصور أحمد (ديوبند: المطبعة المحبوبية)، ١٤٨ ص.
٥- الرحمة المهداة ترجمة مشكوة، لعبد الأول الغزنوي (لاهور: المطبعة الأحمدية، ١٣٢٠ هجرية) ٤ أجزاء، ١٢٥٠ ص.
٦- طريق النجاة في الصحاح من المشكوة، لمولانا إبراهيم بن عبد العلي الآروي (طبعت عام ١٣٣٢ هجرية)، ٣ أجزاء، ٤١٣ ص.
٧- فضائل قرآن مشكوة شريف، لمولانا أبالأعلى المودودي، تحقيق حفظ الرحمن أحسن (رامبور: إدارة الحسنات، ١٩٧٣م)

٨- كتاب الصوم مشكوة شريف، لمولانا أبالأعلى المودودي، تحقيق حفظ الرحمن أحسن (رامبور: إدارة الحسنات، ١٩٨٣م)
٩- مرآة المناجيح ترجمة وشرح مشكوة المصابيح، لمولانا أحمد يار خان، عملها عام ١٩٥٩م، ٨ أجزاء، ٣٨٦٣ ص.
١٠- مشكوة المصابيح مترجم أردو، لمولانا عبد الحكيم أختر الشاهجهانبوري (دلهي: اعتقاد ببلشنك هاؤس، ١٩٨٧م)، ٣ أجزاء، ١٦١٨ ص.
١١- مشكوة شريف ترجمة هندي، لمولانا أحمد علي اللاهوري (المطبعة الإسماعيلية، ١٢٧١ هجرية)، ٥٥٩ ص.
١٢- مشكوة شريف كامل أردو، لآغا رفيق الدهلوي (دلهي: دار الفرقان، بدون تاريخ)، ١٠٠٠ ص.
١٣- مشكوة شريف مترجم أردو، لمولانا زين العابدين الحيدرآبادي، جزءان، ٥٦٠ ص.
١٤- مشكوة شريف مترجم أردو، لمولانا محمد إسماعيل (طبعت من المطبعة الإسلامية السلفية) ٤٧٦ ص.
١٥- مظاهر حق ترجمة مشكوة شريف، لنواب محمد قطب الدين الدهلوي (لكناؤ: مطبعة نولكشور)، ٤ أجزاء، ٢٢٧٨ ص.
١٦- مظاهر حق جديد، لمولانا عبد الله جاويد (ديوبند: إدارة إسلاميات، ١٩٦٢م)
١٧- معارف المشكوة مظاهرحق جديد، لمولانا عبد الرؤوف العالي (ديوبند، بدون تاريخ) ٨ مجلدات.
١٨- الملتقات على شرح المشكوة، لمترجم مجهول (لاهور: المطبعة الأحمدية، بدون تاريخ)، ٤ أجزاء، ١٤٠٠ ص.

ترجمات كتب الحديث النبوي الشريف الأخرى:

١- أخبار النبي (للجزري) ترجمة ميلاد شريف، لمولانا فتح محمد نائب (دلهي: المطبعة المجتبائية، ١٣٢٠ هجرية)، ١٠٠ ص.
٢- الأدب المفرد، لمترجم مجهول (آكره: مطبعة مفيد عام، ١٣٠٦ هجرية)، ٣١٩ ص.
٣- أذكارمسنونة (إبن القيم)، لمولانا خليل أحمد الحامدي (دلهي: مركزي مكتبة إسلامي، ١٩٦٦م)، ٢٨٨ ص.
٤- الاستدراك الحسن مع أردو ترجمة، لظفر أحمد التهانوي (تهانة بهون: أشرف المطابع، ١٣٤٤ هجرية) ١٨٤ ص.
٥- الأعمال الماثورة في الأيام المشهورة ترجمة ما ثبت بالسنة بالأيام والسنة، للشيخ عبد الحق الدهلوي، ترجمة مولانا سبحان بخش (دلهي: المطبعة المجتبائية، ١٣٠٩ هجرية)، ٢١٠ ص.
٦- أعمال اليوم والليلة (إبن السني)، لمولانا محمد عصمت (بهيوندي: المكتبة الرضوية، ١٩٨٧م)، ٢٦٠ ص.
٧- انتخاب الترغيب والترهيب، لمولانا محمد عبد الله الدهلوي (دلهي: ندوة المصنفين، ١٩٧٣م)، ٤ أجزاء، ١٥٥٧ ص.

٨- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لمترجم مجهول (ديوبند: المكتبة الأشرفية، بدون تاريخ)، ٤٣٩ ص.
٩- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لمترجم مجهول (لاهور: المطبعة الأحمدية، ١٩٤٠م)، ٣٠٥ ص.
١٠- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لمولانا خدا بخش ومولانا محمد (لاهور: المطبعة الصديقية، ١٣٠٦ هجرية)، ٣٨٠ ص.
١١- تحفة الأخيار ترجمة مشارق الأنوار، لمولانا خرم علي البلهوري،عملها عام ١٢٤٩ هجرية (لكناؤ: مطبعة جلاب سينج، ١٣١١ هجرية)، ٥٣٣ ص.
١٢- تعليم الأحكام من بلوغ المرام، لمولانا أبو الإسلام محمد صديق (سركودها: إدارة أحياء السنة النبوية)، ٢١٠ ص.
١٣- تفريح الأحباب في مناقب الآل والأصحاب، للحافظ محمد رحيم بخش (لكناؤ: أكمل المطابع)
١٤- تقوية الإيقان بشرح حديث حلاوة الإيمان، لنواب صديق حسن خان القنوجي (آكره: مطبعة مفيد عام)
١٥- تيسير الوصول تلخيص الصحاح، لمولانا أبو الحسن محمد محي الدين (لاهور: المطبعة الصديقية)، ٦ أجزاء، ٢٠٨٩ ص.
١٦- جوامع الكلم سيد الأممم، لمولانا إسحاق (مطبعة رفيق حسين، بدون تاريخ)، ٢٥ ص.
١٧- حصن حصين ترجمة أردو، لمولانا محمد إدريس (دلهي: مكتبة منظور)، ٣٤٠ ص.
١٨- حصن حصين، لمولانا محمد صديق الهزاروي (لاهو: ضياء القرآن ببليكيشنز، ١٩٨٧م)، ٣٢٠ ص.
١٩- حياة الأنبياء ترجمة أردو أنبياء الأزكياء، لمرزا محمد نذير (لاهور: المطبعة الحميدية، ١٣٢٨ هجرية)
٢٠- خير الكلام في ترجمة جلاء الإفهام، لمولانا شاكر حسين (بجنور: مطبعة مدينة، ١٩٣٠م)، ٢٥٦ ص.
٢١- خير متين ترجمة حصن حصين، لمولانا عبد الأحد (دلهي: المطبعة المجتبائية، ١٣١١ هجرية)
٢٢- دارمي شريف أردو، لمرزاحيرت الدهلوي (دلهي: مطبعة كرزن)، ٤٦٩ ص.
٢٣- رياحين العابدين ترجمة رياض الصالحين، لمولانا أبى إدريس عبد الغفور بن محمد بن عبد الله الغزنوي (جزءان، ٧٩٠ ص)
٢٤- رياض الصالحين (الإمام النووي)، لمولانا إدريس الميرتهي (دلهي: شركة تاج، بدون تاريخ)
٢٥- رياض الصالحين عربي أردو، لمولانا عابد الرحمن الصديقي (كراتشي: قرآن محل)، جزءآن، ٩٨٣ ص.
٢٦- رياض الصالحين عربي أردو، لمولانا محمد صديق الهزاروي (لاهور: فريد بك إستال، ١٤٠٤ هجرية)، جزءآن، ٩١٦ ص.
٢٧- زاد سفر ترجمة رياض الصالحين، لأمة الله تسنيم (لكناؤ: مكتبة إسلام، ١٩٨١م)، جزءان، ٨٤٢ ص.

٢٨- سنن دارمي شريف، لمحمد سعيد (كراتشي: قرآن محل)، ٤٩٦ ص.
٢٩- شرح معاني الآثار ترجمة أردو، لمولانا أحمد علي اللاهوري (لاهور: المطبعة الإسلامية، ١٣٠٩ هجرية)، ٤ أجزاء، ٢٣٠٨ ص.
٣٠- شميم الرياض شرح شفاء قاضي عياض، للحافظ محمد إسماعيل الكاندهلوي (لكناؤ: مطبعة نولكشور، ١٩١٣م) جزءآن، ٣٧٢ ص.
٣١- صحيفة همام بن منبه ، ترجمة د. محمد حميد الله (كراتشي، ١٩٩٨م)
٣٢- طب نبوي (إبن القيم)، للحكيم عزيز الرحمن الأعظمي (بومبائي: الدار السلفية، ١٩٨٥م)، ٧٤٢ ص.
٣٣- ظفر جليل ترجمة حصن حصين، لمولانا قطب الدين خان الدهلوي (لكناؤ: مطبعة نامي، ١٣٠١ هجرية)
٣٤- فيض الستار في شرح كتاب الآثار، لمولانا عبد الستار (لاهور: مطبعة كلزار محمدي، ١٣٠٩ هجرية)، ٣٣٦ ص.
٣٥- فيض الكلام مع شرح أردو، للمفتي إظهار الإسلام، ٤٤٨ ص.
٣٦- قول متين ترجمة وشرح حصن حصين، لمولانا عبد العليم الندوي (ديوبند، ١٩٧٤م)، ٥١٥ ص.
٣٧- كتاب الآثار ترجمة أردو، لمولانا أبالفتح صغير الدين (ديوبند: إدارة فكر إسلامي)، ٣٦٨ ص.
٣٨- كشف الظلمة ترجمة نور اللمعة، لمولوي محمد علي المرادآبادي (مرادآباد: مطبع العلوم، ١٢٥٨ هجرية)، ١٤٨ ص.
٣٩- مجالس الأبرار مع ترجمة أردو، للقاضي إبراهيم (كانبور: المطبعة المجيدية، ١٣٣٢ هجرية)، ٥٨٠ ص.
٤٠- مختار الأحاديث، لمولانا المفتي عبد المنان الأعظمي، عمله عام ١٩٧٤م)
٤١- مذهب مختار، لمولانا عزيز الرحمن البجنوري (دلهي: المطبعة النعمانية، ١٩٧٨م)، ٦٠٨ ص.
٤٢- مرآة الأنوار شرح أردو مشكوة الآثار، لمولانا نسيم أحمد المظاهري (دلهي: مطبعة أمير علي، ١٣٩٩هجرية).
٤٣- مسند أبي حنيفة ترجمة منيفة، لمولانا حبيب الرحمن بن مولوي أحمد علي (لكناؤ: المطبعة اليوسفية، بدون تاري)، ١٤٨ ص.
٤٤- مسند أبي حنيفة ترجمة منيفة، لمولانا عابد بن أحمد علي.
٤٥- مسند إمام أحمد، لمولانا دوست محمد (دلهي: اعتقاد ببليشنك هاؤس، ١٩٨٧م)
٤٦- مسند إمام أعظم ترجمة أردو، لمترجم مجهول (ديوبند، ١٩٧٣م)، ٤٣١ ص.
٤٧- معارف السنة، لمترجم مجهول، ٩٦ ص.
٤٨- معجزات نبي الورى ترجمةخصائص كبرى، لمولانا عبد الجبار خان الآصفي (آكره: مطبعة نامي)، ٧٧٤ ص.
٤٩- منبهات إبن حجر، للحافظ محب الله (كانبور: المطبعة النظامية، ١٢٨٤ هجرية)، ١٣٠ ص.

٥٠- منتقي الأخبار أردو ترجمة وشرح، لمولانا محمد داؤود راغب الرحماني (نشرته الدار السلفية، بدون تاريخ)
٥١- نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم النبيين، لمولانا مختار أحمد الندوي (بومبائي: الدار الفلسفية، ١٩٨٠ م)
٥٢- نهاية التحقيق شرح مسند أبي بكر الصديق (مسند أحمد بن حنبل)، لمولانا شبير أحمد أزهر الميرتهي، طبعت عام ١٩٦٤م، ٥٧٢ ص.

المجموعات الأردوية للأحاديث النبوية الشريفة:

١- اتباع السنة في جملة أيام السنة، لمترجم مجهول، طبع سنة ١٣٠٥ هجرية.
٢- الأحاديث النبوية في الفتنة النجدية، للسيد محمد كريم العظيم آبادي (بهار: مطبعة فيض، بدون تاريخ)
٣- أحاديث رسول، للسيد حامد علي (إدارة شهادة حق، ١٩٨٥م)
٤- أحاديث قدسية، لمولانا خليل الرحمن البرهانبوري (دلهي: المطبعة المجتبائية، ١٣١٥ هجرية)
٥- الأخلاق المحمدية، لمولانا سعيد أحمد الفاروقي (علي كره، المطبعة الأحمدية، ١٣٠١ هجرية)
٦- أردو حديث، لمفتي شوكت علي فهمي (دلهي: دين دنيابليشنك هاؤس، بدون تاريخ)
٧- إزالة النكاويح في مقدار التراويح، لمولوي شاه محمد (أمرتسر: مطبعة جشمة أنوار، ١٣١٨ هجرية)
٨- أسباق حديث، لمترجم مجهول، مطبوع.
٩- اعتصام السنة في قمع البدعة، لمولانا عبد الله (كانبور: مطبعة نور، ١٢٩٢ هجرية)
١٠- انتخاب حديث، لعبد الغفار حسن الرحماني (دلهي: المكتبة الإسلامية، ١٩٦٧م)
١١- انتخاب صحاح ستة، بتحسين وتزيين مولانا أمجد علي (ديوبند: مالك ببليشرز، ١٩٧٠م)
١٢- انتخاب صحاح ستة، لمولوي نياز علي (لاهور، ١٩٢٥م)
١٣- أنوار الحديث، لمولانا جلال الدين الأمجدي (بستي: ملا حنيف، ١٩٧١م)
١٤- أنوار نعمانية، لمولانا فضل الدين الكجراتي (لاهور: المطبعة الإسلامية، ١٣٠٧ هجرية).
١٥- أنوار هداية في إظهار أحكام شريعة، لمولانا أبى البشير سيد هادي حسن (دلهي: مطبعة جمال، بدون تاريخ)
١٦- بشارة الفساق، لمترجم مجهول (آكره: مطبعة مفيد عام، ١٣٠٢ هجرية)
١٧- البلاغ المبين في اتباع خاتم النبيين، للشيخ محي الدين (لاهور المطبعة الصديقية، ١٣٠٦ هجرية)
١٨- بهشت كي كنجيان، لمولانا عبد المصطفى الأعظمي، طبع سنة ١٩٨٤م.
١٩- تحفة الأتقياء فضائل سيد الأنبياء، لمولانا عبد الواحد الغازيبوري (دلهي: المطبعة المجتبائية، ١٣٣٢ هجرية)
٢٠- تحفة حديث، لمحمد أمير الأثري، (بومبائي: الدار السلفية، ١٩٠٩م)
٢١- تحفة علم وحكمة، لمولانا أبو عامر محمد إسحاق خان (راولبندي: ايس تي برنترز، ١٤٠٠

هجرية)
٢٢- ترجمان الحديث، للسيد محمود حسن، طبع عام ١٩٨٥م.
٢٣- ترجمان السنة، لمولانا بدر عالم الميرتهي (دلهي: ندوة المصنفين، بدون تاريخ)
٢٤- التشرف بمعرفة أحاديث التصوف، للشيخ أشرف علي التهانوي (حيدرآباد: إدارة اللجنة العلمية، بدون تاريخ)
٢٥- تنبيه الغافلين، للحاج عبد الله (كانبور: مطبعة نولكشور، ١٢٩٤ هجرية)
٢٦- جامع المناقب، لمولوي حافظ رحمت الله (لكناؤ: مطبعة نامي، ١٣٢٠ هجرية)
٢٧- جلاء العينين في إثبات رفع اليدين عن رسول الثقلين، لمولوي شاه محمد (أمرتسر: مطبعة جشمة أنوار، ١٣١٨هجرية)
٢٨- جواهر الحديث، لشمس بيرزاده (بومباي: إدارة دعوة القرآن، ١٩٨٣م)
٢٩- جواهر الحديث، لمولانا عبد المصطفى الأعظمي، طبع سنة ١٩٨٤م.
٣٠- جواهررسالت، لمولانا أبو تمكين افتخار أحمد (كراتشي، ١٣٧٢ هجرية)
٣١- حديث رهنمائي تربيت، لمترجم مجهول، طبع سنة ١٣٠٩ هجرية.
٣٢- حكم النبي بكفر من لا يصلي، لمولانا أبو طاهر العثماني (لاهور: المطبعة الصديقية، ١٣٢٠ هجرية)
٣٣- خطبات محمدي، لمولانا محمد بن إبراهيم (كراتشي: المكتبة المحمدية، دون تاريخ)
٣٤- خلق عظيم، لمير ولي الله (لاهور: مطبعة كاشي رام، ١٩٢٦ م)
٣٥- الدارالسني في أحاديث ليس منا، للسيد محمد عبد القادر (جئي بور: مطبعة صدر راج، ١٣٠٣ هجرية)
٣٦- درس حديث، لمترجم مجهول (دلهي: مكتبة الحسنات، بدون تاريخ)
٣٧- الدين الحنيف، لمولانا حماد أحمد الصديقي (لكناؤ: مطبعة يونين، ١٩٧٣م)
٣٨- راه عمل، لمولانا جليل أحسن الندوي (رامبور: إدارة الحسنات، ١٩٧٧م)
٣٩- رسول الله كي بيش كوئيان، لمولانا عاشق إلهي (لكناؤ: مطبعة يونين، ١٣٧٢ هجرية)
٤٠- رسول كي باتين، لمولانا أحمد سعيد (دلهي: مطبعة كمال، بدون تاريخ)
٤١- رياض السنة، لمولانا محمد جعفر شاه البهلواروي (لاهور: إدارة ثقافة إسلامية، ١٩٥٤ م)
٤٢- زاد راه، لمولانا جليل أحسن الندوي (دلهي: مركزي مكتبة إسلامي، ١٩٧٨م)
٤٣- سبيل الرشاد لما يحتاج إليه العباد، لنواب صديق حسن خان (آكرة: مطبعة مفيد عام، ١٣٠٢ هجرية)
٤٤- سفر السعادة أردو، لمولانا مجدل الدين (لاهور: المطبعة الصديقية، ١٣٠٢ هجرية)
٤٥- سفينة نجاة، لمولانا جليل أحسن الندوي (دلهي: مركزي مكتبة إسلامي، ١٩٨٢م)
٤٦- سواء الطريق، لمولانا الحافظ عبد العزيز الرحيم آبادي (دربنجة: المكتبة الفلسفية، ١٩٨٤م)
٤٧- طب نبوي، لمترجم مجهول، (ديوبند: مالك ببليشرز، ١٩٧٠م)

٤٨- علامة القيامة، لمولانا محمد خليل الرحمن البرهانبوري (لكناؤ: مطبعة نولكشور، ١٣١٤ هجرية)
٤٩- الفتح المبين بشرح الخمسين، لأبي أحمد جك والي (لاهور: مطبعة رفاه عام، ١٣٢٩ هجرية)
٥٠- الفرج بعد الشدة، للمفتي محمد شفيع الديوبندي (ديوبند: مطبعة أنوري، ١٣٥٨ هجرية)
٥١- فرمودات ختم الرسل، لمولانا واصل العثماني (كراتشي: مطبعة إيجوكيشنل، بدون تاريخ)
٥٢- فضائل درود شريف، لمولانا محمد زكريا السهارنبوري (ديوبند: مطبعة محبوب، بدون تاريخ)
٥٣- فضائل ذكر، لمولانا محمد زكريا السهارنبوري (دلهي: إدارة إشاعة دينيات، بدون تاريخ)
٥٤- فضائل رمضان، لمولانا محمد زكريا السهارنبوري (دلهي: إدارة إشاعة دينيات، بدون تاريخ)
٥٥- فضائل قرآن، لمولانا محمد زكريا السهارنبوري (دلهي: إدارة إشاعة دينيات، ١٣٨٢ هجرية)
٥٦- فضائل نماز، لمولانا محمد زكريا السهارنبوري (دلهي: إدارة إشاعة دينيات، بدون تاريخ)
٥٧- فيض الكلام، لمفتي إظهار الإسلام، طبع سنة ١٣٩٩ هجرية.
٥٨- قواطع البشر عن أنواع الشر، لنواب صديق حسن خان (آكره: مطبعة مفيد عام، ١٣٠٤ هجرية)
٥٩- قويمة في أحاديث النبي الكريمة، لمولانا سخاوت حسين الجونبوري (بنارس: المطبعة الصديقية، ١٣٠٣ هجرية)، ٥٢٢ ص.
٦٠- قيامت كب آئيكي، لمولانا عبد المصطفى الأعظمي، طبع سنة ١٩٨٠م.
٦١- كتاب الحجج، لمولانا إكرام الدين أحمد (لكناؤ: مطبعة نامي،١٣٧٢هجرية)
٦٢- كتاب الصلوة ما يلزم بها، للشيخ جواد علي (طبع في كراتشي)
٦٣- كحل العينين في ترك رفع اليدين، للقاضي محمد رحمة الله الرانديري (دلهي: مطبعة تحفة الهند، ١٣٣٢ هجرية)
٦٤- كلام نبوة، لمحمد فاروق خان (دلهي: مركزي مكتبة إسلامي، ١٩٧٠م)
٦٥- كلدستة صد أحاديث، للشيخ أحمد علي (لاهور: أنجمن خدام الدين، ١٣٥٢هجرية)
٦٦- كلستان حديث، لمولانا محمد جعفر شاه البهلواروي (لاهور: إدارة ثقافة إسلامية، بدون تاريخ)
٦٧- كنز الآثار عن النبي المختار وأصحابه الأخيار، لمرزا محمد نذير (لاهور، ١٩٣٠ م)
٦٨- كنز الأخلاق لأهل الآفاق، لمولوي عبد الرحمن (ميرته: شوكت المطابع، بدون تاريخ)
٦٩- مجمع البحرين، لمولانا محمد جعفر شاه البهلواروي (لاهور: إدارة ثقافة إسلامية، بدون تاريخ)
٧٠- مخزن تحقيق ملقب با تحفة حنفية، مترجم مجهول (بتنة: المطبعة الحنفية، ١٣٩٥ هجرية)
٧١- مطالعة حديث، لمحمد فاروق خان (دلهي: مركزي مكتبة إسلامي، ١٩٧٨م)
٧٢- معارف الحديث، لمولانا محمد منظور النعماني (لكناؤ: إدارة الفرقان، طبعات عديدة)، سبعة مجلدات، ٢٤٥٤ ص.
٧٣- معارف حديث، لمولانا عبد العزيز (إله آباد: مكتبة باسبان، ١٩٦٨م)
٧٤- معالم السنة، لمولانا كوثرالندوي (إله آباد: تاج أفسيت، ١٩٨٤م)
٧٥- نصائح رسول كريم، لعاشق إلهي البلند شهري (دلهي: محبوب المطابع، بدون تاريخ)

٧٦- نظام الإسلام، لمولوي وجيه الدين (لكناؤ: مطبعة نولكشور، ١٨٦٨م)، ١٥٦ ص.

كتب الأربعين باللغة الأردوية:

١- أربعين حنيفة، لمولانا محمد شريف السيالكوتي (أمرتسر: مطبعة الفقيه، بدون تاريخ)
٢- أربعين سكندري، للشيخ إكرام الدين أحمد (برتابكره: سكندرمنزل،١٣٧٢ هجرية).
٣- أربعين نووي، للشيخ محمد صديق الهزاروي (ما نشهره، باكستان: المكتبة الإسلامية السعيدية، ١٩٨٩م)
٤- إسماع الأربعين في شفاعة سيد المحبوبين، لمولانا أحمد رضا خان البريلوي (مبارك بور: المجمع الإسلامي، بدون تاريخ)
٥- بردة شرعي كي جهل حديث، للسيد نور أحمد (كراتشي، ١٣٧١ هجرية)
٦- تعليمي جهل حديث، لمولانا وحيد الدين (دلهي: أمير علي، ١٣٩٩ هجرية)
٧- تعليمي جهل حديث، لمولانا وحيد الدين القاسمي (دلهي: مطبعة امبيريل، ١٩٨٢م)
٨- جاليس حديثين ترجمة الأربعين النووية، لمولانا فاروق خان (دلهي: فردوس ببليكيشنز، بدون تاريخ)
٩- جاليس حديثين، لخواجة عبد الحي الفاروقي (دلهي: مكتبة جامعة، بدون تاريخ)
١٠- جاليس حديثين، لمولانا نثار أحمد الرضوي الأعظمي (جريا كوت: شعبة إشاعة، دار العلوم القادرية، ١٩٨٧م)
١١- جهل أنوار رسالت، للشيخ إبراهيم رضا (كلكتة: مطبعة نيشنل آرت، بدون تاريخ)
١٢- جهل جديث، لمولوي محمد عبد الرب (دلهي: المطبعة الأحمدية، بدون تاريخ).
١٣- جهل حديث للسيد أصغر حسين (دلهي المطبعة الجمالية، ١٣٥٦ هجرية)
١٤- جهل حديث معروف به إسلامي أخلاق، لمولانا سيد حسن الديوبندي (دلهي: محبوب المطابع، ١٣٦١ هجرية)
١٥- جهل حديث، للشاه ولي الله الدهلوي، لمترجم مجهول (لاهور: المطبعة النظامية، ١٢٩٢ هجرية)
١٦- جهل حديث،لمولانا وارث علي (كلكتة: مطبعة سينترل، ١٣٩٥ هجرية)
١٧- حديث أربعين مع حاشية تحفة المسلمين، للحاج نصير الدين الميرتهي (آكره: المطبعة الأبو العلائية، بدون تاريخ)
١٨- حديث رسول، لمولانا محمد يوسف (رامبو: مكتبة ذكرى، ١٩٧٨م)
١٩- رحمة المحدثين (أربعين)، لمولوي حكيم محمد حفاظت حسين (كانبور: المطبعة النظامية، ١٢٩١ هجرية)
٢٠- رسائل مسواك مع جهل حديث، للسيد ظهور الدين الأنبيتهوي (سهارنبور: مطبعة اتحاد، بدون تاريخ)
٢١- زجر العاصي عن قرب المعاصي، لمولانا إلهي بخش (لاهور: المطبعة الصديقية، بدون تاريخ)
٢٢- شمع حرم، لمولانا محمد يوسف (رامبو: مكتبة ذكرى، ١٩٨٣م)

٢٣- ظفر مبين ترجمة أربعين، لمولوي محمد حكيم حفاظت حسين(كانبور: المطبعة النظامية، ١٢٩١ هجرية)
٢٤- فضائل قرآن جهل حديث، للشيخ محمد زكريا السهارنبوري (سهارنبور: مكتبة بهبود، ١٣٤٨ هجرية)
٢٥- الفوائد السنية في شرح أربعين النووية، لمولانا عاشق إلهي، مطبوع في باكستان.
٢٦- الفيض الباري في شرح الأربعين لملا علي القاري، لمولانا نور الحسن (لكناؤ:المطبعة المجتبائية، ١٣٢٧ هجرية)
٢٧- كلدستة حديث، لمولانا محمد يوسف (رامبو: مكتبة ذكرى، ١٩٨٢م)
٢٨- منبهات إبن حجر العسقلاني، لمترجم مجهول (مطبوع بالمطبعة المصطفائية، بدون تاريخ)
٢٩- نصاب حديث (أربعين)، لمولانا معين الدين (دلهي: مركزي مكتبة إسلامي، ١٩٨٤م)
٣٠- نوادر الحديث، لمولانا عبد المصطفى الأعظمي (إله آباد: مطبعة نيشنل آرت، ١٣٩٥ هجرية)
٣١- نور الفوائد جهل حديث، لمولوي محمد أحمد (مدراس: المطبعة الشمسية، بدون تاريخ)
٣٢- هدية الرابعين من الأحاديث الأربعين، للشيخ رستم علي (ميرته: مطبعة خليق مشين، بدون تاريخ)

مناهج وآليات الترجمة

في سياق غياب أحادية تنظيرية في ساحة الترجمة والمنمطة تعاريفها وتفاصيلها في الرصيد الأوروبي واستقطاب جهات أكاديمية ألمانية وإنكليزية وفرنسية وروسية في مناقشاتها لعمل /فن الترجمة أو أبعادها المتصلة بازدواجية العلم والفن يمكن الباحث اختزال المرتكز الرؤيوي وهو يرصد لعمل الترجمة من العربية وإليها في الهند، فيكون على وعي بما قاله الجاحظ "وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول منها والمنقول إليها حتى يكون منهما سواء وغاية" [١]، كما يجب عليه أن لا يهمل ما أشار إليه الصفدي[٢] من طرق الترجمة التي استخدمها يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي في العصر العباسي، وطريقة حنين بن اسحاق والجوهري، الأولى واجهت مشكلات حين غياب الكلمات المتقابلة في لغتين وبالتالي كان عليها اللجوء إلى التعريب، بينما الثانية مذهب التطابق والتقريب من غير اللجوء إلى فلسفة العين للعين والسن للسن، والمذهبان – كما يقول سليمان البستاني – هما المعول عليهما في النقل حتى يومنا،[٣] وإذا كانت الترجمة مظهرا من مظاهر السلوك اللغوي عند الإنسان فبحكم فهم الإنسان للأشياء في جوهرها وإستبدال رموز لغوية برموز أخرى يحوي هذا السلوك مجرى سيكولوجيا وحضاريا ومصادقة تعبيرية تعكس صورة غير محرفة للأفكار المتضمنة في النص الأصلي، بجنب محاولة مخلصة للابتعاد من سلبيات ناجمة من التغائر النفسي والسلوكي بين المترجم والمترجم، وبهذا السياق يتفاقم حجم مسائل أمانة الكلمات وخيانة المترادفات وخطوات احتياطية يتخذها المترجم بغية مجانبة أي إخلال بجماليات الإيقاع والتأثير الذي ينبض به النص حياة، فهناك أبعاد حضارية للترجمة في

[١] الجاحظ: كتاب الحيوان، ٥١/١، طبعة مكتبة الهلال.
[٢] مقتبس من الكشكول للبهاء العاملي، تحقيق أحمد الزادي (دار إحياء الكتب العربية)
[٣] مقتبس من كتاب في الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة للدكتور صفاء خلوصي، ص ١٠.

جوانبها العلمية والفنية والقومية والسياسية والاجتماعية.[1]

كان إسلام المترجم الهندي منحى إيجابيا خفف عليه من وطأة الانكسار السياقي الديني أو بعد التنسيق الحضاري مما شكل دعما طبيعيا يصون متلقى الترجمة من أخطار الاغتراب الدلالي أو التحير في سرداب الترميز التاريخي والعقيدي، وحتى جانب الاجتماع فيه لم يكن مشاكسا مشاكسة اجتماعيات وثنية تغاير أصوليا من اجتماعيات غير وثنية، اللهم إلا حالات استثنائية نجد فيها المترجم هندوسيا وهو يترجم القران الكريم إلى لغته (البنجالية والهندية والسنسكريتية مثلا).[2]

إن إشكاليات الترجمة من العربية في الهند اختلفت من شخص إلى آخر، ومن موضوع إلى موضوع اختلاف جوانبها الإيقاعية بعضها من بعض، إن مترجمى الكتب الدينية (القرآن والحديث والفقه وما إليها) اختلفت مزايا ترجمتهم العلمية والأدبية في وفاق مع خلفية ثقافتهم.

خاتمة

هيكلة الهوية الشعبية لشبه القارة الهندية التى لم تكن فيها اللغة العربية لغة دولة تتصدرها جماليات الإسلام لغة و عقيدة و ثقافة وهندسة اجتماعية ، و كانت الترجمة – و لا تزال- منبرا يعتليه التصاعد الكمي و الكيفي لتطور الشعور الديني فى الهند.

الشعب الهندي المسلم لديه أكثر من ٤٥٠ ترجمة وتفسير للقرآن الكريم نظما (أربع و عشرين ترجمة منظومة!) و نثرا في إحدى لغاته العديدة وهي الأردوية، و نقل معظم كتب الأحاديث النبوية الشريفة، و منها الصحاح الستة إلى اللغة الأردية، و نقلت كمية كبيرة من كتب الإسلام الأساسية و اللغة العربية (التفسير والسيرة والتراجم والتاريخ وعلم الكلام والفقه والطب والأدب والشعر والنقد)، و أنشأت مئات من المؤسسات والأكاديميات والجامعات والمدارس – الحكومية و غيرها - لمعائشة الرصيد المحبب .

الإسلام واللغة و الثقافة الدينية ثالوث الكيان المسلم الهندي ، يرهصه التاريخ و يصوغ منه الحال خطابه الثقافي و يتؤم به مستقبله المرجو.

---

[1] أنظر: محي الدين صابر: قضايا الثقافة العربية المعاصرة (الدار العربية للكتاب، طرابلس)، ص. ٨٥-٩٤.

[2] لأثر الإسلام علي الثقافة الهندية أنظر: Tara Chand, *Inflence of Islam on Indian Culture* (Allahabad, 1963)

٣٧. توكيد الجملة الاسمية في الحديث الصحيح أنموذجا (صحيح مسلم)

د. ابتسام ثابت العاني - جامعة بغداد، العراق

البحث كما يلي:

المبحث الأول: التوكيد بـ (إنَّ) و (أنَّ) المشددتين

المبحث الثاني: التوكيد بـ (إنْ) و (أنْ) المخففتين

المبحث الثالث: التوكيد بـ (أمّا) المفتوحة الهمزة مشددة الميم

المبحث الرابع: توكيد الجملة الاسمية بـ (كأن) المشددة

المبحث الخامس: الجملة الاسمية بـ (لكنّ) المشددة

المبحث السادس: التوكيد بـ (لام التوكيد)

المبحث الأول

(إنَّ) و(أنَّ) المشددتين

(إنَّ) المكسورة الهمزة المشددة:

اتفق النحاة على انها تفيد التوكيد " لان معنى إنَّ زيداً منطلق، زيد منطلق وإنَّ دخلت توكيدا"[١] وجاء في القران التوكيد بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢] وإنَّ: "من الأحرف المشبه بالفعل و يبدأ بها، لقوتها، لكونها عاملة" كذا قاله الاخفش[٣].

وذهب فريق من العلماء[٤] إلى أن قولنا : إنَّ زيداً منطلقٌ جواب للقول : مازيد بمنطلق. و ان زيداً لمنطلق جواب لمن قال : ما زيد منطلق.

وقال أهل المعاني : "إذا ألقيت الجملة الى من هو خالي الذهن استغنى عن مؤكدات الحكم، فيقال زيدٌ ذاهبٌ... واذا القيت الى طالب لها، متردد في الحكم حسن تقوية الحكم بمؤكد. وذلك بادخال (إنَّ) نحو: إنَّ زيداً ذاهبٌ، او اللام نحو لزيد ذاهب....و اذا القيت الى منكر للحكم وجب توكيدها بحسب الانكار، فتقول: إني صادق لمن ينكر صدقك و لا يبالغ فيه، واني لصادق لمن يبالغ في إنكاره..." و عليه قوله تعالى: {و اضْرِبْ لَهُم مَثَلاً أصْحَابَ القَريَةِ إذْ جاءَهَا المُرْسَلوُنَ *إذْ أرْسَلنَا إلَيهِمْ اثْنَينِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إنَّا إلَيكمْ مُرْسَلُونَ* قَالُوا ما أنْتُم إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيءٍ إنْ أنْتُم إلاّ تَكذِبُونَ}[٥]"[٦]، " ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الانكار و ضعفه "[٧].

---

[١] الكتاب ٢/ ١٤٤، وينظر: الجمل ص ٥١، وحروف المعاني ص ٣٠، أوضح المسالك١/ ٢٣٧، مغني اللبيب ١/ ٣٧، الجامع الصغير ص ٦٢.

[٢] سورة القدر: الآية (١).

[٣] الجنى الداني / ١٣٠.

[٤] منهم ثعلب وقوم من الكوفيين ، ينظر: الجنى الداني/ ١٣٠-١٣١.

[٥] سورة يس: الآية (١٣).

[٦] الجنى الداني/ ١٣٠-١٣١.

[٧] الإتقان ٣/ ١٩٣.

ويؤيد ذلك جواب ثعلب للكندي عن قوله: إنَّني أجد في كلام العرب حشواً: يقولون عبد الله قائم، ثم يقولون: إنَّ عبد الله قائم، ثم يقولون: إنَّ عبد الله لقائم، و المعنى واحد فقال - أي ثعلب – بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فعبد الله قائم إخبار عن قيامه، وأنَّ عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل و إنَّ عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه[١]. ومما تقدم يتضح إنَّ التوكيد إنَّما جيء به لغرض الإيجاز لان قولنا: إنَّ عبد الله قائم أوجز من تكرار الجملة مرتين وان عبد الله لقائم أوجز من تكرارها ثلاث مرات.

وقد وردت في الصحيح أحاديث تضمنت هذا النوع من التوكيد منها: ما جاء عن أبي هريرة **(رضي الله عنه)** ان رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** قال: [**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، {إنَّ} الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**][٢].

وعن ام كلثوم بنت ابي بكر، وقد أخبرتها عائشة قالت : اعتم النبي ذات ليلة حتى ذهب عامة الليل. وحتى نام أهل المسجد ثم خرج فصلى. فقال: [**{إنَّه} لوقتها لولا أنْ أشُقَّ على أمتي**][٣].

مواضع كسر همزة (إنَّ) المشددة

"تتعين (إنَّ) المكسورة حيث لا يجوز ان يسد المصدر مسدها ومسد معموليها"[٤].

وكسر الهمزة لها مواضع ذكرها الرماني: "لإنَّ المكسورة ثلاثة مواضع: الابتداء والحكاية بعد القول و دخول اللام في الخبر، فالابتداء نحو: ﴿**إنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٥]، وإما الحكاية بعد القول فنحو فنحو قولك: إنَّ زيداً منطلق، واما دخول اللام في الخبر نحو: قد علمت ان زيداً لمنطلق"[٦]. وقد زاد الحريري موضعين آخرين: "احدهما بعد القسم نحو قوله تعالى :﴿ **والعَصْرِ* إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾[٧]، **والآخر: أن تأتي صلة في قوله تعالى:** ﴿ **وآتَينَاهُ مِنَ الكُنُوزُ ما إنَّ مَفَاتِحُهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ**﴾[٨]"[٩]. لكن ابن مالك جعلها عشرة مواضع[١٠]، حيث زاد مواضع الى مواضع سابقيه، وهي: وهي: ما تلي حيث نحو: جلست حيث إنَّ زيداً جالس، وما تلي (إذْ) نحو: جئتك إذ إنَّ زيداً أمير، او تقع حالا نحو، ﴿ **كَمَا أخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيتِكَ بِالحَقِّ وإنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤمِنينَ لَكَارِهُونَ**﴾[١١].

او صفة نحو: مررت برجل انه فاضل، او خبراً عن اسم نحو: قوله تعالى: ﴿**إنَّ الّذِينَ آمَنُوا**

---

[١] ينظر: دلائل الإعجاز ٢٤٢، الجنى الداني ١٣١.

[٢] صحيح مسلم ١/ ٥٣٩ ك ، صلاة المسافرين وقصرها ب ، استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.

[٣] صحيح مسلم ١/٤٤٣ ، ك ، المساجد ب ، وقت العشاء وتأخيرها.

[٤] أوضح المسالك ١/ ٢٤١.

[٥] سورة الحجرات: الآية (٢).

[٦] رسالتان في اللغة: الحدود ص ٥٧.

[٧] سورة العصر: الآية (١ و ٢).

[٨] سورة القصص : الآية (٧٦).

[٩] شرح ملحة الإعراب/ ١٤٣.

[١٠] أوضح المسالك ١/ ١٢٤، وينظر: الجامع الصغير ص ٦٦.

[١١] سورة الأنفال: الآية (٥).

والّذِينَ هَادُوا والصَّابِئِينَ والنَّصَارَى والمَجُوسَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا إنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَينَهُم يَومَ القِيامَةِ﴾[١].
ونحو: زيدٌ (إنَّه قائم).

مواضع كسرها في الصحيح

أولاً: في الابتداء

١- مواضع (إنَّ) في أول الحديث حقيقة

عن ابن عمر عن النبي **(صلى الله عليه وسلم)** قال: [**{إنّ} الإسلام بدأ غريبا و سيعود غريبا كما بدأ....**][٢]

أما الحديث في إثبات حوض نبينا محمد **(صلى الله عليه وسلم)** ففيه روايات متعددة أولها عن جندب **(رضي الله عنه)** يقول سمعت النبي **(صلى الله عليه وسلم)** يقول: **[أنا فرطكم على الحوض....]**[٣] حتى آخر رواية أم سلمة زوج النبي **(صلى الله عليه وسلم) [إنّي لكم فرطٌ على الحوض...]**[٤]، **فشاهد الحديث (إنَّ) المكسورة المؤكدة وقد أكد الحديث بها** و الضمير المتصل بها اسمها و(فرط) خبرها نتبين من التدرج في الروايات نُقَل آخرها الخبر مؤكدا بـ (إنَّ) رداً على ناكريه. و معنى الحديث: ((سابقكم إليه كالمهيأ له))[٥] يريد انه شفيع يتقدم العباد و ان هذا من رحمة الله للعباد ان يُقْبَض نبيها قبلها و لشراح الحديث وقفة منهم المازري انه قال: "قال الهروي : انا أتقدمهم إليه"[٦]، ومنه قوله تعالى:**﴿أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا﴾**[٧].

وعن انس بن مالك – لما توفي ابراهيم بن الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** – قال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم): [{إنَّ} إبراهيم ابني وإنّه مات في الثدي...]**[٨].

ففي الحديثين المذكورين أفادت (إنَّ) معنى في الجملة اي أكدت خبرها الوارد فيها فيقول عنها ابن هشام : "إنَّ تكون حرف توكيد"[٩] ويمكن تحليلها: دخلت (إنَّ) على الجملة الاسمية (الإسلام بدأ) و في الثانية (إبراهيم ابني) فتغيرت حركة المبتدأ وأصبحت الجملة مؤكدة لمن هو على درجة من التردد في تقبل الخبر، والأمثلة المشابهة كثيرة[١٠].

مواضع (إنَّ) في أول الحديث حكما

عد النحاة ما جاء بعد بعض الحروف في أول الكلام، إنَّ الحروف التي لا محل لها إعرابيا، في

---

[١] سورة الحج: الآية (١٧).

[٢] صحيح مسلم ١/ ١٣١ ك ، الإيمان ب ، بيان ان الإسلام بدا غريباً وسيعود غريباً.

[٣] صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٢ ك ، الفضائل ب ، إثبات حوض النبي (صلى الله عليه وسلم).

[٤] صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٥ ك الفضائل.

[٥] شرح النووي على الصحيح ٤/ ١٧٩٢.

[٦] المعلم ١/ ٣٥٣.

[٧] سورة طه: الآية (٤٥).

[٨] صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٨، ك الفضائل ، ب رحمة النبي (صلى الله عليه وسلم) الصبيان والعيال وتواضعه.

[٩] مغني اللبيب ١/ ٣٧.

[١٠] صحيح مسلم ١/ ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٧، ٣١٩، ٣٣٨، ٣٤٧، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٦، ٣٨٠.

حكم الابتداء. يقول الاشموني :" في الابتداء حكما"[١] فقد سبقت (إنَّ) المكسورة حروف لكنها لم تلغ ابتدائية الهمزة المكسورة من هذه الحروف التي جاء بها الحديث، حرف الاستفتاح والتنبيه (ألا) و الاسم الملازم للنداء كـ (اللَّهُمَ)، والنداء بـ(يا)، وحروف الجواب كـ (اجل) و (كلا) و(لا).

١- بعد (ألاَ)

جاء ما رواه ابو مسعود انه قال: أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) بيده نحو اليمين، فقال: [ألا {إنَّ} الإيمان ههنا. و ان القسوة و غلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر][٢].

{إنَّ الإيمان...} جملة (إنَّ) المكسورة جاءت في أول الحديث حكما بعد (الا) الاستفتاحية وقد أفادت (إنَّ) توكيد معنى الجملة. يرد الرأي الذي صرف نسبة الإيمان الى اليمن عن ظاهرة[٣]، يوافقه ابن الصلاح الرأي فيقول: "لو جمع ابو عبيد، ومن سلك سبيله طرق الحديث بألفاظه كما جمعها مسلم غيره وتأملوها... لما تركوا الظاهر، ولقضوا بأن المراد بذلك: اليمن و أهل اليمن الى ما هو مفهوم من إطلاق ذلك والأنصار من جملة المخاطبين...ولا مانع من إجراء الكلام على ظاهره وحمله على أهل اليمن حقيقة...و هكذا كأن الحال أهل اليمن حينئذ في الإيمان، وحال الوافدين منهم في حياته **(صلى الله عليه وسلم)** وفي أعقاب موته كأويس القرني[٤]"[٥].

٢- بعد حروف الجواب

أ- (إنَّ) المكسورة المشددة بعد (كلا)

يقول ابن هشام: "(كلا) وهي عند سيبويه والخليل والمبرد والزجاج و اكثر البصريين حرف معناه (الردع والزجر)[٦]. في الحديث عن عمر بن الخطاب قد حدث الرسول (صلى الله عليه وسلم) لما كان يوم خيبر اقبل نفر من صحابة النبي **(صلى الله عليه وسلم)** يشيرون الى هذا و ذاك يعدونهم من الشهداء و بعد الإشارة إلى احدهم وهو مقتول نفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) اعتقادهم بأنَّه من الشهداء وذلك بقوله (صلى له عليه وسلم): **[كلا {إنِّي} رأيته في النار في بردة غلها او عباءة]**[٧].

فـ {إنَّ} المكسورة الهمزة أكدت الجملة الاسمية وقد أكدت الخبر و لاسيما قد اخبر به الصادق الأمين.

ب- (إنَّ) المكسورة المشددة بعد (لا)

ان (لا): تكون جوابا مناقضا لنعم[٨]، عن سلمه ابن الاكوع إن رسول الله **(صلى الله عليه**

---

[١] حاشية الصبان على شرح الأشموني ١/ ٢٧.

[٢] صحيح مسلم ١/ ٧١ ك، الإيمان ، ب تفاضل أهل الإيمان فيه.

[٣] ينظر: شرح النووي على الصحيح ١/ ٧١.

[٤] هو أويس بن عامر القرني من بني قر بن درمان أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يره، توفي سنة سبع وثلاثين. قال ابن حجر عنه سيد التابعين، وقال الذهبي: (من أولياء الله الصادقين) ترجمته في حلية الأولياء ٢/ ٧٩، وتاريخ ابن عساكر ٣/ ١٥٧، ينظر: صيانة صحيح مسلم من الاخلال والغلط ص ٢١٣.

[٥] صيانة صحيح مسلم من الاخلال والغلط ٢١٢، ٢١٣.

[٦] مغني اللبيب ١/ ١٨٨.

[٧] صحيح مسلم ١/ ١٠٧ ، ك الإيمان ، ب غلظ تحريم الغلول وانه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

[٨] أوضح المسالك ١/ ٢٤٢.

وسلم) قال: [**من ضحى منكم فلا يُصْبِحَن في بيته، بعد ثالثة شيئا**][1]، فلما كان في العام المقبل قالوا : يا رسول الله !نفعل كما فعلنا عام أول ؟ فقال [لا {إنَّ} ذاك كان عام الناس فيه بجهد. فأردت ان يفشو فيهم][2].

تصدرت (إنَّ) حكما بعد حرف الجواب (لا) وقد نقل الخبر مؤكدا و قد وضح الرسول (صلى الله عليه وسلم) سبب اختلاف الحكم بين العامين حرصا على الناس.

ج- (إنَّ) المكسورة المشددة بعد (أجل)

يقول ابن هشام : "(أجل) بسكون اللام حرف جواب مثل (نَعَمْ)، فيكون تصديقا للمخبر وإعلاما للمستخبر ووعداً للطالب.." وقيد المالقي الخبر بالمثبت، والطالب بغير النهي، و قيل لا تجيء بعد الاستفهام، وعن الاخفش هي بعد الخبر أحسن من نَعَم و نَعَمْ بعد الاستفهام احسن منها، و قيل : يختص بالخبر، وهو قول الزمخشري، وابن مالك و جماعة، وقال ابن خروف: "أكثر ما تكون بعده"[3]، وقد ورد الحديث الآتي من بين أحاديث الصحيح فقد روي عن جابر بن عبد الله عند دخوله على رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت : يا رسول الله انك لَتُوعَك وعكا شديداً فقال رسول الله(صلى الله **عليه وسلم**): [**اجل {إنّي} أوعك كما يوعك رجلان منكم**][4].

{إنَّ} تصدرت الحديث حكما بعد حرف الجواب (أجل) وفي الحديث توكيد على ان الله الرسول **(صلى عليه وسلم)** يتعرض بعوارض البشر لكنه يفوقهم في شدة المرض وقوة التحمل، هذا ما أفاد التوكيد في الحديث.

د- (إنَّ) المكسورة المشددة بعد (نَعَمْ)

نعم: (حرف تصديق ووعد وإعلام)[5]. عن عائشة من الرضاعة؛ فقالت عائشة: يا رسول الله ! لو كان فلانٌ حيَّاً (لعمها من الرضاعة) دخل عَلَيَّ؟ قال رسول الله (**صلى الله عليه وسلم**):[**نعم {إنَّ} الرضاعة تُحَرِّم ما تُحَّرِم الولادة**][6].

{إنَّ} تصدرت الحديث حكما بعد حرف الجواب (نَعَم)، في جواب رسول الله(صلى الله عليه وسلم) تقرير شرعي يوضحه القاضي عياض فيقول: " قيل: وفي أحاديث عائشة حجة إنَّ قليل الرضاعة و كثيرها يحرم، اذا لم يقع فيها سؤال عن عدد الرضعات، واكتفى فيها بأنه عم من الرضاعة مجملا ولم يفصل"[7].

والحديث عن انس بن مالك بعد ان صالحت قريش الرسول (صلى الله عليه وسلم) فاشترطوا

---

[1] صحيح مسلم ٣/ ١٥٦٣.

[2] صحيح مسلم ٣/ ١٥٦٣ ، ك الأضاحي ب ، بيان ما كان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام.

[3] مغني اللبيب ١/ ٢٠.

[4] صحيح مسلم ٤/ ١٩٩١ ك البر والصلة والأدب ، ب ثواب المؤن فيما يصيبه من مرض او حزن او نحو ذلك.

[5] مغني اللبيب ٢/ ٣٤٥.

[6] صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٨ ك الرضاع ب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة.

[7] إكمال المعلم ٤/ ٦٢٧.

عليه (صلى الله عليه وسلم) ان من جاء منكم لم نرده عليكم. ومن جاءكم منا رددتموه علينا. فسألوه (صلى الله عليه وسلم) أيكتبون هذا ؟ قال (صلى الله عليه وسلم): [نعم {إنَّه} من ذهب منا اليهم، فأبعده الله، من جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا][1].

{إنَّ} من (إنَّهُ) المتصدرة الحديث حكما بعد حرف الجواب (نعم)، أفادنا التأكيد في الحديث في ان الدخول الى الإسلام مخرج من الكفر و الظلم.

هـ- (إنَّ) المكسورة المشددة بعد (النداء)

حدث سهيل بن سعيد بعد رؤيته نفر من الناس يتساءلون عن أصل عود منبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد أرسل الى امرأة وطلب منها إرسال غلامها النجار ليعمل له أعواداً يكلم الناس عليها ولقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قام عليه فَكَبَّر وكَبَّرَ الناس وراءه وبعد ان فرغ من صلاته، ثم اقبل على الناس فقال: [يا أيها الناس {إنّي} صنعت هذا لتأتَمُّوا بي، ولتعلموا صلاتي][2].

{إنَّ} الناصبة تصدرت حكما بعد النداء و المنادى (يا أيها الناس) يفيدنا التوكيد في الحديث شروع الرسول **(صلى الله عل وسلم يه)** بهذا العمل حتى يكون قدوة نتبعه، والحديث الأخر حين تساءلت عائشة عن سبب اللين في قول الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** مع الرجل الذي استأذنوه للدخول عليه **(صلى الله عليه وسلم): [يا عائشة {إنَّ} شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، من وَدَعَه، او تركه الناس اتقاء فُحْشَهُ][3].**

{إنَّ} تؤكد الجملة الاسمية الخبرية لتلقى على سمع من هو على درجة من التردد في تقبل الخبر، وقد تصدرت الحديث حكما بعد النداء والمنادي (يا عائشة).

و- (إنَّ) المكسورة المشددة بعد (اللهم) الدعائية

وجاءت مكسورة بعد (اللهم)[4] الدعائية في حديث حماد بن زيد : كان رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** اذا دخل الخلاء،وفي رواية هشيم.. دخل الكنيف قال **(صلى الله عليه وسلم): [اللهم {إنّي} أعوذ بك من الخبث والخبائث]**[5]، اذا دخل المرء الخلاء وذلك لان موضع النجاسة هو موضع تواجد كل خبيث.

{إنَّ} تصدرت الحديث حكما بعد (اللهم) و فيه توكيد التعوذ بالله من الخبث و فاعله.

ثانيا : كسر همزة (إنَّ) بعد القول

قال ابن مالك: "او حكمت بالقول"[6]، نحو قوله تعالى :﴿ قَالَ إِنّيِ عَبْدُ اللهَ ﴾[7]، (وما يشتق

---

[1] صحيح مسلم ٣/ ١٤١١ ك، الجهاد والسير، ب صلح الحديبية في الحديبية.

[2] صحيح مسلم ١/ ٣٨٧ ، المساجد ومواضع الصلاة ب ، جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة.

[3] صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٢ ك ، البر والصلة والآداب ، ب مداراة من تبقى فحشه.

[4] (اللهم) هي: (الله) زيد عليها الميم عوضاً عن حرف النداء وذلك لا يجمع بينهما، هذا رأي جمهور النحويين، ينظر: الكتاب١/ ٣١٠، وشرح الرضي ١/ ١٥٧، وهمع الهوامع ١/ ١٧٨ ، والمفهم ٢/ ٨٩، ومعاني النحو ٤/ ٦٩٧.

[5] صحيح مسلم ١/ ٢٨٣ ك الحيض ، ب ما يقول إذا اراد دخول الخلاء.

[6] أوضح المسالك ١/ ٤٢١.

[7] سورة مريم: الآية (٣٠).

منه، لان مقول القول لا يكون الا جملة)[1]. وإنا إن ننهل من ذلك النبع ففي الحديث عن حذيفة قال : كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: [أحصوا لي كم يلفظ الإسلام]، قال، فقلنا: يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة الى السبعمائة قال: [{إنَّكم} لا تدرون لعلكم أن تبتلوا][2].

قال: {إنَّكم لا تدرون} جملة إنَّ المكسورة جملة القول و معموليها في محل رفع مبتدأ، يفيدنا التوكيد بـ (إنَّ) في الحديث إخبار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالتنبوء عن الغيب بان المسلمين سوف يبتلون في حياتهم لما سيمرون به من الفتن و الويلات.

ثالثا : موضع همزة ان بعد القسم

عد ابن هشام والاشموني كسرها واجبا بعد القسم الصريح حيث قالا: "حيث يجب او جوابا لقسم"[3]، نحو قوله تعالى: ﴿حَم (١) والكِتابِ المُبِينِ (٢) إنّا أنْزَلنَاهُ فِي لَيلَةٍ مُبَارَكَةٍ إنّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) ﴾، ﴾، لعبارة الحديث منها موقع، ففي الحديث عن انس ابن مالك، عن النبي قال: [أقيموا الركوع و السجود فو الله ! {إنّي} لأراكم[4] من بعدي...].

وفي هذا قد خص الجليل حبيبه (صلى الله عليه و سلم) بإحراق العادة له **(صلى الله عليه وسلم).**

يوجه القرطبي الخبر المؤكد في الحديث فيقول: "حمل ذلك على ظاهره أولى ويكون ذلك في كرامات النبي **(صلى الله عليه وسلم)**"[5].

وإني أرى فيه الخبر اليقين، فاجتماع القسم و (إنَّ)، زادا الخبر تأكيدا.

أنماط خبر (إنَّ) المكسورة

خبر المبتدأ خبر لـ (إنَّ) أيضاً كقول ابن الحاجب: "لخبر للمبتدأ في العرض"[6]. وفي شرحه يقول : : "حكمه حكم المبتدأ... في كونه مفرداً و جملة"[7].

والجملة اما تكون فعلية او اسمية، و الفعلية إما ان تكون ماضوية او مضارعة، والجملة الاسمية لا تتعدد. وشبه الجملة لا يخرج عن كونه ظرفا او جاراً ومجروراً.

أولا: خبر (إنَّ) مفردا

يقول ابن مالك: "ومفردا يأتي"[8].

كثيرة هي الأحاديث النبوية التي جاء فيها خبر (إنَّ) مفردا، نحو الحديث : ما جاء عن جابر بن عبد الله انه قال : سمعت النبي **(صلى الله عليه و سلم)** يقول: **[... ان بعضكم على بعض {أمراء}.**

---

[1] الفوائد الضيائية ٢/ ٢٣٨.

[2] صحيح مسلم ١/ ١٣٢ ك، الإيمان ب الاستتار بالايمان على الرسول (صلى الله عليه وسلم)

[3] أوضح المسالك ١/ ٢٤١.

[4] اتفق العلماء على معناه: أن الله تعالى خلف له (صلى الله عليه وسلم) إدراكاً في قفاه يبصر به من ورائه، ينظر شرح النووي على الصحيح ١/ ٣١٩.

[5] المفهم ٢/ ٥٨.

[6] الجمل ص ٥٣، وينظر شرح الوافية نظم الكافية ص ١٨٢.

[7] شرح الواقية نظم الكافية ص ١٨٢.

[8] شرح ابن عقيل ١/ ٢٠٢.

تَكَرِمَة الله هذه الأمة][1].

{أمراء} خبر (إنَّ) المفرد المؤكد.

وعن أبي هريرة، عن **النبي صلى الله عليه و سلم** "انه {وتر} يحب الوتر". {وتر} خبر (إنَّ) المفرد المؤكد.

وجه الإمام النووي الحديث في قوله: "الوتر المفرد. ومعناه في حق الله تعالى، الواحد الذي لا شريك له و لا نضير، ومعنى يحب الوتر، تفضيل الوتر في الأعمال و كثير من الطاعات. فجعل الصلاة خمسا، و الطهارة ثلاثا ثلاثا، و الطواف سبعا، والسعي سبعا، ورمي الجمار سبعا، وأيام التشريق ثلاثا، والاستنجاء ثلاثا، وكذا الأكفان وجعل كثيرا من عظيم مخلوقاته وترا. منها السموات والارضون والبحار وأيام الأسبوع، وغير ذلك"[2].

ورد حديث آخر و قد فصل بين معمولي (إنَّ) بـ(إذا) و انه جواب لسائليه (صلى الله عليه وسلم) عن الشهيد في الإسلام قال: **[إنَّ شهداء أمتي إذاً {لقليل}]**[3].

{لقليل} خبر إنَّ المفرد دخلت عليه لام التوكيد فزادته توكيداً.

ثانيا: خبر (إنَّ) جملة فعلية

وهذا هو النمط الثاني من أنماط خبر ان وفيما يأتي بعض الأحاديث التي جاءت على هذا النمط:

أ- خبر ان جملة فعلية فاعلها ماض

يكون خبر إنَّ جملة فعلية فعلها ماض نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أرسَلنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرَاً وَنَذِيرَاً** ﴾[4].

وقد جاء في الصحيح أحاديث كثيرة على نمطه منها عن عائشة رضي الله عنها وانه **(صلى الله عليه وسلم)** يخبرها بان اختياره لها من عند الله تعالى حيث قال لها و :**[إنَّ الله {أرسلني} مبلغا ولم يرسلني متعنتا]**[5].

{أرسلني} الجملة الماضية خبر (إنَّ) المؤكدة.

والحديث عن عبد الله بن زيد بن عاصم، ان رسول الله **(صلى الله عليهوسلم** قال: **[إنَّ إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها. واني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة. وإنّي دعوت في صاعها...]**[6].

ورد خبر (إنَّ) جملة ماضية في الحديث ثلاث مرات حرم وحرمت ودعوت.

---

[1] صحيح مسلم ١/ ١٣٧ ك ، الإيمان ، ب نزول عيسى بم مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم

[2] شرح النووي على الصحيح ٤/ ٢٠٦٢.

[3] صحيح مسلم ٣/ ١٥٢١ ك، الإمارة ب بيان الشهداء.

[4] سورة البقرة: الآية (١١٩).

[5] صحيح مسلم ٢/ ١١١٣ ك، الطلاق ب، في الإيلاء وإعزال النساء وتخييرهن. ورد الحديث في البخاري ٥١٩١، والترمذي ٣٣١٥، والنسائي ٤/ ١٣٧.

[6] صحيح مسلم ٢/ ٩٩١ ك، الحج ب، فضل المدينة، ودعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها البركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها. ورد الحديث في مسند احمد ٤/ ٤٠، والبخاري ٢١٢٩.

يقول القرطبي: "وهذا الحديث نص في تحريم صيد المدينة و قطع شجرها...، ثم لا يلزم ان يكون ذلك فيها دائما، و لا في كل شخص، بل تتحقق إجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم"[١]، المعنى الذي أفاد التوكيد في الحديث هو ان دعاء الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** مستجاب.

وعن المغيرة بن شعبة عن رسول الله **(صلى الله عليه و سلم)** قال: **[إنَّ الله عز وجل {حرم} عليكم عقوق الأمهات.....]**[٢]. **وعقوق الأمهات من الكبائر باجماع العلماء**، و قد تضاهرت الاحاديث الصحيحة على عدة من الكبائر، وانما اقتصر هنا على الامهات لان حرمتهن آكدُ من حرمة الآباء[٣].

والحديث وفيه ورد الفعل الماضي مبني للمفعول ان رجلا قال لعبد الله بن عمر: ألا تغزو ؟ فقال : اني سمعت رسول الله **(صلى الله عليه و سلم)** يقول: **[إنَّ الإسلام {بُنِيَ} على خمس...]**[٤].

في الحديث تاكد اخبار الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** على ان دعائم الاسلام خمس.

يؤكد القرطبي ويوضح: " إنَّ هذه الخمس اساس دين الاسلام، و قواعده عليها تنبني، وبها تقوم،... لان هذه الخمس فرض دائم على الأعيان"[٥]. وقد روي الحديث بروايات اخرى منها : **[بني الاسلام على خمس]**[٦]، ومثله[٧].

ب- خبر (إنَّ) جملة فعلية فعلها مضارع

وردت في الصحيح احاديث احتوت خبر ان جملة مضارعية نسقتها على نوعين :

١- خبر (إنَّ) جملة فعلية مضارعية مثبتة

نحو الاحاديث الآتية :

سئل ابن عمر كيف سمعت رسول **الله (صلى الله عليه وسلم)** يقول في النجوى ؟ قال: سمعته يقول: **[يدني المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل، حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه. فيقول: هل تعرف ؟ فيقول: اي رب! اعرف. قال : فاني** قد سترتها عليك في الدنيا واني {أغفرها} لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته....]**[٨]**.

{ أغفرها} يخبرنا رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** أخبار الواثق المتيقن وهذا الاخبار هو الجملة الفعلية خبر (إنَّ) المؤكدة.

(يدني)، فالدنو هاهنا دنو كرامة لا دنو مسافة. لان الباري في غير مكان[٩]. فالله تعالى ستر للمؤمن ذنبة

---

[١] المفهم ٣/ ٤٨٠-٤٨١.

[٢] صحيح مسلم ٣/ ١٣٤١ ك، الأقضية ب، النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع عن أداء حق لزمه. ورد الحديث في مسند احمد ١/ ٢٤٦، والبخاري ٢٤٠٨.

[٣] ينظر: هامش الصحيح ٣/ ١٣٤١.

[٤] صحيح مسلم ١/ ٤٥ ك، الإيمان ب، بيان أركان الاسلام ودعائمه العظام.

[٥] المفهم ١/ ١٦٨.

[٦] صحيح مسلم ١/ ٤٥.

[٧] ينظر: صحيح مسلم ١/ ٥٦٠، ٤/ ١٧٨٢.

[٨] صحيح مسلم ٤/ ٢١٢٠ ك، التوبة ب، قبول توبة القاتل وان كثر قتله. ورد الحديث في مسند احمد ٢/ ٧٤، والبخاري ٢٤٤١، وابن ماجة ١٨٣.

[٩] ينظر: إكمال المعلم ٨/ ٢٧٢ ، والمفهم ٨/ ١٦٠.

في الحياة الدنيا، لكنه سجل عليه طي اكماله حتى يجيء يوم الحساب يوم لا ينفع الانسان الا عمله.

ينقل الله تعالى البشرى الى المؤمن مجازاة له لما عمله في دنياه بقوله [و **اني اغفر لك اليوم].** من هذا أرى أن الخبر المؤكد قد جاء بشارة للمؤمن الملتزم.

والحديث الآخر وفيه الفعل مبني للمفعول: عن عبد الله و قد كان يسكت حفصة الباكية على موت ابيها فقال: مهلا يا بنية ! الم تعلمي ان رسول **الله (صلى الله عليه وسلم) قال: [إنَّ الميت {يعذب ببكاء أهله عليه ؟}]**[١].

(إنَّ) في الخبر المؤكد معنى، ولا يمكننا الاخذ بالخبر على ظاهره وقد وجهه القاضي عياض بان الخبر ينبئنا ان العذاب يتوجب: "في البكاء بالصوت و الصراخ والنياحة لا في بكاء العين"[٢].

و في الصحيح مثله كثير[٣].

٢- خبر (إنَّ) جملة فعلية مضارعية منفية

وردت أحاديث في الصحيح ادرجها على الانماط الآتية:

أ- خبر (إن) جملة فعلية مسبوقة بلا النافية

جاءت في الصحيح احاديث على هذا النمط منها :

ان ابا هريرة قد سمع الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: [من رآني في المنام قد رآني فان الشيطان {لا يتمثل بي}][٤].

{لا يتمثل بي} خبر (إنَّ) المكسورة المؤكدة فقد تأكد بها الخبر وهو جملة فعلية مضارعية منفية. إنَّ الواضح من الحديث هو تأكيد رسول **الله (صلى الله عليه و سلم)** (خبر إنَّ المؤكدة) و هو في تمثل الشيطان بصورته **(صلى الله عليه وسلم).**

يوجه القرطبي فيقول: "بأن الشيطان لا يتصور بصورته التي كان عليها"[٥]، ثم يضيف فيوضح: فيوضح: " فلو تمكن الشيطان من التمثل في شيء مما كان عليه **(صلى الله عليه وسلم)** أو نسب إليه لما صدق مطلقا قوله (فان الشيطان لا يتمثل بي)، فانه اذا تمثل ببعض صفاته واحواله فقد تمثل به. فالأولى أن تنزه رؤية النبي **(صلى الله عليه وسلم)** او رؤية شيء من احواله، مما ينسب اليه عن تمكن الشيطان من شيء منه ونفي جميع ذلك مطلقا ابلغ في الحرمة وأليق بالعصمة، وكما عصم من الشيطان في يقظته في كل أوقاته، كذلك عصم منه في منامه مع اختلاف حالاته"[٦].

ب- خبر (إنَّ) جملة فعلية فعلها مضارع مسبوق بـ(لن)

جاء في الحديث عن ابي قتادة انه قال : سمعت رسول الله **(صلى الله عليه و سلم) يقول: [الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان. فاذا حلم احدكم حلما يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثا و**

---

[١] صحيح مسلم ٢/ ٦٣٨ ك، الجنائز ب، الميت يعذب ببكاء اهله عليه.

[٢] إكمال المعلم ٣/ ٣٧٢، وينظر: شرح لنووي على الصحيح ٢/ ٦٠٣٨.

[٣] ينظر: صحيح مسلم ١/ ١٣١، و ٤/ ١٧٧٥، و ٤/ ٢١٦٠، و ٤/ ٢٢١٥.

[٤] صحيح مسلم ٤/ ١٧٧٥ ك، الرؤيا ب، قول النبي (صلى الله عليه وسلم) من رآني....

[٥] المفهم ٦/ ٢٣.

[٦] المفهم ٦/ ٢٣.

ليتعوذ بالله من شرها فإنها {لن تضره}][1].

{لن تضره} الجملة المضارعة المسبوقة بـ (لن) جملة خبر (إنَّ) المكسورة المؤكدة.

يتبين من الحديث تأكيد الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** على عدم تأثير الضرر على صاحب الحلم، وما شاء الله كان.

ج- خبر (إنَّ) جملة فعلية فعلها مضارع مسبوق بـ(لم)

في حديث عمرو بن العاص انه قال : كنا مع رسول الله**(صلى الله عليه و سلم) في سفر فنزلنا منزلا... اذ نادى منادي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)**: الصلاةَ جامعةً[2] فاجتمعنا الى رسول الله **(صلى)الله عليه وسلم**. فقال: [إنَّه {لم يكنْ نبيٌّ قبلي} إلا كان حقا عليه ان يدل امته على خير ما يُعَلِّمَه لَهمْ][3].

{لم يكن} جملة خبر (إنَّ) المؤكدة فعلها فعل مضارع مسبوق بـ(لم).

يوجه القرطبي خبر الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** المؤكد فيقول: "أي: حقا واجبا: لان ذلك من طريق النصيحة والاجتهاد في التبليغ والبيان"[4].

وإني أرى خبر الرسول المؤكد في حق الناس على رسولهم و لم يفرد الرسول دون اخر فهذا الواجب على الأنبياء والرسل كلهم.

ثالثا: خبر (إنَّ) المكسورة جملة اسمية

بعد استقرائي أحاديث الصحيح وجدت لغة الحديث قد جاءت بأنماط متباينة من الجمل الاسمية خبر (إنَّ) وفيما يأتي عرض هذه الأنماط:

١- خبر (إنَّ) جملة اسمية مثبتة منسوخة

نحو: روي الحديث، وقد وُضِحَ الهمُ والحزن على وجهه **الكريم (صلى الله عليه وسلم)** فقالت له ميمونة: يا رسول الله ! لقد استنكرتُ هيئتكَ منذ اليوم، قال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم): [إنَّ جبريل {كانَ وَعَدني أنْ يَلقانِي الليلة} فلم يلقني...]**[5].

إنَّ الوجه في خبر (إنَّ) على ما قاله القاضي عياض بان امتناع جبريل عليه السلام من لقاء المصطفى **(صلى الله عليه وسلم)** ذلكم اليوم لان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب او تماثيل او صورة يوافقه القرطبي الرأي ويعلل ذلك الكلب من نجاسته و الصور تشبها بالكفار[6].

٢- خبر (إنَّ) جملة اسمية منفية

عن أبي حازم قال :قاعدت ابي هريرة خمس سنين، فسمعته يحدث النبي **(صلى الله عليه**

---

[1] صحيح مسلم ٤/ ١٧٧١ كتاب الرؤيا.

[2] (الصلاة جامعة) هي بنصب الصلاة على الإغراء، ونصب جامعة على الحال، ينظر: شرح النووي على الصحيح ٣/ ١٤٧٢.

[3] صحيح مسلم ٣/ ١٤٧٣ ك، الإمارة ب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء.

[4] المفهم ٤/ ٥١.

[5] صحيح مسلم ٣/ ١٦٦٤ ك، اللباس والزينة ب وإن الملائكة لا يدخلون..."

[6] ينظر: المفهم ٥/ ٤٢٢.

وسلم) قال: **[بنو إسرائيلَ تَسُوسُهُمُ الأنبياء. كُلَّما هَلكَ نبي خَلفهُ نبيّ وإنَّه {لا نَبيّ بَعدي}]**[1].

{لا نبي بعدي}، يوجه القرطبي (خبر ان المؤكدة) في الحديث فيقول : "هذا النفي عام في الانبياء و الرسل، لان الرسول نبي و زيادة. وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلكِنْ رَسُولُ الله وَخَاتَمِ الأنبِياء**﴾[2]، ومن أسمائه في الكتب القديمة وفيما أطلقته هذه الأمة: خاتم الأنبياء، ومما سمى به نفسه: العاقب و المقفي، فالعاقب: الذي يعقب الانبياء و المقفي: الذي تقفوهم، أي: يكون بعدهم"[3].

والحديث الآخر: عن ابن العباس: إنَّ معاذا قال بعثني رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** قال: **[إنَّكَ.... واتَّقِ دعوة المظلوم فإنه {ليس بينها و بين الله حجاب}]**[4].

خبر (إنَّ) المؤكدة جملة اسمية منفية.

و نحوه[5].

رابعا: خبر (إنَّ) جملة شرطية

منه الحديث في احتضار روح ابي سلمة **(رحمه الله)**، عن ام سلمة قالت: دخل رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** على ابي سلمة و قد شق بصره فأغمضه ثم قال: **[إنَّ الروح {إذا قبض تبعه البصر}]**[6]. **فأردفه النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء و** رفع درجته في المهديين.

{ إذا قبض الروح} الجملة الشرطية، الوجه خبر ان المؤكدة.

يذهب القاضي عياض الى توجيه الخبر المؤكد في الحديث، دليل ان الموت ليس بفناء ولا اعدام تام، و انما هو انتقال وتغير حال، واعدام الجسد دون الروح[7].

يعقبه القرطبي و يوجه الخبر: "يدل على: ان الروح والنفس عبارتان عن معنى واحد، وهو الذي يقبض بالموت"[8].

خامسا: خبر (إنَّ) شبه جملة

يشتمل شبه الجملة على الجار والمجرور او شبه الجملة الظرفية، نحو قوله تعالى في وصف خلق نبيه الأمين: ﴿ **وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم** ﴾[9].

نتائج البحث

بعد هذه الرفقة الممتعة لدراسة الشاهد النبوي، القي الضوء على النتائج التي ظهرت في الدراسة، ولو أن الكلام على البحث بمثل هذا الموضوع يحتاج إلى ألفاظ تليق بمقامه، اترك اليراع يخط ما

---

[1] صحيح مسم ٣/ ١٤٧١ ك، الإمارة ب وجوب بيعة الخلفاء، ورد في البخاري ٣٤٥٥.

[2] سورة الأحزاب: الآية (٤٠).

[3] المفهم ٤/ ٤٨.

[4] صحيح مسلم ١/ ٥٠ ك، الإيمان ب، الدعاء الى الشهادتين وشرائع الإسلام

[5] ينظر: صحيح مسلم ١/ ٢٤٥، و٣/ ١٥٧٣، و٣/ ١٦٦٤.

[6] صحيح مسلم ٢/ ٦٣٤ ك، الجنائز ب، في إغماض الميت والدعاء له اذا حضر. ورد الحديث في مسند احمد ٦/ ٢٩٧، وأبي داود ٣١١٥، والنسائي ٤/ ٤-٥، وابن ماجة ١٤٥٤.

[7] ينظر: إكمال المعلم ٣/ ٣٦١.

[8] المفهم ٢/ ٥٧٣.

[9] سورة القلم: الآية (٤).

تمخض عنه بحثي في هذه الدراسة، وقد تعمدت الإيجاز في تلخيص النتائج فخير الكلام ماقل ودل، وعلى النحو الآتي:

١- يمثل الحديث النبوي جوامع الكلام والقمة الرفيعة لبيان العرب، وقد تبين أن الحديث النبوي هو أصل القواعد العربية، بعد القرآن الكريم فالحديث النبوي هو المفسر للقرآن، و المصدر الثاني التشريعي بعد كتاب الله، وقد قال رب العزة لنبيه البليغ **(صلى الله عليه وسلم)** عن كتابه المعجز في الحديث الصحيح : [**إنما بعثتك لأبتليك وابتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء. تقرؤه نائما ويقضانا**][1].

وفي هذا الحديث وصف الله كتابه المعجز بالحفظ في الصدور. لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الزمان. فمنه نستنتج صفة المنزل إذن كيف يكون كلام المنزل عليه ؟ ألم يستق كلامه مما انزله الله عليه في تفسيره لآيات المنزل المعجز وإفهامها للناس إذ حصرت بعثة الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** بـ(إنما) التي أعدها النحاة إحدى أساليب التوكيد.

٢- عجبا لمن يشك في فصاحة ناقلي حديث رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** ، لا يحق لنا الشك في فصاحة أولئك المخلصين ؛ لأن دوافعهم إيمانية بالله وبرسوله وبكتابه، فقد ألزموا بضوابط وشروط حاسمة حتى تقبل منهم الرواية.

٣- إن عدم استشهاد علماء اللغة العربية الأوائل بالحديث النبوي الشريف لاستخلاص القواعد، يشوبه الغموض، إذ سكتوا عن بيان أسبابه فليست الرواية بالمعنى هي السبب في ذلك كما لم يكن عدم وجود مدونات سببا لذلك، فأنها كانت موجودة ولست اسلم بأن السبب كان تحرزا دينيا أو سياسيا أو صراعا فكريا أو مذهبيا أو سياسيا، كما قال بذلك بعض الباحثين.

٤- إن جواز نقل الحديث النبوي بمعناه لم يطلقه العلماء المختصون، بل قيدوه بشروط يستحيل معها وقوع اللحن فيه.

٥- إن دراسة الحديث النبوي لغويا يرفد قواعد لغتنا بشواهد حقيقية ومقبولة أقوى من التمثيل بشواهد تمج السمع في مواضع شتى وموضوعات متفرقة.

٦- إن المحدثين[2]، من المشتغلين بعلوم العربية المختلفة يكادون يجمعون على أن القدامى لم يحسنوا يحسنوا صنعا بعدم استنباطهم الأحكام من الحديث ؛ لأنهم حرموا العربية من الاستفادة من شاهد لا تحكمه الضرورات والمسوغات التي تحكم الشاهد الشعري.

٧- تصح الدراسة اللغوية بفروعها، ولاسيما الدراسة النحوية في الأحاديث الصحيحة، فالحديث أفصح كلام، أسمى لغة عربية – بعد القرآن – إذ تميز بغزير المادة، وواسع الثراء اللفظي، فقد كان فيها اثر كبير في تراكيبها وأساليبها، ونحوها وصرفها. أظهره الشرح بجلاء ولاسيما القرطبي في كتابه (المفهم فيما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) إذ عرض وعالج كثير من ألفاظ الحديث، تارة ينقل آراء اللغويين والمختصين وأخرى تجده يناقشها.

---

[1] صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٧ ك، الجنة وصفة نعيمها ب، الصفات التي يعرف بها أهل الجنة.

[2] ينظر: مواقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، والحديث النبوي الشريف أثره في الدراسات اللغوية والنحوية.

٣٨. أثر قراءة السنة النبوية في تهذيب السلوك

د. رقية محمد المحارب

(الأستاذ المشارك في الحديث وعلومه بجامعة الأميرة نورة بالرياض)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وبعثه بالحق وجعله سراجا منيرا، - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسن الْهَدْي هَدْي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم – وقد أمرنا ببلاغه وأثبنا عليه ثوابا لم نتأمله ولم نرفع له رأسا؛ كما فعل أسلافنا ففرطنا كثيرا، وأضعنا النضرة في وجوهنا وعقولنا وأرواحنا ، فاعترانا الشحوب ولازمنا النكد ، ولا مخرج لنا من ذاك إلا بالعود الحميد والعمل الرشيد والقول السديد.

وقد كنت أقرأ قول رَسُولَ اللَّهِ :" نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ " ، ولم أكن أدرك حقيقة الدعوة ومبلغ إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته حتى بدأت ببرنامج قراءة السنة مع ثلة من الطالبات، ورأيت النضرة ولمستها في الوجوه والعقول والأجساد والسلوك ، فأردت أن أقوم بدراسة لهذه النتيجة دراسة تطبيقية وقد حددت العينة بأربعين من القارئات للصحيحين البخاري ومسلم لأرى الأثر لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأقرب هذه النتيجة للمدارس التعليمية والأسر والمربين والأفراد؛ لئلا يغيب هذا العلاج عن تداوينا في عصر كثرت فيه الأمراض النفسية، وزادت حالات الانتحار، وتخبطت السلوكيات في مجاهل الأنانية، وحب الذات، والنضرة الشخصية البعيدة عن شق الوحي الآخر.

وقد نهجت في هذا الورقة منهج التحليل والاستقراء، وجعلت خطته على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

ثم ذيلته بفهارس متنوعة.

أما المقدمة فذكرت فيها هدف البحث وأهميته وأسباب اختيار الموضوع وأما التمهيد فذكرت فيه مبحثين :

الأول : منزلة السنة

المبحث الثاني :أهمية الرواية وتناقل الحديث بين الأجيال.

أما الفصل الأول: فجعلته لروايات الحديث وطرقه وتخريجه.

أما الفصل الثاني: فجعلته لشرح الحديث وبيان معاني ألفاظه في كتب الشروح.

أما الفصل الثالث: فجعلته لدراسة آثار قراءة السنة وإقرائها على طالباتي ورصد تغير سلوكهن ، مصداقا للحديث وإجابة للدعوة النبوية.

وأما الخاتمة فبينت فيها نتائج البحث المقدم.

وأسأل الله أن ينفع الله به الأمة ويكون سببا للعودة للوحي الثاني "الحديث" دراسة وبلاغا واستشفاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أسباب اختيار الموضوع:

- حب الباحثة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الاستجابة للنداء النبوي"بلغوا عني".
- رغبة الباحثة في إظهار المعجزة النبوية في وقوع استجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ما تراه الباحثة من إعراض الكثير من عامة المسلمين عن مدارسة السنة.
- يتضمن البحث تمهيدياً وثلاثة فصول وخاتمة، ثم فهارس متنوعة.
- يتضمن البحث مقدمة و تمهيدياً وفصلين وخاتمة، ثم فهارس متنوعة.
- المقدمة و فيها هدف البحث، وأهميته، وأسباب اختيار الموضوع. أسئلة البحث، ومنهجه وخطته.
- التمهيد و فيه مبحثان :
- المبحث الأول : منزلة السنة النبوية.
- المبحث الثاني : أهمية الرواية وتناقل الحديث بين الأجيال.
- **الفصل الأول** و فيه مبحثان :
- المبحث الأول : روايات الحديث وطرقه وتخريجه.
- المبحث الثاني: شرح الحديث وبيان معاني ألفاظه.
- **الفصل الثاني:** دراسة آثار قراءة السنة وإقرائها على الطالبات اللاتي درسن على يد الباحثة ورصد تغير سلوكهن، مصداقا للحديث وإجابة للدعوة النبوية.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج الدراسة.

روايات الحديث وطرقه وتخريجه.

أخرج الإمام أبو داود قال:

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عَنْ شُعْبَةَ ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - يَقُولُ: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ".

الحكم على الحديث

الحديث بهذا الإسناد صحيح.

وله شواهد كثيرة وروي عن عشرين صحابي، فهو متواتر، وإن كان في بعض طرقه ضعف لكنه مروي من وجوه صحيحة في الجملة.

معاني الحديث

- هذا الحديث عظيم في أثر حديث رسول الله وتناقله وتعلمه وفقهه، حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن سمع حديثه وبلغه، والدعاء كان بالنضرة مطلقا، قَالَ الطِّيبِيّ: «النضرة الْحسن والرونق».
- وهل هذه الجملة (نضر الله) دعاء أم خبر؟ قال في المرقاة: «قِيلَ: إِنَّهُ إِخْبَارٌ يَعْنِي جَعَلَهُ ذَا نَضْرَةٍ، وَقِيلَ: دُعَاءٌ لَهُ بِالنَّضْرَةِ وَهِيَ الْبَهْجَةُ وَالْبَهَاءُ فِي الْوَجْهِ مِنْ أَثَرِ النِّعْمَةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ هُنَا النَّضْرَةُ مِنْ حَيْثُ الْجَاهِ وَالْقَدْرِ».
- قوله (امرءا): يدخل فيه الذكر والأنثى والكبير والصغير والحر والعبد، وكل إنسان فهو داخل في هذه الدعوة إذا حمل الحديث وأداه.
- (سمع منا): هل يلزم السماع المباشر أم المقصود سماع الرواية التي تناقلها القوم واحدا عن آخر؟
- الظاهر أنه يَعُمُّ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ الصَّادِرَةَ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَدُلُّ عَلَيْهِ صِيغَةُ الْجَمْعِ فِي (مِنَّا).
- ودل هذا الحديث أنه ليس من شرط الراوي أن يكون فقيهًا، ولا أن يكونَ عاملاً بما روى إذ إن الرواية أداء، وشرْط العمل ليس داخلاً فيها، وإنْ كان مُطْلق العمل داخلاً في العدالة، وإنما الأداء يتطلَّب الضبط والْحِفظ.
- قوله (وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ): وهذه شهادة منه صلى الله عليه وسلم بأن ما كل من صحبه فقه كلامه ووعاه على وجهه، وقد يتوهم أن الجملتين سواء ! لكن بينهما فرق فالأولى تنسب الفقه للسامع ولكن تثبت أن ثمة أفقه منه سيتلقى الخبر والثانية تبين أن بعض السامعين لا يفقهون أصلا !

وقد دلت الدراسة لحال عدد من القارئات على أن الانتفاع بسماع الحديث وروايته وتبليغه أثمر ثمرات بالغة في نفوس المتلقيات بالكلية وليس للوجه خاصة، لاسيما وقت التلقي والطلب أو زمن العطاء .

إجراءات البحث الميداني

- **مجتمع البحث:**
- يشمل مجتمع البحث جميع الطالبات اللاتي أنهين برنامج **"مجالس الحديث النبوي"** على يد الباحثة التابع لمركز النجاح في مدينة الرياض وعددهن (٤٥) طالبة .
- **عينة البحث:**

- تتضمن عينة البحث (٤٠) طالبة من الطالبات اللاتي أنهين برنامج **"مجالس الحديث النبوي"** على يد الباحثة التابع لمركز النجاح في مدينة الرياض وهي تمثل (٨٨،٩ %) من المجتمع الأصلي، وفي ما يلي توصيف لعينة البحث:

أسئلة البحث:

ستجيب الدراسة الميدانية - بإذن الله - عن الأسئلة التالية:

١.ما مدى تأثر عينة الدراسة بقراءة الحديث في الجانب الإيماني.

٢.ما مدى تأثر عينة البحث بقراءة الحديث في الجانب اللغوي.

٣.ما مدى تأثر عينة البحث بقراءة الحديث في الجانب السلوكي.

٤.ما مدى تأثر عينة البحث بقراءة الحديث في الجانب المعرفي.

٥.ما مدى تأثر عينة البحث بقراءة الحديث في الجانب الاجتماعي.

٦.ما مدى تأثر عينة البحث بقراءة الحديث في الجانب النفسي.

٧.هل لمتغيري كل من العمر وطبيعة العمل أثر على استجابات أفراد العينة.

أداة البحث :

لإجراء البحث الميداني وتحقيق أهدافه استعانت الباحثة بصحيفة "استبيان"، كأداة رئيسة للبحث الحالي من إعداد الباحثة، ومن المعلوم أن "الاستبانة" تُعد أداة من أدوات المنهج الوصفي، وقد تضمنت الاستبانة ستة محاور رئيسية لتحقيق أهداف الدراسة المرجوة.

أساليب المعالجة الإحصائية :

- تم عمل التحليل الإحصائي عن طريق الحاسب الآلي باستخدام برنامج "الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية" (BSS)، وقد استخدمت الباحثة الأساليب الإحصائية التالية في المعالجة الإحصائية والوقوف على النتائج التي أسفر عنها التطبيق الميداني:
- التكرارات Frequencies والنسب المئوية Percentges لوصف عينة الدراسة ومحاور الأداة المختلقة.
- المتوسطات الحسابية Arithmetic Mean والانحرافات المعيارية Standard Deviation, لتصنيف عبارات الأداة وترتيبها.
- اختبار "ت" T.test للكشف عن دلالة الفروق بين استجابات أفراد العينة وفقاً لمتغيرات الدراسة حول محاور الأداة.
- تحليل التباين الأحادي ANOVA لحساب دلالة الفروق بين استجابات أفراد العينة وفقاً لمتغيرات الدراسة في محاور الأداة.

- اختبار شيفيه Scheffe Test للمقارنات البعدية للكشف عن مصادر دلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة في محاور الأداة.

الخاتمة

أهل الحديث يحملون هذا الشرف ويطمعون في الدخول في الدعوة المباركة ويهنئون بالنضرة في الدنيا والآخرة. لا حرمنا الله من فضله، وقد لمست أثر هذه الدعوة في وجوه قراء الحديث والمبلغين له من خلال البرنامج الذي أقمته لقراءة السنة النبوية، وكلما كانت القارئة متصفة بالتلقي والبلاغ للحديث كلما ظهر ذلك في وجهها وأحسته في قلبها وأفاضته على من حولها، وقد ظهر من خلال الدراسة التطبيقية مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرءا سمع منا...) الحديث، وجاءت النتائج بالغة الوضوح، وهذا وإن كان مسلما به لمن صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن في التدليل على ذلك بالدراسة الميدانية التطبيقية إظهار لدلائل النبوة ، وأهيب بالباحثين أن يوجهوا عنايتهم للحديث النبوي ويظهروا الدلائل النبوية في عصرنا الحديث بمقاييس أهله لتقوم الحجة ويظهر علو هذا الدين وصحته.

٣٩. أثر الحديث النبوي في إغناء العربية

(د. تهاني بنت محمد الصفدي - جامعة الأمير سلطان، الرياض - المملكة العربية السعودية)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده, ونستعينه, ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, وسيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أمابعد:

فإن من أنفس ما تملكه الفصحى تلك الثروة اللغوية التي حوتها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ فقد صار لها مع لغتنا شأن جليل. إذ أسهم الحديث النبوي إسهاما كبيرا في حفظ هذه اللغة العريقة , وحفظ لهجاتها, وغريبها, وفي إغنائها وزيادة ثرائها في أصواتها وألفاظها, في تراكيبها وأساليبها, في نحو وتصريفها ,في بلاغتها وإعجازها ,في معجمها وقواميسها.. ومن عظمة هذه اللغة استجابتها وقدرتها على ملاحقة الحياة بكل تغيراتها بالتعبير عنها.

وقد اختصت هذه الدراسة بالبحث في جانب من الحديث النبوي له بالعربية ودراساتها اللغوية صلة وثقى وأثر بعيد. ولأهمية هذين اللونين البالغة –الحديث واللغة- كان لا بد من مقدمة جامعة مختصرة أبرز معالم هذا الميدان الفسيح

فمما شك فيه أن موضوع (أثر الحديث النبوي في إثراء العربية) جدير بالدراسة العميقة التي تقف على مزاياه، وجملة ما فيه من قضايا، وكان مما دفعني إلى البحث فيه أمور، منها:

- تعلّق الموضوع باللغة وثرائها, والأسس التي بُنيت عليها, لذا فهو يتعلّق بتأصيل المادة اللغوية, ودرجة صحّتها, وقبولها وتطورها.

- تعلّقه بالحديث النبوي، وهو ميدان فسيح لكثير من العلوم , فقد كان جمع الحديث وروايته وتدوينه الأساس الأوّل الذي قامت عليه الحركة العلمية التي شهدتها البلاد الإسلامية بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ,فجلّ ما وصل إلينا من التأريخ والسيرة , والمغازي والفتوح ,والتراجم والطبقات ,وتفسير القرآن وعلوم القراءات ,تشعّب عن جمع الحديث وروايته.أما العلوم اللسانية العربية فقد رافقت في مسيرتها مسيرة العلوم الأخرى, فحظيت بمثل ما حظيت به تلك العلوم من رعاية وعناية , فقد كانت الدواعي متمثلة في خدمة الدين الجديد ,قرآنا وحديثاً ,ولغة , وإعراباً.

ولكي تتّضح صورة البحث أورد عرضاً لخطّته، ليأخذ المطّلع صورة عنه قبل الدخول فيه:

التمهيد:

الحديث في التمهيد ينقسم قسمين:

١- نبذة عن اللغة: واشتملت على ما يلي:

- مرحلة التدوين: بينت فيها المراحل المتداخلة المتعاصرة التي مرّ بها جمع اللغة, ومصادر جمع اللغة.

الفصل الأول:

أولاً- الاحتجاج اللغوي: تناولت فيه المعايير التي وضعت لثبوت عروبة اللفظ ليصحّ الاحتجاج به.
ثانياً- حجية الحديث النبوي في أصول العربية.

الفصل الثاني:

وضحت فيه كيف أغنى الحديث النبوي اللغة العربية في ألفاظها وتراكيبها ,وفي لهجاتها وغريب ألفاظها , فكانا وحدة واحدة ,قال السيوطي:" علم الحديث واللغة أخوان يجريان من واد واحد". المزهر ٣١٢/٢

وكان الحديث عن ذلك بالطرق التالية:

المجموعة الأولى: نماذج منتقاة من التطور الدلالي في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.
المجموعة الثانية: نماذج منتقاة من **الارتجال والابتكار**, في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.
المجموعة الثالثة: نماذج من تراكيب لم يسبق إليها صلى الله عليه وسلم.

وختمتُ هذا البحث بخاتمةٍ ذكرت فيها أهمّ النتائج التي ظهرت لي أثناء عملي في هذا الموضوع الكبير.

ثمّ وبعد، فإن هذا العمل جهد بشري يعتريه النقص والخلل، وحسبي أني بذلت فيه جهدي وطاقتي أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل ما سُطِّر في هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به... إن أصبت ففضل من الله وكرم, وإن أخطأت فقصور فيّ ونقص. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

مرحلة تدوين اللغة:

إن البحوث اللغوية والنحوية عند المسلمين لم تكن من الدراسات المبكّرة التي خفّوا لها سراعاً؛ لأن اهتمامهم وجّه أولاً إلى العلوم الشرعيّة؛ كالفقه، والتفسير، والقراءات، والحديث النبوي، فبعد أن دوّنت تلك العلوم اتّجه العلماء وجهة أخرى نحو اللّغة والنّحو[١]."فأكثر اللّغة كتبت في العصر العباسي الأوّل لا قبله"[٢].

ومن أولى محاولات البحث اللغويّ التي ارتبطت بالقرآن محاولة ابن عباس (ت ٦٨هـ) جمع الكلمات الغريبة في القرآن وشرحها إن صحّت نسبة (غريب القرآن)[٣] إليه.

فكان- رضي الله عنه- يفسّر للناس غريب القرآن، ويشرح معاني المفردات بما يوضّحها من كلام العرب شعراً ونثراً, وورد عنه قوله:"إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشّعر ديوان العرب"[٤]

بيد أن الأمر لم يتوقّف على ما دار حول القرآن الكريم, بل كان جمع الحديث وروايته وتدوينه الأساس الأول الذي قامت عليه الحركة العلمية التي شهدتها الدول الإسلامية بعد عصر الرسول صلى

---

(١) ينظر: تاريخ الخلفاء , للسيوطي ص ١٧٣, والبحث اللغوي عند العرب د. أحمد مختار عمر ص ٧٩-٨٠
(٢) ضحى الإسلام ٢٣٠/١
(٣) ذكر بروكلمان أنه كانت من كتابه نسخة قبل الحرب العالمية الثانية. ينظر: تاريخ الأدب العربي١/ ٣٣
(٤) ينظر: العمدة في صناعة الشعر ونقده, لابن رشيق ٢٧/١

الله عليه وسلم، فـ"كل ما نعرفه من التأريخ والسيرة، والمغازي والفتوح، والتراجم والطبقات، وحتى تفسير القرآن وعلوم القراءات،تشعب عن جمع الحديث وروايته.

عاصر ذلك مرحلة نقط المصحف على يد أبي الأسود الدؤلي, قال ابن سلام: "وكان أوّل من أسّس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي"[١]، ثم تتابعت الروايات الكثيرة في نسبة وضع النحو إليه.

وبظهور الإسلام استمرّ حفظ ما أُثر من الشّعر لغاية جديدة هو أنّه ديوان العرب وسِجِلّ اللغة، وصورة حياتها العربيّة بكلّ ما فيها؛ أي أنه حُفظ باحتسابه معجماً أو سجّلاً أو ديواناً لألفاظ القرآن الكريم[٢]، قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقلُّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثيرٌ"[٣]

وصار الشعر العربي الجاهلي مع قرينه الإسلامي مصدراً أساسياً في التأليف في العلوم العربية والإسلامية: لغةً ونحواً وبلاغةً وتفسيراً.

وهكذا بدأ جمع اللّغة، أو التراث القوليّ للعرب - إن صحّ التعبير - بناءً على دوافع دينيّة من ناحية, ولغويّة من ناحية أخرى[٤].

الفصل الأول:

أولاً: الاحتجاج اللغوي (ضوابطه الزمانية والمكانية)[٥]:

المعيار الذي وضع لثبوت عروبة اللفظ ليصحّ الاحتجاج به هو ثبوته في كلام (من يوثق بفصاحته)[٦] والشروط التي تحقق ذلك الوثوق: كون قائله عربياً من قبائل بعينها, ومناطق بعينها، في عصر زمني ينتهي عند حد معين، ولإيضاح ذلك نذكر ما يلي:

---

(١) طبقات فحول الشعراء, لابن سلاّم ١/ ١٢

(٢) ينظر: البحث اللغوي عند العرب د. أحمد مختار عمر ص ٧٩-٨٠

(٣) الوافر: التام الذي لم ينقص منه شيء. روى ابن سلام الخبر في طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٥, وابن جني في الخصائص ١: ٣٨٦، ٣٨٧، والسيوطي في الاقتراح ص ٥١

(٤) ينظر: مراحل تطور الدرس النحوي د. عبد الله الخثران ص٣١

(٥) من الدراسات السابقة في موضوع الاحتجاج اللغوي:

- الاقتراح في علم أصول النحو, للسيوطي ص ٢٧- ٨٤
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب, للبغدادي (هارون) ١/ ٥- ١٧
- في أصول النحو, سعيد الأفغاني ص ٦-٧٦
- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي ص١٠- ١١٥
- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، خديجة الحديثي.
- مراحل تطوّر الدرس النحوي ص١٦٣- ١٧٤
- الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته. محمد حسن جبل.

(٦) الاقتراح ص ٤٨

حدّد اللغويّون[1] مادة جمعهم فيما صحّ عن العرب ضمن شروط ومعايير هي[2]:

المكان: الفيصل الذي حدّدت بمقتضاه مواطن الفصاحة؛ وسط الجزيرة العربية, دون بقيّة أطرافها؛ لصلتها بالأمم الأخرى، وفي بواديها دون الحواضر التي كانت تعجّ بحركة الوافدين عليها من خارج الجزيرة، أو من أطرافها بقصد التجارة ونحوها.

الزمان: الفيصل الذي حدّدت بمقتضاه عصور الفصاحة عند منتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة للاحتجاج باللغة الأدبية خاصّة لغة الشعر، ونهاية القرن الرابع الهجريّ بالنسبة للاحتجاج باللغة الشفهية المنقولة عن الأعراب.

الفصاحة: الشرط الذي حدّد بمقتضاه فصاحة اللفظ, إذا ثبتت نسبته إلى عربيّ قحّ, سواء بالمشافهة أو الرواية الصحيحة. ذلك العربي القحّ هو من انطبق عليه شرط الزمان والمكان السابقين.

وهذا الحرص على وضع ضوابط دقيقة في المادة اللغوية مردّه أمران:

الأول: خشيتهم أن تبتعد العربية عن خصائصها المعروفة عند نزول القرآن الكريم؛ مما يؤدي إلى ظهور لغة ثانية ذات خصائص مغايرة للغة الأولى.

والآخر: الخوف من دخول سيل عارم من الألفاظ الأعجمية إلى العربية؛ مما يبعدها عن خصائصها وعروبتها.

وعلى ضوء تلك المعايير عُدّ كل ما خالف ذلك مولّداً، فَقُسِّم الشعراء إلى طبقات، والقبائل إلى درجات، أعلاها قبيلة قريش.

ثانيا- حجية الحديث النبوي في أصول العربية:

عند النظر في مصادر اللغة نجد أنّها لا تخرج عن أحد المصادر التالية: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والنثر.

القرآن الكريم:

فأما القرآن الكريم فهو مصدر العلوم الإسلامية التي منها علم النحو واللغة, والأئمة جميعًا متّفقون على الاحتجاج به؛ فهو أصحّ كلام وأبلغه وهو في ذروة الذرا في الكلام العربي[3], قال الراغب الأصبهاني:" ألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب, وزبدته, وواسطته, وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[4].

وقد أفاد النحاة واللغويّون من آياته البيّنات في كثير مما استنبطوه من قواعد نحوية فحفل(الكتاب) لسيبويه بالشواهد القرآنية الكثيرة، حتى بلغت ما يقرب من أربع وسبعين وثلاثمائة

---

(١) أنّبه على أن اللغة والنحو كانا ممتزجين، والعالم بالنحو كان عالماً باللغة، وإن كان بعض العلماء أبرز في اللغة، وبعضهم أبرز في النحو، وكانت العراق أسبق الأمصار إلى تدوين اللغة والنحو، وكان البصريون لهم الفضل في ذلك، ثم الكوفيون، ثم البغداديون. فالبصرة أول مدينة عربية عنيت بالنحو واللغة وتدوينهما. ضحى الإسلام ٢١٢/٢

(٢)ينظر: قضية الفصاحة في القاموس العربيّ التاريخي - د. عبد العلي الودغيري (مجلة المعجمية ٥-٦) ص٢٢٠-٢٢٤

(٣) ينظر: حجّة القراءات, لابن زنجلة ص١٢، والنشر في القراءات العشر, لابن الجزري ٩/١, والشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه, د. خديجة الحديثي ص٤٤

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصبهاني ص٣

آية[1], وبلغت شواهد الخليل في (العين) من القرآن الكريم أربعمائة وتسعين آية, تضمنها شواهد من القراءات القرآنية[2], ونهج النحاة البصريون نهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم، واستنباط ما فات الأسلاف من قواعد، أو تصحيح ما سبقوا إليه من أصول.

أمّا الاحتجاج بالقراءات القرآنية فإن الجيل الأوّل من النحاة رأى أن القراءة سنّة متبّعة لا يصحّ التعرّض لها بتخطئة, وقالوا: إن كل قراءاته فصيحة حتى الشاذّ منها، ولو أنه لا يقاس عليها, قال الفراء: "...والكتاب أعرب وأقوى في الحجّة من الشّعر"[3], وقال ابن جني: "غرضنا منه أن نري وجه قوة ما يسمّى الآن شاذّاً, وأنّه ضارب في صحّة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه؛ لئلا يرى مرى أن العدول عنه إنما هو غضّ منه أو تهمة له"[4],كما قال البغدادي: "كلامه - عزّ اسمه - أفصح كلام وأبلغه, ويجوز الاستشهاد بمتواتره، وشاذّه"[5], تلك الأقوال تمثّل ما انتهى عليه الأمر من الإجماع على الاحتجاج بالقراءات متواترها، وآحادها وشاذّها.

الحديث الشريف:

أما الحديث الشريف فانقسموا إزاء الاحتجاج به فريقين:

-فريق غلب على ظنّه أن الأحاديث الشريفة رويت بلفظه ﷺ – فهي في الذروة العليا من الفصاحة, أو روي معناها بألفاظ الصحابة والتابعين, وهم داخلون في نطاق الاحتجاج فأجازوا الاحتجاج به.

-فريق رفض الأخذ به في الاستشهاد على مسائل النحو محتجّاً بأنه قد سمحت الرواية فيه بمعناه لا بلفظه, كما أن بعض رواته كانوا من المولّدين[6].

ولعل من أسباب بعد النحويين الأوائل، عن الاستشهاد بالحديث، إيثارهم الابتعاد عن مواطن تزلّ فيه الأقدام، بعد شيوع الوضع في الحديث في العصور الإسلامية الأولى، وكثرة اتّهام بعض الناس بعضاً بهذا الوضع , ولا يعني ذلك أن المؤلفات النحوية الأولى تخلو من ذكر الحديث خلوّاً تامّاً فقد استشهد سيبويه, وأبو علي الفارسي[7], وغيرهما بالحديث النبوي الشريف على كثير من مسائل اللغة, وإن كان احتجاجهم محدوداً. كذلك استشهد قدامى اللغويّين بالحديث في مسائل اللغة أمثال أبي عمرو بن العلاء، والخليل، والفراء، والأصمعي، وأبي عبيد، و ابن الأعرابي، وابن السكيت، وأبي حاتم، وابن قتيبة، وابن خالويه، و الجوهري، وغيرهم[8], وبلغت شواهد الخليل بن أحمد الفراهيدي من

---

(١) ينظر: مراحل تطور الدرس النحوي ص١٧٥

(٢) ينظر: (منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين) –د. أحمد نصيف الجنابي ضمن أبحاث ندوة (المعجمية العربية) المجمع العلمي العراقي ١٤١٢هـ-١٩٩٢م بغداد ص ١٦١-١٩٩

(٣) معاني القرآن, للفراء ١/ ١٤

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها, لابن جني١/ ٣٢ -٣٣

(٥) خزانة الأدب ولبّ لباب كلام العرب, للبغدادي ١/ ٩

(٦) الاقتراح ص ٤٠، وانظر: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي ص ٣٠٧

(٧) ينظر: فهارس كتاب سيبويه، د. عبد السلام هارون ٥/ ٣٢ ,و فهارس كتاب سيبويه، عبد الخالق عضيمة ص٧٦٣, وأبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية وآثاره في القراءات والنحو، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ص٢٠٠-٢٠٤

(٨) ذكر مواضع استشهادهم د. أحمد مختار عمر. ينظر: البحث اللغوي عند العرب ص ٣٧- ٣٨

الحديث الشريف تسعة وعشرين وثلاثمائة حديث[١].

كما أرّخت د.خديجة الحديثي بداية الاحتجاج بالحديث النبوي بأبي عمرو بن العلاء، و الخليل بن أحمد، وسيبويه[٢].

ويكاد يجمع الباحثون على أن ابن خروف الأندلسي (ت ٦٠٩هـ) له فضل السبق في الإكثار من الاعتداد بالأحاديث والاستشهاد بها[٣], وتابعه في ذلك ابن مالك صاحب الألفية (ت ٦٧٢هـ) فخطا خطوة موفّقة حين جعل الحديث المصدر الثاني من مصادر الاحتجاج بعد القرآن الكريم, يظهر ذلك جليّاً في كتابه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) إذ احتوى على مائتين وستة وستين حديثاً ,فاستقرأ الأحاديث, واستخلص ما جاء فيها من قواعد جديدة، فأثبتها واستدرك بها على قواعد النّحاة الأوائل مما ورد في أسلوب الأحاديث، ولم يرد مثله في آيات الكتاب العزيز، ولا فيما جمعه النحاة من كلام العرب الفصحاء[٤].

ومن أعلام المانعين من الاستشهاد بالحديث: ابن الضائع (ت٦٨٠هـ), وأبو حيّان (ت ٧٤٥هـ)[٥], وتوسّط الشاطبيّ (ت ٧٩٠هـ) فجوّز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتني بنقل ألفاظها. قال في شرح الألفية: «أما الحديث فإنه خالف في الاستشهاد به جميع المتقدمين, إذ لا تجد في كتاب نحوي استدلالاً بحديث منقول عن رسول الله ﷺ إلا على وجه أذكره بحول الله, وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم وبأشعارهم التي فيها الخنى, والفحش.. ويتركون الأحاديث الصحيحة...»[٦]

وتابعه السيوطيّ في الاقتراح, قال: «وأما كلامه - ﷺ - فيستدلّ منه بما ثبت أنه قال على اللفظ المرويّ, وذلك نادر جدّاً, إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلّة أيضاً, فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى، وقد تداولها الأعاجم والمولّدون قبل تدوينها, فرووها بما أدّت إليه عباراتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ، لذلك ترى الحديث الواحد مروياً على أوجه شتّى بعبارات مختلفة، ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث»[٧]

وتوسع الإستراباذي الذي كتب شرحه المشهور على متن الكافية لابن الحاجب في صحّة

---

(١) ينظر: (من موارد العين للفراهيدي) د. عبدالله الجبوري ص ٢٦٥ مجلة الذخائر العدد الرابع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف, د. خديجة الحديثي ص ٧٧، وقد جمعت المؤلفة لمن يسمون بنحاة ما قبل الاحتجاج سبعة وثمانين حديثاً نبوياً، وتسعة وعشرين حديثاً مروياً من آل البيت والصحابة (ص ١٨٩)

(٣) ذكر ذلك ابن الضائع, قال: "وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً" ينظر: خزانة الأدب ٥/١, والاقتراح ص ٤٣ , والعربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب, يوهان فك ص ٢٣

(٤) ينظر: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف ص ٤٢٤

(٥) قالت د. خديجة الحديثي في موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف ص ٤٢٧: (.. إنني أستطيع أن أخالف الباحثين جميعاً – قديمين ومحدثين – فيما ذهبوا إليه من أن أبا حيان كان يمنع الاحتجاج بالحديث مطلقاً؛ لأنه قد ثبت لي أنه لا يردّ على ابن مالك ولا على غيره ممن احتجّوا بالحديث مما صح عنده وقبله، وإنما يعرض آراءهم واحتجاجهم من غير أن يردّها، وقد يتابعهم فيها ويرجّح احتجاجهم، وقد يحتج هو بأحاديث يبني عليها آراء واستعمالات لم يسبق أن قال بها أحد قبله, كما وجدت أنه يجيز الاحتجاج بكلام آل البيت والصحابة رضي الله عنهم وفق الشروط التي رآها في الحديث النبوي الشريف).

(٦) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي, تحقيق د. عياد الثبيتي ٤٠١/٣

(٧) الاقتراح ص ٤٠

الاستشهاد في أمور اللغة حتى بأهل البيت, وبها طرأ على العربية تحوّل ظاهر. ولاضير أن يتدارك المتأخرون ما فات المتقدين, بل إن ذلك هو المنتظر. ونشير في ختام القول في هذه القضية إلى أن النزاع كان قائماً بين النحويين على الاستشهاد بالحديث في النحو, أما الاستشهاد به في اللغة فقد كان أمراً مباحاً, لكن على قلّة نسبية[1]. وفي العصر الحديث نوقشت المسألة مناقشة موسعة انتهت بتلخيص مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأحاديث التي يصح الاحتجاج بها فأصدر قراراً بهذا الشأن[2]:

١- لا يحتجّ في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدوّنة في الصدر الأول ككتب الصحاح الست النبوية فما قبلها.

٢- يحتجّ بالحديث المدوّن في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي:

أ - الأحاديث المتواترة المشهورة.

ب- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

ج - الأحاديث التي تعدّ من جوامع الكلم.

د - كتب النبيّ ﷺ.

هـ- الأحاديث المرويّة لبيان أنه كان ﷺ يخاطب كل قوم بلغتهم.

و - الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل القاسم ابن محمد، و رجاء بن حيوة، وابن سيرين.

ز - الأحاديث التي دوّنها من نشأ بين العرب الفصحاء.

ح- الأحاديث المرويّة من طرق متعدد وألفاظها واحدة.

الشعر:

بقي لنا من أنوع الكلام الذي هو موضع الاحتجاج اللغويّ نوعه الأخير وهو ما يوثق بفصاحته من كلام العرب نظماً ونثراً قبل بعثته ﷺ, وفي زمنه، وبعده ﷺ, وهذا النوع هو الأعمّ الأوسع الذي لا يكاد يحدّ.

والشعر يمثّل الدرجة العليا في الكلام، بعد الكلام الإلهي والكلامي النبويّ، فهما فوق كل كلام؛ لبلاغتهما وشرف المتكلم بهما، وما سوى هذين من كلام العرب فيكون على مرتبتين: علياهما النظم؛ لما جمع من البلاغة والوزن والتقفية، وسفلاهما النثر؛ لتعريته من الوزن والتقفية.

أما الشعر فالاحتجاج به أفشى وأشيع كثيراً من الاحتجاج بكلام العرب النثري, ولعلّ هذا سببه شيوع حفظ الشعر؛ لأن إيقاعاته تساعد على ذلك كما أن رواية الشعر أحرى أن تكون أضبط؛ لأن الضبط يمثل عنصراً من عناصر إيقاعاته. وقد اعتمد الأوائل الشعر أصلاً من أصولهم، وطبّقوا عليه الأسس والمعايير التي طبّقوها على النقل من القبائل في الصدر الأول, فقبلوا الاحتجاج بأشعار عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري، سواء أسكنوا الحضر أم سكنوا

---

(١) ينظر: المعجم العربي١/٢١٥

(٢) ينظر: في أصول النحو, لسعيد الأفغاني ٤٦-٥٨, والاحتجاج بالشعر في اللغة، محمد حسن جبل ص ٧٣-٧٤, والقرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، خالد بن سعود العصيمي ص ٦٨٠

البادية[١].وكان منتصف القرن الرابع أو ربعه الأخير هو آخر الاحتجاج بلغة أبناء البادية. وعلى أساس ذلك التحديد الزمني قسّم الشعراء أربع طبقات[٢]:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون؛ وهم قبل الإسلام، كامرئ القيس، و الأعشى، وزهير، وطرفة، و عمرو بن كلثوم[٣].

الطبقة الثانية: المخضرمون؛ وهم الذين أدركوا الجاهليّة وصدر الإسلام كالخنساء، و حسان بن ثابت و كعب بن زهير.

الطبقة الثالثة: المتقدمون؛ ويقال لهم الإسلاميون: وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجرير، والفرزدق، والأخطل.

الطبقة الرابعة: المولّدون أو المحدثون؛ وهم الذين يبدؤون في العصر العباسي ببشّار بن برد، وأبي نوّاس.

وقد أجمع علماء اللغة على أن شعراء الطبقتين الأوليين يحتجّ بشعرهم بغير نزاع[٤].

أما الطبقة الثالثة فمعظم اللغويّين يرى صحّة الأخذ بشعر هذه الطبقة غير أن بعضهم كان يأبى الاحتجاج به, فقد كان أبو عمرو بن العلاء, وعبد الله بن أبي إسحاق، والحسن البصري, وعبد الله بن شبرمة, يلحّنون الفرزدق, و الكميت, وذا الرُّمة وأضرابهم؛ لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة –كما قالوا-حجاب[٥], قال ابن رشيق: «كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله، وكان أبو عمرو يقول: لقد أحسن هذا المولّد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره - يعني بذلك شعر جرير و الفرزدق - فجعله مولّداً بالإضافة إلى شعر الجاهليّن والمخضرمين، وكان لا يعدّ الشعر إلا ما كان للمتقدّمين، قال الأصمعي: جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتجّ ببيت إسلاميّ»[٦]

أما الطبقة الرابعة فرفض أغلب اللغويين الاحتجاج بشيء من شعرها، والصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً. وقيل: يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري[٧] الذي استشهد في تفسير أوائل سورة البقرة من (الكشّاف) ببيت من شعر حبيب بن أوس، وعلّق قائلاً: "وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللّغة فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى

---

(١) ينظر: مراحل تطور الدرس النحوي ص ٣١

(٢) ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٤

(٣) يقدّر ميلاد أقدم شاعرين جاهليين معروفين (مهلهل بن ربيعة، وعمرو بن قميئة) بأنه ليس قبل سنة ٤٥٠ م (تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين– المجلد الثاني (ج١/١٣) وقد ترجم فؤاد سزكين في الجزء الثاني من هذا الكتاب لشعراء العصر الجاهلي وصدر الإسلام حتى (سنة ٥٠هـ-٦٧٠م) فبلغوا (٢٨٠) شاعراً - بينما بلغ عدد الشعراء في (معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين) د. ياسين الأيوبي أي: شعراء القرنين نفسهما تقريباً (١١٦٩) شاعراً، جلّهم من شعراء عصر الاحتجاج المنتهي حوالي منتصف القرن الثاني الهجري- أي بزيادة قرن على القرنين السابقين.

(٤) ينظر: خزانة الأدب ١/ ٦

(٥)خزانة الأدب ١/ ٦

(٦) العمدة في صناعة الشعر ونقده ١ / ١٣٧، وانظر: خزانة الأدب ١/ ٦

(٧)ينظر: الاقتراح ص ٥٥

قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه"[١] , قال السيوطي: "أجمعوا على أنه لا يحتجّ بكلام المولّدين والمحدثين في اللغة العربية, وفي الكشّاف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللّغة ورواتها"[٢], وأجمع العلماء على أن: "أوّل الشعراء المحدثين بشّار بن برد (ت: ١٦٧هـ)[٣], ونقل ثعلب عن الأصمعي قال: ختم الشعراء بإبراهيم بن هرمة، وهو آخر الحجج"[٤]. وكذا عدّ ابن رشيق في العمدة طبقات الشعراء أربع؛ هم جاهلي قديم, ومخضرم وإسلاميّ, ومحدث, قال: "ثم صار المحدثون طبقات: أولى وثانية على التدريج, هكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا"[٥].وعلم مما ذكرنا من الطبقات التي يصحّ الاحتجاج بكلامها – أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله[٦], وعلّة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً أو لمولّد أو لمن لا يوثق بكلامه. ومع نصّ السيوطيّ السابق إلا أنّ ثمة من قال بالاحتجاج بمن يوثق به من شعراء الطّبقة الرابعة قال البغداديّ: "واختاره الزمخشريّ، وتبعه الشّارح المحقّق (يعني الرضيّ الإستراباذي) فإنه استشهد بشعر أبي تمّام في عدّة مواضع من هذا الشّرح"[٧].

النثر:

تأسيساً على ما سبق تبيّن أنهم لم يقسّموا الشعر على أساس القبائل بل ارتضوا كل ما نُظم من شعر في جميع أنحاء الجزيرة وفق معايير معينة, لكنهم عن النثر سلكوا مسلكاً مخالفاً لذلك، فهم يختلفون في الفصيح منه وغير الفصيح، وقد حدّدوا قبائل من العرب, عنهم نقلت العربية, وبهم اقتدي, وعنهم أخذ اللسان العربي في طليعة تلك القبائل قريش[٨], قال ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، العرب، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم: أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدا ﷺ، فجعل قريشاً قطّان حرمه، وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحجّ، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم، وتحكّم بينهم... ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم , ولا عجرفية قيس , ولا كشكشة أسد, ولا كسكسة ربيعة, ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس"[٩],كما ذكروا عدداً من القبائل عدّوها من أفصح العرب منها قيس, و تميم وأسد الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتّكل في الغريب, وفي الإعراب

---

(١) الكشاف ١١٩/١

(٢) الاقتراح ص٥٤

(٣) وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. ولد سنة ٥٩هـ وتوفي سنة ١٦٧هـ أشعر المولدين، عرف بشعوبيته وبزندقته معاً. له ديوان شعر كبير يقع في ثلاث مجلدات. ينظر: الفهرست ص٢٢٧

(٤) الاقتراح ص٥٥، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، اسمه: إبراهيم بن علي بن مسلمة بن هرمة الكناني. شاعر غزل مولع مولع الخمر. توفي سنة ١٧٦هـ, ينظر: الفهرست ص٢٢٧

(٥) العمدة ١٧٩/١

(٦) الاقتراح ص٥٥

(٧) خزانة الأدب ٧/١

(٨) ينظر: المزهر ٢١١/١, والاقتراح ص٤٤

(٩) الصاحبي ص ٣٣- ٣٤

والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة, وبعض الطائيين، ولم يأخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم[١], ويستدلّون بقول الفارابي في معرفة القبائل التي يصحّ الأخذ عنها, والقبائل التي لم يؤخذ عنها هي[٢]:

١- لخم وجذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط.

٢- قضاعة وغسان وإياد؛ لمجاروتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية.

٣ – تغلب والنمر؛ لمجاورتهم اليونان.

٤- بكر؛ لمجاروتهم للنبط والفرس.

٥- أهل اليمن؛ لمخالطتهم الحبشة والهند.

٦- بنو حنيفة وسكان اليمامة، وثقيف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم.

٧- عبد القيس؛ لأنهم كانوا سكان البحرين.

٨- حاضرة الحجاز؛ لمخالطتهم غيرهم من الأمم ففسدت ألسنتهم.

وصدر كلام الفارابي يدلّ دلالة صريحة على أن قريشاً هي التي وضعت أسس اللغة الفصحى؛ لحسن نظرها في الألفاظ واطّلاعها على ما سهل منها, هذا فضلاً عن أن هذا النصّ يوضح أن اللغة العامية قديمة بقدم لغات القبائل, وقبل أن تكون لغة قريش لغة جميع الشعراء. وورد في بعض المصادر أقوال أخرى تنسب التفوّق في الفصاحة إلى قبائل أخرى غير قريش, من ذلك ما قاله أبو عمرو بن العلاء بأن أفصح العرب لساناً وأعذبهم لغة قبائل السراة[٣], كما ورد في العين نص يشير إلى أن أفصح العرب (قعين نصر أونصر قعين)[٤], وورد نص آخر في معاني القرآن للفراء يجعل بني أسد هم الفصحاء[٥].

ومن هنا يتبيّن عدم إجماع المصادر على اختصاص قريش بالفصاحة, بل بعضها جعل الاختصاص لقبائل غيرها. ولم يكتف الأوائل بالنقل عن قبائل العرب الفصحاء، بل نقلوا عن منابع أخرى رأوا أنها يتحقق فيها سلامة اللغة منها:

- أعراب الحاضرة الذين كانوا يجاورونهم على مشارف الصحراء، أو الذين استوطنوا البصرة.

---

(١) ينظر: المزهر ١/ ٢١١

(٢) نقل قوله السيوطي في كتابيه: الاقتراح ص٤٤, والمزهر ٢١١/١, ونصّه من الاقتراح: " قال أبو النصر الفارابي في أول كتابه المسمى (بالألفاظ والحروف):

كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها عند النطق, وأحسنها مسموعاً... وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريّ قطّ، ولا عن سكان البراريّ ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخْم ولا من جذام؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام, وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ولا النمر؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبد القيس؛ لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عمان؛ لمخالطتهم للهند والفرس, ولا من أهل اليمن أصلاً؛ لمخالطتهم للهند والحبشة؛ ولولادة الحبشة فيهم, ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم. والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيّرها علماً وصناعةً هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب ".

(٣) ينظر: مراتب النحويين ص ١٥

(٤) ينظر: العين ١ /١٦٩

(٥) ينظر: معاني القرآن, للفراء ١٤/٣

- الأعراب الذين كانوا يفدون إلى سوق المربد, وكان نحاة البصرة يشافهونهم ويأخذون عنهم, ومن ثم ذاع صيت المربد، وأصبح لها اليد الطولى على كثير من الشعراء وأئمة اللغة[١].

- الأخذ عمّن اشتهر بالفصاحة، وعلى رأس هؤلاء التابعي المشهور: الحسن بن يسار البصري (ت١١٠:هـ) والحجاج بن يوسف الثقفي (ت٩٥هـ) قال أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أفصح من الحسن البصري، والحجّاج بن يوسف الثقفي. فقيل له: فأيهما أفصح؟ فقال: الحسن"[٢].

وتلك لفتة جيدة من النحاة الأوائل؛ لمراعاتهم المستوى الذي تمثّله لغة هؤلاء وإن لم تنطبق عليهم الأسس التي وضعت لتحديد الفصاحة. لكن تلك النظرة الجديدة التي تراعي المستوى لم يؤخذ بها في المجال التطبيقي فيما تلاها من عصور إلا قليلاً.

وقد انتقد الباحثون المحدثون اللغويين القدامى في السماع, ورأوا أنهم بوضعهم حدوداً زمانية ومكانية للفصاحة قد وقعوا في أخطاء منهجية, منها: [٣]

- تحديدهم القبائل التي نقلوا عنها، فلا يعدم الأمر من وجود قبائل فصيحة غير التي حدّدوها مما حال دون الأخذ عن قبيلة بأسرها, أو من أهل منطقة بأسرها. وفي ذلك إغفال لما استعمله هؤلاء من الألفاظ والصيغ والأساليب, فقد فاتهم ذخر لغوي وافر كثير كشفت عنه الأيام بعد ذلك. ولو كانت الغاية الانتقاء دون النظر إلى النطاق الزماني والمكاني والقبلي لكان أجود في نظرهم, و لجنّبوا أنفسهم الكثير من الجدل حول ما يجوز وما لا يجوز.
- جعلهم اللغة العربية بما فيها من لهجات مختلفة لهجة واحدة, مع أن القبائل تختلف فيما بينها اختلافاً واضحاً في الألفاظ والإعراب[٤].
- عزلهم جانباً من اللهجات واللغات وإقصاؤها عن مجال البحث والدراية والاستنتاج، فلم يعتدّوا إلا بما كان في كبد الصحراء، قال ابن رشيق: "وقيل: ما تكلّمت به العرب من جيّد المنثور أكثر مما تكلّمت به من جيّد الموزون, فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره"[٥],وقد تلمّس المنصفون للأوائل من اللغويين والنحاة سبباً رئيساً هو: الغلو في الحيطة والحيلولة دون تسرّب الدخيل إلى العربية؛ خشية تضييع أصالة اللغة؛ لذا صرفت جهودهم إلى البحث عن نقاء اللغة وفصاحتها، وأصولها العريقة, مما جعلهم لا يسمعون إلا من قبائل معينة عاشت في بوادي نجد والحجاز وتهامة عدّت فصيحة, وعن طريق هذا المصدر؛ وهو السماع نقل الشعر الفصيح, وتثبت النحاة من صحّة اللغة، وعن طريقه أيضاً نقلت الأمثال والأقوال النثرية[٦].

---

(١) ينظر: الخصائص ١٣/٢

(٢) وفيات الأعيان ٧٠/٢

(٣) ينظر: مراحل تطور الدرس النحوي (بتصرف يسير) ص١٧٣-١٧٤, و(قضية الاحتجاج للنحو واللغة) ص٣-٣٢, د.حمزة بن قبلان المزيني، بحث بمجلة جامعة الملك سعود، المجلد العاشر (الآداب١) ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

(٤) ينظر: في اللجهات العربية د. إبراهيم أنيس ص ٤٨

(٥) العمدة ١٠/١

(٦)ينظر: مراحل تطور الدرس النحوي ص١٧٤

الفصل الثاني:

المجموعة الأولى: نماذج منتقاة من التطور الدلالي في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

المجموعة الثانية: نماذج منتقاة من **الارتجال والابتكار**, في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

المجموعة الثالثة: نماذج من تراكيب لم يسبق إليها صلى الله عليه وسلم.

فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم:

لغة الحديث الشريف قمة شامخة في البلاغة , وهي الذروة الرفيعة في الفصاحة وقوة البيان, إذ هي قبس من لغة الوحي.[١]

ولا غرو في ذلك فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بأنه أفصحُ الخَلْق على الإطلاقَ، فقال: (أنا أفصحُ العرب)، وأصحابُ الغريب رَوَوْه أيضاً بلفظ: (أنا أفصَحُ من نَطق بالضاد بَيْدَ أني من قريش)[٢]

وروى البَيْهَقي في شعب الإيمان عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: (أن رجلاً قال: يا رسول اللّه ما أفْصَحَك ! فما رأينا الذي هو أعْرَبُ منك قال: حقّ لي فإنما أُنزل القرآن عليّ بلسانٍ عربيٍّ مبين)

قال الخطابي:" اعلم أن اللّهَ لما وضعَ رسوله موضع البلاغ من وَحْيه ونَصَبه مَنْصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربَها ومن الألْسُن أفصحَها وأبينَها ؛ليباشر في لباسه مشاهد التبليغ, وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف , ثم أمدَّه بجوامع الكَلم التي جعلها ردًّا لنبوته و علما لرسالته , لينتظم في القليل منها علم الكثير , فيسهل على السامعين حفظه و لا يؤودهم حمله , و من تتبع الجوامع من كلامه لا يعدم بيانها , و قد وصفت منها ضروبا , و كتبت لك من أمثلتها حروفا تدل على ما وراءها من نظائرها و أخواتها , فمنها من القضايا و الأحكام قوله: " المؤمنون تكافأ دماؤهم , و يسعى بذمتهم أدناهم , و هم يد على من سواهم [٣]"... قال: ومنْ فصاحته وحسن بيانه أنه قد تكلّم بألفاظ اقْتَضَبَها لم تُسْمَع من العرب قبله ولم توجد في مُتقَدّم كلامها كقوله: (مات حَتْف أَنْفه) و(حَميَ الوطيس) (لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحر مرّتين) "[٤]

ووصف الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال:"هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه ,وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلّف ,...واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشيّ، ورغب عن الهجين السوقيّ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلّم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد, ويسّر بالتوفيق.

وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة،وبين حسن الإفهام , وقلة عدد الحروف....لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعاً، ولا أقصد لفظاً، و لا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين عن

---

[١] من مقدمة كتاب غريب الحديث لابن قتيبة ٢٧/١

[٢] النهاية في غريب الحديث والأثر ١٦٨/١

[٣] رواه أبو دواود من حديث علي٨٠/٣

[٤] غريب الحديث للخطابي ٦٤/١

فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم" [1]

قال الزمخشري: "ثم إن هذا البيان العربي كأن الله عزَّتْ قدرته مَخَضه وألقى زُبْدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام ; فما من خطيب يقاومه إلا نكَص متفكك الرجل, وما من مصقِع يُناهزه إلا رجع فارغ السَّجْل وما قُرِن بمنطقه منطقٌ إلا كان كالبِرذَون مع الحصان المطَهَّم ولا وقع من كلامه شيءٌ في كلام الناس إلا أشبه الوَضح في نُقْبة الأدْهم ".[2]

وقال مجد الدين ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ):"...وقد عرفت –أيدك الله وإيانا بلطفه-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقاً، وأسدّهم لفظاً، وأبينهم لهجة ,وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طريق الصواب، تأييدا إلهياً،ولطفاً سماوياً, وعناية ربانية ,ورعاية روحانية...." [3]

وقال مصطفى صادق الرافعي . بتصرف: "ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له صلى الله عليه وسلم إلا توفيقاً من الله، وتوفيقاً إذ ابتعثه للعرب، وهم قوم يقادون من ألسنتهم،ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة،ثم هم مختلفون على تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات،وعلى اختلاف مواطنهم.....فكان –صلى الله عليه وسلم –يعلم كل ذلك على حقه، كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كلّ قوم بلحنهم،وعلى مذهبهم،ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً, وأسدهم لفظاً, وأبينهم عبارة ,ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لنقلوه وتحدثوا به،واستفاض فيهم "[4]

ما أثمرت بلاغة مثل ما أثمرته بلاغة السماء في القرآن الكريم ,ثم بلاغة الأرض في كلامه صلى الله عليه وسلم، ولم يأت عن أحد من روائع الكلم مثل ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة

أحمد الله في الختام، كما حمدت الله في ابتداء الكلام , فقد كانت غايتي استجلاء الأثر الذي كان للحديث النبوي في متن اللغة العربية وفي إثرائها ألفاظا وجملا وتراكيبا.فقد وقفنا على ألفاظ وتراكيب نقلت مدلولاتها إلى معاني استحدثها الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن للناس بها من علم من قديم.وألفاظا مرتجلة لم يسبق النبي صلى الله عليه وسلم أحد إلى النطق بها.

وفي ذلك منحة للعربية ورافد مهم في تعميق مجراها وتوسيعه. أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل ما سُطِّر فيه خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأن ينفع به إخواني من المسلمين، إنه قريب مجيب الدعوات. والحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات - **البنا أحمد**

---

[1] البيان والتبيين ٢/١٧-١٨

[2] من مقدمة الفائق في غريب الحديث١/٩

[3] مقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٨

[4] تاريخ العرب ٢/٢٨٣

بن عبد الغني الدمياطي الشافعي (ت ١١١٧هـ) تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة.

أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصور الاحتجاج - د. مسعود بوبو- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٨٢م

أثر القرآن في أصول مدرسة البصرة النحوية حتى أواخر القرن الثاني الهجري- **د. عبد الكيش، دراسة تحليلية نقدية في تاريخ النحو القرآني - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م-منشورات كلية الدعوة الإسلامية –طرابلس –ليبيا.**

الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته - د.محمد حسن جبل- دار الفكر العربي - القاهرة.

إحصائيات جذور معجم لسان العرب - د. علي حلمي موسى، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٢م.

أخبار النحويين البصريين - **أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي (ت ٣٦٨هـ) تحقيق: محمد البنا، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، دار الاعتصام.**

أدب الكاتب لابن قتيبة - **أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٦٨هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد(لا توجد معلومات نشر)**

الأزهري في كتابه تهذيب اللغة - رشيد عبد الرحمن العبيدي، جامعة القاهرة- كلية الآداب، رسالة دكتوراه /١٣٩٣هـ.

أساس البلاغة - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهذّباً - أبو بكر الزُّبيدي (ت ٣٧٩هـ) تحقيق د. حنا جميل حداد، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م - دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض.

أسرار البلاغة في علم البيان - عبد القاهر الجرجاني، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية.

الاشتقاق - ابن دريد (ت ٣٢١هـ) تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

الأعراب الرواة - د. عبدالحميد الشلقاني- جامعة الرياض- دار المعارف بمصر.

الأعلام - خير الدّين الزّركلي، دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثامنة.

أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي - **د. عبدالعزيز الحميد, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - رسالة دكتوراه ١٤٢٠هـ.**

الاقتراح في علم أصول النحو - السيوطي (ت ٩١١هـ) قدم له وضبطه وشرحه وعلق حواشيه وفهرسه أحمد سليم الحمصي، ومحمد أحمد قاسم - الطبعة الأولى.

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ,دار الكتب العلمية _ بيروت.

الألفاظ الكتابية - عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، تصحيح: محمد الشاغول، المكتبة الأزهرية

للتراث- مصر.
إنباه الرواة على إنباه النحاة- **علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م، دار الفكر العربي- القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت.**
الإيضاح في علل النحو- **أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) تحقيق: مازن المبارك، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، دار النفائس- بيروت.**
البارع في اللغة- أبو علي إسماعيل القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ) تحقيق: هاشم الطعان، الطبعة الأولى، دار الحضارة العربية - بيروت ١٩٧٥م.
البحث اللغوي عند العرب - د. أحمد مختار عمر، الطبعة السابعة ١٩٩٧م - عالم الكتب - القاهرة.
البيان والتبيين - **أبو عثمان عمرو بن محبوب الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة الخانجي - القاهرة.**
تاج العروس من جواهر القاموس - **محمد الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ، مكتبة الحياة - بيروت.**
تاج اللغة وصحاح العربية - إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٦هـ /على التقريب) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، دار العلم للملايين- بيروت.
تاريخ آداب العرب - **مصطفى صادق الرافعي، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م دار الكتاب العربي - بيروت – لبنان.**
تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان ج٢ - ترجمة د. عبد الحليم النجار، الطبعة الثالثة - دار المعارف - القاهرة.
التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه - د. رمضان عبدالتواب, الطبعة الثانية ١٤١٥هـ /١٩٩٥م, مكتبة الخانجي – القاهرة.
تطور مشكلة الفصاحة - **د.فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م - دار الفكر المعاصر.**
التعريفات - علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) طبعة جديدة ١٩٨٥م، لبنان - بيروت.
تهذيب اللغة - **أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: عدد من المحققين، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، المؤسسة المصرية العامة- الدار المصرية.**
ثمار القلوب - أبو منصور الثعالبي النيسابوري، تحقيق: إبراهيم صالح، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، دار البشائر.
جمهرة اللغة - **ابن دريد محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ) دار صادر، بيروت.**
حجة القراءات - **ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة- بيروت.**
الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م اللجنة الوطنية بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد - العراق.
خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب - **عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق: عبد**

السلام هارون، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض.
الخصائص- **عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة ١٣٧١هـ /١٩٥٢م، دار الكتاب العربي-بيروت.**
دراسات في تأريخ اللغة - ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م دار الفيصل الثقافية- الرياض.
دراسات في فقه اللغة - د.صبحي الصّالح، دار العلم للملايين - بيروت، الطّبعة الثانية عشرة ١٩٨٩م
دراسات لأسلوب القرآن العظيم- **عبد الخالق عظيمة، دار الحديث - القاهرة.**
دراسة في اللهجات العربية القديمة - **د. داود سلوم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م عالم الكتب – بغداد.**
دلالة الألفاظ - إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٣.
ديوان الأدب - أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت٣٥٠هـ) تحقيق: د. أحمد مختار عمر - مجمع اللغة العربية بمصر- ١٣٩٤هـ.
رواية اللغة - **د.عبد الحميد الشلقاني - دار المعارف - مصر.**
الزَّبيدي في كتابه تاج العروس - د. هاشم طه شلاش، دار الكتاب العربي- بغداد ١٩٨١م.
الزينة في الكلمات الإسلامية - **أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ) تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م - مركز الدراسات والبحوث اليمني- صنعاء**
سرُّ صناعة الإعراب - أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم - دمشق، الطّبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه- **د. خديجة الحديثي, مطبوعات جامعة الكويت١٣٩٤هـ /١٩٧٤م**
شذرات الذهب في أخبار من ذهب - **ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.**
شرح شافية ابن الحاجب- **الرضي الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ) مع شرح شواهده للبغدادي عبد القادر، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.**
شرح غريب الحديث- عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تحقيق د. رضا السويسي- الدار التونسية للنشر ١٩٧٩م
الصاحبي- **أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: أحمد صقر، عيسى البابي، القاهرة.**
الصافية في شرح شافية ابن الحاجب- **يوسف بن عبد الملك الشهير بقره سنان (ت ٨٨٥هـ)- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - رسالة ماجستير – تحقيق ودراسة: تهاني الصفدي.**
صحيح البخاري- تحقيق أبي صهيب القرامي - دار بيت الأفكار – لبنان, ٢٠٠٥هـ.
العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب - تأليف: يوهان فك، ترجمة: د. رمضان عبدالتّوّاب،

مكتبة الخانجي بمصر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
العصر الجاهلي- د. شوقي ضيف، الطبعة التاسعة،دار المعارف، القاهرة.
علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية - د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات - الكويت.
العمدة في صناعة الشعر ونقده أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٢هـ) تحقيق: النبوي عبدالواحد شعلان - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م مكتبة الخانجي - القاهرة.
غريب الحديث - أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) المجلدة الخامسة، تحقيق ودراسة: د. سليمان بن إبراهيم العايد - رسالة دكتوراه, طبع مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أمّ القرى- ١٤٠٢هـ.
غاية النهاية في طبقات القرَّاء- **محمد بن محمد الجزري (ت ٨٢٢هـ) الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.**
غريب الحديث - أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى - ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م دار الكتاب العربي - بيروت – لبنان.
الغريب المصنّف - أبو عبيد القاسم بن سلاَّم (ت ٢٢٤هـ)، حقّقه: د. محمد المختار العبيدي - المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون - الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
الغريبين- أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١هـ) تحقيق: أحمد فريد المزيدي - مكتبة نزار الباز - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
فصول في فقه اللغة – د. رمضان عبدالتواب – الطبعة الثالثة – ١٤٠٨هـ - مكتبة الخانجي – القاهرة.
فقه اللغة - د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الطّبعة الثّامنة.
فهارس كتاب سيبويه - محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
الفهرست - أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب بن النَّديم (ت ٣٨٠هـ) دار المعرفة بيروت - لبنان.
في أصول النحو العربي- **د. سعيد الأفغاني. دار الفكر ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.**
في التطور اللغوي - **د. عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة - بيروت.**
في الصناعة المعجمية - د.إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م دار الفكر- عمان - الأردن.
في اللجهات العربية - د. إبراهيم أنيس، الطبعة الثانية- الأنجلو المصرية.
في علم اللغة العام- **د. عبد الصبور شاهين- الطبعة السادسة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة - بيروت.**
القاموس المحيط- **محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، إعداد وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م - دار إحياء التراث العربي- بيروت.**

القاموس المحيط، تاريخه، خصائصه، نقده- **محمد مصطفى إبراهيم، رسالة ماجستير- جامعة القاهرة ١٣٧٥هـ.**

القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة- خالد بن سعود العصيمي الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م دار التدمرية - الرياض.

كتاب الأمثال - أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) حققه: عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م دار المأمون للتراث، دمشق - بيروت.

كتاب سيبويه - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) تحقيق وشرح: عبدالسّلام محمّد هارون، الطّبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الجيل - بيروت.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت١٠٩٤هـ) قابله على نسخة خطية، وأعده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م مؤسسة الرسالة.

لحن العامة والتطور اللغوي - **د.رمضان عبد التواب - الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م**

لسان العرب - أبو الفضل جمال الدِّين محمّد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطّبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

اللغة العربية معناها ومبناها- د. تمام حسان، الطبعة الثالثة -١٤١٨هـ/١٩٩٨م عالم الكتب.

ليس في كلام العرب - **الحسين بن أحمد ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار العلم للملايين، بيروت.**

ما تلحن فيه العامة - **أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) تحقيق: رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، مكتبة الخانجي- القاهرة، دار الرفاعي- الرياض.**

مجاز القرآن - أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) تعليق:محمد فؤاد سزكين _مكتبة الخانجي- مصر.

مجمل اللغة - أحمد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

المحكم والمحيط الأعظم في اللغة - عليّ بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: مصطفى السَّقَّال وحسين نصَّار، معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

محمد بن دريد وكتابه الجمهرة، تأليف د.شرف الدين علي الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٥م

المحيط في اللغة - الصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ) تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

مختار الصحاح - **محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي (ت ٦٦٦هـ) ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دار الكتاب العربي, بيروت- لبنان.**

المخصّص – أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: لجنة التراث العربي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي - د. رمضان عبد التواب، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مكتبة الخانجي- القاهرة.

مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو - مهدي مخزومي، مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، سنة ١٩٥٨م

مراتب النحويين- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١هـ) حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة السعادة- مصر.

مراحل تطور الدرس النحوي- **د. عبد الله الخثران- دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣م.**

المزهر في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدِّين السُّيوطي(ت ٩١١هـ) تحقيق: محمّد أحمد جاد المولى وزميليه - دار الفكر.

المسائل البغداديات - **أبو علي الفارسي، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مكتبة العاني، بغداد.**

مصادر اللغة - د. عبدالحميد الشلقاني - عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض، الطبعة الأولى ١٩٨٠م

المصباح المنير - أحمد بن محمّد بن عليّ الفيّومي (ت ٧٧٠هـ)، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٧م.

معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) الطبعة الثانية ١٩٨٠م، عالم الكتب - بيروت.

معاني القرآن - **سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش (ت ٣١٥هـ)، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، عالم الكتب، بيروت.**

معجم الأدباء - ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

معجم الألفاظ الفارسية المعربة - أدي شير، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٩٠م.

المعجم العربي (نشأته وتطوّره) - د.حسين نصَّار، دار مصر للطباعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

معجم المقاييس في اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) حقّقه: عبدالسلام هارون، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - بيروت- دار الجيل.

المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون - مجمع اللغة العربية - مصر- المكتبة العلمية - طهران.

معجم كتاب العين- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرّائي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر.

المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق:محمد سيد كيلاني- دار المعرفة - بيروت - لبنان

المفصل - **المفصل في علم العربية، للزمخشري، وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصّل، لمحمد بدر الدين الحلبي، دار الجيل- بيروت.**

مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي - د.حلمي خليل، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار النهضة العربية -

بيروت.
موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف - د. خديجة الحديثي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية - دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.
المولد في العربية دراسة في نمو اللغة وتطورها بعد الإسلام - د.حلمي خليل، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م دار النهضة العربية - بيروت، لبنان.
النشر في القراءات العشر - ابن الجزري (٨٣٣هـ) عني بنشره براجستراسر - الطبعة الثالثة١٤٠٢هـ /١٩٨٢م، دار الكتب العلمية - بيروت
نظام الغريب في اللغة - عيسى بن إبراهيم الربعي - تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار المأمون للتراث - دمشق – بيروت.
النّهاية في غريب الحديث والأثر- مجد الدِّين أبو السّعادات المبارك بن محمّد بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تعليق:صلاح بن محمد بن عويضة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
النوادر في اللغة- **أبو زيد الأنصاري، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ /١٩٨١م، دار الشروق، بيروت، القاهرة.**
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان - أبو العبّاس شمس الدِّين أحمد بن محمّد بن خلّكان (ت ٦٨١هـ) حقّقه: د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة بيروت - لبنان.

البحوث والمقالات

اتجاهات التأليف عند المسلمين حتى القرن العاشر الهجري - د. عبدالرحمن بن حمد، مجلة كلية الآداب وجامعة القاهرة - مجلد (٦١) عدد (٢) إبريل ٢٠٠١م.
اختصار المعاجم,أهدافه,طرائقه-دراسة في مختار الصحاح للرازي -د.علي القاسمي- مجلة ديوان العرب-١٨ آذار مارس-٢٠٠٦م
أساس البلاغة بين المعاجم - أمين الخولي، مقال منشور في مقدمة طبعة دار المعرفة - بيروت ١٩٧٩م، ص(هـ/ ط)
تاريخ الكلمة العربية وتطورها في الدرس اللغوي عند العرب مع دراسة وصفية تطبيقية من خلال لسان العرب لابن منظور- د. هادي نهر- مجلة المعجمية، العددان ٦/٥ - ١٩٨٩م.
تراث لحن العامة مصدراً من مصادر المعجم التاريخي- د. أحمد محمد قدور، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٤٠، السنة الخامسة عشرة جمادى الأولى - شوال ١٤١١هـ/١٩٩١م.
الدكتور حسين نصار والصناعة المعجمية- د. صلاح الدين حسنين، مجلة علوم اللغة، (س٥، ع٢) ٢٠٠٢م.
دلالة الألفاظ العربية وتطورها – محاضرات د. مراد كامل، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣م.
دور الفراهيدي في الدراسات اللغوية بالأندلس- د.عبد الهادي التازي، مجلة العرب، ج١ و٢س٤٠، رجب وشعبان سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

رائد التأليف المعجمي في الأندلس أبو علي القالي -د. عمر الدقاق –مجلة التراث العربي –دمشق- العدد التاسع-السنة الثالثة المحرم ١٤٠٣هـ (تشرين أوكتوبر) ١٩٨٢م

الصعوبات المفتعلة على درب التعريب - جميل الملائكة، بحث مقدم لمؤتمر التعريب الخامس ١٩٨٥م.

ظاهرة القلب المكاني في العربية- د. محمد بدوي المختون، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١١، سنة١٤٠١هـ.

علم اللغة العربية - محاضرة للدكتور رمضان عبد التواب نشرت في مجلة كلية اللغة العربية العدد (١٣-١٤).

عيوب المعاجم العربية وحاجتنا إلى معجميين - الأمير مصطفى الشهابي، المقتطف - المجلد الثامن والتسعون - مايو، سنة ١٩٤١م

في الدلالة والتطور الدلالي - د.أحمد محمد قدور، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٦ السنة الثالثة عشرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

في الممارسة المعجمية للمتن اللغوي-د.عباس الصوري –مجلة اللسان العربي –المغرب-١٤١٩هـ-١٩٩٨م

قضية الاحتجاج للنحو واللغة- د. حمزة بن قبلان المزيني، مجلة جامعة الملك سعود - المجلد العاشر(الآداب١) ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

قضية الفصاحة في القاموس العربيّ التاريخي - د. عبد العلي الودغيري, مجلة المعجمية (العدد٥- ٦)

القلب المكاني دراسة تاريخية في المفهوم والمصطلح- د.أحمد عبدالمجيد هريدي، مجلة علوم اللغة (س٢، ع ٣) ٢٠٠٠م

كتاب العين وموقف علماء اللغة منه حتى نهاية القرن الرابع الهجري، محمد جبار المعيبد (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني) العدد ٥١ - السنة العشرون.

اللّغة العَربيّة وَالاصطِلاح العِلميّ - د.وليدسَراج- مجلة التراث العربي-دمشق العدد ٤٢ و ٤٣ - السنة ١١ - كانون الثاني ونيسان "يناير وابريل" ١٩٩١ - رجب وشوال ١٤١١هـ

لغة العصر المحكية في التدوين المعجمي-د. عبدالعزيز بن عبدالكريم التويجري، عالم الكتب، مجلد ٢٦ (عدد ٥- ٦) ١٤٢٦هـ.

لغة العلم المعاصر - د. إبراهيم مدكور- بحث مقدم لمؤتمر التعريب الخامس ١٩٨٥م.

ليس للغة قاموس محيط بها - شكيب أرسلان، مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق، المجلد الحادي عشر، كانون الثاني - شباط ١٩٣١م.

المجد الفيروزآبادي والقاموس المحيط- عباس العزاوي، مجلة المجمع العلمي العراقي, المجلد السادس ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م

مجلة المعجمية، العددان الخامس والسادس ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

مجمل اللغة لأحمد بن فارس –محمد محي الدين منيو-مجلة التراث العربي,العدد٢٤ السنة السادسة-تموز-يوليو١٩٨٦-ذوالقعدة ١٤٠٦هـ

مشكلات السماع وأثرها في التدوين المعجمي،د.عبد الكريم مجاهد- مجلة كلية الآداب, المجلد ٦١، العدد:١، ٢٠٠١م

معالجة المادة المعجمية في المعاجم اللفظيّة القديمة - د. محمد بن سعيد الثبيتي - مجلة جامعة أم القرى، العدد ٢٢-مجلد (١٣)

معجم الشعراء في كتاب العين- صنعه السيد عبدالعزيز إبراهيم، المورد مجلة ١٧، العدد الثاني ١٩٨٨م.

المعجم العربي التاريخي- عبدالمنعم عبدالله، مقال بمجلة المعجمية، العددان الخامس عشر والسادس عشر ١٤٠٩-١٤١٠هـ.

المعرّب والدخيل في المجلات المتخصصة - د.ممدوح محمد خسارة، مجلة المجمع العلمي العربي- دمشق (٢٠٠٠م) مجلد٧٥، ج٤.

مقاييس الفصاحة في القرن الخامس الهجري - د. محمود عبدالله فجال، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٣، السنة الحادية عشرة، تموز - كانون الأول ١٩٨٧م.

ملحوظات على العباب الزاخر واللباب الفاخر- د.هاشم طه شلاش، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السادس والثلاثون، الجزء الأول ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

من قضايا المصطلح العلمي عند الأمير مصطفى الشهابي - د. أيمن الشواف، مجلة التراث العربي - دمشق العددان ٩٩ و١٠٠ - السنة الخامسة والعشرون ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

من قضايا المعجمية العربية المعاصرة - بحث د. عفيف عبدالرحمن، في المعجمية العربية المعاصرة - دار الغرب الإسلامي - تونس- ١٩٨٦م.

من موارد العين للفراهيدي- د. عبدالله الجبوري، مجلة الذخائر، العدد الرابع - ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

منهج ابن منظور في لسان العرب - د نوري حمودي القيسي. المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين - د. أحمد نصيف الجنابي، المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي ١٤١٢هـ/١٩٩٢م بغداد.

منهجية ابن منظور في اللسان - د. عدنان عبدالرحمن الدوري، المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٤٠. الطاقة الحجاجية في الخطاب النبوي الشريف

أ. د. نواري سعودي أبو زيد
(كلية الاداب واللغات - جامعة سطيف الجزائر)

تمهيد:

نزل القرآن الكريم فكان بردا وسلاما على النفوس المؤمنة، تحفظ منه بقدر طاقتها، وتتبع الحفظ بالفهم والفهم بالعمل، كما يروي بعض الصحابة، بحيث كان الواحد منهم لا يتجاوز خمس آيات حتى يحيط بها فهما ووعيا وتدبرا، ثم يمتثل لها عملا وسلوكا، لأنهم كانوا يعلمون أنهم إنما يزدادون تبعات وسيسألون عنها يوم القيامة، وكان بالموازاة مع نزول القرآن نوع ثان من الوحي يجري على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه وتعبيره، ويظهر في أفعاله وتقريراته، فكان الصحابة يعلمون أن ذلك من جهة الله تعالى بالأصالة لبيان ما يتنزل، ولكم هموا بكتابة ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم وتدوينه فنهاهم عنه، ولعل ذلك يعود إلى كراهة أن يختلط الوحيان، فيلتبس القرآن على عامة الناس وخاصتهم، لكن بعد أن أتم الله الدين ودون القرآن الكريم توجهت الهمة إلى تدوين ما حفظ من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولقد قيض الله لذلك العمل رجالا عرفوا بورعهم وعلمهم وزهدهم، فمازوا صحيح الحديث من ضعيفه وصادق النسبة من المكذوب الذي اجتهد فيه الوضاع، ولعل من أهم الكتب المصنفة في إثبات الصحيح ونفي ما ليس منه الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم، هذا الأخير الذي اختصره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، وحققه حديثا العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني عليه رحمة الله. ولأهمية الكتاب ورتبته بين المشتغلين بعلم الحديث رأيت أن أتخذ منه مدونة لدراسة جملة الأدوات والآليات التي تم توظيفها في الأحاديث النبوية من أجل استقطاب المتلقي للمضامين التي تحيل عليها أو تحول دونها من باب الاحتجاج، تحت طائلة مقاربة بلاغية لسانية حديثة، فكان العنوان:

الطاقة الحجاجية في الخطاب النبوي الشريف

أولا : الآليات اللغوية: وقد تنوعت بين:

١ـ كثرة الشرط: يمثل أسلوب الشرط أحد الطرق الحجاجية، وأحد أهم وسائل الإقناع التي يتم تداولها في اللغة عموما، وذلك من منطلق مبدأ التعليق الذي يطبعه، باعتبار الدلالة اللغوية أولا وقبل كل شيء، لأن الشرط بوصفه معطى نحويا يعني تعليق أمر بأمر، وربط تحقق قضية بقضية أخرى، وهو من الأساليب الإنشائية، وعلى الرغم من كونه غير طلبي إلا إنه يحقق مثل تلك القوة الطلبية بقدر قد يعادل الفعل اللغوي نفسه.

إننا كثيرا ما نجد الخطاب النبوي مبنيا كله أو في معظمه على مبدأ المشارطة، نحو قوله صلى الله عليه وسلم "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[١]، الذي يلعب فيه الشرط المضاعف دورا تربويا من خلال

[١]. حديث صحيح رواه الشيخان البخاري ومسلم. الأربعين النووية بشرح ابن دقيق العيد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص٢٨.

موقع الشرط مما تقدمه "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"، موقع التفصيل من الأجمال من جهة، وموقع العلة من المعلول من جهة ثانية، مع ما فيه من التنصيص على أهمية النية وكونها رأس الأمر اعتقادا وعبادة وسلوكا، من خلال تضافر الشرط مع القصر، وإنما يكون الجزاء على قدر النية، والعمل مبني هو الآخر عليها، يصح بصحتها ويفسد بفسادها، إلى جانب المخالفة بين الشرطين، حيث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم جزاء الشرط الأول صريحا بلفظه الذي ذكره به في الشرط، بينما أجمل في الجزاء الثاني وخالف داخليا بين الطرفين، ففي الشرط ذكر ما تعلقت به نية الهجرة "دنيا، امرأة"، ولم يقل كما في الشرط الأول "فهجرته إلى الدنيا المرجوة، والمرأة المطلوبة"، بل أجمل فقال "فهجرته إلى ما هاجر إليه"، مراعاة للمنوي، وأنه لا قيمة له على الحقيقة، فاستحق أن يذكر بصيغة الموصول الذي من خصائصه الإبهام، حتى من الناحية النحوية على الرغم من كونه من المعارف، لأن التعريف فيه إنما كان من جهة الصلة "هاجر إليه"، وفي هذا من التزهيد للمتلقي في مثل هذه الأشياء ما فيه، وحمل له على إعادة النظر في تصرفاته قبل الإقدام عليها، وإقناعه بضرورة تصحيح النية قبل مباشرة الأعمال.

إن الخطاب قد يتحول كله كما يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى معادلة شرطية، وليس جزءا كما بينا سابقا، في مثل:

١ ـ إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا، فإنه لا يدري أين باتت يده"[١].

٢ ـ إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها ببول أو غائط.."[٢].

٣ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[٣].

غير أن طريقة الاستدلال فيهما مختلفة، من حيث كان في النمطين ١.٢ دالا على ما هو في حكم العادة المترددة بين حالتين: حالة مسكوت عنها ماضية ومستمرة ومشمولة بلحظة صدور الخطاب وتلقيه من قبل السامعين، وحالة مرتقبة الحدوث بعد هذا التوجيه النبوي، حالة مرضية، مذكورة منوه بها، هي نقيضة للمسكوت عنها، والسكوت تغييب للحالة المرغوب عنها، والفعل اللغوي الصريح "النهي المستوعب لحالات الاختلاء المكروهة" يعضد من الوضع المطلوب، ولعل السكوت أيضا تعبير صادق عن منتهى الأدب النبوي، ورقة صاحبه صلى الله عليه وسلم وعطفه وترفقه بمن يعلمهم، لأن ظاهر الكلام كان يقتضي تعبيرا من نوع:

. إن من عاداتكم غمسكم أيديكم في الإناء قبل أن تغسلوها فلا تفعلوا.

. إنكم تستقبلون وتستدبرون القبلة في وقت اختلائكم فلا تعودوا إلى ذلك.

لكن المواجهة مفسدة للألفة بين المخاطب والسامع الكفيلة بتوطيد مبدأ التعاون وحسن التلقي

---

[١]. الحافظ المنذري: مختصر صحيح مسلم، كتاب الوضوء، ص، ٣٨.

[٢]. نفسه، ص، ٣٩.

[٣]. رواه البخاري، شرح الأربعين النووية، ص٧٩.

والاقتداء والانقياد العاطفي ثم العقلي لما يقال، كما أن التصريح مدعاة إلى النفور والفتور، وبتعبير آخر مذهبة للغاية المرجوة من عملية التخاطب برمتها، لأن النفس تأنس بالطيف وتنفر من التقريع واللوم، لاسيما وأن العادة مستحكمة، وقديما قيل العادة أم البلادة، وكثيرا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفصل بين الحالة وبين الشخص، فلا يواجه المذنب بالتصريح بالخطأ، بل يأتي ذلك من قبيل وصف الحالة المثالية فحسب إلا في النادر بما يستوجب[1].

لقد وزعت أجزاء القول على نوعين من القضايا:

قضية يستدل عليها: وهي مراد المخاطب من الخطاب برمته ولأجله يحشد كل أدواته، ولأجلها كان توليد المضامين القضوية، بما يعكسها من إسنادات وإحالات. إنها القضية الأساسية المستهدفة "ضرورة التخفيف".

وقضية يستدل بها: أو تتخذ مقدمات لحمل المخاطب على قبول الأمر "فليوجز"، بعد أن تكون نفسه قد تهيأت لذلك، بين عموم التنبيه، وبين التحذير الحامل لصورة التقرير المؤكد، مع تنكير موضوع الإنكار "منفرين" وعمومه بفعل "من" التبعيضية" أو "البيانية"، فكأن كل واحد منهم متهم، وبين التعليل للأمر والتخويف من الصد المعقب به في آخر الخطاب، وهو سبب وجيه في التخويف "فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة".

أي إن ما يراد الإقناع به محصور بين سببين: سبب عام للخطاب كله "ثبوت التنفير من البعض أو الكل"، وسبب خاص بالجواب "تباين أحوال المصلين قوة وضعفا"، وبين السببين يقف المتلقي موقف المستمع الراضي بما يلقى إليه من توجيه، إشكال "التنفير وتفاوت الناس" وحل الإشكال الأوحد "فليخفف".

٢. ألفاظ التعليل:

تتنوع ألفاظ التعليل في اللغة العربية بين حروف وأدوات وأسماء، وإن كانت تتفق في تعليل القضايا التي يتم عرضها، ولقد وقفنا على جملة آليات لغوية تستخدم كلها في تعليل ما يتم تناوله في الخطاب النبوي، وهي عادة لا تستعمل وحدها بل مع غيرها من الطرق زيادة في الإقناع، وفي تصحيح أو تعديل وجهة النظر، أو في إلقاء القضية كالمسلمة التي لا ينبغي إنكارها بما يدعمها.

يشكل التعليل وسيلة منطقية في تبرير الأحكام، وآلية عقلية في ترسيخ المضامين القضوية، سواء كان السامع منكرا، فيتم إقناعه، أو مترددا متسائلا، فيتم إزالة الغموض الذي يكتنف تصوره فيبني بذلك وجهة نظره على الأساس الذي نريده. ولعل من أهم الأدوات اللغوية التي وقفنا عليها في الخطاب النبوي الشريف:

---

[1]. عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه أنه كان يوما يصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم فعطس رجل من القوم فقال له يرحمك الله فرمقه القوم، فقال "واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعل الصحابة يضربون بأيديهم على أفخاذهم ليسكتوه، قال معاوية "فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ـ ثم قال "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن". مختصر صحيح مسلم، ص٩٤، ٩٥.

أ. تعليل ببيان الغايات: نحو قوله صلى الله عليه وسلم:

"أمهلوا حتى ندخل ليلا، كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة"[1].

و[كي] هنا ناصبة للفعل بعدها لأنها بمعنى "أن" وهي مقترنة باللام تقديرا[2]، باعتبار أنها دالة على انتهاء الغاية في الزمان، أي "إلى أن" مع معنى التعليل، فالتوجيه النبوي بالتريث، فلا يكون الدخول إلا ليلا، ليكون في ذلك فسحة للنساء للإصلاح من شأنهن، وذلك أدعى لإجابة الأمر، لبيان المصلحة المرجوة منه، وبيان الغاية مرجح لقبول التوجيه، لأنه يقطع الطريق على السؤال، سواء كان بريئا أو غير بريء، كما أن بيان الغاية أو ما سماه السكاكي غرضا من الفعل[3]، يغري بقبوله والتحمس له.

ب. تعليل ببيان البواعث وذلك كثير، ويقع بصور مختلفة، أهمها:

. الفاء السببية[4]: كما ذكرنا في ص٩، وهي لتعليل ما يقع من أفعال الطلب، نحو قوله صلى الله عليه وسلم لرجل تبعه للقتال وللغنم وهو مشرك: "ارجع فلن أستعين بمشرك"[5]، فالأمر الحقيقي المومئ إلى الاستغناء سببه ما يقع بعد الفاء، وهو كون المخاطب على الشرك، لذلك فإن الرجل رأيناه لا يعلق في كل مرة يسمع

. ـ الجملة الخبرية المؤكدة: كما في قوله صلى الله عليه وسلم في الغلول "لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك.."[6]، فنفي الشفاعة علته وقوع التبليغ، وهو زيادة في التبكيت وقطع للحجة.

وهنا قد يعمد الخطاب إلى قلب الترتيب فتقدم الجملة المؤكدة فتجعل مقدمة لما يترتب عنها؛ لكونها سببا فيه، نحو قوله صلى الله عليه وسلم "إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم"، وفي مقام آخر قال "إنكم مصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم، فأفطروا"[7]، حيث جعل في هذا القسم الثاني من الخطاب زيادة في التراتبية السببية، فالأمر بالفطر" [الإباحة] سببه كونه مصدر قوة، والسبب في طلب القوة ملاقاة العدو:

المقدمات: ملاقاة العدو تحتاج إلى قوة

ومن القوة تناول الطعام

هم في رمضان

النتيجة: يجوز لهم الفطر

---

[1]. مختصر صحيح مسلم، رقم ٨٤٧، ص٢١٩.

[2]. المرادي: الجنى الداني، فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م، ٢٦٣.

[3]. مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، ص١٧١.

[4]. وهي غلبة في عطف الجمل والصفات، نحو "فوكزه موسى فقضى عليه"، و"ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون" ابن هشام: مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج١، ص١٨٥.

[5]. مختصر صحيح مسلم، رقم١١٢٩، ص٢٩٤.

[6]. مختصر صحيح مسلم، رقم١٢١٣، ص٣٢٥.

[7] الحديث رقم ٦٠١، ص١٦١. ومثل هذا التقديم للسبب المؤكد قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا بشر، وإنه يأتي الخصم، فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليحملها أو يذرها" رقم ١٠٥١، ص٢٧٥.

وهي مقدمات في قياس مضمر لها صفة الإقناع، تفرضها الطبيعة البشرية، فهي إذا من قبيل المسلمات، قائمة على الخبرة والمشاهدة لأحوال الناس، مع العلم أن الناس مختلفون في الطاقة والقدرة على التحمل، فندب الفطر لما فيه من تقوية لبعض هؤلاء المخاطبين، وهو ليس إلزاما بالفطر بل رخصة لهم، لذلك قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه للسائل بعد ذلك "وكانت عزمة فأفطرنا، ثم قال: لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في السفر" فالعلة في هذه العزمة ملاقاة العدو.

ـ الجملة الشرطية: نظير قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر"[1]، لأن الكلام في معنى بيان سبب النهي عن البغض المؤدي إلى التطليق، وهو أن فيها الحسن كما أن فيها القبيح من الصفات، شأن كل الناس بمن فيهم الرجل، وكأن في الكلام ضرب من القياس المبني على مقدمات ونتائج:

بما أن المرأة إنسان.

في كل إنسان ما يحب ويكره من الخصال.

إذا في المرأة ما يحب ويكره.

فلا تطلق إذا لذلك.

٣ . الأفعال اللغوية

وهو نهج مرسوم لحقيقة الخطاب النبوي أن يبلغ دون أن يملك حمل المخاطبين على الإيمان، لأن ذلك ليس إليه في شيء.

إن تلك النسبية التي أشرنا إليها آنفا في الأفعال اللغوية هي أصدق دليل على عدم وجود كليات نمطية للحجاج[2]، ولا قواعد لها صفة الاطراد والشمول، بسبب خضوع معايير المناظرة للمعنى والمجال والمقصد. وبتعبير آخر بحكم ارتباطه بمكونات موقف التداول المتسمة بالتغير وعدم الثبات؛ مما يجعل من المحال الحديث عن قواعد ضابطة للفعل التواصلي الذي من أهم مقوماته المحاججة.

وبالعودة إلى المدونة يمكننا الوقوف على جملة الأفعال اللغوية، والتي صنفناها كالآتي:

. الاستفهام: قد يستعمل بهدف استثارة المحاور: من باب التعليم، واستنهاض السامع ليعرف أمرا يجهله بالكلية، وهو متعلق كل الخيرية، نحو:

"يا معاذ بن جبل، هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم"[3] . في معنى لا أدري وأريد أن أعرف.

ثم الجواب حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا".

ويدعمه في تلك المهمة الخطابية بهدف زيادة الإثارة والتطلع إلى المعرفة تكرار النداء: [يا معاذ بن جبل ×٢] قبل الثالثة التي اقترنت بالسؤال.

---

[1] . مختصر صحيح مسلم، رقم٨٤٥، ص٢١٩.

[2] . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص٦٧.

[3] . مختصر صحيح مسلم، رقم١٣، ص١١.

وهذا ديدن كثير من الخطابات النبوية التي لم تكن تلفظا من طرف واحد كما هو شأن القرآن المتسم بأحادية الطرف الخطابية، بل أريد للمخاطبين أن يكونوا طرفا في بناء الخطاب نحو "هل تدرون ما قال ربكم"[1].

أتدرون من المفلس من أمتي؟

وهنا نجد المخاطَب واعيا لدوره في بناء الخطاب، فلا يدعي ما ليس عنده؛ فحينما يتعلق الأمر بأمور الغيب مما ليس للناس معرفة به يقال: "الله ورسوله أعلم"، لكن حينما يتعلق بمعهود تقديرات الناس والمعاني التي يتداولونها، يجاب بما يتفق وتلك التقديرات، كما في قول الصحابة عقب السؤال: "المفلس منا من لا درهم له ولا متاع".

ولما كان للاستفهام هذا الدور المحوري في ترقي الخطاب وانبنائه، نجده أحيانا يتردد بين طرفي المتكلم والسامع في الخطاب النبوي، بحكم أن هذا الفعل اللغوي التوجيهي أنجع أنواع الأفعال اللغوية احتجاجا، لا لأنه "يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما"[2]، وإن كان النسق الحواري المبني على السؤال والجواب، قد يأخذ منحى تصاعديا نحو اكتشاف الحقيقة المطلقة، كما يصورها الوحي، لا تصادميا، كما هو شأن بقية أنواع الحوارية، وذلك راجع إلى سبب واحد يتمثل في أن الحوارية في الخطاب النبوي، ومنها حوارية السؤال والجواب، تنتهي إلى الحقيقة المطلقة، أما في بقية الأنواع فإن الحقيقة فيها نسبية، الأمر الذي قد سن مشروعية المنازعة من قبل المحاور، وما يدعم ما نذهب إليه الحديث:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: "إتقي الله واصبري"، فقالت: وما تبالي بمصيبتي، فلما ذهب، قيل لها: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند أول صدمة، أو قال: عند أول الصدمة".

فالمحاججة تتجلى في الأمر المضعف، والمعارضة على ذلك كانت على السنن الطبيعي المناسب للجهل بمصدر الخطاب وأنه من واحد من عامة الناس ولطبيعة موقف الحزن في المصاب، وكأن الاعتراض داحض للحجة التي تقبع خلف ظاهر الأمر، أو العلة من ذلك "تحصيل الأجر ورفع الدرجات"، لكنها حينما أدركت أن المخاطب هو واسطة الوحي إلى الناس هرعت إليه لتعليل تلك المحاججة المضادة، أو الدحض والاعتراض [الجهل به].

ولعل من النمط الذي بيناه للتسليم الحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الصحابة في موضوع قتل من قال لا إله إلا الله[3]:

قال مقداد بن الأسود: "يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فقاتلني فضرب إحدى يدي

---

[1]. نفسه، رقم٥٦، ص٢٠.

[2]. محمد القارصي: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل ما يير، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، ص٣٩٩.

[3]. مختصر صحيح مسلم، رقم٦، ص٩.

بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟

فالصحابي يباشر مقدمات تفضي إلى نتيجة تبدو للعقل منطقية سببية مطلقة، وكأنه يريد مصادقة على فعل القتل لما نال منه الرجل، وكأنه عد إسلامه تحصينا لدمه بعد تلك المقدمات: الكفر، المقاتلة، وقطع اليد، فكأن الصحابي يريد تزكية للقتل، لذلك فهو يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي الصريح "لا تقتله"، ثم يعاود ذكر أبرز مقدماته الموجبة للقتل "إنه قد قطع يدي ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفأقتله؟ فنحن لسنا أمام اعتراض، ولكن حيال تبرير لما يشبه الاعتراض لما يقع عند المحاور من عدم اتساق ظاهري بين السبب والنتيجة من منطلق عقلي عرفي لا شرعي حكَمي.

وقد يترقى ذلك إلى مراتب أعلى، في ارتباط المضمون الخطابي بالواقع، فإذا كان ما سبق سياقا افتراضيا، فإن الحدة تظهر، والخطاب يتصاعد عندما يتعلق الأمر بواقعة حقيقية واقعية، كما في حديث أسامة:

"بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرُرُقات من جهينة، فأدركت رجلا فقال: لا إليه إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقال لا إله إلا الله وقتلته؟[1] والاستفهام للإنكار، أي ما كان ينبغي أن تقتله بعد قالها، وتزداد شحنة الإنكار إذا أدركنا مكان أسامة من النبي صلى الله عليه وسلم، فبادر أسامة رضي الله عنه لتبرير الفعل، وبيان علة الإقدام عليه: يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح"، فالسؤال المحوري وما يتولد عنه من أسئلة بالتناوب يحول فيما رأيناه المقاولة إلى نوع من المناظرة، على أنها ليست مناظرة ندية، بل مناظرة ناعمة بين معلم ومتعلم، على أن تلك النعومة لا تمنع الاعتراض المبني على توهم صحة الاعتقادات الأولية المتمثلة لدى المعترض في صورة احتجاجات منطقية في هيئة مقدمات ونتائج وقضايا عرفية يستند إليها في تبرير الأفعال، غير أن حجة الرسالة أكثر صمودا، فتحدث فعلا في المتلقي واقتناعا بتهاوي الرأي الشخصي أمام توجيه النبوة، يبرز من خلال مقولات مروية في سياق الرواية كقول أسامة فيما ذكرناه بعد الاستفهام الإنكاري الثاني من الرسول صلى الله عليه وسلم "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا"، أي إن كان قالها صادقا موقنا بها: "فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ". بما يعني اقتناعه بعظم ما أتى من الفعل، لذلك امتنع عنه وكف، وهو ما تعكسه عبارة سعد "وأنا والله لا أقتل مسلما حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة" لعلمه من تلك الواقعة عظم حرمة الدماء فلا يتعجل فيها.

ومما ورد من الاستفهام في مقام التلقين والتربية في غير حوارية قوله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك"[2]، أي كيف يستجاب لذلك. غير أن الاستفهام موضوع في غير ما هو له بالأصل من بيان الكيفية التي تكون بها الإجابة، إذ المراد التعجب والتعجيب من حال ذلك الشخص الآيلين إلى نفي الإجابة بالكلية، والنفي

---

[1]. نفسه، رقم٧، ص٩

[2]. مختصر صحيح مسلم، رقم٥٤٠، ص١٤٧.

بالاستفهام كما هو معلوم في البلاغة أبلغ وآكد من النفي المباشر، فالنفي خبر على جهة السلب، قد يثير السامع وقد لا يثيره، أما النفي بالاستفهام ففيه، وإن كان يحصل منه نفي النسبة، إظهار الخبر في صورة اللامعقول، وتحريش للسامع بالمضمون لينخرط في الحكم بالغرابة التي يريدها المتكلم، وإغراء له باللامعقولية المتولدة فيما بين مراد الشخص الموصوف"الدعاء والإلحاح رجاء الإجابة"، وبين حاله التي لا تنسجم ومراده "الاستغراق في الحرام في كل وجوه العيش"، فينتهي السامع إلى نفي النسبة مع المتكلم، ويقف من ثم بسهولة على مراده، وتنحسر المسافة بينهما، في ظل توجيه السؤال تحت طائلة اسم الإشارة الموضوع للبعيد [ذلك]، وكان حق الكلام وأصله أن يقال "له" بالإضمار على نسق ما سبق، والمخالفة لإخراج الأسلوب على معنى توكيد البعد عن الإجابة وتحصيل المرغوب، بسبب مما أصاب من نقائضها.

الأمر: يدل الأمر في أصله على طلب القيام بالفعل على جهة الإلزام، من أعلى إلى أدنى، وقد يخرج لأغراض مجازية تستفاد من سياق الكلام. إن الناظر في الخطاب النبوي، يجد فيه نسبة كبيرة من الأفعال اللغوية التوجيهية أو الإنجازية بسبب طبيعته التعليمية والتربوية، لأنه عموما تشريع، والتشريع أحكام بالفعل أو الكف.

قد يكون الحديث النبوي كله متتالية من الأوامر، من باب التوجيه:

خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى"[1].

إذا تبينا البنية الأمرية وجدناها مبنية على أمر أول عام، يليه أمران تابعان خاصان:

. إما لأن ذلك مبني على سؤال مقدر: كيف ذلك؟ أو ما تعني المخالفة؟ أو فيما تكون؟ وتنزيل غير السائل منزلة من يسأل، وهذا أحد أهم طرق الحجاج والإقناع[2]، إيفاء لحقوق المقاولة، وإرعاء على أهم مبدأ في الحوار وهو مبدأ التعاون الذي أشارت إليه التداوليات المعاصرة، والذي لا يمكن حصره في تعاون المتلقي في استجابته النوعية للخطاب، بل يشمل ذلك أيضا المُخاطب الذي يراعي حالات من يخاطبه ضمانا للاستجابة المرجوة، وهي هنا حسن التمثل وحصول التبليغ.

ـ وإما باعتبار أن الأمر بالمخالفة أمر عام، يحتاج إلى تفصيل لغموضه، فكان البيان النبوي بأن ذلك الأمر العام مؤداه خصوص يليه، يظهر في حلق الشوارب وإعفاء اللحية، مراعاة للفطرة، التي خالفها الكافر اعتقادا بالشرك، وعملا بإعفاء شاربه مع لحيته مع غير نية الاقتداء، أو مع حلقها بالكامل، وهو ما بينه حديث عائشة رضي الله عنها في الأعمال التي من الفطرة[3].

وقد يكون الأمر متضافرا مع غيره من الأساليب التي منها الاستفهام الصريح والتعجب المضمن، في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي قتادة "..فحمل عليها أبو قتادة فعقر منها أتانا، فنزلنا فأكلنا من لحمها، فقلنا: نأكل لحم صيد ونحن محرمون، فحملنا ما بقي من لحمها، فقال ـ أي الرسول صلى الله

---

[1]. رقم ٨٤، ص٥٧.

[2]. إلى جانب تنزيل من لا ينكر منزلة المنكر، والمنكر منزلة من لا ينكر من باب عدم الاعتداد بإنكاره. حسن الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص٩٧.

[3]. مختصر صحيح مسلم، رقم١٨٢، ص٥٧.

عليه وسلم . هل منكم أحد أمره أو أشار إليه بشيء؟ قال: قالوا: لا. قال: فكلوا ما بقي من لحمها"[1].

. التعجيب: "فقلنا: نأكل لحم صيد ونحن محرمون!" للإنكار الذاتي

ـ الاستفهام: هل منكم أحد أمره أو أشار إليه بشيء؟ استفهام على وجهه، لأن الحكم الشرعي مترتب على طبيعة الجواب.

ـ الأمر: "فكلوا ما بقي من لحمها": الذي يفيد الإباحة لا الوجوب والإلزام، وهو نتيجة لمقدمات، أي بما أنه لم يكن منكم أمر أو إيحاء له بالصيد، فإحرامكم قائم ولكم أن تتناولوا مما صاده المحل، وهذا أمر خارج إلى الخبرية بتأول، وعلى قدر ما يحتاجه السائل بعيدا عن أي لبس، وهو أمر عام يعم السائل وغيره، لأن المقام مقام حكم شرعي، تماشيا مع ما سماه التداوليون بقواعد الاستلزام الحواري أو التخاطبي[2].

كما أننا واجدون نماذج كثيرة تند عند الحصر من الأفعال اللغوية التوجيهية الناهية أو التي تتقصد طلب الكف عن الفعل إما على وجه الحقيقة أو المجاز، قد تكون مفردة أو متعددة متتالية بتعدد القضايا موضوع التداول:

.. "لا يفرك مؤمن مؤمنة.." [سبق ذكره]

ـ ـــ "لا تلبسوا القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف.. ولا تلبسوا شيئا مسه الزعفران ولا الورس"[3].

فالنهي مفرد في الأول مع إفراد موضوع النهي، أما الثاني فالنهي مفرد مع تعدد موضوع النهي، مع اختلاف مقاصده، ففي الأول إنما الغرض النصح بعدم المعاجلة في التطليق، أما الثاني فالنهي يتعلق بحكم شرعي [التحريم]، يبين ما لا ينبغي للمحرم أن يلبسه.

.. "إن الله تعالى:. فرض فرائض فلا تضيعوها

. وحد حدودا فلا تعتدوها

. وحرم أشياء فلا تنتهكوها

. وسكت عن أشياء .. فلا تبحثوا عنها"[4].

فمبنى الخطاب مثنى مثنى، بحيث تتضمن كل ثنائية علاقة استلزام، جيء به من باب الإحاطة في التشريع، وكأن ذلك من جوامع الكلم التي تجمع كل أبواب البر، فلا يبقى للمسلم بعد هذا من شيء يخفى عليه، ولعل بعض هذه الثنائيات [سكت عن أشياء..] هي التي كانت تقف وراء كف الصحابة عن السؤال، فلا يسألون إلا في ما لا بد منه[5]، وكان هو صلى الله عليه وسلم، من يتولى بعث السؤال

---

[1] نفسه، رقم ٦٨٢، ص١٨١.

[2] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص١٠٣.

[3]. مختصر صحيح مسلم، رقم ٦٧٨، ص١٨٠.

[4]. الأربعون النووية، رقم ٣٠، ص١٢٦.

[5]. يصدقه حديث أبي هريرة "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن

عما ينبغي معرفته لهم، فيثير ما قد يدور في خلدهم، وما قد يعرض لهم من باب الاستباق والتكلم بالوحي.

إن تلك الثنائيات ترسم معالم علاقة المخاطب بقضايا الدين بصورة مختصرة، سهلة الاستيعاب، مع كونها تتقصى أركان الموضوع، فلا يبقى للسامع أي لبس قد يطرح السؤال عنده، لأن الخطاب أوضح فأوعب، فرسم السلوك المنتظر عنده، وهو القبول والتسليم طواعية لدعوة المخاطب، فاقترن من ثم، من منطلق طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب، فعل التلفظ بمضمون الفعل المنتظر، إن هذه التقنية هي أحد أهم مواضيع البرهان الخطابي، والمسماة "التقسيم المستقصي"، والتي يسعى المتكلم "إلى الإيحاء بالإحاطة بالموضوع من كل جوانبه، لصرف نظر المستمع عن البحث والتقصي"[١].

هذا دون أن ننسى أفعالا لغوية أخرى كالدعاء، في مثل قوله صلى الله عليه وسلم:

.. ".. فيقال إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا"[٢].

.. "من تولى قوما بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[٣].

الذي يفيد تحقق الفعل بمجرد التلفظ به، فالهلاك واقع باللفظ نفسه، واللعنة أيضا تكون قد حاقت بمجرد تولي العبد لمولى آخر بغير إذن سيده، وإن يكن الخطاب الأول إخبار عن مستقبل يقيني، والثاني في معنى الشرط الذي يدل عليه الاسم الموصول كما يقول النحاة.

وكالتعجب في قوله صلى الله عليه وسلم:

.. "ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك ما أرى"[٤].

.."..هل نظرت إليها فإن في عيون الأنصار شيئا؟ قال أي الرجل . قد نظرت إليها، قال: على كم تزوجتها؟ قال: على أربع أوراق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على أربعة أوراق! كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل! "[٥].

فما يستفاد من التركيب هو معنى التعجب وإن يكن الخطاب جاء على غير قياس فيه، بحكم ما يستنبط من مكونات سياقه، وكونه من الأفعال اللغوية مؤداه إنشاء فعل التعجب مع حصول الفعل اللغوي، فكأن الفعل ذاته هو التعجب نفسه، هذا بالنسبة للنموذج الأول، أم النموذج الثاني فإن التعجب متولد من قيمة انفعالية صوتية تكون قد صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم حينما سمع مبلغ المهر أو الصداق، لأن التلوينات الصوتية تؤدي ما تؤديه الأدوات اللغوية تماما، بل أحيانا أكثر، لأنها تعكس القيمة الانفعالية للمخاطب وموقفه حيال مضمون الخبر، وهي قيمة يراد لها أن تنعكس بالقدر نفسه عند المتلقي، ويؤكد ذلك العبارة التشبيهية التي أردف بها النبي صلى الله عليه وسلم عبارة التعجب "كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل"، أي إن ذلك كثير.

شيء فدعوه" مختصر صحيح مسلم، رقم ٦٣٩، ص١٧١.

[١]. في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص٨٠.

[٢]. مختصر صحيح مسلم، رقم١٢٩، ص٤٣.

[٣]. نفسه، رقم ٨٩٩، ص٢٣٧.

[٤]. نفسه، رقم٦٨٨، ص١٨٢.

[٥]. نفسه، رقم٨٠١، ص٢٠٨.

وكالتأكيدات المختلفة الأدوات والدرجات، والتي من صورها:

ثانيا ـ الآليات شبه المنطقية: ويمثلها السلم الحجاجي بما يندرج تحته من آليات تؤدي دورا في عملية الإقناع بمضمون الخطاب، ويمكن تعريف السلم الحجاجي على أنه "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

. كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

. كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى"[١].

ومن جملة ما رصدنا في هذا المنوال:

١ . "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد.."[٢].

٢ ـ "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى [يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا]، وقال تعالى [يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبا ما رزقناكم].."[٣].

٣ . "إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله.."[٤]

٤ . "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[٥].

لقد اتخذ الخطاب في النموذج الأول من صيغة التفضيل وسيلة للإقناع، في قالب المصادرة التي لا يملك السامع دحضها، من جهة معنى المقارنة بين أمرين:

أعلى [فاضل]: جنس الكلام.

أدنى [مفضول]: كلمة واحدة للبيد بن ربيعة "ألا كل ما خلا الله باطل"

الصفة المشتركة: الصدق.

وجه تصديق القضية: موافقتها للحق الذي نزل به الكتاب، "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرم"[٦].

ومن خلال هذه العلاقة يتحقق للسامع التسليم بمراد المخاطب، لا من باب الإلزام، ولكنه تصديق قائم على الاقتناع، على شاكلة المحاججة ببيان الفروق بين الأضداد، أو ما هو في حكمها كالمشترك في أصل الصفة، والمختلف في درجتها، كالذي نحن بصدده، وليس يتعلق الأمر بما هو متعلق الكلمة [الذات التي قالت: لبيد]، وإلا لما كان يروى عنه صلى الله عليه وسلم حينما سمع الشطر الثاني "وكل

---

[١]. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص١٠٥. وأبرز ما يميز السلم الحجاجي قوانينه الثلاثة: قانون الخفض، قانون تبديل السلم، وقانون القلب.

[٢]. مختصر صحيح مسلم، رقم ١٥٠٧، ص٣٩٢.

[٣]. نفسه، رقم ٥٤٠، ص١٤٧.

[٤]. نفسه، رقم ٢٠٠٤، ص٥٢٦، ٥٢٧.

[٥]. الأربعون النووية، رقم، ٤١، ص١٦٧.

[٦]. سورة الرحمن.

نعيم لا محالة زائل" أنه قال "كذبت" لعدم موافقة الكلمة للحق، لأن الجنة نعيم، وهي من ثم داخلة في جملة النعيم المشمول بتعبير الجنس "كل"، وهو غير صائب ولا موافق للكتاب.

أما في النموذج الثاني فقد تضمن الخطاب ذو الطبيعة الاستدلالية ما يمكن أن يكون حجة يستند إليها الحكم، ممثلة في الاحتجاج بالقرآن الكريم، الذي يمثل قيمة أرفع ومصدرا أعلى يحتكم إليها، وعادة ما تمثل القيم أساسا في إيجاد فضاء من الثقة بين أطراف المحاورة، باعتبار اليقينية المطلقة التي تتصف بها، فالحكم "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وأن الخطاب في تحري الطيب للمؤمنين هو ذاته للمرسلين"، بدليل الآيتين المذكورتين كشاهد وحجة، كل منهما فيما ذكرت له.

في حين ما نجده في النموذج الثالث هو ضرب من العرض للسلم الحجاجي خاص بعد التلويح بما سيكون في قابل أيام المخاطبين، والتي لن يشهدها المتكلم، وإنما يقف منها حيال أتباعه موقف المرشد والناصح الذي يحاول جهده تأمين معبر سالك لمن يحرص عليهم إذا عرضت لهم، ببيان جملة أحوال ووضعيات ومواقع في تلك الفتن، وقد استعين في ذلك بطريق المفاضلة، ولكنها مفاضلة نسبية، لن يسلم فيها إلا الجالس، أي من يعرض عنها وعن أسبابها ولا يخوض فيها، أما بقية المراقي، فهي رتب ينال فيها الرجل من الوزر بقدر مشاركته فيها.

إن هذه السلمية تجعل السامع يلجأ إلى عملية تصنيفية عقلية، بهدف تبين الفروق، واتخاذ موقف منها، من منطلق الإقرار والاقتناع بهذه الحجة، ويتضح له إيجابية السلمية بالنظر إلى مجال نائها، كما يتضح له بالمقابل، من منطلق استدعاء الغياب بالحضور، وهو مبدأ عقلي، انقلاب السلمية في الوضعية المخالفة:

القاعد الساعي

في الفتن: الماشي الماشي في الخيرات

الساعي القاعد

وهذا لا يعني أن وسط التصنيف سواء في الحالين، وإنما هما على طرفي نقيض، كما يقف مقاماهما بشكل متضاد تضادا حادا، وتلك السلمية تمثل في مجموعها صلب القضية المطروحة المدلول عليها بالعبارات الثلاث دلالتها إثبات مرتبة أحد ما من الناس بحسب استجابته لداعي الفتن المحذر منها، وكقياس عقلي، يمكن الحديث عن دلالة نقيضة هي منتهى السلم المضاد، بوصفها متطلبا عقليا: مرتبة أحد من الناس من الخيرية بحسب مدى استجابته لداعي الخير في المواقف المختلفة.

ونظير هذا في السلمية ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم:

. "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا"[1].

. " من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة، لدون الأولى، وإن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة، لدون الثانية"[2].

---

[1]. مختصر صحيح مسلم، رقم ٨٨٣، ص٢٣٣.

[2]. نفسه، رقم١٥٠١، ص٣٩٠.

فكون القضية الأولى [القتل في الضربة الأولى] حجة أكبر وأسبق في رتبة والأجر من الثانية، والقضية الثانية [القتل في الضربة الثانية] حجة أقوى وأعظم أجرا من القضية الثالثة، يستلزم منه أن الحجة الأولى أعظم من الثالثة ضرورة بطريق التعدية، وهذا النوع من السلمية هي التي دعاها طه عبد الرحمن "قاعدة تعدي التفاضل"[1].

وبالمقابل نجد النموذج الرابع يميل إلى التنصيص على مسألة الهوى أو الميل القلبي أو المحبة، وأنها هي شرط الإيمان الصحيح الكامل، بمعنى أن تحقق الإيمان يشترط تبعية الميولات النفسية للتشريع المحمدي، ولكن الخطاب على صورته يحمل ظاهرا وباطنا، أما الدلالة الظاهرية فالتي تفهم من الألفاظ مواضعة، أو مستوى القول، وأما الدلالة الباطنة فهي ما يمكن توجيه الخطاب إليه، أو هي مستوى التضمين، أو المسكوت عنه، أو ما يمكن أن ندعوه بالدلالة الاقتضائية.

لكن ما طبيعة العلاقة بين الدلالتين المنطوقة والمضمنة، وكيف يؤثر ذلك في الإطار التداولي للخطاب؟ إن ما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن المنطوق يفصح عن نفسه، وهو وإن كان مقصودا من جهة أولى، إلا أنه ليس كذلك بصورة قطعية، لأنه مرحلة أولى لا يمكن تجاوزها، وإن كانت تليه مرحلة أخرى في الدلالة هي أعمق، إن الإيمان يبدأ بالميل القلبي ولا يتوقف عنده، لأن مجرد القبول والمحبة دليل خيرية لا منتهى الخيرية، وأن الإيمان مراتب. إن المحب يوجب الاتباع في كل قول وفعل، في كل حركة وسكنة، وفي هذا عودة بنا إلى حديث النيات أولا، وما يترتب عنها، فموافقة العمل دون ميل ومحبة لا ينجي، كما أن الميل وحده دون عمل لا ينجي كذلك، فالبداية الضرورية ميل ومحبة، ولها ما يليها ضرورة عمل واتباع، وهذا لم يفهم من خلال اللفظ وحده، بل مقرونا إليه دلالة الفحوى التي يتوصل إليها بالنظر إلى جانب الاحتكام إلى الشبكة الموسعة للسياق التداولي، ومنها جملة ما ورد إلينا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه:

. الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

. ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

فذكر الهوى ولم يذكر العمل، لأن التنصيص على الأول موقوف به على الثاني، والانتقال إلى العمل من الطرف المذكور من باب أولى، تعويلا على فطنة السامع وفهمه، وحينئذ يتحول أداة في الإقناع ووسيلة في إلزام المحاور، وقد يتأتى ذلك أيضا من جهة المقارنة الطبيعية المعهودة لدى السامع، فما دام لم يصدق الاقتصار على المحبة وحدها إذا تعلق الأمر بأمور الدنيا وبالمعشوق الفاني:

إن المحب [إضمارا] لمن يحب مطيع [تصديقا وتحقيقا]

فأولى أن لا يصح ذلك في أمور الدين التي مجال الاختبار فيها اقتران المضمر بالمظهر، والنية بالعمل، والميل بالاتباع ومطلق الاقتداء. وأبرز ما يتمثل هذا الفن من الحجاج قوله صلى الله عليه وسلم: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر

[1]. مراتب الحجاج وقياس التمثيل [مقال] مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، ع٩، ١٩٨٧، ص١٤.

فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له" قالوا: يا رسول الله: وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال: "في كل كبد رطبة أجر"[١]، وقوله: "عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت.."[٢]، فلقد ذكر الأدنى فدل على الأعلى من باب أولى، فإذا كان هذا العذاب وذاك الأجر في الحيوان، فهو في الإنسان أعظم وأكبر.

ومن مقومات السلم الحجاجي وجملة أدواته الروابط المنطقية:

١ . "ألا إن آل أبي، يعني فلانا، ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين"[٣].

٢ . "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا"[٤].

٣ . "إنها لا تصيد صيدا، ولا تنكأ عدوا، ولكنها تكسر السن وتفقأ العين"[٥].

ونعتقد أنها من أكثر الوسائل استعمالا في الخطابات الاستدلالية عموما، ودورها يكمن في أنها تتوسط قضايا مختلفة، اختلافا ضديا، ويهدف المتكلم إلى استثارة القضية الأولى التي هي ليست من قناعته في شيء، ويعتقد جازما أنها غير صحيحة، ويريد إبراز عدم ميله إليها، ويريد للسامع بعد ذلك أن ينضوي تحت هذه القناعة، من خلال عنصر الإبطال الذي يدخله بفعل تلك الوسائط أو الروابط ذات الصورة أو الشكل اللغوي، لكنها تؤدي وظيفة منطقية عقلية بحتة، تتجلى في عملية النفي والإثبات الممارسة بين القضيتين، هذا في الأصل، لأنه قد لا نجد نفيا صريحا بل هو نفي ضمني كما نلحظه في النموذج الثاني، فهناك نفي مقدر يفهم بإدراك العلاقة بين كلام ملك الجبال "وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم "بل أرجو.."، أي "لا أريد هلاكهم، بل أرجو أن يكون منهم ناصر لهذا الدين"، ولهذه الوظيفة سمى النحاة [بل] حرف إضراب[٦]، أي إضراب عما قبلها وإثبات ما بعدها، فكانت دلالة الإثبات معها في مثل هذه المقامات مقواة، راقية إلى درجة التوكيد [دلالة الإبطال]، لكنها تختلف عن أنواع التوكيد الأخرى في كون السامع يتوصل إلى الاقتناع وهضم الحجة في حضور القضيتين ومن خلال التضاد الحاصل بينهما، أما التوكيد العادي فهو نوع من الترقي في الإخبار من درجة إلى درجة فحسب، دون أن نضمن أن يكون المخاطب على دراية بالقضية النقيضة أو المخالفة مخالفة ضدية.

وهذه الحجاجية هي التي نقف عليها في الاستدراك في النموذج الثالث الذي تتوسط فيه "لكن" بين كلامين متغايرين نفيا وإثباتا :

الحذف

[١]. السابق، رقم١٥٠٥، ص٣٩١.

[٢]. السابق، رقم١٥٠٣، ص٣٩٠.

[٣]. رقم ٥٩، ص٢١

[٤]. رقم ١١٦٥، ص٣٠٨

[٥]. رقم ١٢٤٦، ص٣٣٢.

[٦]. مغني اللبيب، ج١، ص١٣٠. الجنى الداني، ص٢٣٥.

لا يصيد صيدا تكسر السن

[ليس فيه منفعة مرجوة] [لكن] [ضرر مؤكد]

ولا ينكأ عدوا تفقأ العين

ولكن ما ينبغي ملاحظته هو الحالة الاستثنائية والخاصة التي تبدو من خلال النموذج الأول، حيث اعتمد الخطاب الأداة "إنما" التي هي في الأصل الوظيفي دالة على القصر، ولكن تحلت بدلالة الاستدراك مع دلالة التوكيد التي فيها، لسبقها بالنفي المؤكد بإن والباء المقترنة بالخبر، فيكون معنى الكلام على تقدير: ليسوا لي بأولياء ولكن وليي الله. أي إن ولايتي ليست لآل فلان، بل لله وصالح المؤمنين.

والهدف إزالة الشك وترسيخ القضية ببيان نفي نقيضها أولا، وهو ما يؤكده قول الصحابي راوي الحديث عمرو بن العاص: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهارا غير سر يقول..". اقتناعا بالفكرة، وإقناعا بها ليكون قدوة.

ثم إن المخاطب صلى الله عليه وسلم عرض القضية بطرفيها في صورة [الإعلان] دون مواربة عن [قرار] اتخذه، وموقف رسى عليه، وهو واقع في الآن الذي وقع فيه الخطاب دون تراخ ولا تأخير، وهو ما يدخله ضمن دائرة الأفعال الكلامية الإنجازية، لا لأنه جاء في صورة تأكيدات، وإنما لأن المضمون يتحقق في الوقت ذاته الذي تم فيه التلفظ، فاللفيظ إذاً يحمل طاقة حجاجية متضاعفة، في صورة طبقية متضافرة: الروابط الحجاجية، مع التأكيدات، إلى جانب قوة الفعل اللغوي، كل أولئك يحمل السامع على مراجعة الفكرة وتقليب الموقف، ولا يسعه إلا أن يعطي إن حكم العقل . باليد في الأمر.

ومن الأدوات الحجاجية أيضا القياس:

ـ "عن أبي هريرة رضى الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول. قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: إنكم ترونه كذلك.."[1].

مبنى الخطاب النبوي على قياس منطقي: قياس الغائب على الشاهد، واتخاذ الشاهد دليلا عليه، أو قياس ما لا يدركه الحس الراهن على ما يدركه الحس بما يتهيأ للحس مستقبلا من قوى تصلح لإدراكه:

الله موجود حقيقة كالشمس والقمر.

أنتم ترون الشمس والقمر.

إذا رؤيته تعالى ممكنة ثابتة كما ترون الشمس والقمر [بشروط الرؤية]؛

إذ ليس ذلك إلا للمؤمن، لأن الكافر لا يراه، لأن رؤيته ضرب متسام من النعيم، ولو رآه لثبت له نعيم، وهو منتف، لذلك قال تعالى "لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد" على اعتبار أن المزيد المقصود هنا هو تجلي الله تعالى للصفوة من عباده، ورؤيتهم له.

يأتي دور القياس في الخطاب من باب تعاون وتعاطف المتكلم مع السامع، تماشيا منه مع قدراته في

[1] مختصر صحيح مسلم، رقم٨٦، ص٣٠.

الإدراك، والقياس تيسير لعملية استضمار المضمون الخطابي، مراعاة للتدرج في طبيعة القضايا المعروضة، فلقد بدأهم بما تقع عليه العين، وبما يرتسم في الذهن لتكرره، وعدم تعلق الشبهة به[رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه بدرا]، فصار من ثم أهلا لأن يبنى عليه، ويعتضد به، ويتخذ دليلا في الاستشهاد على صحة ما لم يحصل لهم به علم ولا إحاطة، وهو رؤية الله، مع تصديقهم بوجوده، وإلحاقهم به كل صفات الكمال التي وصف بها نفسه، فحدث الترقي على رجاء الإلحاق مع اختلاف الإدراكين، من باب التحقيق والتصديق، لا من باب تغليب الظن[1]، لأننا بصدد قول خطابي له خصوصيته، وهي أنه وحي لا يتطرق إليه الشك ولا الكذب.

ثالثا . الآليات البلاغية:

ونعني بها ما يمكن توظيفه من طرق في الدلالة على صدقية الكلام، وتحقيق المضمون الخطابي، باستعمال ألوان بلاغية معينة، أهمها:

. التفصيل بعد الإجمال:

١. خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحديا"[2].

٢ . "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[3].

٣ . "ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله"[4].

وفائدة هذه الآلية تكمن في الإحاطة والاستقصاء المتأتيين من ذكر قضية مجملة تحتاج إلى بيان وتفصيل، ثم يشرع في تتبع أجزائها حتى تستوفى، لتوفير الجهد على السامع في تبين الأجزاء بمفرده، وهو أمر قد يحمل من المزالق ما لا يخفى، لاسيما إذا تعلق الأمر بقضايا شرعية ترتبط باكتساب مثوبة أو استزادة أجر، كما أن فيها استباقا للسؤال المحتمل من المتلقي، توفيرا للجهد عليه، ورفعا للحرج عنه، وبخاصة إذا استحضرنا تهيب الصحابة من السؤال، وقد سبق بيانه، وهذا الذي يسميه البلاغيون حسن التقسيم[5]، كما هو معلوم من النموذجين الأولين، اللذين جيء فيهما بالنظم على أصله في الوضع التداولي، ووفق ما يقتضيه منطق العقل، غير أنه قد يعدل عن هذا الأصل إلى نقيضه، بتقديم التفصيل على الإجمال لنكتة، كما نتبينه في النموذج الثالث، الذي أصله: صيام الدهر كله: ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان. وإنما قلب النظم لتوليد التطلع لدى المتلقي، وزيادة التشويق إلى ما هو كالحكم على هذه التفاصيل [كونها صيام الدهر]، وتأخير المطلوب المجمل لقيمته، لأنه كالبشارة التي

---

[1] ـ لأن الأصل في القول الخطابي كما يقول حازم القرطاجني إنما هو "تقوية الظن لا على إيقاع اليقين، اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع إلى التصديق". منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م، ص٦٢.

[2] . مختصر الصحيح، رقم٦٨٣، ص١٦٥.

[3] . نفسه، رقم٧٩٨، ص٢٠٧.

[4] . نفسه، رقم-٦٢٠، ص١٦٥.

[5] . السراج، ص٥٥، ويعرفه أبو هلال العسكري بقوله"التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه" الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ٣٤١.

تعكس التيسير، مثاله كأن يقول أحد الآباء لولده وهو يناوله: هذه ألف دينار، ولمجة سريعة، وقبعة، ونظارات شمسية، هي عدة النزهة التي وعدتك فانطلق. ليكون المطلوب هو المفاجأة المقدم لها بتفاصيلها، مما يضفي الطابع المنطقي على القضية برمتها، لأنها صارت بمنزلة المقدمات والنتائج.

وقد يتضافر مع التفسير ألفاظ التنبيه وألفاظ الاستغراق المفيدة للإحاطة، مع تكرار العموم بين الاستهلال والنهاية للتوكيد، زيادة في بناء الحجة، بهدف إقناع السامع بما يلقى إليه، وبيان أهميته وعظم حرمته، والتخويف من التقصير:

٤ ـ "ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته"[١].

أزواج المقابلات: تعد المقابلة نوعا من البديع، وهي بين"التقسيم والطباق، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا، وآخره ما يليق به آخرا.. وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإن جاوز الطباق ضدين كان مقابلة"[٢].

١ ـ "أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.."[٣].

٢ ـ "ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجرهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم"[٤].

٣ ـ"إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام.."[٥].

٤ ."جاء رجل من بني النبيت قبيل من الأنصار، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، ثم تقدم فقاتل حتى قتل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عمل هذا يسيرا، وأجر كثيرا"[٦].

فمن جلي المقابلة ما ورد في النموذج الأول "الشريف تركوه ـ الضعيف أقاموا عليه الحد" فقابل بين الشريف والضعيف وبين تركوه وقطعوه، على اعتبار أنها مقابلة محضة مبنية على "مفاجأة اللفظ بما يضاده من جهة المعنى"[٧]، أما ما في النموذج الثاني، فقد قابل بين ثلاثة معان اثنان منها صريحان: تغنم تغنم ـ تخفق/ تسلم ـ تصاب، وثالثها بتأول التقابل والتضاد: تعجلوا ثلثي أجرهم [الانتقاص] ـ تم لهم

---

[١] ـ مختصر الصحيح، رقم١٢٠١، ص٣٢٢. وهذا الذي يسميه البلاغيون التفسير، وهو "أن يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها" الصناعتين، ص٣٤٥.

[٢] ـ ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ج٢، ص٢٣.

[٣] ـ مختصر الصحيح، رقم ١٠٤٦، ص٢٧٤.

[٤] ـ نفسه، رقم١٠٩١، ص٢٨٤.

[٥] ـ كتاب الأربعين النووية، الحديث السادس، ص٥٠.

[٦] ـ نفسه، رقم١٠٩٠، ص٢٨٤.

[٧] ـ السراج، ص٤٨.

الأجر [التوفية]. على أنها مقابلة غير محضة، لأن أحد طرفيها يتنزل من نظيره منزلة الضد. وهي حال النموذج الثالث القائم على تقابل معنيين، أحدهما صريح في مقابل نظيره: اتقى ـ وقع، والآخر مضمن للتقابل: استبرأ . وقع، لأن الاستبراء فيه معنى الحصانة وعدم الوقوع في الحرام.

في حين جيء بالنموذج الرابع في صورة الطباق الموهم بالتناظر بين لفظتين لا غير، المبنية على "تخالف وضع الألفاظ لتخالف وضع المعاني، ولنسبة بعضها من بعض، فيقع بذلك بين جزأين من أجزاء الكلام نسبتان متخالفتان، فيجري مجرى المطابقة في الألفاظ المفردة"[١].

تمثل هذه المقابلات وغيرها رصيدا ثرا في تبليغ المعنى والإقناع به بأقصر طريق مع حذف فضول الكلام، وهو من مقومات آلة البليغ[٢]، التي يتوصل من خلالها إلى إفهام السامع بأخصر عبارة وأقصر طريق، ويكفيه الإطالة، ويعمل عنده العقل في انتقاله من ذكر الشيء إلى ذكر نقيضه، فيضع يد مخاطبه على محل التناقض ، الذي يسلمه بدوره إلى الاهتداء إلى الأصوب في القضية المعروضة، ولا شك في أن هذا من أهم وسائل التبليغ وطرق التربية والتعليم، بحيث يمثل أمام المخاطب، في وضعية ما، تقابلاتٌ في حسن تقسيم لمكونات القضية، ومن خلال تلك التقابلات تنبثق الفكرة المبلغة على أنها فكرة تمتلك من القوة واليقينية ما لا يملك العقل السليم إلا الإذعان لها لما سيندها من حجج وبراهين، وهو يمتلك الاختيار عن وعي كامل بكل دعوة وما يترتب عنها.

ـالتصوير: يتساوى كل الأسوياء من الناس في الإحاطة بالمدركات الحسية دونما صعوبة وبغير كلفة عظيمة، في حين يتفاضلون في المدركات العقلية قوة وضعفا، وذلك راجع إلى أن أعظم بوابات الإدراك تأثيرا واشتغالا إنما هي الحواس، التي تلتقط مقابلاتها ونظائرها وتختزنها في الذاكرة بعد تكرر المحسوس وتعزيزه، إذ كلما "تكرر مرات شيء واحد، وصورة واحدة زالت الغربة، وحدث الأنس، وصارت الصورة، والمقابل لها كالشيء الواحد"[٣]. في حين يعتمد تلقي المعارف العقلية على نوع من التفكير والقياس الذي وإن كان يهدف إلى بناء صور مجردة متعالية إلا أنه يحتاج إلى قوى نفسية وإعمال للعقل يختلف عن آلية التخزين الحسية، لأجل ذلك كان الناس أميل إلى كل ما من شأنه أن يبعث في النفوس الصور الحسية، وكانت المعارف المجردة سالكة مسلك التصوير لتقريب المفاهيم وإيقاع الغريب أو المجرد موقع المألوف الذي تناله الحواس. وهو الذي قد يفسر تقدم المعاني الحسية في الكلمات على المعاني المجردة، وتأخر القضايا العقلية على القضايا الحسية التي تعد بمثابة التمهيدات والمقدمات الضرورية لها، ولأجل هذه الغاية ذاتها وجدنا الأدباء والشعراء يولعون بألوان التصوير المختلفة لدورها في التبسيط والتقريب والإفهام.

ولا شك في أن أعلى الكلام مرتبة وأعذبه موقعا بعد القرآن الكريم ، وهو الخطاب النبوي الشريف، قد سلك هذا المسلك في التعبير، لأنه إنما كان يعبر وفق سنن الكلام العربي الفصيح، وكانت غايته

---

[١]. نفسه، ص٥١.

[٢]. وقد وصف الجاحظ كلام النبي صلى الله عليه وسلم بكلام مطول فيه كل منقبة، فليراجع في البيان والتبيين، تقديم علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ج٢، ص١٣ وما بعدها.

[٣]. ابن مسكويه: الهوامل والشموامل، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ص١٤٦.

تحصيل الفهم لدى المتلقي، الذي هو مناط التبليغ بتحصيل الأحكام الشرعية والتوجهات الربانية الضامنة لكرامة الحياتين.

وقد تتبعنا ألوان التصوير في الخطاب النبوي، فوجدناها تتنوع بين الكناية والاستعارة والتشبيه وضرب المثل والمجاز، ولكثرتها فقد اقتصرنا على عينات منها، محاولين الوقوف على بعض أبعادها ودورها في بناء الحجة، والإقناع بالقضية:

١ـ "..وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض"[١].

٢ـ "فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ قال: أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء.."[٢].

٣. "من أراد أهلها بسوء . يريد المدينة . أذابه الله كما يذوب الملح في الماء"[٣].

٤ـ "لا تزال المسألة بأحدكم، حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم"[٤]. ومثله قوله صلى الله عليه وسلم:"إنما الإمام جنة" [رقم١٢٠٦، ص٣٢٣].

٥. "..فإن اليد العليا خير من اليد السفلى"[٥].

انطلاقا من أنس النفس بالمحسوس وتطلبها للمألوف، فقد عقد المخاطب صلى الله عليه وسلم علاقات بين قضايا يريد للسامع أن يتلقاها عن يقين، ويلقي له فيها باليد، وبين نظائر ذات ارتباط بالواقع الذي يتقاسمانه. فأتباعه صلى الله عليه وسلم في سائر الناس متميزون منفردون بصفات الكمال البشري، كما تمتاز الشعرة البيضاء في عموم شعر الثور الأسود أو الشعرة السوداء في عموم شعر الثور الأبيض، وليست العبرة باللون الأبيض أو الأسود، وإنما بالتعارض الحاصل بينهما، لأن القصد هو إقامة الدليل على صحة المذهب في التميز على جهة التقريب؛ لأنه تم التعبير بصورة المألوف بالنسبة للمتكلم وللمخاطب كليهما، وفي حديث آخر يضيف صلى الله عليه وسلم "..أو كالرقمة في ذراع الحمار"[٦]، أي كالنتوء البارز على كلتا يديه من الداخل، في حجم وشكل ولون لا تخطئها معها العين.

أما النموذج الثاني فيتضمن إجابة عن سؤال بطريق التمثيل، فلقد انصرف صلى الله عليه وسلم عن الإجابة الصريحة أو المباشرة التي قد تطول، أو قد تغمض على السامع، إلى مسلك غير مباشر، قد يبدو غريبا أول الأمر، لكن سرعان ما نتبين أثره، ونستوضح مقصده وعلاقته بالسؤال، إنها حال معروفة قارة عند السامع، حتى إنه قد لا يخلو من أثر البيئة: حال رجل يمتلك خيلا محجلة وأخرى دهم، بحيث يميز الأولى عن الثانية بأثر التحجيل الذي لها، أي إنني سأعرف أتباعي من أثر تحجيل

---

[١]. مختصر الصحيح، رقم١٠٢، ص٣٨.

[٢]. نفسه، رقم ١٢٩، ص٤٣.

[٣]. مختصر الصحيح، رقم٧٨٤، ص٢٠٥.

[٤]. مختصر الصحيح، رقم ٥٥٨، ص١٥١.

[٥]. نفسه،رقم٥٥٩، ص١٥١

[٦]. نفسه، رقم١٠٣، ص:٣٨.

الوضوء كما يعرف صاحب الخيل المحجلة خيله إذا اختلطت بغيرها، فالغاية إلى إخراج الجواب إلى التجسيم والتشخيص، المبني على المعروف، ويزيد دور التمثيل في المقايسة، خطاب المفرد غير المعين، مع كون السائل جماعة كما ورد في النص، جريا على نمط المحاججة ومد القياس، وكأن الكوقف موقف مناظرة.

أما المثالان الثالث والرابع فقد تضمنا استعارة ومجازا عقليا على التوالي، على اعتبار تشبيه المسألة بالمحرض أو المغري بالسؤال، غير أن ما أريد التشبيه به محذوف دلت عليه قرينته وما نوي معها "لا تزال"، وعلى اعتبار ذكر اليد التي هي من عموم البدن وأريد بها الشخص، ولكن نص عليها بذاتها لأنها هي جارحة الكسب والقادرة على العمل والتحصيل.

إن المتتبع لكلام البلاغيين يلاحظ أنهم يَنُصُّون على أن دور مختلف ألوان التصوير إنما هو إحداث الأثر المرجو في نفسية المتلقي، وسموا ذلك سرورا نفسانيا، ولم يشترطوا ما اشترطوه في ألوان التعبير تلك إلا لبلوغ الغاية من النظم، نحو ما نجده عند أبي هلال حين يقول "ولذلك نوصي في الاستعارة بالتصريح أن يكون الشبه بين المستعار له والمستعار منه جليا بنفسه، أو معروفا سائرا بين الأقوام، وإلا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية والإلغاز"[1]، فالأريحية التي يحدثها التصوير ناتجة من الأنس بالصور وما تتشكل، وما توحي به أو تدل عليه إذ "تجريد الصور من المواد ورد بعضها إلى بعض من خاص فعل النفس، فالسرور به سرور نفساني، فلذلك يلهج به كما يلهج بما ظفر إذا كان طبيعيا، بل هذا أشرف وأفضل"[2]، لأنه مهما تساوى أثر الطبيعي والنفساني فإن الغلبة للنفساني بحكم خلو مؤثره من المادة خلاف المؤثر الطبيعي الذي إنما أثر بمادته وصورته معا، وهذا هو عينه خلاف ما بين الجميل الذي يدخل على النفس من جهتها، ويحتاج إلى تأمل ودقة فكر ورفعة ذوق، وبين الجليل الذي يحمل النفس على الشعور به والانفعال له قهرا. لذلك فضل التعبير المجازي بكل ألوانه الحقيقة على ما فيها من مباشرة، لأنه مال إلى المبالغة عن المعاني تحقيقا لها في نفس من يتلقاها، حتى كأنه يراها رأي العين، فلا يجد سبيلا إلى التملص منها، بل تراه يأنس بها وترتاح نفسه.

إذا فالتمثيل في الخطاب النبوي يمثل وسيلة للمقارنة وتتبع الحالات المشابهة، لذلك فهو يقوم "مقام الاستقراء في المنطق، أو هو استقراء بلاغي"[3]، بحيث يتحول الطرف غير الأصيل وهو الطرف الثاني في المشابهة إلى دليل وشاهد على صحة القولة، "وذلك لا محالة أبلغ من إثباتها بنفسها، وذلك لأنه يكون سبيلها حينئذ سبيل الدعوى تكون مع شاهد"[4]، وقد ذكر الجرجاني، في الاستعارة خاصة، أن الحكم في في المزية لا يعود إلى قوة المشابهة بين ركنيها فحسب، كما قد يتوهم، بل إلى أنه "أفادك في إثبات شدة الشبه مزية، وأوجدك فيه خاصة قد غرز في طبع الإنسان أن يرتاح لها، ويجد في نفسه هزة عندها"[5].

---

[1]. مفتاح العلوم، ص٤٩٧.

[2] الهوامل والشوامل، ص: ١٥٩.

[3]. في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص٨٢.

[4]. الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٣٤٣.

[5]. نفسه، ص٣٤٥.

أما الضرب الثاني من الخطاب، والذي لأجله اخترنا كإجراء منهجي صرف النظر عن مصطلح الحديث، فهو الخطاب النبوي غير اللفظي، ونقصد به جملة الحركات أو الإيماءات أو الملامح أو أوضاع الجسد الشريف، والتي تكون إما مقترنة باللفظ كالعاضد له والمقوي، وإما بالاستغناء بها عن غيرها من الوسائط التواصلية اللفظية، " فالصوت لغة، والأشكال المرسومة لغة، والأجسام والحركات الجسمية لغة، والإشارات البصرية والسمعية لغة"[1]. فكل ما من شأنه تسهيل الوصول إلى المقصد الذي نريد التعبير عنه لغة، مع التحفظ على توسعة المصطلح، يستحق هو أيضا البحث والتنقيب كاللغة تماما.

لقد عمد النبي صلى الله عليه وسلم في مقامات تند عن الحصر إلى جملة أدوات غير لغوية لمكانتها في الدلالة على الغرض، ولمدى أهليتها في التأثير والبرهنة على ما يريد، من ذلك ما أثر عنه من ملامح وحركات منفردة أو مؤتلفة:

١. عن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل علي رسول الله وعندي رجل قاعد، فاشتد ذلك عليه، ورأيت الغضب في وجهه، فقلت: يا رسول الله إنه أخي من الرضاعة.. "[2]. وذلك شأنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى الغضب في وجهه إذا تعلق بشيء يكرهه أو فيه انتهاك لحد من حدود الله، كما هي الحال هنا، وقد كان المسلمون يعرفون ذلك منه، وهو ما أدركته أمنا عائشة رضي الله عنها، فراحت تبرر تصرفها، بعدما أدركت سبب انزعاج النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: "كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه"[3].

٢. حينما اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين وهم يصلون بصلاة أبي بكر في المرض الذي توفي فيه، فأراد أبو بكر أن يتنحى له، فأشار إليه بيده صلى الله عليه وسلم، فلزم مكانه رضي الله عنه، فكانت الإشارة باليد مؤذنة بقول نحو: اثبت وابق كما أنت.

٣. "أنا وكافل اليتيم كهاتين"من باب الجمع بين اللغة اللفظية واللغة غير اللفظية، زيادة في التأكيد وبخاصة في الإحالة بأداة التشبيه على الحركة [المشبه به]، وبيانا بأن المصاحبة الحاصلة بينه صلى الله عليه وسلم وبين كافل اليتيم ليس وجازا، ولا أنه فيها تراخ ومباعدة في المكان، مما قد يعرض لظن السامع، فأشار بالسبابة والوسطى ليؤكد التلازم هناك كما هو هنا، دون شك، وهو وعد كائن دون تخلف كما ترى السبابتان مجتمعتين، وليكن معلوما فيما نحن بإزائه أن هذه الاستعانة بالحركة والإشارة، ليست كما هي عند العاجزين عن البيان، فإذا كانت تكون هنا لعجز المتكلم، فإنها كانت معه صلى الله عليه وسلم إرعاء على مصلحة السامع، وملاحظة لما يمكن أن يطرأ عليه من ضروب اللبس أو التوهم، فأشار، وإلا فهو سيد من تكلم بالضاد كما قال هو عن نفسه صلى الله عليه وسلم، وما أبعد ما ذهب إليه أبو شمر في اعتبار البلاغة عدم الاستعانة على المنطق بغيره من الإشارة ونحوها، وقد ثبت

---

[1] محمد علي عبد الكريم الرديني: مباحث لغوية، دار الهدى، الجزائر، ص:٨٥.

[2] مختصر الصحيح، رقم٨٨٢، ص:٢٣٢.

[3] ـ مختصر صحيح مسلم، رقم، ١٥٦٨، ص٤١٢. من ذلك ما رواه عبد الله بن الزبير من أن رجلا من الأنصار خاصمه عند "رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك. فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك. فتلون وجه نبي الله صلى الله عليه وسلم.."مختصر الصحيح، رقم ١٥٩٧، ص٤١٧.

بطلان دعواه عندما ناظره إبراهيم بن سيار فاضطره بالمحاججة إلى أن يحرك يديه، ويحل حبوته، ويحبو إليه، حتى يأخذ بيديه[1].

٤ـأنه صلى الله عليه وسلم كان يعدد لصحابته الموبقات من الأقوال والأفعال التي تهلك، فلما أن بلغ شهادة الزور، راح يردد: ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور، وكن متكئا فجلس، ويظل يرددها، حتى قال الراوي: حتى قلنا ليته سكت، خوفا وإشفاقا عليه صلى الله عليه وسلم.

فلقد جمع في هذا المقام بين ثلاثة عوامل:

. اللفظ "شهادة الزور".

. التكرار.

. تغيير وضعية الجسد الشريف من الاتكاء إلى الجلوس والاستواء.

وذلك التغيير الذي مبناه الحركة الجسمية ليس عبثيا، بل هو إيذان بأن هذا كلام ينبغي أن يسمع وينتبه لما تحته من عظيم الخطر، لأن في شهادة الزور ضياع الحقوق، وإعطاء من لا يستحق ما لا يستحق، وفساد المجتمع، وقبل ذلك كله هلاك صاحب الشهادة، سواء كان المقصود بالشهادة الإدلاء والتصريح، أو الحضور. ولنر كيف أن تلك الوضعية الجسمية الجديدة []تحولت إلى منبه وداعم للقضية المعروضة دون سواها، حتى كأن ما عرض قبلها لا ستحق أن يذكر أو يلتفت إليه، بل هي الداهية، وكيف أن الصحابة الحاضرين انتبهوا إلى ذلك التغيير وقيمته التبليغية والإقناعية، فوجدوا في أنفسهم ثقلا لهذا الكلام كما أراد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرتسم ويتشكل بمعونة اللفظ، الذي وكأنه تنوسي في ظل تغيير وضعية الجسد، وقد ذكر الجاحظ مثل هذه المؤازرة بين النوعين في معرض حديثه عن أدوات البيان في قوله "والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط"[2]. ولا شك أن تحول الجسم من حالة إلى حالة، كما رأيناه هنا، إيذان بتغير الموقف، وتبدل القيمة الخطابية والبعد التداوالي، ويتبع ذلك كله تغير في درجة المحاججة، لأن ذلك إيذان بالانتقال من حالة نفسية إلى حالة نفسية أخرى مغايرة، يجب أن تقابلها مثيلتها عند المتلقي، فكأن تحول من موقف بسط إلى موقف جد، فوجب أن ينتبه إلى هذا الكلام دون غيره، أو على الأقل أكثر من غيره، لما ينطوي عليه من الخطورة.

٥ـ أفعاله في الحديبية، فقد أمر الصحابة بأن ينحروا هديهم وأن يحلقوا، فلم يفعلوا، فاشتد ذلك عليه صلى الله عليه وسلم، فدخل على أم سلمة، فأشارت عليه أن يعمد هو فيفعل، فخرج إليهم ولم يكلم أحدا فذبح هديه، ودعا حالقه فحلق، وما إن رأوا ذلك حتى فعلوا فعله اقتداء، فانظر كيف كان القول غير مجد، ولكن الفعل دون قول أثمر اقتداء.

٦ـرسمه صلى الله عليه وسلم في أكثر من مناسبة، ولعل أهمها ما يرويه ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم "خط خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خطوطا صغارا إلى هذا الذي في الوسط، من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به ـ أو: قد

---

[1]. الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٩٤.

[2]. البيان والتبيين، ج١، ص٨٣.

أحاط به ـ وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا، نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا"[1].

إننا بصدد لوحة من الرسم التجريدي من منظور إسلامي، كما يصفها محمد أحمد الراشد، ليست حركية جسمية، وإن كانت تتحقق بها، بل إننا حيال رسم يختصر مسيرة الحياة البشرية برمتها، دون أن يشذ عنها أحد.

لقد امتزج في اللوحة الأداء اللغوي، لا بوصفه أصيلا بل مكملا، بخطوط وسيلتها العود ورمل المدينة، ومادتها الإنسان وأمله وأجله وجملة الأعراض المحيطة، إن اللغة هنا تلعب دورا مكملا[2]، شارحا، لا غنى عنه وإن يكن ثانويا، لأنه النشاط الذي يبرز من خلاله عبقرية التفكير المتجلي في الرسم شكلا ومادة، إنها ممارسة سيميولوجية بالأشكال الهندسية، تختصر كلاما طويلا نجده مبسوطا في كتب التصوف والسلوك وغيرها، أي إنها ممارسة تختزل كل القصص، كل البدايات، وكل النهايات، لكل الأمم، عبر كل العصور، بصورة مختزلة، مما يؤهل الرسم لأن يكون النموذج المتسامي للتجربة الإنسانية، الأمر الذي يكسبه قوة حجاجية وطاقة إقناعية لا يتوفر عليها الكلام الكثير، لاسيما وأن البوابة التي تشتغل في إدراكه هي البصر، لأن الصورة طاقة مهيمنة على ما سواها، وبما أن الأسنن البصرية شبيهة بالسنن اللساني في كونها يخضعان للتواضع، وبما أن الصحابة لم يسبق لهم أن تعاملوا مع مثل هذا المعطى البصري، فإنه صلى الله عليه وسلم رأى من أجل أن تؤتي هذه العملية التواصلية أكلها، لابد من أن يشفع الرسم باللغة ليرسخ السنن، وتتبين وحداته وما تحيل عليه من دلالات، ذلك الشرح هو ما يمثل الدعائم الخارجية التي تبني بين مكونات الصورة وبين ما تحيل عليه بنيات علائقية[3].

إن الاختزالية التي ينحو إليها الرسم النبوي الشريف تصبو لأن تبني نموذجا معمما، فليس المهم هو تتبع التفاصيل، لأنها، حتى من الناحية العلمية غير متناهية والإحاطة بها غير ممكنة في الوقت نفسه، تقتنص ما كل ما هو متسام ومشترك، لذلك فليس المهم هو إعادة إنتاج رسم يماثل الإنسان، فهذا ليس مقصدا في حد ذاته، ولا حتى الأعراض والأجل.. إنما المهم هو الاعتناء بالمدرك، أو ما نعرف، لا محاكاة الصورة، كما يرى أنصار الاتجاه الطبيعي المغرق في المحاكاة والتقليد البالغ حد الشبه، وكلما كان الشبه أقوى عندهم، كان الرسم دقيقا وممتعا، فالنبي صلى الله عليه رسم ما يعرف لا ما يرى، لأن المعتبر هو ما نعقل لا ما نرى في مجال جودة الرسم. وهو ما أسبغ على اللوحة إقناعية ظاهرة، لأن مبناها على مقايسات عقلية منتزعة من التجربة الإنسانية، إذا لا يمكن لأحد أن ينكر حالات الإنسان تلك، والدعوة فيها، في نهاية المطاف، إلى الاتعاظ وحسن النظر، إنها حقيقة "الإنسان الضعيف تغزوه

---

[1]. صحيح البخاري، ٨/ ١١١.

[2]. وهو ما تسعى السيميائيات المعاصرة إلى تحقيقه، إذ إنها "في سعيها هذا ليست مجبرة على استعارة النموذج اللساني، بل عليها . خلافا لذلك . أن تعمل على إدماجه في نماذج سيميائية أعم وأشمل" أمبرتو إيكو: سيميائيات الأنساق البصرية، ترجمة محمد التهامي العماري، محمد أودادا، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٧.

[3]. سيميائيا الأنساق البصرية، ص٣٥.

الأعراض غزوا فيع إلحاح، عدوى، أو سرطان، أو حريق، أو غرق، أو زلق، أو سقوط، أو اصطدام، أم لدغة، أم تسمم بطعام، أو طلقة تائهة، فإذا نجا من كل ذلك: كان له في الهرم، وضغط الدم، وارتفاع نسبة السكر تأديب أي تأديب، فإن أطال النفس، اقتص منه الموت.."[1].

خاتمة:

وفي الختام يمكن الوقوف على بعض الملاحظات تتعلق بآلية اشتغال الخطاب النبوي، وهي في الوقت نفسه بمثابة النتائج التي توصل إليها البحث:

١. أنه ينبغي التعامل مع الخطاب النبوي على أنه ثنائي الملمح، فمنه ما هو لغوي ومنه ما هو غير لغوي، ولكل مقامه الذي يصلح له.

٢ . كثيرا ما يتدعم الخطاب غير اللفظي بالخطاب اللفظي ويتخذه مفسرا ودليلا على الدلالات الضامرة وراء اللمحة والإشارة والتعبير بالوجه حركة الجسم، بل وحتى الرسم كما بيناه للتو.

٣ ــ يجب التعامل مع الخطاب النبوي في إطار خصوصياته، فهو قبل أن يكون رسالة لغوية معجزة، حاملة لمختلف فنون البلاغة، رسالة دينية سماوية، وحي من وحي، لا يتطرق إليه الخلل لا في معانيه، ولا في مبانيه، أي إنه يختلف عن بقية النصوص شعرية ونثرية، ولا يعني التغاضي عن تلك الخصوصية سوى الوقوع في مزالق تنتهك البعد الرسالي فيه، كما أشرنا إلى بعض هذا في قضية مضمون القضايا التي يتناولها الحجاج، وأنها، كما يحدد في التداوليات، تتسم بغلبة الظن لا باليقين، الذي يعد من خصائص الخطاب الفلسفي الذي يميل إلى التصديقات لا المظنونات.

٤ . أن غايته التي يستمدها من طابعه السماوي التبليغ، غير أنه ينحو مرات إلى التبليغ المباشر، ما يعني أحادية الطرف الخطابية، ومرات يميل إلى الحوارية.

٥ ــ استغلاله كافة ممكنات اللغة في كل عملية تواصلية، أيا كان منحاها، لإقناع السامع بمحتوى الخطاب، واحتجاج لجملة القضايا المعروضة، وقد ترددت تلك الآليات الحجاجية بين آليات لغوية كالتوكيد وأخرى شبه منطقية كالسلم الحجاجي بكل تمثيلاته، وثالثة بلاغية ممثلة في ألوان التصوير.

٦ ــ لا يعني ما ذكرناه الآن أن استعمال الخطاب النبوي لجملة تلك الأدوات الحجاجية يتم بصورة معزولة منفردة، وإنما يطوعها، من باب اقتداره صلى الله عليه وسلم، بصورة إفرادية أو متضافرة، بحسب ما تقتضيه دواعي التواصل، كالسامع، والموقف، ونوع الخبر وغيرها، أي إن استعمالاته نوعية لا كمية، وإنما يخضع الكم للمقاصد.

٧. أن الدراسة التي قمنا بها ما هي إلا بداية لأنها قائمة على عينات لا على التقصي، لأن الهدف هو فتح باب من أهم الأبواب للدراسات اللغوية الحديثة في الخطاب النبوي الشريف، الذي لا يزال يعاني من قلة الدراسات من هذا النوع فيه.

قائمة المصادر والمراجع:

١ ــ آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس

[1] محمد أحمد الراشد: الرقائق، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ١٩٨٧، ص١٠٢.

ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص,٢٦٥
٢ . أحمد مختار عمر:اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
٣ . أعراب حبيب: الحجاج والاستدلال الحجاجي (مقال)، عالم الفكر، الكويت، ٢٠٠١، ع١، م,٣٠
٤ ـــ أمبرتو إيكو: سيميائيات الأنساق البصرية، ترجمة محمد التهامي العماري، محمد أودادا، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٧.
٥. البخاري: صحيح البخاري
٦ ـــ الجاحظ: في البيان والتبيين، تقديم علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٧ . الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني.تصحيح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ ١٩٨١م.
٨ ـ جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٨.
٩ . حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.
١٠ ـــ حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.
١١ ـــ الحافظ المنذري: مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، ط١، ١٤١١هـ
١٢ . حسن الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٤.
١٣ ـ حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم [مؤلف جماعي]، منشورات كلية الآداب جامعة منوبة.
١٤ ـــ الخليل بن أحمد: العين، تحقيق وترتيب عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
١٥ ـــ ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
١٦ ـ روبير مارتان: مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ,٢٠٠٧
١٧ . رولان بارت:
أ .هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٩.
ب . نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٤م.
١٨ ـ السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، ص١٧١.
١٩ ـ طه عبد الرحمن: أ ـ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م.

ب . مراتب الحجاج وقياس التمثيل [مقال] مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، ع٩، ,١٩٨٧

٢٠ ــ عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ,٢٠٠٦

٢١ ــ لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة، الجزائر، ٢٠٠٦، ص٧٩.

٢٢ . محمد أحمد الراشد: الرقائق[سلسلة إحياء فقه الدعوة]، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ١٩٨٧.

٢٣ ــ المرادي: الجنى الداني، فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م.

٢٤ . محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٢٥. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٢م.

٢٦ . محمد علي عبد الكريم الرديني: مباحث لغوية، دار الهدى، الجزائر٢٠٠٩م.

٢٧ . ابن مسكويه: الهوامل والشموامل، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٢٨ ــ ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٢٩ . مشيل مايير: اللغة والمنطق والجاج، ترجمة محمد أسيداه، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج٥، ص١٦.

٣٠. النووي، محيي الدين بن شرف: الأربعون النووية، بشرح ابن دقيق العيد، دار الهدى، الجزائر ٢٠٠٢م.

٣١. ابن هشام: مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج١، ص١٨٥.

٣٢ . أبو هلال العسكري:

أ . الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٧، ١٤١١هـ ١٩٩١م

ب . الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٤١. أساليب التأثير عند النبي صلى الله عليه وسلم من خلال السنة المطهرة

د . عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد
(قسم السنة بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله, اللهم صل على من بعثته للناس بشيرا ونذيرا , وارض اللهم عن أصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

فهدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الهدي وسنته مصدر خير للبشر جميعا وهي نبراس يستضيء به من هدى الله قلبه وأنار بصيرته فلقد جعل الله فيه من صفات الكمال ونعوت الجمال ما يكون منارا للسائرين وقدوة للمهتدين. هذه الصفات التي وهبها الله له جعلته يؤثر في أمة جاهلية فيجعل منها أقوى الأمم كأنما نفخ فيها الروح فهبت بإذن ربها لتقود العالم إلى الخير والنور والفلاح. لقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيلاً فريدا غذّاه بنور الإيمان وصبغه بصبغة القرآن فملأ العالم بنوره وخيره وصدق من قال:

كانوا رعاة جمال قبل نهضتهم .....وبعدها ملأوا العالم تمدينا

لو كبرت بأرض الصين مئذنة.... ....سمعت في الغرب تهليل المصلينا

ولقد أنصف وصدق (مايكل هارفت) عندما جعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الأول في عظماء العالم الذين كان لهم أبلغ التأثير وذلك في كتابه " الخالدون المائة". فلنقف على(أساليب [1] التأثير عند النبي صلى الله عليه وسلم من خلال السنة المطهرة) والذي جعلته عنوان بحثي للمشاركة في مؤتمر حول الحديث النبوي الشريف الذي سيقام في ترفاندرام - كيرالا، الهند

ولقد تعرضت للموضوع من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في التأثير: التكرار

المبحث الثاني: من أساليب النبي صلى الله عليه في: التأثير تغير الوجه

المبحث الثالث: من أساليب النبي صلى الله عليه في: التأثير الأخذ باليد

المبحث الرابع: من أساليب النبي صلى الله عليه في: التأثير التبسم

المبحث الخامس: من أساليب النبي صلى الله عليه في:التأثير ضرب المثل

المبحث السادس: من أساليب النبي صلى الله عليه في:التأثير رفع الصوت

المبحث السابع: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: تحريك اليد

المبحث الثامن: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: تغيير الجلسة

المبحث التاسع: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: التلطف والترفق بالجاهل

المبحث العاشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: توفير البيئة المناسبة

---

[1] قال في الجمهرة:والأسلوب: الطَّرِيق وَالْجمع أساليب. وَيُقَال: أَخذ فلَان فِي أساليب من القَوْل أَي فنون مِنْهُ. (جمهرة اللغة ٣٤١/١)

المبحث الحادي عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:الإدناء والدعاء
المبحث الثاني عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:التعنيف
المبحث الثالث عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:الزيارة
المبحث الرابع عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:التنفير
المبحث الخامس عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: الرسم على الأرض
المبحث السادس عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:التذكير
المبحث السابع عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:الإقناع
المبحث الثامن عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: القصة
المبحث التاسع عشر: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:الإغلاظ والعقوبة
المبحث الحادي والعشرون: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:استعمال الإشارة
والموضوع قد يحتاج إلى مزيد بسط والسنة النبوية مورد عذب يروي جميع الباحثين وكنز عظيم للطالبين وفقنا الله لاتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأول: من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في التأثير: التكرار

لاشك أن المتكلم إذا كرر الكلام فهو يهدف إلى أمر زائد يريده من السامعين وهذا ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم أن يفهم عنه وأن يحفظ عنه وأن يؤخذ كلامه مأخذ الجد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان «إذا سلم سلّم ثلاثا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا» رواه البخاري [١] وكان من فقه الإمام البخاري أ بوب على هذا الحديث بقوله باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه قال المهلب(أحد شرّاح البخاري): أما تسليمه صلى الله عليه ثلاثا وكلامه ثلاثا فهو ليبالغ في الإفهام والإسماع، وقد أورد الله ذلك في القرآن فكرر القصص والأخبار والأوامر ليفهم عباده، وليتدبر السامع في المرة الثانية والثالثة ما لم يتدبر في الأولى، وليرسخ ذلك في قلوبهم. والحفظ إنما هو تكرر الدراسة للشيء المرة الواحدة، وقول أنس: أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا. يريد في أكثر أمره، وأخرج الحديث مخرج العموم، والمراد به الخصوص.[٢]

وقد يكون التكرار لأجل التعنيف على المخاطب وردعه وتعظيم خطر فعله عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. متفق عليه [٣]

لفد كان صلى الله عليه وسلم يهدف من ها التكرار التعنيف والتشنيع على فعل أسامة رضي الله عنه مع أنه اعتذر بأن الرجل إنما كان متعوذا يعني أنه قال االشهادة ليسلم من القتل لكنه صلى الله عليه

---

[١] البخاري (١٧٣/٢) ح:٢٦٤٥
[٢] شرح ابن بطال (٢٥/٩)
[٣] رواه البخاري (١٤٥/٣) ح:٤٢٦٩ ومسلم (٩٦/١) ح:١٥٨

وسلم أراد أن يقرر للأمة مبدأ الأخذ بالظاهر وحمل الناس على ظواهرهم وسرائرهم إلى الله العليم بذات الصدور وهذا المبدأ قررته نصوص أخرى كثير

المبحث الثاني: من أساليب النبي صلى الله عليه في: التأثير تغير الوجه

لقد كان من أسلوبه صلى الله عليه وسلم -مما يكون له أثر بالغ على أصحابه -أن يتغير وجهه فتظهر على صفحة وجهه أثر الكراهة وقد يزداد ذلك التغير مع شدة غضبه فيحمر وجهه وقد تشتد الحمرة بحسب الأمر حتى يشبهه الراوي بقوله " كأنما يفقأ في وجهه حب الرمان"[1] ومن أمثلة تغير وجهه صلى الله عليه وسلم ما ورد عن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟»، فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاختطب، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت، فقطعت يدها، قال يونس: قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، " متفق عليه [2] فانظر كيف تأثر أسامة رضي الله عنه فبادر إلى طلب الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا أدب ومنقبة له رضي الله عنه

وقد يتغير وجهه صلى الله عليه وسلم دون أن يتكلم فيعرف ذلك أصحابه رضي الله عنهم

عن أبي موسى، قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم، عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: «سلوني عم شئتم» فقال رجل: من أبي؟ قال: «أبوك حذافة» فقام آخر فقال: من أبي؟ يا رسول الله قال: «أبوك سالم مولى شيبة»، فلما رأى عمر ما في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغضب قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله. » وفي رواية فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: رضِينَا بِاللَّه ربًّا وبالإِسْلامِ دِيناً وبمُحَمَّدٍ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم نَبِيًّا، فَسَكَتَ. متفق عليه [1] في شرح ابن بطال قال:فإنما سأله عن ذلك، والله أعلم، لأنه كان نُسب إلى غير أبيه إذا لاحى أحدًا فنسبه النبي، (صلى الله عليه وسلم)، إلى أبيه. وفيه: فهم عمر وفضل علمه، لأنه خشي أن يكون كثرة سؤالهم له كالتعنيت له، والشَّك في أمره (صلى الله عليه وسلم) ألا ترى قول عمر: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، فخاف أن تحل بهم العقوبة، لتعنيتهم له (صلى الله عليه وسلم) ولقول الله تعالى: (لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء

---

[1] ورد ذلك في حديث لما خرج على أناس يتخاصمون في القدر رواه ابن ماجة في سننه (٣٣/١) ح: ٨٥ قال البوصيري في الزوائد :إسناده صحيح .وأخرجه أيضا أحمد في المسند (٢٥٠/١١) ط: الرسالة

[2] البخاري (١٥١/٥) مسلم (١٣٣١/٣)

(١) صحيح البخاري(٣٠/١) صحيح مسلم (١٨٣٤/٤) ح:٢٣٦٠

إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) [المائدة: ١٠١] . وقد جاء معنى هذا الحديث بَيِّنًا عن ابن عباس، قال: كان قوم يسألون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استهزاءً، فيقول الرجل: من أبى؟ ويقول الرجل يَضل ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ)الآية كلها، ذكره البخاري في تفسير القرآن.[٢]

ورضي الله عن علي حين فهم ما في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغير ما يكرهه عن علي رضي الله عنه: " أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أُهْدِيَتْ لَهُ حُلَّةٌ سِيَرَاءُ، فأرسل بها إلي، فَخرجت بها، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْغَضَبَ، قَالَ: فقسمتها بين نِسَائِي " رواه البخاري [٣]

وحلة السِّيَراء: هي حلة من حرير. والمراد بقوله: "نسائي"، ما فسره في رواية أبي صالح الحنفي عن علي عند مسلم (٢٠٧١) حيث قال: "بين الفَواطم"، والمراد بالفواطم: فاطمة بنت الني صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم والدة علي، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.[٤]

وقد يكون تغير وجهه صلى الله عليه وسلم بما يسر ويدفع لزيادة الخير والغبطة بالعمل كأن يستنير وجهه ويسفر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد شهدت من المقداد بن الأسود رضي الله عنه مشهدا لأن أكون أنا صاحبه، أحب إلي مما عدل به، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين، فقال: والله يا رسول الله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون} [المائدة: ٢٤] ولكن نقاتل عن يمينك، وعن يسارك، ومن بين يديك ومن خلفك " فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق، وسرّ بذلك رواه البخاري وأحمد [١]

فهذا ابن مسعود يتأثر تأثرا بالغا بهذا الموقف الذي أشرق له وجه حبيبه صلى الله عليه وسلم فيغبط المقداد ويتمنى أن يكون له مثل ذلك الموقف.

المبحث الثالث: من أساليب النبي صلى الله عليه في: التأثير الأخذ باليد

إن أخذ المربي بيد تلميذه أو ابنه أو أخيه ليضفي عليه وارف الظل من الطمأنينة والسكينة والتأثر كيف لو كان الآخذ خير الخلق صلى الله عليه وسلم عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: " ألم يقل الله: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} [الأنفال: ٢٤] . ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد» . ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: {الحمد لله رب العالمين} «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» رواه البخاري[١]

إن المتأمل لهذا الحديث الشريف يجد أن الهدي النبوي لايقتصر على مجرد التلقي واالسرد الجاف وحقن الكلمات بأي طريقة بل كان صلى الله عليه وسلم ينتقي الوعاء المناسب الذي يكون أمكن في

---

[٢] شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٧١/١)

[٣] صحيح البخاري(١٥١/٧) ح:٥٨٤٠

[٤] فتح الباري (٢٩٧/١٠)

[١] البخاري (٥١/٦) ح: ٤٦٠٩ وأحمد في المسند(٢٢٨/٦) واللفظ له وأخرجه النسائي في "الكبرى" (١١١٤٠)

[١] البخاري (١٧/٦) ح:٤٤٧٤

إيصال المراد إلى القلوب ويغلف العلم بأسلوب من التشويق الذي يشحذ الأذهان فلاحظ أنه صلى الله عليه وسلم دعاه وعلمه درساً في الاستجابة بتلاوة الآية عليه ثم استعمل إسلوب التشويق بأن وعده أن يعلمه قبل أن يخرج من المسجد وزاد التشويق بتعظيم المعلوم ثم أخذ بيده وعلمه كل هذا يجعل العلم أمكن في القلوب وأعظم أثراً في النفوس فصلوات ربي على المربي والمعلم الأول والهادي للبشرية جمعاء وفي حديث آخر

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول صلى عليه وسلم أخذ بيده، وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك»، فقال: " أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك "رواه أبو داود والنسائي وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم [٢]

وقد يكون أخذه صلى الله عليه وسلم باليد من باب العطف وإضفاء الحنان والشفقة وهذا له تأثير كبير على الصغار واليتامى يعوضهم حنان الأب وشفقته

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا، استعمل عليهم زيد بن حارثة " فإن قتل زيد - أو استشهد - فأميركم جعفر، فإن قتل - أو استشهد - فأميركم عبد الله بن رواحة " فلقوا العدو، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه، وأتى خبرهم النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: " إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيدا أخذ الراية، فقاتل حتى قتل - أو استشهد - ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل - أو استشهد -، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل - أو استشهد - ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح الله عليه " فأمهل، ثم أمهل آل جعفر - ثلاثا - أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: " لا تبكوا على أخي بعد اليوم ادعوا إلي ابني أخي " قال: فجيء بنا كأنا أفرخ، فقال: ادعوا إلي الحلاق، فجيء بالحلاق فحلق رءوسنا، ثم قال: " أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي " ثم أخذ بيدي فأشالها، فقال: " اللهم اخلف جعفرا في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه "، قالها ثلاث مرار، قال: فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا، وجعلت تفرح له، فقال: " العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟! "[١]

---

[٢] سنن أبي داود(٨٦/٢) ح: ١٥٢٢ وأحمد (٢٢١٢٦)والنسائي (٥٣/٣) ح: ١٣٠٣ وابن خزيمة (٧٥١) وابن حبان (٣٦٦/٥) والحاكم (١٠١٠) وقال : على شرط الشيخين وإسناده عند أبي داود قال: حدثنا عبيد بن عمر بن ميسرة، حدثنا عبد بن يزيد المقرئ، حدثنا حيوة بن شريح، قال: سمعت عقبة بن مسلم، يقول: حدثني أبو عبد الرحمن الحبلي، عن الصنابحي، عن معاذ وهذا إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير عقبة بن مسلم، فقد روى له البخاري في "الأدب المفرد" وأبو داود والترمذي والنسائي، وهو ثقة. (تهذيب التهذيب ٢٤٩/٧)

[١] أخرجه أحمد في المسند (٢٧٨/٣) قال:حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، قال: سمعت محمد بن أبي يعقوب، يحدث عن الحسن بن سعد، عن عبد الله بن جعفر وهذا إسناده صحيح رواته ثقات على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الحسن بن سعد، وهو بن معبد القرشي الهاشمي الكوفي مولى علي بن أبي طالب فمن رجال مسلم.(تهذيب الكمال ١٦٣/٦) ومحمد بن أبي يعقوب: هو محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب، نسب هنا إلى جده.وأخرجه بتمامه ابن سعد ٣٦/٤-٣٧، والنسائي في "الكبرى" (٨٦٠٤) من طريق وهب بن جرير، بهذا الإسناد. وليس عند النسائي قوله: "فجاءت أمنا فذكرت له ... " إلى آخر الحديث.

المبحث الرابع: من أساليب النبي صلى الله عليه في: التأثير التبسم

الابتسامة لها أثر كبير على النفوس تبعث الانشراح والطمأنينة والحب وتفتح مغاليق القلوب وهذا أمر تشهد به التجربة والواقع وتسنده الفطرة قال أحد الباحثين:الابتسامة معدية، وبمجرد أن تبتسم أكثر من مرة تجد أن الشخص بدأ يبتسم معك، وعندما يبتسم الشخص تجد أن كل جزء داخله يدعو لك ؛ لأنك عندما ابتسمت جعلته يبتسم، وبالتالي فكل جزء فيه ارتاح واسترخى؛ فتأخذ حسنات على كل مكان بداخله، تأخذ حسنة من الكبد، وأخرى من الطحال، وثالثة من الكلى ... وهكذا كل مكان تأخذ عليه حسنات، وهذا يسمى عند علماء الصين (الابتسامة الداخلية)، وهذه الابتسامة الداخلية عندما قام العلماء بالبحث فيها وجدوا أنها تولد حامضاً يسمى (الجليكوجين)، هذا الحامض مثل العسل الأسود، فتخيل أنك عندما تبتسم تولد هذا لنفسك، وعندما تجعل الشخص الآخر يبتسم تولد هذا الحامض بداخله، وبالتالي فإن تبسمك في وجه هذا الشخص ليس هو الذي تأخذ عليه حسنة فقط، ولكن كل مكان بداخله تأخذ عليه حسنة؛ لأنها ارتاحت، وعندما ارتاحت أصبحت أفضل، [١] لقد كان صلى الله عليه وسلم كثير الابتسام لأصحابه شهدوا بذلك وتأثروا به في الحديث عن عبد الله بن الحارث بن جزء، يقول: " ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم " رواه أحمد والترمذي [٢]

عن جرير رضي الله عنه، قال: ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي، ولقد شكوت إليه إني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» أخرجه البخاري [١]

لم ينسى هذا الصحابي هذا الابتسامة المستمرة من الحبيب صلى الله عليه وسلم فرواها لمن بعده واعتبرها منقبة وهي إضافة إلى ذلك شهادة بخلقه ورأفته وحسن تعامله عليه الصلاة والسلام

وعن أنس بن مالك الأنصاري - وكان تبع النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه وصحبه - أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في

وأخرجه مختصرا أبو داود (٤١٩٢)، وابن أبي عاصم في"الآحاد والمثاني" (٤٣٤)، والنسائي في "المجتبى" ١٨٢/٨- وسقط من المطبوع: "الحسن بن سعد" وهو ثابت في "الكبرى" (٩٢٩٥) -، وفي "الكبرى" (٨١٦٠) من طريق وهب بن جرير، به. وقوله: "فأشالها" أي: رفعها. وقوله: "جعلت تفرح له" قال ابن الأثير في "النهاية" ٤٢٣/٣: قال أبو موسى: هكذا وجدته بالحاء المهملة، وقد أضرب الطبراني عن هذه الكلمة فتركها من الحديث، فإن كان بالحاء، فهو من أفرحه: إذا غمه وأزال عنه الفرح، وأفرحه الدين: إذا أثقله، وإن كانت بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له، فكأنها أرادت أن أباهم توفي ولا عشيرة لهم، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "أتخافين العيلة وأنا وليهم؟ " والعيلة: الفاقة والفقر والحاجة.

[١] كتاب الطريق إلى الامتياز ص٧٣ لإبراهيم الفقي

[٢] المسند (٢٤٥/٢٩) ح:١٧٧٠٤ قال:حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، عن عبيد الله بن المغيرة، قال: سمعت عبد الله بن الحارث بن جزء،وهو حديث حسن، ابن لهيعة- وإن كان سيئ الحفظ- قد روى عنه هذا الحديث عبد الله بن المبارك وعبد الله بن المقرئ، وروايتهما عنه صالحة، وباقي رجال الإسناد ثقات. حسن: هو ابن موسى الأشيب، وعبيد الله بن المغيرة: هو ابن معيقيب. وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٤٥)، وابن عبد الحكم في "فتوح مصر" ص٣٠٠، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٤٩٧/٢، والترمذي في "السنن" (٣٨/٦) ح: (٣٦٤١)، وفي "الشمائل" (٢٢٧)، وأبو الشيخ في "أخلاق النبي" ص٣٠ و٨٥، والبيهقي في ="الشعب"(٨٠٤٧) من طرق عن ابن لهيعة، بهذا الإسناد. وعند أبي الشيخ من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ وهو وابن المبارك ممن تقوى روايته عن ابن لهيعة.

[١] البخاري(٦٥/٤) ح:٣٠٣٥

الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة «فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفي من يومه» أخرجه البخاري[٢]

لاحظ قوله "ثم تبسم فهممنا أن نفتتن من الفرح" كيف كان أثر هذه الابتسامة في الصحابة رضي الله عنهم

وقد يتبسم صلى الله عليه وسلم ويظهر على وجهه علامات عدم الرضا فيفهم ذلك أصحابه رضي الله عنهم ففي قصة تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن غزوة تبوك ذكر قصة تخلفه إلى أن قال:"حتى جئت، فلما سلمت تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ رواه مسلم [٣]

المبحث الخامس: من أساليب النبي صلى الله عليه في:التأثير ضرب المثل

ضرب المثل له دور في الإقناع وتأثير على المخاطب وهو أسلوب قرآني استعمله الله جلّ جلاله في مواضع من كتابه

عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم [ص:١١٥] قال: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة، لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة» متفق عليه[١]

ورواه مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز، لا تهتز حتى تستحصد»، صحيح مسلم (٢١٦٣/٤) ح:٢٨٠٩

قال الحافظ ابن حجر:قوله كالأرزة بفتح الهمزة وقيل بكسرها وسكون الراء بعدها زاي كذا للأكثر وقال أبو عبيدة: هو بوزن فاعله وهي الثابتة في الأرض ورده أبو عبيد بأن الرواة اتفقوا على عدم المد وإنما اختلفوا في سكون الراء وتحريكها والأكثر على السكون وقال أبو حنيفة الدينوري:الراء ساكنة وليس هو من نبات أرض العرب ولا ينبت في السباخ بل يطول طولا شديدا ويغلظ قال: وأخبرني الخبير أنه ذكر الصنوبر وأنه لا يحمل شيئا وإنما يستخرج من أعجازه وعروقه الزفت . وقال ابن سيده: الأرز العرعر وقيل شجر بالشام يقال لثمره الصنوبر. وقال الخطابي:الأرزة مفتوحة الراء واحدة الأرز وهو شجر الصنوبر فيما يقال وقال القزاز: قاله قوم بالتحريك وقالوا: هو شجر معتدل صلب لا يحركه هبوب الريح ويقال له الأرزن قوله:انجعافها بجيم ومهملة ثم فاء أي انقلاعها تقول جعفته فانجعف مثل قلعته فانقلع ونقل ابن التين عن الداودي أن معناه انكسارها من وسطها أو أسفلها قال المهلب: معنى الحديث أن المؤمن حيث جاءه أمر الله انصاع له فإن وقع له خير فرح به وشكر وإن وقع له

---

[٢] البخاري (١٣٦/١) ح:٦٨٠

[٣] صحيح مسلم(٢١٢٠/٤) ح:٢٧٦٩

[١] البخاري(١١٤/٧) ح:٥٦٤٣ ومسلم ح ٢١٦٣

مكروه صبر ورجا فيه الخير والأجر فإذا اندفع عنه اعتدل شاكرا والكافر لا يتفقده الله باختياره بل يحصل له التيسير في الدنيا ليتعسر عليه الحال في المعاد حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه فيكون موته أشد عذابا عليه وأكثر ألما في خروج نفسه وقال غيره المعنى أن المؤمن يتلقى الأعراض الواقعة عليه لضعف حظه من الدنيا فهو كأوائل الزرع شديد الميلان لضعف ساقه والكافر بخلاف ذلك وهذا في الغالب من حال الاثنين.[1] أقول: وفي الحديث حث على الصبر والثبات وأن ذلك علامة الإيمان

وفي الصحيحين أيضا تشبيه المسلم من حيث النفع بالنخلة

وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.[2]

وفي هذا المثل إيماء إلى التعاون والتكافل ومواساة المؤمنين بعضهم على بعض والرسول صلى الله عليه وسلم بهذا المثال يدفع المؤمن الى الشعور برابطة الجسد الواحد فتتحرك في قلبه عاطفة الحب والإخاء تجاه إخوانه المؤمنين

المبحث السادس: من أساليب النبي صلى الله عليه في:التأثير رفع الصوت

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: «صبحكم ومساكم»، ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطى، ويقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»

رواه مسلم [1]

خطبة الجمعة فرصة شرعية للتذكير والإنذار ووعظ الناس وتنبيه الغافل وتعليم الجاهل ولقد كان صلى الله عليه وسلم يستغلها في هذه الجوانب وغيرها لكن لما كان جانب الإنذار هو الغالب فإنه عليه الصلاة والسلام كان يستعمل لذلك أسلوب رفع الصوت وإظهار الغضب حتى أن عيناه لتحمران لذلك وفي ذلك أبلغ الأثر على سامعيه

عن عبد الله بن عمرو، قال: تخلف عنا النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا - وقد أرهقتنا الصلاة - ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثا. رواه البخاري[2]

من هذا الحديث يتبين أهمية أمر العبادة فلا يتهاون فيها ولما رأى صلى الله عليه وسلم تهاون الناس في الوضوء ماكان منه إلا أن يرفع صوته بالوعيد ويكرر ذلك ليكون أبلغ في التأثير

المبحث السابع: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: تحريك اليد

---

[1] فتح الباري لابن حجر (١٠٧/١٠)

[2] رواه مسلم (١٩٩٩/٤) ح:٢٥٨٦

[1] مسلم (٥٩٢/٢) ح:٨٦٧

[2] البخاري (٢٢/١) ح:٦٠

عن أبي المثنى العبدي، قال: سمعت السدوسي يعني ابن الخصاصية، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبايعه، قال: فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله. فقلت: يا رسول الله، أما اثنتان، فوالله ما أطيقهما: الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر، فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي، وكرهت الموت، والصدقة فوالله ما لي إلا غنيمة وعشر ذود، هن رسل أهلي وحمولتهم. قال: فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، ثم حرك يده، ثم قال: " فلا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذا؟ " قال: قلت: يا رسول الله، أنا أبايعك. قال: فبايعته عليهن كلهن. رواه أحمد[1]

لقد سارع هذا الصحابي رضي الله عنه إلى التراجع عن قوله تأثرا بقول النبي صلى الله عليه وسلم والذي قرنه بحركة يده مبالغة في التأثير

عن عبد الرحمن بن خباب السلمي رضي الله عنه [2]قال: " خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة فقال عثمان: علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم حث. فقال عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث. فقال عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها - وحرف عبد الصمد بيده كالمتعجب - «ما على عثمان ما عمل بعدها» أخرجه الطيالسي وأحمد في المسند[2] واللفظ له

---

[1] أخرجه أحمد رقم(٢١٩٥٢) قال:حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو يعني الرقي، عن زيد بن أبي أنيسة، حدثنا جبلة بن سحيم،عن أبي المثنى به

وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي المثنى العبدي -وهو مؤثر بن عفاذة الكوفي- فلم يرو عنه غير جبلة بن سحيم، وذكره ابن حبان والعجلي في "الثقات"،(تهذيب الكمال ١٥/٢٩) وغير صحابيه بشير بن الخصاصية رضي الله عنه فقد روى له البخاري في "الأدب المفرد" وأصحاب السنن إلا الترمذي.

وأخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٤٥١) من طريق زكريا بن عدي، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٢٣٣)، وفي "الأوسط" (١١٤٨)، والحاكم ٧٩/٢، وأبو

نعيم في "معرفة الصحابة" (١١٧٦)، والبيهقي ٢٠/٩، من طريق عبد الله بن جعفر الرقي، عن عبيد الله بن عمرو الرقي، به.

وأخرجه ابن قانع في "معجم الصحابة" ٨٩/١، والطبراني في "الكبير" (١٢٣٤)، وأبو نعيم (١١٧٦)، والخطيب في "تاريخ بغداد" ١٩٥/١، من طريق قيس بن الربيع، عن جبلة بن سحيم، به. ولم يسق ابن قانع لفظه.

قوله: "جشعت نفسي" قال السندي: أي: فزعت.

"رسل أهلي" الرسل بكسر راء وسكون سين: اللبن.

[2] قال السندي: عبد الرحمن بن خباب السلمي، ذكره ابن حبان من الأنصار، فإن صح،

فالسلمي- بفتح السين- وهو نزيل البصرة، وجاء في رواياته أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم. قيل: إنه ابن خباب بن الأرت، ورد بأن خباب ابن الأرت تميمي، وهذا أسلمي، وليس له حديث غير هذا الحديث الذي ذكره الإمام.

(٢)أخرجه الطيالسي في مسنده (٥١٢/٢) قال:حدثنا سكن بن المغيرة، عن الوليد بن أبي هشام، عن فرقد أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن خباب وأحمد في المسند (١٤١٩) حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدثني سكن بن المغيرة، به وفي سنده "فرقد, أبي طلحة"، قال علي بن المديني: لا أعرفه. "تهذيب"، وقال الذهبي في "الميزان": ما روى عنه غير الوليد بن أبي هشام.

وأخرجه الترمذي في المناقب، مناقب عثمان -رضي الله عنه- رقم "٣٧٠٠"، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث سكن بن المغيرة.وأخرج بعده الترمذي شاهد له (٣٧٠١) من حديث عبد الرحمن بن سمرة

أقول: وتطوع عثمان -رضي الله عنه- لجيش العسرة ثابت من طرق أخرى غير هذا الحديث

المبحث الثامن: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: تغيير الجلسة

عن أبي بكرة، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا فقال - ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه[1]

لما فهم الصحابي رضي الله عنه من تغير جلسته صلى الله عليه وسلم زيادة الاهتمام بما سيقول نقل ذلك في روايته مع أن تغيير الجلسة قد يكون من الأمور الطبيعية للإنسان لكنه هنا اتضح للمخاطبين أنه مقصود لبيان خطر قول الزور وشهادته زاد ذلك تأكيدا أنه كرر اللفظ حتى قال الحاضرون ليته سكت

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم – قال الراوي: أحسبه قال: وأسواقهم - وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود، وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون "، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً، فجلس، فقال: «لا، والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطرا» رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والطبراني [2]

وهذا أيضا واضح أنه قصد به صلى الله عليه وسلم شد الانتباه والاهتمام بما يقوله وحث على تغيير

---

(١) البخاري (١٧٢/٣) ح: (٢٦٥٤) ومسلم (٩٣/١) ح:١٤٣

[2] المسند (٢٥٠/٦) ح:٣٧١٣ قال : حدثنا يزيد، أخبرنا شريك بن عبد الله، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، وأخرجه الترمذي بنحوه (٢٥٢/٥) (٣٠٤٧) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وقال: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٤٥/١٠) ح:(١٠٢٦٥) من طريق إسماعيل بن موسى السدي، عن شريك، به.،وأخرجه ابن ماجه (٤٠٠٦)، والطبري في "التفسير" (١٢٣١٠) كلاهما من طريق محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، وأبو داود (٤٣٣٦) من طريق يونس بن راشد، والطبري في "التفسير" (١٢٣٠٧) من طريق عمرو بن قيس الملائي، وأيضا الطبراني في "الكبير"= =(١٠٢٦٤) من طريق الأعمش، و (١٠٢٦٦) من طريق مسعر، خمستهم عن علي بن بذيمة، به. وأخرجه الترمذي أيضا (٣٠٤٨)، والطبري في "التفسير" (١٢٣٠٩) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، والطبري أيضا (١٢٣١١) من طريق وكيع، كلاهما عن سفيان الثوري، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

○ والحديث في إسناده عند أحمد شريك وهو ابن عبد الله القاضي وهو سيء الحفظ لكن تابعه خمسة كما سبق وفيه أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود يروي عن أبيه وهو ثقة مشهور بكنيته، والأشهر أنه لا اسم له، ويقال: اسمه عامر، حديثه عن أبيه في السنن، وعن غير أبيه في الصحيح.

واختلف في سماعه من أبيه، والأكثر على أنه لم يسمع منه، وثبت لقاؤه له وسماع كلامه، ورجح ابن حجر أنه لا يصح سماعه من أبيه.

أقول: ذهب كثيرون إلى قبول روايته عن أبيه؛ لأنه اخذ أحاديث أبيه عن كبار أصحابه، وأصحاب أبيه ثقات، وممن قبل روايته عن أبيه علي بن المديني (كما في فتح الباري لابن رجب :١٨٧/٥)، وكذالك الإمام النسائي (كما في النكت لابن حجر:٣٩٨/١)، (وكما في البحر الذي زخر للسيوطي: ٩٧٩/٣)، وكذالك صرح بصحتها الدار قطني (كما في السنن:١٤٥/١)رقم(٤٤)وما بعدها، وانظر (العلل: ٢٩/٥.).

قال ابن رجب رحمه الله: أبو عبيدة لم يسمع من أبيه، لكن رواياته عنه أخذها عن أهل أبيه، فهي صحيحة عندهم" اهـ فتح الباري (١٤/٦)، ونحو هذا ذكره ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٤،٤/٦). توفي أبو عبيدة بعد سنة ثمانين، روى له الجماعة أما علي بن بذيمة فهو وإن كان رأسا في التشيع إلا أن أكثر العلماء على توثيقه وثقه ابن معين وأبوزرعة والنسائي والعجلي وابن سعد وغيرهم قال الذهبي: شيعي ثقة .انظر تهذيب الكمال (٣٢٩/٢٠) والكاشف (٣٥/٢)

فيتبين لي مما سبق أن الحديث قوي ولا تضر الرواية المرسلة التي أوردتها في التخريج فالأكثر على وصله وهم أئمة حفاظ .

المنكر وعدم مداهنة أهله لئلا تصاب الأمة بما أصيب به بنو إسرائيل

المبحث التاسع: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: التلطف والترفق بالجاهل.

من أمثلة ذلك عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: (بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم . فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أماه ما شأنكم تنظرون إلي وجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ماريت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ماكهرني ولا شتمني قال: (إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الناس إنما هي للتسبيح والتكبير وقراءة القرآن)أخرجه مسلم[١]

فانظر لحسن الخلق والحكمة والرفق في التوجيه والتلطف من المربي العظيم صلى الله عليه وسلم

وعن أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي فدخل المسجد ثم صلى ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً . ثم لم يلبث أن بال في طائفة المسجد فقام الناس إليه لينهروه فقال صلى الله عليه وسلم: لاتزرموه، دعوه فلقد بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين. قال فتركوه حتى بال ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه ثم قال:"إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن؛ ثم دعا بذَنُوب من ماء فصُبَّ على بوله"أخرجه الجماعة بألفاظ متقاربة [٢]

ولقد كان لهذا التعليم الحكيم والمعاملة الحسنة أثرها في نفس ذلك الأعرابي فها هو يروي قصته ويقول كما روى أبو هريرة قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه: (فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلي بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب) أخرجه ابن ماجة [٢]

المبحث التاسع: من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير: التلطف والترفق بالجاهل

كان عليه السلام قمة سامقة في الأخلاق السامية حتى شهد له بذلك القرآن الكريم قال تعالى: ((وإنك لعلى خلق عظيم)) [سورة القلم / آية: ٤] وقال تعالى: ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)) لل[سورة التوبة / أية: ١٢٨] فقد أدب الله ﷻ نبيه بآداب حسنة، وجعل له برحمته هذه الأخلاق العالية ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك))[سورة آل عمران / آية: ١٥٩]وكان صلى الله عليه وسلم يتلطف مع السائل ويرفق بالجاهل من أمثلة ذلك عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: (بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم . فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم

---

[١] صحيح مسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة ب: تحريم الكلام في الصلاة (٣٨١/١) ح:٥٣٧

[٢] البخاري (ك: الأدب ب: قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا (/٥٢٤، ٥٢٥)ومسلم (ك: الفضائل ب: مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام (١٨١٣/٤)

فقلت: واثكل أماه ما شأنكم تنظرون إلي وجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي مارأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ماكهرني ولا شتمني قال: (إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الناس إنما هي للتسبيح والتكبير وقراءة القرآن)أخرجه مسلم[1]

فانظر لحسن الخلق والحكمة والرفق في التوجيه والتلطف من المربي العظيم صلى الله عليه وسلم

وعن أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي فدخل المسجد ثم صلى ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً . ثم لم يلبث أن بال في طائفة المسجد فقام الناس إليه لينهروه فقال صلى الله عليه وسلم: لاتزرموه، دعوه فلقد بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين. قال فتركوه حتى بال ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه ثم قال:"إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن؛ ثم دعا بذَنُوب من ماء فصُبَّ على بوله"أخرجه الجماعة بألفاظ متقاربة [1]

ولقد كان لهذا التعليم الحكيم والمعاملة الحسنة أثرها في نفس ذلك الأعرابي فها هو يروي قصته ويقول كما روى أبو هريرة قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه: (فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلي بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب) أخرجه ابن ماجة [2]

المبحث العاشر:من أساليب النبي صلى الله عليه في التأثير:الإدناء والدعاء

قد يأتي الصحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه قد يهابه أو يستحي من القرب منه فهنا يدعوه صلى الله عليه للدنو ويدعو له مما يكون له الأثر العظيم عليه

عن زياد بن الحصين، عن أبيه قال: لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادن مني» فدنا منه، فوضع يده على ذؤابته ثم أجرى يده، وسمت عليه ودعا له. رواه النسائي [1]

عن علي قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأنا شاب، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم أقضي بينهم ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: «ادن»، فدنوت، فضرب يده على صدري فقال: «اللهم

---

[1] صحيح مسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة ب: تحريم الكلام في الصلاة (٣٨١/١) ح:٥٣٧

[1] البخاري (ك: الأدب ب: قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا (/٥٢٤، ٥٢٥)ومسلم (ك: الفضائل ب: مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام (١٨١٣/٤)

[2] ابن ماجة (ك: الطهارة رقم٥٢٢ وأحمد حديث رقم (١٠١٢٩)

[1] سنن النسائي (١٣٤/٨) ح:٥٠٦٥ قال: أخبرنا إبراهيم بن المستمر العروقي، قال: حدثنا الصلت بن محمد، قال: حدثنا غسان بن الأغر بن حصين النهشلي، قال: حدثني عمي زياد بن الحصين، عن أبيه وهذا الإسناد لا بأس به إبراهيم بن المستمر صدوق تهذيب الكمال (٢٠١/٢) الكاشف(٢٢٥/١) والصلت بن محمد روى له البخاري وقال أبوحاتم :صالح الحديث, تهذيب الكمال(٢٢٩/١٣) وبقية رواته ثقات وقد صححه الألباني رحمه الله

اهد قلبه، وثبت لسانه»، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين.[٢]

ولهذا الأسلوب أمثلة كثيرة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يستعمله كثيرا ومما سيأتي في مبحث آت حديث الرجل الذي طلب الإذن له بالزن.

[٢] فضائل الصحابة للإمام أحمد (٥٨٠/٢) ٩٨٤قال: ثنا ابن نمير، نا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن علي وهذا حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن أبا البختري- واسمه سعيد بن فيروز- لم يسمع من علي شيئا، لكن له طريق أخرى متصلة سأشير إليها وأخرجه النسائي في "خصائص على" (٣٢) من طريق يحيى، بهذا الإسناد.وأخرجه ابن سعد ٣٣٧/٢، وابن أبي شيبة ١٧٦/١٠ و٥٨/١٢، وعبد بن حميد (٩٤)، وابن ماجه (٢٣١٠)، والبزار (٣٠٧/٢) ح:(٩١٢)، والنسائي في "خصائص علي" (٣٣) و (٣٤)، ووكيع محمد بن خلف في "أخبار القضاة" ٨٤/١، وأبو يعلى (٤٠١)، والحاكم(١٣٥/٣) من طرق عن الأعمش، به.

٤٢. الحديث النبوي والدعوة الإسلامية المعاصرة

بسيوني نحيلة

(أستاذ مساعد – قسم الدعوة والإعلام – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر)

الحديث النبوي هو مصدر الدعوة الأول ومرجعها الأساسي مع القرآن الكريم. فأقواله صلى الله عليه وسلم : هي أحكام الدعوة و قواعدها العتيقة، كما أنها إرشادات وتوجيهات للدعاة في كل زمان ومكان. وأفعاله صلى الله عليه وسلم :هي تطبيقات الدعوة العملية الأصيلة،كما أنها النماذج الحية المصاحبة للدعاة في كل المواقف و الأحوال. وتقريراته صلى الله عليه وسلم: هي فقه الدعوة المرن الذي يقتبس الدعاة منه فقه الواقع والمتغيرات. وأوصافه صلى الله عليه وسلم : هي آداب الدعوة وسمتها الفريد الذي على منواله ينسج الدعاة طريقهم المتميز نحو القلوب و الأرواح.

والدعوة المعاصرة - فيما تنشده من مسايرة للعصر في مستجداته المتلاحقة، ومخاطبة أطياف المدعوين على اختلاف مشاربهم العقدية والفكرية، وفي طرق إعداد وتأهيل الدعاة لمواجهة التحديات العاتية المتسارعة - تحتاج أن تعود إلى النموذج النبوي الذي جمع بين النظرية والتطبيق في الدعوة ؛ وذلك لتصحيح المسار أولا، ولضبط عملية الحراك الدعوي المتنوع ثانيا، ثم لاستنباط الوسائل والأساليب الدعوية التي يحتاج إليها العصر الحاضر حتى تأخذ الدعوة مكانها المرموق الذي تستأهله بين الدعوات الأخرى التي لا تملك المصدر الرباني ولا النموذج النبوي .

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة التي تهدف إلى إظهار أهمية الحديث النبوي في الدعوة المعاصرة، وذلك من خلال تحديد الرسالة الدعوية في قواعدها وأصولها، وبيان أهم خصائصها الثابتة والمتغيرة، وصياغة شخصية الداعية المعاصر، وإمداده بالحجج والوسائل المؤثرة التي تؤهله لإقناع مدعويه وإفحام مخاصميه.

كما أنه لا يخفى ما يحمله لفظ الحديث النبوي وعباراته من إعجاز متنوع، وحقائق باهرة، وقصص شيق، وأمثال معبرة، وحكم بالغة هي في جملتها من أنجع وسائل الدعوة و أشدها تأثيرا، وخاصة في العصر الحاضر الذي كثر فيه الفكر والمفكرون، والمذاهب والمتمذهبون .

وحتى يحقق الحديث النبوي هذا المقصد الدعوي المُلح في العصر الحاضر لابد أن تختلف طرق تناوله ودراسته في محيط الدعوة والدعاة، وكذلك طرق عرضه بين المدعوين. وبهذا يبقى الحديث النبوي بقدسيته نبعا صافيا، ومصدرا باقيا لتطوير أداء الدعوة و نهضة دعاتها في كل العصور والأزمنة.

٤٣. تقرير ندوة : لغة الحديث وفلسفته ودراساته

د. تاج الدين المناني

(الأمين العام للندوة، محاضر بقسم اللغة العربية بجامعة كيرالا، الهند)

بسم الله الرحمن الرحيمO الحمد لله رب العالمينO وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدينO

لأهمية السنة النبوية الشريفة في التشريع الاسلامي، ودورها الحضاري والمعرفي في مواجهة التحديات، وانطلاقاً من موقع المسؤولية، وتماشياً مع ما يشهده قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا (الهند) من تطور مستمر وتفعيل للقدرات والخبرات، وحرصاً منها على التواصل الفكري المنتج، وتبادل الآراء والمقترحات من خلال المشاركة في المؤتمرات العلمية المختصة، فقد رأى – هذا العام – عقد ندوة دولية علمية خاصة بالسنة النبوية بعنوان "لغة الحديث وفلسفته ودراساته" في ١٤ - ١٨ فبراير ٢٠١٢م للتدارس وتحفيز الجهود المخلصة لتقييم ما تشهده الساحة من دراسات ونشاطات متخصصة حول هذا الموضوع، وللتوصل إلى المنهج الأمثل في التعامل مع السنة النبوية الشريفة على جميع المستويات، كما عقد القسم ندوة دولية حول القرآن الكريم بعنوان "لغة القرآن وتفاسيره وعلومه" في ٢٩، ٣٠ أبريل و١ مايو ٢٠١٠م و تفضل فيها عددمن العلماء الكبار من مختلف أنحاء العالم.

وسعيا لتوسع المشاركة في هذا العمل قامت اللجنة التحضيرية بمراسلة معظم الجامعات العربية والإسلامية وعدد من المؤسسات العلمية ذات الصلة،من اجل دعوة السادة أصحاب الاختصاص للمشاركة في الكتابة في محاور المؤتمر المقترحة، وقد استجاب مشكوراً عدد منهم، وشارك فيها العلماء والأساتذة والدكاترة والباحثون في الحديث النبوي من الجامعات والمعاهد الإسلامية والكليات العربية من داخل الهند وخارجها من ٢١ بلد أكثر من ١٥٠ مشاركا. ومنهم ٨٢ قدموا مقالاتهم البحثية والعلمية فيها. حيث جاءت مشاركاتهم موزعة على سبعة موضوعات رئيسة هي:

١. لغة الحديث النبوي
٢. المظاهر الأسلوبية والسردية والسيميائية للحديث النبوي
٣. كتب تفسير وتأويل الحديث النبوي
٤. ترجمة الحديث النبوي إلى لغات العالم وضمنها اللغة الهندية
٥. مناهج الحديث المختلفة
٦. تفاسير الحديث وعصورها
٧. الفلسفة والمعرفة التي تقدمها الحديث
٨. إعداد التقارير وصحة الحديث
٩. إصدارات الحديث عبر الإنترنت
١٠. حادثة ٠٩/١١، وانتشار القرآن والحديث في الغرب وبقية العالم بعدها
١١. التفاسير المعاصرة والحديثة للحديث
١٢. محاولات التشويه والإضافات – والحديث الموضوعي

١٣. العلاقات بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية
١٤. مرجع الكون / الأرض / المحيطات / السماء / المواسم / الجحيم والسماء
١٥. وغيرها من المتعلقات الخاصةبالحديث النبوي

ومن نتائج هذه الندوة أنها فتحت ابوابا جديدة إلى البحث والمناقشة في طول الهند وعرضها في مختلف مجالات الأحاديث النبوية اذأنها كانت كنزا مخفيا لدى العلماء الكرام فقط. وألقى العالم الكبير السيد محمد رابع الحسني الندوي خطبة إفتتاحية جذابة. وأورد فيها قول العلامة السيد رشيد رضا منشئ مجلة "المنار" في مقدمة "مفتاح كنور السنة" اذقال: "لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة". وقد عرف علماء الهند بشغفهم بالعلوم الدينية وانتهت إليهم رئاسة التدريس والتأليف في فنون الحديث وشرح متونه ومجاميعه، وسلمت زعامتهم في هذا الموضوع في العهد الأخير.

وفي المؤتمر من أوله إلى آخره أتقن العلماء العرب مساهمة الهند في نشر التراث العربي والإسلامي حتى أن بعضهم قالوا وبدأ فجر الإسلام يطلع على الهند وبدأت أشعته تغمر هذه البلاد الرحبة الفسيحة، ولم يكن ذلك في وقت متأخر عن صدر الإسلام، وإنما كان في عهد الخلافة الراشدة الذي بدأ فيه الإسلام يزحف شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وبدأت موجاته تجتاز الحدود والسدود معلنة في الدنيا كلمة الله ومبشرة بدينه. ولم تكن شبه جزيرة الهند منقطعة عن جزيرة العرب منزل الوحي ومهبط الرسالة ومشرق النور، فقد كان ثمة تجارة بين العرب والهند منذ أقدم العصور. فقد كان تجار العرب يرتادون شواطئ الهند الغربية ويمرون بها إلى جزيرة سرنديب حتى يصلوا إلى شواطئ الهند الشرقية، ومن هناك كانوا يبحرون إلى الصين، وبقيت هذه الصلات التجارية قائمة حتى جاء الإسلام فدخل الهند في العهد المبكر مع التجار المسلمين العرب.

وافتتح هذه الندوة المباركة الوزير الأعظم لولاية كيرالا أومان شاندي وشارك فيها عدد من أعضاء البرلمان الهندي والوزراء من الوزارة المركزية والولايية. وهكذا كانت هناك جلستان خاصتان للنساء اللاتي يعملن في مختلف المجال. والأولى أكادمية والأخرى إجتماعية. وكذلك كانت هناك جلسات لعامة الناس ليفهموا دراسات الحديث النبوي الشريف. والجلسة الحاصة كانت لغير المسلمين اذيلقوا خطباتهم حول موضوع "الرسول الذي عرفته". ومن المشاركين من خارج الهند:

١. أ. د. إبراهيم الريس، المملكة العربية السعودية.
٢. أ. د. أحمد عبد القادر الشاذلي جامعة المنوفية، مصر.
٣. أ. د. أحمد فكير، جامعة ابن زهر، السودان.
٤. أ. د. المكي أقلانية جامعة برونيا، بروناي.
٥. أ. د. أنبياء يلديريم جامعة الجمهورية التركية.
٦. أ. د. جلال الدين جامعة سيريلانكا.
٧. أ. د. عبد الماجد نديم الجامعة الباكستانية.

٨. أ. عبد الرزّاق بن عمر المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بتونس.
٩. أ. محمد عبد الغني علوان النبهاري، الجامعة الإسلامية، اليمن.
١٠. د. أحمد بن بالقاسم جعفري، الجامعة الإفريقية أدرار، الجزائر.
١١. د. أحمد محمود قعدان، أكاديمية القاسمي - فلسطين.
١٢. د. تهاني الصفدي، جامعة الأمير سلطان، كلية البنات
١٣. د. جميل بني عطا جامعة الزرقاء، الأردن.
١٤. د. خديجة زبار الحمداني، جامعة بغداد.
١٥. د. رزاق الطيار، جامعة الكوفة، العراق.
١٦. د. رقية بنت محمد المحارب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض، السعودية.
١٧. د. سعد الدين منصور محمد الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.
١٨. د. عادل فتحي رياض جامعة الإمارات العربية المتحدة.
١٩. د. فراس محمد إبراهيم الجامعة الإسلامية بغداد، العراق، مقيم بالأردن.
٢٠. د. كبري روشنفكر جامعة تربيت مدرس ايران.
٢١. د. مجدي عز الدين حسن سعد ،جامعة النيلين سودان.
٢٢. د. محمد إحسان الله مياه الجامعة الإسلامية بنغلاديش.
٢٣. د. محمد الأمين خلادي جامعة أدرار الجزائر.
٢٤. د. محمد عبدالله علي العبيدي جامعة قطر.
٢٥. د. مسعود أجيبولا عبد الرحيم كلية التربية إلورن، نيجيريا.
٢٦. السيد حسن يوسف شهاب الدين، مدرس مادة الفيزياء، سوريا.

ومن الأمور الجذابة لهذه الندوة المباركة العلماء الهنود الماهرون في مجال القرآن والحديث واللغة والفلسفة مثل الدكتور حمزة المليباري الذي يعمل في البلاد الخليجية والدكتور ثناء الله الندوي من جامعة عليكره وغيرهما. عقدت لجنة التوصيات جلستها بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٣هـ الموافق لـ ١٨ فبراير ٢٠١٢م في الساعة الخامسة مساءا ؛ بمكتب قسم اللغة العربية ،جامعة كيرالا،ترافندرام ، الهند، وذلك بتدبيج التوصيات والمقترحات المتعلقة بحوصلة الأشغال العلمية التي تمت في جلسات الندوة الدولية حول الحديث النبوي الشريف: لغة الحديث وفلسفته ودراساته المنعقد طوال أيام التنادي المبارك من تاريخ ٢١ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ الموافق لـ ١٤ فبراير ٢٠١٢ م، إلى غاية ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ الموافق لـ ١٨ فبراير ٢٠١٢ م.

أكد هؤلاء الأعضاء وغيرهم من المشاركين على النجاح الكامل في كل المستويات، مع تسجيل رضا كل الأطراف، راجين من الله تعالى أن يسدد خطى الجميع في المستقبل إن شاء الله، وقد بلغت الندوة قمة الفاعلية والتنظيم المحكم، وللاشارة قد بلغ عدد البحوث المرسلة ٢٥٠ بحث، ثم تم تقديم ٨٢ بحثا من ١٦ دولة وأكثر من ١٦ جامعة، وبمشاركة ٢٥ أستاذا من الهند؛ ثم سطر المعنيون التوصيات والاقتراحات التالية، كي تجسد فعليا عما قريب بإذنه تعالى :

١. مواصلة هذه السبيل الناجحة في إثراء الموضوعات للندوات المستقبلية إن شاء الله.
٢. ضرورة إشراك الطلبة بإعطائهم قسطا من الوقت لأسئلتهم.
٣. توزيع الملخصات والبحوث على كل الأساتذة المشاركين عبر البريد الإلكتروني؛ قبل انعقاد الندوة بأسبوعين أو أكثر، قصد اغتنام وقت أكثر في إلقاء الورقات.
٤. يجب تأخير المناقشات بعد تمام ورقات كل جلسة، مع توزيع وقت منصف بين الطلبة والأساتذة.
٥. نشر المقالات في الموقع الالكتروني للندوة بجامعة كيرالا.
٦. طبع أعمال الندوة.
٧. التفطن لطلب الإعانات قبل البدء في الإعلان عن الندوة بزمن يكفي للمتطوعين والمتبرعين.
٨. تقليص وقت إلقاء الورقة وتحديد عدد المناقشين بعد كل جلسة، بإتقان من رئيس الجلسة والمنظمين، حتى تتاح فرصة للراحة والصلاة أكثر بين الفترة الصباحية والمسائية.
٩. ضرورة إعادة النظر في طرائق تعلم اللغة العربية وتدريسها للطلبة في الديار الهندية من خلال المناهج التربوية المعنية.
١٠. جميل أن تصطحب بعض الورقات المكتوبة بغير العربية بالترجمة الموجزة على الأقل، والأمر نفسه في المجلة المكتوبة.
١١. التفكير في بناء موسوعات للحديث الشريف وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم والسنة المطهرة باللغة العربية وغيرها.
١٢. التزام الباحث بتدقيق مداخلته قبل الطبع.
١٣. مراعاة العدالة في توزيع الأوقات لعرض الورقات بين الأساتيذ والجلسات.
١٤. حضرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا مثيل لها في نظام التدريس والتعليم عالميا؛ من أجل ذلك يرجى إعادة النظر الحصيف في إلقاء كل أستاذة مشاركة بحثها علنا في الجلسات العلمية.
١٥. إنشاء موقع إلكتروني للبيان النبوي ودراساته، وتأسيس مجلات دولية محكمة في الشأن نفسه مع ضرورة توجيه الطلبة لدراسة الخطاب النبوي.
١٦. العناية بتعميق الطرح والتطبيق والاستنتاج مع التركيز والدقة؛ بعيدا عن المقدمات والاستطردات والوصف والتنظير والتكرار.
١٧. من مسؤولية الجامعات دراسة لغة الحديث والأساليب النبوية في التربية
١٨. إنشاء مراكز ومعاهد مستقلة لدراسة السنة ونشرها.

وأما عن المقترحات فهي:

١. إقتراح ندوة للخلفاء الراشدين، أو ترتيب مجموعة ندوات حسب الخلفاء لكل ندوته، ثم التفكير في ندوات متسلسلة تخص الصحابة الأجلاء والتابعين الكبار والأئمة الأعلام ثم علماء الأمة.
٢. جميل هذا التقليد؛ وهو إشراك بعض المسؤولين والأساتيذ والرسميين في إلقاء كلماتهم الطيبة،

وكذا توزيع الهدايا عليهم وعلى المشاركين؛ لكن شريطة ضبط زمن كاف، ولا يكون ذلك التقليد على حساب الأوقات في الجلسات.

٣. التفكير في مجمع علمي عالمي للسنة المطهرة وبيانها، مع تخصيص جائزة للعلماء المهتمين وتكريمهم، وبالأخص المهتمين بالترجمة من العربية إلى لغات العالم.
٤. ضرورة إنشاء مراكز بحثية نفسية تعنى بالبحث في الطرق النبوية لبناء الشخصية بناء متكاملا.
٥. ضرورة نشر السنة عبر القنوات الإعلامية
٦. كان يمكن أن يشارك في المؤتمر إحدى الجامعات الخليجية ليكون التمويل أقوى

كتاب المؤتمر

وقد نشر قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا المجلد الأول لكتاب المؤتمر حيث جمع فيه ٣٢ مقالات مختلفة. والآن ننشر المجلد الثاني ويكون هناك مجلد آخر لكتاب المرتمر ويريد القسم أن ينشره في أقرب وقت بمشيئة الله. ونشر في هذه الندوة كتابا مؤتمر القرآن السابق في ٢٠١٠م (لغة القرآن وتفاسيره وعلومه) في اللغة العربية والإنجليزية وكتاب مؤتمر حول (التبادل الثقافي والاجتماعي بين كيرالا والإمارات العربية المتحدة). وقيمة هذه المجموعة الأربعة ٢٠٠٠ روبية هندية أو١٠٠ دولار أمريكي.

وكانت هناك جولة للمشاركين إلى البحيرة بكولم حيث تناولوا أطعمة لذيذة محلية هندية في القارب الذي ركبوا فيه. لجمهور المشاركين كانت تلك السياحة أول تجربة في حياتهم. وأعلن بعض الأدباء المشاركين خلال الجولة بأنهم سيكتب عن هذه الجولة الجذابة. وبالجملة رأى أهل كيرالا ندوة دولية حقيقية أول المرة في كيرالا.

أسماء المشاركين وورقاتهم في الندوة الدولية حول الحديث النبوي الشريف في كيرالا، الهند	
١.	أ. عبد الرزّاق بن عمر، المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بتونس (الحديث النبويّ في لسان العرب لابن منظور)
٢.	د. رزاق عبد الأمير مهدي الطيَّار - معاون عميد كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة - العراق (الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في المعاجم العربية دراسة في معجم لسان العرب لابن منظور)
٣.	د. محمد بن عبد الرحمن العمير - جامعة الملك فيصل، الأحساء - المملكة العربية السعودية (المنهج العلمي لفهم الحديث النبوي)
٤.	د. حمزة أحمد المليباري - قسم اللغة العربية والإسلامية، بدبي (المنهج التعليلي لفهم الحديث الشريف)
٥.	د. مشاعل بنت راشد بن محمد الدباس - مديرة مدرسة أم أيمن لتحفيظ القرآن، المملكة العربية السعودية (منهج الامام أبي داود في كتابه السنن)
٦.	د. محمد حجازي - كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة – الجزائر (المظاهر السردية والسيميائية في القصص النبوي)
٧.	د. محمد بن عياد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس - الجمهورية التونسية (سيميائية السرد في الحديث النبوي)
٨.	د. عبد المجيد المدني - أ. المساعد في قسم اللغة العربية، كلية مهاراجاس (الجمال الفني في كلام النبي)
٩.	د. أحمد بن بالقاسم جعفري - رئيس قسم اللغة العربية، الجامعة الإفريقية أدرار - الجزائر (مصطلح العنف مفهومه، مرادفاته وأضداده في الخطاب النبوي - دراسة في المعنى والأبعاد)
١٠.	أ. د. محمد الأمين خلادي - كلية الآداب، الجامعة الإفريقية، أحمد دراية، أدرار - الجزائر (أثر "التناص" والاستيراث البياني في انسجام الخطاب)
١١.	د. فراس محمد ابراهيم - الجامعة الاسلامية في بغداد (الدراسة الموضوعية للحديث وتوظيفها في تفاعل المجتمع مع السنة النبوية)
١٢.	د. عبد الغفور القاسمي - جامعة إحياء السنة الإسلامية - كيرالا - الهند (Hadeeth Terminology: Growth And Development)
١٣.	د. صالح عسكر - جامعة باتنة، الجزائر (منهج الحديث الموضوعي من خلال صحيح البخاري)
١٤.	د.سعيد بن صالح الرقيب الغامدي - جامعة الباحة- المملكة العربية السعودية (معايير تصميم مقررات الحديث الشريف لبيئة التعلم الإلكتروني)
١٥.	بي. زبير - كلية بي. يس. أو. مالابورام (إصدارات الحديث عبر الإنترنت)

١٦.	سي. يم. صابر نواز - كلية مدينة العلوم، فوليكال (العالم العجيب للإنترنت في دراسة الأحاديث الشريفة)
١٧.	أ.د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي - جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن - عمان (الحديث النبوي في رواية المحدثين واحتجاج اللغويين والنحويين: دراسة وصفية نقدية)
١٨.	أ.د. عبد القادر سليماني - رئيس شعبة الكتاب والسنة، جامعة وهران – الجزائر (نشأة النقد في التثبت في الرواية وتطوره في القرون الثلاثة الأولى)
١٩.	د. أبو بكر إمام علي آغان - جامعة إيراين، نيجيريا (As-Sahabah and The Preservation of Hadith)
٢٠.	د. يوسف حسين أحمد - أستاذ العربية والدراسات الإسلامية (أحاديث رؤية الهلال في ضوء أساليب لغة القرآن)
٢١.	السيد منصور عيسى يلوى - الجامعة الدولية الإسلامية، ماليزيا (The Applicability of the Solitary Hadith al Sharif in the 4 sunni schools)
٢٢.	د. ويران محي الدين - الرئيس السابق لقسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت (ناصر الدين الألباني: المحقق المعاصر)
٢٣.	د. عبد العزيز بن حميد - جامعة الملك عبد العزيز، السعودية (اللحن في الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية معاصرة)
٢٤.	د. مصفر سعيد الغامدي - عضو رابطة العالم الإسلامي (أداء الحديث بين اللفظ والمعنى)
٢٥.	أ.د. عبد الحليم بوزيد - كلية الشريعة - جامعة باتنة – الجزائر (الحديث النبوي وعلاقته بتفسير القرآن الكريم)
٢٦.	د. كويا كوتي الفاروقي - كلية روضة العلوم (أهمية التقويم القمري في الأحاديث النبوية)
٢٧.	د. شبايكي الجمعي - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر (أشكالية تطابق القرآن والحديث في الواقع)
٢٨.	د. مشهور بن مرزوق الحرازي - جامعة طيبة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (المشكلات المنهجية في التعامل مع القراءات القرآنية الواردة في الأحاديث النبوية)
٢٩.	د. مسعود عالم الفلاحي - جامعة مولانا آزاد الأردوية (A Critical Study Of The Hadiths Which Support Caste Based Kufu)
٣٠.	د. بهاء الدين الهدوي - دار الهدى، كيرالا، الهند (Fundamental Of Hadith And Hadith Terminology)
٣١.	السيد محمد سهيل - الجامعة الإسلامية الدولية، ماليزيا

	(How to Deal With the Contradictory Hadiths)
٣٢.	السيد صلاح الدين الهدوي - الجامعة الإسلامية الدولية، ماليزيا (Modernists' Approach to the Aḥādīth Related to Ribā)
٣٣.	د. كيرى روشان - جامعة تربية المدرس، إيران (الحديث النبوي في الكتب الدراسية الجامعية)
٣٤.	د. رفيدة كمال عبد المجيد - جامعة بغداد ، العراق (Speech Acting In Moral Teaching In Prophetic Traditions And In The English Version Of The New Testament: A Contrastive Study)
٣٥.	أ. د. خديجة زبار عنيزان & أ. د. شعيب مقنونيف - (جامعة بغداد، بغداد، العراق & جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان - الجزائر) (بئر زمزم في الحديث النبوي الشريف واصل اشتقاقها)
٣٦.	د. زينب السلطاني - قسم علوم القرآن، جامعة بغداد (مفهوم التأويل وأنواعه وأدلّته في كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة)
٣٧.	د. ابتسام ثابت العاني - جامعة بغداد، العراق توكيد الجملة الاسمية في الحديث الصحيح أنموذجا (صحيح مسلم)
٣٨.	د. نوف مسفر الودعاني الدوسري - قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك فيصل بالإحساء، المملكة العربية السعودية (العلاقة التلازمية بين القرآن والسنة في التشريع الإسلامي)
٣٩.	د. رقية محمد المحارب - جامعة الأميرة نورة بالرياض، المملكة العربية السعودية (أثر قراءة السنة النبوية في تهذيب السلوك)
٤٠.	د. نورة الشهري - جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن – كلية الآداب، المملكة العربية السعودية (علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة)
٤١.	د. تهاني بنت محمد الصفدي - جامعة الأمير سلطان، الرياض - المملكة العربية السعودية (أثر الحديث النبوي في إغناء العربية)
٤٢.	د. منيرة هشبل شافي القحطاني - جامعة الملك فيصل، الأحساء - المملكة العربية السعودية (مواقع الحديث النبوي عبر الإنترنت: عرض وتوصيات)
٤٣.	د. وفاء بنت عبد العزيز بن حمد الزامل - جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن، المملكة العربية السعودية / الرياض (الأساليب التعليمية في السنة النبوية أسلوب القصة نموذجاً)
٤٤.	د. أحمد محمود قعدان - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، أكاديمية القاسمي - فلسطين (تحليل الحديث النبوي الشريف - نحو ضوابط منهجية معاصرة)
٤٥.	د. بسيوني نحيلة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر (الحديث النبوي والدعوة الإسلامية المعاصرة)
٤٦.	أ. د. أحمد فكير - كلية الآداب - جامعة ابن زهر - أكادير المملكة المغربية

	(التفسير العقلاني المعاصر للسنة النبوية)
٤٧.	السيد جابر علي - الجامعة الإسلامية الدولية، ماليزيا (نقد متن الحديث: دراسة نقدية للقضايا المعاصرة)
٤٨.	د. محمد بن عبد العزيز الجمعان - أستاذ الحديث المساعد، جامعة طيبة في المدينة المنورة (جهود المحدثين في تأويل مختلف الحديث)
٤٩.	د. محمد عبد الحليم بيشي - كلية العلوم الإسلامية- جامعة الجزائر (تفاسير الحديث النبوي الشريف في المغرب الإسلامي: قراءة في المنهج والموضوع)
٥٠.	د. عبد الله بن محمد السماعيل - جامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية (أهمية تدريس السنة النبوية وضرورة تطويرها)
٥١.	د. محمد شاه جهان الندوي - الجامعة الإسلامية، شانتابورام (الفلسفة والمعرفة التي يقدمها الحديث النبوي الشريف)
٥٢.	أ. محمد عبد الغني علوان النبهاري – اليمن، الجامعة الإسلامية (مدرس مادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية)
٥٣.	د. عادل الفتحي - قسم اللغة العربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة (الاحتجاج بالحديث النبوي في التقعيد النحوي)
٥٤.	أ. د. نواري سعودي أبو زيد - كلية الاداب واللغات - جامعة سطيف الجزائر (الطاقة الحجاجية في الخطاب النبوي الشريف)
٥٥.	د. محمد بن ردة العمري - جامعة أم القرى، مكة المكرمة (الاستشهاد بالحديث النبوي بين القداسة الشرعية ونزاهة التقعيد النحوي)
٥٦.	د. مرضي بن ناصر آل إدريس - جامعة طيبة - المدينة المنورة (جهود المملكة في خدمة السنة جائزة نايف نموذجا)
٥٧.	د. محمد إحسان الله مياه - الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ - فرع دكا – بنغلاديش (جهود العلماء في ترجمة الحديث النبوي إلى اللغات - واقع بنغلاديش)
٥٨.	د. جميل بني عطا - رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزرقاء – الأردن (إنمّا الأعمال بالنيات)
٥٩.	د. علي بن صالح الشايع - كلية التربية - جامعة القصيم، الممكلة العربية السعودية (معالم من الهدي النبوي في التربية)
٦٠.	د. سعد بن فلاح العريفي - جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية (أحاديث الإيمان دراسة تحليلية)
٦١.	د. سلطان فهد الطبيشي - وكيل قسم الثقافة الاسلامية، جامعة الملك سعود بالرياض، المملكة العربية السعودية (مناهج شراح الحديث النبوي)

٦٢.	د. عبد المحسن بن عبد الله التخيفي - مدير مركز البحوث بكلية التربية، جامعة الملك سعود - الرياض (مراحل تحليل النص الحديثي)
٦٣.	د. إي. كي. أحمد كوتي - أستاذ اللغة العربية سابقا، جامعة كاليكوت (ظاهرة إنكار الحديث قديما وحديثا)
٦٤.	د. علي بن فايز أبو هاشم الشهري - عميد كلية العلوم والآداب ببلقرن، جامعة الملك خالد، أبها - المملكة العربية السعودية (أسلوب النهي في الحديث النبوي – دراسة نحوية دلالية)
٦٥.	د. نذير أحمد الندوي - دار العلوم ندوة العلماء، بلكهنو (مكانة الحديث في إثراء اللغة العربية)
٦٦.	د. محمود مبارك عبيدات - جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، عمان، طبربور (أثر غريب الحديث النبوي في معاجم اللغة العربية)
٦٧.	د. حسن خميس الملخ - كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة آل البيت، الأردن (لغة الحديث النبويّ بين التخريج الإعرابيّ والتقنين النحويّ الدماميني في كتابه مصابيح الجامع أنموذجا)
٦٨.	د. عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ابراهيم الزيد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية - الرياض (أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في التأثير من خلال السنة المطهرة)
٦٩.	أ.د. إبراهيم بن حماد السلطان الريس - أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الملك سعود بالرياض (اهتمام العالم بالقرآن والسنة اليوم، أسباب ودلائل وإحصاءات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر)
٧٠.	أ.د. أحمد عبد القادر الشاذلي - كلية الآداب، جامعة المنوفية - مصر (منظومة الكون بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف)
٧١.	السيد محمود كوريا - جامعة جواهر لال نهرو - نيو دلهي (Prophetic Knowledge Of Ocean: Hadiths As Primary Sources For Studies In The Indian Ocean World)
٧٢.	د. ثناء الله الندوي، جامعة عليكراه، الهند (أدب الحديث النبوي الأردي: دراسة وتقويم)
٧٣.	د. ذاكر حسين - جامعة مدراس (مساهمة تاميل نادو في علم الحديث)
٧٤.	أ. د. علي خذري - كلية الآداب، جامعة باتنة – الجزائر (الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف)
٧٥.	د. عز الدين معميش - كلية العلوم الإسلامية- جامعة الجزائر

	(جماليات الحديث النبوي في ضوء السيميولوجيا المعاصرة)
٧٦.	د. عاشور مزيلخ - جامعة الجزائر، الجزائر العاصمة- الجمهورية الجزائرية (تقنيات الحجاج البلاغي للخطاب النبوي الشريف)
٧٧.	د. كمال أحمد مقابلة - جامعة آل البيت - الأردن (الألفاظ الدّالة على الرحمة في الحديث النبوي: دراسة دلالية سياقية)
٧٨.	السيد ب. راغفان - نائب مسجل جامعة كيرالا (Middle class community in the light oh Hadith Literature)
٧٩.	د. عبد القادر تومي - مدير مجلة الحكمة بالجزائر (الأبعاد العالمية للديانة الإسلامية من خلال الأحاديث النبوية)
٨٠.	د. يوسف محمد الندوي - عميد، الأكادمية الإسلامية، كاباد، كاليكوت، الهند (علم الطب فى وجهة نظر الحديث النبوي)
٨١.	أ. د. بسّام الجمل - جامعة صفاقس، الجمهوريّة التونسيّة (تعبير الرؤيا في مجاميع الحديث النبوي السنيّة وشروحها: دراسة في المرجعيّات و مسالك التأويل)
٨٢.	السيد مصطفى وافي كاتمندا - كلية KKHM، كيرالا، الهند (دراسة في السنة النبوية)
٨٣.	أ. فاروق - كلية عبد الحكيم، تاميل نادو، الهند (Hadeeth and sterling character of Prophet Muhammed (PBUH) an interpretation)
٨٤.	د. مجيب الرحمن النليكوتي - كلية العربية السنية، جامعة كاليكوت، الهند (مكانة الحديث النبوي الأدبية)

٤٤. الأبعاد العالمية للديانة الإسلامية من خلال الأحاديث النبوية

الدكتور عبد القادر تومي

(المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة)

تمهيد

الحمد لله مستحق الحمد الذي أَطعم وأنعم ويسر ورحم، والصلاة والسلام على من اصطفاه رحمة للعالمين وقائداً للغر الميامين و إماماً للمتقين وشفيعاً للمسلمين سيدنا ونبينا رسول الله (محمد بن عبد الله) عليه وعلى صحابته الأبرار و آله الأخيار.

اما بعد

موضوع المداخلة كما يجليه عنوانها هو الأبعاد العالمية للديانة الإسلامية من خلال الأحاديث النبوية.

تدور محاضرتي هذه حول قضية ملفته للانتباه في زمن حاولت كيانات مادية أن تقرب المسافات بين البشر فأقول وبالله استعين ظاهرتان عظيمتان عرفتهما في حياتي الأولى اطلعت عليها من خلال قراءاتي لأحداث التاريخ الكبرى والثانية عشتها بآثارها المتجلية على كل المستويات هاتان الظاهرتان العظيمتان هما: العالمية والعولمة. اتضحت لي معالم الظاهرة الأولى (العالمية) من خلال المنهج الذي انزل على خاتم المرسلين ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ينظم بمبادئ واضحة وقواعد ثابتة، شؤون الإنسان وعلاقاته بالكون، وعلاقة الكون به، وعلاقاتهما بالخالق.واتضحت لي معالم الظاهرة الثانية(العولمة) من خلال المنهج الذي أفرزته الحضارة الغربية في تطورها وهي متجلية على كل الأصعدة.

يتفق المنهجان في نقطة هامة، هي أن التعميم قاعدتهما. وأن كل واحد منهما يهدف إلى جمع البشر تحت رايته، لكنهما يختلفان في كيفية تحقيق أهدافهما. وتظهر الاختلافات جلية بين مفهوم "العالمية " ومفهوم "العولمة" فبينما تقوم الأولى على رد العالمية لعالمية الجنس البشري والقيم المطلقة، وتحترم خصوصيته، وتفرد الشعوب والثقافات المحلية، في حين ترتكز الثانية (العولمة) على عملية نفي أو استبعاد لثقافات الأمم والشعوب ومحاولة فرض ثقافة واحدة لدول تمتلك القوة المادية وتهدف عبر العولمة لتحقيق مكاسب السوق لا منافع البشر.

ومنذ بداية العقد الثاني من القرن السابع الميلادي ظهرت على مسرح التاريخ في جزيرة العرب دولة عربية واحدة تدين بالإسلام عقيدة وشريعة، وكانت تحمل في ذاتها طاقة حضارية إنسانية عظيمة بقيادة الرسول الخاتم الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولم يمض ربع قرن على ظهور الإسلام حتى كان الإسلام يطرق أبواب العراق والشام ومصر مبلغا بالرسالة الاسلامية إلى كل البقاع، مبشرا بعصر جديد من النور والتفتح العقلي والحرية، وكان انسياب قيم الإسلام بصورة مدهشة نظرا لخصوصيات ذاتية تميز بها ذلك الدين القيم وليس فرضا بالقهر أو الهيمنة.

واليوم باتت مقولة "تحول العالم إلى قرية صغيرة" غير كافية لتوصيف الواقع، حيث أصبحت دول العالم اليوم أشبه بمجموعة من البلديات التي تحكمها دائرة مركزية تصدر القرارات وتهيمن بسيطرتها على كل مجالات الوعي والواقع، مستندة لدعم الثورة التكنولوجية، في إنتاج المفاهيم والعلاقات الجديدة، وممارسة لخطاب الهيمنة باستخدام مختلف الأدوات.

ولتمييز مفهوم العالمية وتوضيحه نورد تعريفها اللغوي ثم الاصطلاحي.

التعريف اللغوي للعالمية

كلمة " عالمية " –بصيغة النسبة- حديثة جدا في اللغة العربية، ولا وجود لأصل فعلي لها في اللغة العربية بل أخذت من المقالات والدراسات المتخصصة. وبالتالي يقل وجودها في القواميس والمعاجم العامة والمتخصصة والموسوعات العربية.وقد يرجع ذلك من جهة إلى حداثة الاستخدام الواسع للكلمة في مختلف اللغات. فالكلمة أوربية الأصل وقد شاع تداولها- في الغرب ومن ثم انتشرت في العالم- خلال القرون الثلاثة الأخيرة للميلاد.هذا ومن جهة ثانية يرجع الى ضعف القواميس والموسوعات، فأحيانا ترد كلمة " عالَمية " بأحد مرادفاتها "شمولية" أو "كونية" أو "أممية" أو "عمومية" أو "كلية".

ويرجع الأمر أيضا إلى إشكالية الترجمة للكلمات القريبة من "عالَمية" من اللغات الأوربية، والتي تتفاوت وتتباين في ترجمتها.وتقتصر المعاجم والقواميس العربية على ترجمة تعريفية موجزة للفظة "عالَمية". ففي "القاموس المحيط" ترد كلمة "العالَم" بمعنى: "الخلْق كله، بما حواه بطن الفلك"[١].

كما تعني أيضا عدة معان نذكر منها ما يلي:

-الخلق كله وهو المقصود من الاية الاولى من سورة الفاتحة (الحمد لله رب العالَمين)[٢]

-كل صنف من أصناف الخلق كقولنا "عالَم الحيوان" "عالَم النبات" "عالَم الإنسان".

-كل مجموعة بلدان تجمعها رابطة كقولنا:"العالَم العربي"، "العالَم الإسلامي"، "بلدان العالَم الثالث: الدول النامية".

أما في القرآن الكريم لا نجد كلمة "عالَم" ولكن بدلها نجد كلمة "مُلك" و "ملكوت" و "خلق" و "ناس". ونجد فيه الكلمة المشتقة من "العالَم" هي "العالَمين" ونجدها غالبا مضافة لكلمة قبلها مثل "رب العالَمين".

وفي "لسان العرب" لابن منظور تعني كلمة "العالَمون" : أصناف الخلق، والعالَم: الخلْق كله، وقيل جمع العالَم: العوالم.

و كلمة "عالَمية" ترادف أيضا كلمة "أمة" ففي قوله تعالى:"وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمُ أُمَّة وَاحِدَةُ وَأَنَا رَبُّكُم فَاعْبُدُونِ"[٣]، إنّ المقصود هنا بالأمة أولئك الذين يُعبِّر عنهم القرآن غالبا بالناس. إن محمدا هو آخر الأنبياء، ورسالته آخر الرسالات، وأمته آخر الأمم. إنَّه مبعوث إلى الناس في كافة العالَم.

ومما يؤيد هذا، أنّ الأستاذ طارق البشري[٤]، يستخدم مفهومي "أممي" و"عصري" للدلالة على "عالَمي" ان "العصر" يعني الدهر أو الزمن وأنه يُنسب إلى شخص مثل قولنا: "عصر ابن خلدون" أو إلى دولة مثل قولنا: "العصر العباسي" أو إلى ظواهر طبيعية مثل قولنا: "العصر الحجري" أو إلى ظواهر اجتماعية مثل قولنا: "عصر الإصلاح" و"عصر النهضة" أو ينسب إلى مرحلة من التاريخ مثل قولنا: "العصر الحديث"[٥].

ومن المرادفات لكلمة العالَمية أيضا كلمة "الشامل" و "الشمولية"، على حد قول الجابري. فعندما نقول: « "الإعلان العالَمي لحقوق الإنسان": فالحقوق المعنية هي "عالمية" بمعنى أنها حقوق للناس كافة، لا فرق بين ذكر أو أنثى ولا بين أبيض وأسود ولا بين فقير وغني، بل هي حقوق الإنسان بما هو إنسان بقطع النظر عن

---

[١] - محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي ، القاموس المحيط الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٥

[٢] -سورة الفاتحة الاية:١ .

[٣] -سورة الانبياء الاية:٩٢.

[٤] - طارق البشري من مواليد١٩٣٣ بمصر باحث في التاريخ المصري والعربي و الإسلامي المعاصر.

[٥] - قاسم حجاج العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية، جمعية التراث، القرارة ،الجزائر ط١ ٢٠٠٣ ص: ٦٦

أي شيء آخر »[١].

وممّا سبق نخلص إلى أن كلمة "العالَمية" في اللغة العربية أصلية، ولكنها لم تتطور اصطلاحيا كثيرا، بسبب حالة الانحطاط التي عرفتها الشعوب العربية الإسلامية.

اما عن استخدام مفهوم العالمية (في اللغتين الفرنسية والإنجليزية) فقد اشتقت كلمة "Universel(elle)" باللغة الفرنسية و "Universal "باللغة الانجليزية من أصل كلمة "Univers " التي تعني العالَم والكون.

وتأخذ معنى "الشمول" (Totalité) في عبارة (الفكر الشمولي)[٢]

وتأخذ معنى "الكونية (Cosmique) مثل تسمية "العالَمية" بالكونية كالقول الحرب الكونية، إذ أن الأرض وسكانها ودولها جزء من الكواكب.

وتأخذ كلمة "عالَمي" معنى "الكوكبي فـ"الكوكبية" من الكلمة الإنجليزية (Globalization) وذلك للتدليل على العولمة الجارية، وهي مشتقة من كلمة "Globe" أي الكوكب أو الكرة الأرضية.

وتفيد كلمة "العالمية" أيضا معنى «الانفتاح على العالَم » من خلال عبارة: "المواطنة العالمية" أو "الشخص العالمي"[٣]وهو مذهب فكري "إنساني" ساد أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وهو نسبة إلى الذي يعتقد أنه مواطن عالمي يرفض أن ينغلق في إطار ضيق من الانتماء إلى قومية أو أمة.ويعني الشخص الكوسموبوليتي، شخصا عابرا للقوميات. يقول الفيلسوف الإغريقي ديوجيناز لايرتيوس[٤] عندما سئل من أين جاء؟ أجاب: « أنا مواطن عالَمي» " فالكوسموبوليتي: شخص يعتبر إحساسه بالتوحد موجها أساسا نحو عالَم اجتماعي، يخرج عن النطاق المحدود لمجتمعه المحلي. "[٥]. وقد استخدم المصطلح في بداية الأمر روبرت ميرتون[٦] ميرتون[٦] لكي يقيم تفرقة بين الاتجاهات المحلية، والانفتاح على العالَم».[٧]

ويشتق من كلمة "عالم" أيضا كلمة (Universalisation) للدلالة على عملية الانتشار والتوسيع والتعميم والاشتراك عن طريق عملية النشر عبر العالم (Universaliser) مثل نشر ثقافة ما، أو نموذج فني ما، أو لغة ما نظرا لتفوقها على غيرها.

ويستخدم أيضا كلمة (Universalisme) للدلالة على مذهب سياسي فلسفي وإيديولوجي وديني وثقافي، كالقول بالعالمية الرأسمالية والعالمية الشيوعية.أو القول بعالمية الدين الإسلامي.

كما تأخذ كلمة "العالمية" شكلا اشتقاقيا آخر وهو (Universeaux) بمعنى الكليات الخمس في الفلسفة اليونانية وهي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرَض العام. وقد سماها أرسطو بالمحمولات[٨] التي تُحمل على الموضوع بهدف تصنيف الأشخاص والأفكار.

التعريف الاصطلاحي

---

[3]- محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت الطبعة الاولى، نوفمبر ١٩٩٤، ص ١٤٥.

[٢] L'esprit universel.

[٣] Cosmopolitain

[٤] (Diogénes Laertius)

[٥] قاسم حجاج، العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية .ص٦٩ .

[٦] (Robert, Morton)

[٧] نخبة من أساتذة علم الاجتماع جامعة الإسكندرية، " المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص:٩٣.

[٨] -(Prédicats)

تعني العالمية وهي أطروحة قديمة مرتبطة بحاجة البشر على الدوام إلى إطار يجمعها، " حاجة الإنسانية إلى إطار عالمي جامع يحتضن البشرية في نطاق إنساني أخلاقي و سياسي واجتماعي واحد".

ترجع أطروحة العالمية إلى عهد فلاسفة اليونان، فالرواقيون دعوا إلي دولة عالمية[١] حيث دعا زعيمهم " زينون[٢]" إلى حاضرة عالمية، أو مدينة العالم و يتلخص مبدؤها في أن كل الناس مواطنون إخوة تجمعهم حياة واحدة ونظام واحد للأشياء في ظل قانون الطبيعة الذي يتماشى مع المبادئ الأساسية للعدل والعقل.

إنه القانون الذي يعلو على قوانين الدولة وتخضع له كل الدول، وعليه فقد انتقد تفرق الناس إلى مدن وشعوب، لكل منها قوانين خاصة[٣] ولذلك استلهمت الإمبراطورية الرومانية أفكار الرواقية، وطبقتها لتعطي الشرعية لهيمنتها على الشعوب الخاضعة لها، ولقد عززت المسيحية هذه الفكرة لما بشرت الكنيسة برسالتها، التي تتأسس على قواعد السلام والمحبة بين الشعوب.

وأفلاطون[٤] دعا من جانبه إلى جمهورية مثالية يحكمها الفلاسفة ويحرسها الجنود ويقوم بخدمتها بقية الناس، وسار على دربه مجموعة من المفكرين الذين دعوا إلى تحقيق الحكومة العالمية مثل الشاعر الايطالي دانتى الغييري[٥] Dante Alighieri «١٢٦٥م - ١٣٢١م » الذي وصل إلى ان الجنس البشري كله يمكن ان يكون مجتمعاً واحداً تحت رئاسة حاكم واحد له السيطرة الكاملة على جميع الناس، و تتركز في يده السلطة فتصبح سلطة واحدة مثل سيطرة اللّه على الطبيعة، وارتأى أن الإمبراطورية الرومانية هي المحاولة الخامسة في التاريخ لإنشاء إمبراطورية عالمية، و أنها الوحيدة التي كتب لها النجاح و السيادة على العالم، و هو يعتقد بالإمبراطورية المثالية كدولة عالمية مثالية.[٦] و كانط في أواخر القرن الثامن عشر أصدر، كتاباً بعنوان : مشروع مشروع من أجل السلام الدائم بين الأمم. كان يفكر آنذاك في كيفية تخليص الأمم الأوروبية من الحروب التي أنهكتها. وكان يجتهد في البحث عن حل سلمي لكي تنعم الشعوب الأوروبية بالسلام والأمان، ثم الرفاهية والازدهار. ولكن كانط لم يكتف بذلك في الواقع. فقد كان يفكر بحالة العالم اجمع. وهنا تكمن عظمته واتساع أفقه. فقد مكنه حدسه الفلسفي أن يرى ما سيحدث في القرون القادمة. فقد راح يحلم بتشكيل دولة كونية، تشمل جميع شعوب الأرض! وكذلك فكر جريمي بنتام[٧] من بعده وفي نفس السياق جاءت دعوة كارل ماركس الداعية إلى ذبول الدولة القومية وفي المقابل تدعو إلى قيام المجتمع الشيوعي.

وقد استعرض احد الباحثين مختلف هذه الدعوات التي نادت بالحكم العالمي عبر التاريخ ومما جاء عنه في استعراضه للدولة العالمية انه ذكر خمسة أنواع تتجلى فيها الدولة العالمية وهي[٨]:

---

[١] يقسّم علماء السياسة و فقهاء القانون الدستوري الدول عدّة تقسيمات، و حصيلة هذه التقسيمات تكوّن قائمة طويلة بأسماء أشكال الدول و أنظمة الحكم. فطبقاً للمعيار الدستوري هناك دولة جمهورية و دولة ملكية مقيدة، و ثيوقراطية و استبدادية، و ملكية غير مقيدة، و رئاسية و برلمانية، و طبقاً للمعيار الاقتصادي، هناك حكومة إقطاعية، و رأسمالية، و اشتراكية، و طبقاً للمعيار الجغرافي، هناك حكومة قبلية و قطرية، و قومية، و الحكومة المتعددة القوميات، و حكومة عالمية، و طبقاً لمعيار السيادة، هناك دولة وحدوية، و إمبراطورية، و اتحادية

[٢] - فيلسوف يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد.

[٣]- جان توشار، "تاريخ الفكر السياسي" ، ترجمة على مقلد، بيروت ١٩٨٣، ص ٤٩.

[٤] - فيلسوف يوناني مشهور عاش بين (٤٢٧ ق م – ٣٤٧ ق م).

[٥] - شاعر كبيرولد في فلورنسا بايطاليا من أعظم اعماله الكوميديا الالهية.

[٦] ابراهيم درويش " علم السياسة" القاهرة الطبعة ص: ٩٠-٩٢

[٧] - فيلسوف بريطاني يعزى اليه مذهب المنفعة .

[٨]الدولة الاسلامية ومفهوم الدولة العالمية **www.nezem.org/arabic/dawla**-aalamiyah/index

١- دولة عالمية على أساس استغلالي.
٢- دولة عالمية على أساس مادي.
٣- دولة عالمية على أساس عاطفي.
٤- دولة عالمية على أساس عقلي.
٥- دولة عالمية على أساس ديني.

وتعتبر العالمية القائمة على الأساس الاستغلالي أكثر انتشاراً، وتتضح صورها في النظم الإمبراطورية التي عرفها التاريخ منذ مطلعه و حتى العصور الوسطى[١].

اما العالمية المادية فتتمثل صيغتها بالأطروحة الماركسية التي اعتبرت القومية و الوطنية أمورا من مخلّفات الصراع الطبقي، و نادت بالحكم الامي للطبقة العاملة، و وقد نقل ماركس عن أستاذه هيقل جدلية التاريخ بعد ما أفرغها من محتواها المثالي، واستبدلها بالمحتوي المادي.

أما العالمية القائمة على الأساس العاطفي فهي الصيغة التي تعبر عن طموحات المفكرين وساسة العالم الذين هالتهم الصراعات القومية، و مساويء الأنظمة الدكتاتورية ومخلفات الفتن والحروب التي حدثت في التاريخ، وأبرزها نتائج الحربين العالميتين الأولى و الثانية، فناهضوا القومية، فنادوا بإقامة حكم عالمي واحد تنطوي تحته كافة المجتمعات البشرية.غير أن هذه الدعوات كثيرا ما تصدم بالواقع الذي يخالف طموحاتهم ويحولها الى أحكام طوباوية.وفي نظرنا تحتاج الدولة إلى أساس أعمق وارسخ من العاطفة حتى تكون عالمية بالمعنى الحقيقي.

أما العالمية القائمة على الأساس العقلي فقد تجلت تاريخيا عندما نادت المدرسة الرواقية في أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد، بالدولة العالمية، [٢] ترتكز فكرتها على أساس الطبيعة المشتركة بين أفراد الجنس البشري.

ان الأساس العقلي وان كان أعمق من الأساس العاطفي، غير أن هذا الأساس لا يكفي لحلّ المشكلة المستندة إلى الحقائق العقلية الثابتة و المشتركة بين أفراد البشرية، فإذا نادت هذه الدولة بالمساواة بين الجميع على اساس الطبيعة الواحدة فإنها لا تنادي بشعار عاطفي و إنما تنادي بحكم عقلي يذعن له جميع العقلاء.

الفكر الإسلامي العالمي

بعد أن سلطنا الضوء على أنواع من الدعوات العالمية نصل الى الحديث عن الفكر الإسلامي باعتباره فكرا عالميا. و فكرة العالمية تجلت بكل وضوح في الفكر الإسلامي كما تجلت عالمية الإسلام وهناك آيات و أحاديث كثيرة تشير إلى ذلك ففي القرآن الكريم استخدمت بدل كلمات عالم كلمات أخرى مثل ملك وملكوت

---

[١] - ومن أمثلة هذه الإمبراطوريات التي سجلها التاريخ نجد الإمبراطورية المصرية التي شيدها **تحوتمس** «٢٠٠٠،ق.م»، و الإمبراطورية الاكدية التي أسسها **سرجون** في العراق حدود عام «٢٧٥٠ ق.م»، ثم يقوم من بعده **آشور بانيبال** بتأسيس الإمبراطورية الآ شورية حدود عام «٦٦٨ ق.م» ثم دعا **الاسكندر المقدوني** «٣٥٦-٣٣٤ ق.م» لتوحيد العالم تحت سلطة واحدة، و تعتبر الإمبراطورية الرومانية مثال تاريخي بارز في عالم الإمبراطوريات

[٢] يكاد يجمع علماء السياسة و القانون، و مؤرخوا الفكر السياسي على ان المدرسة الرواقية هي أول مدرسة فكرية وضعية نادت بفكرة الدولة العالمية، و ذلك على يد مؤسسها زينون حدود عام ٣٤٠ ق.م الذي كان يدرس في رواق «أستوا» بأثينا فجاءت التسمية بالرواقية من هذه الجهة.

وخلق وناس و بني ادم والعالمين ومنها: قوله تعالى "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا[١].

و قوله" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا. "[٢]

وهذا ما يثبت إن الدعوة الإسلامية كانت عامة لا تقصي أحدا، وبدون إكراه قال تعالى:" لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي".[٣]

العالمية من خلال التصور القرآني

و من دلائل عالمية الإسلام أن القران الكريم يصف الرسالة الإسلامية بأنها للعالمين و يذكر القرآن مرارًا أن كل رسول الله أرسل إلى قومه وحدهم، ما عدا محمد صلى الله عليه وسلم، فنوح أرسل إلى قومه فقط، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ}[٤]، وإبراهيم أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ}[٥]، ولوط أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى:{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ}[٦]، وهود أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً}[٧]، وصالح أرسل إلى قومه ثمود، كما قال الله تعالى:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}[٨]، وشعيب أرسل إلى أهل مدين، قال الله تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}[٩]، وعيسى أرسل إلى بني إسرائيل، كما قال الله تعالى:{إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}[١٠]، أما محمد فأرسل إلى جميع الناس، كما يقول الله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}[١١]. وقوله تعالى:"إن هو إلا ذكر للعالمين"[١٢]

يتميز الإسلام بأنه دعوةٌ عالميةٌ غير مقصورةٍ على جنس من البشر أو طيفٍ من الأطياف البشرية التي تعيش على الكرة الأرضية حيث إنَّ الإسلامَ يخاطب البشريةَ كلها ..﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٢) (البقرة)، ويعلن للبشرية كلها :﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) (آل عمران ..(﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ(٥٧) (يونس).. نداء عام لكل البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وليس لطائفة دون أخرى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨) (سبأ

العالمية من خلال الاحاديث الشريفة

وأما عن أدلة عالمية الإسلام من السنة النبوية فحسبك حديث " أعطيت خمسًا".

فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :

---

[١]- سورة الاعراف، الاية ١٥٨

[٢]- سورة سبأ الآية ٢٨

[٣]- سورة البقرة الآية ٢٥٦.

[٤]- سورة نوح: ١.

[٥]- سورة العنكبوت: ١٦

[٦]- سورة الشعراء ١٦٠

[٧]- سورة هود: ٥٠.

[٨]- سورة الأعراف: ٧٣

[٩]- سورة الأعراف: ٨٥

[١٠]- سورة الصف: ٦.

[١١]- سورة الأعراف: ١٥٨

[١٢] سورة التكوير٢٧ أو سورة ص ٦٨

"أُعْطِيتُ خَمْسًا، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأرض مَسْجِدًا وَطَهُورًا- فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاة فَلْيُصَلِّ-، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ - وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي -، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً " [البخاري: ٣٢٣]

ومن ثم شرع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في غرس هذا المبدأ في نفوس أتباع الدعوة في كثير من المشاهد. ومن هذه المشاهد التي دلت على أصالة هذه العالمية – حديث خباب بن الأرث ري الله عنه عن يوم من أيام الإضهاد في مكة، حيث قال: " شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: ألا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ! أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ! فقَالَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : " كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ؛ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ ! لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ " [البخاري : ٣٣٤٣]

فلا تمام لهذا الدين، إلا بالعالمية، حين يمتد الإسلام شرقًا وغربًا، فيأمن الغريب والمسافر من صنعاء إلى حضرموت.. لا يخاف لصًا ولا قاطعًا، حيث بسط الإسلامُ الأمنَ في ربوع العالم.

لقد أعطى الرسول لأصحابه درسا بليغا، واثبت لهم أن الطغيان مهما مارس قوته، ومهما تطاول أو تجبر فلن يقضي على دعوة الإيمان، لقد بين لأصحابه كيفية الثبات والصبر على العقيدة، وضرب لهم الأمثال بالسابقين من المؤمنين وما أصابهم في عقيدتهم، لقد نشروا بالمناشير واحرقوا بالنار ومشطوا بأمشاط الحديد، ونالهم من البلاء ملا يخطر ببال، ومع ذلك لم تضعف عزيمتهم ولم تستسلم نفوسهم للذل والهوان، بل تمسكوا بمبادئهم ودينهم.

وتأمل قول رسول الله : "مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ".. إن رسول الله في مكة حينما حدّث بهذا الخبر، وكان من الأولى – في زعم البعض – أن يقول – على سبيل المثل – "من مكة إلى الطائف" والحق أن رسول الله يتحدث بهذا الحديث وهو لا يفرق بين أرض وأرض، فكل الأرض بساط للإسلام، وأن الإسلام سينشر سلمه وأمنه بين صنعاء وحضرموت، وسينشر سلمه وأمنه في كل مكان.

وعَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْت مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا , وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ : الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ. أخرجه أحمد ٢٧٨/٥(٢٢٧٥٢) و\"مسلم\" ١٧١/٨.

العالمية في الاعتقاد

إن رسالة الإسلام للبشريةِ تطرح حقيقةَ الألوهيةِ والربوبيةِ التي يَنشدُها الإنسان في حياتِه في أنقى صورها، والتي تتفق وتتسق والفطرةَ الإنسانيةَ.. فطرةَ الله التي فطر الناس عليها. وتميز الإسلام بالعالميةِ، لأنه الرسالةُ الخاتمة، حيث تمتد رسالة الإسلام في أفق الزمان إلى نهايته وهو الذي يُعبر عنه بخلود الرسالة الإسلامية.

ويأتي خلود رسالة الإسلام من كونه يتميز بخاصية فريدة تميزه عن غيره من الديانات السابقة (اليهودية والمسيحية) حيث تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ مصادرها من التحريف .﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩

وإذا كانت حكمة الله قد اقتضت أن يرسل إلى كل امة رسولا يتلو عليهم آياته، ويرسم لهم الطريق

السوي ليسلكوه، فان دعوة خاتم الأنبياء كانت جامعة لبني البشر، وكانت رسالته عامة لجميع الأجناس والشعوب لا فرق بين عرق أو لون، وهكذا كان ختم النبوة به تقرير بعالمية رسالته وبقائها.

هذا الامتداد لرسالة الإسلام في أفق الحياة البشرية إلى نهايتها إنما يرجع لكونها متضمنةً حلولاً وأسسًا تشريعيةً عامةً وشاملةً لمختلف جوانب الحياة الإنسانية على مستوى الفرد والمجتمع وهو الذي يُعبَّر عنه بشمول الرسالة الإسلامية.

فعالمية الرسالة الإسلامية هي المظهر السياسي المعبِّر عن ربوبيةٍ شاملة لكافة أطياف الجنس البشري تنظر للجميع بمنظار العدل والمساواة، قال تعالى في الثناء على نفسه :﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾) الفاتحة

فالدعوة إلى عقيدة الإسلام وشريعته وقيمه الأخلاقية تأسست على الجدال الحسن والكلمة الطيبة، و الحوار المقنع، وهذا ما يجعل الثقافة الإسلامية عالمية، ليس لأنها عامة فقط بل لأنها لا تلغي الثقافات الأخرى. إنها كما قال احد الكتاب " تلك الثقافة التي تكون في عمقها إنسانية الطابع و الأبعاد، و تأخذ في اعتبارها إن ثمة تعدادا وتبيانا في الثقافات، ونسبية في المفاهيم. ومن ثم فهي تسعى إلى مد جسور التواصل والتفاهم مع الثقافات الأخرى، ولا تسعى إلى إن تكون نقيضا لها أو إلغائها"[١] اعترافا بواقع الخلاف الموجود على الأرض، والذي أقره القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: "ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات. إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون "[٢].

العالمية من خلال الدعوة الرسالية

كما أن ما كتبه الرسول(صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك و الحكام في ذلك الوقت يدل أيضا على أن الرسالة الإسلامية هي رسالة عالمية، كما يتضح من نص الرسالة التالية: " من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد إن لا اله إلا الله وإن محمدا عبده ورسوله أني أدعوك بدعاء الله، أني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم وإن توليت فإن إثم المجوس عليك"[٣].

إن ما يثبت أن خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن إقليميا بل كان عالميا يتجاوز به حدود المكان من خلال رسائله المختلفة إلى ملك مصر والإسكندرية.

فكتب النبي – صلى الله عليه وسلم - إلى جُرَيْج بن مَتَّى الملقب بالمُقَوْقِس ملك مصر والإسكندرية، رسالة نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾"[٤] واختار لحمل هذا الخطاب رجلاً ذو لسان وحكمة هو حاطب بن أبي بَلْتَعَة.

وجدير بنا أن نذكر كلام حاطب – رضي الله عنه – للمقوقس

---

[١]- أسامة أبو رشيد،"الثقافة العالمية الأخرى"، مجلة قضايا دولية، العدد٣٤٠،تموز ١٩٩٦ ص ٢٩

[٢]- سورة المائدة، الآية ٤٨

[٣] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،الجزء الثالث بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥، ص ٢١٣.

[٤] [البيهقي : دلائل النبوة، ج ٥، ص ٤]

قال حاطب: إن هذا النبي دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل..وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه. ولا ينهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

وأخذ كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم - فجعله في حُقٍّ من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبي:

"بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد : فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت بغلة لتركبها، والسلام عليك"[1].ولم يزد على هذا ولم يسلم، فتزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم - مارية، فأنجبت له طفل . سماه إبراهيم، أما سيرين، فقد تزوجها الشاعر حسان بن ثابت – رضي الله عنه -

"تلك امثلة لرسائله إلى رجالات النصرانية ومواقفهم منها. وقد ساق النبي كذلك مبعوثيه إلى رؤساء المجوسية يدعونهم إلى الله، ويحدثونهم عن الدين الذي لو تبعوه نقلهم من الغي إلى الرشاد.. وقد تفاوتت ردودهم، بين العنف واللطف والإيمان والكفر"[2]

رسائله إلى زعماء العالم

وتابع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حملته العالمية، فطفق ينتقي أفصح الخطباء والشعراء والدبلوماسيين من

أصحابه، ويبعثهم رسلاً وسفراء إلى الممالك والإمارات والدول والقبائل في أسيا وأفريقيا وأوربا يدعو العالَم المظلم إلى الله:

(١) فبعث دحية بن خليفة الكلبي – وكان أنيقًا وسيمًا، إلى قيصر ملك الرومان، واسمه هرقل.

(٢) وبعث عبد الله بن حذافة السهمي – وكان راسخ الفكر والإيمان متحدثًا بليغًا - إلى كسرى، ملك الفرس.

(٣) وبعث عمرو بن أمية الضمري – وكان لبقًا ذكيًا-، إلى النجاشي ملك الحبشة، ثم بعثه النبي– صلى الله عليه وسلم – مرة أخرى إلى مُسَيْلِمَةَ الْكَذّابِ مدعي النبوة، برسالة، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِكِتَابٍ آخَرَ مَعَ السّائِبِ بْنِ الْعَوّامِ أَخِي الزّبَيْرِ فَلَمْ يُسْلِمْ.

(٤) وبعث - فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ -عمرو بن العاص – داهية العرب -؛ إلى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ اللّهِ ابْنَيْ الجُلَنْدَى الْأَزْدِيّيْنِ، ملكي عمان.

(٥) وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة ابن علي، الملك على اليمامة، وإلى ثمامة بن أثال، الحنفيين.

(٦) وبعث العلاء بْنَ الْحَضْرَمِيّ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ.

(٧) وبعث شجاع بن وهب الأسدي، من أسد خزيمة، إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني، وابن عمه جبلة بن

---

[1] [البيهقي : دلائل النبوة، ج ٥، ص ٤]

[2] محمد الغزالي : فقه السيرة، ص ٢٧٤]

الأيهم، ملكي البلقاء من اعمال دمشق للرومان.

(٨) وبعث الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ الْحِمْيَرِيّ أحد زعماء اليمن،

(٩) وبعث العلامة الفقيه معاذ بن جبل إلى جملة اليمن، داعياً إلى الإسلام، فأسلم جميع ملوكهم، كذى الكلاع وذي ظليم وذي زرود وذي مران وغيرهم.

(١٠)وَبَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ الْبَجَلِيّ، إِلَى ذِي الْكَلاعِ الْحِمْيَرِيّ وَذِي عَمْرٍو يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَا وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ.

(١١)وَبَعَثَ عَيّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيّ برسالة إِلَى الْحَارِثِ وَمَسْرُوحٍ وَنُعَيْمٍ بَنِي عَبْدِ كُلَالٍ زعماء من حِمْيَرَ.

(١٢)وَبَعَثَ إِلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُذَامِيّ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ.وكَانَ فَرْوَةُ عَامِلًا لِقَيْصَرَ بِمَعَانَ فَأَسْلَمَ وَكَتَبَ إِلَى النّبِيّ – صلى الله عليه وسلم – بِإِسْلَامِهِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ هَدِيّةً مَعَ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ وَفَرَسٌ وَحِمَارٌ وَبَعَثَ أَثْوَابًا وَقَبَاءً مِنْ سُنْدُسٍ مُخَوّصٍ بِالذّهَبِ فَقَبِلَ – صلى الله عليه وسلم – هَدِيّتَهُ وَوَهَبَ لِمَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيّةً وَنِشًا[١]

وأسلم سائر هؤلاء الزعماء العالميين حاشا قيصر وكسرى وهوذة والحارث بن أبي شمر.

وهكذا، أحدث الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذه الحركة العالمية لتوصيل رسالة الإسلام وترسيخ قيمة عالمية هذا الدين في نفوس أبناء الأمة إلى يوم القيامة.. وتواصَلَ مع قيادات ورموز العالم آن ذاك..

ومن مقومات العالمية حسب الأستاذ احمد الريسوني[٢]، أن الإسلام هو وارث الأديان فالقرآن جمع كل الكتب وصدقها بما احتوت، و ادمج ما فيها في رسالته، فصارت القيم العالمية والمعتقدات العالمية التي تصلح للبشرية، كالعدل والقسط والمساواة، فهذه القيم جميعها ورثها الإسلام[٣] مثال على ذلك أجمعت كل الملل والنحل على الضرورات الخمس وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل.

العالمية في التعايش مع الاخر.

يمثل الفكر الإسلامي قمة التسامح فقد أمر الله رسوله والمسلمين بالتسامح مع أهل الكتاب وأمرهم أيضا بالعفو والصفح عن إساءاتهم، كما قال تعالى: {فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ}(٤). والعفو: التسامح في عقوبة الذنب، والصفح: الإعراض عن اللوم وتركه، وهما درجتان رفيعتان من التسامح ويحث الله عليهما في القرآن مرارا وتكرارا، وكان الرسول مثلا رفيعا للتسامح. وكان يقابل الاذى برفع يده إلى ربه قائلا: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(٥).

اعتقاد المسلم بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان؛ وفي ذلك يقول الله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}(٦)، وفي هذا روى البخاري عن جابر أن النبي مرّ على جنازة، فقام لها واقفا، فقالوا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: «أليست نَفْسًا»(٧).

---

[١] [انظر هذه البعوث في : ابن هشام ٤/ ٢٥،وابن سعد ١ / ٢].

[٢] أستاذ بجامعة الرباط

[٣] عبد الصمد ناصر" عالمية الإسلام" حصة تلفزيونية : الشريعة والحياة – ضيف الحلقة :احمد الريسوني- قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ٧-٨ – ٢٠٠٥.

(٤) - البقرة: ١٠٩.

(٥) البخاري ١٨٢/٣، ح (٣٢٩٠)، كتاب التفسير، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم}.

(٦) - سورة الإسراء: ٧٠.

(٧) - أخرجه البخاري ١٠٧/٢، كتاب الجنائز: ٥٠ - باب من قام لجنازة يهودي، ح (١٣١١، ١٣١٢)، ومسلم ٦٦١/٢، كتاب الجنائز: ٢٤،

وفي غزوة أُحُد جرح في وجهه وكسرت رباعيته (السن بين الثنية والناب) اليمنى السفلى بحجر وهشمت الخوذة على رأسه الشريف، ولم يؤاخذ أحدا، بل سامحهم وعفا عنهم، ورد إليهم حرياتهم، وقال: «من دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»(١). وهكذا لم يبق في مكة قرشي - عادى رسول الله وحاربه - إلا سامحه بمجرد إعلانه لإسلامه وعفا عنه، وقال لأهلها جميعا «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(٢).

فالمجتمع الإسلامي إذن مجتمع عالمي، بمعنى أنه مجتمع غير عنصري ولا قومي، ولا هو قائم على الحدود الجغرافية، فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان، دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة، بل دون النظر إلى دين أو عقيدة. وضرب الله للمسلمين أعظم مثل للتسامح في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}(٣). والله يسوي في الآية بين المؤمنين واليهود والنصارى من أهل الكتب السماوية. فأي تسامح أعظم من هذا التسامح مع هؤلاء إذا آمنوا بربهم وبالبعث وعملوا عملا صالحا لهم ولمجتمعهم، والله بذلك يلغي التعصب للديانات، ويريد من المسلمين التسامح مع من يخالفهم في الدين حتى لو كان من المشركين.

وأكثر من ذلك أن الله - سبحانه وتعالى- يطلب من المسلمين أن يتسامحوا مع من كان يؤذيهم من كفار مكة الجبابرة العتاة قائلا في سورة الجاثية: {قُل} يا محمد {لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ}(٤)، وهذه الآية نزلت في نفر من أصحاب الرسول الكريم أصابهم أذى شديد من كفار مكة الذين لا يرجون جزاء الله، فشكوا ذلك إلى رسول الله الكريم، فأمرهم الله أن يتجاوزوا عن ذلك ويغفروا لهم أذاهم، معتصمين بالصبر، كما قال الله في سورة آل عمران: {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ}، أي: من اليهود والنصارى {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}(٥)، إذ الصبر حقا مفتاح الفرج، ويمتدح الله المؤمنين ممن يقدمون الطعام - مع حبهم لله - إلى المساكين واليتامى وأيضا للأسرى في سورة الإنسان قائلا: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}(٦)، وكان أسراهم حينئذ من المشركين، وكان كثير منهم يؤذي المسلمين قبل هجرتهم إلى المدينة، ومع ذلك أمر الرسول الكريم المسلمين أن يكرموهم، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الطعام، وهو تسامح عظيم ومعاملة كريمة قل نظيرهما وندر وقوعهما، ويقول سبحانه للمسلمين: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(٧)، والله لا ينهى عن حسن المعاملة للمشركين الذين لم يشتركوا في قتال المسلمين ولا دفعوهم إلى الخروج من مكة. وقد صار هذا البر لغير المسلمين سواء أكانوا من أهل الكتاب أو كانوا من المجوس وأمثالهم في آسيا وأفريقيا، والله

باب القيام للجنازة ٨١، ح (٩٦١).

(١) مسلم ١٤٠٦/٣، ح(١٩٨٠)، كتاب الجهاد، باب فتح مكة. ط دار إحياء الكتب العربية، ط ١/ ١٣٧٤-١٩٥٥م، القاهرة.

(٢) - السنن الكبرى للبيهقي، ١١٨/٩، ح (١٨٠٥٥)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن - الهند، ١٣٥٦ هـ، الطبعة الأولى.

(٣) - سورة البقرة: ٦٢.

(٤) - سورة الجاثية: ١٤.

(٥) - سورة آل عمران: ١٨٦.

(٦) - سورة الإنسان: ٨.

(٧) - سورة الممتحنة: ٨.

- عز وجل - بذلك قد وضع للمسلمين قواعد مثلى في تسامحهم مع كل الديانات، ومع كل الأقوام ومع كل الأجناس والأعراق والألوان.

إن الإسلام ينفي كل نعرة جنسية أو عنصرية، فيرد البشرية كلها إلى أصل واحد، ويقرر أن لا فضل فيها لجنس دون جنس، ولا ميزة لعنصر دون اخر، وأن اختلاف الألوان واللغات لا يدل على أفضلية، ولم يُرَدْ به إلا التعارف لا التناكر، ويؤكد ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}(١)

مرتكزات عالمية الفكر الإسلامي ودعائمه:

عالمية الدعوة: إن أعظم الأدلة على عالمية الإسلام هو سرعة انتشاره ودخول الكثيرين فيه في العديد من المناطق.

تجسيد وحدة النوع الإنساني: يمتاز الإسلام بنظرته إلى وحدة النوع الإنساني، فالناس جميعا ينحدرون من أصل واحد.

وحدة الطبيعة الإنسانية: هذه الطبيعة أو الفطرة الواحدة موجودة في الناس جميعا، وهي التي أكد عليها قول الله تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}(٢).

مهمة الأمة الإسلامية ووظيفتها: الأمة الإسلامية أمة عالمية يجمعها أمر واحد ودين واحد،وتكاليفها واحدة، وهي تحمل أمانة الشهادة على الناس يوم القيامة، قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (٣).

عالمية القيم:

والقيم الإسلامية عالمية في ذاتها، مرنة في تطبيقها؛ لأنها استجابة للفطرة السوية، فقيم العدل والتعاون والمساواة وغيرها قيم عالمية في ذاتها، تواضع عليها الناس واصطلحوا جميعا، واستحسنها العقل البشري في مختلف الأزمان، وهي واضحة في منهجها، مرنة في تطبيقها، تمتاز بالاعتدال والتوسط بين الحقوق والواجبات، وتلائم بين النزعة الفردية والمصلحة الاجتماعية.

العالمية في حل الأزمات

لقد تجاوزت السنة النبوية في وعيها للأزمة الإنسانية الراهنة، العلوم الحديثة بقرون من الوعي،، لتدخل العصر العالمي، مشروط بعلمها (أنه الحق) ولهذا قال المولى تبارك وتعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)(فصلت : ٥٣). ومن هذه الآيات إن التنافس على حب الدنيا يؤدي إلى زوال كيان الأمة وهلاكها.

وفي الحديث "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أو من قلة يومئذ نحن يا رسول الله قال لا بل إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن يا رسول الله قال حب الدنيا وكراهية الموت " أخرجه أبو داود في سننه (٢/٢١٠

فالحديث يقدم المساعدة الأولية اللازمة لبناء أي حضارة، وذلك بتحديده للمشكلة الإنسانية المعيشة

---

(١) - سورة الحجرات: ١٣.

(٢) - سورة الروم: ٣٠.

(٣) - سورة البقرة: ١٤٣.

قرناً. فقد حدد لنا رسول الإنسانية صلي الله عليه و سلم موقع المرض العضال الذي خلف حضارتنا، وهو بصدد إسقاط الحضارة الغربية، وقدم لنا منهجاً قاعدياً لتركيب حضاري جديد، يؤهل الإنسانية للدخول إلى العصر العالمي، فهذا الحديث يخدم منهجية عالم التاريخ، وعالم النفس، وعالم الاجتماع، والمفكر المسلم، لأنه يوفر عنهم تكاليف تأسيس منهجية لدراسة أزمة الأمة الحضارية على حد تعبير المرحوم مالك بن نبي. فالحديث يرى بأن المجتمع الإسلامي غثاء، لأنه فقد الشعور برسالته الاجتماعية،. فمعظم مواقف المجتمع الإسلامي أصبحت تدور حول محور (حب الدنيا وكراهية الموت) وذلك هو جوهر (الأزمة الحضارية) التي تمر بها البشرية، بما فيها مجتمعنا الإسلامي، الذي أصيب بالوهن

فحل الأزمة ينطلق إذن من عالم النفوس، ويمتد في عالم المجتمع، ثم ينتشر في عالم الثقافة، وبعدها يدخل إلى عالم التاريخ، ليتحول فيما بعد إلى منهج للسير في الأرض من أجل الاهتداء إلى السنن الإلهية. قال تعالى:(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم)(النساء : ٢٦).

وفي الختام

أخي المسلم في كل مكان وبلد *** أنت مني وأنا منك كروح في جسد
وحدة قد شادها الله أضاءت للأبد***وتسامت بشعار قل هو الله أحد
يا أخي المسلم إنا دعاة الحق المبين *** ورسول الله وافى رحمة للعالمين
وكتاب الله يهدي بسناه الحائرين *** وهو للكون ضياء وهدى للعالمين
يا أخي المسلم والإسلام دين للإله *** في حماه قد تساوى كل فرد بسواه
فبلال كعلي ليس من فرق تراه *** كلنا لله عبد وله تعلوا الجباه

As-Sahabah and The Preservation of Hadith

Dr. Abubakr Imam Ali-Agan
(Department of Religions, University of Ilorin, Ilorin, Nigeria)

Abstract

One of the issues raised by Some Orientalists scholars against the validity and the authenticity of Ahadith is that they were orally transmitted for over a century before the proper documentation and compilation processes. They argued further that the Traditions were invented trough a chain of narrators down to the Prophet to emphasize either political affiliation or dogmatic doctrine. Put in plain terms, the corpus of the Traditions from the Prophet is alleged to be the product of a large-scale pious forgery that gained momentum in the early second century of Islam. Some Scholars of Hadith have, however, query such postulation. They argued that the Hadith could not have been orally transmitted for over a century without some early written preservation in the first century itself. It can also be added that the availability of literary activities in the Arabian peninsula before the mission of the Prophet Muhammad suggests people's interest in writing and recording of events. That some curious Sahabah recorded the sayings of the Prophet, therefore, cannot be totally ruled out. This assertion is the main focus of this paper.

Introduction

> (We sent them) with clear signs and scriptures. And we have sent down unto you (also) the message; so that you explain clearly to people what is sent for them, and that they may give thought to it Q 16:44

The triangular formula in this verse is very instructive. The role of Allah as the law giver is emphatically stressed. The role of the Prophet as the Teacher of the divine messages, who is expected to give interpretations and detailed information of the golden messages, is equally stated. The recipients (i.e the *sahabah*) are also encouraged to functionally use their intellect and to ask for guidance from the Teacher, and to formulate their own ideas where the Qur'an and the Teacher are not categorical.

The Prophet's role as indicated in this verse is viewed from different perspectives. The Qur'anic exegetes consider the role as the foundation for the developmental stages of *Tafsir*.[1] The Jurists view it from the lenses of legal matters, while the scholars of *hadith* maintain that it was a method of verbal teachings of the *sunnah.*[2] This claim, by the *muhaddhithun,* has attracted the attention of the critics of *hadith* who argue that such postulation is wrong because the exact words of the Prophet cannot be orally transmitted with accuracy. Abu-Riyyah, has been promoting this position of recent.[3] A close examination of his argument reveals that he lends weight to the views of the orientalist scholars that *hadith* reflects the viewpoint of the later centuries of Islam and have little to tell about the early part of the century, which they allegedly belong. This assertion shall later be focused in this paper.

Azami has, however, queries the argument that the *hadith* could not have been orally transmitted for over a century. He says that the misconception about the beginning of the recording of *hadith* was mainly due to a wrong conception of the Arabic words: " *Tadwin*", "*Tasnif*" and "*Risalah*". According to him, a lot of materials in the form of *Risalah* (booklets) and separate *hadith* collections existed in the first century itself.[3] One can also add here that the availability of literary activities in the Arabian peninsula before the Prophethood of Muhammad suggests people's interest in writing and recording of events. That some curious *Sahabah*

recorded the sayings of the Prophet, therefore, cannot be totally ruled out. This assertion is the main focus of this paper as revealed in the ensuing sections.

RECORDING OF *HADITH* –AN ASSESMENT

One of the issues raised by the orientalists scholars against the validity and the authenticity of *hadith* is that the *hadith* was orally transmitted for over a century before its compilation into a book form. They argued further that the traditions were invented trough a chain of narrators down to the Prophet to emphasize either political affiliation or dogmatic doctrine. Put in plain terms the corpus of traditions from the Prophet is alleged to be the product of a large-scale pious forgery.[4]

A fact worthy admitting is that the official recordings of *Ahadith* came at a later stage during the time of ^{C}Umar Ibn ^{C}Abdul –^{C}Aziz who ordered a scholar called Abubakar Ibn Hazim to compile a book of *hadith* for official use.[5] However, individual compilation predated this official directive. The attempt could be regarded as a modest move geared towards the protection of *Ahadith* from containing false information, interpolation and the alleged pious forgery. This is evidently clear form the directive itself. 'Ibn Hazim was asked to rely on the collection of Qasim Ibn Abubakar (d. 112A.H) the only survivor among the seven jurists who were the centre of reference on religions matters.[6] This implied that the jurists themselves relied on personal collections of *hadith*, which they referred to before arriving at a finale verdict.

It is not the aim of the present study to delve into the biographical notes of the seven jurists of Madinah or to explore the arguments generated by their activities; a more detailed academic work is, in our view, required in this regard. However, their activities as at that time were compelling enough to invalidate Goldziher's [7] and Schacht's [8] claim of "pious forgery" and "fictitious expression" respectively. The jurists, severally and collectively, possessed sound knowledge of Qur'an and science of *hadith* which placed them at a vantage position of knowing the authentic from the fabricated Traditions. It is even on record that judges used to consult them before certain judicial decisions were made.[9]

Another reason that the critics of *hadith* adduce is that certain *Ahadith* forbid the recording of *hadith*. Azami identifies three Traditions that are prominent in this regard. They are as follows.

> Abu-said Al-khudri, may Allah be pleased with him, reported that, the Prophet (S.A.W) is reported to have said: " Do not write from me except the Qur'an and whoever has written anything from me other than the Qur'an should erase it."[10]
>
> Zayd bn Thabit visited Mu'awiyah and sought information concerning an *hadith* from him. He (Mu'awiyah) ordered some one to write it. Then Zayd informed him that, "the Prophet forbids us from writing down any of his *Ahadith"*. He then erased it.[11]
>
> Abu Hurayrah, may Allah be pleased with him, reported that, the Prophet once met us while we were writing *Ahadith.* He enquired what we were writing. We said, "They are your *Ahadith"*. The Prophet remarked. " A book different from the book of Allah? Do you know what led the people before you astray? They made other writings along with the book of Allah". [12]

Azami investigates these *Ahadith* in a more polemical discourse. He argues in favour of recording of the *hadith* and concludes that:

> The Prophet's disapproval of writing *Ahadith* most probably meant the writing of the Qur'an and non-Qur'anic materials on the same sheet because that might have led to misunderstanding. [13]

We are inclined to believe that the Prophet was admonishing against mixing the two together as the fear of mixture was real but personal writing could not have been totally

prohibited. Furthermore, we discovered that the first *hadith* cited above which was reported by Abi sa'id al-khudri is said to be weak, because it is categorized as *Mawquf.* [14] As-salafi [15] has however queried this judgement of Bukhari. He said that Muslim reported the same *hadith* in the category of *Marfu*[c]. This is not an indication that As-salafi disagrees that the Prophet disapproved the recording of his statements. He only contends the categorization of the *hadith* as a weak Tradition. He further submitted that the *hadith* was later abrogated.[16] Besides, this *hadith* has two different versions. One of them is transmitted by Abdurhman Ibn Sai[c]d who was said to be a weak narrator and used to edit *hadith* without knowing it. [17] For this reason 'Ibn Hisham opines that he deserved to be abandoned. [18] The same argument goes for the second narration by Abu-Hurayrah because the same 'Ibn Said appears in the chain of narrators.[19] And as for the authenticity of the *hadith*, the author of *Tuhfatul-Ahawazi* provides the following interpretations, if the *hadith* to be considered on its merit:

> That the recording of the *hadith* was forbidden during the time of revelation, so that it could not be seen as dovetailing with the Qur'an. And that the *Ahdith* should not be recorded on the same sheet with the Qur'an, whereas it was allowed on different sheets. Furthermore the *hadith* in reference was later abrogated by other Traditions that allow its recording. [20]

Ibn Qutaybah, as quoted by As-salafi,[21] provides a fourth option that the disapproval was general while the approval was specific permission as could be deduced from the following *Ahadith* listed by Azami in support of the recording. It should be noted, however, that the *Ahadith* that shall be considered here are said to have abrogated the *hadith* against the recording of *hadith.*[22]

> Abdullah Ibn Amru Ibn Al-Asi, may Allah be pleased with him, reported that, I said, "O the Prophet of Allah, we used to listen to your statements which we could not memorized, can we then put them into writings? The Prophet said "all right you could write them". [23]
>
> And from the authority of Ahmad (he reported Ibn Al-asi as having said) "Oh Prophet of Allah, I listen to your speeches, can I write them down? He said Yes, I said "in both state of happiness and anger? He replied "Yes, because, I do not utter any statement except the truth".[24]

The two Traditions indicated that Al-Asi used to write down the *hadith*. This point to the Prophet's approval of the practice. And to further consolidate the principle of tacit approval, Al-asi enquired from the Prophet whether to quote him in every circumstance and the Prophet answered in the affirmative. The *hadith* of Abu-Hurayrah, on the other hand, made some categorical statements on the recording of *hadith*.

> Wahab Ibn Manbah reported from his brother who said he heard Abu-Hurayrah saying that none of the *Sahabah* reported more *hadith* than me except Abdullahi Ibn Amru because he used to write and I didn't. [25]

It should be re-emphasized here that the *hadith* analysts, as mentioned earlier, have explained these seemingly contradictory *hadith* in many ways Ibn Qutaybah, for example, is of the view that:

> The *hadith* on prohibition belong to an earlier period in the life of the Prophet and are abrogated (*mansukh*) by the later ones which carry permission, or alternatively the prohibition was meant only for such companions as were not well trained in the art of writing and did not include those who could write proficiently without fear of distortion. [26]

Similarly, Siddiq, in our view, has argued quite reasonably that:

The date of one *hadith* in the *sahih* of Bukhari, which gives to Abu-sha permission to write down one of his discourses, is dated the year of the conquest of Makkah, a fact which would favour the view that the *hadith* which allowed the writings of *hadith* post date those which indicate prohibition. [27]

In addition Ibn Amru, a principal actor in the *hadith* being investigated, was said to have arrived Syria with a camel loaded with several books from which he used to quote. [28] This is an indication that Ibn Amru had other collections with him different from *hadith* collection. It also apposite to mention that some books were in circulation as at that time such as tribal poems, promissory notes, personal letters and tribal agreements. [29] The book of Daniel was also believed to be in circulation. [30]

Furthermore, the Qur'an encourages documentation of events, pacts and business transactions so as to safe-guard them from being forgotten or lost. [31] It is an indisputable fact that the *sahabah* would guard the Prophetic treasure jealously than the worldly materials or documents. Though one is not claiming that the events of 276 months (i e 23 years) were all recorded but a sizeable number of Traditions were actually recorded. Maurice Bucaille's claim that not a single collection of *hadith* was drawn up at the time of the Prophet," [32] in our opinion, should be understood to refer to book collection and not the actual recording of *hadith*.

THE *SAHABAH* AND THE RECORDING OF *HADITH*

The companion as earlier observed formed the coterie of the Prophet's students. They received and assimilated the teachings of the Prophet for onward transmission to the later generation. The teaching method adopted was memorization, while some recorded some *hadith*. Muhammad Mubarak has, however, identified five ways for the dissemination of the Prophet's teachings during his lifetime as follows.

(i) **Wa'z:** oral teaching in gatherings.
(ii) **Khutbah:** prepared sermons for Friday prayers, 'Eld prayers and on special occasions such as wedding ceremony.
(iii) **Ta'lim:** special training sessions for his emissaries
(iv) **Af'al:** his practical demonstrations of the Qur'anic teachings
(v) **Sunnah:** his own actions based on the interpretation of the Qur'an messages. [33]

Though the last two, in our opinion, are identical, one can add the questions, and answers sessions as well as statements made while settling disputes as the sixth and the seventh possible methods respectively. It worth noting that there was no formal system of education as at that time. Circumstances usually dictate the method to be adopted. The second Caliph ᶜUmar was reported to have entered into an agreement with an Ansari to compares notes on the Prophet's teachings when either of them was absent from the Prophet's circle. [34] This reported episode is strong enough to cast doubt on the claim of Abu-Riyyah that ᶜUmar used to reject the *hadith* of other *sahabah*. [35] our contention here is that ᶜUmar, like other companions, used to rely on the reports of others, although he could still reject those he considered questionable, especially after the death of the Prophet.

Another point worth stressing is that the *sahabah* demonstrated great enthusiasm in the dissemination of the Prophet's word so that they world not be counted among those who withhold knowledge an offence which is strongly condemned in the Qur'an. [36] Thus, the *sahabah* considered oral transmission of the *hadith* imperative. To accuse the *sahabah* of pious forgery as Schacht submitted does not conform to the historical reality of the time. Both Goldziher and Schacht contend that the exact words of the Prophet could not have been memorized; hence its transmission might not be completely free from interpolation.[37] This argument was first raised by Goldziher and has since remained an established thesis among some western scholars of Islam. [38]

The main argument, as Ansari puts it, is that "the Traditions reflect the viewpoints obtaining in the second and third Islamic centuries and (therefore), have little to tell about the early part of the first century to which they allegedly belong". [39] Schacht's skepticism is more offensive and unscholarly. He says:

> Every legal Tradition from the Prophet, until the contrary is proved, must be taken not as an authentic or essentially authentic, even if slightly obscured, statement valid for his time or the time of the companions but as the fictitious expression of a legal doctrine formulated at a later date. [40]

The possibility of an individual assimilating all the teachings of the Prophet is however very remote. The view of Ibn Taymiyyah, in this regard, could be considered to be accurate. He says:

> None of the *sahabah* could claim the monopoly of comprehending all the *hadith.* The Prophet might have uttered a statement or expressed a legal point or practically demonstrated an action which would be witnessed by a few. Those who were present would automatically inform those who were absent. [41]

We can deduce from this submission that the *sahabah* used to compare notes among themselves during the Prophetic era and afterwards. It is not on record that the four guided caliphs, despite their closeness to the Prophet, were always in his company; hence they also asked questions on specific matters from those who were present when a proclamation was made on certain issues. [42] This deduction however has been challenged by the critics of *hadith* literature. They are arguing that some notable *sahabah* were vehemently opposed to *hadith* narration not to talk of its recording or comparing notes among themselves. [43] The names of both the first and the second caliphs are very prominent in this regard. Ahmad Amin states that both Abubakar and ᶜUmar opposed the narration of *hadith*. [44] his view is based on the following event.

> Qarzah Ibn Ka'ab narrated that we embarked on a journey to Iraq ᶜUmar escorted us until we reached the place called Harar. He performed ablution by washing each part twice then he said: "Do you know why I have escorted you? We said yes, because we are all companion of the Prophet" he then said "you would come across a group of people who have difficulty in the recitation of the Qur'an, likened to a person climbing the palm tree. Do not narrate any *hadith* to them because it will confuse them. Perfect recitation of the Qur'an and limit your narrations from the messenger of Allah. Proceed on your journey and I am with you". When Qurzah met the people, they enquired about *hadith*, he then said. "ᶜUmar had forbidden us".

This event is self-explanatory and as such to use it as the basis of preventing the recording of *hadith* is far-fetched and wishful thinking. ᶜUmar had made himself clear. He did not want the people to be confused because of their level of Qur'anic education. It is evident from the episode that if they had perfected their recitation, they would have met the standard considered safe by ᶜUmar to allow them to have free access to the *hadith*. Therefore, to present this event in such a way as to prove that ᶜUmar was vehemently opposed to the recording and the transmission of *hadith* will not in our view, be correct. Another critic, who shares Amin's submission on ᶜUmar is Mahmud Abu Riyyah. He bases his assumption on the fact that ᶜUmar was alleged to have prevent the Prophet from writing a book as contained in the following narration.

> The Prophet was reported to have asked for a paper to write something on his sick bed. To this ᶜUmar said, "the Prophet is in the state of comma, the book of Allah is sufficient for us" [46]

We are tempted to observe that this incident is extremely doubtful. The expression that "the Prophet is in the state of comma" can be interpreted in many ways. It could be that ᶜUmar was

sympathetic to the Prophet's poor health rather than opposing him as wrongly claimed by the *shi^c^ah* scholars. [47] It can also be contended that the Prophet was said to be unlettered, how then was it possible for him to write a book while in the state of comma and on the sick bed? In any case this event does not suggest that ^c^Umar was against the recording of *hadith.* Azami strongly believes that ^c^Umar used to quote *hadith* in his official letters and in this way many *hadith* were recorded and transmitted by him. [48]

Furthermore, it is on record that ^c^Umar, during his caliphate, thought of compiling the Traditions but abandoned the idea for fear that the people should keep to them and leave the Qur'an. [49] This could be regarded as another supportive argument that some companions paid attention to the preservation of the *hadith* in the same manner they had the Qur'an written down on the available scantly written materials. The fear of mixing the two was therefore the major concern of ^c^Umar in this regard.

The first caliph Abubakar is also alleged to have opposed the transmission and recording of *hadith*. He was said to have observed that "we have the book of Allah in our midst; you should follow its injunctions. [50] This argument is not strong enough to attract serious reaction. However, As-Sibai^c^ quotes an instance which suggests that Abubakar used to reject any *hadith* narrated by an individual narrator. Instead he used to call other witnesses. [51] The incident being referred to, to the best of our knowledge happened once in the case of inheritance as follows:

> When a grandmother came to Abubakar asking about her share in the inheritance of her grandson, he replied "I have not found a share for you in the book of Allah and the Prophet did not fix any share for such a case". He asked the companions whether the Prophet gave a grandmother one sixth. Abubakar asked him whether anyone was with him at such occasion to state as Mughirah had said upon this statement; Abubakar gave the grandmother one-sixth. [52]

From this incident, it is unequivocally convincing that Abubakar rather than rejecting *hadith* laid a solid foundation for the principle of authenticating and disparaging (i.e *llmul-jarh wa ta'adil*). It is also on record that he wrote down about five hundred (500) *hadith* which he later burnt. [53] The burning could either be a way of discouraging the writings of *hadith* and the Qur'an on the same sheet or it could be as Azami claimed that at the time of writing he did not know the position of the Prophet on the issue. [54] It could also be that he suspected that it contained some *hadith* related by unreliable people. [55]

CONCLUSION

Despite the thesis and the anti-thesis of recording during the time of the Prophet, it is incontestable that *hadith* were both orally transmitted and some *sahabah* had it written down. The opposing argument that stems from the fact that the Prophet was reported as having frowned at its recording can be disregarded, because if the recording were not in practice, he would not have kicked against it.

The second argument worthy of consideration is the fact that every society has certain norms, values handed down through generations. The existing generation is its custodians for onward transmission to future generations; such values are generally not recorded in book form but are largely orally transmitted. The non-availability of document facts on such values does not invalidate their existence. This argument goes for the *hadith* Islam as generally acclaimed, changed the social norms of the Arabs. People continuously imbibe the culture from the primary source which the *hadith* symbolizes. Despite the claim of the critics of *hadith* on the non-availability of writing materials, the *hadith* were preserved and jealously guarded by the companion of the Prophet. It could be further observed that even if writing materials were available, the recording would be a very difficult task. This is because to comprehensively record the actions, utterances and tacit approvals of a political and religious leader during his lifetime

will be a futile exercise. The Prophet did not train a particular community but the whole of humanity. The fact that proper official documentation of his teachings was made in the second and the third century of Islam does not in any way suggest pious forgery or fictitious expressions. The conclusion that can be drawn from the scholastic polemics on the recording of *hadith* is that, it was initially discouraged on fears that the *hadith* might be confused with the Qur'an texts. Later when such fear was no longer entertained, the Prophet permitted the recording of *hadith*. Indeed, *Hadith* records are beneficial to mankind in general and the Muslims in particular today as it will be everlastingly beneficial to all.

Notes and reference

1. M.M Azami, *Studies in Early Hadith Literature*, Indianapolis, 1978, p9
2. Ibid
3. Ibid
4. Mahmud Abu-Riyyah, *Adwau ala sunnatil Muhammadiyyah*, Muasasatu '-Ansariyyah Tehran, Iran (n.d). p 51.
5. Muhammad Shadhili an-Nayr "*Tarikh Tadwinu-sunnah fil-Qurnayni'l Awal wa Thani* in Rabitatu'l Alamu l-Islami, vol 20 (1) p.94.
6. The names of the jurists are as follows:
    - Abu Muhammad sa'id ibn al musayab (d. 112 A.H)
    - Al-Qasim bn Muhammad bn Abi –bakar As-sidiq (d. 112 A.H)
    - Urwah bu Zubay-bn al awam (d. 94.A.H)
    - Abu baker bn Abdulraman bn al Harith (d. 112 A.H) Ubayd – Allah bn Abd-Allah (d.94 A.H).
    - Abu Zayd Kharijah Zayd bn Thabit (d.100 A.H)
    - Ayub Suiaman bn Yasar (d. 100 A.H) see *Rabitatul Alamul-Islami* vol 20 (1)p.93
7. Ignaz Goldziher, *Muhammadnische Studien* (Muhammadan Studies) Teill, Halle, 1890. the work was reproduced by Olms Hudeshelm in 1961 C.E
8. Zafar Ishaz Ansari "The authenticity of Traditions: a critique of Joseph Schacht's Argument e. silentio" *Hamdard Islamicus* a Journal of Islamic Research and studies Vol. VII No. 2, 1984 p.51.
9. Muhammad Luqman As-salafi, *Assunnah, Hujiyatuha wa makanatuha fil-islam waradd ala Munkinriha.* Beirut, 1989, pp169-170.
10. Azami p.28
11. ibid
12. Ibid
13. Ibid pp.23-24
14. Ibid p.26
15. As-salafi p.171
16. Ibid
17. Azami, p.28
18. Ibid
19. Ibid
20. Abdur-rahaman Muhammad Uthman *Muqadimatu-t-Tuhufatu'l- ahawadhi* n.p" pp39-40
21. As-salafi p. 171
22. Ibid
23. Azami p.26

24. Ibid
25. Muhammad Adib salih, *Lamhat fi Usuli-l-hadith,* AlMaktabu'l Islam, Beirut, 1985, p.58
26. Muhammad Zubayr Siddiq *Hadith Literature, Its Origin, Development and Special Features Islamic* Text Society Cambridge U.K 1993, pp.25
27. Ibid p.27
28. Abdul Mu'imin Salih, *Difa'un Abi-hurayrah* Maktabah Nahasah, Beirut 1981 p.21. Also see As-salafi op.cit p. 171
29. Azami pp.1-2
30. Ibid
31. Qur'an 2:282
32. Maurice Bucaille, *The Bible, The Qur'an and Science,* Alabela Islamic Publications, Lagos "n.d" p.115.
33. Muhammad Mubarak "Al-hadith fi Ahadin-nabiy in *Rabiatatul Alamul-Islami*, 1981 Vol, 20:No 1, p.48.
34. Ibid p.51
35. Abu-Riyyah, p.58-59
36. Qur'an 2:159
37. Ansari p.51
38. Ibid
39. Ibid
40. Ibid
41. Ahmad Ibn Taymiyyah, *Raful Malam an Aimatil-Islam*, Islamic University Press, AlMadinah, 1989, pp.208
42. Ibid
43. Abu-Riyyah, p.270
44. Ahmad Amin, *Fajrul-Islam,* Maktabah nahadah'l –Misriah, Egypt, 1975, p.210
45. Ibid
46. Abu-Riyyah, p.55
47. The shi'ah scholars maintain that, the prophet was to write down the name of Ali, as his successor. ᶜUmar was alleged to have prevented him. See Muhammad at Tijani As-samawi *As-shi'ah hum ahalus-sunnah* Muasasssatul-fajr, London 1993 p.174-175
48. Azami, p.58
49. Shaykh Aly Al-khafeef, "Sunnah's role in expounding Islamic rules and the refutation of suspicion cast at their authenticity or transmission" in *Al-Azhar,* journal of Islamic Research, 1966, p.57
50. Abu-Riyyah, p.55
51. As-siba'I p. 20
52. Ibid p.71
53. Azami, p.34.
54. Ibid
55. Ibid

THE APPLICABILITY OF THE SOLITARY HADITH IN SHARI'A MATTERS AMONGST THE FOUR SCHOOLS

MANSUR ISA YELWA
(International Islamic University, Kuala Lumpur, Malaysia)

ABSTRACT
Regardless of its various classifications, Hadith remains the second tier of the primary sources of Shari'a; or, as rightly said, works side-by-side with the Qur'an. As jurists call it al-waÍy al-thÉnÊ (the second revelation), it proves that its crucial role in laying down the fundamental principles of Islamic jurisprudence cannot be over-emphasized. Nonetheless, the consideration given to its categorization into MutawÉtir (consecutive) and ÉÍÉd (solitary) for the purpose of applicability should not be over-looked. Jurists of past and present have divergent opinions regarding the applicability of Íadith ÉÍÉd in Shari'a matters, thus leading to variations in jurisprudential verdicts. The Hanafi school being the first among the four Sunni schools of Islamic jurisprudence examines the solitary Hadith in more critical way. Others seem to be more lenient with respect to its applicability; perhaps due to the flow of Hadith and the subsequent development in its sciences in the latter's ages. Here, we shall discuss the various views of jurists in relation to the applicability of ÍadÊth ÉÍÉd in Shari'a matters. The paper will consist of the introduction, the crucial role of Hadith in Sharia, its meaning and classification. Emphasis will be laid on the solitary Hadith through its meaning, juristic opinions on its applicability, their arguments, justifications, critical analysis of their arguments and the preponderant opinion.

1.0 INTRODUCTION

This paper analyses the sphere of application and the applicability the solitary Hadith in Sharia matters. Solitary Hadith, otherwise known in Arabic as *Hadith ÓÍÉd,* is that type of Hadith which has been reported through a channel of single or an odd number of reporters. The question of the applicability of the solitary Hadith in Islamic law is generally a disputed one. Islamic jurists have different opinions as to its applicability or otherwise in *'aqÊda* and Shari'a matters. Our focus of discussion will be restricted within the ambit of Shari'a matters. That is to say, can we rely solely on a solitary Hadith as a primary source of Sharia in passing judgments and giving verdicts? And what are the criteria for the application? Finding answers to these questions will, in no small way assist in smoothing the dispensation of Islamic justice and *fatwa* verdicts.

2.0 DEFINITION OF HADITH

2.1 Literal Definition

The word Hadith is literally derived from the verb root *"Íaddatha"* meaning 'he narrated'. It stands for the same meaning with *al-khabar* (news or narrative) and *al-jadÊd* (new or fresh).
The singular form is *Íadith* while the plural is *aÍÉdÊth.*[1]
Hadith therefore literally means a narrative, communication or news consisting of the factual account of an event. The word occurs 23 times in the Holy Qur'an. In all such usages it is used in the literal meaning of Hadith. These include:

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا

"And who is truer than Allah in narration?"(Q 4:87)

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ

[1] Muhammad Ibn Manzur al-Ifriqi, (1995) *LIsÉn al-'Arab,* Beirut: Dar Sadir, under entry *"ha-da tha"* Vol. 2, p 131

"Has there come to you the story of Musa?"(Q 78:15)

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ

"Has there come to you the narration of the Overwhelming?"(Q 88:1)

2.2 Technical Definition

According to the scholars of *Usul al-Fiqh* Hadith is defined as anything related to the Prophet (SAW) pertaining to his sayings, actions, silence approvals and attributes.[2]

The term Hadith is often used synonymously with *Sunnah*. Though *Sunnah* is wider in scope of meaning than Hadith. *Sunnah* thus referred not only to the Hadith of the prophet (SAW) but also to the established practice of the community.[3] Thus, every Hadith is Sunnah and not every Sunnah is Hadith.

3.0 *HUJJIYYAH* (PROOF - VALUE) OF HADITH

Hadith is unanimously agreed to be the second tier of the primary sources of Shari'a. The Qur'an provides:

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون

"And we have revealed unto you the Qur'an so that you may explain to mankind that which was revealed unto them." (Q 17:44)

All that the Prophet (SAW) says is an authority of divine source.

إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى

"Nor does he say (aught) of (his own) Desire. It is no less than an inspiration revealed to him"(Q 54: 3-4)

Allah the Almighty enjoins believers in many verses of the Qur'an to obey His Messenger absolutely. Examples of such verses include:

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول

"Obey Allah and obey His Messenger"(Q 4:59)

مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه

"Whosoever obeys the Messenger has verily obeyed Allah."(Q 4:80)

Also, the Hadith itself tells us about its authority in Shari'a and the obligation upon the believers to adhere to its rulings. The following are examples of such *ahadith:*

Narrated al-Irbad ibn Sariyah that the Prophet (SAW) said: "You are to follow my Sunnah and the Sunnah of the rightly guided Caliphs."[4]

In another Hadith he said:

"I have been given the Qur'an together with its like (Hadith)."[5]

Also, it is reported that the prophet (SAW) said:

"I left two things among you. You shall not go astray as long as you hold on to them, the Book of Allah and my Sunnah."[6]

Ijma' is confirmed that Hadith is the next to the Qur'an in authority in Shari'a.[7]

4.0 CLASSIFICATION OF HADITH

Hadith has various classifications under various categorizations. In this context, it is classified in

---

[2] Muhammad ibn Salih al-Uthaimin, (1426), *Al-UÎËl min' ilm al-uÎËl*, Cairo: Dar ibn al-Jauzi. p 57

[3] Mohammad Hashim Kamali, (2000), *Principles of Islamic Jurisprudence,* Selangor: Ilmiah Publishers, p 47

[4] Abu Dawud, Sulaiman ibn al-Ash'ath, (n. d.), *Sunan AbÊ DÉwËd,* Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, Vol. 4, p 329

[5] Ahmad ibn Hanbal al-Shaibani, (n.d), *Musnad,* Cairo: Cordoba Foundation, Vol. 4, p 130

[6] Malik ibn Anas al-Asbahi, (n.d), *al-MuwaÏÏa',* Cairo: Dar Ihya al-Turath al-Arabi. Vol. 2, p 899

[7] Kamali, 48

relation to its grades of *riwaya* i.e. form of collection or channel of narration, into two, viz: *Hadith Mutawtir* and *Hadith ÓÍÉd.*

4.1 *Hadith MutawÉtir* (The Continuous Multiple Reporter Hadith)

This type of Hadith is that whose chain of channel of collection is established by a multiple number of narrators. This plurality in the number of narrators makes such Hadith stronger in testimony. Thus, the plurality must be at all levels, from bottom to top. In other words, from the level of the *Sahaba* (companions) up to the last level of its documentation and spread. Once a Hadith becomes *mutawatir,* it engenders *ilm a-yaqin* (absolute knowledge of certainty) like that of tha Qur'an. Such Hadith is also considered as *qaÏ'iy al-thubËt* (the absolutely proven).[8] Scholars have enumerated certain conditions that must be considered before a Hadith qualifies to be *mutawatir.*

1- The number of narrators at each level must be a multiple one, such that precludes the likelihood of their falsehood.
2- The multiplicity must be at all levels of the Hadith chain.
3- Their report must be based on sense perception, based on hearing, seeing etc.[9]

4.2 Example of *Hadith MutawÉtir*

"Whoever fabricates a lie about me deliberately must prepare for himself a place in the Hell-fire."[10]

This Hadith is believed to have been narrated by over sixty narrators from among the *sahaba*, among whom were the ten most respected Sahaba.[11] Similar plurality has been established in all the steps of its chain.

4.3 *Hadith Ahad* (The Solitary Hadith)

Our main topic of discussion is about this Hadith and its applicability. This type of Hadith is reported by a single reporter or by odd individuals.

The view of the majority is that *Hadith ahad* does not engender *ilm al-yaqin* as *mutawatir,* it is rather *zanni al-thubut* (proven by probable testimony).[12] Our discussion will focus on the juristic views regarding the applicability or otherwise of *Hadith ahad* in Shari'a matters.

Generally, before a solitary Hadith is applied, certain conditions must be qualified.

1- The transmitter must be a Muslim.
2- He must be of full legal capacity.
3- He must be an upright person.
4- He must possess a retentive memory.
5- He must be free from *tadlis* i.e. distortion which may lead to forgery.[13]

5.0 JURISTIC VIEWS

Once the aforementioned conditions are met, *Hadith ahad* could be applied as per the view of the majority, including Imam Shafi'i and Imam Ahmad. However, Imam Malik and Imam Abu Hanifa have set some additional conditions before applying the Hadith. We shall discuss these views one after another looking into each view and its reasons.

---

[8] Kamali, 68
[9] Muhammad Ibn Muhammad al-Ghazali, (1997), *al-MustaÎfÉ fÊ 'ilm al-UÎËl,* Beirut: al-Risala Foudation, Vol. 1, 264
[10] Muhammad Ibn Isma'il al-Bukhari, (1987), *SaÍÊÍ al-BukhÉrÊ,* Cairo: Dar al-Sha'ab, Vol. 1, 38
[11] Abdul-Rahman ibn Abi Bakr al-Suyuti, (n.d), *TadrÊb al-RÉwÊ fÊ Sharhi TaqrÊb al-Nawawi,Ê* Riyadh: al-Riyadh al-Haditha, Vol. 2, 177
[12] Kamali, 70
[13] Ibid. 73

5.1 View of Imam Malik

Imam Malik holds the view that *Hadith ahad* is applicable in all matters so long as it does not contradict the principle of *amal ahl al-Madina* i.e. the practice of the Medinites.[14]

5.2 View of Imam Abu Hanifa

Imam Abu Hanifa only applies *Hadith ahad* subject to some strict conditions. These conditions are as follows:

1- The narrator's action must not contradict his narration.
2- The subject matter in of the Hadith must not be such that necessitates the knowledge of a vast number of people.
3- The Hadith must not contradict *Qiyas* (analogical deduction).
4- The narrator must be *faqih* (jurist) when such Hadith does not comply with *Qiyas.*[15]

4.3 View of Imam Shafi'i and Imam Ahmad

As pinpointed above, Imam Shafi'i and Imam Ahmad maintain the view that *Hadith ahad* is generally applicable in all matters once the general conditions are satisfied.[16]

5.0 TABLE OF ARGUMENTS/PROOF

Each of the contenders of the divergent views tries to establish his own argument with proving authorities from both the primary and secondary sources of Shari'a. We shall table such arguments and examine their strength to find out the preponderant among them.

5.1 Collective Argument of Imam Malik and Imam Abu Hanifa

The two Imams depended on the fact that *Hadith ahad* only engenders probable knowledge and not a factual one.[17] By this, if we were to rely upon *Hadith ahad* and apply it, our action would be tantamount to worshiping Allah by relying upon what is not certainly known, which is prohibited.[18] They relied on the following provisions.

إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

"For he (Satan) commands you what is evil and shameful, and that ye should say of Allah that of which ye have no knowledge."(Q 2:169)

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

"And pursue not that of which thou hast no knowledge; for every act of hearing, or of seeing or of (feeling in) the heart will be enquired into (on the Day of Reckoning)."(Q 18:36)

وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا

"But they have no knowledge therein. They follow nothing but conjecture; and conjecture avails nothing against Truth."(Q 54:28)

From the prophetic traditions, they argued on the basis of the Hadith of Dhul Yadain, whose observation that their prayer was incomplete was rejected by the Prophet (SAW).[19] According to them, his narration was not accepted because it was *khabar al-wahid* (a solitary narrative).[20]

Also, Abu Bakar (RA) rejected the narration of Mughira on the share of grandmother in inheritance until same was testified by Muhammad ibn Maslamah.[21]

---

[14] Kamali, 76
[15] Muhammad Hassan Hitu, (1984), *Al-wajÊz fi UÎËl al-TashrÊ' al-IslÉmi,* Beitut: Mu'assasah al-Risala, p. 97
[16] Muhammad Ibn Idris al-Shafi'i, (1999), *al-Risalah,* Oman: Dar Ammar, p. 92
[17] Muhammad bin Ahmad al-Sarkhasi, (1993), *UÎËl al-Sarkhasi,* Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Vol. 1, 21
[18] Ali Ibn Muhammad al-Amidi, (1404 AH), *al-IhkÉm fi UÎËl al-AhkÉm,* Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, Vol. 2, 260
[19] Bukhari, Vol. 1, 130
[20] Amidi, Vol. 2, p 261
[21] Malik, Vol. 2, p 513

5. 2 Individual Argument of Imam Malik

Medinah being the first centre of Islamic state during the prophetic era was blessed with some peculiarities. These peculiarities were the basis of the Imam's application of the doctrine of *amal ahl al-Madina*, i.e. the practice of the Medinites. By this doctrine, any solitary Hadith that contradicts its principle is set aside, and the doctrine would prevail. He elaborated this principle in the following facts.

(a) Medina was the first capital city of the Islamic state.
(b) The revelation of the Qur'an was completed in Medina.
(c) Majority of the legal rules and ordinances were revealed in Medina.
(d) Most of the practical aspects of legal matters were demonstrated in Medina.
(e) Medina comprised of a larger number of Sahaba even after the demise of the prophet (SAW).
(f) The Sahaba witnessed the executions of legal matters pertaining to criminal, civil, torts and other judicial matters.
(g) The Sahaba propagated both theoretical and practical aspects of Islamic knowledge to their successors in Medina.
(h) The jurists of Medina were more likely to study the theory and practice of the traditions of the Prophet (SAW) than anyone else.[22]

Going by these reasons Imam Malik opined that any solitary Hadith that contradicts the doctrine of *'amal ahl al-Madina* would be set aside.

5.3 Example of Solitary Hadith that Contradicts the Doctrine of *'Amal Ahl al-Madina*

Abdullah ibn Umar RA narrated that the Prophet SAW said: "The parties to a sale are free to change their minds so long as they do not separate (from the meeting point of the contract)."[23]

This Hadith authorizes the principle of *khiyar al-majlis* (option of repudiation before separation) in the law of contract. But the medinese practice on this point makes the contract complete and binding on parties so long as express agreement is reached by a valid offer and acceptance. The Hadith is therefore rejected on the ground that it is a solitary one.[24]

5.4 Individual Argument of Imam Abu Hanifa

As pinpointed earlier, the Hanafis only apply *Hadith ahad* subject to the satisfaction of some strict conditions. Here we will analyze such conditions and their arguments.

1- **That the narrator's action must not contradict his narration.** The argument of the Hanafis here is based on the principle *"al-rÉwÊ adrÉ bimÉ raw"* meaning the narration is more aware of what he narrates. Thus, his deviation from a Hadith which he narrates implies that the Hadith is not a reliable authority. An example was given of a Hadith narrated by Abu Hurairah (RA) which reads:

"When a dog licks a dish, wash it seven times, one of which must be with sand."[25]

According to Abu Hanifa, Abu Hurairah did not act upon this himself. He added that since the general requirement for washing is normally three times, this report is considered weak, including attributing it to Abu Hurairah.[26]

2- **That the matter in question must not be such that necessitates the knowledge of a vast number of people.** The argument of the Hanafis here is that in such a case, if the Hadith were to

[22] Amidi, Vol. 2, 262.
[23] Bukhari, Vol. 3, 76
[24] Kamali, 76
[25] Muslim Ibn Al-Hajjaj al-Naisaburi, (n.d), *Sahih Muslim,* Beirut: Dar al-Jil, Vol. 1, 161
[26] Kamali, 75

be reliable, it would have been popular among Muslims and as such, must have been narrated by a vast number of narrators. An example of such Hadith is that which says:
"Anyone who touches his sexual organ must take a fresh ablution."[27]
This Hadith is rejected by the Hanafis on the ground that if it had been authentic, it would have become popular and established in the practice of all Muslims.[28]

3- **That the narrator of *Hadith ahad* must be a *Faqih (*jurist) if the Hadith does not comply with *Qiyas* (analogical deduction), otherwise, *Qiyas* will prevail.** If however, the narrator is known to be faqih, then his report would be preferred over qiyas. Going by this principle, the Hanafis rejected the solitary Hadith of *al-musarrah*, that is the animal whose milk is retained in its udders so as to impress the buyer. The Hadith reads as follows: "Whoever purchases a *musarrah* has a choice for three days after having milked it, either to keep it or to return it with a *sa'* quantity of dates".[29]
According to the Hanafis, this Hadith is contrary to Qiyas on the ground that the rule of equality requires that if the buyer wishes to return the beast, he must return it with the cost of milk which was in the udders at the time of purchase instead of the dates.[30]

5.5 Argument of Imam Shafi'i and Imam Ahmad

As earlier mentioned, Imam Shafi'i and Imam Ahmad maintained the view that solitary Hadith is an authority as a primary source of Shari'a without outlining any conditions beside the general ones. Representing the view, Imam Shafi'i argued relying upon a number of textual authorities from the Qur'an and Sunnah.[31]

Authorities from the Qur'an:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا

"It is not fitting for a Believer, man or woman, when a matter has been decided by Allah and His Messenger to have any option about their decision: if any one disobeys Allah and His Messenger, he is indeed on a clearly wrong path".(Q 33:36)
Imam Shafi'i applied this verse by an interpretation of Abdullah ibn Abbas where the latter cited it as an authority for the application of solitary Hadith against Tawus.
Also, Allah says:

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ

"Nor should the Believers all go forth together: if a contingent from every expedition remained behind, they could devote themselves to studies in religion, and admonish the people when they return to them,- that thus they (may learn) to guard themselves (against evil)".(Q 9:122)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

"O ye who believe! If a wicked person comes to you with any news, ascertain the truth, lest ye harm people unwillingly, and afterwards become full of repentance for what ye have done".(Q 49:6)
In the above verses, Allah has commanded the believers to accept *Khabar al-Wahid* (solitary narration) of an *'adl* (upright person).[32]

Authorities from Sunnah:

---

[27] Muhammad Ibn Isa al-Tirmidhi, (n.d), *Sunan,* Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Vol. 1, 126
[28] Muhammad bin Ali al-Shaukani, (1999), *Irshad al-FuÍËl ila TahqÊq al-Haq min Ilm al-UÎËl,* Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, Vol. 1, 153
[29] Bukhari, Vol. 3, 93
[30] Kamali, 75
[31] This argument can be seen in three of his books; *al-Risala, Kitab Ikhtilaf al-Hadith* and *Kitab Jama' al-ilm.*
[32] Shafi'i, *Risala,* 29

On the authority of Abdullah ibn Umar RA who sad: once upon a time people were in *Quba* mosque observing the *Subh* (dawn) prayer when a man came and said to them: "The Prophet SAW has received a revelation to face the *Qiblah* (Kaabah) and he did". The people were facing toward Sham, then they turned immediately and faced the Kaaba.[33]

In another Hadith, Anas narrated that a man came to Abu Talha and Abu Ubaida who were about to be served with beer. He said "Beer has been made unlawful". Abu Talha heeded to the new rule and instructed Anas saying: "Stand up and brake the container", and I did.[34]

From the two Ahadith above, we can see that the companions used to accept solitary Hadith, and were not questioning about any of the conditions set by the Hanafis.

In similar occasions we can see where the Prophet (SAW) would send a single companion with a mission to a community, yet they never questioned the authenticity of his message based on solitary reason. For example, Abu Bakr was appointed *Amir al-Hajj* (leader of the pilgrims) to Mecca, Mu'adh was appointed a judge in Yemen, Ali was sent to repudiate a breached treaty, Mus'ab was appointed a tutor in Medina, etc.[35]

Finally, they argued that the Qur'an itself was revealed through a solitary source. Allah (SWT), then Jibril (AS), then Muhammad (SAW). Thus, Allah says:

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

" Verily, this is a Revelation from the Lord of the Worlds. With it came down the spirit of Faith and Truth- To your heart and mind, that you may admonish. In the perspicuous Arabic tongue."(Q 26:192-194)

Authority from Ijma'

They said we can see from the practice of the companions that they unanimously agreed upon acceptability and applicability of solitary narrations of *udul* (upright individuals) in religious matters unconditionally.[36]

6.0 THE PREPONDERANT VIEW

By a critical look at the proofs of all the foregoing arguments we can conclude that the preferred view is the view of Imam Shafi'i and Imam Ahmad. That is, *Hadith ÉÍÉd* is rightly applicable in all shari'a matters. This is in line with the view of the majority who apply it subject to the general conditions as earlier mentioned.

6.1 Refuting the Argument of Imam Malik and Imam Abu Hanifa

Prominent writers of *Usul al-Fiqh* upholding the view of the majority, refuted all the authorities of proof used by the two Imams. We shall take them one after another.

1- **The Qur'anic authorities.** It was held that all the cited verses are generally referring to the rejection of the testimony of a narrator whose narration is not based on facts. This may happen where there is lack of definite certainty of testimony, based on hearing, seeing, etc; or by giving a verdict relying upon a narration whose source is an individual of questionable reputation. In other words, the verses quoted are out of point.[37]

2- **The Hadith of Zul Yadain.** In this, nothing indicates that the Prophet (SAW) rejected the narration of Zul Yadain, rather, he asked for a stronger testimony to proof what he thought was an erroneous observation. And after all, the Prophet (SAW) finally succumbed to Zul Yadain's narration.[38]

---

[33] Bukhari, Vol. 6, 26
[34] Bukhari, Vol. 9, 109
[35] Amidi, Vol. 2, 209
[36] Shafi'I, 30
[37] Ghazali, Vol. 1, 267
[38] Ibid.

3- The story of Abu Bakar and Mughira may not be in favour of Imam Malik and Imam Abu Hanifa. In contrast, it may serve as an additional authority for Imam Shafi'i and Imam Ahmad. This is because when Abu Bakar asked for more witnesses, only Abu Musa Al-Ash'ari testified. By this, the Hadith still remained a solitary one, nevertheless, it was applied by Abu Bakar.[39]

6.2 Refuting Imam Malik's Individual Argument

Imam Malik's argument was based on the principle of the Medinese practice as discussed earlier. But we can refute this argument by a dictum of Imam Malik himself. The then Caliph Harun al-Rashid requested that *al-Muwatta* (the famous book of Hadith written by Imam Malik) be made a code of authority in the Islamic State. Imam Malik replied: "we cannot impose on people what Allah and His Messenger have not imposed on them. After the demise of the Prophet (SAW), his companions spread all over the world propagating his teachings, and with many of them were a number of Ahadith not known to others (who were left back in Medina)."[40]

6.3 Refuting Imam Abu Hanifa's Individual Argument

(a) On rejecting solitary Hadith based on non compliance by its *rawi* (the reporter). This argument is refuted by a common principle that says: *"al 'ibratu bimÉ raw al-rÉwÊ lÉ bi mÉ ra'É"* meaning: consideration applies to what the reporter reports, and not to what he views (in case his practice contradicts his report).[41]

(b) On rejecting solitary Hadith in matters that necessitate the knowledge of a vast number of people. Some scholars argued that even the Hanafis themselves could not comply with this condition. Because in many instances, they applied solitary Hadith in a number of matters which were supposed to be known by a large number of people, and were not. For example, they accept the solitary Hadith which requires repeating ablution when one laughs while performing prayer. They also accept the Hadith that makes ablution void due to vomiting or bleeding. Applying these and similar solitary Ahadith by the Hanafis is a vivid contradiction of their principle.[42]

(c) On the condition that the reporter must be *faqih* when his report contradicts *Qiyas*. This argument is refuted on the ground that it shows disrespect to the Sahaba who were the premier narrators of Hadith. Our belief is that they were all jurists who know the Shari'a better than anyone else. Imam Dhahabi narrated the story of a young Hanafi man who came to the famous mosque of al-Mansur in Bagdad. In the course of his conversation with some men about the principle of *muÎarrah,* the young man said "we do not accept the narration of Abu Hurairah on this matter as Abu Huraira is not *faqih*"! A terrifying huge snake suddenly appeared from nowhere approaching towards the young man who fled. "Repent, repent" people shouted at him. Then young man repented and the snake disappeared immediately.[43] Qiyas is only applicable in the absence of a textual authority. Thus, it is important here to note the applicability of the principle *"lÉ qiyÉsa ma'a an-naÎ"* i.e. no Qiyas is applicable in the presence of a textual authority.[44]

7.0 CONCLUSION

The crucial role of *Hadith ÓÍÉd* (Solitary Hadith) in general matters pertaining to Shari'a, particularly in legal issues cannot be over-emphasized. The four Sunni Schools of Thought have all agreed to its application. However, their opinions vary in the criteria for such application.

---

[39] Ghazali, Vol. 1, 268
[40] Amidi, Vol. 2, 210
[41] Ahmad Ibn Idris al-Qarafi, (n.d), *Sharh TanqÊÍ al-FuÎËl,* n.p, Vol. 2, p 483
[42] Ghazali, Vol, 1, 268
[43] Muhammad Ibn Ahmad al-Zahabi, (n.d), *Siyaru A'lam al-Nubala',* Beirut: Mu'assat al-Risala, Vol. 2, 619
[44] Iyad Ibn Nami al-Sulami, (2006), *UÎËl al-Fiqh allaÐÊ la yasa' al-FaqÊh JahluhË,* Riyadh: Dar al-Tadmuriyyah, p. 289

They all agreed on common conditions. However, Imam Malik and Imam Abu Hanifa have added some more strict conditions making such application a difficult one. A crucial look at their arguments may oblige us to succumb to the view of Imam Shafi'i and Imam Ahmad. That is, general acceptability and applicability of reliable Solitary Hadith in Sharia matters. By so doing, many legal issues involved in cases before our Shari'a courts or brought before our scholars for verdicts would be determined and resolved by the Hadith, such will also - in no small way - enhance a more comprehensive and wider applicability of Hadith.

BIBLIOGRAPHY

1. Abu Dawud, Sulaiman ibn al-Ash'ath, (n.d) *Sunan,* Beirut: Dar al-Kitab al Arabi. Ahmad ibn Hanbal al-Shaibani, (n.d) *Musnad,* Cairo: Cordoba Foundation
2. Al-Amidi, Ali bin Muhammad, (1404) *al-Ihkam fi Usul al-Ahkam,* Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi
3. Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il (1987) *Sahih al-Bukhari,* Cairo: Dar al-Sha'ab
4. Al-Ghazali, Abu Hamid. Muhammad bin Muhammad (1997) *al-Mustasfa fi ilm al-Usul,* Beirut: al-Risala Foudation
5. Al-Qarafi, Ahmad bin idris, *Sharh Tanqih al-Fusul,* (n.p, n.d)
6. Al-Sarkhasi, Muhammad bin Ahmad, (1993) *Usul al-Sarkhasi,* Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah
7. Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris (1999), *al-Risalah,* Oman: Dar Ammar
8. Al-Shaukani, Muhammad bin Ali, (1999), *Irshad al-Fuhul ila Tahqiq al-Haq min Ilm al-Usul,* Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi
9. Al-Sulami, Iyad bin Nami, (2006), *Usul al-Fiqh allazi la yasa' al-Faqih Jahluh,* Riyadh: dar al-Tadmuriyyah
10. Al-Suyuti, Abdul-Rahman ibn Abi Bakr (n.d) *Tadrib al-Rawi fi Sharhi Taqrib al-Nawawi,* Riyadh: al-Riyadh al-Haditha
11. Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa, (n.d), *Sunan,* Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi
12. Al-Uthaimin, Muhammad ibn Salih (1426) *Al-Usul min ilm al-usul*, Cairo: Dar ibn al-Jauzi.
13. Al-Zahabi, Muhammad bin Ahmad, (n.d) *Siyaru A'lam al-Nubala',* Beirut: Mu'assat al-Risala
14. Hitu, Muhammad Hassan, (1984), *Al-wajiz fi Usul al-Tashri' al-Islami,* Beitut: Mu'assasah al-Risala
15. Ibn Manzur, Muhammad al-Ifriqi, (1995) *LIsan al-Arab* Beirut: Dar Sadir.
16. Kamali, Mohammad Hashim (2000) *Principles of Islamic Jurisprudence,* Selangor: Ilmiah Publishers.
17. Malik ibn Anas al-Asbahi, (n.d) *al-Muwatta',* Cairo: Dar Ihya al-Turath al-Arabi
18. Muslim, Al-Naisaburi, (n.d) *Sahih,* Beirut: Dar al-Jil.

SPEECH ACTING IN MORAL TEACHING IN PROPHETIC TRADITIONS AND IN THE ENGLISH VERSION OF THE NEW TESTAMENT: A CONTRASTIVE STUDY

Instructor, Rufaidah Kamal Abdul-majeed
(Acting Head, English Language Dept., College of Education for Women, University of Baghdad)

Abstract:

Moral teaching in religion requires the use of a variety of methods of address to suit audiences of different generations across the ages.

Since human nature is basically the same everywhere and at all times, the means and methods that may be employed in attracting people to morality and ethical behaviour should be similar.

Given that moral instruction is done through the use of speech acts, the researcher has decided to apply the speech act theory to moral religious texts and to analyze them in a way similar to that used in conversational speech acts in the spoken language.

The present study is limited to ten common moral topics from the traditions of Prophet Muhammad (P.B.U.H.) in Arabic and the New Testament in English. This limitation is necessary owing to the large number of moral topics that religions deal with. These topics have been selected with a view to achieving the closest possible correspondence between the texts of the two languages studied.

The treatment of the subject in this study has been conducted on the basis of four hypotheses: (1) Speech act theory can be applied to moral religious texts, (2) Effective moral teaching requires the use of different types of speech acts, (3) Prophet Muhammad's Traditions and the New Testament must have shown such uses, (4) The speech acts utilized in both texts show correspondence in their types.

The model of analysis adopted for this study is the rules set by Searle (1969: 54 ff.) for certain types of illocutionary acts and the felicity conditions from which these rules are extracted.

To investigate the validity of these hypotheses, fifteen Prophetic Traditions in Arabic and fifteen New Testament verses in English have been examined.

The analysis of the texts is supported by a statistical analysis constructed to find out the frequency of each type of speech act in each moral teaching in both texts. The use of "a rank-difference correlation" theory proves that any increase in types and frequencies of speech acts in Arabic texts are accompanied by an increase in types and frequencies of speech acts in English texts. This fact justifies the limited number of traditions and verses examined in this study.

Then, these frequencies have been converted into percentages by which the researcher has made a comparison that contains the type of each speech act and its frequency and the percentage it represents in both texts.

The findings of this study have proved the validity of all hypotheses of the research. They have revealed the applicability of speech act theory to religious language; they have shown the correspondence between the speech act types in both texts; different types of speech acts have been found and; the Prophetic Traditions and the New Testament have shown the uses of these types.

Introduction

Religious and Non-religious Language

The close relationship between language and religious beliefs has been clearly recognized throughout the cultural history of mankind. Language is considered as a means by which the religious themes are spread and received.

Crystal, (1965: 112) considers religious language as a register and should not be confused with the style:

> A style must not be confused with a *register* of language, which is a specialized brand of language existing in a definable social context, but regardless of a particular interpersonal situation, such as the registers of legal, religious or scientific language in English.

Register, as it is defined by Crystal et al. (1997: 327) refer to "a variety of language defined according to its use in social situations, e.g. a register of scientific, religious, FORMAL English." Trudgill (1974: 104) considers *register* as occupational linguistic varieties used by members of a particular profession or occupation, which is characterized by special vocabulary, for example, language of law, language of medicine, and language of engineering.

A Special Way of Using Religious Language

What is meant "religious discourse"? Is this a separate type of discourse which then requires "translation" when spoken in public?

(Cochrane, et. al. "Constructing a language" 1998) says that language functions differently in different communities, the important example here being the "language of human rights". The language of 'win or lose', suggest that the moral context of the language is significant.

The keywords of religious language are 'values', 'equity', and 'transformation'. Ethics and values form the context of religion; such as compassion, justice. (ibid.)

How is religious discourse different from other non-religious speech forms? The answer is in the aspects mentioned hereunder: (The Concept of Religious Language, 2005)

1- Religious language does not differ from the non-religious speech forms which human beings commonly speak.
2- Religious language does not differ from ordinary language in vocabulary. The words used in a religious context are the same as those used in daily speech. A large number of these terms are used and practiced and have juridical nature for example: 'church', 'parish', 'bishop',…etc.
3- Religious language does not differ from ordinary language in grammar.
4- Religious language does not differ from ordinary language style.
5- Religious language does not differ from non-religious language in the way German, French, English and Arabic for example, differ from each other. In other words, there is no translation from religious into English or into common language.
6- Religious language does not differ from non-religious language in the way that a dialect differs from the official accepted language.
7- Religious language does not differ from non-religious language in the way the jargon of a particular group differs from other types of speech.
8- Religious language does not differ from non-religious language in the same way that a technical/scientific language differs from common language. Religious language is really a language about how people should behave towards each other. It serves as a "regulative ideal" to grant validity to the ethical imperatives.
9- Religious language does not differ from ordinary language as regards the "language games". These games are:

> To command and to act according to a command. To describe an object according to its speech appearance and dimension. To construct an object according to a description (design). To make hypotheses concerning a phenomenon. To elaborate hypotheses and submit it to a test. To make up a story and read it. To recite in the theatre. To sing in nursery rhymes. To solve riddles. To make a joke; to tell it. To resolve a problem of applied arithmetic. To translate from one language to another. To ask, thank, beg, greet, pray.(ibid.)

Crystal (1965: 151), as well defines a liturgical language as "a particular set of forms, either a style or a whole language, used in official public workshop on behalf of a religion." Religion and language have a solid relationship since language, being the most flexible tool of communication, is naturally used to communicate a religion to the people and teach them how to communicate with God. (ibid.: 117) Thus, language is considered as an integral part of religion and religion is one of the fields which language could well describe.

He (ibid.: 151) divides language into two kind: everyday language and sacred language:

> It was normal for a culture to have two languages; one, the language of everyday, the other, the sacred language, reserved for use by a few people on a sacred occasion.

Religious language, necessarily, has a special style to identify its specialization. It is an unfamiliar language has unfamiliar style used for special social situation, which requires language other than everyday language. (ibid.)

Crystal et. al (1969: 147) consider "the kind of language a speech community uses for the expression of its religious beliefs on public occasions is usually one of the most distinctive varieties it possesses." They (ibid.) believe that the older versions of religious language are of "greater linguistic significance within the speech community" and it becomes part of "linguistic consciousness" of Modern English. One pointer to this is: there are large numbers of "traditional biblical phrases which have now passed into general usage"; another pointer is that the "the linguistic importance of liturgical language is not restricted to religious situations, though of course its primary function is there." (ibid.: 148)

They (ibid.) conclude that the form and function of religious language are not limited to those who work in religious fields only, but they are of "more general linguistic interest than is often realized."

They (ibid.:161) notice that religious language is characterized by a certain deviation in the word order within a sentence and clause structure. This deviation is clearly noticed in the Authorized Version. For example, two adverbials are coordinated for rhetorical purpose; unexpected reversal, for example, the adverb of manner in English follow the adverb of place, and the order of direct-indirect object order is reversed. (ibid.)

But they (ibid.: 165) believe that the vocabulary of religious English is distinctive in the following aspects: First: it has a number of archaisms; they are words whose referents are no longer used in the contemporary language; Second: it contains a number of theological terms, "which provide the verbal basis for the formulation of a person's beliefs." (ibid.); Third: it consists of items which are very typical religious utterance and are occurred very rarely in English as a whole as they are restricted to formal contexts, and to special kinds of collocations. For example,(Body and Blood).

As it is clear from the above, that Crystal and Davy (1969) agree with the view of (The Concept of Religious Language, 2005) but they disagree with Crystal's (1965) point of view.

Notwithstanding, there is a fact that there is a special way of using language in a religious context and there is a specific way the religious language is spoken different from the way of speaking a non-religious context. This difference has been seen in the difficulty in understanding

the special usage within the various religions even with those who possess full linguistic competence. Therefore, one has to learn and acquire religious linguistic usage. (ibid.) Nevertheless, religious language and non-religious language have similarity in structures and grammar and social nature. Hence, the religious language can be achieved by using felicity conditions that are not much different from the acts speakers use in a natural conversation. Therefore, the speech act theory is applicable to the religious discourse and is quite feasible.

The Prophetic Traditions

The Prophet Muhammed's (P.B.U.H) Hadith and Sunnah, his sayings and actions, are after Qur'an, the most important source of the Islamic tradition. (An-Nawawi, 1993: 4)

He (ibid.:5) says that "one may ask in what way can man emulate Him?" The answer lies in the sayings, which he left behind, which are known as Hadith, and his daily life and practice known as Sunnah.

The Hadiths were memorized and transmitted to us by those who followed Him during succeeding generations. They are the guidance of the Prophetic practice, and they are the vital connection between the Qur'an and the practice and sayings of the Prophet Muhammed (P.B.U.H). (ibid.: 6)

There are numerous number of Traditions' book, but only nine of them are reliable sources, namely: Sahih Al Bukhari,Sahih Muslim, Al-Nisae', Al-Tirmithi, Abu Dawood, Inb Majah, Malik, and Ahmed Ibn Hanbal.

King James' Bible

A study of the New Testament must have, as one of its chief concerns, an effect to determine what the good news is obtained through an investigation of the content of the New Testament in the light of historical setting as Gospel, the word which is a translation from Greek meaning "good news" (Rhein, 1966: 30)

The New Testament consists of four Gospels, namely: Mark, Matthew, Luke, and John. They are primarily concerned with the message of Jesus Christ (P.B.U.H). (ibid.) but they include many other things of tremendous interest. They tell stories about the relationship between Jesus Christ and his followers; they tell something of the life and custom of the times; they describe methods of teaching; they include some history; they describe eyewitness of events and attempt to interpret them; they can be read literally and must be read between the lines. (ibid.: 31)

Jesus Christ followers sustained the immediacy and memorization of his deeds and words. But as the time passes, his words and deeds apparently need to be recorded and the history and the teaching to be evaluated. (ibid.: 33) Then, they felt it is necessary to write down these words and deeds.

The *Authorized King James Version* is an English translation by the Church of England of the Christian Bible begun in 1604 and completed in 1611. First printed by the King's Printer, Robert Barker, this was the third such official translation into English; the first having been the *Great Bible* commissioned by the Church of England in the reign of King Henry VIII, and the second having been the *Bishop's Bible* of 1568. In January 1604, King James I of England convened the Hampton Court Conference where a new English version was conceived in response to the perceived problems of the earlier translations as detected by the Puritans, a faction within the Church of England. (Wikipedia on-line)

James gave the translators instructions intended to guarantee that the new version would conform to the ecclesiology and reflect the Episcopal structure of the Church of England and its beliefs about an ordained clergy. The translation was by 47 scholars, all of whom were members of the Church of England. In common with most other translations of the period, the New

Testament was translated from Greek, the Old Testament was translated from Hebrew text, while the Apocrypha were translated from the Greek and Latin. (ibid.)

In the Book of Common Prayer (1662), the text of the *Authorized Version* replaced the text of the *Great Bible* — for Epistle and Gospel readings—and as such was authorized by Act of Parliament. By the first half of the 18th century, the *Authorized Version* was effectively unchallenged as the English translation used in Anglican and other Protestant churches. Over the course of the 18th century, the *Authorized Version* supplanted the Latin Vulgate as the standard version of scripture for English speaking scholars. (ibid.)

In this research, the researcher is going to show how Islam and Christianity deal with moral teachings through mild language by applying a linguistic theory called "Speech Act Theory" as a tool to analyse the verbs used in delivering these teachings by selecting (10) topics in moral teachings from the prophetic traditions and the Bible.

Introduction to Speech Act Theory

The philosopher most associated with speech act theory is J.L. Austin, who was the first philosopher who launched speech act theory and aroused wide interest in this theory. In his work *How to Do Things with Words*, first published in 1962, Austin states that the speaker performs an act when making an utterance in a certain context.

Austin (1962:3-6) makes two important observations. The first is that not all sentences are statements and that much of the conversation taking place among people is made up of questions, exclamations, and commands:

Example: (1) Are you serving?
Example: (2) Excuse me!
Example: (3) Give me the dry roasted ones.

Such sentences are not descriptive and cannot be true or false. His second observation is that even in sentences with the grammatical form of declaratives, not all sentences are used to make statements. The following sentences are therefore, different because they are not uttered just to say things, but rather to do things.

Example: (4) I promise to take a taxi home.
Example: (5) I give my word.

Austin (ibid.) claims that these sentences represent in themselves a kind of action. Thus, by uttering (4) and (5) the speaker makes a promise and gives his word respectively; he does not just describe what he wants. Austin calls these sentences ***Performatives*** (ibid.:6) in contrast to descriptive statements, which he calls ***Constatives***.(ibid.:3)

He (1962:3) introduces the two terms: Constatives and Performatives. He introduced Constatives to describe true or false statements and Performatives, whose 'name is derived from 'perform', the usual verb with the noun 'action' for an utterance performing an action. (ibid.: 6). Here are some examples:

I name this ship 'Liberté'.
I apologize
I welcome you
I advise you to do it

What Austin wants to say is that in making the above utterances in the proper conditions, the speaker performs, respectively, an act of naming, an act of apologizing, an act of welcoming, and an act of advising. These performatives are syntactically similar to the statements, but they do not have truth/false value. However, according to Austin, they can go wrong or be ***unhappy*** or ***infelicitous***. He believes that instead of truth values, performatives have ***felicity conditions***. If we sin against any of these conditions the performative utterance is then infelicitous. He distinguishes

three main conditions:

(A.1) There must exist an accepted conventional procedure having a certain conventional effect, that procedure to include the uttering of certain words by certain persons in certain circumstances, and further,

(A.2) the particular persons and circumstances in a given case must be appropriate for the invocation of the particular procedure invoked.

(B.1) The procedure must be executed by all participants both correctly and

(B.2) completely.

(Γ.1) Where, as often, the procedure is designed for use by persons having certain thoughts or feelings, or for the inauguration of certain consequential conduct on the part of any participant, then a person participating in and so invoking the procedure must in fact have those thoughts or feelings, and the participants must intend so to conduct themselves and further

(Γ.2) must actually so conduct themselves subsequently.

(Austin 1962: 14-15)

When some of these conditions are not fulfilled the performatives cannot come off. For instance, a Christian man cannot divorce his wife by saying:

Example: (2.6)

I divorce you.

since there is no such procedure in Christianity (as in point (A.1)) whereby uttering (2.6) the divorce can be fulfilled. But in another community, as in Islam, there is such procedure, viz. by uttering (2.6) three times, the divorce is actually fulfilled. (Levinson 1983: 230)

Austin distinguishes certain problems between performatives and constatives. He was unable to find a convincing grammatical or lexicographical criterion that would cover all performatives and would differentiate them from the constatives. They both have truth and falsity and felicity/infelicity cases. He finds out that there are some constatives that have the same syntactic structure of the performatives and some performatives that do not have the normal grammatical structure of **I+ present declarative active form**.

In the first part of his book, Austin gives examples containing explicit performative verbs in the first person singular indicative active (Austin, 1962: 56), then he shifts to other possible performative forms such as the passive form with the second or third person.

Example: (2.7)

You are hereby authorized to pay….

*Example: (2.*8)

Notice is hereby given that trespassers will be prosecuted. (ibid.: 57)

After finding out that all utterances are performatives, Austin abandons the constative-performative distinction, and tends to establish a distinction between 'explicit' and 'implicit' performatives.(ibid.: 32)

He concludes that in all utterances, whether having a performative verb or not, there is a 'doing' element and a 'saying' element and thus he distinguishes between locutionary act (henceforth LA) and illocutionary act (henceforth IA) and adds to these two categories a category of perlocutionary act (henceforth PA). He assumes that verbs in the English language correspond one-to-one with categories of speech acts. (ibid.: 91)

He (ibid.: 100) emphasizes the role of the situational context in the communicative use of language by introducing the IAs as the basic types of language functions:

> …for some years we have been realizing more and more clearly that the occasion of an utterance matters seriously, and that the words used are to some extent to be 'explained' by the 'context' in which they are designed to be or have actually been

spoken in a linguistic interchange.

10- Suppression of Anger

But I say unto you, **That whosoever is angry with his brother without a cause shall be in danger of the judgment: and whosoever shall say to his brother, Raca, shall be in danger of the council: but whosoever shall say, Thou fool, shall be in danger of hell fire**. (Chapter 5,Verse 22)

This verse contains a warning speech act, as apparent from the expansion:

I hereby warn that whosoever is angry with his brother without a cause shall be in danger of the judgment.

Searle's (1969:66) rules of a speech act of warning are:

1- The Propositional Content Rule: Future event or state, etc., *E*

2- The Preparatory Rules:

a. H has reason to believe E will occur and is not in H's interest.

b. It is not obvious to both S and H that E will occur.

3- The Sincerity Rule: S believes E is not in H's best interest.

4- The Essential Rule: Counts as an undertaking to the effect that E is not in H's best interest.

Establishing the Status of Warning:

1- The Propositional Content Conditions:

a. Jesus Christ (P.B.U.H.) expresses the proposition of his warning that who is angry with his brother shall be subject to the judgment.

b. He predicates a future event that H might face.

2- The Preparatory Conditions:

a. S is Jesus Christ (P.B.U.H.).

b. H is a believer in Jesus Christ (P.B.U.H.) and has reason to believe that E will occur and that it is not in his interest, in case he disobeys P.

c. S knows H is able to do A.

3- The Sincerity Conditions:

a. Jesus Christ (P.B.U.H.) wants H to obey him.

b. H has interest to perform A.

4- The Essential Conditions:

a. A is not in H's best interest.

b. Jesus Christ (P.B.U.H.) believes that disregarding this warning is going to cause harm to H.

c. Jesus Christ (P.B.U.H.) intends to make H recognizes that disregarding this warning is going to be harmful to him.

The Realization of Warning:

1- Subject: implicit first person singular.

2- Voice: active

3- Tense: present simple.

4- Type of warning: implicit.

5- Type of sentence: declarative

Ye have heard that it hath been said, An eye for an eye, and a tooth for a tooth:

But I say unto you, That ye resist not evil: but **whosoever shall smite thee on thy right**

cheek, turn to him the other also.
And if any man will sue thee at the law, and take away thy coat, let him have *thy* cloke also.
And whosoever shall compel thee to go a mile, go with him twain. (Chapter 5,Verses 38, 39, 40, 41)

The expansion of this verse shows a speech act of advice

I hereby advise you whosoever shall smite you on thy right cheek, turn to him the other also……..

By applying Searle's rules (1969:67) of advising, we will have the following:

1- The Propositional Content Rule: **Future act A of H.**
2- The Preparatory Rules:
a. S has some reason to believe A will benefit H.
b. It is not obvious to both S and H that H will do A in the normal course of events.
3-The Sincerity Rule: **S believes A will benefit H.**
4-The Essential Rule: **Counts as an undertaking to the effect that A is in H's best interest.**

Establishing the Statue of Advising:

1- The Propositional Content Condition: **Jesus Christ (P.B.U.H.) expresses the proposition of advising his followers to forgive their brothers if they were hurt by them.**
2-The Preparatory Conditions:
a. Jesus Christ (P.B.U.H.) believes that H will benefit from this advice.
b. The disciples of Jesus Christ (P.B.U.H.) who have deep faith in him, will listen to this piece of advice and fulfill it in the normal course of time.
3- The Sincerity Condition: **Jesus Christ (P.B.U.H.) believes that in listening to his advice, his followers will gain many benefits.**
4- The Essential Condition: **Jesus Christ (P.B.U.H.) believes that this piece of advice will be in the interest of his followers.**

The Realization of Advising:

1- Subject: implicit first person singular
2- Voice: active
3- Tense: present simple
4- Type of advice: implicit
5- Type of sentence: declarative

Then came Peter to him, and said, Lord, how oft shall my brother sin against me, and I forgive him? Till seven times?
Jesus saith unto him, **I say not unto thee, Until seven times; but, Until seventy times seven**. (Chapter 18,Verses 21, 22)

The expansion of this verse shows a speech act of advice

I hereby advise you to forgive your brother until seventy times if he sins against you.

Searle's rules (1969:67) of advising are as the following:

1- The Propositional Content Rule: **Future act A of H.**
2- The Preparatory Rule:
a. S has some reason to believe A will benefit H.
b. It is not obvious to both S and H that H will do A in the normal course of events.

3- The Sincerity Rule: **S believes A will benefit H.**
4-The Essential Rule: **Counts as an undertaking to the effect that A is in H's best interest.**

Establishing the Status of Advising:

1- The Propositional Content Condition: **Jesus Christ (P.B.U.H.) expresses the proposition of advice to his disciples that forgiveness to brothers when they sin against each other extends to seventy times.**

2- The Preparatory Conditions:

a. **Jesus Christ (P.B.U.H.) believes that H will take this piece of advice into his consideration.**

b. **The followers of Jesus Christ (P.B.U.H.) who believe in him will listen to this piece of advice and fulfill it in the normal course of time.**

3- The Sincerity Condition: **Jesus Christ (P.B.U.H.) believes that by observing this advice, his followers will win the blessing of God.**

4- The Essential Condition: **Jesus Christ (P.B.U.H.) believes that this piece of advice will be in the interest of his followers.**

The Realization of Advising:

1- Subject: implicit first person singular
2- Voice: active
3- Tense: present simple
4- Type of advice: implicit
5- Type of sentence: declarative

Findings

The analysis already made has revealed a number of things. These are listed hereunder in points:

1- All performatives are implicit = 100%
2- The subject in all verses is implicit first person singular, since the speaker is Jesus Christ (P.B.U.H.) = 100%
    1- The voice is :

a. Active: 15
b. Passive: 1
b. Tenses are:
    a. Present simple: 16
c. Types of sentences are:
    1- Declarative: 13
    2- Imperative: 3

The table below shows the statistical analysis of the types, frequency and the percentage of speech acts in the English corpus

Table (2): Types, Frequency and Percentage of Speech acts in the English Text

No	Topics	Types and Frequency of Speech Acts									
		Warning		Assertion		Ordering		Advising		Promising	
		F	%	F	%	F	%	F	%	F	%
1	Haughtiness	1	6.25							1	6.25
2	Honesty			2	12.50						

3	**Humility**									2	12.50
4	**Love in God**			1	6.25						
5	**Mercifulness**									2	12.50
6	**Mutual Kindness**							1	6.25		
7	**Neighbourliness**					1	6.25				
8	**Restraint of Gaze**	1	6.25								
9	**Salutation**					1	6.25				
10	**Suppression of Anger**	1	6.25					2	12.50		
Total[45]		16 = 100%									

*** F** = frequency
% = Percentage

The findings of this chapter can be summarized as follows:

1- In Haughtiness, there is one warning speech act and one promising speech act.
2- In Honesty, there are two assertion speech acts.
3- In Humility, there are 2 promising speech acts.
4- In Love in God, there is one assertion speech act.
5- In Mercifulness, there are two promising speech acts.
6- In Mutual Kindness, only one tradition contains one advising speech act.
7- The Neighbourliness topic contains 1 ordering speech act.
8- In Restraint of Gaze, there is one warning speech act.
9- Salutation shows an ordering speech act.
10- In Suppression of Anger, out of three traditions, there are 2 advising and 1 warning speech acts.

The Results

The present study has revealed that there is correspondence between English and Arabic with respect to the use of speech acts. Similar speech acts appear to be used in delivering the moral instructions in both languages in religious discourse. They are confined to five types: **promising, advising, ordering, assertion,** and **warning.**

Statistical Findings

By making a simple comparison between the type and frequency of each speech act we shall have the following facts:

Table (3): Comparison between Arabic Texts and English Texts

Types of Speech Act	**Arabic Texts**		**English Texts**	
	Frequency	Percentage	Frequency	percentage
Advising	5	31.25	3	18.75
Promising	3	18.75	5	31.25

[45]- The corpus of this chapter is fifteen traditions, one of them contains two speech acts. Therefore, the total number of the speech acts is sixteen.

Assertion	3	18.75	3	18.75
Warning	3	18.75	3	18.75
Ordering	2	12.50	2	12.50
Total	16	100.0	16	100.0

To sum up the statistical results, the types of speech act put in a sequence according to the scores they record in each text in their frequency and percentage:

First: The speech act of **Advising** in the Arabic text and the speech act of **Promising** in the English text.

Second: The speech act of **Assertion** in the Arabic text, the speech act of **Assertion** in the English text, the speech act of **Warning** in the Arabic text, the speech act of **Warning** in the English text, the speech act of **Promising** in the Arabic text, and the speech act of **Advising** in the English text.

Third: The speech act of **Ordering** in the Arabic text and the speech act of **Ordering** in the English text.

The researcher finds it necessary to benefit from a statistical theory that fits this work. Therefore, specialists in this field have been consulted seeking for a theory that proves the correlation and the correspondence between the types of speech acts in both texts. The decision was made to use "***A Rank Difference Correlation***" theory. This theory states that if the result of the mathematical process of calculating the correlation between ranks is (1), then the result marked "significant". If the result is below 0.50, the result marked insignificant. (Jordan,1953: 514)

By applying a rank-difference correlation theory, a correlation of 0.60 appears between types of speech act in Arabic and in English texts. Therefore, it is "marked Significant" (ibid.). That means that any increase in types and frequencies of speech acts in Arabic texts may be accompanied by an increase in types and frequencies of speech acts in English texts.

This result shows that if this research contains more speeches (i.e. traditions and verses), the findings will be the same. That is why the decision was made to analyse only (15) speeches in both languages.

The results

1. The above statistical results show that the higher scores recorded in the Arabic texts is in the speech act of **advising**, but in the English texts, it is in the speech act of **promising**. Next in the scores recorded in the Arabic texts comes the speech act of **promising**, **assertion** and **warning**, whereas in the English texts, the second level of scores was recorded by the speech act of **advising**, **assertion**, and **warning**. The speech act of **ordering** in both texts records the third level of scores. This indicates that religion (Islam and Christianity) in Arabic and English, addresses the reason of human beings and keeps orders and impositions to the minimum when delivering moral teaching.
2. The speech act verbs are implicit in all the traditions and verses. The percentage of the implicit verbs is 100%.
3. The subject in all traditions and verses is implicit first person singular. The percentage of the implicit subject is 100%.
4. The tense is present in both texts.
5. The voice is active and passive in both texts.
6. The types of the sentences are declaratives, imperatives, declarative negative and imperative

negative in both texts.

CONCLUSIONS

This study was undertaken to provide evidence on the applicability of Speech Act Theory to religious language and to prove that there is correspondence between the two languages, English and Arabic, regarding the use of the types of speech acts in religious discourse.

1. There is correspondence between English and Arabic with respect to the use of speech acts in delivering moral instructions in religious discourse.
2. The research has revealed a most significant fact, which is that the speech acts used in religious discourse in English and Arabic share the property of mildness and kindness of approach and that 'order' is least resorted to in imparting moral teaching. This, in fact, is the common approach of religion in general, whether Christianity or Islam, and this approach is explicitly stated in the Qur'anic aaya:

وادعُ الى سبيل ربكَ بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن. (النحل: ١٢٥)

*Invite people to the way of your Lord with wisdom and fair preaching, and argue with them in the best manner. (**Qur'an** XVI: 125)*

The most significant conclusion of this study is that we do not find a speech act of threatening. This is an important fact which refutes the allegations which say that Islam is a religion of terrorism and it supports the conception set by Prophet Mohammed (P.B.U.H.) : الدين النصيحة. Since Prophets Muhammad (P.B.U.H.) widespread His message in a mild and soft manner offering promises (الوعد) and avoiding threatening (الوعيد) .

The absence of the speech act of threatening indicates the corresponding absence of threatens, which means that the language of religion, be it Christianity or Islam, is far from what it is traditionally thought of as a language of violence and retaliation. It is, therefore, a language that conveys messages to direct man in the straight path to salvation and warns him against damnation, rather than threatens him about not doing so.

Consequently, it is improper and a misjudgment to accuse religion, especially Islam, of generating or even encouraging violence and terrorism.

References

1. ---------- (1997). ***Dictionary of Linguistics and Phonetics.*** Oxford: Blackwell Publishers Ltd. (4th ed.)
2. ---------- (1998) ***Meaning and Speech Acts*** (Linguistic Program, Monash University).
3. ----------(1968): "Austin on Locutionary and Illocutionary Acts". In: ***Philosophical Review***, Vol. 77. 405-424.
4. ----------(1969) ***Speech Acts***. Cambridge: Cambridge University Press.
5. Allan, Keith (1986) ***Linguistic Meaning***. London: Routledge & Kegan Paul.
6. An-nawawi, Abu Zakariya Yaha Bin Sharaf (1993) Riyadh us-Saliheen (The Paradise of the Pious). Rendered into English by Mahmoud Matraji. Corrected and Revised by F. Amira Zrein Matraji Beirut: Dar -ul-Fikr
7. Austin, J. (1962) ***How to do Things with Words***, 2ed ed. By J. O. Urmson. Oxford: Oxford University Press.
8. Butler, Christopher (1985). ***Statistics in Linguistics***. Oxford: Basil Blackwell Ltd.
9. Cochrane, James & Stephen Martin and Gillian Walters. ***Constructing a language of Religion in Public Life***. Summary analysis of the proceeding of the ME99 academic workshop held in Cape Town, 30 September-2 October, 1988.
10. Crystal, David (1965). ***Linguistics, Language and Religion***. (Faith and Fact Books:131)

London: Burns &Oates: Hawthorn Books Inc.
11. Crystal, David and D. Davy (1969). ***Investigating English Style.*** London: Longman.
12. Jordan, A. M. (1953) ***Measurements in Education, An Introduction.*** New York: McGraw Hill. Series in Education.
13. Levinson, S.C. (1983) ***Pragmatics.*** Cambridge: Cambridge University Press.
14. Mey, Jacob L. (1993) ***Pragmatics: An Introduction***. Oxford: Blackwell Publishers.
15. Rhein, Francis Bayard (1966). ***An Analytical Approach to the New Testament.*** New York: Barron's Educational series, Inc.
16. Sabiq, Sayyid. (1996) ***Fiqh -us-Sunnah.*** Rendered to English by Amira Zrein Matraji. Corrected and Revised by Mahmoud Matraji. Beirut: Dar -ul- Fikr.
17. Searle, John R. (1965) "What is a Speech Act". In M. Black (ed.) ***Philosophy in America***. Ithaca, New York: Cornell University Press, 137-54.
18. ***The Concept of Religious Language***. http://www.crvp.org/book/series01/1-28 chapter_three.html. Retrieved on January 25, 2011.
19. The Holy Bible: Old and New Testaments. (1914).Oxford: University Press.
20. The Holy Qur-an. English translation of the meanings and commentary. Revised and Edited by The Presidency of Islamic Researches, IFTA, call and Guidance. Al-Madinah Al-Munawarah: King Fahad Holy Qura'n Printing Complex. 1410.
21. The Koran : A Translation. Translated by N. J. Dawood. Middlesex: Penguin Books Ltd. (1978).
22. The meaning of the Holy Quran. Translated by Mohammed Marmaduke Pickthall. Delhi: New Crescent Publishing Co. 1930
23. Translation of Sahih Muslim (n.d) Islamic Server Home. http://www.use.Isna.net/library/Hadith/muslim/default/asp.
24. Trudgill, Peter (1974). ***Sociolinguistics***. Middlesex: Penguin Books Ltd., Harmondsworth.
25. Wekipedia on line.

المصادر العربية

٢٦. القرآن الكريم

٢٧. **ألانجيل** . كتاب الحياة. ترجمة تفسيرية. الطبعة الثالثة. LANT. ١٩٩٢. (د.ن.)

٢٨. البخاري، محمد بن إسماعيل.- **صحيح البخاري**؛ طبعة جديدة محققة / حققه ووضع فهارسه عبد الرؤوف سعد. المنصورة: مكتبة الايمان، ٢٠٠٣م (١٤٢٣هـ).

٢٩. الدارمي، ابي محمد عبد الله بن عبد الرحمن .- **فتح المنار** - شرح وتحقيق كتاب الدارمي المسمى بـ "المسند الجامع"؛ ط١/ ج٩ من ٢٢ - كتاب الجهاد الى ٢٦ - كتاب الرقاق / شرحه وقابله على الاصول الخطية السيد ابو عاصم نبيل بن هاشم العمري. بيروت: دار البشائر الاسلامية. ١٩٩٩م (١٤١٩هـ).

٣٠. **الاربعين النووية للأمام النووي**. الرياض: مكتبة دار السلام. ١٩٩٤.

٣١. العسقلاني، الامام الحافظ احمد بن علي بن حجر.- **فتح الباري- شرح صحيح البخاري**؛ ج١ / رقم كتبه وابوابه واحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي وقرأ اصله تصحيحاً وتحقيقاً واشرافاً على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة عبد العزيز بن عبد الله بن باز.الرياض: دار الفكر، ١٣٧٩هـ.

٣٢. العيني، بدر الدين ابي محمد بن احمد.- **عمدة القاري - شرح صحيح البخاري** ؛ ج٢١ / عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء بمساعدة ادارة الطباعة المنيرية. (د.م)

٣٣. منصور علي ناصيف.- **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول**؛ ط٣/ وبهامشه غاية المأمول (شرح التاج)ج٥/ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٢م (١٣٨٢هـ).

٣٤. المنذري، ابي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي.- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**؛ ط١ / حققه وفصله وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٢م (١٣٨١هـ).

الملخص بالعربية

الأفعال الكلامية المستعملة في التهذيب الخلقي في الأحاديث النبوية الشريفة وفي النسخة الإنكليزية من العهد الجديد: دراسة مقارنة

المدرسة رفيدة كمال عبد المجيد

(رئيسة قسم اللغة الانكليزية وكالة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد)

يقتضي موضوع التهذيب الخلقي في الأديان استعمال أساليب خطابة متنوعة لتلائم مستوى المتلقين على مر الأجيال والعصور. إن تشابه طبيعة النفس البشرية في كل مكان وزمان يُحتم استعمال أساليب وطرائق متشابهة في حث الناس على التمسك بالفضيلة ومكارم الأخلاق.

ولما كان الإرشاد الخلقي يؤدى باستعمال الأفعال الكلامية، فقد ارتأت الباحثة تطبيق نظرية الأفعال الكلامية Speech Act Theoryعلى نصوص التهذيب الخلقي الوارد في النصوص الدينية وتحليل هذه النصوص بطريقة مشابهة للطريقة المستعملة في لغة التخاطب والتحاور الشفهية.

اقتصرت هذه الدراسة على عشرة موضوعات من مواضيع التهذيب الخلقي الشائعة اختيرت من الكتب الجامعة للأحاديث النبوية الشريفة باللغة العربية ومن كتاب العهد الجديد باللغة الإنكليزية. وهذا التحديد ضروري لان عدد موضوعات الإرشاد الخلقي التي تهتم بها الأديان عديدة. وقد قصد من اختيار هذه الموضوعات ان تكون اقرب ما يمكن تقابلاً بين نصوصها العربية ونصوصها الإنكليزية.

لقد عولج موضوع هذه الدراسة على أساس أربع فرضيات هي: (١) يمكن تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على نصوص التهذيب الخلقي الوارد في النصوص الدينية (٢) أن التهذيب الخلقي اكثر تأثيراً باستعمال مختلف أنواع الأفعال الكلامية (٣) الأحاديث النبوية الشريفة والعهد الجديد من النصوص الدينية التي لابد ان تُظْهِر مثل هذا الاستعمال (٤) تُظْهِر الأفعال الكلامية المستعملة في كلا النصين تقابلاً في أنواعها.

أما المنهج التحليلي الذي اعتمدته هذه الدراسة فهو Rules of Illocutionary Acts (قواعد الأفعال الكلامية) التي وضعها John Searle لبعض أنواع الأفعال الكلامية والشروط conditions التي منها استخلصت هذه القواعد.

أظهرت نتائج هذه الدراسة صحة الفرضيات الأربع. فقد أظهرت إمكانية تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على النصوص الدينية؛ وأثبتت وجود توافق في الأفعال الكلامية المستخدمة في النصين العربي والإنكليزي؛ وكذلك توصلت الى وجود أنواع مختلفة من الأفعال الكلامية؛ وأظهرت الأحاديث النبوية الشريفة ونصوص العهد الجديد استعمالاً لهذه الأفعال. وتدعيماً لتلك النتائج فقد أُجْرِيَ تحليلُ إحصائيُ مقارن لاستقصاء التواتر والتردد الحاصل في كل نوع من أنواع تلك الأفعال. وقد عمدت الباحثة إلى استعمال نظرية "A rank-difference correlation" وهي نظرية تبين العلاقة الترابطية بين الأنواع والترددات في كلا النصين. لقد أثبتت هذه النظرية وجود ترابط بين أنواع الأفعال الكلامية وتردداتها إذ أن أية زيادة في أنواع النص العربي وتردداته يقابلها زيادة في أنواع النص الإنكليزي وتردداته. هذه النتائج ساعدت الباحثة في اتخاذ قرار الحد من عدد الأحاديث النبوية الشريفة ونصوص العهد الجديد التي تضمنتها هذه الدراسة.

وقد حُوِّلَتْ هذه الترددات فيما بعد إلى نسب مئوية تمكنت الباحثة بواسطتها من إجراء مقارنة بين النصين تتضمن تردد كل نوع من تلك الأنواع والنسب المئوية التي يمثلها.

A Semiotic Analysis of Hadiz within a post structuralist framework

(Umar.N., Research Scholar, JNU)

The Hadiz comprise supplements to the Holy Qur'an. Issues related to Jurispudence etc are dealt with in the Hadiz in a clarifying manner. This supplementary notion that is essential to the Hadiz is pertinent in the context of the idea of Parergon introduced by Jacques Derrida.

The exegesis of the Holy Qur'an relies to a large extent on the Hadiz. It is the Hadiz that through their invaluable insight into human life, society and social justice that paved the way for an Islamic civilization to flourish worldwide. Such a panoptic culture is open to interpretations from occidental theories as well. The translation of the Holy Qur'an By Muhammed Asad is a case in point where a westerner has interpreted Qur'anic meaning without Orientalist pretensions.

Such an approach to Hadiz is facilitated by Jacques Derrida's concept of the Parergon.

Jacques Derrida, the Algeria-born French philosopher of deconstruction, presents the Parergon as the supplement which completes a text, but at the same time, is not part of it. Derrida here draws on the Kantian notion of the frame of a work of painting, in which the painting (text) will be incomplete without the frame, but the frame interferes in no way with the signification of the text itself. That which is outside of the text is thus relevant to it and is in no ways external to it or beyond it.

Parerga have a thickness, a surface which separates them not only (as Kant would have it) from the integral inside, from the body proper of the ergon, but also from the outside, from the wall on which the painting is hung, from the space in which statue or column is erected, then, step by step, from the whole field of historical, economic,politicalinscription in which the drive to signature is produced (an analogous problem we shall see further on). No 'theory', no 'practice', no 'theoretical practice' can intervene effectivelyin this field if it does not weigh up and bear on the frame, which is the decisivestructure of what is at stake, at the invisiblelimit to (between) the interiority of meaning (put under shelter by the whole of hermeneuticist, semioticist, phenomenologicalist,and formalisttradition) and (to) all the empiricisms of the extrinsic which, incapable of either seeing or reading, miss the question completely.(Derrida, 1987,pp. 60-1)

The self-effacement of the parergon is in the great personality of Prophet Muhammed, whose sayings have guided the Muslim world for Millennia. The Hadiz, which exist outside of the Holy Qur'an, but is in no sense exterior to it provide insights into its interpretation. The Hadiz exists, but not in contravention of the Holy Qur'an. In this sense, it is the perfect parergon.

My choice of Muhammad to lead the list of the world's most influential persons may surprise some readers and may be questioned by others, but he was the only man in history who was supremely successful on both the secular and religious level. ...It is probable that the relative influence of Muhammad on Islam has been larger than the combined influence of Jesus Christ and St. Paul on Christianity. ...It is this unparalleled combination of secular and religious influence which I feel entitles Muhammad to be considered the most influential single figure in human history.(Michael Hart in 'The 100, A Ranking of the Most Influential Persons In History,' New York, 1978)

It is beyond question that the great personality of Prophet Muhammed and his engagement with the human issues of his time and his social involvement enabled him to lead the Muslim community in accordance with the Qur'anic teachings and the Hadiz. This it is the personality and great character strength of the Prophet that serves as the Parergon for Islamic society as a whole.

Four years after the death of Justinian, A.D. 569, was born in Mecca, in Arabia, the man who, of all men, has exercised the greatest influence upon the human race... To be the religious head of many empires, to guide the daily life of one-third of the human race, may perhaps justify the title of a Messenger of God.(Dr. William Draper in 'History of Intellectual Development of

Europe)

Such affirmations of the importance of Prophet Muhammed by occidental writers might appear superfluous. But Prophet Muhammed as the messenger of God for Humanity as a whole, till the day of judgement is vindicated by these assertions. The parergon indeed becomes the paragon for not only the Muslims, but the world and humanity as a whole. The word in the Hadiz, in this sense, is co-extensive with the world.

His readiness to undergo persecution for his beliefs, the high moral character of the men who believed in him and looked up to him as a leader, and the greatness of his ultimate achievement - all argue his fundamental integrity. Moreover, none of the great figures of history is so poorly appreciated in the West as Muhammad.... Thus, not merely must we credit Muhammad with essential honesty and integrity of purpose, if we are to understand him at all; if we are to correct the errors we have inherited from the past, we must not forget the conclusive proof is a much stricter requirement than a show of plausibility, and in a matter such as this only to be attained with difficulty.(W. Montgomery Watt in 'Muhammad at Mecca,' Oxford, 1953.)

A creative engagement with the western philosophical tradition and deconstruction vis-à-vis the Hadiz can be fruitful in this regard, by allowing the western tradition a more full-fledged and deeper understanding of Prophet Muhammed. Deconstruction as a philosophical system negates the Western philosophy from Plato onwards. This is particularly crucial in the present dissertation for the purpose of

Bibliography

1. "Hadith". Dictionary.com Unabridged. Random House, Inc. Retrieved 2011-08-13.
2. "hadith". Oxford English Dictionary. Oxford University Press. 2nd ed. 1989.
3. al-Kuliyat by Abu al-Baqa' al-Kafawi, pg. 370; Mu'assasah l-Risalah. This last phrase is quoted by al-Qasimi in Qawaid al-Tahdith, pg. 61; Dar al-Nafais
4. Derrida Jacques, Of Grammatology, Motilal Banarsidass, 1998
5. Dr. William Draper , 'History of Intellectual Development of Europe
6. Ibn Hajar, Ahmad. al-Nukat ala Kitab ibn al-Salah, vol. 1, pg. 90. Maktabah al-Furqan.
7. Islahi, Amin Ahsan (1989 (tr:2009)) (in Urdu). Mabadi Tadabbur-i-Hadith (translated as: Fundamentals of Hadith Intrepretation). Lahore: Al-Mawrid. Retrieved 2 June 2011.
8. Lisan al-Arab, by Ibn Manthour, vol. 2, pg. 350; Dar al-Hadith edition.
9. Michael Hart in 'The 100, A Ranking of the Most Influential Persons In History,' New York, 1978
10. W. Montgomery Watt in 'Muhammad at Mecca,' Oxford, 1953